التفسير البنائي الاستراتيجي للقرآن الكريم

قراءة مقاصدية في بناء الإنسان والأمة والحضارة

تأليف

الدكتور/ لمين باب محمد محمود

نبذة عن الكتاب:

هذا الكتاب يقدم تفسيرًا للقرآن الكريم، يعيد بناء فهم النص القرآني عبر منهج بنائي استراتيجي يرتكز على المقاصد العليا للقرآن، ويكشف عن الخطة الإلهية المتكاملة في بناء الإنسان والأمة والحضارة من خلال تثبيت العقيدة، وتنمية الأخلاق، وإعداد القوة الروحية، وإدارة الصراعات، والتمكين والتحصين النهائي.

الناشر: المؤلف

الطبعة الأولى | 2026م/1447هـ

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية- موريتانيا:

3903/2026

الرقم المعياري الدولي:9-78237700505

9 782377 005505


أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم


بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩) [الإسراء: 9]

معجم المصطلحات المعتمدة في التفسير البنائي الاستراتيجي

1. التفسير البنائي: هو تفسير يركّز على كشف البناء الداخلي للسورة أو مجموعة السور، من حيث وحدة الموضوع، وترابط المقاطع، وتسلسل الأفكار، وتكامل المعاني، بحيث تتضح الصورة الكلية التي أرادها النص القرآني، لا مجرد شرح مفرداته أو تفسير آياته منفصلة.

2. المنهج الاستراتيجي: هو أسلوب في قراءة النص القرآني يهدف إلى استنباط الخطة الإلهية الكاملة لبناء الأمة، من خلال تتبّع مراحل النهوض، وأدوات الإصلاح، ووسائل الحماية، وربط ذلك بالواقع وتحدياته، بحيث يصبح التفسير خارطة طريق عملية.

3. البناء البنيوي للسورة: هو تحليل الهيكل العام للسورة من حيث تقسيماتها الكبرى، والمقاطع الموضوعية، والمفاصل الرئيسة، والروابط بين بدايتها ونهايتها، مع بيان كيف يخدم كل جزء الهدف الكلي للسورة.

4. الوحدة الموضوعية: هي الفكرة الكبرى التي تدور حولها السورة بأكملها، والتي تشكّل المحور الذي تنتظم حوله جميع آياتها ومقاطعها.

5. الخطة الإلهية: يقصد بها التسلسل الرباني المقصود في ترتيب السور والآيات، والذي يعكس مسار الرسالة الإلهية في إصلاح الإنسان وبناء الأمة، بما يتضمنه من أهداف مرحلية ونهائية.

6. السنن الربانية: القوانين الثابتة التي تحكم حركة الأمم والحضارات، والتي يبيّنها القرآن في سياق عرض قصص السابقين أو توجيه الأمة، مثل سنن النصر والتمكين، وسنن الهزيمة والانحطاط.

7. المقصد الكلي: الغاية العظمى التي تسعى السورة أو مجموعة السور إلى ترسيخها في وعي المؤمنين وسلوكهم.

مقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدى للناس، وبيانًا للمنهج، ونورًا يهدي به من شاء إلى سواء السبيل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبلّغ عن ربه، والمجسّد للقرآن قولًا وعملًا، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه.

يأتي هذا التفسير الموسوم بـ «**التفسير البنائي الاستراتيجي للقرآن الكريم**: **قراءة مقاصدية في بناء الإنسان والأمة والحضارة**» في سياق الحاجة المتجددة إلى إعادة النظر في كيفية قراءة القرآن الكريم وفهمه، لا من حيث سلامة المعنى الجزئي فحسب، بل من حيث الوعي بالبناء الكلي للخطاب القرآني، ووظيفته في تشكيل الإنسان، وبناء المجتمع، وتوجيه حركة الأمة في التاريخ.
فالقرآن – كما يتبدّى من استقرائه الكلي – ليس نصًا تجزيئيًا يعالج القضايا منعزلة، ولا خطابًا وعظيًا محضًا، بل هو منهج إلهي متكامل، يتدرّج في بناء الإنسان عقديًا وأخلاقيًا وفكريًا، ثم ينتقل به إلى ميدان الحركة والتدافع والاستخلاف، وفق سنن ربانية محكمة.

أولًا: إشكالية التفسير

تنطلق إشكالية هذا العمل من ملاحظة أن كثيرًا من جهود التفسير – مع ما لها من قيمة علمية عظيمة – قد انشغلت غالبًا بتفسير الآية في ذاتها، أو السورة في حدود موضوعها المباشر، دون إبراز كافٍ **للعلاقات البنائية والاستراتيجية** التي تنتظم السور في المصحف، وتجعل منه مشروعًا متدرجًا لبناء الإنسان والأمة.
ومن هنا يطرح هذا التفسير سؤالًا مركزيًا:
كيف يُقرأ القرآن بوصفه بناءً متكاملًا وخطةً هادية للحياة، لا مجرد مجموع نصوص متجاورة؟

ثانيًا: منهج التفسير

اعتمد هذا التفسير ما اصطلح عليه بـ **المنهج البنائي الاستراتيجي**، وهو منهج يقوم على:

- قراءة السورة كوحدة بنائية ذات مقصد عام.
- ربط المقاطع والآيات بوظيفتها داخل البناء الكلي للسورة.
- وصل السور بعضها ببعض في ضوء التدرج القرآني العام.
- إبراز السنن الإلهية الحاكمة لحركة الفرد والمجتمع والتاريخ.
- الانتقال من المعنى التفسيري إلى الرؤية المنهجية دون إخلال بأصول التفسير المعتبرة.

ولا يعني هذا المنهج إلغاء جهود المفسرين، ولا الاستغناء عن التفسير بالمأثور أو اللغة أو المقاصد، بل هو **توظيف واعٍ لها** داخل رؤية كلية، تُنظم الجزئيات ولا تُلغيها، وتجمع المعنى دون أن تُسطّحه.

ثالثًا: أهداف التفسير

يهدف هذا التفسير إلى:

1. إبراز وحدة الخطاب القرآني وتماسك بنائه.
2. إعادة ربط المسلم بالقرآن بوصفه منهج بناء وحركة.
3. الكشف عن البعد الاستراتيجي في ترتيب السور ومقاصدها.
4. الإسهام في تجديد الوعي التفسيري دون الخروج عن الضوابط العلمية.
5. فتح أفق علمي يمكن أن يُستثمر في الدراسات القرآنية والحضارية.

رابعًا: حدود الدراسة

يلتزم هذا التفسير بحدود واضحة، منها:

- عدم الادعاء بالإحاطة بمعاني القرآن أو استيفاء مقاصده.

- تجنّب الإطالة الخلافية التي لا تخدم البناء العام.
- الاقتصار على ما يخدم المقصد البنائي والاستراتيجي للسورة.
- الالتزام بالتوثيق العلمي **عند النقل أو الاستفادة من أقوال العلماء**.

فالعمل في حقيقته **اجتهاد بشري، وخواطر علمية ، وتأملات منهجية**، يُرجى أن تكون صائبة، ويُحتمل فيها النقص، ويبقى القرآن أعظم وأوسع من أن يُستوفى تفسيره.

خامسًا: منهج التوثيق والإحالة في هذا التفسير

نظرًا لطبيعة هذا العمل، بوصفه تفسيرًا **تأليفيًا اجتهاديًا بنائيًا ذا بعد استراتيجي**، لا قائمًا على جمع الأقوال أو تلخيص التفاسير، فقد جرى اعتماد منهجٍ خاص في التوثيق والإحالة، يوازن بين الأمانة العلمية، والحفاظ على وحدة النص التفسيري واستقلال صوته المنهجي.

فقد آثرت في متن التفسير تقديم القراءة التحليلية للنص القرآني بوصفها قراءةً نابعة من بنية النص ذاته، ومستندة إلى سياقه العام، ووظيفته داخل المشروع القرآني الكلي، دون إثقال المتن بإحالات متكررة قد تُربك القارئ، أو توهم تبعية منهجية لأقوال بعينها، في حين أن المقصود **هو إبراز الرؤية البنائية الكلية للنص.**

وعليه اقتصر التوثيق الهامشي على المواضع التي تقتضيها الضرورة العلمية، وذلك في حالات محددة، من أهمها:
الإشارة إلى أقوالٍ منقولة صراحة عن السلف أو المفسرين، أو التنبيه إلى مسائل تفسيرية مشهورة الخلاف، أو اعتماد مفاهيم اصطلاحية تحتاج إلى ضبطٍ أو تعريف، أو بيان أصلٍ علميٍّ متفق عليه في علوم القرآن أو أصول التفسير.

أما ما عدا ذلك من التحليل البنائي، وربط الآيات بالمقاصد، واستخراج السنن، وبيان وظيفة السور داخل البناء العام للمصحف، فقد قُدِّم بوصفه اجتهادًا تفسيريًا مستقلًا، لا نقلًا عن مصدر بعينه، **مع الاعتماد على مرجعية علمية عامة تم بيانها في قائمة المصادر والمراجع في خاتمة التفسير.**

وبهذا المنهج، يجمع هذا العمل بين **التحرّي العلمي** و**الاستقلال المنهجي**، ويؤكد أن التوثيق فيه وظيفةٌ ضابطة، لا عنصرًا مهيمنًا، وأن المرجع الأعلى في التفسير **هو النص القرآني ذاته** –وقد اعتمدت في النص رواية حفص عن عاصم بطباعة مصحف المدينة الاصدار– 3، مع الاستنارة بجهود المفسرين والباحثين بوصفها معينًا علميًا، لا إطارًا مُقيِّدًا للاجتهاد.

سادسا: الخطة العامة للتفسير

اقتضت طبيعة المنهج البنائي الاستراتيجي، القائم على النظر إلى القرآن الكريم بوصفه بناءً متدرّجًا في تشكيل الإنسان والأمة، تقسيم هذا التفسير إلى مقدمة وثلاثة أجزاء ، تمثّل المراحل الوظيفية لهذا البناء، ثم خاتمة جامعة للنتائج والتوصيات.

وقد جاء هذا التقسيم استجابةً لمنطق التدرّج القرآني ذاته، الذي لا يعرض الهداية عرضًا تجزيئيًا، بل ينتقل بالإنسان من ترسيخ المرجعية، إلى تفعيلها في الواقع، ثم إلى وعيها في صورتها الكلية.

• **الجزء الأول:** التأسيس العقدي وبناء المنهج القرآني للإنسان والأمة (من سورة الفاتحة إلى سورة الإسراء) ويُعنى بترسيخ المرجعية العقدية، وبناء الوعي، وتشكيل القيم، ووضع الأسس الكلية للمنهج القرآني.

• **الجزء الثاني:** الحركة والتدافع والتمكين في البناء القرآني (من سورة الكهف إلى سورة الناس)

ويتناول انتقال الخطاب القرآني إلى ميدان الواقع، من خلال معالجة قضايا الفتنة، وسنن التدافع، ومسارات الاستخلاف والتمكين، مع استكمال البناء بالتحصين العقدي والنفسي.

- **الجزء الثالث:** التقويم المنهجي والخريطة الكلية للتفسير (ويُخصَّص لإعادة النظر في هذا البناء في صورته الكلية، من خلال المقارنات التفسيرية، ورسم الخريطة العامة للمصحف الشريف، وفيه الخاتمة بها أهم النتائج، وبيان التوصيات وآفاق البحث المستقبلية).

الجزء الأول

بناء المنهج القرآني للإنسان والأمة

(من سورة الفاتحة إلى سورة الإسراء)

يمثّل هذا الجزء الأول من **التفسير البنائي الاستراتيجي للقرآن الكريم** المدخلَ التأسيسيَّ للمشروع التفسيري برمّته؛ إذ يتوجّه إلى بناء القاعدة التي يقوم عليها فهم القرآن، والعمل به، وتنزيله في واقع الإنسان والأمة، فالقرآن – في تصوّر هذا التفسير – ليس نصًّا متفرق القضايا، ولا مجموع آيات تُفسَّر على نحوٍ تجزيئي معزول، وإنما هو خطاب إلهيٌّ محكم، ذو بناء داخلي متماسك، يتدرّج في تشكيل الإنسان، ثم في توجيه المجتمع، ثم في إعداد الأمة لحمل أمانة الاستخلاف.

وانطلاقًا من هذا التصوّر، خُصِّص هذا الجزء لدراسة المرحلة الأولى في البناء القرآني، وهي **مرحلة التأسيس**؛ حيث تُرسَّخ المرجعية العقدية، وتُبنى معالم المنهج، ويُعاد تشكيل وعي الإنسان بذاته، وبربه، وبالكون، وبالتاريخ، وبالغاية من وجوده، وقد كان اختيار البدء بسورة الفاتحة أمرًا طبيعيًا ومنهجيًا؛ فهي الإعلان الأول عن طبيعة العلاقة بين العبد وربه، وعن مركزية الهداية، وعن كون العبودية الواعية فهي المدخل الصحيح لكل حركة في الحياة.

ويمتد هذا الجزء من الفاتحة إلى سورة الإسراء، لا على أساسٍ عدديٍّ محض، بل باعتبار أن هذه السور، في مجموعها، تؤدي وظيفة متكاملة في **بناء الإنسان القرآني**: عقديًا، وأخلاقيًا، وفكريًا، وتشريعيًا؛ ففي هذه المرحلة يعالج القرآن قضايا التوحيد، والنبوة، والمعاد، ويواجه الانحرافات العقدية والفكرية، ويؤسس القيم الكبرى كالعدل، والأمانة، والمسؤولية، ويضع الأطر الأولى للتشريع، ويعرض نماذج تاريخية تُبرز سنن الهداية والضلال، والنهوض والانحطاط.

وقد جاءت سورة الإسراء في ختام هذا الجزء بوصفها **سورة مفصلية** في البناء القرآني؛ إذ تجمع بين التأسيس العقدي، والتوجيه الأخلاقي، والإنذار الحضاري، وتُعلن الانتقال من مرحلة بناء الوعي والمنهج إلى مرحلة الحركة في الواقع وتحمل المسؤولية التاريخية، فهي تمثّل ذروة التأسيس، ونقطة التحوّل التي يتهيأ بعدها الخطاب القرآني للدخول في معالجة قضايا الفتنة، والصراع، والتمكين.

وفي هذا الجزء، يلتزم التفسير بالمنهج البنائي الاستراتيجي، من خلال:

- قراءة السورة كوحدة متكاملة ذات مقصد عام وبنية داخلية.
- ربط الآيات بسياقها البنائي، لا فصلها عن وظيفتها في السورة.
- إبراز السنن الإلهية الحاكمة لمسار الإنسان والمجتمعات.
- الانتقال من المعنى الجزئي إلى الرؤية الكلية، ومن الهداية الفردية إلى المنهج الحضاري.

ولا يدّعي هذا التفسير الإحاطة الكاملة بمعاني كتاب الله، ولا بلوغ الغاية النهائية في فهمه- كما بينت سابقا-؛ فالقرآن أوسع وأعمق من أن يُستوفى تفسيره، وإنما هو جهدٌ اجتهاديٌّ وتأمّلٌ علميٌّ يروم الإسهام في تجديد النظر إلى النص القرآني، وإعادة قراءته بوصفه مشروعًا متكاملًا لبناء الإنسان والأمة، في ضوء حاجات العصر وتحدياته، مع الالتزام بأصول التفسير وضوابطه المعتبرة.

وعليه، فإن هذا الجزء الأول يمثّل **الأساس الذي يقوم عليه ما بعده**؛ فمن دون ترسيخ المنهج، وضبط المرجعية، وبناء الوعي، لا تكون الحركة ولا التمكين إلا اضطرابًا أو انحرافًا. ومن هنا كانت العناية به عنايةً بالأصل الذي تُبنى عليه بقية مراحل المشروع القرآني.

والله وليّ التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

سورة الفاتحة

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[1].

- **الاسم:** "الفاتحة"، "أم الكتاب"، "السبع المثاني"، "الشفاء"، "الوافية"، وكل اسم يعكس جانبًا من وظائفها[2].

محور السورة الكلي (المقصد المركزي): الهداية الربانية طريقُ النجاة الفردية والنهوض الجماعي.

فهذه السورة ترسم **خريطة الهداية** من المعرفة بالله، إلى الإقرار بربوبيته ورحمته، إلى إعلان العبودية، ثم سؤال الهداية، والتحذير من الضلال، والتأكيد أن الهداية لا تتم إلا بالسير في طريق "الذين أنعمت عليهم".

---

[1] وفيه خلاف مشهور حول هل البسملة آية من الفاتحة أم لا؟ ، ويرجع إلى ذلك في محله وقد أورد الامام مسلم بابا في حجية ذلك فقال:" بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَة" أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ،**الجامع الصحيح «صحيح مسلم»** (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة) ، المحقق: محمد ذهني أفندي – إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي– أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري – محمد عزت بن عثمان، الزعفرانبوليوي– أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا، عام النشر: ١٣٣٤ هـ، **كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة،** ج2ص12.

[2] انظر:– شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ)، **شرح سنن أبي داود**، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م ج6ص443-444.وانظر:– أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، **البرهان في علوم القرآن**
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ] الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،ج1ص269.

المقاصد الكبرى لسورة الفاتحة تتجلّى في نسق متكامل يؤسّس للرؤية القرآنية للإنسان والحياة والعمل، فافتتاح السورة بقوله تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ يرسّخ مبدأ الدخول على الله بأسمائه الرحيمة، بما يدلّ على أن كل مشروع إنساني أو حضاري لا يمكن أن يتحرّك أو يستقيم إلا باستمداد الرحمة الإلهية واتخاذها منطلقًا وغاية.

ثم يأتي قوله تعالى: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ليقرّر الاعتراف بالمصدر المطلق لكل النعم، مؤسسًا لأول شرط من شروط الوعي القرآني، وهو نسبة الفضل إلى الله لا إلى الأسباب وحدها، بما يحرّر الإنسان من وهم الاستقلال والغرور بالقدرة.

ويتعمّق هذا المعنى في قوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ حيث تتجذّر الثقة في الله، إذ لا يستقيم الافتقار الصادق إلا مع الرجاء، ولا يثمر العمل إلا حين يُؤسَّس على الأمل في رحمة الله، لا على القنوط أو الخوف المجرد.

ويؤسس قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ لوعي شامل بالجزاء والمسؤولية، مبينًا أن البناء لا يقوم بلا محاسبة، والعمل لا معنى له بلا غاية، وأن الفوضى الأخلاقية والاجتماعية مآلها الانهيار حين يغيب الإيمان بالحساب.

ثم تنتقل السورة إلى لبّ العلاقة بين العبد وربه في قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، حيث يُعلَن التوحيد العملي والعبودية الخالصة، بما يعني التحرر من كل أشكال الطاغوت، قديمها وحديثها، إذ لا ينهض الفرد ولا الأمة إلا إذا تحرّرا من الأصنام الجديدة التي تتخفّى في صور السلطة أو المادة أو الهوى.

ويأتي الدعاء: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ليعبّر عن جوهر الرسالة القرآنية، وهو طلب الهداية، باعتبارها فعلًا مستمرًا لا لحظة عابرة، ومسارًا دائمًا لا نقطة وصول نهائية، بما يرسّخ معنى المراجعة والتقويم الدائمين.

ثم يحدَّد النموذج المرجعي في قوله: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾، حيث تُبيَّن ضرورة الاقتداء بالقدوات الحقيقية التي نالت رضا الله، تأكيدًا على أن النهضة لا تتحقق بأمثلة وهمية أو نماذج مفروضة، بل بسير واقعية متحققة في التاريخ.

وتُختَم السورة بالتحذير في قوله: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، من مسلكين خطيرين: مسلك الغلو الذي يقود إلى الغضب، ومسلك التفريط الذي ينتهي إلى الضلال، دالّة على أن الانحراف لا يكون دائمًا بالجهل والضياع، بل قد يكون بالعلم المجرد عن الخشية والبصيرة.

وبذلك تتكشّف سورة الفاتحة عن كونها خريطة عقدية وتربوية وحضارية، تختصر رؤية الإسلام للوجود، وتوجّه الإنسان في علاقته بربه، وبذاته، وبالعالم من حوله.

المعاني المفصلة ومداخلها المقاصدية

بسم الله الرحمن الرحيم

- **بسم الله:** الدخول على كل عمل بإذن الله، وتوكيل له، واستحضار أنه هو المهيمن، لا أنا.
- **الرحمن الرحيم:** الرحمة مطلقة، تسبق الغضب، وتهيئ النفس لفهم أن كل ما في هذا القرآن هو **رحمة مهداة للبشرية.**

مقصد: لا يبدأ القرآن إلا بالرحمة، فمشروعه ليس السيطرة، بل الهداية الرحيمة.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾

- **الحمد:** شكر و تعظيم يؤدي لوعي قلبي مستنير.
- **رب العالمين:** ليس رب المسلمين فقط، بل رب الناس كلهم؛ فالمشروع القرآني **رسالي عالمي،** لا طائفي.

مقصد: القرآن يربط الإنسان بخالقه وربه لا بالواقع المجزأ.

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

- التكرار ليس للتأكيد فقط، بل لأنه مفتاح فهم **وظيفة الربوبية** في القرآن.

- منهج الرب في القرآن ليس القهر، بل التربية بالرحمة.

مقصد: على الأمة أن تنشئ رؤيتها السياسية والدعوية والتربوية على منطق الرحمة لا السيف.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾

مقصد الآية:

الآية تؤكد على أهمية التركيز على الملك الحقيقي لله لا على الملك الظاهر والمادّي فقط، وتربط الدين بالجزاء لتوضيح أن كل حياة الإنسان ستُعرض على ميزان الحق.

الرسالة الجوهرية:

هي أن من لا يستحضر الحساب الأخروي، لن يحسن العمل في الدنيا، فكل سلوك وفعل يجب أن يُبنى على رؤية أخروية واضحة تحكم الاختيار وتوجّه القرار.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾

مقصد الآية:

هذه الآية تشكل قلب السورة، حيث تعلن العبودية التامة لله، أي التحرر الكامل من الاستسلام للهوى، والمال، والسلطة، وتؤكد على الاستعانة بالله، بمعنى أن الشعور بالضعف أمام الله لا يتعارض مع القوة في العمل والسعي الجاد.

الرسالة المركزية: هي أن أي بناء حضاري أو مشروع إنساني لا يقوم على أساس العبودية لله وحده، فهو مشروع زائل وغير مستقر، لأن العمود الفقري لأي نجاح دائم هو التوحيد والانقياد لله في الفكر والعمل.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾

مقصد الآية:

هذه الآية تجسّد جوهر الطلب القرآني للهداية، مؤكدة أن السعي للمعرفة أو الفهم لا يكفي بمفرده، بل يحتاج إلى ثبات وتجديد يومي في القلب والفعل.

الرسالة الأساسية:

هي أن الهداية ليست مرحلة مؤقتة أو اكتسابًا لمرة واحدة، بل هي مشروع دائم ومسار مستمر، حتى النبي ﷺ يطلب من الله: "اهدنا"، لتكون الهداية رحلة متواصلة تتطلب الالتزام والانتباه اليومي في كل موقف وسلوك.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾

مقصد الآية:

تركز الآية على تعيين النموذج الذي يُحتذى به، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، لتوضيح أن الأمة لا تُبنى بلا قدوة راشدة، فرفض الضلال وحده لا يكفي، بل يجب تبني طريق النور والعمل وفق هداية واضحة.

كما تبيّن الآية أخطر الانحرافات: فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به، والضالون عملوا دون علم.

الرسالة المركزية:

هي أن أعظم خطرين على الأمة هما العلم بلا عمل الذي يؤدي إلى التكبر والعمل بلا علم الذي يؤدي إلى الضياع، وما دام الإنسان يسعى للهداية، يجب أن يجمع بين الفهم الصحيح والتطبيق الصادق.

الرسالة الاستراتيجية:

سورة الفاتحة ليست مجرد فاتحة للقرآن فحسب بل هي فاتحة للهداية الكونية تحمل في سبع آيات معاني شاملة توجه الإنسان نحو الطريق المستقيم، فهي تحدد الرؤية الكونية من خلال الإشارة إلى رب العالمين الذي خلق الكون ويدبره، وتؤسس للعقيدة الصحيحة ببيان رحمة الله وحساب الآخرة، وتربط السلوك الفردي بالعبادة والدعاء لتقوية العلاقة مع الخالق.

وتوجه السورة تحذيرًا استراتيجيًا من الانحراف عن الطريق الإلهي، ممثّلًا في فئتي المغضوب عليهم والضالين، لتُبرز الفرق بين مسار الخير والهداية ومسار الشر والضلال، ففي جوهرها، هي ميثاق عهد جديد مع الله وإعلان انطلاق المشروع القرآني الحضاري الذي يربط العقيدة بالعمل، والفرد بالمجتمع، والعالم بالإنسان.

سورة البقرة

سُمّيت سورة البقرة بهذا الاسم لورود قصة البقرة فيها، وهي القصة التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ..﴾ [البقرة: 67]﴾

وهذه التسمية توقيفية ثابتة في السنة، وقد عُرفت بها منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم[1].

[1] انظر: موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار – د. نوح بن يحيى الشهري، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ – ٢٠١٧، ج2ص49.

التمهيد الاستراتيجي للجزء الأول من القرآن الكريم: من الفاتحة إلى البقرة (1–141)

يمثّل هذا الجزء الانتقال من طلب الهداية في الفاتحة إلى إقامة مشروع الاستخلاف على الأرض في البقرة.

فالهداية التي سُئل عنها الإنسان في الفاتحة تبدأ تفاصيلها في البقرة، حيث يوضح القرآن الطريق المستقيم، وصفات السالكين، والعوائق، والنماذج، والسنن، والأهداف الكبرى.

ينقسم البناء الاستراتيجي للجزء الأول إلى أربعة محاور:

أولاً، الهداية وإعداد النفوس، حيث تُرسم ملامح المتقين: الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، الإنفاق، والإيمان بالكتب والآخرة.

ثانياً، التحذير من موانع الهداية، كالنفوس المغلقة بالنفاق، الكبر، الهوى، والغفلة، لتبيّن أن الهداية لا تُستقبل إلا بقلب صادق وعقل مستعد وسلوك مستقيم.

ثالثاً، عرض النموذج التاريخي لبني إسرائيل، لإظهار كيف أضاعوا الهداية بتحويل النعمة إلى غرور، ورفض الرسالة، والتحايل على الشرع، مما يجعل الدروس المستخلصة حضارية وليست مجرد سرد تاريخي.

رابعاً، إعلان الاستخلاف الجديد عبر إبراهيم وذريته، حيث يُقدّم القرآن نموذج الهداية الراشدة: اختيار أخلاقي، تضحية واعية، استسلام لله، وبناء أمة من لا شيء، ليكون المثال الأعلى للمشروع القرآني الصالح.

الرسالة الجوهرية لهذا الجزء: الهداية لا تُمنح إلا لمن أعد نفسه لها، وسلك طريقها، وتحرر من موانعها، والتزم بالعهد مع الله. فالقرآن يبدأ بعلاج القلب والعقل قبل الشروع في الأحكام، ويُبرز القدوة الصحيحة قبل بناء الأمة، ليؤسس وعيًا داخليًا وسلوكيًا متكاملًا يجعل الإنسان مؤهلًا للسير في طريق الحق وتحمل مسؤولية الخلافة على الأرض.

الدرس المركزي: كن مستعدًا للهداية، فهي لا تُعطى إلا لمن أخلص الطلب وثبت في الطريق.

(الآيات 1 – 5)

1. *شروط الدخول في الهداية القرآنية*

نص الآيات:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾.

الرسالة العامة لهذه الآيات:

القرآن الكريم ليس كتاب هداية للجميع تلقائيًا، بل هو كتاب هداية لمن يحمل "قابلية الهداية"
وذلك بأن يكون من المتقين، الذين تتوفر فيهم الصفات التي تؤهلهم لقبول النور واستثماره.

الٓمٓ : من الحروف المقطعة التي تكررت في أوائل بعض السور[1].

- إشارات توقيفية، تُثير انتباه القارئ، وتدله على أن هذا القرآن المتكوّن من هذه الحروف نفسها **معجز في بيانه.**

---

[1] قال ابن أبي زمنين:" وَقد سَمِعْتُ بَعْض من أقتدي بِهِ من مَشَايِخنَا يَقُولُ: إِن الْإِمْسَاك عَنْ تَفْسِيرهَا أفضل". أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م،ج1،ص120.

مقصد: القرآن تحدٍّ مفتوح. ولفهمه، تحتاج إلى الخضوع لا التعالي.

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ :

- "ذلك الكتاب": تعظيم وتشريف، كأنه يُشار إليه عن بُعد لعلو مقامه.
- "لا ريب فيه": لا مجال للشك في مصدره ولا في مضمونه.
- "هدى للمتقين": لا ينال هدايته إلا من اتقى.

من هم المتقون؟ هم الذين:

- يطلبون الحق لا الهوى.
- يخافون الله ويأملون رحمته.
- عندهم استعداد للاتباع لا الجدل.

المعنى الاستراتيجي: الهداية ليست مجانية، بل مشروطة بالنية والنقاء.

ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ :

فيها أول ثلاث خصائص للمؤهلين للهداية:

1. *الإيمان بالغيب*

- الإيمان بأن هناك ما هو أعظم من المشاهد، وهو أصدق.
- الغيب يشمل: الله، الملائكة، الوحي، الجنة، النار، القدر، الحساب...

رسالة: من لا يؤمن بالغيب يعيش في سجن الحسيات، فلا ينفذ لبصائر القرآن.

2. إقامة الصلاة

- لم يقل: "يصلون"، بل "يقيمون" = يؤديها كما أرادها الله: بخشوع، وانتظام، وتأثير في الحياة.

رسالة: الصلاة بوابة التزكية، ولا هداية لمن لا يصلي.

3. الإنفاق

- ليس المقصود الزكاة فقط، بل كل صورة من صور البذل.
- "مما رزقناهم": كل الرزق، علمًا أو مالًا أو جاهًا.

رسالة: البخيل لا يُهدى، لأنه عبد ما يملك، لا عبد من خلقه.

وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ

4. الإيمان بالكتب كلها

- لا تعصب، لا انتقاء.
- القرآن هو الحلقة الأخيرة في سلسلة نور.

5. اليقين بالآخرة

- "يوقنون" أقوى من "يؤمنون"؛ هو إيمان لا شك فيه ولا ارتياب.
- من يتيقن الآخرة، يحسن العمل، ويضبط سلوكه، ولا يضل طريقه.

رسالة: اليقين بالبعث هو محرك الأخلاق والالتزام والنية.

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ :

- "على هدى": كأن الهداية **راحلة راسخة**، وهم راكبون عليها.
- "من ربهم": الهداية ليست من أحد سواه.
- "المفلحون": الفلاح الجامع للدنيا والآخرة؛ النجاح الكامل.

رسالة: الفلاح لا يُنال بشهادات ولا بثراء، بل باستيفاء شروط الهداية.

خلاصة تربوية واستراتيجية للآيات الخمس

تقدّم الآيات الخمس خلاصة تربوية واستراتيجية بالغة الدلالة في بناء الإنسان المهتدي. إذ يفتتح الخطاب بقوله تعالى :﴿ذلك الكتاب﴾، ليضع المتلقي منذ البداية أمام مصدر مطلق للهداية، لا يخضع للشك ولا للمراجعة البشرية، وإنما يُستقبل بالتسليم والتعظيم.

ثم يأتي الاشتراط الجوهري المتمثل في التقوى، ليقرر أن الانتفاع بالقرآن ليس حقًّا عامًا لكل من يقرأه، بل ثمرة استعداد قلبي خاص؛ إذ لا يهتدي به من استحكم في قلبه الهوى أو استعلى بالكِبر، لأن هذه العوائق تُغلق منافذ التلقي والفهم.

وتعرض الآيات بعد ذلك منظومة متكاملة من الصفات الكبرى التي تُنشئ شخصية المتقي: قلب يؤمن بالغيب فيتحرر من أسر المحسوس وحده، وسلوك متزن يلتزم بأوامر الله في الواقع العملي، ونفس منفقة تتجاوز الأنانية إلى البذل والعطاء، وعقل منفتح يستقبل الوحي دون تعارض أو انغلاق، ويقين ثابت بالآخرة يضبط الاتجاه ويمنح المعنى.

وتخلص هذه المنظومة إلى نتيجة حاسمة، وهي أن من جمع هذه الصفات واستقام عليها، استحق أن يكون على هدى من ربه، لا من ذاته ولا من محيطه، وأن يبلغ الفلاح بوصفه ثمرة شاملة للهداية في الدنيا والآخرة.

الرسالة الكبرى من هذه الآيات:

الهداية القرآنية ليست معلومات تُقرأ أو معارف ذهنية تُحفظ، بل هي حالة وجودية شاملة تتكوّن في كيان الإنسان كله؛ قلبًا وعقلاً وسلوكًا، فهي تبدأ باستقبال الوحي بالتعظيم والتسليم، ثم تتحول إلى استعداد داخلي عميق عنوانه التقوى، أي يقظة الضمير ومراقبة الله في السر والعلن، ومن هذا الاستعداد تنبثق منظومة متكاملة من القيم: إيمان بالغيب يحرر الإنسان من أسر المادة وحدها، وعبادة منتظمة تربطه بمصدر الهداية، وإنفاق يطهّر النفس من الشح ويجعلها عنصر خير في المجتمع، وانفتاح على الوحي كله دون انتقاء أو تحكّم، ويقين بالآخرة يمنح الحياة معناها ويضبط الاتجاهات والاختيارات.

وبذلك تقرر الآيات أن القرآن لا يصنع الهداية في الإنسان قسرًا، وإنما يفتح أبوابها لمن تهيأ لها قلبًا وخلقًا واستعدادًا، فمن أقبل عليه بتواضع الباحث عن الحق، وبصدق الراغب في الاستقامة، تحوّل القرآن في حياته من نص يُتلى إلى نور يقود، ومن كلمات تُسمع إلى منهج يصوغ الفكر والسلوك. وعندئذٍ يتحقق الوعد الإلهي بأن يكون هذا الإنسان على هدى من ربه، أي في طريق مستقيم محفوظ بالرعاية الإلهية، وأن يبلغ الفلاح الذي هو اكتمال صلاح الإنسان في دنياه وآخرته.

فالرسالة العميقة التي ترسمها هذه الآيات أن الهداية ليست حدثًا عابرًا، بل عملية تربوية متدرجة تُبنى في الداخل قبل أن تظهر في الخارج، وأن الطريق إلى القرآن الحق ليس مجرد القراءة، بل صدق التلقي، وصفاء القلب، والاستعداد العملي لتحويل الوحي إلى حياة. ومن هنا يصبح القرآن مشروع بناء للإنسان الكامل: يزكّي قلبه، ويهدي عقله، ويقوم سلوكه، حتى يصير جزءًا من جماعة المهتدين الذين يحملون نور الهداية في أنفسهم وفي العالم من حولهم.

أما الآيات (**6 – 20**) ، فهي تمثل لوحة شديدة الأهمية في بناء الوعي القرآني، لأنها تكشف **أنماط الاستجابة للقرآن**، وتبين أن الهداية لا تتوقف على نزول الكتاب، بل على **استعداد القلب.**

يتناول هذا المقطع من السورة الآيات (6–20) ، موانع الهداية بين الكفر والنفاق، حيث يعرض القرآن نموذجين بشريين يمثلان أخطر العوائق التي تحول دون تلقي الهداية والاستجابة للحق.

ففي الآيتين (6–7) يتحدث الخطاب القرآني عن الكفار، بوصفهم فئة استقرّ فيها الجحود ورسخ في قلوبهم العناد، حتى لم يعد الإنذار أو التذكير مؤثرًا فيهم. فالكفر هنا ليس مجرد جهل عابر، بل موقف اختياري متكرر، أفضى إلى الطبع على القلوب، فتعطلت قابلية الفهم، وخُتمت منافذ الإدراك، جزاءً وفاقًا لما اختاروه لأنفسهم.

ثم تنتقل الآيات (8–20) إلى الحديث عن المنافقين، وهم الفئة الأخطر من حيث الخفاء والتأثير، إذ تتسم حالتهم بـ التذبذب والتمثيل، يظهرون الإيمان ويخفون الكفر، ويتقلبون بين الحق والباطل بحسب المصلحة والهوى، وهذه الازدواجية لا تقود إلى موقف ثابت، بل تفضي إلى عمى تدريجي، يتراكم فيه الضلال شيئًا فشيئًا، حتى يفقد الإنسان القدرة على التمييز بين النور والظلمة.

وبذلك يبيّن هذا المقطع أن موانع الهداية ليست على درجة واحدة؛ فالكفر جحود صريح ينتهي بالختم والطبع، أما النفاق فهو مرض متدرج يبدأ بالتلاعب وينتهي بالعمى، وكلاهما يحجب القلب عن نور الهداية وإن اختلفت المسارات.

الرسالة العامة للمقطع:

الهداية لا تُعطى إلا لمن يريدها، ويقبلها، ويسعى لها. أما الكافر فقد أغلق على نفسه الباب، وأما المنافق فهو يتلاعب بالمفاتيح دون أن يفتحه.

تفسير تفصيلي وتحليل مقاصدي استراتيجي

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾ "كفروا": أي جحدوا الحق بعد ظهوره.

- "سواء عليهم": صاروا في حالة **إغلاق ذاتي**، لا ينفع معها تذكير.

مقصد: بعض القلوب قد تصل إلى مرحلة "المناعة ضد الحق"، لا تسمع، ولا تتأثر، لا لضعف الحق، بل لفساد الاستعداد.

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾

- **الختم:** نهاية الطريق.
- القنوات المعرفية (القلب، السمع، البصر) مغلقة.

رسالة: مَن رفض الهداية مرارًا، سُدّت عليه منافذ التلقي، لا ظلمًا له، بل جزاء لموقفه.

انتقال إلى الفئة الأخطر: المنافقون

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾

- الإيمان في اللسان، لا في الجنان.
- النفاق ليس ضعف إيمان، بل **كذب على الإيمان**.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩)

المنافق يظن أن بإمكانه **اللعب على الحبلين.**

- لكن الخداع الحقيقي هو للنفس.

رسالة: المنافق ليس ذكيًا كما يظن، بل أحمق لا يشعر أنه يُغلق أبواب نجاته.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾

- "مرض": شك، حسد، هوى، حقد...
- من لم يُبادر بالعلاج، **يستفحل المرض في قلبه.**

مقصد: الخطورة ليست في الشك العابر، بل في تركه يتمكن، فيُنتج نفاقًا أصيلًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾

- يُمارسون الفساد باسم الإصلاح.
- يغلفون الخيانة باللباقة، والفوضى بالشعارات.

رسالة: الفساد الأخطر هو ما يُلبّس ثوب الإصلاح.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾

- يسخرون من المؤمنين.
- قلوبهم مع أهل الباطل، وسلوكهم مع المؤمنين: **ازدواج مقيت.**

﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾

- من استهزأ بالحق، **سُلب منه نور العقل والهداية.**

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦﴾

- باعوا أنفسهم رخيصًا.
- مثلهم: كمن فقد السمع والبصر والنور.

مقصد: من فرّط في الهدى طواعية، دخل في ظلمات لا ضوء فيها.

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ
لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ
وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ
ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ
بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾

- مثلهم: يعيشون في قلق دائم، **يريدون نورًا بلا التزام.**
- "كلما أضاء لهم... مشوا فيه، وإذا أظلم... قاموا": انتهازيون.

رسالة: المنافق تائه، لا يقيم على مبدأ، ولا يركن إلى هدى.

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للمقطع

تُبيّن هذه الآيات أن موانع الهداية تختلف باختلاف الفئة، لكنها تفضي في النهاية إلى حرمان القلب من نور الحق.

فالكفار تيشكّلون الاستكبار والعناد، وجحود القلب جوهر المانع لديهم؛ إذ يرفضون الحق لا لخفائه، بل استعلاءً عليه. وكانت نتيجة هذا المسلك: الختم على القلوب، والغشاوة على السمع والبصر، مع الوعيد بالعذاب العظيم، بوصفه مآلًا عدليًا لا تعسفيًا.

أما المنافقون، فموانع الهداية عندهم أكثر تعقيدًا وخفاءً، تقوم على الكذب والخداع واتباع الهوى والحسد، وهي موانع لا تُغلق القلب دفعة واحدة، بل تُفقده اتجاهه تدريجيًا، فكانت النتيجة العمى المعنوي، والتيه الفكري، وفقدان البوصلة الأخلاقية، حتى ينقلب الموقف إلى السخرية من النور نفسه، وهو أخطر أشكال الانحراف؛ إذ يصبح الحق محل استهزاء لا طلب.

الرسالة الكلية:

> القرآن لا يُثمر في قلوبٍ أغلقتها الجهالة أو فتكت بها الخيانة... فمن أراد أن يُفتح له باب النور، فليطهر قلبه من الكبر والازدواج، وليخلص لله طلب الهداية.

المقطع الثالث من سورة البقرة (الآيات 21–29)، وهو مقطع بالغ الأهمية لأنه **أول خطاب مباشر من الله إلى البشر في القرآن الكريم بعد الفاتحة**، يضع **الدعوة الأساسية** التي عليها يتوقف مصير الإنسان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ...﴾

الدعوة العالمية إلى التوحيد ومظاهر الربوبية

مفتاح هذا المقطع:

بعد أن ذكر الله صفات أهل الهداية (الآيات 1–5)، وحال الكافرين والمنافقين (6–20)، جاء هذا المقطع ليقدم **الدعوة الأصلية التي يقوم عليها القرآن كله:**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾

إنذارٌ رقيق، ونداء شامل، وحُجة عقلية وفطرية ونفسية وتاريخية.

تفسير الآيات ومقاصدها الاستراتيجية

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

- أول نداء للبشرية كلها، لا للمؤمنين فقط.
- "اعبدوا": التوحيد في أعلى صوره؛ تحرر من كل صنم.
- **السبب؟** لأنه خالقكم أنتم ومن سبقكم.
- **الغاية؟** لتتقوا أي لتعرفوا قدركم، وحدودكم، وغربتكم في الكون.

مقصد: لا عبادة بلا تعظيم، ولا تعظيم بلا معرفة، ولا معرفة بلا تفكر في النشأة.

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

- خُلق الكون لكم، فكيف يُنسى خالق الكون؟
- الأرض فراش أي مستقر، لا متقلب.

- السماء بناء أي محكم، لا عبث فيه.
- **القرآن يُذكّرك بأن الكون ليس فوضى، بل آية لله.**

رسالة: من لم يتأمل في الأرض والسماء، حُرم أبسط دروس التوحيد.

(23–24) التحدي القرآني:

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣

- تحدٍ مفتوح للجن والإنس: أليس هذا القرآن من عند الله؟ فأين مثله؟
- العجز عن الإتيان بمثله دليل إثبات أنه معجِز، وأن مصدره رب العالمين.

مقصد: لا يمكن التشكيك في أصل الدعوة القرآنية ما دام العقل صادقًا.

فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾

- القرآن يحسم: لن تفعلوا، أي أن التحدي **مستمر وعاجز**.
- النتيجة: من لم يُؤمن، فليتق النار.
- "وقودها الناس والحجارة": صورة مرعبة، تجعل التردد مهلكًا.

رسالة: الشك لا يبرر التباطؤ، فإن التردد في قبول الحق له عاقبة كبرى.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾

- بعد التحذير، تأتي البشرى.
- الجنة: **رباط وجداني مع الغيب.**
- "لهم فيها أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون": نداء للكرامة، والطهارة، والخلود.

مقصد: الإسلام لا يقوم على الرعب وحده، بل على التوازن بين الترهيب والترغيب.

(26–27) مثل بعوضة: تفكيك الغرور العقلي

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ..﴾

- البعض سخر من الأمثال القرآنية.
- الله يقرر أن **العبرة ليست بحجم المثل، بل بقدرته على الإفهام.**

الغاية من ضرب الأمثال:

- اختبار القلوب.
- كشف الخبيث من الطيب.
- تعليم بالتقريب والتشبيه.

(28–29) ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾..﴾

"وكنتم أمواتًا فأحياكم، ثم يميتكم، ثم يحييكم..."

- دورة الحياة: موت – حياة – موت – بعث.
- كيف تُنكر الخالق، وأنت تمشي في هذه الدورة التي لا تملك منها شيئًا؟

مقصد: التفكر في الخلق هو باب الإيمان، والعجب ممن لا يرى النعمة فينشغل بالإنكار.

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للمقطع (21–29):

تتجلّى الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للمقطع (21–29) من سورة البقرة في بناء خطاب متدرّج يخاطب الفطرة والعقل معًا، ويقيم الحجة على الإنسان في أصول الإيمان ومسؤولية الاختيار.

ففي الآيتين (21–22) تُؤسِّس العبادة على قاعدة التذكير بالخلق؛ خلق الإنسان وتهيئة الكون من حوله، بما يجعل العبادة استجابة عقلية وفطرية لمن أنشأ ورزق ودبّر، لا طقسًا مفصولًا عن الوعي بالوجود.

ثم في الآيتين (23–24) يُقدَّم القرآن بوصفه معجزة عقلية متجددة، ويُطرح التحدي الدائم بالإتيان بمثله، ليثبت أن هذا الكتاب لا يقوم على سلطة الإكراه، بل على قوة الحجة، وأن العجز عن معارضته كاشف عن مصدره الإلهي.

وتأتي الآية (25) لتربط الإيمان بالبعد التحفيزي، من خلال الوعد بالجزاء الأخروي، باعتباره حافزًا للفطرة السليمة التي تتطلع إلى العدل والطمأنينة والخلود، وتدرك أن العمل لا يضيع بلا مقابل.

وفـي الآيـتين (26–27) يُبـيِّن أن ضـرب الأمثـال القرآنيـة لـيس للتشـويش ولا للتقليـل، وإنمـا لكشف مواقف القلوب؛ فهي تفضح العناد والغرور عند من استكبر، وتزيد أهل الهداية بصيرة ويقينًا، فيظهر التمايز بين القابل والمعرض.

ويُختَم المقطـع فـي الآيتين (28–29) بـإبراز دورة الحيـاة مـن مـوت وحيـاة وإحيـاء، وتسـخير الكـون للإنسـان، بوصـفها حجـة كونيـة قاطعـة تُحـتم الإيمـان بـالله، وتجعـل الجحـود موقفًـا مصادمًا للبداهة العقلية والفطرية، لا نتيجة نقص في الدليل.

الرسالة الكبرى من هذا المقطع:

> القرآن لـيس مجـرد دعـوة إيمانيـة، بـل خطـاب عقلـي واقعـي، يخاطـب القلـب والعقل والفطـرة والتـاريخ، ويضـع الإنسـان أمـام مسـؤوليته الكاملـة: إمّـا عبـادة، وإمّا احتراق.

خلاصة شاملة جامعة للمقطع الأول من سورة البقرة (الآيات 1–29):

تقدّم هذه الآيـات بنـاءً تفسيريًا متكـاملًا يرسم خريطـة الهدايـة القرآنيـة مـن منطلـق مقاصـدي واستراتيجي، ويؤسّس لنهضـة الإنسان من الداخل قبل الخارج، ومن الإيمـان قبل الاستخلاف. فهذا المقطـع لا يعـرض أحكامًـا متفرقـة، بـل يبنـي الإنسـان القـادر علـى حمـل الرسـالة عبـر تسلسـل تربـوي محكم، ينتقل مـن تهيئـة الـنفس، إلـى كشـف الموانـع، ثـم إلـى إعـلان التوحيـد وإقامة الحجة.

يبـدأ المقطـع فـي الآيـات (1–5) بتحديـد الفئـة المؤهلـة للانتفـا ع بـالقرآن، وهـم المتقـون، لا بوصـف التقـوى شـعارًا، بـل منظومـة صـفات مركزيّـة تتكامـل فيهـا العقيـدة والسـلوك واليقـين. فالإيمـان بالغيـب يحـرّر العقل مـن أسـر الحسّ، وإقامـة الصـلاة تـنظم العلاقـة بـالله، والإنفـاق يهذّب العلاقة بالمال والناس، والإيمان بجميع الرسالات يرسّخ وحدة المصدر، واليقين بـالآخرة

يضبط الاتجاه والغاية. والرسالة المقاصدية هنا واضحة: الهداية لا تُعطى لكل من سمع، بل لمن استعدّ قلبه، وصدق طلبه، وطهرت وجهته.

ثم ينتقل الخطاب في الآيات (6–20) إلى الجهة المقابلة، كاشفًا موانع الهداية التي تُغلق القلب عن النور، ممثَّلة في نموذجين: الكفر الصريح والنفاق الموارب. فالكافر قد استقرّ الجحود في قلبه حتى خُتم عليه، فلم يعد للإنذار أثر، أما المنافق فقلبه مريض، يتقلب بين الإيمان والكفر، ويتخذ الخداع منهجًا، ويستتر بشعارات الإصلاح وهو غارق في الإفساد. ويقدّم القرآن هنا تحليلًا نفسيًا واجتماعيًا بالغ العمق، يفضح السخرية من المؤمنين، والتذبذب الوجودي، وازدواجية الخطاب. والرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن القرآن لا يهدي من غلب عليه الهوى، أو استعلى بالكِبر، أو مارس الغشّ مع الله، ولو امتلك ثقافة دينية واسعة.

ويبلغ البناء ذروته في الآيات (21–29) ، حيث يُعلن التوحيد إعلانًا كونيًا عامًا، في أول نداء مباشر للبشرية: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ فيُعاد الإنسان إلى أصله، ويُذكَّر بالكون المسخّر له، وبالموت والحياة والبعث، وتُقام عليه الحجة بالخلق، وبالأمثال، وبالوعد والوعيد، وبالتحدي القرآني الدائم بالإتيان بسورة من مثله. هنا تتجلى الهداية باعتبارها مسارًا عقليًا وفطريًا ووجوديًا، يبدأ بالاعتراف بالخالق، ويتجذّر في التفكر، ويستقرّ باليقين بالآخرة.

ومن خلال هذا التسلسل، تتضح البنية الاستراتيجية للمقطع كله: تهيئة القلب أولًا لفتح باب الهداية، ثم التحذير من العوائق التي تُفسد الاستجابة، ثم الدعوة المؤسَّسة على البرهان لتثبيت الحجة وبناء العلاقة الصحيحة مع الله. فالهداية ليست قفزة فجائية، بل بناء متدرج، ولا نهضة بلا إنسان مهتدٍ من الداخل.

وتتبلور الرسالة الكلية للآيات (1–29) في أن القرآن لا يدخل قلبًا مغلقًا، ولا يُثمر في نفس مستكبرة أو مترددة، وإنما يحرّر الإنسان من أصنامه الداخلية: الهوى، والكبر، والشك، ليقوده

إلـى عبوديـة واعيـة لله وحـده، عبـر الإيمـان بالغيـب، والتفكـر فـي الكـون، واليقـين بالبعـث، استعدادًا لحمل رسالة الاستخلاف في الأرض.

ومن هنا يفتح هذا المقطع باب المحاسبة التربوية العميقة: هل نحمل صفات المتقين أم موانع المنافقين؟ هل نعبد الله عن معرفة ويقين أم عن عادة وتكرار؟ هل علاقتنا بالقرآن علاقة قلب منتفع أم عقل متعالٍ ناقد؟ وهل نعيش الحياة على وعي بالبعث والمساءلة أم على وهم الخلود؟ تلك هي الأسئلة التي تجعل هذا المقطع أساسًا دائمًا لتجديد الإيمان وبناء النهضة من جديد.

بعدما يُطهّر الله القلب، ويقيم الحجة، ويضع الدعوة، يبدأ من الآية 30 قصة الإنسان الكبرى:

قصة الخلافة على الأرض، والامتحان الأول، والصراع الأزلي بين الطاعة والهوى.

ونمضي الآن إلى **الآيات (30–39) من سورة البقرة**، وهي آيات مفصلية في بناء الرؤية القرآنية للإنسان والوجود، لأنها تؤسس لما نسميه:

"**نظرية الاستخلاف القرآنية**"

وهذه النظرية لا تفسّر فقط *نشأة الإنسان*، بل تضع له *وظيفته على الأرض*، وشروط النجاح والفشل في مهمته.**(الآيات 30–39)** ***: نظرية الاستخلاف ومفتاح الإنسان في القرآن***

نص الآيات:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠ ...﴾

المعنى الإجمالي للمقطع:

هذه الآيات تعرض أول مشهد من مشاهد الوحي في قصة الإنسان:

- إعلان الاستخلاف.
- سجود الملائكة.
- امتحان الشجرة.
- الهبوط إلى الأرض.
- بدء رحلة الهداية.

الشرح المقاصدي الاستراتيجي

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾

- الخليفة: من يخلف غيره، ويقوم بوظيفة.
- لم يقل "خالق آدم"، بل "جاعل في الأرض خليفة": بيان الوظيفة قبل الخلقة.
- هذا *الإخبار للملائكة* ليس طلب رأي، بل **إظهار لقدر المشروع الإنساني**.

مقصد: الإنسان لم يُخلق للعبث، بل لوظيفة عظيمة: *عمران الأرض بالحق والعدل*.

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

- سؤال الملائكة دليل إدراكهم للتجربة الحرة التي سيمنحها الله للإنسان.
- لكن الله يعلم ما لا يعلمون: *أن في طينة الإنسان قدرة على التوبة، والتعلم، والتسامي*.

مقصد: الوعي الإلهي بطبيعة الإنسان لا يَخفى، لكن **ميزته أنه يخطئ ويتوب، لا يخطئ ويستكبر**.

الآيات: (31 – 33) تعليم الأسماء لآدم

- أول تكريم: العلم.
- تفوّق آدم لم يكن بالقوة، ولا الكثرة، بل **بالمعرفة المسؤولة.**

مقصد: وظيفة الإنسان على الأرض مشروطة بالعلم، لا فقط بالعبادة.

(34) سجود الملائكة

- سجود تكريم لا عبادة.
- إبليس رفض: لم يُؤمر بالسجود لذات، بل **لخطة استخلاف.**
- أول معصية في الكون: **كبر عن الطاعة لا جهل بها.**

رسالة: من يمنعه كِبره من الخضوع للحق، فهو أولى بصفة إبليس من صفة الملائكة.

(35 – 36) النهي عن الشجرة والوقوع في الزلة

- الله لم يمنع آدم من الجنة، بل من **شجرة،** لتكون الاختبار.
- أكل منها، فبدت لهما سوءاتهما.

مقصد: الاختبار كان بسيطًا، لكن الرسالة واضحة: *الحرية تُختبر، والمخالفة لها أثر مباشر.*

(37) ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾

- هذه **أعظم نقطة تفوق الإنسان على إبليس:**

إبليس أخطأ واستكبر، وآدم أخطأ واعتذر.

- التوبة مقبولة من أوّل إنسان إلى آخر إنسان.

رسالة: الدين ليس للملائكة الذين لا يعصون فحسب، بل للبشر الذين يُخطئون ويتوبون.

(38–39) الهبوط وبداية دورة الحياة

- الهبوط ليس طردًا فقط، بل **نقل لميدان التكليف.**
- ولكن لم يُترك الإنسان وحده:

"**فإما يأتينكم مني هدى**"

- ومن تبع الهدى، نجا، ومن كذّب، خسر.

مقصد: الهداية هي التي تحوّل حياة الأرض من *تيه* إلى *رسالة*.

تقدّم هذه الآيات (30–39) من سورة البقرة خلاصة مقاصدية واستراتيجية تؤسّس لفهم عميق لمعنى الاستخلاف الإنساني ومساره الواقعي في الأرض، بعيدًا عن التصورات المثالية أو الإحباطية. فهي لا تعرض قصة آدم بوصفها حدثًا تاريخيًا فحسب، بل نموذجًا كليًا لمسار الإنسان بين التكليف والابتلاء والهداية.

يبدأ المقطع بإعلان الاستخلاف، ليقرّر أن الإنسان لم يُخلق عبثًا، وإنما أُوجد لأداء وظيفة حضارية في الأرض، قوامها العمارة وفق منهج الله، لا الفوضى ولا الاستعلاء، فالاستخلاف هنا تكليف مشروط، لا تشريفًا مطلقًا.

ثم يُقدَّم العلم قبل التكليف، من خلال تعليم آدم الأسماء كلها، في إشارة واضحة إلى أن الخلافة لا تقوم على القوة ولا على النسب، بل على الوعي والمعرفة وتحمل المسؤولية. فلا نهضة بلا عقل متعلم، ولا تكليف بلا إدراك.

ويأتي التكريم بالسجود ليبيّن أن قيمة الإنسان ليست في ذاته المجردة، بل في طاعته واستجابته لأمر الله؛ فالملائكة يكرّمون الإنسان المطيع الذي يسير وفق المنهج، لا العاصي الذي ينحرف عن الغاية، وفي هذا تمييز دقيق بين الكرامة المكتسبة والكرامة المهدرة.

ثم تُعرض تجربة الشجرة لتؤكد واقعية المنهج القرآني؛ فالخطأ وارد في طبيعة الإنسان، لكن الإشكال ليس في الوقوع فيه، وإنما في الإصرار عليه أو التبرير له. فالتجربة تكشف ضعف الإنسان، كما تكشف إمكانية تجاوزه.

وتأتي التوبة والهدى باعتبارهما جوهر الحل الإلهي؛ إذ لم يُغلق باب الرحمة بعد الخطأ، بل فُتح طريق الرجوع، ليقرر القرآن أن المطلوب ليس العصمة، وإنما سرعة المبادرة إلى التوبة والالتزام بالهدى من جديد.

ويُختَم المقطع بالهبوط إلى الأرض، لا بوصفه عقوبة محضة، بل انتقالًا إلى ساحة الابتلاء الحقيقي، حيث تتجسد الحرية والاختيار، وتصبح الهداية مفتاح النجاة في مسار الحياة، فمن اتبع الهدى فلا خوف عليه ولا هو يحزن.

وبذلك ترسم هذه الآيات رؤية استراتيجية متكاملة للإنسان: مخلوق مكرَّم، مكلَّف، قابل للخطأ، مفتوح له باب التوبة، وممتحَن في الأرض، على أن تكون الهداية هي البوصلة التي تحفظ إنسانيته وتحقق استخلافه.

الرسالة الكبرى للمقطع:

القرآن يبدأ قصة الإنسان من نقطة مركزية: أنت خُلقت للخلافة، ومُيّزت بالعلم، وستُختبر بالشهوة، فإن زللت، فباب التوبة مفتوح، وإن تبعت الهدى، فلا خوف عليك ولا أنت تحزن.

وللتأمل والمراجعة الصادقة، يضع هذا المقطع الإنسان أمام أسئلة وجودية لا تقبل المجاملة ولا الهروب، فالسؤال الأول ليس عن المكان، بل عن الدور: **هل نعيش على الأرض بوعي الخليفة الذي يحمل رسالة ومسؤولية، أم بعقلية الغريب التائه الذي يستهلك الحياة بلا غاية ولا اتجاه؟** ثم يجيء السؤال عن العلم: **هل نتعامل معه بوصفه أداة تكريم وتمكين تُقرّبنا من أداء الأمانة، أم نختزله في زينة ذهنية أو تفوق أجوف لا ينعكس وعيًا ولا التزامًا؟** فالعلم في المنظور القرآني مسؤولية قبل أن يكون امتيازًا. ويُستدعى بعد ذلك سؤال

الزلل والتوبة: **فإذا أخطأنا، هل نملك شجاعة الرجوع والاعتراف، أم نلوذ بالاستكبار والتبرير وإلقاء اللوم؟** لأن الفارق الحقيقي بين آدم وإبليس لم يكن في الخطأ، بل في الموقف منه.

وأخيرًا، يفرض السؤال عن رؤية الدنيا نفسه: **هل نراها هبوطًا مشؤومًا ونفيًا قاسيًا، أم نفهمها باعتبارها ساحة استخلاف، وفرصة للاختبار والبناء وتحقيق العبودية الواعية؟** فزاوية النظر هي التي تحدد إن كانت الحياة عبئًا يُحتمل، أم أمانة تُؤدَّى.

ونتابع مع الآيات (40–103) حيث يبدأ القرآن الكريم في تقديم نموذج تاريخي واقعي لأمة اختارها الله، ثم ضيّعت العهد، فخسرت الهداية ومكانة الاستخلاف، وهم بنو إسرائيل.

وهذا الجزء يُعدّ أطول مقطع سردي متصل في السورة، والغرض منه تربوي واستراتيجي:

أن الأمة التي لا تحفظ العهد مع الله، ولو كانت "مختارة"، فإنها تسقط وتتخلف.

(الآيات 40–103) : *قصة بني إسرائيل بين النعمة والنقمة*

التقسيم العام للمقطع:

المقطع من الآيات 40–103 في سورة البقرة يقدم درسًا عميقًا لبني إسرائيل، مؤطرًا بين النعمة الإلهية والنقمة الناتجة عن كفرهم وعصيانهم، ويكشف أسس العلاقة بين النعمة والطاعة، ونتائج الانحراف عنها.

في البداية، الآيات 40–46 تذكّر بما أنعم الله عليهم من فضائل وعطايا، وتدعوهم إلى الوفاء بالعهد.

الرسالة المقاصدية هنا واضحة: لا عذر لأحد أن يكفر بعد أن أُنعم عليه، فالنعمة وحدها لا تكفي، بل المطلوب شكرها بالالتزام والوفاء بالعهد.

ثم تنتقل الآيات 47–86 إلى عرض الجرائم العقدية والأخلاقية لبني إسرائيل، بدءًا بالشرك، والعصيان، وقتل الأنبياء، وانتهاءً بتحريف الكلم. هذه السلسلة تُبرز أن النعمة إذا لم تُشكر، تتحول إلى نقمة، وأن الامتياز الإلهي لا يمنع المساءلة، بل يزيد المسؤولية.

ويُختتم المقطع في الآيات 87–103 بعرض ازدواجية موقفهم: إيمان متذبذب ببعض الرسل، انحراف في السحر، وحسد للنبي ﷺ، وكل ذلك يبيّن أن اتباع الهوى أسقطهم من مقام الرسالة، فالمعصية لم تكن عائقًا جزئيًا فحسب، بل قلبت النعمة إلى نقمة، وفقدوا مكانتهم بين الأمم.

وبالتالي، يقدّم هذا الجزء استراتيجية قرآنية تربوية واضحة: النعمة تحتاج إلى الوفاء، والهوى إلى الرقابة، والإيمان إلى الاستمرارية، والرشاد إلى العمل الصالح.

شرح تفصيلي لأبرز المحاور والمقاصد:

(40–46): التذكير بالنعم والدعوة إلى الوفاء بالعهد

تفتتح هذه الآيات خطابها لبني إسرائيل بنداء مباشر يوقظ الذاكرة التاريخية والدينية:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠...﴾

حيث يتكرر التذكير بالنعمة مقرونًا بالمطالبة بالوفاء بالعهد، وهذا الربط المتكرر يكشف قاعدة قرآنية مهمة، وهي أن النعمة ليست مجرد عطية تُذكر، بل مسؤولية تُصان بالالتزام والطاعة.

كما تذكّر الآيات بما خصّهم الله به من فضل حين قال: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧)، غير أن هذا التفضيل لا يعني ضمان النجاة أو امتيازًا دائمًا، بل هو تكليف يقتضي الوفاء بالعهد والاستقامة على منهج الله.

الرسالة:

العبرة ليست في الانتماء إلى جماعة اصطفاها الله في زمن من الأزمنة، بل في صدق الوفاء بالعهد الإلهي؛ فالتفضيل إذا لم يُصن بالطاعة والعمل الصالح ينقلب حجة على صاحبه لا له.

(47–61): عرض لجملة من الانحرافات التاريخية

تستعرض الآيات بعد ذلك سلسلة من الوقائع التي تكشف مظاهر الانحراف في تاريخ بني إسرائيل، لا على سبيل السرد التاريخي المجرد، بل بوصفها نماذج تربوية تحذر من تكرار الخطأ.

ومن أبرز تلك الوقائع:

1. عبادة العجل بعد النجاة من فرعون

إذ وقع الانحراف مباشرة بعد تحقق أعظم النعم، فكان ذلك مثالًا صارخًا على سرعة جحود النعمة حين يغيب الوعي الإيماني.

2. قتل الأنبياء بغير حق

وهو من أبشع صور الانحراف الديني، حيث يتحول من يفترض أنهم حملة الوحي إلى معارضين لرسل الله.

3. المنّ والسلوى ثم التذمر من الرزق

فقد استقبلوا نعمة الله بالاستثقال والاعتراض بدل الشكر والرضا.

4. التثاقل عن دخول الأرض المقدسة

حين غلبهم الخوف والجبن، فرفضوا الاستجابة لأمر الله رغم ما رأوه من الآيات.

5. نقض المواثيق وعدم التناهي عن المنكر

مما أدى إلى تفكك البنية الأخلاقية والاجتماعية للمجتمع.

الرسالة:

لا يورد القرآن هذه الأحداث لمجرد استحضار الماضي، وإنما ليجعل منها مرآة تربوية للأمة المحمدية؛ فالأمم لا تُقاس بماضيها أو بعلمها أو بانتمائها الديني، وإنما بمدى وفائها بواجباتها، فإذا تخلت عن مقتضيات الإيمان والعمل، فقدت بركة العلم وامتياز الرسالة، مهما كثرت شعاراتها الدينية أو تراكم تراثها العلمي.

(62): إنذار وتحفيز ذو بعد إنساني عام

تأتي هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل، لكنها تتجاوز الإطار التاريخي الضيق لتقرر مبدأ قرآنيًا عامًا يتعلق بطبيعة الهداية ومعيار النجاة. يقول تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾.

والآية لا تقرر بقاء تلك الأديان على مشروعيتها بعد بعثة النبي محمد ﷺ، وإنما تشير إلى حال أتباع الرسالات السابقة قبل البعثة الخاتمة؛ أي أن من آمن بالله إيمانًا صادقًا، وآمن باليوم الآخر، وعمل صالحًا وفق ما بلغه من هدى الأنبياء في زمانه، كان له أجره عند الله، ولا خوف عليه يوم القيامة ولا حزن. فالمعيار الذي تقرره الآية هو صدق الإيمان والعمل الصالح في إطار ما أُرسل به الأنبياء قبل اكتمال الرسالة الخاتمة.

وبهذا تقطع الآية الطريق على التصورات القومية أو الدينية المغلقة التي تجعل النجاة مرتبطة بالانتماء الاسمي إلى جماعة معينة، إذ تؤكد أن الهداية الإلهية ليست امتيازًا وراثيًا تحتكره أمة دون غيرها، وإنما هي ثمرة الإيمان الصادق والاستجابة الحقيقية للوحي في زمنه.

الرسالة:

تقرر هذه الآية قاعدة قرآنية كبرى مفادها أن معيار النجاة عند الله ليس مجرد الانتساب الديني أو التاريخي، بل صدق الإيمان والعمل الصالح والاستجابة للهداية حين تبلغ الإنسان. فالهداية لا تحتكرها أمة بعينها، وإنما تُمنح لمن يطلبها بصدق ويتبع ما أنزل الله في زمانه اتباعًا حقيقيًا.

(63–83): سلسلة من العهود المنقوضة

بعد هذا التقرير المبدئي لطبيعة الهداية، يعود السياق القرآني إلى استحضار تاريخ بني إسرائيل، مستعرضًا سلسلة من العهود التي أخذها الله عليهم ثم نقضوها، ليبين أن المشكلة لم تكن في قلة البيان أو نقص الهداية، وإنما في ضعف الاستجابة وفساد الالتزام.

فقد أخذ الله عليهم الميثاق المؤكد حين رفع فوقهم جبل الطور، في مشهد مهيب يرمز إلى خطورة العهد وعظم المسؤولية، وأمرهم أن يأخذوا ما آتاهم الله بقوة، أي بعزمٍ وجديةٍ والتزامٍ كامل. غير أن هذا العهد العظيم لم يلبث أن تعرض للنكث والعصيان، حيث ظهرت مظاهر متعددة من الانحراف عن مقتضياته.

ومن أبرز تلك المظاهر تحريف التوراة وتبديل معانيها، بحيث لم يقتصر الأمر على مجرد مخالفة الأحكام، بل امتد إلى تغيير النصوص وتأويلها بما يخدم الأهواء والمصالح. كما وقعوا في الربا رغم تحريمه عليهم، وتلبسوا بنوع من النفاق الديني، حيث يظهرون التمسك بالإيمان بينما يمارسون في الواقع ما يناقضه من الظلم والتحريف والتلاعب بالأحكام.

وهكذا يكشف القرآن أن المشكلة لم تكن في فقدان الوحي، فقد كانت التوراة كتاب هداية ونور، وإنما في طريقة التعامل معه؛ إذ تحول من منهج حياة يُطاع ويُعمل به، إلى نصوص تُتلى دون التزام حقيقي بمقاصدها وأحكامها.

الرسالة:

يبين هذا المقطع أن حمل الكتب الإلهية لا يكفي لصناعة الهداية ما لم يقترن بالصدق في الالتزام والعمل. فالوحي قد يكون حاضرًا بين أيدي الناس، لكن أثره يضيع إذا تحوّل إلى مجرد تراث يُتلى أو شعارات تُرفع. ومن هنا يصبح من يحمل الكتاب دون أن يحمل روحه ومعناه شبيهًا بمن يحمل علمًا لا ينتفع به؛ إذ إن قيمة الوحي ليست في حفظه أو نسبته إلى أمة بعينها، بل في صدق العمل به والوفاء بالعهد الذي جاء به.

(84–86): انحرافات أخلاقية جسيمة

تعرض هذه الآيات صورة واضحة لجملة من الجرائم الأخلاقية التي وقعت في بني إسرائيل رغم ما أخذ عليهم من مواثيق وعهود مؤكدة. فقد تعهدوا بألا يسفكوا دماء بعضهم، وألا يخرجوا فريقًا منهم من ديارهم، وأن يحافظوا على وحدة جماعتهم وأمن مجتمعهم. غير أن الواقع كشف عن نقيض ذلك تمامًا؛ إذ وقع بينهم سفك الدماء، وتورطوا في إخراج بعضهم بعضًا من الديار، بل وصل الأمر إلى حد التعاون مع الأعداء ضد أبناء ملتهم أنفسهم.

وهذا السلوك لم يكن مجرد خطأ عابر أو مخالفة جزئية، بل كان نقضًا صريحًا للعهد الذي التزموا به، ودليلًا على أن التزامهم بالمواثيق لم يكن ثابتًا على مبدأ، وإنما كان خاضعًا لمقتضيات الهوى والمصلحة. فإذا وافق العهد أهواءهم التزموا به، وإذا تعارض مع مصالحهم أو رغباتهم نقضوه بلا تردد.

ومن هنا يكشف القرآن عن خطر عظيم يتجاوز حدود الحدث التاريخي، وهو نشوء حالة من الانفصال بين الدعوى والواقع؛ حيث قد تتصور أمة من الأمم أنها تسير على طريق الهداية

وتحمل رسالة الدين، بينما تمارس في الواقع أفعالًا تناقض جوهر تلك الهداية من قتلٍ وظلمٍ وإفسادٍ في الأرض، ثم تستمر مع ذلك في ادعاء الصلاح والاصطفاء.

(87–103): الازدواجية وسقوط معيار الحق

تواصل الآيات بعد ذلك كشف مظاهر الازدواجية التي تسللت إلى بني إسرائيل في تعاملهم مع الوحي والرسالات، حتى فقدوا المعيار الصحيح في الحكم على الحق والباطل. فقد آمنوا بموسى عليه السلام وبما جاء به من التوراة، لكنهم كفروا بعيسى عليه السلام حين جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، لأن رسالته لم توافق أهواءهم ولا مصالحهم الدينية والاجتماعية.

وهكذا ظهر مبدأ خطير في تعاملهم مع الدين، وهو الإيمان الانتقائي؛ أي قبول بعض ما أنزل الله ورفض بعضه الآخر، وفق ما ينسجم مع الرغبات والأعراف السائدة. وقد عبّر القرآن عن هذه الحالة بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾، في إشارة إلى أن هذا المنهج يفضي إلى تمزيق وحدة الوحي وفقدان الهداية.

ولم يقف الانحراف عند هذا الحد، بل تسربت إلى حياتهم مظاهر أخرى من الفساد العقدي والسلوكي؛ فقد تورط بعضهم في تعلم السحر ونشره بين الناس، واتخذوه وسيلة لتحقيق مصالحهم أو إيقاع الأذى بغيرهم. كما استولى عليهم الحسد حين بعث الله النبي محمدًا ﷺ بالرسالة الخاتمة، فلم يقبلوا أن تكون النبوة في غيرهم، رغم معرفتهم بصدق الوحي وبشارات كتبهم به.

ومن صور هذا الحسد أيضًا إنكارهم لجبريل عليه السلام، لأنه الملك الذي نزل بالوحي على النبي محمد ﷺ، مع أن جبريل هو نفسه الذي كان ينزل بالوحي على أنبيائهم من قبل. فصار الموقف من الملَك نفسه خاضعًا لموقفهم من الرسالة التي يحملها، لا للحقيقة الموضوعية.

الرسالة:

تكشف هذه الآيات أن الانحراف الأكبر لا يبدأ عادة برفض الدين كله، بل يبدأ بفقدان المعيار الصحيح في التعامل معه، فعندما يصبح الهوى هو المقياس بدل الحق، يتحول الدين إلى مجموعة من الاختيارات الانتقائية؛ يؤخذ منه ما يوافق الرغبات ويُترك ما يخالفها. وعندئذٍ تفقد الهداية قوتها في توجيه الإنسان، ويغدو الوحي تابعًا للأهواء بدل أن يكون حاكمًا عليها.

المقاصد الكبرى للمقطع من الآيات (40–103) تتجسّد في أربعة خطوط رئيسية توجه القارئ نحو فهم العلاقة بين النعمة والطاعة، والتحذير من الانحراف الذي يصنعه الهوى حين يتسلل إلى فهم الدين والعمل به.

أولًا، يبرز مقصد التذكير بالنعمة، حيث يبيّن القرآن أن كل نعم الله التي يمنّ بها على الأفراد أو الأمم ليست مجرد مظاهر تفضيل أو امتياز تاريخي، بل هي قبل ذلك مسؤولية أخلاقية وتكليف ديني يقتضي الشكر والوفاء بالعهد. فالنعم إذا لم تُقابل بالطاعة والعمل الصالح تحوّلت من مصدر رفعة إلى سبب للمساءلة والمحاسبة.

ثانيًا، يظهر مقصد بيان سنّة السقوط الحضاري للأمم، وذلك من خلال عرض سلسلة الانحرافات التي وقعت فيها بنو إسرائيل. فالمقطع يوضح أن الأمة التي تحمل رسالة الله يمكن أن تفقد مكانتها وتتعرض للانحدار إذا خانت العهد الإلهي وأفرغت الرسالة من مضمونها العملي. فالانتساب إلى الوحي أو التاريخ الديني لا يكفي لحفظ المكانة، وإنما الذي يحفظها هو الصدق في الالتزام بمقتضيات الرسالة.

ثالثًا، يتجلّى مقصد التحذير من تحكيم الهوى في الدين، إذ يكشف المقطع أن أخطر أسباب الانحراف ليس الجهل وحده، بل تقديم الرغبات والأهواء على الحق. فالانحراف يبدأ حين يصبح الإنسان ينتقي من الوحي ما يوافق مصالحه ويترك ما يخالفها، فيتحول الدين من

منهج ملزم إلى اختيارات انتقائية. ومن هنا ينشأ الانحراف العقدي والسلوكي، ويتسع حتى يصبح ظاهرة جماعية تصيب الأمة بأكملها.

رابعًا، يتضمن المقطع مقصد العبرة والتحذير للأمة المحمدية، فالقصة القرآنية لا تُذكر لمجرد استحضار التاريخ، بل لتكون مرآة تربوية للأمة المسلمة. فالقرآن يلفت الانتباه إلى أن ما وقع لبني إسرائيل من نقض العهود وتحريف المعايير يمكن أن يتكرر في أي أمة تحمل الرسالة إذا غفلت عن مراقبة نفسها أو استسلمت للهوى. ولذلك يصبح استحضار هذه التجارب التاريخية دعوة دائمة للمراجعة، واليقظة، والعمل على تجديد الوفاء بالعهد مع الله والتمسك بالحق في الفكر والسلوك.

وبذلك يتبين أن هذا المقطع لا يقتصر على نقد تجربة تاريخية مضت، بل يضع قانونًا تربويًا دائمًا في حياة الأمم، مفاده أن النعمة تقترن بالمسؤولية، وأن الرسالة لا تحفظ مكانتها إلا بالعمل، وأن أعظم ما يهدد الهداية هو استبدال معيار الحق بمعيار الهوى.

الرسالة الجامعة للمقطع:

التاريخ يُخبرنا أن الأمم لا تسقط فجأة، بل تسقط حين يتحول الدين إلى هوية فارغة، والنص إلى شعار سياسي، والعهد إلى ورق ممزق، فيسقط من كانت لهم الريادة، ويستخلف الله غيرهم.

للتأمل الذاتي:

هذه الآيات تضع الإنسان وأمته أمام مرآة صادقة للمراجعة. فالسؤال الأول يوجّهنا لننظر إلى علاقتنا بعهد الله: هل نحن كأمة مسلمة نفي بالعهود والواجبات التي أمرنا بها حقًا، أم اكتفينا بالشعارات والظاهر فقط؟

ثم يطرح السؤال عن تعاملنا مع القرآن: هل تعاملنا معه بوعي واتباع، أم كما تعامل بني إسرائيل مع التوراة، حيث الانحراف والتأويل لأغراض الهوى؟

كما يُذكّرنا بأن الكارثة الكبرى قد تنشأ عندما يُحكم الهوى باسم الدين، فيتحول العمل الديني إلى أداة لمصالح شخصية أو جماعية، بدل أن يكون طريقًا للحق والعدل.

وأخيرًا، يضعنا أمام سؤال مصيري واستراتيجي: هل استحقاقنا للاستخلاف محفوظ بالوعي والعمل والالتزام، أم مهدد بالانحراف والغفلة؟

هذه التأملات تفتح الباب لمراجعة الفرد والجماعة، وإعادة ضبط العلاقة بالقرآن، وبالعهود، وبالهوى، استعدادًا للحفاظ على مقام الرسالة وتحقيق الهداية.

ونصل الآن إلى الآيات (104–141)حيث يبدأ تحوّل استراتيجي كبير في الخطاب القرآني: بعد أن عرض القرآن *نموذج السقوط الأخلاقي والعقدي لبني إسرائيل*، يبدأ الآن في بيان المشروع البديل: مشروع الإيمان المحمدي، والذي يقوم على *الإرث الإبراهيمي الخالص*، ويُبنى على طهارة الاعتقاد، ونقاء العبادة، ووحدة الرسالة.

(الآيات 104–141): *التأسيس للعهد الجديد على منهاج إبراهيم*

البنية الموضوعية لهذا المقطع:

في الآيات (104–141) من سورة البقرة، يرسم القرآن خريطة التأسيس للعهد الجديد على منهاج إبراهيم، ويضع أسس الأمة الإسلامية في ضوء استمرار الرسالة والتفريق بين الحق والهوى.

أولًا، تأتي الآيات 104–112 لتهيئة النفسية للمؤمنين، من خلال تحذيرهم من التشويش الذي يمارسه بعض اليهود، وتثبيت موقفهم أمام الاستفزازات. الرسالة هنا واضحة: لا تلتفتوا إلى مشاغباتهم، بل استجيبوا لنداء الله وركزوا على طريق الهداية.

ثم تنتقل الآيات 113–121 إلى إعلان الزعامة الجديدة، مبينة أن الرسالة ضاعت عند أهل الكتاب بسبب الانحراف، وأن النور انتقل إلى من يحمله بصدق، أي أمة محمد ﷺ، التي

تتحقق فيها معايير الالتزام والصدق في حمل الرسالة، بعيدًا عن الانتماءات العرقية أو التاريخية وحدها.

وأخيرًا، تأتي الآيات 122–141 لتسليط الضوء على الجذور الإبراهيمية، بتذكير المؤمنين بإبراهيم عليه السلام كجذر التوحيد والمؤسس الأول للأمة.

والرسالة المقاصدية هنا أن الانتماء الحقيقي لا يقوم على العصبية لبني إسرائيل، بل على اتباع الحق والإيمان الصادق، فهو الفيصل في التمييز بين من يحمل الرسالة ومن ضل عنها.

وبذلك يقدّم هذا الجزء استراتيجية قرآنية متكاملة: تثبيت المؤمن، إعلان القيادة الجديدة للأمة، وتأكيد الجذور الإيمانية التي تُعيد الأمة إلى صراط الحق على منهاج إبراهيم.

الشرح والتحليل المقاصدي الاستراتيجي

(104–105): كشف المكر اللغوي والمعنوي

يأتي هذا المقطع في سياق تربية الأمة المسلمة على الوعي بخطورة التلاعب بالألفاظ والمعاني، وذلك من خلال توجيه قرآني دقيق يقول فيه تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾.

كان بعض اليهود يستعملون لفظ "راعنا" بوجهين؛ إذ يظهر في ظاهره أنه طلب للرعاية أو الإمهال في الخطاب، بينما كانوا يقصدون به في باطنه معنىً آخر يتضمن السخرية والطعن في النبي ﷺ، مستغلين التشابه اللفظي بين المعنى العربي الظاهر والمعنى الخفي الذي

يتضمن الإيذاء والازدراء. وهكذا تحولت الكلمة إلى أداة مكر لغوي يُخفى فيه القصد السيئ تحت غطاءٍ لغوي يبدو بريئًا[1].

ومن هنا جاء التوجيه القرآني للمؤمنين بأن يتركوا هذا اللفظ نهائيًا، وأن يستبدلوه بلفظٍ واضح الدلالة مثل "انظرنا"، حتى تُغلق أبواب الالتباس ويُمنع استغلال اللغة في التلاعب بالمعاني أو الإيحاءات الخفية. فالقرآن هنا لا يعالج مجرد لفظة، بل يعالج منهجًا في التواصل يقوم على الوضوح والنزاهة في التعبير، ويمنع أي أسلوب قد يُستغل للطعن أو التشويش أو التلاعب بالمقاصد.

كما تشير الآية التالية إلى بعدٍ آخر من الصراع المعنوي، إذ تكشف أن كثيرًا من أهل الكتاب والمشركين لم يكن يرضيهم أن ينزل الخير على المؤمنين من ربهم، سواء تمثل ذلك في الوحي أو النبوة أو الهداية. وهو ما يكشف عن جذور الحسد والكراهية التي كانت تدفع بعضهم إلى استخدام وسائل ملتوية، ومنها المكر اللغوي والتلاعب بالألفاظ، للنيل من الرسالة أو التشكيك فيها.

الرسالة:

يبين هذا المقطع أن الصراع مع الباطل لا يكون دائمًا صراعًا مباشرًا أو ظاهرًا، بل قد يتخذ صورًا خفية عبر اللغة والخطاب، فالكلمات يمكن أن تتحول إلى أدوات للتشويه والتضليل إذا استُخدمت بوجوه مزدوجة أو مقاصد خفية، ولذلك يربي القرآن المؤمنين على اليقظة اللغوية والفكرية، وعلى تجنب الألفاظ التي تحتمل التلبيس أو تُستغل للطعن في العقيدة أو الرسالة.

[1] وفي تفسير راعنا عدة أوجه منها مانقل ابن أبي حاتم:" حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ ثنا أَبُو إِبْرَاهِيمَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَّارٍ ثنا سُرُورُ بْنُ الْمُغِيرَةِ عَنْ عَبَّادِ بْنِ مَنْصُورٍ عَنِ الْحَسَنِ: لَا تَقُولُوا رَاعِنَا قَالَ: الرَّاعِنُ مِنَ الْقَوْلِ السُّخْرِيُّ مِنْهُ نَهَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْخَرُوا مِنْ قَوْلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الإِسْلامِ." أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، ، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، ج1ص197.

فسلامة الخطاب ووضوحه جزء من حماية الدين، كما أن الوعي بالمكر المعنوي ضرورة لحفظ الصف العقدي والفكري من محاولات الاختراق والتشويه.

(106–107): قاعدة النسخ وبناء الشريعة

يأتي هذا المقطع القرآني ردًّا على الاعتراضات التي أثارها بعض أهل الكتاب، وخصوصًا اليهود، عندما لاحظوا تغير بعض الأحكام الشرعية في التشريع الإسلامي، فحاولوا أن يجعلوا من ذلك مدخلًا للتشكيك في مصدر الوحي. فجاء البيان القرآني ليقرر قاعدة تشريعية كبرى، قال تعالى:(۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦..).

تقرر هذه الآيات أن النسخ في التشريع ليس دليلًا على التناقض أو الاضطراب، كما حاول المشككون تصويره، بل هو مظهر من مظاهر الحكمة الإلهية في تربية الإنسان والمجتمع. فالشريعة لا تنزل دائمًا دفعة واحدة بأحكامها النهائية، بل قد تأتي في صورة تدرج تربوي وتشريعي يراعي تطور الواقع الإنساني واستعداد المجتمع لتلقي التكليف.

ومن هنا فإن النسخ يمثل آلية تشريعية لبناء الأمة؛ إذ تنتقل الأحكام من مرحلة إلى أخرى بما يحقق المصلحة ويقود المجتمع نحو اكتمال النظام التشريعي. ولذلك تؤكد الآية أن الله يأتي بما هو خير أو مثله، أي بما يحقق المصلحة الأكمل أو المساوية وفق الحكمة الإلهية.

كما يربط القرآن هذا المبدأ بسلطان الله المطلق على الكون والتشريع، فالله الذي يملك السماوات والأرض هو الأعلم بما يصلح عباده، وهو الأقدر على توجيه مسار التشريع بما يحقق الهداية والمصلحة.

المقصد:

النسخ ليس نقصًا في التشريع، بل هو تعبير عن حكمة إلهية في التدرج التشريعي، حيث تُبنى الشريعة وفق مراحل تراعي مصلحة الإنسان وتطوره، حتى تصل الأحكام إلى صورتها الأكمل التي تحقق مقاصد الدين في حياة الفرد والمجتمع.

(108–112): نقاش حول النبوة ومعيار الهداية

ينتقل السياق بعد ذلك إلى مواجهة نوع آخر من الاعتراضات التي أثارها أهل الكتاب، حيث حاولوا التشكيك في نبوة النبي محمد ﷺ وفي نزول الوحي عليه، كما سعوا إلى إثارة الشبهات حول الرسالة الجديدة، متأثرين بالحسد أو التعصب الديني.

ولهذا يسأل القرآن المؤمنين سؤالًا تقريريًا يلفت الانتباه إلى خطورة هذا المسلك:

﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ ...﴾، في إشارة إلى ما وقع من بني إسرائيل من تعنت في طلب الآيات والاعتراض على الوحي، حتى تحول السؤال عندهم من طلبٍ للهداية إلى وسيلة للجدل والاعتراض.

وفي مقابل هذا المسلك المتعنت، يقرر القرآن قاعدة الهداية الحقيقية التي لا تقوم على الانتماء الديني أو التاريخي، بل على حقيقة العبودية لله والاستقامة على منهجه. ولهذا يقول تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢﴾

فالقرآن هنا ينقل النقاش من مستوى الهوية الدينية الشكلية إلى مستوى الحقيقة الإيمانية؛ إذ لا يكفي أن ينتمي الإنسان إلى جماعة دينية أو تاريخ ديني معين، بل لا بد من خضوع صادق لله، وإخلاص في العبادة، واستقامة في العمل.

وبذلك يضع القرآن معيارًا جامعًا للهداية يتجاوز الحدود القومية والدينية الضيقة، ويؤسس لمفهوم عالمي للنجاة قائم على الإيمان الصادق والعمل الصالح.

الرسالة:

يبين هذا المقطع أن الدين في جوهره ليس نسبًا ولا انتماءً شكليًا ولا هوية تاريخية، وإنما هو خضوع صادق لله، واستجابة حقيقية للوحي، وسلوك مستقيم يجسد هذا الإيمان في واقع الحياة. فمن جمع بين صدق الإيمان والإحسان في العمل كان من أهل الهداية، مهما كان أصله أو انتماؤه، لأن معيار النجاة عند الله هو الاستسلام للحق والعمل به.

(113–121): جدل الطوائف وكشف وهم الاحتكار الديني

يعرض هذا المقطع جانبًا من الانقسام الديني الذي وقع بين اليهود والنصارى، حيث انشغلت كل طائفة بالطعن في الأخرى، وادّعت كل جماعة أنها وحدها على الحق وأن النجاة مقصورة عليها. فالقرآن ينقل قولهم: إن اليهود قالوا ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، مع أن كلا الفريقين ينتسب إلى كتاب سماوي ويقرأ الوحي.

ويكشف هذا المشهد عن مفارقة عميقة؛ إذ تحوّل الدين عندهم من رسالة هداية إلى ساحة صراع هوياتي، حيث صار معيار الحق هو الانتماء الطائفي لا حقيقة الاتباع للوحي. لذلك يعالج القرآن هذا الخلل بإعادة توجيه الإنسان إلى الأصل الذي ينبغي أن يحتكم إليه، وهو الوحي والعمل الصالح، لا مجرد الادعاء أو الانتساب.

كما يبيّن القرآن أن هذه النزاعات لن تحسمها الدعاوى البشرية، بل سيحكم الله بينها يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، لأن الحقيقة الدينية لا تُقاس بما تدعيه الجماعات عن نفسها، بل بما يوافق هدى الله.

ثم ينتقل السياق إلى توبيخ من يمنع ذكر الله في المساجد ويسعى في خرابها، في إشارة إلى أن الصراع الديني إذا انفصل عن الهداية يمكن أن يتحول إلى عداء للعبادة نفسها، وهو انحراف خطير في مسار التدين.

كما يؤكد القرآن شمول ملك الله للكون كله، وأن الجهات والأمكنة لا تحصر العبادة في إطار ضيق، فالله رب المشرق والمغرب، وحيثما يتجه الإنسان مخلصًا لله فثم وجه الله. وبذلك يعيد القرآن بناء التصور الصحيح للدين بوصفه علاقة خالصة بالله، لا صراعًا على الامتيازات الدينية.

المقصد:

يبين هذا المقطع أن الميراث النبوي لا ينتقل بالانتماء الطائفي ولا بالعصبية الدينية، بل بالاتباع الصادق للوحي والعمل بمقتضاه. فالدين الحق ليس شعارًا ترفعه جماعة لنفسها، وإنما التزام عملي بهدي الله، ومن انحرف عن هذا الميزان وقع في وهم الاحتكار الديني الذي يفرّق ولا يهدي.

(122–123): التذكير بالنعمة والتحذير من الغرور

يعود الخطاب مرة أخرى إلى بني إسرائيل بالتذكير بنعم الله عليهم، في دعوة صريحة إلى استحضار ما أفاض الله عليهم من فضل واختيار، وما منحهم من الرسالة والأنبياء والآيات.

غير أن هذا التذكير لا يأتي على سبيل الامتنان المجرد، بل يحمل في طياته تحذيرًا عميقًا من الغرور الديني.

فالقرآن يقرر أن النعمة إذا لم تُقابل بالشكر والطاعة تحولت من مصدر كرامة إلى سبب للمؤاخذة واللوم. فالمكانة التي تُمنح لأمة ما في تاريخ الرسالات ليست امتيازًا دائمًا، بل تكليف يقتضي الوفاء بالعهد والالتزام بمنهج الله.

ولهذا يختم المقطع بالتذكير بيوم القيامة، ذلك اليوم الذي تسقط فيه كل المعايير الدنيوية التي يتكئ عليها الناس في ادعاء التفوق؛ فلا تنفع الأنساب، ولا تحمي الألقاب، ولا يشفع الانتساب إلى تاريخ ديني عريق. إنما يبقى الميزان الحقيقي هو العمل الصالح والوفاء بالحق.

المقصد:

يقرر هذا المقطع قاعدة إيمانية كبرى، وهي أن النعمة الإلهية ليست ضمانًا دائمًا للنجاة، وإنما هي مسؤولية تزداد معها المحاسبة. فمن اغترّ بماضيه الديني أو بنسبه أو بانتمائه إلى أمة الرسالة دون أن يترجم ذلك إلى طاعة وعمل، فقد أساء فهم سنن الله في الهداية والجزاء، لأن معيار الكرامة عند الله هو التقوى والعمل الصادق، لا مجرد الانتساب.

(124–129): إعلان مشروع الخلافة الإبراهيمية

ينتقل السياق القرآني في هذا المقطع انتقالًا عميق الدلالة من عرض أخطاء بني إسرائيل وانحرافاتهم إلى تقديم النموذج الإيماني الصحيح الذي ينبغي أن تُبنى عليه القيادة الدينية في تاريخ الرسالات، وهو نموذج إبراهيم عليه السلام، يقول تعالى:

﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا ..﴾ .

تبدأ الآيات ببيان أن مقام الإمامة لم يُمنح لإبراهيم ابتداءً بلا اختبار، بل جاء بعد سلسلة من الابتلاءات الإلهية التي امتحن الله بها صدق إيمانه وقوة تسليمه، وقد اجتاز إبراهيم هذه الابتلاءات كلها بنجاح، فأتمّ الكلمات التي كُلّف بها، فكان جزاؤه أن رفعه الله إلى مقام الإمامة، أي القيادة الدينية والقدوة الروحية للبشر.

وهذا الترتيب في الآية يكشف قاعدة قرآنية مهمة: القيادة في الدين تُبنى على الابتلاء والوفاء بالعهد، لا على المكانة الاجتماعية ولا على الانتماء العائلي. فالابتلاء هو الذي يثبت صدق الإيمان ويؤهل صاحبه لحمل الرسالة.

وعندما نال إبراهيم هذا المقام، توجه إلى ربه بدعاء يعبر عن حرصه على استمرار الهداية في ذريته، فقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾، أي أن يكون هذا العهد ممتدًا في نسله. فجاء الجواب الإلهي الحاسم الذي يضع ضابطًا أساسيًا لمسألة القيادة الدينية:

قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

وهذه العبارة القصيرة تؤسس لمبدأ عظيم في فلسفة القيادة في الإسلام؛ فالعهد الإلهي – وهو الإمامة والهداية – لا يُمنح لكل من انتسب إلى سلالة صالحة أو تاريخ نبوي، بل هو مشروط بالعدل والاستقامة، فمن وقع في الظلم أو الانحراف سقط عنه حق الانتساب إلى هذا العهد، مهما كان أصله أو نسبه.

ثم تنتقل الآيات إلى بيان معالم المشروع الإبراهيمي في الأرض، حيث يذكر القرآن بناء البيت الحرام على يد إبراهيم وابنه إسماعيل، وما رافق ذلك من دعاء خاشع بأن يتقبل الله منهما هذا العمل، وأن يجعل هذا البيت مركزًا للعبادة والأمن والهداية للناس. كما دعوا بأن يبعث الله في ذريتهم رسولًا يتلو آياته ويعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم، وهو دعاء تحقّق ببعثة النبي محمد ﷺ.

وبذلك يتضح أن المشروع الإبراهيمي لم يكن مجرد بناء بيت للعبادة، بل كان تأسيسًا لحضارة التوحيد التي تقوم على ثلاثة أركان:

العبادة الخالصة لله، والتعليم بالوحي، والتزكية الأخلاقية للإنسان.

الرسالة المحورية:

تقرر هذه الآيات أن القيادة الدينية في ميزان الوحي ليست امتيازًا وراثيًا ينتقل تلقائيًا عبر السلالة، وإنما هي عهد إلهي مشروط بالعدل والاستقامة والوفاء بالتكليف. فمن حقق هذه الشروط كان أهلًا لحمل رسالة الهداية، ومن انحرف عنها سقط حقه في هذا المقام، مهما كان نسبه أو انتماؤه.

(130–141): الجواب على ادعاء الانتماء لإبراهيم

يواصل القرآن في هذا المقطع تعزيز المقصد القرآني في تصحيح المفاهيم المتعلقة بالانتماء الديني والقيادة الروحية، ويأتي ردًا على الذين زعموا الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام للادعاء بالتميز أو الامتياز.

يؤكد القرآن أن إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، بل كان حنيفًا مسلمًا، أي مستقيمًا على توحيد الله، خاضعًا للهداية الإلهية، ملتزمًا بالحق في عقيدته وسلوكه، لا متأثرًا بالانتماءات الطائفية أو المذهبية التي نشأت لاحقًا.

ويبرز هذا المقطع قاعدة أساسية في فهم الهداية والاتباع: كل من سار على منهج إبراهيم، من الإيمان بالوحدانية والطاعة لله والعمل الصالح، فهو من ذريته الروحية، مهما كان أصله أو نسبه أو قوميته. فالانتماء الحقيقي لا يُقاس بالدم أو الجنس أو الانتماء القومي، بل بالاتباع الصادق للحق والتزام منهج الله في الحياة.

بهذا، يضع القرآن معيارًا عمليًا شاملًا للهداية: الإيمان والاستقامة والعمل الصالح هما الرابط الحقيقي بين الإنسان وإبراهيم، لا مجرد الادعاء أو النسب، وهكذا يتحقق المشروع الإبراهيمي في أبسط صوره: التمسك بالحق والوفاء بالعهود الإلهية، ليصبح المؤمن تابعًا للطريق الذي رسمه إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى التوحيد والعدل.

الرسالة المحورية:

الهداية والانتماء الروحي لا تورث بالدم أو الهوية القومية، بل بالاتباع الصادق لمنهج الحق. من سار على طريق إبراهيم واستقام على دين الله فهو منه، مهما اختلفت أعراقه أو قوميته، ومن ادعى الانتماء دون الالتزام فقد اختلق امتيازًا وهميًا لا أساس له.

الخلاصة العقائدية: الإسلام ليس دين محمد فقط، بل هو دين الأنبياء جميعًا، وأعلاه: *ملة إبراهيم*.

والخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للمقطع (104–141) تُبرز مجموعة من المقاصد الجوهرية التي ترسم بناء الأمة على منهاج الحق:

أولًا، فضح شبهات بني إسرائيل، حيث يكشف القرآن المكر والتمييع والتشويش الذي مارسوه لإعاقة المؤمنين، ويحث الأمة على التمييز بين الحق والباطل.

ثم يأتي بيان وظيفة النسخ، ليؤكد أن الشريعة مرنة وواقعية، تتكيف مع الظروف وتحقق مقاصدها، بعيدًا عن الجمود العقائدي أو التقليد الأعمى.

ويُركّز القرآن على نقض العصبية الدينية، مبيّنًا أن الدين لا يقوم على النسب أو الانتماء القومي، بل على الاتباع الصادق لأمر الله، وهو معيار التفاضل الحقيقي بين الأمم.

كما يُؤسَّس المشروع الإبراهيمي، من خلال الربط بين محمد ﷺ وإبراهيم عليه السلام، ليبين أن الأمة الإسلامية تواصل مسيرة التوحيد والنهضة على أساس الثبات على الحق، متصلة بالجذور الأصيلة للرسالة.

وأخيرًا، يُشير القرآن إلى نقل الزعامة من بني إسرائيل، موضحًا أن النور والقيادة انتقلتا إلى الأمة المحمدية ﷺ، التي تستكمل الرسالة وتُحقق أهدافها بشرط الصدق والالتزام.

وبذلك يشكّل هذا المقطع إطارًا استراتيجيًا شاملاً لتثبيت الأمة، وتصحيح المفاهيم، وربط الرسالة بالمشروع الإبراهيمي الخالد.

الرسالة الكبرى للمقطع:

الزعامة الدينية لا تُورث ولا تُشترى، بل تُنتزع لمن أقام التوحيد، وعمل بالصلاح، وتمسك بالوحي، وقد انتقل النور من بني إسرائيل إلى أمة محمد ﷺ، لأنها وحدها التي جمعت بين الإيمان والعمل، والعقيدة والتقوى، والنسب والاتباع.

للتأمل الذاتي:

هذه الآيات تدعونا لمراجعة العلاقة بين الإيمان والسلوك، بين الانتماء الظاهري والانتماء الحقيقي.

هل أنتمي إلى "ملة إبراهيم" إيمانًا وسلوكًا، أم اكتفيت بالادعاء والشعارات دون ترجمة ذلك في حياتي؟

هل أميز بين العصبية للدين والصدق في اتباعه، فلا أغلو في الانتماء القومي أو القبلي على حساب الحق؟

هل أؤمن بالقرآن كله، أم أتحكّم فيه بالهوى، أختار منه ما أريد وأترك ما أكره؟

وهل أستشعر مسؤوليتي كجزء من أمة حملت الراية بعد سقوط من سبقها، فتكون حياتي وعملي امتدادًا للرسالة وليس عبثًا أو تقليدًا؟

هذه التأملات تصنع وعيًا شخصيًا وجماعيًا، يربط بين المعرفة، والالتزام، والمحاسبة، استعدادًا لحمل الرسالة على الصراط المستقيم.

ونواصل الآن مع الآيات (142–152) وهي آيات حاسمة في بناء شخصية الأمة الإسلامية، إذ يُعلَن فيها تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وتُعلَن معها بداية التميز الكامل لأمة محمد ﷺ عن الأمم السابقة.

هذا الحدث لم يكن مجرد تغيير في الاتجاه المكاني، بل هو تحوّل في مركز الرسالة والقيادة، وتأكيد على استخلاف أمة جديدة لقيادة العالم بالتوحيد والعدل.

(142–152): تحويل القبلة وإعلان التميز الإيماني والقيادي للأمة

في هذا المقطع، يسلط القرآن الضوء على حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، ويعرض المواقف المختلفة تجاه هذا القرار الإلهي. يقول الله تعالى:

﴿۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾ ويشير إلى ما قاله البعض من السفهاء الذين اعترضوا على تغيير القبلة، وهم اليهود والمنافقون الذين لم يفهموا الحكمة الربانية، وظنوا أن الإسلام دين متقلّب يتغير بحسب الظروف والمصالح.

ويكشف هذا الموقف عن خطورة الربط بين الشكل والجوهر، أي اعتبار الاتجاه المكاني للعبادة معيارًا للثبات والحق. فالمنافقون والجهلاء ظنوا أن تغيير القبلة يقلل من مصداقية الرسالة، بينما القرآن يؤكد أن الحق ليس تابعًا للقبلة، بل القبلة تابعة للحق؛ فالعبادة

الصحيحة مرتبطة بخضوع القلب لله، والاستقامة على الطريق الذي حدده الله، لا بالاتجاه الجغرافي وحده.

كما يبرز المقطع التميز الإيماني والقيادي للأمة المسلمة، إذ إن تغيير القبلة كان اختبارًا لطاعة الأمة وصدق التزامها بالوحي، وميز بين من يتبع الحق في استقامته وبين من يربط الدين بالصور والشعارات الشكلية فقط. بهذا تتحقق قاعدة قرآنية راسخة: الهداية والتميز الحقيقيان مرتبطان بالصدق في الالتزام، لا بالرموز الخارجية.

الرسالة:

الحق الإلهي ثابت لا يتغير بتغيير الظروف، والقبلة مجرد وسيلة تعبير عن الطاعة والخضوع لله، ثم إن ثبات الدين وصدقه لا يقاس بالشكل، بل بالاتباع الحقيقي للحق في القلب والسلوك، فمن فهم هذا المعنى، استحق أن يكون جزءًا من الأمة المتميزة إيمانيًا وقياديًا، التي تلتزم بالهداية ولا تُقاس بمظاهرها الشكلية.

(143): الأمة الوسط والشهادة على الناس

تعد هذه الآية المركزية في المقطع، حيث يحدد القرآن تعريف الأمة المحمدية ومكانتها في الخطة الإلهية:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾.يشير التعبير "أمة وسطًا" إلى أن الأمة المسلمة ليست متطرفة في الدين ولا منحرفة عنه، بل عادلة ومتوازنة في العقيدة والسلوك، تجمع بين التقوى والعمل الصالح

والمعرفة الصحيحة، لتكون نموذجًا يحتذى به في المعيار الأخلاقي والديني، كما تحمل هذه الأمة صفة الشهادة على الناس، أي أنها مسؤولة عن توضيح الحق ونشر الهداية، باعتبارها وارثة للنبوة بعد انتهاء رسالة النبي ﷺ، فهي تحافظ على المعايير الإلهية وتنقلها للناس بحكمة وعدل.

وفي هذا السياق، جاء تحويل القبلة امتحانًا إيمانيًا صارمًا للأمة: فالثبات على أمر الله يعكس صدق الانتماء للرسالة واستعداد الأمة لحمل الأمانة الكبرى، أما الارتداد أو التردد فكان مؤشرًا على ضعف الالتزام وسقوط أهلية المرء للقيادة الروحية.

الرسالة المحورية:

إن تحويل القبلة ليس مجرد تغيير في الاتجاه المكاني للعبادة، بل هو رمز لتحويل مركز القيادة الدينية والروحية في العالم إلى الأمة المحمدية، التي اختارها الله لتكون وسطًا عدلًا، شاهدة على الناس، ووريثة للنبوة في حفظ الدين، وتعليم البشرية، وتحقيق رسالة الهداية على الأرض.

(144): شوق النبي ﷺ للقبلة الأصل والاستجابة الإلهية

تأتي هذه الآية لتكشف عن الجانب الإنساني العميق في شخصية النبي ﷺ، حيث يصف القرآن شعوره الداخلي وشوقه للقبلة الأصل، الكعبة المشرفة:

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٤٤﴾.ويعبر هذا التعبير القرآني عن رقة العاطفة النبوية وحساسية

القلب للعبادة، إذ يظهر أن النبي ﷺ كان يشعر بالحنين إلى الكعبة، قبلة إبراهيم الخليل عليه السلام، ويرى فيها رمزًا للثبات على التوحيد والوحدة في العبادة[1].

لكن الاستجابة الإلهية جاءت لتضع قاعدة واضحة: القبلة لا تُختار بالهوى أو الرغبة الشخصية، بل هي مرتبطة بأمر الله، فالقبلة ليست وسيلة لتحقيق الراحة النفسية أو الاعتبارات الرمزية، بل أداة لإظهار الطاعة والانضباط لله، وهي معيار للوفاء بالرسالة والاقتداء بتوجيهات الحق.

المقصد:

تعلّم هذه الآية القادة والمربين أن القائد الحقيقي لا يفرض مشيئته أو أهواءه على الواقع، بل يترقب توجيه ربه ويصبر حتى يأذن الله له بالخطوة الصحيحة، فالثبات على الحق والتوجيه الإلهي يتطلب صبرًا واستعدادًا، وليس مجرد مبادرة فردية أو رغبة شخصية، وهو درس شامل في القيادة الروحية والأخلاقية للأمة.

(145–147): موقف أهل الكتاب من القبلة الجديدة

تتناول هذه الآيات موقف أهل الكتاب من قرار تحويل القبلة، حيث يعرفون أن النبي ﷺ على الحق، لكنهم يعاندون وينقسمون في الرد، فتجد كل فريق يحاول التشكيك وفرض وجهة نظره، ظانًا أن اتباعه للهوى كافٍ لرفض الحق.

[1] يقول الماوردي "وفي قوله: {تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السَّمَاءِ} تأويلان: أحدهما: معناه: تحول وجهك نحو السماء ، وهذا قول الطبري. والثاني: معناه: تقلب عينيك في النظر إلى السماء ، وهذا قول الزجاج. {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلةً تَرضاها} يعني الكعبة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضاها ويختارها ويسأل [ربه] أن يُحوَّل إليها. واختُلِفَ في سبب اختياره لذلك على قولين: أحدهما: مخالفة اليهود وكراهة لموافقتهم ، لأنهم قالوا: تتبع قبلتنا وتخالفنا في ديننا؟ وبه قال مجاهد ، وابن زيد. والثاني: أنه اختارها ، لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم ، وبه قال ابن عباس" أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ،**تفسير الماوردي = النكت والعيون**، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان،ج2ص202.

يبرز القرآن هنا ثنائية الحق والهوى: فالحق واحد وثابت، بينما البشر متفرقون في أهوائهم ومصالحهم، وقد يعارضون الصواب رغم إدراكهم له، ويفصل القرآن هذا الموقف عن النبي ﷺ، مشيرًا إلى أنه مأمور بأن لا يتبع أهواءهم أو تناقضاتهم، بل يثبت على الأمر الذي جاء به الوحي، ويقود الأمة بما يرضي الله.

الرسالة:

تعلّم هذه الآيات أن على المؤمنين، وخصوصًا القادة، عدم التردد في اتباع الحق مهما خالف أهواء العالم أو أصرّ الناس على معارضته. فالثبات أمام التشكيك والمعارضة، والاعتماد على ما يُرشد إليه الوحي، هو علامة القوة الإيمانية والقيادية، وهو السبيل لضمان استقامة الرسالة وتحقيق الهداية الجماعية.

(148): السبق في الطاعة وأولوية العمل الصالح

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾﴾

تؤكد الآية على مبدأ هام في الهداية والتميّز الإيماني: لكل أمة، ولكل إنسان، اتجاهه ووجهته التي يهيئها الله في الكون والعبادة، فالقبلة ليست معيارًا للتفاضل بين الناس، وإنما سباق الخير والعمل الصالح هو معيار الفضل الحقيقي.

وتضع الآية قاعدة شاملة: **العمل الصالح يُقيم الإنسان عند الله، وأينما كان الإنسان في الأرض فهو مسؤول عن السبق في الخيرات**، فالرسالة هنا تربوية واستراتيجية، فهي تربّي الأمة على الاجتهاد المستمر في الطاعة، وتمنع الركون إلى الرموز أو الامتيازات الشكلية.

كما تؤكد الآية على قدرة الله المطلقة في جمع الناس وحساب أعمالهم: فكل مكان، وكل زمان، وكل جهد صالح محسوب، والله على كل شيء قدير، وهو الذي يوزع الجزاء ويقيم الموازين.

الرسالة المحورية:

التفاضل الإيماني لا يقاس بالقبلة أو الانتماء، بل بالسبق في الطاعة والخيرات أينما كنت. كل إنسان وأمة مسؤولون عن أعمالهم، والله يجمعهم على ما فعلوا، لأنه القادر على كل شيء، فالحق هو الطاعة والعمل الصالح لا الانتماء الرمزي.

(149–150): الأمر بتثبيت التوجه نحو الكعبة

تتناول هذه الآيات الأمر الإلهي للمسلمين بتثبيت الوجهة نحو الكعبة المشرفة في الصلاة، حيث يقول تعالى:

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾

ويلاحظ أن تكرار التوجيه في هذه الآيات يحمل دلالات تربوية واستراتيجية عميقة:

1. **تثبيت الشعور بالهوية:**

يربّي القرآن الأمة على وعيها برسالتها المستقلة، ويجعل القبلة الجديدة علامة على الانتماء لله والوحدة في العبادة، فتصبح جزءًا من الهوية الجماعية للأمة المحمدية.

2. **إعلان التميّز عن أهل الكتاب:**

يوضح القرآن أن المسلمين ليسوا تابعين للأهواء أو للانقسامات السابقة، بل لهم نهجهم المستقل، قائم على الطاعة والحق، وبذلك يُحدد الفرق بين الأمة المسلمة وبين الذين يشكون أو يعاندون في أهل الكتاب.

3. **إزالة الحرج من التغيير:**

يُطمئن القرآن المسلمين أن التحول في القبلة ليس رجوعًا عن الحق أو اضطرابًا في الدين، بل هو جزء من التوجيه الإلهي الذي يُمكّن الأمة من الاستقامة والثبات، ويقطع الباب أمام الشكوك والتردد.

المقصد:

القبلة الجديدة ليست مجرد تغيير في الاتجاه المكاني للعبادة، بل رمز لتثبيت هوية الأمة المحمدية واستقلالها عن الانحرافات السابقة، فهي تعبير عن الانتماء الحق لله، وعن وحدة الأمة في الطاعة والعمل الصالح، وعن استقلالية الرسالة التي تحملها عن كل الانحرافات السابقة أو الموروثات الشكلية.

(151–152): ختام روحي وتذكير بالنعمة والذكر

يختتم هذا المقطع بتوجيه قرآني روحي وتربوي بالغ العمق، حيث يذكّر الله تعالى أن من بينكم أرسل رسولًا ليقرأ عليكم آياته، ويزكيكم، ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعرّفكم بما لم تكونوا تعلمون. فإرسال الرسول ﷺ ليس مجرد إبلاغ نصوص، بل هو عملية شاملة لتطهير النفوس وتربية الأمة روحيًا وأخلاقيًا وعلميًا، ليقود الفرد والجماعة نحو الاستقامة والعمل الصالح.

ويُحضّ القرآن على الذكر والشكر، ليكون ذلك محور الحياة الإيمانية. فالغاية ليست مجرد الالتزام الظاهر بالعبادات أو الانشغال بالجدل حول القبلة، بل تنمية الذات وبناء الأمة وفق

معايير التقوى والصدق، إذ يدعو القرآن المؤمنين إلى تثبيت وعيهم بأن الله أرسل لهم النعمة في صورة الرسول والهداية، وأن عليهم شكر هذه النعمة بالالتزام والطاعة والعمل الصالح.

كما يضع القرآن الأولويات الروحية في قلب الاهتمام، محذرًا من الانغماس في النقاشات الشكلية التي قد تُلهي عن الهدف الأسمى. فالغاية الأسمى للرسالة هي تطهير النفس، وتحقيق الوحدة، وبناء الأمة على الحق والعدل والإحسان، والقبلة والرموز الأخرى وسيلة فقط لتثبيت الانضباط والاتجاه نحو الله.

المقصد:

تؤكد هذه الآيات أن الالتزام بالرسول ﷺ واتباعه هو وسيلة للتزكية والتعليم، وأن الغاية الحقيقية للعبادة والعمل ليست الرموز الشكلية، بل تطهير النفس، وتنمية الأمة، والسبق في الخيرات، مع شكر الله والاحتكام لذكره في كل موقف، فالذكر والشكر والعمل الصالح يشكلان الجوهر الحقيقي للهداية، ويضمنان استمرار الأمة على نهج الحق والاستقامة.

والخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للآيات من (142–152) تبرز عناصر مركزية في تثبيت هوية الأمة الجديدة واستقلالها الروحي والحضاري:

أولًا، يُقدّم القرآن طعن السفهاء في التحول ليكشف الجهل والتقليد الأعمى، ويحث الأمة على عدم الانقياد وراء الآراء العابرة دون وعي أو فهم.

ثم يأتي إعلان الأمة الوسط، مبيّنًا أن وظيفة الأمة الجديدة ليست مجرد الانتماء، بل الشهادة على العالم بالحق والعدل، وتحقيق رسالة التوازن والاعتدال.

ويشكل تحويل القبلة علامة على التميز والاستقلال الحضاري والروحي للأمة الإسلامية، فهو إعلان لخصوصيتها وموقعها بين الأمم، ولتأكيد ارتباطها بالحق الإلهي لا بالهوى أو التقليد.

ويُترسّخ ثبات النبي ﷺ في هذا السياق ليؤكد القيادة الإلهية في المشروع النبوي، وأن الأمة تُقاس بمقدار التزامها بالرسول واستقامتهم خلفه في التوجيهات الإلهية.

وأخيرًا، يُختتم المقطع بتذكير بالبعثة والذكر، لتأكيد العودة إلى الغاية التربوية الكبرى للرسالة، وهي هداية الإنسان وإعداده لحياة متوازنة قائمة على الإيمان والعمل الصالح.

وبذلك ترسم هذه الآيات إطارًا مقاصديًا واستراتيجيًا يربط بين الثبات على الحق، والهوية الجماعية، والرسالة الحضارية للأمة.

الرسالة الكبرى:

تحويل القبلة لم يكن حركة جسدية، بل إعلانًا رساليًا بأن مركز الهداية انتقل، وأن قيادة البشرية صارت في يد أمة جديدة، وسطية، شاهدة، مؤتمنة على الوحي، لا تتبع هوى، بل تنتظر أمر الله، وتنطلق في البناء والسبق والخير.

للتأمل الذاتي:

هذه الآيات تدعونا لمراجعة موقفنا الشخصي والجماعي في ضوء الرسالة والهوية:

هل أرى نفسي فردًا مسؤولًا في "الأمة الوسط"، مشاركًا في حمل الرسالة والعدل، أم مجرد تابع بلا وعي ولا مساهمة؟

هل ثباتي أمام شبهات اليوم يعكس نفس روح الثبات والصبر التي أظهرها الصحابة ﷺ عند لحظة التحول والاختبار؟

هل أدرك أن "القبلة" رمز أكبر من مجرد مكان للصلاة، فهي تذكير دائم بالرسالة، وبالعهد، وبمركزية التوجيه الإلهي في حياتي؟

وهل أعيش كواحد من الذين يسابقون في الخيرات، يسعى للارتقاء بالعمل الصالح والمعرفة، أم اكتفيت بالركود والاتباع؟

هذه الأسئلة تساعد على ربط الالتزام الفردي بالمسؤولية الجماعية، وتعزز وعي الإنسان بدوره في استمرار الرسالة وتحقيق أهدافها.

والآن إلى الآيات من: (153–177) من سورة البقرة فهذه آيات عظيمة تمثل نواة التكوين الروحي والاجتماعي للأمة المسلمة بعد أن تم إعلانها أمة وسطًا متميزة بقبلة جديدة ورسالة عالمية.

في هذا المقطع، ينتقل الخطاب من إعلان القيادة الإيمانية للأمة إلى بناء ذاتها من الداخل، عبر:

- الصبر،
- الصلاة،
- المواقف من الابتلاء،
- التشريع الأخلاقي (القصاص والوصية)
- والتشريع التعبدي والاجتماعي (الصيام، الإنفاق، البرّ).

(الآيات 153–177): بناء الإنسان المسلم المتوازن بين الروح والسلوك، والحق والواجب

(153–157): الصبر والثبات في الفتنة:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ١٥٣ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ١٥٤ ...﴾

- هذه الآيات جاءت بعد تحويل القبلة والجدل المثار.
- فثبّت الله المؤمنين بأن **الصبر والصلاة هما زاد الطريق.**
- ثم أعلن أن الشهداء لا يموتون، بل أحياء عند ربهم.
- وتوجّه الخطاب للتعزية والتثبيت في مواجهة الابتلاء:

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾.

الرسالة:

كل أمة تُستخلف تُبتلى، وكل جيل يُصبر يُمكن.

(158): ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾. **السعي بين الصفا والمروة**

- إعلان أن **المشاعر المقدسة جزء من الدين.**
- هذه الآية تربطنا *بإبراهيم وهاجر*، وتؤكد أن **العبادة ليست طقوسًا فقط، بل ذاكرة رسالية.**

الآيات من(159–162): التحذير من كتمان العلم

- من يكتم العلم عن الناس **يُلعنه الله والملائكة والناس أجمعون**[1].
- شرط التوبة: البيان والرجوع.

المقصد:

العلم أمانة، ومن يخونه يُحجب عن رحمة الله.

[1] يقول النسفي:" {إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ} من أحبار اليهود {مَا أَنزَلْنَا} في التوراة {مِنَ البينات} من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام {والهدى} الهداية إلى الإسلام بوصفه عليه السلام {مِن بَعْدِ مَا بيناه} أوضحناه {لِلنَّاسِ فِي الكتاب} في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه {أولئك يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللاعنون} الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين" أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو [ت ١٤٤٢ هـ]، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،ج1ص146.

الآيات من: (163–167): التوحيد والرد على الشرك

- إعلان عقيدة: **إلهكم إله واحد.**
- ثم تصوير رهيب لأهل الشرك يوم القيامة وهم يتحسرون: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾.

الرسالة:

لا تتعلق بالبشر، ولا بالأهواء، فإنها تتخلى عنك في أشد المواقف.

الآيات من (168–171): الغذاء الحلال والبعد عن التقليد الأعمى

- دعوة لأكل الحلال، وترك الخبائث.
- تحذير من تحريم ما لم يحرمه الله.
- تقريع للذين "يعبدون آباءهم" في الدين، بلا وعي.

الرسالة:

الدين لا يبنى على التقليد، ولا على المأكولات، بل على العقل والوحي.

(172–173): تفصيل المحرمات من الطعام

- بيان أن المحرّمات محصورة: **الميتة، الدم، لحم الخنزير، ما أهل لغير الله به.**
- والتأكيد أن **الضرورات تبيح المحظورات**[1].

[1] يقول الزركشي:" الضَّرُورَاتُ تُبِيحُ الْمَحْظُورَاتِ؛ وَمِنْ ثَمَّ أُبِيحَتْ الْمَيْتَةُ عِنْدَ الْمَخْمَصَةِ، وَإِسَاغَةُ اللُّقْمَةِ بِالْخَمْرِ لِمَنْ غَصَّ، وَلَمْ يَجِدْ غَيْرَهَا، وَأُبِيحَتْ كَلِمَةُ الْكُفْرِ لِلْمُكْرَهِ، وَكَذَلِكَ إتْلَافُ الْمَالِ، وَكَذَلِكَ أَخْذُ مَالِ الْمُمْتَنِعِ مِنْ الدَّيْنِ بِغَيْرِ إذْنِهِ إذَا كَانَ مِنْ جِنْسِهِ وَلَوْ كَانَ بِكَسْرِ بَابِهِ." الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ)،**المنثور في القواعد الفقهية**، حققه: د تيسير فائق أحمد محمود، راجعه: د عبد الستار أبو غدة، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية (طباعة شركة الكويت للصحافة) الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م،ج2ص317.

المقصد:

الشريعة قائمة على التيسير، لا على المشقة.

(174–176): تحذير خاص للعلماء من تحريف الدين لأجل المال

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾.

الرسالة:

العلماء قد يبيعون الدين، فيُضلون، ويُضلّون.

(177): آية البر العظيمة – ميثاق القيم الإسلامية

﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ١٧٧﴾

- هذه الآية تمثل "دستور الأخلاق الإسلامية"، وتشمل:
  1. **الإيمان بالله والرسل والآخرة**
  2. **الإنفاق على الضعفاء**
  3. **الوفاء بالعهد**
  4. **الصبر في البأساء والضراء**
  5. **إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة**

الرسالة:

البر الحقيقي ليس في الاتجاهات والشكليات، بل في **الإيمان والعمل والتضحية والصبر**.

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للآيات (153–177)

تُبرز أسس بناء الشخصية المسلمة المتكاملة، من خلال ربط العقيدة بالعمل والسلوك:

أولًا، يركز القرآن على الصبر والشهداء، لتأكيد بناء الثبات الروحي لدى المؤمن، بحيث يصبح الإنسان قادرًا على مواجهة الابتلاءات والمحن بثبات وإيمان.

ثم تأتي الآيات لربط المشاعر والعبادات بالمعاني التاريخية والرسالية، فتتحول الطقوس من أعمال شكلية إلى وسائل تربوية وروحية تعمّق الصلة بالله وبالرسالة.

ويُبرز القرآن أيضًا قيمة كتمان العلم، باعتباره وسيلة لتحصين الأمة بالعلم والنزاهة، بعيدًا عن الرياء أو استغلال المعرفة للهوى الشخصي.

ويُؤكّد على التوحيد والتحذير من التقليد، ليحرّر العقل من التبعية العمياء للأفكار والممارسات دون وعي أو تدبر، ويجعل منه محورًا للتمييز بين الحق والباطل.

ثم ينتقل إلى الحلال والحرام، لتأسيس التمييز الأخلاقي في الأكل والتصرفات اليومية، فالأعمال الصغيرة جزء من تكامل شخصية المؤمن وصدق التزامه.

وأخيرًا، تُختتم الرسالة بـ آية البر، لتقديم نموذج الشخصية المسلمة الجامعة بين العقيدة والأخلاق، التي تجمع بين الصلاح الداخلي والعمل الصالح، فتكون مثالًا متكاملاً للنهضة الفردية والجماعية.

الرسالة الكبرى لهذا المقطع:

لا تنهض أمة الرسالة إلا إذا كان أفرادها: صابرين في المحنة، مستقيمين في العقيدة، متزنين في الأخلاق، منضبطين بالشرع، عالمين غير كاتمين، مستقلين في الفكر، متجردين لله وحده.

للتأمل الذاتي:

تدعو هذه الآيات كل مؤمن لمراجعة موقفه الداخلي وسلوكه اليومي في ضوء القيم القرآنية:

هل أنا ممن يستعين بالصبر والصلاة فعلًا عند الأزمات، أم أكتفي بالشعارات بلا ممارسة؟

هل برّي محصور في الطقوس الشكلية، أم يشمل القيم الكبرى من صدق، وعدل، ورحمة؟

هل أتحرى الحلال والحرام في أكلي ومالي وتصرفاتي اليومية، أم أستهين بذلك؟

هل أتحمل مسؤولية العلم الذي أملكه، وأوظفه للخير والحق، أم أتركه بلا أثر؟

وهل أقف عند الشبهات وأرتاب، أم أبحث عن اليقين بالعمل والتدبر والتثبت؟

هذه التأملات تساعد على ربط الإيمان بالعمل، والعقيدة بالقيم، والمعرفة بالمسؤولية، لتنشئ شخصية مسلمة متكاملة قادرًة على مواجهة الابتلاءات والحفاظ على ثباتها الروحي والأخلاقي.

أما الآيات (178–203) ، فهي آيات تبني البنية التشريعية للأمة في عدد من القضايا الكبرى، وذلك ضمن مشروع التكوين المتدرج الذي بدأ بعد إعلان الأمة الوسط.

في هذا المقطع يبرز ما يلي:

بناء العدالة (القصاص)

وتنظيم الحقوق المالية (الوصية والديْن)

والتشـــــــــريع التعبـــــــــدي الزمنـــــــــي (الصـــــــــيام والحـــــــــج) والربط بين العبادة والتقوى والتقويم الاجتماعي.

(الآيات 178–203): إقامة نظام تشريعي جامع بين العدل والعبادة والزمن والهوية

(178–179): تشريع القصاص:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

- القصاص ليس فقط للانتقام، بل هو:

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾.

أي: **يردع القاتل، ويصون المجتمع.**

- مع ذلك، فتح الله باب **العفو والدية،** وأمر بالإحسان فيها.

الرسالة:

العدل لا يعني القسوة، والرحمة لا تعني الفوضى؛ التشريع متوازن.

الآيات من (180–182): الوصية والتصرف في المال

- الوصية قبل الموت كانت واجبة، ثم نسخها الله بالمواريث، ولكن بَقِي استحبابها في ما دون الثلث.
- التحذير من تغيير الوصية، والتأكيد على العدالة.

الرسالة:

المال أمانة، والموت اختبار للصدق والعدل في التصرف فيه.

(183–187): الصيام والتقوى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ...﴾

- آيات الصيام من أعظم مواضع البناء الروحي في القرآن.
- الصيام مشروع قديم، لكنه الآن **مربوط بمقصد عظيم:** "**لعلكم تتقون**".
- يشمل التدرج في فرضه، أحكام المريض والمسافر، ثم ليلة الصيام وما يجوز فيها.

الرسالة:

الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام، بل مدرسة *لتربية النفس على الإرادة، والمراقبة، والتقوى*.

(188): تحذير من الفساد المالي والقضائي

- ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨﴾.

تحذير من السرقة والرشوة، خصوصًا باسم القضاء أو الحيلة الشرعية.

المقصد:

لا معنى لعبادات صيام وصلاة إذا كان المجتمع ينهار أخلاقيًا عبر التلاعب المالي.

الآيات من (189–190): الأهلة والجهاد المشروع

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾.

فيأتي الجواب: هي مواقيت للناس، أي *تنظيم للزمن* لا للتطير أو الخرافة.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾.

أول تشريع للجهاد المشروع[1]: *دفاع لا عدوان، و انضباط لا فوضى*[2].

الرسالة:

الزمن في الإسلام له قيمة تنظيمية للعبادة والحياة، والقتال ليس دينًا، بل ضرورة تُضبط بالشريعة.

الآيات من (191–195): أحكام القتال والحرم والأشهر الحرم

- تفاصيل دقيقة:
  - حرمة القتال في الحرم.
  - لا تظلموا، حتى من ظلمكم.

---

[1] قال ابن الجوزي:" واختلف العلماء في أول آية نزلت في إباحة القتال على قولين: أحدهما: أنها قوله تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، قاله أبو بكر الصِّدِّيق، وابن عباس، وسعيد بن جبير، والزهري. والثاني: أنها هذه الآية: وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قاله أبو العالية، وابن زيد" ، **جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)**، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ،ج1ص154.

[2] انظر: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م،ج1ص148.

- لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.

الرسالة:

الإسلام لا يبيح العدوان باسم الجهاد، بل يربّي على **العدل حتى في الحرب**.

الآيات من(196–203): مناسك الحج وأحكامه ومقاصده

- تفصيل في أحكام:
  - الإحرام،
  - الهدي،
  - الحلق،
  - الإتمام،
  - فدية الأذى،
  - القران والإفراد والتمتع.
- ثم توجيه عظيم:

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ)

المقصد المحوري:

الحج ليس مجرد سفر، بل *رحلة تطهير، ومراجعة للنفس، وتجديد للعهد مع الله.*

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للآيات (178–203)

تبرز أسس بناء الفرد والمجتمع الإسلامي المتكامل، من خلال ربط التشريع بالقيم والغاية:

أولًا، تأتي آية القصاص لتؤكد على ترسيخ العدالة الاجتماعية، وضمان أن يُحفظ حق المظلوم ويُحاسب المعتدي بما يحقق التوازن المجتمعي.

ثم يتناول القرآن الوصية، لتضمن حقوق الأفراد بعد الموت، فلا تضيع أموال أو حقوق محتملة، ويظل النظام الاجتماعي متماسكًا ومستقرًا.

وتأتي آية الصيام كوسيلة لبناء التقوى الفردية، إذ يربي الإنسان على ضبط النفس، والوعي بالواجب، والالتزام بالحق.

ويؤكد القرآن على الحلال والحرام المالي، كأداة لصيانة المجتمع من الفساد، ولتحقيق النزاهة في التعاملات الاقتصادية والاجتماعية.

كما يبرز مواقيت الزمن، لتعليم المؤمن ضبط حياته على إيقاع العبادة والانضباط الروحي، وربط أفعاله بالزمن والفرائض.

ويشير إلى الجهاد المشروع، ليظهر أن القوة يجب أن تُضبط بالحق والعدالة، وليس بالهوى أو الطغيان، في إطار مشروع ديني وأخلاقي.

وأخيرًا، يُقدّم الحج بوصفه دورة تربوية روحية للمؤمن، تجمع بين العبادة الفردية والجماعية، والتقوى، والانسجام مع النظام الإلهي، ليكون المؤمن مؤهلًا لحمل الرسالة على أرض الواقع.

وبذلك ترسم هذه الآيات إطارًا استراتيجيًا متكاملاً للفرد والأمة، بين التقوى، والعدل، والانضباط، والعمل الصالح، في الحياة اليومية والعبادات الكبرى.

الرسالة الكبرى:

لا تنهض الأمة ولا تستقيم حياتها حتى تنتظم على شريعة تجمع بين: الحق والرحمة، العبادة والتنظيم، الروح والجسد، الفرد والجماعة، الفعل والنية، الزمن والخلود.

للتأمل الذاتي:

هذه الآيات تدعونا لمراجعة مستوى الالتزام الشخصي والتربوي في حياتنا اليومية والروحية:

هل أرى الصيام مدرسة للتقوى والضبط النفسي والروحي، أم مجرد عادة سنوية أؤديها بلا أثر؟

هل أستحضر مقاصد الحج – من عبادة وتقوى وتربية اجتماعية – إذا حججت أو خططت للحج؟

هل أتحرى العدل في مالي ووصيتي، وأحرص على أن تكون معاملاتي نزيهة ومستقيمة؟

هل أنضبط بالحق حتى في مواقف القوة والغضب، أم أسمح للهوى بالتحكم في تصرفي؟

وهل زمني منضبط بالعبادة والمواقيت، أم ضائع في العشوائية والتسويف؟

هذه التأملات تربط بين العبادة، والسلوك، والزمن، والقوة، والمسؤولية المالية، لتنشئ شخصية مسلمة متكاملة، صالحة للفرد والمجتمع، ومستعدة لحمل الرسالة على الصراط المستقيم.

أما الآيات من: (204–242) فهي تقدّم لنا في هذا المقطع:

لوحة تشريعية وإنسانية متكاملة، تجمع بين:

- تصوير النفاق والفساد،
- والتحفيز على الصدق والإحسان،
- وبناء نظام مالي متوازن،
- وتشريع اجتماعي أسري يحفظ كيان الأسرة والمجتمع.

وهكذا يستمر مشروع "بناء الأمة الوسط" في الانتقال من مرحلة التأسيس الإيماني والروحي إلى بناء السلوك الإنساني والعلاقات الأسرية والاقتصادية.

(204–242)*: بناء السلوك الاجتماعي والمالي والأسري على أساس من الصدق والعدل والرحمة*

في الآيات (204–207) ، يقدّم القرآن نموذجين متناقضين للبشرية، ليبيّن أثر النوايا والصدق في العمل:

النموذج الأول هو المنافق: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾. فالذي يتحدث بالكلام الجميل ويظهر الالتزام ظاهريًا، لكنه يسعى في الأرض للفساد ويهلك الحرث والنسل. هذا النموذج يوضح أن المظهر الخارجي وحده لا يكفي، وأن العمل بلا إخلاص يكون سببًا للضرر والضياع.

النموذج الثاني هو الصادق: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾.فالذي يقدم حياته واهتمامه لله وحده، ويضحي بنفسه ابتغاء مرضاة الله، كما فعل صُهيب الرومي رضي الله عنه. هذا النموذج يمثل الإخلاص والوفاء بالرسالة والغاية الإلهية، حيث يكون العمل نابعًا من قلب صادق وهدف نبيل.

بهذه الآيات، يضع القرآن أمام المؤمنين مقياس القيم الحقيقية: ليس الكلام الجميل أو المظهر هو معيار الصلاح، بل صدق النية، واستقامة العمل، والارتباط بالله.

الرسالة:

الخط الفاصل بين أهل النفاق وأهل الصدق: *الموقف من الحقيقة والتضحية لها.*

أما في الآيات (208–214) ، فيرسم القرآن خريطة شاملة للمسار الإيماني للأمة، موضحًا خطوات الثبات والتحذيرات من الانحراف:

الآيات 208–210 تدعو المؤمنين إلى الدخول في السلم كليًا:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٠٩ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾.

الرسالة المقاصدية: الدين مشروع حياة كاملة، لا يُؤخذ انتقائيًا، فلا فرق بين الدين والدنيا، ولا بين القلب والسلوك، ولا بين العبادة والمعاملة. أي الالتزام الإيماني يجب أن يشمل كل جوانب الحياة.

الآيات 211–212 تذكّر بـ موقف بني إسرائيل من النعمة والبلاء: ﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾.

وتوضح كيف أنكروا آيات الله رغم أنهم أهل كتاب. ثم تحذر من فتنة الدنيا ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾، مبينة أن الغنى والزخرف لا يبرهنان على رضا الله، وأن الغفلة عن الآخرة سبب للانحراف.

الآيات 213–214 تعرض مسيرة الأمم في صراع الحق والباطل: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ...﴾، ثم تفرقوا واختلفوا رغم إرسال الرسل، لتُظهر ضرورة التحفيز والمثابرة: "﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾.

الرسالة هنا أن النجاح في الهداية ليس مضمونًا بالوراثة أو التقاليد، بل بالاجتهاد في الاتباع والصبر على الاختبار.

بذلك، تقدم هذه الآيات إطارًا تربويًا واستراتيجيًا للمؤمن: الالتزام الكامل بالدين، الحذر من فتنة الدنيا، والوعي بتاريخ الأمم السابقة كمصدر درس للتحصين الروحي والمجتمعي.

الرسالة:

طريق الحق محفوف بالابتلاء، ومن يصبر يصل.

في الآيات من (215–218) ينتقل الخطاب القرآني من بيان المنهج العام إلى تفصيل السلوك العملي الذي يُثبت صدق الإيمان ويترجمه في الواقع، جامعًا بين المال، والنية، والتضحية، والحركة في سبيل الله.

تبدأ الآيات بسؤال عملي مباشر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾. فيأتي الجواب موجّهًا إلى مصارف الإنفاق لا إلى كميته، فيُقدَّم الأقربون، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

والمقصد هنا أن قيمة الإنفاق في مقصده ونيته وأثره، لا في كثرة المال أو قلّته؛ فالإنفاق عبادة أخلاقية قبل أن يكون فعلًا ماليًا.

ثم تنتقل الآيات إلى التشجيع على الهجرة والجهاد، بوصفهما ذروة الالتزام العملي حين يُضيَّق على الإيمان أو يُحارب الحق، فالهجرة تمثل قطع التعلّق بالمكان والراحة من أجل العقيدة، والجهاد يمثل حماية الحق وبذل الجهد والنفس لإعلاء كلمة الله، لا طلبًا لمغنم ولا بدافع عصبية.

وتُبرز الآيات فضل الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، مقررة أن هؤلاء هم الذين يرجون رحمة الله حقًّا، لأنهم صدّقوا إيمانهم بالفعل والتضحية، لا بالكلام وحده.

وبذلك ترسم هذه الآيات مبدأً استراتيجيًا واضحًا: الإيمان الصادق يظهر في الإنفاق المسؤول، والنية الخالصة، والاستعداد للتضحية حين يُطلب الثمن، فالدين ليس قناعة داخلية فحسب، بل التزام عملي يُختبر عند المال والأمن والراحة.

الآيات من(219–220) تناولت: الخمر والميسر، والوصية للأيتام

- ذكر ضررهما الاجتماعي:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩﴾.

- ثم إشارة إلى التدرج في تحريمهما.
- والوصية بحسن رعاية اليتيم، وعدم ظلمهم.

الرسالة:

المال ليس حرية مطلقة، بل مسؤولية.

الآية (221): تحريم نكاح المشركات والمشركين:﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾)

- إيمان المرأة والرجل معيار النكاح، لا الجمال أو المال.

الرسالة:

الزواج مشروع إيماني، لا مجرد علاقة جسدية أو اجتماعية.

الآيات من (222–223): تناولت: أحكام الحيض والعلاقة الزوجية

حيث قررت جملةً من الأحكام والآداب المتعلقة بالحيض والعلاقة الزوجية، وذلك في إطار يجمع بين الطهارة الجسدية والانضباط الأخلاقي.

فقد بيَّن القرآن أن الحيض أذى، وأمر باعتزال النساء زمنه، أي بترك الجماع حتى يطهرن، حفاظًا على سلامة الطرفين واحترامًا لسنن الفطرة، ثم جاء التوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ ليؤكد مشروعية الاستمتاع بين الزوجين بعد الطهر، مع إباحة التنوع في حدود ما أذن به الشرع، على أن يكون ذلك بعيدًا عن الشذوذ أو الإيذاء، ومقترنًا بالتقوى ومراعاة المقاصد الشرعية في حفظ النفس والنسل.

(224–225) تناولت: الحلف بالله والإفراط في الأيمان؛ قال تعالى:﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ٢٢٥﴾.

- لا تجعلوا الحلف بالله ذريعة لترك الخير.
- الله لا يحاسب على لغو اليمين، بل على ما عقدتم عليه القلوب.

الرسالة:

لا يُستخدم اسم الله عبثًا أو وسيلة لتبرير التقصير.

الآيات من (226–232)تناولت: أحكام الطلاق والإرجاع والمراجعة

- تفصيل دقيق في:
  - عدد الطلقات،
  - مدة العدة،
  - الرجعة،
  - حقوق المرأة،
  - تجنب ظلمها.

المقصد:

الزواج والطلاق عبادات اجتماعية، لا معاملات غليظة.

الآيات من(233)تناولت: الرضاعة وحماية حقوق الأم والطفل؛

- رضاعة الحولين،
- النفقة على الأب،
- منع المضارة،
- ضمان حقوق المرأة المُرضعة، ولو كانت مطلقة.

الآيات من(234–237)تناولت: الوفاة والمطلقة قبل الدخول

- تنظيم عدة المتوفى عنها زوجها.
- بيان حقوق المهر عند الفسخ قبل الدخول.

الآيات من(238–239)تناولت: المحافظة على الصلاة

- وسط هذا كله، توجيه روحاني:

"حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى..."

الرسالة:

لا تُنسِك التشريعات الحياة أن الصلاة هي صلتك بالله.

الآيات(240–242): التوريث والإحسان في العِدَد

- تنظيم خروج الأرملة من بيت الزوجية،
- تمكينها من النفقة والسكن سنة كاملة إن شاءت.

الرسالة:

حتى في الموت، لا يُنسى الحق ولا تُظلم المرأة.

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية للآيات (204–242)

ترسم هذه الآيات معالم المنهج القرآني في بناء الإنسان والمجتمع، من خلال مقاصد كلية متكاملة، يتصدرها التمييز القيمي بين الصدق والنفاق، إذ تكشف عن الفارق الجوهري بين من يجعل غايته الدنيا ومصالحها، ومن يهب نفسه خالصة لله تعالى. وتؤكد في السياق ذاته على مبدأ الدخول في السِّلم كافة، بما يعنيه من التزام شامل بالدين، بعيدًا عن التجزئة والانتقائية في الامتثال.

وفي البعد التشريعي، تقرر الآيات مقاصد الأحكام المالية، وفي مقدمتها حفظ المال وصيانته من الفساد والظلم، وربط التصرف المالي بالمسؤولية الأخلاقية. كما تعالج تنظيم العلاقات الأسرية، فتؤسس الزواج والطلاق على الرحمة والعدل، وتمنع التعسف والإضرار، بما يحفظ كرامة جميع الأطراف.

ولا يغفل الخطاب القرآني البعد الاجتماعي، حيث يرسخ العدل في الرعاية الاجتماعية، خاصة بحقوق اليتيم، والمطلقة، والأرملة، والطفل، بوصفهم فئات تحتاج إلى حماية خاصة داخل البناء المجتمعي. وتختتم هذه المنظومة بمركزية الصلاة، باعتبارها البعد الروحي الضابط لبقية الأحكام، والركيزة التي تحفظ توازن المؤمن بين التكليف التشريعي والتزكية القلبية.

الرسالة الكبرى:

إن أمة الوسط لا تُبنى بالشعارات، بل بسلوك صادق، وتشريع عادل، وعلاقات نظيفة، وقلوب موصولة بالله، وحياة متوازنة بين الدنيا والآخرة، تجمع بين الصدق في القول، والعدل في الحكم، والرحمة في السلوك، والتقوى في القلب.

للتأمل الذاتي

يدعو هذا المقطع إلى وقفة مراجعة صادقة مع النفس، يُمتحن فيها ميزان الوعي القيمي والسلوكي؛ فهل أمتلك القدرة على التمييز بين الصدق الذي يُقال لوجه الحق، وبين الخطاب الذي يُلبِّس ويُزيِّن ليخفي الانحراف؟ وهل أعيش السِّلم بوصفه التزامًا دينيًا شاملًا يوجّه حياتي كلها، أم أتعامل مع الدين بانتقائية أختار منها ما يوافق الهوى والمصلحة؟

ويمتد هذا الامتحان إلى دائرة الأسرة والعلاقات الخاصة: هل تقوم علاقتي بأهلي وزوجتي على العدل والرحمة، أم يشوبها تعسف أو تقصير يتنافى مع مقاصد الشريعة؟ ثم إلى البعد الروحي: هل تبقى الصلاة حاضرة في قلبي وسلوكي وسط زحمة التفاصيل وضغوط الحياة، أم تتحول إلى ممارسة شكلية منفصلة عن أثرها التربوي؟

وأخيرًا، يطرح السؤال الأخلاقي المالي نفسه بإلحاح: هل مالي طاهر من الحرام، مصون من الظلم، وخالٍ من أي تعدٍّ على حقوق اليتيم والضعيف؟ إنها أسئلة لا تُطلب للإجابة السريعة، بل للمحاسبة العميقة التي تُعيد ترتيب العلاقة مع الله، ومع النفس، ومع المجتمع.

ونصل الآن إلى الآيات (243–286) من سورة البقرة، وهي خاتمة السورة، وتُمثّل ذروة البناء الإيماني والفكري والتشريعي في هذا السفر العظيم.

في هذه الآيات ينتقل القرآن من بناء "الفرد" والأسرة والمجتمع إلى ترسيخ أعمدة الأمة في الجهاد، والقيادة، والعقيدة، والاقتصاد، والسيادة المالية، والخضوع للوحي.

(الآيات 243–286) *ذروة التكوين الحضاري للأمة بالإيمان والقيادة والاقتصاد والتفويض الكامل لله:*

من الآيات (243–252): مشاهد من التاريخ والجهاد والتمكين:

تعرض هذه الآيات نماذج تاريخية مكثفة تكشف سنن الله في الصراع بين الإيمان والخوف، وبين التوكل والفرار، وتؤسس لفهم قرآني عميق لمعنى الجهاد والتمكين.

ففي مشهد الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، يبين القرآن أن الفرار من القدر لا يمنع وقوعه؛ إذ فرّوا خوفًا من القتال، فأماتهم الله ثم أحياهم، ليكون ذلك درسًا بليغًا في أن الحياة والموت بيد الله وحده، وأن النجاة لا تكون بالهروب، بل بالثقة في قضاء الله والامتثال لأمره.

ثم ينتقل السياق إلى قصة طالوت وجالوت، حيث يبدأ المشهد بطلب بني إسرائيل ملكًا يقودهم، فيُبتلون في اختيار القائد، ثم يُمتحنون في الطاعة والانضباط من خلال اختبار النهر، ليتمايز الصف، فلا يبقى إلا القليل ممن صبروا وثبتوا. وتبرز القصة أن معيار النصر ليس الكثرة العددية، بل صدق الإيمان وقوة اليقين وحسن الطاعة.

وتخلص الآيات إلى القاعدة الكبرى في سنن التمكين: أن الغلبة الحقيقية إنما تتحقق بإذن الله، لا بالقوة المجردة، كما قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ ، لتقرر أن النصر ثمرة الإيمان والثبات، وأن القلة المؤمنة إذا استكملت شروطها غلبت الكثرة إذا فقدت روحها ومعناها.

الرسالة:

لا تنصر الأمة بالكثرة، بل بالإيمان والقيادة المخلصة والصبر على الابتلاء.

الآية (253): تدرّج الرسل وتفضيل محمد ﷺ

تقرر هذه الآية سنّة إلهية راسخة في مسار الوحي، وهي سنّة التدرّج والاختيار، إذ يبيّن القرآن أن الرسل ليسوا على درجة واحدة في الخصائص والوظائف، مع اشتراكهم جميعًا في أصل الرسالة ووحدة المقصد، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ .وهذا التفضيل ليس تمييزًا اعتباطيًا، بل حكمة ربانية اقتضتها اختلاف الأزمنة، وتنوّع الأمم، وتدرّج البشرية في الاستعداد لتلقي الهداية.

ومن خلال هذا البيان، يهيّئ القرآن النفوس لتقبّل ختم الرسالات بمحمد ﷺ، بوصفه خاتم الأنبياء، وأن أمته جاءت أمةً شاهدة، مكلفة بحمل الرسالة كاملة، لا أمة عبث أو صدفة تاريخية.

فخاتمية الرسالة تعني اكتمال المنهج، ونضج الخطاب، وتحمل المسؤولية الحضارية في تبليغ الهداية وإقامة القيم، وفق ميزان العدل والرحمة، وعلى هدي التدرّج الذي سلكه الوحي عبر تاريخ النبوة.

الآية (254): الدعوة للإنفاق قبل الفوات

- الإنفاق اختبار حقيقي للإيمان:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾).

الآية (255): آية الكرسي – أعظم آية في كتاب الله[1]

تُجسّد آية الكرسي الذروة العقدية في القرآن الكريم، إذ تقدّم أعظم بيان لمعاني التوحيد الخالص والربوبية المطلقة، وتعيد تشكيل وعي الإنسان بعلاقته بالله تعالى. فهي تفتتح بإثبات الألوهية الواحدة، وتصف الله بالحياة الكاملة التي لا يعتريها فناء، والقيومية الشاملة التي يقوم بها كل شيء ولا يقوم شيء إلا به.

وتنفي الآية عن الله كل مظاهر النقص، فلا تأخذه سنة ولا نوم، وتقرر ملكيته المطلقة لما في السماوات وما في الأرض، وتقطع الطريق على كل تصور للشفاعات الوهمية، إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه. كما تؤكد إحاطة علمه بكل شيء، ظاهرًا وباطنًا، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، دون أن يحده حد أو يقف دونه علم.

وتبلغ الآية ذروة البيان في تصوير سلطان الله، حين تقرر أن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأن حفظهما لا يثقله، فهو العلي العظيم.

المقصد الكلي:

ترسيخ حقيقة السيادة الإلهية المطلقة؛ فكل ما في الوجود صادر عن الله، خاضع له، راجع إليه، ومن استقرت هذه المعاني في قلبه، وعرف آية الكرسي حق المعرفة، **تحرر من الخوف من المخلوق، واستقر في يقين التوكل والطمأنينة.**

---

[1] قال السيوطي:" وَقَالَ ابْنُ الْمُنِيرِ: اشْتَمَلَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ عَلَى مَا لَمْ تَشْتَمِلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ أَنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى سَبْعَةَ عَشَرَ مَوْضِعًا، فِيهَا اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ظَاهِرًا فِي بَعْضِهَا وَمُسْتَكِنًّا فِي بَعْضٍ وَهِيَ: اللَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ضَمِيرُ {تَأْخُذُهُ} "وله" و"عنده" و"بإذنه" و"يعلم" و"علمه" و"شاء" و"كرسيه" و"يؤده" ضَمِيرُ "حِفْظُهُمَا" الْمُسْتَتِرُ الَّذِي هُوَ فَاعِلُ الْمَصْدَرُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وإن عددت الضمائر المحتملة فِي الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَالضَّمِيرُ الْمُقَدَّرُ قَبْلَ الْحَيُّ عَلَى أَحَدِ الْأَعَارِيبِ صَارَتِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ. وَقَالَ الْغَزَالِيُّ: إِنَّمَا كَانَتْ آيَةُ الْكُرْسِيِّ سَيِّدَةَ الْآيَاتِ، لِأَنَّهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ فَقَطْ، لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ ذَلِكَ وَمَعْرِفَةُ ذلك هي المقصد الْأَقْصَى فِي الْعُلُومِ" عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م،ج4ص142-143.

الآيتان (256–257): حرية العقيدة ووضوح الحجة

تؤسس هاتان الآيتان أصلًا محكمًا في المنهج القرآني، وهو أن الإيمان لا يقوم على الإكراه، بل على الاقتناع ووضوح الدليل، كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. فالتوحيد في ذاته نور بيّن، وحجته قائمة بذاتها، لا تحتاج إلى قسر ولا إلى ضغط، لأن الحق إذا اتضح استجاب له القلب السليم طوعًا.

وتربط الآيتان بين الإيمان والولاية، فالإيمان ليس مجرد تصديق ذهني، بل انتقال وجودي من الظلمات إلى النور؛ فمن يتولّ الله، أي يجعله وليّه ومرجعه، فقد دخل في دائرة النور والهداية، وانفصل عن مسارات التيه والضلال. وفي المقابل، فإن الإعراض عن هذا النور هو ارتهان لولاية الطاغوت، وما يترتب عليها من ظلمات متراكبة.

المقصد:

تأكيد أن الهداية اختيار واعٍ، وأن ولاية الله هي الضمانة الحقيقية للتحرر الداخلي، حيث يجتمع صفاء العقيدة مع طمأنينة القلب، في مسار نوراني لا يقوم إلا على الوضوح والاختيار.

الآيات (258–260): مناظرة إبراهيم وآيات الإحياء

تعرض هذه الآيات نموذجًا متكاملًا في بناء الإيمان القائم على الحجة واليقين، من خلال الجمع بين البرهان العقلي والمشاهدة الإلهية.

ففي مناظرة إبراهيم عليه السلام مع النمرود، يقدم القرآن درسًا رفيعًا في أسلوب الجدل العقلي الرصين؛ إذ انتقل إبراهيم من مجادلة الخصم في الدعوى المجردة إلى إلزامه بحجة كونية قاطعة، عندما ربط الربوبية بإحياء الكون وتدبيره، فعجز النمرود عن الرد، وظهر بطلان

دعواه. ويؤكد هذا المشهد أن قوة الحجة لا تكمن في الجدل الطويل، بل في وضوح البرهان وحسن توجيهه.

ثم تنتقل الآيات إلى مشاهد إحياء الموتى، سواء في قصة القرية الخاوية أو في تجربة إبراهيم عليه السلام مع الطير، حيث تتحول القدرة الإلهية من موضوع نقاش إلى واقع مشهود، ولم يكن سؤال إبراهيم طلبًا لإيمان مفقود، بل التماسًا لطمأنينة القلب، كما قال: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾.

الرسالة:

أن الإيمان الحق ليس مجرد اقتناع ذهني أو تسليم نظري، بل هو يقين يجمع بين العقل والقلب، وطمأنينة روحية تقوم على الثقة الكاملة في أفعال الله وسننه، بحيث يتحول الإيمان إلى سكون داخلي وثبات أمام الشك والاضطراب.

الآيات (261–274): منظومة الإنفاق في الإسلام

تؤسس هذه الآيات تصورًا متكاملًا للإنفاق في المنهج الإسلامي، حيث يتحول المال من مجرد أداة تملك إلى وسيلة تزكية وبناء. فيشبّه القرآن الإنفاق في سبيل الله بزرعٍ مبارك، تنبت سنبلة واحدة منه سبعمائة ضعف، في تصوير بليغ يربط العطاء بالإثمار والنماء، لا بالنقص والخسارة.

وتؤكد الآيات أن القيمة الحقيقية للإنفاق لا تقوم على الكم، بل على صفاء المقصد؛ فالصدقة التي يتبعها المنّ أو الأذى تفقد روحها وأثرها، بل قد تنقلب وبالًا على صاحبها. ومن هنا جاء التحذير الصريح من إبطال الصدقات بالرياء أو التحقير، لأن العطاء في جوهره عبادة قلبية قبل أن يكون تصرفًا ماليًا.

كما توسّع الآيات دائرة الإنفاق لتشمل السرّ والعلانية، وفي مختلف الأحوال: في السراء والضراء، في الغنى والضيق، لتؤكد أن العطاء خُلُق دائم لا فعل موسمي، وأن المؤمن الحق هو من يعطي بثبات واتزان، لا بدافع الظهور ولا رهبة الفقر.

المقصد:

بناء إنسان متحرر من عبودية المال، يتربى على العطاء الخالص لله، ويجعل ما في يده جسرًا للترقي الروحي ونيل الثواب الأخروي، حيث يكون المال وسيلة للسمو لا غاية للتفاخر أو السيطرة.

الآيات (275–281): الربا... إعلان الحرب على الله

تأتي هذه الآيات في سياق بالغ الشدة والحسم، لتعرض أخطر تشريع اقتصادي في السورة، بل من أشد ما ورد في القرآن من الوعيد، وهو تحريم الربا وتجريمه تجريمًا قاطعًا. فيفتتح البيان بتصوير مروّع لحال آكلي الربا، الذين يُبعثون مضطربين كالممسوسين، في دلالة على الاختلال النفسي والخلل القيمي الذي يُحدثه الربا في الفرد والمجتمع.

وتفصل الآيات بين البيع المشروع والربا المحرّم، فتقطع كل محاولات التلبيس التي تساوي بينهما، ثم تُبيّن عاقبة الاستمرار في هذا الفعل، وتفتح في الوقت نفسه باب التوبة لمن انتهى ورجع، محافظةً على توازن التشريع بين الزجر والرحمة.

ويبلغ الخطاب ذروته في التهديد غير المسبوق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. وهو إعلان صريح بأن الربا ليس مجرد معصية فردية، بل عدوانٌ على نظام العدالة الإلهية، وتخريب لبنية الاقتصاد القائم على التكافل والإنصاف.

الرسالة:

أن الأمة التي تُقنّن الربا أو تتساهل فيه إنما تدخل في مواجهة مع القيم الإلهية، وتحوّل الاقتصاد من أداة للبناء والتنمية إلى وسيلة للظلم والاستغلال. فالاقتصاد في التصور الإسلامي لا يكون صالحًا إلا إذا كان طاهرًا في أصوله، عادلًا في مساراته، خادمًا للإنسان لا مستعبدًا له.

الآية (282): أطول آية في القرآن – آية الدين

تقدّم هذه الآية نموذجًا دقيقًا لبناء المعاملات المالية على أسس سليمة، بعيدًا عن العشوائية والضعف في التطبيق، فهي توضح تفاصيل توثيق الديون، والإشهاد عليها، وكتابة العقود بطريقة تحفظ الحقوق وتحقق العدالة. ومن خلال هذا التفصيل، يؤكد القرآن أن الثقة في المعاملات المالية لا تُبنَى بالشعارات أو النوايا الطيبة وحدها، بل بالوضوح، والنظام، والتوثيق، والالتزام بالعدل بين الأطراف.

المقصد:

تحقيق الأمانة والعدل في التعامل المالي، وجعل النظام والوثائق ضمانًا لاستقرار المجتمع واقتصاده، بحيث لا تُفسد الثقة بين الناس بالغبن أو الغش.

الآيات (283–284): الأمانات والسرائر

تستكمل هذه الآيات رسم إطار أوسع للأمانة، بدءًا من التوثيق بالرهن إذا تعذّر وجود كاتب، لضمان الحقوق، ثم الانتقال إلى المعاني الروحية العليا: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾. فهي تذكّر بأن الله عليم بالسرائر والخفايا، وأنه محاسب على ما تخفيه النفوس وما تحمله القلوب من نوايا وأفكار، سواء أُظهرت أم بقيت مخفية.

الرسالة:

أن الإسلام لا يقيم العدالة على الظاهر فحسب، بل يشمل السرائر والنوايا، ويؤكد أن الأمانة الحقيقية تبدأ من ضبط النفس والقلب قبل ضبط المعاملات، فالخوف والرجاء في الله هما ضمان الطهارة والصدق في كل ما يصدر عن الإنسان.

الآيتان (285–286): ختام سورة البقرة – إعلان طاعة الأمة

تختتم سورة البقرة بإعلان جامع لمكانة الأمة المؤمنّة وواجبها تجاه ربّها ورسوله. فالتأكيد على إيمان الرسول ﷺ بالمطلوب من الوحي، وإيمان المؤمنين معه، يرسم صورة الوحدة الإيمانية التي تقوم على الطاعة والوفاء بالعهود: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾.

وتشير الآية الأخيرة إلى حكمة تشريعية كبرى، وهي أن الله لا يكلف النفس إلا طاقتها، فتضع حدود القدرة الإنسانية في مقابل مسؤولياتها، وتربّي على الصبر والتوكل، وتخفف عن المؤمن عبء الاستحالة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

وتكتمل الرسالة الختامية بالإعلان الجماعي: سماع الطاعة واعتراف بالمسؤولية، وطلب المغفرة، والنصر، والرحمة، وهو إعلان عهد بين الأمة وربّها.

المقصد:

أن الأمة التي بلغت الرشد الإيماني، وعاهدت ربها بصدق، صارت أهلًا للاستخلاف والتمكين والنور، بحيث يجتمع الطاعة واليقين والعمل، ويصبح المجتمع المؤمن مستعدًا لحمل الرسالة وتحقيق مقاصد الله على الأرض.

الخلاصة المقاصدية والاستراتيجية

لختام سورة البقرة–الآيات: (243–286)

تركّز الآيات على بناء الفرد والمجتمع على أسس متكاملة من الطاعة والإيمان والعمل، بحيث تشمل التربية على الجهاد والقيادة، إذ تُعلم الثبات على الحق وتحمل الابتلاء، وتشكل العقيدة القويمة من خلال ترسيخ يقين التوحيد والربوبية.

وفي المجال الاقتصادي، تؤكد الآيات تحريم الربا وتنظيم الديون لضمان عدل المعاملات واستقرار المجتمع، وتشجع على الإنفاق الخالص الذي لا يشوبه رياء، ليكون المال وسيلة للترقي الروحي والأخروي. كما تحث على التوثيق لضمان حفظ الحقوق والمعاملات بين الناس، بما يعزز الثقة والنظام.

وتختتم المنظومة بالإعلان عن الخضوع لله، من خلال طاعة جماعية والتزام العبودية، ما يرسّخ مسؤولية الأمة في حمل الرسالة وتحقيق مقاصد الله على الأرض.

الرسالة الكبرى لخاتمة السورة:

لا تصل الأمة إلى مقام "الاستخلاف" حتى تُثبت صدقها في الجهاد، ونزاهتها في الاقتصاد، ونقاوتها في التوحيد، واستقامتها في التعامل، واستسلامها الكامل لله ورسوله... وعندها تُفتح أبواب النور والتوفيق والنصر.

للتأمل الذاتي:

تدعو هذه الآيات إلى وقفة صادقة مع النفس، حيث يُمتحن الإيمان في أبعاده العقلية، الروحية، والسلوكية. فهل يشبه إيماني إيمان إبراهيم عليه السلام في النقاش مع الخصم وفي التسليم الكامل لأمر الله، أم أن عقلي قلّما يطمئن إلى الحق؟

وهل أحرص على الطهارة المالية، بالابتعاد عن الربا والحرام، وبالتوثيق الدقيق للمعاملات، أم أغفل ذلك وأجعل المال مجالًا للخطأ والظلم؟ وهل يكون إنفاقي صادقًا وخالصًا لله، أم أخلطه بالمنّ والرياء؟

كما تدعوني الآيات إلى مراعاة كل كلمة أقولها، سواء في البيع أو في القَسَم، والاهتمام بالصدق والعدل في كل تعامل. وأخيرًا، هل قلبي يقول بصدق: "سمعنا وأطعنا"، ملتزمًا بالعبودية والطاعة، أم أكتفي بالقول دون أثر حقيقي، فيصبح الإعراض أو العصيان بلا وعي؟

التأمل هنا يربط بين العقيدة والسلوك، بين اليقين والواقع، ليكون الإيمان حاضرًا في القلب والفعل معًا.

الملخص الشامل للسورة:

سورة البقرة هي دستور الأمة المسلمة فهي تبدأ ببناء الإيمان والتقوى في نفوس المؤمنين وتوضح طريق الحق والابتعاد عن الباطل ثم تعرض انحراف بني إسرائيل في الماضي

لتكون عبرة للأمة الجديدة وتوضح السورة **قيام أمة وسط** بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم تحمل رسالة الهداية وتضع أسس الأمة الصالحة على قواعد متينة من الإيمان والعمل والتزكية

تتضمن السورة **بناء الفرد والمجتمع من الداخل** فهي تهتم بتنمية النفس الصابرة وبناء مجتمع متراحم قائم على العدالة والرحمة كما تنظم العلاقات الأسرية والمالية وتضع تشريعات العبادات والمعاملات بحيث يكون **العدل والإنصاف** هو المعيار في كل شيء كما تؤكد على الجهاد والاقتصاد النظيف والبيعة الجماعية لله مما يرسخ الاستقرار والتمكين للأمة

تركز السورة على التوحيد الكامل والخضوع الكامل للوحي ورفض التحايل الديني والتاريخي كما تعلم الأمة **الصدق والتضحية والعمل الجماعي وتحذر من عبودية الهوى والمال** وتؤكد على أن الأمة مسؤولة عن الشهادة على الناس وقيادتهم نحو الخير

تقدم السورة رسائل تربوية في شتى المجالات فالإيمان يجب أن يترجم في الواقع والأسرة يجب أن تقوم على العدل والرحمة والاقتصاد يجب أن يكون طاهر والعبادة تهذيب للنفس والجهاد باليقين والمجتمع أساسه الرحمة والعدل والقيادة تحتاج إلى خليفة مؤمن عادل علم مستقيم

تتوج السورة بآيات محورية لكل محور من البناء الروحي والاجتماعي والاقتصادي والقيادي وتشمل آية الخلافة وآية الأمة الوسط وآية البر وآية الصيام وآية الإنفاق وآية الربا وآية الدين وآية الخضوع الكامل لتوضح كل مقصد من مقاصد السورة

وتختم السورة بإعلان إيماني جماعي يظهر البيعة النهائية للأمة مع ربها والاعتراف بالربوبية وطلب المغفرة والثبات في الطاعة مما يهيئ الأمة لتحمل القيادة والتمكين ونشر قيم الهداية والعدل على الأرض

وعليه فسورة البقرة ليست مجرد أطول سورة في القرآن بل هي **وثيقة التأسيس الأعظم** لكل فرد يريد أن يكون عبدًا ربانيًا ولكل مجتمع يريد أن يُصبح أمة وسطًا ولكل أمة تريد أن تقود البشرية بنور الوحي.

سورة آل عمران

الاسم والدلالة:

سُميت السورة باسم "**آل عمران**"[1] ؛ لأنّها تعرض نموذجًا ربانيًا لأسرة صالحة حملت رسالة في زمن الفتن، وقدّمت رموزًا تربوية عظيمة:

آل عمران – مريم – عيسى – زكريا – يحيى.

إذًا السورة تطرح:
نماذج من بيت النبوة تقابل انحرافات أهل الكتاب، ثم تربّي أمة محمد ﷺ على الإيمان والتثبيت والجهاد.

المقصد العام لسورة آل عمران:

تثبيت الأمة المسلمة في وجه حملات التشكيك والتهويل والفتن، وتربيتها على الثبات، والوحدة، والجهاد، والانتصار للحق، من خلال عرض نماذج صادقة من آل عمران، ومن خلال كشف تحريفات أهل الكتاب، وتحليل وقائع غزوة أُحد.

[1] يقول السمعاني:" لقد ورد فِي فضل هَذِه السُّورَة وَسورَة الْبَقَرَة أَخْبَار مِنْهَا: مَا رُوِيَ عَن رَسُول الله [أَنه] قَالَ: " تعملوا الْبَقَرَة وَآل عمرَان فَإِنَّهُمَا الزهروان تظلان صَاحبهمَا يَوْم الْقِيَامَة ".وروى عَنهُ أَنه قَالَ: " تَجِيء الْبَقَرَة وَآل عمرَان يَوْم الْقِيَامَة كَأَنَّهُمَا غمامتان أَو غيايتان أَو فرقان من طير صواف ". أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م،ج1ص291.

البنية الموضوعية للسورة

1. التوحيد والقرآن (1–13): يقرر القرآن في مطلع السورة أن الوحي هو الحق الذي لا ريب فيه، وأنه الميزان الذي تُعرف به الهداية من الضلال، فيرسّخ مبدأ التوحيد ويجعل القرآن مرجعًا أعلى في العقيدة والمعرفة.

2. آل عمران والاصطفاء (14–63): تعرض السورة قصة مريم وعيسى عليهما السلام، وتبين سنّة الاصطفاء الإلهي، مع معالجة الحوار مع أهل الكتاب حول حقيقة عيسى وطبيعة الرسالة، في إطار تثبيت التوحيد وتصحيح المفاهيم.

3. دعوة أهل الكتاب (64–120): تتضمن هذه المقاطع مناظرات قرآنية مع أهل الكتاب، وتذكيرًا بميثاق التوحيد الذي يجمع الرسالات، ودعوة إلى العودة إلى الأصل الإبراهيمي الخالص.

4. مواجهة أُحد (121–180): تتناول السورة أحداث غزوة أُحد، لا بوصفها رواية تاريخية فحسب، بل مدرسة تربوية تكشف أسباب النكسة، وتغرس دروس القيادة والطاعة والثبات بعد الشدائد.

5. الخاتمة التربوية (181–200): تختتم السورة بدعوة جامعة إلى الثبات على الإيمان، وتعميق التقوى، وملازمة الصبر والجهاد والرباط، بما يؤهل الأمة لحمل الرسالة ومواجهة التحديات.

أهم المقاصد التربوية في السورة:

تتضمن السورة جملة من المقاصد التربوية العميقة التي تهدف إلى بناء وعي المؤمن وترسيخ ثباته العقدي والسلوكي في مواجهة التحديات الفكرية والعملية. ويأتي في مقدمة هذه المقاصد الرد على الشبهات الدينية التي أثيرت حول أصول الإيمان، سواء ما يتعلق بالعقيدة أو النبوة

أو مصدرية القرآن. فقد عالجت السورة هذه الشبهات بمنهج يجمع بين الحجة العقلية والبيان القرآني، لتؤكد صفاء التوحيد وصحة الرسالة، وتبين أن الوحي الإلهي هو المصدر الحق للهداية والمعرفة.

ويرتبط بذلك مقصد تربوي آخر يتمثل في بناء الثقة بالوحي وتاريخ النبوات، حيث تعرض السورة نماذج من مسيرة الأنبياء والاصطفاء الإلهي، مثل قصة مريم وعيسى عليهما السلام، لتوضح أن الرسالات سلسلة متصلة يقودها الوحي الإلهي، وأن رسالة الإسلام امتداد لهذا التاريخ النبوي، وليست قطيعة معه. ومن خلال هذا العرض يتعمق في نفس المؤمن الشعور بالانتماء إلى خط الهداية الممتد عبر التاريخ.

وفي سياق الحوار مع أهل الكتاب، تكشف السورة تناقضاتهم وتحريفاتهم التي طرأت على الرسالات السابقة، فتبيّن كيف وقع بعضهم في تحريف النصوص أو تأويلها بما يخدم أهواءهم ومصالحهم، وكيف أدى ذلك إلى الابتعاد عن حقيقة التوحيد التي جاءت بها جميع الأنبياء. وليس المقصود من هذا العرض مجرد النقد، بل تحذير الأمة الجديدة من الوقوع في المسارات نفسها التي أدت إلى انحراف الأمم السابقة.

كما تعالج السورة جانبًا تربويًا مهمًا يتمثل في تثبيت المؤمنين بعد أحداث غزوة أُحد، حيث واجه المسلمون تجربة صعبة من الخوف والهزيمة والابتلاء. فجاء الخطاب القرآني ليكشف أسباب ما وقع من خلل، ويحول التجربة إلى درس تربوي في الطاعة والانضباط والثبات، ويؤكد أن الابتلاء سنة إلهية تهدف إلى تربية الأمة وتمييز الصادقين من غيرهم.

وتنتهي السورة بدعوة جامعة إلى الوحدة والصبر والرباط، إذ تؤكد أن بقاء الأمة وقوتها مرتبطان بتماسكها الداخلي والتزامها بالتقوى والصبر في مواجهة التحديات. فالوحدة ليست مجرد شعار، بل هي التزام أخلاقي وسلوكي يقوم على التعاون في الحق والثبات عليه، بما يضمن استمرار الأمة في أداء رسالتها وحمل أمانة الهداية بين الناس.

ففي المقطع الاول:

الآيات من (1–13): التوحيد والقرآن والميزان

﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ ..﴾ تثبيت اليقين[1]: الله حي قيوم.

- القرآن حق، ويُصدق ما بين يديه.
- أهل الزيغ يتبعون المتشابه... أما الراسخون، فيقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ .

الرسالة:

لا يثبت في الفتن إلا من رسخ قلبه في الوحي، واستقام عقله على ميزان الله.

تتناول الآيات من (14–63) عرضًا متدرجًا لقصة آل عمران في سياق الرد على التصورات العقدية الخاطئة، ولا سيما ما ارتبط منها بعقيدة النصارى في شأن عيسى عليه السلام، فتبدأ الآيات بالتنبيه إلى فتنة الدنيا وزينتها، وما قد تثيره في النفس من ميل إلى الهوى والانشغال بالمظاهر، لتلفت النظر إلى ضرورة تجاوز هذه الفتن بالتوجه إلى الحق والارتباط بالهداية الإلهية.

ثم تنتقل الآيات إلى قصة عمران وأسرته، مبرزةً نشأة مريم عليها السلام وتربيتها في رعاية الله، وما أحاط بها من عناية إلهية خاصة، لتكون مثالًا للطهر والاصطفاء، ويأتي هذا

---

[1] يقول الطبري:" وأما معنى قوله: "لا اله إلا هو"، فإنه خبرٌ من الله جل وعز، أخبرَ عبادَه أن الألوهية خاصةٌ به دون ما سواه من الآلهة والأنداد، وأن العبادة لا تصلحُ ولا تجوز إلا له لانفراده بالربوبية، وتوحُّده بالألوهية، وأن كل ما دونه فملكه، وأنّ كل ما سواه فخلقه، لا شريك له في سلطانه ومُلكه" أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص.ب: ٧٧٨٠الطبعة: بدون تاريخ نشر، ج6ص148.

التمهيد تمهيدًا للحديث عن ولادة عيسى بن مريم عليه السلام، حيث يعرض القرآن حقيقة هذه المعجزة في إطارها الصحيح، مبينًا أن عيسى وُلد بكلمة من الله، وأنه بشر رسول أرسله الله بالهداية، وليس ابنًا لله كما زعمت بعض العقائد.

ويؤكد القرآن هذا المعنى من خلال المقارنة بعلاقة آدم عليه السلام بالخلق، فكما خلق الله آدم من تراب دون أب ولا أم، فإن خلق عيسى من غير أب ليس أمرًا يخرج عن القدرة الإلهية. وبهذا البيان تتضح حقيقة الرسالة ويزول الالتباس العقدي.

وتُختتم هذه المقاطع بالدعوة إلى المباهلة، وهي أسلوب قرآني حاسم في حسم الجدل بعد إقامة الحجة، حيث يُدعى المختلفون إلى الاحتكام إلى الله في كشف الحق وإظهار الصادق من المبطل، وبذلك يجمع الخطاب القرآني بين عرض التاريخ، وتصحيح العقيدة، وإقامة الحجة في إطار حوار رصين مع أهل الكتاب.

الرسالة:

الإيمان الحق لا يتبع الخرافة، بل يقوم على الوحي والمعجزة والتقوى، كما فعل آل عمران.

تتناول الآيات (64–120) جانبًا مهمًا من الحوار القرآني مع أهل الكتاب، حيث تبدأ بدعوتهم إلى أصل جامع تقوم عليه جميع الرسالات، وهو التوحيد الخالص، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ .، أي إلى مبدأ مشترك يقوم على عبادة الله وحده دون شريك، ونبذ كل صور الشرك والانحراف العقدي. وهذه الدعوة تُظهر أن الإسلام لا يبدأ بالمواجهة، بل بالعودة إلى القاعدة الإيمانية التي تجمع بين الرسالات.

وفي سياق هذا الحوار، يكشف القرآن بعض الممارسات التي أدت إلى انحراف طائفة من أهل الكتاب عن جوهر الرسالة، فيبيّن أنهم لبسوا الحق بالباطل، فخلطوا بين الحقيقة

والتحريف، كما أظهر بعضهم حسدًا للمؤمنين لما آتاهم الله من فضله، ونقضوا العهود التي أخذت عليهم، وحرّفوا الكلم عن مواضعه بما يخدم أهواءهم ومصالحهم.

ولا يقف الخطاب عند مجرد بيان هذه الانحرافات، بل يتجه أيضًا إلى تحذير الأمة المسلمة من التأثر بهذه المسارات أو الوقوع في مثلها، فينبه المؤمنين إلى خطورة الموالاة التي تفضي إلى الذوبان العقدي أو الفكري، ويدعوهم إلى اليقظة والحفاظ على استقلالهم الإيماني ومنهجهم القائم على التوحيد والصدق مع الله، وبذلك يجمع هذا المقطع بين الدعوة بالحكمة، وكشف الانحراف، وتربية الأمة على الوعي والحذر.

الرسالة:

من لم يرسّخ عقيدته ويتفطّن للمؤامرات الثقافية، سيذوب في الكيان المعادي.

تتناول الآيات (121–180) عرضًا تفصيليًا لأحداث غزوة أُحد، لا بوصفها رواية تاريخية مجردة، بل باعتبارها مدرسة تربوية عميقة تكشف عن أبعاد نفسية واستراتيجية في بناء الجماعة المؤمنة.

يبدأ العرض بذكر خروج المسلمين من المدينة استعدادًا للمواجهة، وما صاحب ذلك من مشاورات وتباين في الرأي حول موقع المعركة، ثم ما وقع من تراجع بعض الأطراف عن القرار الذي استقر عليه النبي ﷺ، الأمر الذي كشف عن تفاوت مستويات الثبات والإيمان داخل الصف.

ويمضي السياق القرآني في بيان ما جرى أثناء المعركة، حيث كان لمخالفة الرماة للأمر النبوي وترك مواقعهم أثر حاسم في تغير مجرى القتال، إذ استغل العدو هذا الخلل ليقلب موازين المعركة. ومع هذا التحول المفاجئ انتشرت شائعة مقتل النبي ﷺ، فاهتزت نفوس بعض المسلمين، وظهرت آثار الاضطراب والصدمة في صفوفهم. وقد عانى المؤمنون في

تلك اللحظات من الجراح والألم والانكسار النفسي، غير أن الصف عاد تدريجيًا إلى التماسك، واستعاد المؤمنون قدرتهم على الصمود بعد أن أدركوا طبيعة الابتلاء الذي يمرون به.

وفي خضم هذا العرض، يصحح القرآن بعض المفاهيم العقدية التي قد تتزعزع في أوقات الشدة، مؤكّدًا أن ارتباط المؤمن بالرسالة لا يجب أن يكون مرهونًا بوجود القائد أو غيابه، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾. فالدعوة إلى الله باقية، والرسالة مستمرة، ولا ينبغي أن تتوقف عند شخص مهما كان قدره ومكانته.

كما تحذر الآيات من بعض الأمراض القلبية التي قد تظهر في أوقات الابتلاء، مثل ضعف الإيمان، والشح، والتعلق المفرط بالدنيا، مبينة أن هذه العوامل كانت من أسباب الخلل الذي وقع في المعركة، ومن خلال هذا التحليل للأحداث، يتضح أن القرآن لا يكتفي بسرد الوقائع، بل يحوّلها إلى دروس تربوية تهدف إلى إصلاح النفس وتزكية المجتمع.

الرسالة:

وتبرز الرسالة المركزية لهذا المقطع في أن الهزيمة ليست نهاية للأمة، بل قد تكون لحظة مراجعة وتصحيح تعيد إليها وعيها وتماسكها، فالابتلاء يكشف الصادق من المنافق، ويعلّم الجماعة المؤمنة معنى الثبات والطاعة والانضباط، ويهيئها لمراحل أكثر نضجًا وقوة في مسيرتها.

تتضمن الآيات (181–200) الخاتمة التربوية الجامعة لسورة آل عمران، حيث يجمع القرآن فيها بين تصحيح المفاهيم العقدية، وتوجيه السلوك الجماعي للأمة، وترسيخ القيم التي تحفظ تماسكها في مواجهة التحديات. ويبدأ هذا المقطع بالإشارة إلى جانب من الصراع العقدي مع

اليهود، وذلك من خلال كشف بعض أقوالهم المنحرفة، كما في قوله تعالى:﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ ، وهو قول يجسد انحرافًا في التصور العقدي نابعًا من نظرة مادية ضيقة، إذ يقيس أصحابه العلاقة مع الله بمعايير المال والمكسب الدنيوي. ويأتي الرد القرآني ليبطل هذا التصور، ويبين أن الغنى المطلق لله تعالى، وأن ما لدى الإنسان من مال إنما هو أمانة وابتلاء.

وفي هذا السياق يدعو القرآن إلى الإنفاق في سبيل الله، محذرًا من الشح والبخل اللذين يفسدان العلاقات الاجتماعية ويضعفان روح التضامن داخل المجتمع المؤمن. فالإنفاق ليس مجرد عمل مالي، بل هو مظهر من مظاهر الثقة بالله، ودليل على تحرر القلب من عبودية المال، وبناءٌ لقيم التكافل والتراحم بين أفراد الأمة.

ثم تختم السورة بجملة من التوجيهات الجامعة التي تمثل برنامجًا تربويًا متكاملاً لحفظ قوة الجماعة المؤمنة واستمرارها في طريق الحق، وذلك في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾. ففي هذه الآية تتجلى أركان الثبات في حياة الأمة؛ فالصبر أساس مواجهة الشدائد، والمصابرة تعني الثبات في مواجهة الخصوم وعدم الاستسلام للضغوط، والرباط يدل على اليقظة الدائمة والاستعداد المستمر لحماية الدين والمجتمع، أما التقوى فهي الضابط الداخلي الذي يحفظ هذه القيم ويجعلها خالصة لله.

الرسالة:

ومن خلال الخاتمة السابقة يتضح أن رسالة السورة تؤكد أن النصر لا يتحقق إلا بالصبر، وأن الصبر الحقيقي لا يقوم إلا على التقوى، وأن التقوى بدورها تحتاج إلى ارتباط دائم بالله تعالى، وإلى تماسك جماعي يحفظ للأمة وحدتها وقوتها في مواجهة التحديات.

خلاصة تفسير سورة آل عمران:

تتجلى خلاصة تفسير سورة آل عمران في مجموعة من الأبعاد المتكاملة التي تعالج بناء العقيدة، ووعي التاريخ، وتربية الأمة، وتوجيه مسارها في مواجهة التحديات، ففي البعد العقدي تؤكد السورة تثبيت التوحيد وترسيخ حقيقة الرسالة، مع تصحيح الانحرافات العقدية التي وقعت فيها بعض الطوائف، ولا سيما ما يتعلق بعقيدة النصارى في شأن عيسى عليه السلام، حيث يبيّن القرآن حقيقة نبوته وبشريته ويعيد الأمور إلى أصلها القائم على التوحيد الخالص.

وفي البعد التاريخي تعيد السورة إحياء النموذج الرباني الذي تمثله أسرة آل عمران، من خلال عرض قصة مريم وعيسى عليهما السلام وما ارتبط بها من مظاهر الاصطفاء الإلهي والتربية الإيمانية، وذلك في مقابل ما وقع فيه بعض أهل الكتاب من تحريف للرسالات وتبديل للعهود، لتكون هذه المقارنة التاريخية درسًا في كيفية حفظ الرسالة أو ضياعها.

أما في بعد الجهاد، فتوضح السورة دور الأمة في الثبات في أوقات المحن، كما يظهر في عرض أحداث غزوة أُحد وما تضمنته من دروس في تصحيح مسار الهزيمة وتحويلها إلى فرصة للتربية والمراجعة. فالابتلاء يكشف مواطن الضعف ويعيد بناء الصف على أساس الطاعة والانضباط والثقة بالله.

وفي البعد التربوي تركز السورة على جملة من القيم الأساسية التي تحفظ للأمة قوتها واستقامتها، مثل الصبر والمصابرة والرباط والمراقبة الدائمة لله تعالى، إضافة إلى تحصين المؤمنين من الشبهات الفكرية والعقدية التي قد تضعف يقينهم أو تربك وعيهم.

وأخيرًا، في بعد القيادة والتنظيم الاجتماعي تكشف السورة خطر المنافقين ودورهم في إضعاف الصف الداخلي، وتدعو إلى اليقظة والوعي الجماعي الذي يمكّن الأمة من مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، ويضمن بقاءها متماسكة في طريقها نحو تحقيق رسالتها.

الربط بين البقرة وآل عمران:

يتجلى الترابط بين سورتي البقرة وآل عمران في كونهما تشكلان معًا مرحلة متكاملة في بناء الأمة القرآنية. فسورة البقرة تمثل مرحلة التأسيس الكبرى، حيث تُبنى فيها معالم الأمة على أسس واضحة من التوحيد والتشريع والطاعة لله تعالى، وفيها تُرسم قواعد الحياة الإيمانية والاجتماعية، وتُوضع الأحكام التي تنظم علاقة الإنسان بربه وبالمجتمع من حوله، كما تُربّى النفوس على الاستسلام للوحي والالتزام بأوامره دون تحايل أو تردد.

أما سورة آل عمران فتمثل مرحلة التثبيت والتحصين بعد التأسيس، إذ تواجه التحديات التي تعترض الأمة في مسيرتها، سواء كانت تحديات فكرية وعقدية من خلال الحوار مع أهل الكتاب والرد على الشبهات، أو تحديات عسكرية واجتماعية كما يظهر في معالجة أحداث غزوة أُحد وما رافقها من دروس في الثبات والصبر وتصحيح الأخطاء.

وبذلك يمكن القول إن سورة البقرة تؤسس الأمة وتضع قواعد بنائها، بينما تأتي سورة آل عمران لتحصّن هذا البناء وتعدّه لمواجهة الصراعات الفكرية والدينية والعسكرية. فالأولى تركز على تربية الجيل وبناء وعيه الإيماني والتشريعي، أما الثانية فتتجه إلى تدريب هذا الجيل على الصمود والثبات في ميدان الابتلاء والتحدي.

للتأمل الذاتي:

تفتح هذه المعاني باب التأمل الذاتي أمام القارئ، فتدعوه إلى مراجعة موقعه من القيم التي عرضتها السورة، فالسؤال الأول يتجه إلى مقارنة النفس بالنموذج الرباني الذي جسدته أسرة آل عمران في الطاعة والتسليم والتضحية، أو بالنموذج الآخر الذي ظهر عند بعض أهل الكتاب حين غلب عليهم الجدل والتحريف والابتعاد عن روح الوحي، وهو سؤال يوقظ الضمير ليتساءل الإنسان: إلى أي الطريقين يقترب سلوكي ووعيي؟

ثم ينتقل التأمل إلى اختبار قوة الإيمان في مواجهة التحديات المعاصرة، فيسأل الإنسان نفسه هل تبقى روحه ثابتة عندما يواجه شبهة فكرية، أو شهوة مغرية، أو ضغطًا إعلاميًا يربك القيم ويشوّش الوعي، أم أنه يتزعزع مع أول موجة من الفتن؟

كما يدعو هذا التأمل إلى مراجعة التجارب الشخصية في ضوء الدرس القرآني في غزوة أُحد؛ فالهزيمة في حياة الإنسان ليست نهاية الطريق، بل فرصة للمراجعة والتعلم وإعادة البناء. والسؤال هنا: هل أتعامل مع إخفاقاتي بوصفها دروسًا للتصحيح والنهوض، كما فعلت الأمة عندما أعادت قراءة تجربة أُحد؟

ويختم هذا التأمل بسؤال أعمق يتعلق بمعنى الرباط في الحياة اليومية؛ فالرباط ليس مجرد استعداد عسكري، بل حالة يقظة دائمة يعيشها المؤمن، تشمل رباط النفس على الطاعة، ورباط العقل على الوعي والبصيرة، ورباط الزمن على استثمار العمر في ما ينفع، وهكذا يتحول الرباط إلى أسلوب حياة يقوم على الثبات واليقظة والارتباط المستمر بالله.

والآن إلى سورة النساء، حيث ينتقل القرآن إلى بناء العدالة الاجتماعية والتشريعات المفصلة للأسرة والمجتمع والدولة

سورة النساء

الاسم والدلالة

سُمِّيت هذه السورة بـ **سورة النساء**[1] لأن خطابها يدور منذ مطلعها إلى ختامها حول قضايا المرأة، واليتيم، والضعيف، والمظلوم، في إطار منظومة شاملة للعدل الاجتماعي والحقوقي. فهي لا تتناول المرأة بوصفها مسألة جزئية، بل باعتبارها مِحكًّا لعدالة المجتمع كله، ومؤشرًا

[1] يقول الحلاق القاسمي:" لطيفة: إنما سميت سورة النساء، لأن ما نزل منها في أحكامهن أكثر مما نزل في غيرها." محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ،ج3ص4.

على سلامة بنيانه الأخلاقي والتشريعي. ومن هنا استحقت السورة أن تُوصَف بحق بأنها **دستور العدالة والحماية في دولة الإسلام**؛ إذ تؤسس لمجتمع تُصان فيه الحقوق، وتُحفظ فيه الكرامة الإنسانية، ويُمنع فيه الاستغلال والظلم.

المقصد العام للسورة

المقصد الكلي لسورة النساء هو **تأسيس مجتمع إسلامي عادل**، يقوم على صيانة الحقوق، وحماية الفئات المستضعفة، وتنظيم العلاقات الأسرية والاجتماعية والسياسية، مع إعداد الأمة للقيام بدور القيادة بالحق، ومواجهة الانحرافات الداخلية والخارجية التي تهدد هذا البناء.

فالسورة تجمع بين التشريع والتربية، وبين العدالة الاجتماعية والوعي السياسي، في صياغة نموذج حضاري متكامل.

البنية الموضوعية للسورة

تبدأ السورة بمقدمة قوية تُرسّخ مبدأ العدل والإصلاح الاجتماعي، من خلال العناية باليتيم، وتنظيم الميراث، وضبط قضايا الزواج، وحماية الحقوق المالية والشخصية، لتؤكد أن العدالة تبدأ من أضعف حلقة في المجتمع. ثم تنتقل إلى تفصيل تشريعات الأسرة والمجتمع، فتتناول أحكام النكاح، والصداق، والعلاقات المالية، وقضايا القتال، مع كشف مواقف المنافقين الذين يُظهرون الولاء ويُضمرون الخيانة.

بعد ذلك تُعالج السورة قضايا القيادة والولاء، فتُقرر طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، ووحدة الأمة، وتفضح شبكات النفاق الداخلي التي تُهدد الصف من داخله، وتُربك القرار السياسي والعسكري. وتُختتم السورة بخاتمة جامعة تُعيد التذكير بعدالة الله المطلقة، وتُصحّح الانحرافات العقدية، وتُوحّد بين نظام الوراثة والتشريع، لتؤكد أن الشريعة كلٌّ متكامل لا يقبل التجزئة.

المقاصد التربوية والتشريعية الكبرى

ترتكز سورة النساء على جملة من المقاصد العميقة، في مقدمتها حماية المستضعفين، وعلى رأسهم النساء، والأيتام، والعبيد، بوضع تشريعات تمنع الظلم وتكفل الكرامة. كما تُنظّم الأسرة على أساس العدل والرحمة، لا على أساس الاستبداد أو الهوى، وتُبيّن معالم القيادة والطاعة في الدولة الإسلامية، بما يحقق الانضباط دون طغيان.

وتتولى السورة تفكيك شبكات النفاق الداخلي، وكشف خطورتها على وحدة الأمة وأمنها، مع بيان الضوابط الشرعية للجهاد، والتمييز الدقيق بين الدفاع المشروع والعدوان المحرّم. وفي بُعدها العالمي، تُقرّر السورة مبدأ العدالة بين الشعوب، وتحذّر من الكيل بمكيالين، مؤكدة أن رسالة الإسلام قائمة على العدل المطلق، لا على العصبية أو المصالح الضيقة.

افتتاح السورة – العدالة وحماية الضعيف (الآيات 1–28)

تفتتح سورة النساء بنداءٍ إنسانيٍّ عام يتجاوز حدود الانتماء والدين، موجِّهًا الخطاب إلى الناس كافة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾، لتُقرر منذ اللحظة الأولى مبدأ المساواة الإنسانية، وتؤسس العدالة الاجتماعية على قاعدة الخلق الواحد، فلا تفاضل في الأصل، ولا شرعية لأي تمييز ظالم. ويأتي هذا الافتتاح ليجعل التقوى هي الميزان الحاكم لكل العلاقات والحقوق.

ثم تتنزل السورة من هذا الأصل الكلي إلى تفاصيل الواقع الاجتماعي، فتُعنى عناية خاصة بأموال اليتامى، فتحرّم أكلها أو التلاعب بها، وتوجب حفظها وتنميتها، باعتبار اليتيم أضعف أفراد المجتمع وأحوجهم إلى الرعاية.

كما تُقوّم العلاقة بين الرجل والمرأة، فتدعو إلى القسط في النساء، وتنظّم شؤون الزواج والمهور، وتمنع استغلال الحاجة أو القوة لظلم الطرف الأضعف.

وتُحذّر الآيات تحذيرًا شديدًا من أكل أموال الناس بالباطل، وتربط ذلك بفساد المجتمع واختلال ميزان العدل فيه.

ويُبرز هذا المقطع أن التشريع في الإسلام ليس أحكامًا معزولة، بل هو منظومة متكاملة تهدف إلى صيانة الكرامة الإنسانية، وضمان الحقوق، ومنع تحوّل القوة أو القرابة أو السلطة إلى أداة ظلم.

الرسالة:

إن المجتمع الإسلامي لا يُبنى إلا على حماية الضعيف، وإقامة القسط بين الناس جميعًا، وجعل التقوى أساس العلاقات والحقوق.

تشريعات المعاملات والجهاد والدفاع (الآيات 29–42)

تواصل سورة النساء في هذا المقطع بناء منظومة العدل، فتُحذّر تحذيرًا صريحًا من أكل أموال الناس بالباطل، وتربط بين الفساد المالي واختلال القيم، معتبرةً أن الظلم الاقتصادي من أخطر أسباب تفكك المجتمعات وسقوطها.

وتؤكد الآيات أن صيانة المال جزء لا يتجزأ من صيانة الكرامة الإنسانية، وأن أي اعتداء على حقوق الناس المالية هو عدوان على أصل العدل الذي قامت عليه الشريعة.

ومن هذا الأساس الحقوقي، تنتقل السورة إلى تقرير مبدأ الجهاد بوصفه ضرورة أخلاقية وشرعية لحماية الإنسان والدفاع عن المستضعفين، فتستنهض الضمائر بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾، لتجعل القتال في الإسلام مرتبطًا بنصرة المظلومين، لا بالعدوان ولا بالهيمنة، فالجهاد هنا امتدادٌ طبيعي لمنظومة العدل، ووسيلة لحماية الحقوق حين تعجز الوسائل الأخرى عن ذلك.

ويُبرز هذا المقطع أن الشريعة تجمع بين ضبط الداخل بالعدل في المعاملات، وحماية الخارج بالقوة المنضبطة، لتظل الأمة قائمة على ميزان الحق، قادرة على الدفاع عن نفسها وعن غيرها من المستضعفين.

الرسالة:

إن الجهاد في الإسلام ليس اعتداءً ولا توسعًا في القتل، بل هو واجبٌ أخلاقي وشرعي لنصرة المظلوم، وحماية العدالة حين تُستباح الحقوق.

المنافقون، الصلاة، الحدود، العقوبات (الآيات 43–91)

تُواصل سورة النساء تنظيم الحياة الداخلية للأمة، فتبدأ بتنظيم الصلاة حتى في أحلك الظروف، مؤكدة أن الطاعة والرباط الروحي لا يُفقدان مهما كانت المحن أو الخوف، وأن إقامة الصلاة ركناً أساسياً في ضبط النفس وتقوية الصف الداخلي.

ومن هذا الأساس تنتقل الآيات إلى معالجة الظواهر المهددة لوحدة الأمة من الداخل، وتكشف عن المنافقين والجبناء الذين يعرقلون مسيرة الجماعة، مبيّنة خطرهم على الاستقرار والأمن، ومدى تأثير ضعفهم على قرارات الأمة المصيرية. كما تُبيّن السورة حال المتخاذلين عن الهجرة، وتربط بين التقصير في الواجب والفساد في الصف، لتؤكد أن التخاذل الداخلي لا يقل ضررًا عن العدوان الخارجي.

ثم تأتي أحكام القتال والرد على العدوان، فتؤطر القوة بالضوابط الشرعية، وتشدّد على حماية النفس الإنسانية، وعلى أن الدفاع لا يكون إلا بحق، وأن أي اعتداء يتنافى مع القسط والعدل. فتصبح العلاقة بين الطاعة الداخلية والنظام والانضباط والاستعداد الدفاعي متكاملة، بحيث يُصبح المجتمع قوياً متماسكاً في الداخل، وقادراً على مواجهة الأخطار من الخارج.

الرسالة:

لا أمة قوية إلا بضبط داخلي شامل: أمن مستقر، صلاة تقوي الروح، نظام يحكم العلاقات، ووعي كامل بالأعداء سواء من الداخل أو الخارج.

العدالة الجنائية والقيادة والطاعة (الآيات 92–146)

تتوجه سورة النساء في هذا المقطع إلى جانب أساسي من بناء الأمة، وهو ضبط العدالة الجنائية وتنظيم القيادة، فتبدأ بأحكام القصاص في القتل والخطأ، لتؤكد أن حياة الإنسان كرامة لا تُمس، وأن القوانين الشرعية قائمة على التوازن بين الردع، والحقوق، والرحمة، بما يحفظ أمن المجتمع واستقراره.

ومن هذا الإطار تنتقل الآيات إلى مسألة الطاعة، فتأمر بطاعة أولي الأمر، وتربط الطاعة بقيام النظام وتحقيق العدالة، مؤكدة أن الخلاف والنزاع لا يحلان إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة، وليس إلى الأهواء أو الانتهازية السياسية.

كما تحذر السورة من طاعة المنافقين الذين يسيئون استخدام الولاء، ويُضلّلون الجماعة، وتفضح دعاوى الإيمان الكاذب، مبيّنة الفرق بين المظاهر والحقائق، وبين من يحمل رسالة الأمة بصدق ومن يتخذها وسيلة للربح أو التسلط.

وتؤكد هذه الآيات أن قوة الأمة وثباتها لا يقوم إلا على قاعدة متكاملة من **الطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم، وعدالة القانون، والوعي بالمخاطر الداخلية**، بحيث يجمع النظام بين ضبط السلوك الفردي والمجتمعي، ورصد التحديات، وحماية الصفوف من الانقسام والفساد.

الرسالة:

إن الأمة لا تنهض إلا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعدالة القانون في كل شأن، ومراقبة الداخل لحماية صفوفها ووحدة قرارها.

الخاتمة – مراجعة العقائد، وحدة الشريعة، وإصلاح المجتمع (الآيات 147–176)

تختتم سورة النساء بمراجعة شاملة لمقاصدها العقدية والتشريعية والاجتماعية، فتؤكد أن **الإيمان لا يُقبل مع الظلم أو الفساد**، وأن التوحيد الحقيقي لا ينفصل عن عدل اجتماعي متجسد في أحكام الشريعة. وتوجه الآيات تحذيرًا مباشرًا لليهود من تحريف الكتاب، وتوضح للمسلمين الفرق بين الحق والباطل في العقائد، فتصحّح عقيدة النصارى في التثليث، وتؤكد

وحدانية الله وتنزيهه عن الشرك والألوهية المزيّفة. كما تُكمل السورة أحكام المواريث، لتضمن حماية الحقوق المالية للأسرة والأيتام والضعفاء، وتترسخ قاعدة العدالة في كل شأن من شؤون الحياة.

الرسالة:

إن الدين لا يكتمل إلا بالجمع بين **العدل الاجتماعي، والعدالة القضائية، وعدالة العقيدة؛** فالإيمان من دون ذلك ناقص، والمجتمع بلا عدل ينهار مهما كانت قوة العقيدة الفردية.

خلاصة تفسير سورة النساء

تعرض سورة النساء منهجًا متكاملًا لبناء مجتمع يقوم على العدل والرعاية، حيث ركزت في جانب التشريع على إقامة نظام يحفظ الحقوق ويحقق الحماية للفئات الضعيفة، ويؤسس لعلاقات قائمة على الإنصاف والتكافل.

وفي محور الأسرة، أولت السورة عناية خاصة بصون حقوق المرأة بمختلف حالاتها زوجةً وأمًّا وبنتًا، كما أكدت على رعاية الأيتام وحفظ أموالهم، بما يعكس عناية الشريعة ببناء أسرة مستقرة قائمة على العدل والرحمة.

أما في جانب القتال، فقد قررت السورة مشروعية الجهاد باعتباره وسيلة للدفاع عن الحق ونصرة المستضعفين، لا أداة للعدوان، مع ربطه بالقيم الأخلاقية والضوابط الشرعية.

وفي البعد السياسي، شددت السورة على ضرورة طاعة القيادة الراشدة في إطار الطاعة لله ورسوله، مع التحذير من خطر النفاق الداخلي الذي يهدد وحدة المجتمع ويقوّض استقراره.

وتتوج هذه المحاور جميعها بتقرير أصل العقيدة، حيث أكدت السورة على توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص، ورفضت ما وقع فيه أهل الكتاب من تحريف، مبيّنةً أن سلامة الاعتقاد هي الأساس الذي تقوم عليه سائر التشريعات والأحكام.

الربط مع السور السابقة

يتجلى الترابط بين هذه السور في مسار بنائي متدرّج يرسّخ قيام الأمة على أسس متكاملة، فقد جاءت سورة البقرة لتضع حجر الأساس، حيث أسست الهوية الشرعية للأمة، وأرست القواعد العقدية والتشريعية التي تضبط علاقتها بربها وتنظم شؤون حياتها.

ثم تلتها سورة آل عمران لتؤدي وظيفة التثبيت، فواجهت ما يعترض الأمة من فتن وابتلاءات، وعملت على ترسيخ الإيمان وتعميق الوعي الجماعي، مع ربط النصر بالصبر والالتزام بمنهج الله.

وفي سورة النساء ينتقل البناء إلى مرحلة أكثر تنظيمًا، حيث تعنى بإقامة البنية القانونية والاجتماعية والمؤسساتية للأمة، من خلال صيانة الحقوق، وضبط العلاقات، وترسيخ العدالة في مختلف مجالات الحياة، بما يضمن استقرار المجتمع وتماسكه.

وبهذا التدرج يظهر التكامل القرآني بوضوح: تأسيسٌ للهوية، ثم تثبيتٌ لها في وجه التحديات، ثم بناءٌ داخلي محكم يقوم على العدل وصيانة الحقوق، وهو ما يؤهل الأمة للقيام بوظيفتها في تحقيق الاستخلاف وإقامة القسط في الأرض.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة النساء الإنسان إلى مراجعة ذاته بصدق ووعي، فتسأله: هل أتحرّى العدل في بيتي، وزوجي، وأولادي، أم يختل ميزان العدل في أصغر العلاقات قبل الكبرى؟

وتضعه أمام اختبار الفعل: هل أعي أن الجهاد في سبيل الله ليس اعتداءً، بل وسيلة لحماية المستضعفين والدفاع عن الحق؟

كما تحثه السورة على مراقبة القلب: هل أتفقد نفسي من النفاق، وأراجع صدق إيماني، أم أكتفي بالمظاهر؟

وفي النهاية، تدعوه إلى العيش على بصيرة متكاملة، متأملة في **توحيد الله، وعدله، وحكمته**، بحيث يصبح الإيمان مرآة للأخلاق والعدل، وسلوكًا يوميًا يترجم المبادئ القرآنية إلى واقع عملي.

سورة المائدة

الاسم والدلالة

سُمّيت السورة بـ **المائدة**[1] لأنها تختتم بقصة نزول المائدة على الحواريين، ذلك الحدث الذي يمثل **رمز العهد والميثاق وطلب المعجزة ثم التكليف.** فالمائدة هنا ليست مجرد طعام، بل آية على التزام العهد والوفاء بالميثاق، وعلى قدرة الله في تحقيق المعجزات، وعلى مسؤولية الإنسان في الطاعة بعد الإذن.

وتُعرف السورة بأنها **سورة العقود**[2] **بامتياز**، حيث تبدأ بتأكيد قاعدة مركزية:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ ، ويصبح هذا المبدأ هو البنية الأساسية التي تُستند إليها كل التشريعات والأوامر والآيات الأخرى. فالسورة تجمع بين **العهد الشخصي والجماعي، وبين الالتزام الديني والواجب الاجتماعي والسياسي**، لتضع الإنسان في إطار المسؤولية الفردية والجماعية أمام الله والمجتمع.

---

[1] قال الثعلبي:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم حجة الوداع قال: «يا أيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها»..عن عبد الله بن عمر قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلّم سورة المائدة وهو على راحلة فلم تستطع أن تحمله حتى نزل عنها". أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م،ج4ص5.

[2] قال ابن عاشور:" وَتُسَمَّى أَيْضًا سُورَةَ الْعُقُودِ: إِذْ وَقَعَ هَذَا اللَّفْظُ فِي أَوَّلِهَا. وَتُسَمَّى أَيْضًا الْمُنْقِذَةَ". محمد الطاهر ابن عاشور [ت ١٣٩٣ هـ]، **التحرير والتنوير[تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]**، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م [١٤٠٤ هـ]،ج6ص69.

المقصد العام لسورة المائدة

تسعى سورة المائدة إلى **تأصيل مبدأ الوفاء بالعقود**، سواء كانت مع الله أو مع الناس، باعتباره أساس الاستقامة والالتزام الأخلاقي.

كما تهدف إلى **بناء الأمة على قواعد الشرائع الربانية والعدل المطلق**، وضبط العلاقات الداخلية بين الأفراد والجماعات، وتنظيم العلاقات الخارجية بما يحمي حقوق الأمة ويصون مكانتها.

وتكشف السورة أيضًا عن **خطورة التحايل على أوامر الله**، وتبيّن أن مخالفة العهد والميثاق لا تؤدي إلى الإثم الشخصي فقط، بل تُهدد الوحدة الاجتماعية والاستقرار السياسي، فتجعل من الالتزام بالعهد محورًا مركزيًا في صيانة المجتمع والأمة.

البنية الموضوعية لسورة المائدة

1. **العهود والتشريعات الكبرى (الآيات 1–26)**
تبدأ السورة بتأكيد الوفاء بالعقود، وتضع قواعد التعامل مع الأطعمة، والشعائر، والجزاء الأخروي، لتؤسّس مجتمعًا ملتزمًا بالشرائع الربانية وقواعد العدالة.
2. **الانحرافات اليهودية والنصرانية (الآيات 27–66)**
تستعرض السورة نماذج الحسد والتحريف ونقض الميثاق لدى بعض أهل الكتاب، مع إبراز نتائج الانحراف عن شرع الله، وتحذير المؤمنين من الوقوع في مثل هذه الأخطاء.
3. **الولاية والطاعة (الآيات 67–86)**
توضح الآيات أهمية قيادة الأمة وفق أوامر الله، والحذر من الذوبان في الآخر، وتقرير الولاء لله وللرسول صلى الله عليه وسلم ولأولي الأمر، بما يحفظ وحدة الجماعة واستقرارها.
4. **الحدود والتشريعات المدنية (الآيات 87–108)**
تناقش الآيات أحكام الخمر والسرقة، والتمييز بين الطيبات والنجاسات، ووضع قواعد

القضاء، لتضمن ضبط الحياة المدنية وفق مبادئ العدالة والرحمة، وحماية المجتمع من الانحرافات الأخلاقية والقانونية.

5. **ختام العقيدة والتكليف (الآيات 109–120)**

تختتم السورة بقصة المائدة كرمز للعهد والميثاق، وتربط بين الحساب الأخروي، وبيان التوحيد، ووجوب التكليف، لتؤكد أن الالتزام الشرعي والعقدي هو أساس بناء الأمة المستقرة والصالحة.

الوفاء بالعقود وتنظيم الحياة المجتمعية (الآيات 1–26)

تفتتح سورة المائدة بنداءٍ مركزي لجميع المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، لتعلن أن **الوفاء بالعقود** هو قاعدة شاملة لحياة الفرد والمجتمع، تشمل عقود الإيمان، والزواج، والتجارة، والمواثيق السياسية. فالسورة تربط الالتزام الديني بالالتزام الاجتماعي والسياسي، وتؤكد أن الإيمان بدون وفاء بالعهد ناقص، وأن مسؤولية الإنسان تشمل كل مستويات التعاملات والعلاقات.

وتتناول الآيات بعد ذلك تنظيم الأمور العملية في الحياة اليومية، من أطعمة وذبائح، وتنظيم الزواج، وحفظ شعائر الحج، بما يعكس أن الشرع رباط بين العبادة والسلوك الاجتماعي، وأن كل أمر صغير أو كبير مرتبط بالعدالة والالتزام.

كما تذكر السورة قصة بني إسرائيل ورفضهم دخول الأرض، كتحذير تاريخي للمؤمنين: من يرفض الوفاء بالعقود أو يغيّب الطاعة لا ينجو، ويُستبدل كما استُبدل من سبقوه.

الرسالة:

إن الالتزام بالعقود مع الله والناس هو شرط أساسي لاستمرار الأمة واستقرارها، ومن يخالف هذا المبدأ يُحاسب كما حُسب بني إسرائيل.

انحرافات أهل الكتاب وتحذير الأمة (الآيات 27–66)

تتناول سورة المائدة في هذا المقطع أبرز الانحرافات التي وقع فيها أهل الكتاب، بدءًا بقصة ابني آدم، التي تجسد **الحسد والقتل**، وتبرز عواقب انصراف القلب عن الحق. ثم تنتقل الآيات إلى بني إسرائيل، وتوضح سلسلة من التجاوزات التاريخية التي أصبحت دروسًا للأمة: نقض المواثيق، وتحريف الكلم، وأكل السحت، وقسوة القلوب.

ورغم هذا، تؤكد الآيات مبدأ مهمًا: ﴿.. مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾، أي أن بينهم من يتحلى بالإنصاف والحق، فلا يُعامل كل فرد بما يرتكبه الآخر، بل يجب التمييز بين الصادق والكاذب، بين العادل والمخادع.

الرسالة:

على الأمة أن تلتزم بالعدل في تعاملاتها، وأن تحذر من الانصهار في منظومة التحريف والانحراف، فلا تكون جزءًا من فساد الآخرين، بل محافظة على أصالة الدين وحقوق الناس.

تحديد الولاء السياسي والديني (الآيات 67–86)

توجه سورة المائدة في هذا المقطع رسالة حاسمة للنبي صلى الله عليه وسلم،﴿۞يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾، لتؤكد **ضرورة الأمانة في تبليغ الرسالة** بلا مجاملة أو كتمان، مهما كانت المصالح أو الضغوط. فالالتزام بالحق فوق كل اعتبار، والرسول هو المبلغ الأمين للعهد مع الله.

وتتضمن الآيات تحذيرًا صريحًا من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في الولاء السياسي أو الديني، لأن الولاء الحقيقي يجب أن يكون لله، وللرسول صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين الذين يجمعهم الدين والوحدة. وتبرز السورة أن مواقف الولاء الحقيقية تظهر في الشدائد

والابتلاءات، كما جاء: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾، أي يظهر المنافقون والمترددون عند المحن، بينما يثبت الصادقون.

الرسالة:

السيادة الحقيقية في الأمة لا تكون لمن يوالون أعداء الله أو يغفلون عن الدين، بل لمن ثبت ولاؤهم لله ورسوله، وأظهروا إخلاصهم في القول والفعل.

التشريعات المدنية والحدود (الآيات 87–108)

تضع سورة المائدة في هذا المقطع قواعد صريحة لضبط الحياة المدنية وضمان الاستقرار الاجتماعي.

فتبدأ بتحريم ما يفسد العقل والمال والروح، كالخمر والميسر والأنصاب، لما لها من أثر مدمر على الفرد والمجتمع.

ثم تحدد السورة الحدود الشرعية لجرائم السرقة والتعدي وقطع الطريق، بما يحقق الردع ويؤمن الحقوق العامة، ويضمن استقرار الأمن في الأمة. كما تؤكد أهمية **شهادة المرأة، وإقرار الحق، والقضاء العادل**، في ترسيخ مبدأ المساواة والإنصاف، ومنع الظلم، وحماية الحقوق الفردية والجماعية.

الرسالة:

إن الأمة لا تصلح إلا بوجود **شريعة تُطبق، وعدل يُقام، وحقوق تُصان**، بحيث يصبح القانون والتقوى معيارًا للسلوك العام، ويُحفظ المجتمع من الفساد والانحراف.

ختام السورة – العقيدة، والمائدة (الآيات 109–120)

تختتم سورة المائدة بمشاهد تربوية وعقائدية تجمع بين التوحيد والالتزام والاختبار الإيماني في يوم القيامة، حيث يُسأل عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦ ...)، فيتبرأ من الشرك ويثبت التوحيد، لتكون هذه الآية درسًا صريحًا في حفظ العقيدة الخالصة والابتعاد عن التحريف.

ثم تأتي قصة **طلب المائدة** من الحواريين، التي تعكس رغبتهم في الطمأنينة والمعجزة. ومع ذلك، يحذرهم الله من أن طلب الآيات بدون التسليم والطاعة قد يكون سببًا للعذاب: "فَمَن يكفر بعدُ منكم فإني أعذّبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين". فالسورة تربط بين الرغبة في الآيات وبين التزام الحق، وتبين أن الاستسلام لله والعمل بأمره هو طريق اليقين، لا مجرد طلب المعجزات.

الرسالة:

إن طلب الآيات والمعجزات دون التسليم لله والطاعة الصادقة قد يكون طريق الهلاك، بينما الاستقامة والوفاء بالعهد مع الله هي طريق اليقين والنجاة.

خلاصة تفسير سورة المائدة

تُبرز سورة المائدة منظومة متكاملة من الأحكام والتوجيهات التي تنظم حياة الفرد والمجتمع، حيث افتتحت بتأكيد مبدأ التشريع القائم على الوفاء بالعقود، فبيّنت أحكام الطعام والشعائر، ونظّمت قضايا الزواج، بما يرسّخ الاستقرار ويحقق مقاصد الشريعة في حفظ الدين والنفس والأسرة.

وفي جانب العلاقات، وضعت السورة ضوابط دقيقة للتعامل مع أهل الكتاب، محددةً إطارًا يقوم على العدل والوضوح، كما نظّمت مسألة الولاء بما يحفظ هوية الجماعة المؤمنة ويمنع الذوبان أو التبعية غير المنضبطة.

أما من الناحية السياسية، فقد أرست السورة أسس الانتماء والولاء، موجّهةً إلى الالتزام بجماعة المؤمنين، وضبط الطاعة في إطارها المشروع، بما يحقق وحدة الصف ويصون النظام العام من الاختلال.

وفي البعد الأخلاقي، شددت السورة على تحريم الظلم والخمر وأكل السحت، ودعت إلى تهذيب السلوك الفردي والاجتماعي، بما يضمن نقاء المعاملات واستقامة القيم في المجتمع.

وتتوج هذه التوجيهات جميعها بتقرير أصل العقيدة، حيث أكدت السورة على التوحيد الخالص، وحذّرت من الشرك والتحريف، مبيّنةً مسؤولية الإنسان الفردية أمام الله، وأنه محاسب على أعماله، وهو ما يشكل الأساس الذي تقوم عليه سائر التشريعات والأخلاق.

الربط بين سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة

يظهر الترابط بين سور البقرة وآل عمران والنساء والمائدة في صورة بناء قرآني متدرّج يرسم معالم الأمة في نشأتها واستقرارها ووظيفتها في الحياة، فقد جاءت سورة البقرة لتؤسس هذه الأمة على قاعدة التشريع، فوضعت الأصول الكبرى للأحكام، وأسست الهوية الدينية والقيمية القائمة على الإيمان والطاعة والامتثال.

ثم تلتها سورة آل عمران لتقوم بوظيفة التثبيت، حيث واجهت التحديات والفتن التي تعترض الأمة في مسيرتها، فعملت على تعزيز الإيمان، وبناء الوعي الجماعي، وربط النصر بالصبر والثبات والالتزام بمنهج الله.

وفي سورة النساء ينتقل البناء إلى الداخل، إذ تعنى بإقامة مجتمع عادل متماسك، من خلال صيانة الحقوق، وضبط العلاقات الأسرية، وإرساء قواعد العدالة الاجتماعية، بما يحقق التوازن والاستقرار داخل البنية المجتمعية.

أما سورة المائدة فتأتي لتؤكد مرحلة النضج، حيث شددت على الوفاء بالعقود، وأبرزت مكانة الشريعة في تنظيم العلاقات، سواء داخل الأمة أو مع غيرها، خاصة أهل الكتاب، مع ربط العقيدة بالالتزام العملي والتكليف الشرعي.

وبهذا التتابع المتناسق، يتجلى المشروع القرآني في بناء الأمة: تأسيسٌ على التشريع، ثم تثبيتٌ في وجه الفتن، ثم إحكامٌ للبناء الداخلي، وأخيرًا تنظيمٌ للعلاقات الخارجية على أساس العدل والوفاء، في إطار تكامل يربط بين الإيمان والعمل، وبين العقيدة والشريعة.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة المائدة لمراجعة علاقتنا بالإسلام على مستوى **العهد والالتزام الشخصي والجماعي**، فتسألنا: هل أعيش الإسلام كعهد دائم مع الله، أم كهوية سطحية تقتصر على المظاهر؟

كما تضعنا أمام اختبار الولاء والطاعة: هل أولوياتي في الطاعة والولاء صحيحة، أم أخلط بين المصلحة الشخصية والالتزام الديني؟

وتدفعنا السورة إلى التدقيق في **قبول أحكام الشريعة:** هل أقبلها كاملة كما جاءت من الله، أم أنتقي منها ما يناسب مزاجي، مع تجاهل ما يربي القيم ويصون الحقوق؟

وأخيرًا، تذكرنا بسيرة عيسى وأتباعه الصادقين: هل أعظّم أوامر الله وألتزم بها كما عظّمها هؤلاء، أم أترك قلبي ينجرف نحو التهاون والانحراف؟

خاتمة

سورة المائدة هي **سورة الوفاء بالعقود،** تضع أمام المؤمنين معيارًا واضحًا: من لم يوفِ بعهد الله وبعهوده مع الناس، فسيحل عليه ما حل ببني إسرائيل من العقاب والاستبدال.

أما من ثبت على الحق، واستقام على شرع الله، وآمن بربه، وعظّم أوامره، فقد نال **نعمة الهداية والتكريم** في الدنيا والآخرة، وجعل حياته مرآة للوفاء بالعهد والالتزام بالحق، ليكون مثالًا للأمة في الصبر والطاعة والعدل.

سورة الأنعام

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ **الأنعام**[1] لأن المشركين في الجاهلية كانوا يتحكّمون بالأنعام، محرّمين بعض أصنافها، وادّعوا أن لله شركاء فيها، فاستُخدمت هذه الممارسة كرمز للشرك والتحريف العقائدي. فجاءت السورة لتفنّد هذه المزاعم وتكشف **ضلال العقيدة الجاهلية** في كل جوانبها، سواء في العبادة أو الفهم الديني أو التعامل مع الطبيعة.

وتمثل الأنعام هنا **رمزًا للعطاء الإلهي** الذي شوهته الجاهلية بتقاليد باطلة، فكان لا بد من **إعادة ضبط العلاقة بين الإنسان والكون والإله،** لتعود مقاييس العقل والدين إلى نصابها الصحيح.

---

[1] قال شرف الدين: سمّيت هذه السورة بسورة الأنعام، والأنعام ذوات الخفّ والظّلف: وهي الإبل والبقر والغنم بجميع أنواعها، لأنّها هي السورة التي عرضت لذكر الأنعام على تفصيل لم يرد في غيرها من السور، فقد ورد ذكر الأنعام في مواضع كثيرة من القرآن عرضا أمّا سورة الأنعام، فقد جاءت بحديث طويل عن الأنعام استغرق خمس عشرة آية، من أول الآية ١٣٦ إلى آخر الآية ١٥٠." جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ، ج3ص4.

المقصد العام لسورة الأنعام

تهدف السورة إلى **إقامة الحجة على المشركين** في قضايا التوحيد والوحي والبعث، من خلال عرض **براهين عقلية وكونية وتاريخية**، تكشف زيف الشرك، وتثبت شمولية ربوبية الله، وتأكيد **تفرده بالألوهية**، بحيث تصبح العقيدة الصحيحة هي المعيار الوحيد للسلوك الفردي والاجتماعي، والمرجع لكل تشريع وكل فهم للوجود.

البنية الموضوعية لسورة الأنعام

1. **توحيد الخلق والربوبية (الآيات 1–18)**
تبدأ السورة بتثبيت مفهوم **الخلق والربوبية المطلقة لله**، موضحةً أن الله هو الخالق المدبر لكل شيء، وأن الكون كله قائم بأمره وحكمته، مما يضع الأساس للتوحيد العقائدي ويكشف بطلان الشرك.
2. **موقفهم من الوحي والبعث (الآيات 19–73)**
تعرض الآيات **حججًا عقلية وكونية وتاريخية** تدحض تكذيب المشركين للوحي والنبوة، وتبين أن إنكار الرسالة والبعث مردوده خطأ فادح على مستوى الفرد والمجتمع.
3. **مشاهد يوم القيامة (الآيات 74–90)**
تسلط السورة الضوء على **المصير والجزاء**، وتستعرض قصة إبراهيم عليه السلام كنموذج للطاعة واليقين، لتكون عبرة للمكذبين والناكرين، ولتعليم الأمة مفهوم الجزاء الرباني.
4. **الرد على تحريفات العقيدة والأنعام (الآيات 91–121)**
تفنّد السورة تحريم الأنعام من قبل الجاهليين وتكشف **زيف المعتقدات الشركية**، موضحة أن العبادة والطاعة لله وحده لا ترتبط ببهائم معينة أو شعائر باطلة، بل بالنية والعقل والإيمان الصادق.
5. **قاعدة التحاكم لله (الآيات 122–165)**
تختتم السورة بدعوة صريحة **للتحاكم إلى الله في كل شؤون الحياة**، موضحة الفرق

بين النور والظلمة، ومقدّمة خاتمة دعوية بليغة تربط العقيدة الصحيحة بالعمل والعدل، وتؤكد أن اتباع الحق هو الطريق إلى السعادة الفردية والجماعية.

توحيد الربوبية ورفض الشرك (الآيات 1–18)

تفتتح سورة الأنعام بنداء قوي ومركّز: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١﴾، لتؤكد أن الله **الخالق والمدبر والعارف والحكيم** هو وحده مصدر كل كمال وحق، وأن كل ما في الكون قائم بأمره وحكمته.

ثم تستعرض الآيات صفات الألوهية بشكل شامل: الخلق، التدبير، العلم، الحكمة، والمحاسبة، لتثبت أن التوحيد في الربوبية يستلزم الإيمان **بالألوهية المطلقة لله وحده.**

الرسالة:

من أقّر بربوبية الله، لزمته الإيمان بوحدانيته في العبادة والطاعة، وإلا كان **متناقضًا** في عقيدته، معرضًا للضلال والخسران.

الرد على التكذيب بالوحي والبعث (الآيات 19–73)

تعرض سورة الأنعام في هذا الجزء الحجج القرآنية ضد **تكذيب المشركين للوحي والبعث**، فهي تؤكد أن القرآن **نذير عالمي** يوجه البشرية ويبين الحق من الباطل.

وتكشف المواقف المتهافتة التي كان المشركون يطرحونها: لماذا لا ينزل ملك؟ لماذا لا يُعطى كنز؟ أو إنكار البعث بعد الموت.

وترد السورة على هذه الشبهات بحجج **قرآنية وعقلية وسياقية**، تتساءل: هل يترك الله الظالمين؟ من ينصرهم يوم القيامة؟ وهل اتخذوا آلهة لا تخلق شيئًا ولا تدبر شيئًا؟

الرسالة:

إن **العقل السليم يهدي إلى التوحيد**، والقرآن والوحي **يثبتان الحجة**، فلا مجال للانحراف عن الإيمان بالخالق الواحد والرسول المرسل.

قصة إبراهيم – حوار التوحيد مع الوثنية (الآيات 74–90)

تقدّم سورة الأنعام في هذا الجزء **أعظم مشهد حواري في القرآن** بين الإيمان والوثنية، من خلال قصة إبراهيم عليه السلام:﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾...) .

يرفض إبراهيم الشمس والقمر والكواكب، ويهدي قومه إلى **الله الواحد الأحد**، موضحًا أن العبادة لا تكون إلا للخالق المتفرد بالربوبية. ثم تعرض الآيات **السلسلة المباركة للأنبياء:** إبراهيم، إسحاق، يعقوب، موسى، عيسى... جميعهم على صراط التوحيد، مؤكدين أن هذا المنهج **ليس بدعة، بل أصل الرسالات** ومنهج جميع الأنبياء.

الرسالة:

التوحيد هو أساس الدين، ومنهج الأنبياء جميعًا، فلا دين ولا هداية إلا بالعودة إلى الله وحده، دون شريك أو تحريف.

تصحيح التصور العقدي وتقويم الانحراف التشريعي (الآيات 91–121)

يمثل هذا المقطع وحدة موضوعية متماسكة، تمتد من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ

ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾)، حيث يجمع بين بناء التصور الصحيح عن الله، وبيان أثر ذلك في ضبط منهج التشريع والسلوك.

يفتتح السياق بتقرير أصل الخلل، وهو سوء تقدير الله تعالى، إذ لم يعظّمه المشركون حق تعظيمه، فأنكروا الوحي وجحدوا الرسالات، وعدّوا أن الله لم ينزّل على بشر من شيء.

ويأتي الرد الإلهي حاسمًا، بإثبات حقيقة الوحي، وبيان أنه النور الذي يهدي الله به عباده، كما أنزل الكتب السابقة هدىً للناس، في إشارة إلى وحدة مصدر الرسالات، وتكامل الهداية الإلهية عبر التاريخ.

ثم تنتقل الآيات إلى إبراز القرآن باعتباره ذروة هذا النور، كتابًا مباركًا مصدّقًا لما بين يديه، موجّهًا للإنذار والهداية، ومؤسسًا لمنهج يخرج الناس من الظلمات إلى النور. ويقترن بذلك إنكار شديد على من أعرض عنه أو كذّب به، لأن في ذلك انقلابًا على أصل الهداية.

وفي سياق ترسيخ التوحيد، تعرض الآيات دلائل القدرة الإلهية في الخلق والتدبير، فتبيّن انفراد الله بعلم الغيب، وتصريف الكون، والإحياء والإماتة، وإنزال المطر، وإنبات الزرع، وتعاقب الليل والنهار. وهذه المشاهد الكونية ليست مجرد عرض، بل هي حجج عقلية ووجدانية تقود إلى الإقرار بوحدانية الله، ووجوب إفراده بالعبادة والطاعة.

كما تكشف الآيات تناقض المشركين، إذ يعترفون بقدرة الله في الخلق، ثم يشركون به في العبادة، فيجعلون له شركاء من الجن، وينسبون إليه البنين والبنات بغير علم، وهو ما تنزّه عنه سبحانه. ويأتي ذلك في سياق تفكيك البنية العقدية الفاسدة التي تقوم على الظن والهوى.

ومن هذا الأساس العقدي المختل، تنتقل الآيات إلى بيان أثره في باب التشريع، فتُظهر كيف أن الانحراف في التوحيد قادهم إلى التحكّم في الحلال والحرام، خاصة في شأن الأنعام

والذبائح. فقد اتبعوا وساوس الشياطين، فجعلوا لأنفسهم تشريعات لا أصل لها، ونازعوا حق الله في التحليل والتحريم.

وفي مقابل ذلك، تقرر الآيات الضوابط الشرعية الصحيحة، فتأمر بالأكل مما ذُكر اسم الله عليه، وتنهى عن اتباع خطوات الشيطان، وتُحذر من الانقياد للوساوس التي تلبّس الحق بالباطل. كما تؤكد أن ترك التسمية على الذبائح، أو تعمد مخالفة أمر الله في هذا الباب، يُعد خروجًا عن الطاعة ومن مظاهر الفسق.

ويبلغ البيان ذروته في ختام المقطع بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾، ليؤكد أن الالتزام بالتشريع الإلهي ليس أمرًا شكليًا، بل هو تعبير عن حقيقة التوحيد والانقياد لله في أدق تفاصيل الحياة.

الخلاصة المقاصدية:

يُبرز هذا المقطع أن أصل الانحراف يبدأ من فساد التصور عن الله، وأن تصحيح العقيدة هو المدخل الضروري لإصلاح التشريع والسلوك. فكلما تحقق التوحيد في القلوب، انضبطت الأحكام في الواقع، واستقام الإنسان على منهج الله، رافضًا كل تشريع قائم على الهوى أو التقليد الأعمى، ومؤمنًا بأن حق التحليل والتحريم خالص لله وحده.

التمييز بين النور والظلمة، والحياة والموت (الآيات 122–165)

تقدم سورة الأنعام في هذا الجزء **مثالًا عظيمًا للتفرقة بين المؤمن والكافر**:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا

كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ ، فيوضح أن من أذعن لله واهتدى بنوره يكون حيًّا روحانيًا، بينما الكافر يعيش في الظلمة والموت الروحي.

وتبين السورة أن **الشرك ظلم عظيم**، ويجر الإنسان إلى الباطل والفساد، كما تعرض مجموعة من الوصايا الأخلاقية الهامة (الآيات 151–153)، التي تُعد من أعظم المجموعات الأخلاقية في القرآن، تشمل: **التوحيد، البر، العدل، حفظ الدم، العفة، الوفاء، والميزان بالقسط.**﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

وتختم السورة بدعوة خالصة للتوحيد والتجرد لله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾...)، لتجمع بين العقيدة الصحيحة، والعمل الصالح، والالتزام الأخلاقي.

الرسالة:

النجاة تكون بالتمييز بين النور والظلمة، واتباع الصراط المستقيم في العقيدة والأخلاق والعمل، والابتعاد عن الظلم والشرك، ليعيش الإنسان حياةً روحيةً وواقعيةً متكاملة.

خلاصة تفسير سورة الأنعام

تُبرز سورة الأنعام **البعد العقائدي والعقلي للرسالة القرآنية،** حيث تقدم الحجة على التوحيد وتفنّد الشرك، فتثبت أن **الإيمان الحق يقوم على الاعتقاد بوحدانية الله وفردانيته في الربوبية والألوهية.** وتوضح السورة دور **العقل السليم** في محاكمة الانحرافات وفحص الحجج، لتجعل الفهم العقلي والإدراك العقائدي ركيزة ثابتة للثبات على الدين.

كما تؤكد السورة أن **جميع الأنبياء** ساروا على صراط التوحيد، وأظهروا في أقوالهم وأفعالهم أن الالتزام بوحي الله هو أساس الهداية، وأنه لا دين ولا تشريع صالح بدون سلطان الله ووحيه. وفي هذا الإطار، تنطلق دعوة السورة إلى **إعلان التوحيد والصبر على البلاء،** لتكون العقيدة قوة روحية وأساسًا للسلوك الفردي والاجتماعي.

الربط مع السور السابقة

يتواصل البناء القرآني للأمة في نسق متدرّج ومتكامل، حيث جاءت السور السابقة لتضع معالم هذا المشروع في مراحله المختلفة.

فقد أسست سورة البقرة القاعدة التشريعية الكبرى، وأرست الهوية الشرعية للأمة من خلال تنظيم العبادات والمعاملات، وربط ذلك بالإيمان والطاعة، ثم جاءت سورة آل عمران لتؤدي وظيفة التثبيت، فواجهت الفتن والشبهات، وعززت الثبات على الإيمان، وربطت النصر بالالتزام والصبر.

وفي مرحلة لاحقة، عنيت سورة النساء ببناء الداخل المجتمعي، فأقامت نظامًا قائمًا على العدل، وصانت الحقوق، ونظّمت العلاقات الأسرية والاجتماعية، بما يحقق التوازن والاستقرار.

ثم جاءت سورة المائدة لتؤكد هذا البناء من خلال التشديد على الوفاء بالعقود، وضبط العلاقات داخل الأمة وخارجها، وربط الالتزام بالشريعة بمسؤولية الانتماء والوفاء.

وفي هذا السياق المتكامل، تأتي سورة الأنعام لتنتقل بالبناء إلى بعد أعمق، حيث تركّز على ترسيخ العقيدة في قلب الأمة، والانتقال من مجرد تنظيم الحياة الظاهرة إلى بناء اليقين الباطن، فتفكك مظاهر الشرك بالحجة العقلية والبرهان، وتعيد توجيه الإنسان إلى حقيقة التوحيد، باعتباره جوهر الدين وأساس كل إصلاح. وبذلك يتضح أن استقامة الحياة الفردية والجماعية لا تقوم إلا على عقيدة صحيحة، وأن التوحيد هو الأصل الذي تتفرع عنه سائر التشريعات والقيم.

للتأمل الذاتي

تمثل هذه الأسئلة مدخلًا عميقًا للمراجعة الذاتية، إذ تدعو الإنسان إلى النظر في حقيقة إيمانه: هل هو قائم على تقليد موروث دون وعي، أم على فهم راسخ ويقين نابع من تدبر وبصيرة؟ فالإيمان الحق ليس مجرد انتماء شكلي، بل هو وعي حيّ يتجدد في القلب ويثمر في السلوك.

ويمتد هذا التأمل إلى استحضار معنى الحياة الحقيقية، كما عبّر عنها القرآن بقوله:﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾، حيث يُسائل المرء نفسه: هل انتقل من غفلة الروح إلى نور الهداية؟ وهل أصبح قلبه حيًّا بالإيمان، يدرك الحق ويستجيب له؟

كما تثير هذه الأسئلة قضية جوهرية تتعلق بالتسليم لله في التشريع، فهل يرضى الإنسان بأن يكون الله وحده هو المشرّع والموجّه لحياته، فيلتزم بأحكامه ظاهرًا وباطنًا، أم يميل إلى انتقاء ما يوافق أهواءه، فيُفرغ الدين من حقيقته ويحوّله إلى مجرد توافق مع الرغبات؟

وأخيرًا، يستحضر هذا التأمل نموذج إبراهيم عليه السلام، الذي مثّل قمة في قوة الحجة والثبات على الحق في وجه الانحراف، ليكون قدوة في جعل الحق معيارًا في القول والعمل، لا يتزعزع أمام الضغوط أو الشبهات.

وبذلك تتحول هذه الأسئلة من مجرد عبارات للتفكير إلى منهج عملي لمحاسبة النفس، وبناء إيمان واعٍ، قائم على اليقين، ومترجم إلى التزام صادق في واقع الحياة.

ختاما

سورة الأنعام هي بيان التوحيد الخالص، ومحكمة للعقول، وميزان للقلوب. تُظهر أن الأديان الحقّة لا تقوم على الأساطير والتحريف، وأن الله وحده له الحق في التشريع.

ومن لم يبنِ أمته على هذا اليقين، فهو معرّض للضياع والذوبان في متاهات الباطل، بينما من استقام على الهداية والحق يعيش حياةً متوازنة، روحانية وعقلية، قائمة على نور الإيمان والعمل الصالح.

سورة الأعراف

الاسم والدلالة

سُمّيت السورة بـ **الأعراف**[1] نسبةً إلى ذلك المشهد الفريد الذي تصوّره الآيات، حيث يقف قوم على سورٍ فاصل بين الجنة والنار، يعرفون أهل كلٍّ بسيماهم، في موقف **تمييز وانتظار وتحكيم** بين مصيرين متقابلين.

ويمثّل موقع الأعراف رمزًا قرآنيًا بالغ الدلالة؛ إذ يعكس حالة الفرز النهائي بين الحق والباطل، والهداية والضلال، والاستقامة والانحراف.

[1] قال الزحيلي:" سميت بسورة الأعراف لورود اسم الأعراف فيها، وهو سور بين الجنة والنار، قال ابن جرير الطبري: الأعراف جمع عرف، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى عرفا، وإنما قيل لعرف الديك عرفا لارتفاعه. روى ابن جرير الطبري عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال: هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقعدت بهم سيئاتهم عن الجنة، وخلفت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك على السور حتى يقضي الله فيهم" وهبة الزحيلي [ت ١٤٣٦ هـ]،،**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م،ج8ص133.

ومن هنا، فإن السورة في مجموعها ليست سردًا تاريخيًا مجردًا، بل **محكمة كبرى للتمييز**، تُعرض فيها مصائر الأمم، وتُوزن فيها المواقف، وتُكشف فيها العواقب.

المقصد العام للسورة

تهدف سورة الأعراف إلى **عرض مسيرة الصراع التاريخي بين الرسل والطغاة**، من آدم إلى محمد ﷺ، لتبيين سنن الله في الهداية والضلال، وإقامة الحجة على البشر كافة، وتحذير الأمة من تكرار مصير المستكبرين.

كما تُرسّخ السورة مفهوم **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** بوصفه أداة مركزية في التغيير الحضاري، وسياجًا واقيًا يحول دون سقوط المجتمعات في دركات الانحراف والفساد، وتؤكد أن النجاة ليست في الانتساب، بل في الاستجابة للحق والثبات عليه.

البنية الموضوعية لسورة الأعراف

تبدأ سورة الأعراف بتمهيدٍ يهيئ القلوب لتلقي الوحي، ويقرر أن **القرآن هو ميزان الهداية**، وأن الله هو الخالق المدبر لكل شيء، بيده المصير والجزاء، فلا نجاة إلا باتباع أمره.

ثم تنتقل السورة إلى **قصة آدم وإبليس**، لتكشف عن بداية الصراع الأزلي بين الطاعة والكبر، والامتثال والاستعلاء، وتبين أن أصل الانحراف هو الاستكبار عن أمر الله، وأن عاقبته الخسران واللعنة.

بعد ذلك، تتجه السورة إلى **أوامر الإيمان والاستقامة**، فتتناول قضايا اللباس والزينة، وتربطها بالتقوى، وتؤكد التوحيد، وتقرر مبدأ العدل في السلوك والعبادة، مبينة أن الإيمان ليس دعوى، بل التزام ظاهر وباطن.

وتتوسع السورة بعد ذلك في عرض **قصص الرسل مع أقوامهم:** نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام، لتكشف سنن الله الثابتة في الصراع بين الحق والباطل، وكيف انتهى المستكبرون إلى الهلاك، ونجا المؤمنون بالاستجابة والطاعة.

ثم تعرض السورة **مشهد الأعراف ويوم الفصل**، فتذكّر بالعهد الأول الذي أخذه الله على بني آدم، وتُبرز مشهد التمييز النهائي بين أهل الجنة وأهل النار، في لحظة حاسمة تُوزن فيها المواقف، وتتكشف فيها الحقائق.

وتُختتم السورة بدعوة جامعة إلى **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، **واليقظة الإيمانية**، والتحذير من الغفلة، مع توجيه القلوب إلى السجود لله والخضوع له، باعتباره الغاية الكبرى من الإيمان والعبادة.

بدأ مقطعها الاول بتمهيد الوحي والربوبية (الآيات 1–10)

تفتتح سورة الأعراف بإعلانٍ حازم لطبيعة الرسالة: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾، لتؤكد أن الوحي **حقٌّ صريح** لا مواربة فيه، وأن التبليغ عن الله لا يعرف الخجل ولا التردد، مهما ثقل على النفوس أو اصطدم بالأهواء.

وتربط الآيات بين الوحي والربوبية، فتقرر أن **كل شيء في الكون موزون:** في الخلق، وفي الشرع، وفي الجزاء، وأن الميزان الذي يحكم الأرض والسماء واحد، هو ميزان العدل الإلهي الذي لا يختل ولا يظلم.

الرسالة:

الدين وحيٌ واضح لا غموض فيه، والحق ثقيل لكنه واجب البلاغ، والله وحده هو **الحكم العدل** الذي توزن به الأعمال والمواقف والمصائر.

قصة آدم وإبليس – منشأ الصراع (الآيات 11–25)

تعرض سورة الأعراف في هذا المقطع **بداية الصراع الأول في تاريخ الإنسانية**؛ حين أُمر الملائكة بالسجود لآدم، فامتثلوا جميعًا إلا إبليس، الذي استكبر فكان سقوطه، و لم يكن امتناعه جهلًا بالأمر، بل **كبرًا واعتراضًا** على حكم الله.

ويكشف القرآن عن إعلان إبليس الصريح للحرب على بني آدم:﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ ، فيوضح أن طريق الغواية يبدأ من **إفساد الصراط المستقيم** لا من الأطراف.

ثم يربط المقطع بين الانحراف العقدي والانحلال السلوكي، فيُبرز مسألة **اللباس والستر** باعتبارها خط الدفاع الأول أمام الشهوة، وطريق النجاة من غواية الشيطان.

الرسالة:

أول معركة في التاريخ كانت بين **الطاعة والكبر**، وبين **الستر والتعري**، وبين **التوبة والتمادي في التبرير**؛ وما زال هذا الصراع قائمًا إلى قيام الساعة.

دعوة للفطرة والتوحيد والعدل (الآيات 26–58)

تتوجه السورة بعد ذلك بنداء شامل إلى الناس جميعًا، تدعوهم إلى **العودة للفطرة**، فتأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، وتحذر من تحريم الطيبات، وتؤكد أن الدين ليس حرمانًا ولا تضييقًا، بل **تزكية وتنظيم للحياة.**

وتقرر الآيات قاعدة كبرى: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ...٢٩)، فتربط بين التوحيد والعدل، وتذكّر بنعم الله في الخلق، والماء، والزروع، لتبين أن الانحراف العقدي يقود حتمًا إلى فساد في الأرض، وأن الاستقامة هي انسجام مع نظام الكون لا خروج عليه.

الرسالة:

الدين ليس قيدًا على الإنسان، بل هو **زينة وفطرة وعدل ونعمة،** أما الانحراف عنه فمصيره الفساد والضياع، ولو تزيّن بشعارات الحرية والهوى.

عرض تاريخي لقصص الأنبياء والأمم (الآيات 59–171)

تستعرض سورة الأعراف في هذا القسم مسيرةً تاريخيةً ممتدة لقصص الأنبياء مع أقوامهم: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ثم موسى عليهم السلام، لا بوصفها حكايات وعظية، بل باعتبارها **نموذجًا متكررًا لصراع الحق مع الباطل.**

ويتكرر في جميع هذه القصص مشهد واحد: أن الرسل يواجهون تكذيب المترفين، وسخرية الطغاة، ونفاق الجماهير، بل وتهديدات الإبادة والإقصاء من قبيل: *لنخرجنكم* و*لنرجمنكم*.

ويكشف ذلك أن مقاومة الحق ليست حادثة عارضة، بل **سنة اجتماعية** **<u>حين يهدد الوحي مصالح الفساد.</u>**

وتأخذ قصة موسى عليه السلام حيّزًا واسعًا؛ لما فيها من دروس كبرى: آيات ظاهرة، وفرعون بوصفه **رمز الطغيان السياسي،** ثم السامري باعتباره **رمز التحريف الديني بعد التمكين،** لتؤكد السورة أن الخطر لا ينتهي بزوال الطاغية، بل قد يبدأ من الداخل إن غابت البصيرة واليقظة.

الرسالة:

كل نبي واجه نظامًا فاسدًا، وكل دعوة صادقة تمر بابتلاءات قبل التمكين وبعده، فالنجاة ليست في إسقاط الطغيان فقط، بل في **حراسة المنهج بعد النصر.**

مشهد الأعراف والعهد الفطري (الآيات 172–187)

تنتقل السورة بعد ذلك إلى مشهد بالغ العمق، يبدأ بتذكير الإنسان بـ **العهد الفطري الأول:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ ...﴾، لتقرر أن التوحيد مغروس في أصل النفس البشرية، وأن الانحراف عنه خيانة لميثاق سابق على التاريخ.

ثم يُعرض مشهد الأعراف، حيث يقف قوم بين الجنة والنار، يعرفون أهل الفريقين بسيماهم، لم ترجح موازينهم إلى إحدى الجهتين، فظلوا في منطقة انتظار وقلق، وهو مشهد يُجسّد خطورة التردد والتسويف في المواقف المصيرية.

الرسالة:

لا حياد في الصراع بين الجنة والنار، ولا أمان في الوقوف بين الحق والباطل؛ فالتردد قد يُفضي إلى الضياع، والنجاة في الحسم والانحياز الصادق إلى طريق الله.

خاتمة السورة : وعي، خشوع، وسجود (الآيات 188–206)

تُختتم سورة الأعراف بتوجيهات حاسمة للرسول ﷺ تُرسّخ معنى العبودية الخالصة؛ فهو لا يعلم الغيب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا، وإنما شأنه الاتباع الكامل لما يوحى إليه. وفي ذلك قطعٌ لكل طريق الغلو، وتأكيد أن الرسالة تقوم على **البلاغ والطاعة لا الادعاء والسيطرة.**

ثم ترفع السورة النموذج المقابل، نموذج المؤمنين الصادقين، الذين إذا ذُكّروا بالله **خرّوا سُجّدًا**، في خشوع حيّ، واستسلام واعٍ، وانكسار محمود بين يدي الحق. فالسجود هنا ليس حركة جسدية فحسب، بل هو **ذروة الوعي ونهاية الاستقامة.**

الرسالة:

غاية النجاة ليست كثرة الجدل ولا الادعاء، بل **السجود الحقيقي**، والاستسلام لله، والانتباه الدائم من الغفلة التي تُهلك القلوب قبل الأجساد.

خلاصة تفسير سورة الأعراف

تقدّم سورة الأعراف رؤية شاملة لمسيرة الإنسان مع الهداية والضلال. فهي تؤكد أن **التوحيد أصل فطري** في النفس البشرية، وأن الانحراف عنه طارئ ناتج عن الكبر أو الشهوة أو التقليد. وتربط السورة بين العقيدة والسلوك، فتجعل التوبة، والستر، والزينة المنضبطة، والسجود، والعدل علامات الاستقامة الحقيقية.

وتكشف السورة من خلال تاريخ الأمم أن لكل أمة **رسالة وفرصة وابتلاء**، وأن مصيرها يتحدد بموقفها من الحق، لا بشعاراتها ولا بكثرتها. كما تُبرز أن مواجهة الطغيان لا تكون بالعجلة ولا بالعنف الأعمى، بل بـ **وعيٍ راسخ وصبر طويل**.

وفي النهاية، تضع السورة الإنسان أمام مصيره الحتمي، مؤكدة أنه **لا حياد في الآخرة**؛ فموقف الأعراف موقف خطير، لا يُحمد التعلق به، ولا يُنجّي من عاقبة التردد. النجاة في الحسم، والاختيار الواعي، والانحياز الصادق إلى طريق الله.

الربط مع السور السابقة: الأنعام والأعراف

يأتي ترتيب سورتي **الأنعام** و**الأعراف** ضمن بناء قرآني مقصود، يقوم على التدرّج من **التأسيس النظري** إلى **التجسيد التاريخي**.

ف**سورة الأنعام** تؤسس لتوحيد الفكر والعقيدة عبر الحُجج العقلية والآيات الكونية، وتواجه الشرك في جذوره الفكرية، فتقيم البرهان، وتفكك الأوهام، وتُعيد تشكيل الوعي الإيماني على أساس الدليل واليقين.

ثم تأتي **سورة الأعراف** لتعرض هذا التوحيد نفسه وهو يُمتحَن في واقع التاريخ، من خلال قصص الأنبياء والأمم، فتُبرز الصراع العقائدي في صورته العملية: دعوة، ومواجهة، وتمكين، وانحراف، وعاقبة.

فجاءت الأنعام مجسمة **الحُجّة**، وفي المقابل جاءت الأعراف مجسمة **العِبرة**.

وبذلك تتكامل السورتان في ترسيخ أسس الدعوة والبناء الحضاري عبر العصور: عقيدة تُقام بالدليل، وتاريخ يُقوَّم بالسنن، ليبقى الحق حيًّا في الفكر والواقع معًا.

للتأمل الذاتي

تدفع سورة الأعراف القارئ إلى محاسبة نفسه قبل محاسبة غيره، فتطرح عليه أسئلة الوعي والمصير دون مواربة:

هل أنا ممن تلين قلوبهم إذا ذُكِّروا بالله، فيخرّون سُجّدًا وخضوعًا؟

أم أسير في دروب الحياة متثاقلًا، مترددًا، أقف بين الحق والباطل كما وقف أهل الأعراف؟

أيّ الصفوف أشبه بها في مسيرة التاريخ: صف الطائعين الصادقين، أم صف المترفين المستكبرين الذين أفسدهم الغرور؟

وهل أقرأ قصص الأمم السابقة للعِظة والبصيرة، أم أعيد إنتاج أخطائهم في واقعي وسلوكي؟

إنها أسئلة لا تُطرح للذهن وحده، بل للضمير والوجدان، لتُحدِّد موقع الإنسان من سنن الله الجارية في الأمم والأفراد.

وعليه يمكننا القول إن سورة الأعراف ليست مجرد سرد تاريخي، بل هي مدرسة وعي، ورسالة دعوة، وخريطة صراع، وكشف صريح عن المآلات. تضع الإنسان أمام مسؤوليته الكبرى في الاختيار: اختيار الإيمان أو الكفر، الطاعة أو الاستكبار، الثبات أو التذبذب.

فإما أن يكون من أصحاب الجنة الذين وعوا العهد وصدقوا المسير، وإما أن يلحق بأهل النار الذين أعرضوا واستكبروا، وإما — وهو أخطر المواقف — أن يقف موقف التردد على الأعراف، حيث لا ينفع التمني ولا يجدي الحياد.

إنها سورة تُربّي المؤمن على أن الوعي فريضة، وأن الاختيار قدر، وأن المصير ثمرة الطريق الذي يختاره الإنسان بإرادته.

سورة الأنفال

الاسم والدلالة

سُمّيت السورة بـ **الأنفال**[1]،" وَالْأَنْفَالُ :الْغَنَائِمُ، وَاحِدُهَا :نَفَلٌ، وَأَصْلُهُ الزِّيَادَةُ، يُقَالُ :نَفَلْتُكَ وَأَنْفَلْتُكَ، أَيْ :زِدْتُكَ، سُمِّيَتِ الْغَنَائِمُ أَنْفَالًا لِأَنَّهَا زِيَادَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى الْخُصُوصِ"[2]. وجاءت التسمية من مطلعها الذي افتُتح بسؤال الصحابة عن حكم تقسيم الغنائم عقب **غزوة بدر الكبرى**، أول معركة فاصلة في تاريخ الإسلام.﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١﴾.

غير أن السورة لا تقف عند بيان حكم الغنائم، بل تتخذ من هذا السؤال مدخلًا تربويًا وتشريعيًا عميقًا، لتؤسس لمفاهيم كبرى تتجاوز المال إلى بناء الدولة، وضبط الصراع، وتهذيب النفوس ساعة النصر.

فالأنفال هنا ليست مجرد متاع يُقتسم، بل اختبار للقلوب بعد التمكين، ومِحكٌّ للطاعة والانضباط، وميزان يُقاس به صدق الانتماء للمشروع الإيماني.

---

[1] قال الزحيلي:" وسبب تسميتها بالأنفال واضح، لسؤال الناس عن أحكامها، والمراد بها الغنائم الحربية، فقد ابتدئت السورة بقوله تعالى: {يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ}".**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، وهبة الزحيلي [ت ١٤٣٦ هـ]، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)،الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م،ج9ص239.

[2] محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م،ج3ص325. وانظر: قال الخازن:" ". علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ج2ص289.

المقصد العام للسورة

تهدف سورة الأنفال إلى **ترسيخ مبادئ الجهاد في سبيل الله** بوصفه عبادة منضبطة، لا اندفاعًا عاطفيًا ولا عنفًا منفلتًا، مع تنظيم معالم القوة والقتال داخل الدولة الإسلامية الناشئة، وربط النصر بالطاعة، والهزيمة بالمخالفة، لا بمجرد الحسابات المادية.

كما تُبيّن السورة **سنن النصر والهزيمة** في صراع الحق والباطل، وتكشف أن التمكين في الأرض لا يتحقق بكثرة العدد ولا وفرة العتاد، وإنما بالإيمان، ووحدة الصف، والانقياد لأمر الله ورسوله، وحسن إدارة الصراع أخلاقيًا وسياسيًا وعسكريًا.

وبذلك تشكّل سورة الأنفال لبنةً أساسية في بناء فقه الاستخلاف، حيث يمتزج فيها التشريع بالتربية، والتاريخ بالمنهج، والنصر بالمسؤولية.

البنية الموضوعية لسورة الأنفال

تنتظم سورة الأنفال في بناء موضوعي دقيق، يواكب تطور الحدث من **تزكية القلوب** إلى **تنظيم الدولة**، ومن **معركة بدر** إلى **فقه التمكين والولاء**.

أولًا: الغنائم ومفهوم الطاعة (الآيات 1–4)

تفتتح السورة بسؤال ظاهره مادي وباطنه تربوي عميق: سؤال الغنائم، فتقرر من اللحظة الأولى أن القضية ليست في المال ولا في القسمة، بل في **الطاعة المطلقة لله ورسوله**، وتزكية النفوس من التنازع والأنانية. وتصف المؤمنين الصادقين بصفات إيمانية رفيعة، لتؤكد أن النصر ثمرة الإيمان قبل أن يكون نتيجة السلاح.

ثانيًا: تمهيد بدر وربطها بإرادة الله (الآيات 5–19)

تنتقل السورة إلى تصوير معركة بدر، لا بوصفها حدثًا عسكريًا، بل باعتبارها **معركة إيمانية خالصة** دبّرها الله وأدار تفاصيلها، رغم قلة العدد وضعف العتاد.

وتُبرز أن ما جرى لم يكن مصادفة ولا حظًا، بل تنفيذًا لإرادة إلهية أرادت إحقاق الحق وإزهاق الباطل، ليعلم الناس أن النصر بيد الله وحده.

ثالثًا: أحكام الحرب والأنفال وسنن الصراع (الآيات 20–40)

في هذا المحور تُرسّخ السورة قواعد الطاعة والثبات والانضباط في ساحة القتال، وتحذّر من مخالفة الأمر أو التنازع الذي يذهب الريح، كما تُبيّن أحكام الغنائم ومآل الكافرين، وتضع إطارًا أخلاقيًا وتشريعيًا للصراع، يجعل الحرب وسيلة لرفع الظلم، لا بابًا للفوضى أو التشفي.

رابعًا: التنظيم الداخلي والردع وبناء الجماعة (الآيات 41–75)

تختم السورة ببيان قواعد **تقسيم الغنائم**، وترسيخ مبدأ الهجرة والولاء، وبناء شبكة المؤازرة بين المؤمنين، مع رسم سياسة الردع تجاه الأعداء. وفي هذا المحور يكتمل التحول من جماعة مجاهدة إلى **دولة منظمة**، لها تشريعاتها، وولاءاتها، ومعايير الانتماء إليها.

وبذلك تتكامل سورة الأنفال في رسم منهج قرآني متدرّج، يبدأ بإصلاح القلب، ويمر بإدارة المعركة، وينتهي ببناء الكيان، ليؤكد أن النصر الحقيقي هو نصر القيم قبل نصر الميدان.

(فالآيات من1–4): الغنائم ليست غاية، بل وسيلة للطاعة

في بداية السورة، يوجه الله سبحانه سؤالًا للرسول ﷺ عن الأنفال، ليبين أن الغنائم ليست غاية بحد ذاتها، بل ملك لله ولرسوله، ويجب أن يكون التعامل معها وفق ما يرضي الله ويحقق مصلحة الجماعة:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١...﴾

الرسالة:

النصر والتمكين لا يبرران الطمع أو الأنانية، والغنيمة لا تُرفع فوق المبادئ، بل تُدار بما يحقق الطاعة لله والالتزام بالقيادة الشرعية.

(5–19): بدر بين أسباب السماء وأسباب الأرض

غزوة بدر لم تكن مجرد خطة بشرية، بل كانت اختبارًا إلهيًا للكافرين والمؤمنين على حد سواء.

أرسل الله الملائكة لتأييد المؤمنين، وجعل النصر علامة على الطاعة والخضوع لله، لا سببًا للافتخار بالقدرة الذاتية.

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم ١٧﴾

الرسالة:

النصر من عند الله وحده، لكنه يُعطى لمن اجتهد في الأخذ بالأسباب وخضع لتوجيهاته.

(20–40): الطاعة، الثبات، الإنفاق، الجهاد

الله سبحانه يوجه المؤمنين إلى الطاعة المطلقة له ولرسوله ﷺ، ويدعوهم للثبات وعدم الفرار عند الزحف، والانصراف عن الخيانة، والإكثار من ذكر الله، مع وضوح التشريع في توزيع الغنائم وموقف أهل مكة.

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ٢٠ ...﴾

الرسالة:

الجهاد منظومة متكاملة، لا فوضى فيها، والطاعة لله وللرسول هي الشرط الأول لنجاح الأمة وتحقيق النصر.

(41–75): بناء الجبهة الداخلية والولاء والانتماء

بعد غزوة بدر، يُركّز القرآن على تنظيم الغنائم اقتصاديًا: ﴿۞ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم

بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾؛ لتأكيد أن المال ليس ملكًا فرديًا، بل مسؤولية جماعية تُوزّع بعدل.

ثم تُؤسِّس الآيات لمفهوم **الولاء في الدولة الإسلامية** على أساس عقدي واضح؛ فالمهاجرون والأنصار هم أهل النصرة والتكافل، والذين لم يهاجروا لا تثبت لهم ولاية النصرة السياسية والعسكرية حتى يندمجوا في جماعة الإيمان، مع تقرير مبدأ حاسم مفاده أن **الرابطة الدينية مقدَّمة على روابط النسب والدم.**

ويأتي هذا التفصيل ليصوغ هوية الجماعة المؤمنة، ويضبط حدود الانتماء والمسؤولية، ويحول دون ازدواج الولاءات أو تمييع المفاهيم في مرحلة التمكين.

الرسالة:
ثبات الدولة ونجاحها يقوم على ولاء واضح، وترك الأهواء الشخصية، والانتماء للمبدأ، لا للأفراد أو المصالح الذاتية.

خلاصة تفسير سورة الأنفال

تُقَدِّم سورة الأنفال رؤية متكاملة تُؤَصِّل لمعاني النصر والبناء في التجربة الإسلامية الأولى، وتتوزع رسائلها على مجالات متداخلة يشدّ بعضها بعضًا.

فعلى مستوى **العقيدة**، تقرر السورة أن النصر بيد الله وحده، غير أنه لا يقع جزافًا ولا اعتباطًا، بل يجري وفق سنن إلهية محكمة، تقوم على الإيمان والطاعة والأخذ بالأسباب.

وفي المجال **السياسي**، تُرَسِّخ السورة مبدأ تقديم الطاعة على المكاسب، فلا غنيمة قبل الانضباط، ولا شرعية لأي تصرّف يتجاوز مرجعية القيادة والوحي، مهما كانت نتائج المعركة.

أما في ميدان **الجهاد**، فتؤكد السورة أن النصر ثمرة للثبات ودوام الذكر وحسن التنظيم، وتحذّر من الفرار والتخاذل، لما في ذلك من تقويض لقوة الجماعة وكسر لهيبتها.

وفـي البعـد **الاقتصــادي**، تضـع السـورة أسـس العدالـة فـي توزيـع الغنـائم، فتـربط الاسـتحقاق بالضوابط الشرعية، وتمنع الاحتكار والفوضى، بما يحقق التوازن ويصون وحدة الصف.

وأخيرًا، تؤكد السورة في جانب **الانتمـاء والـولاء** أن الرابطـة الجامعـة هـي رابطـة العقيـدة، لا العصبية ولا القرابة، وأن قوة الأمة إنما تنبع من وضوح ولائها وثبات هويتها الإيمانية.

الربط بين سورة الأنفال والأعراف

يـأتي ترتيـب سـورة الأنفـال بعـد سـورة الأعـراف فـي نسـق قرآنـي مقصـود يعكـس **تـدرّج البنـاء المنهجي في عرض قضية الصراع بين الحق والباطل**.

فقـد عالجـت سـورة الأعـراف الصـراع فـي إطـاره التـاريخي العـام، مـن خـلال اسـتعراض مسـيرة الرسـل مـع أقوامهـم، وكشـفت عـن **سـنن الصـراع عبـر التـاريخ**؛ مـن قيـام الـدعوة، ومواجهـة الطغيـان، وسـنة الاسـتكبار والتكـذيب، ومـآلات النصـر والهـلاك. فجـاءت الأعـراف بمثابـة التأصيل النظري والتاريخي لقوانين التدافع الإنساني.

ثم جاءت سورة الأنفال لتنتقل بهذا التأصيل من **حيّز العرض التـاريخي إلـى مجـال التطبيـق العملــي**، فمثّلـت أول مواجهـة مباشـرة مـع الطغيـان بعـد قيـام الدولـة الإسـلامية فـي المدينـة، وطبّقـت سـنن النصـر والهزيمـة التـي عُرضـت مجملـة فـي الأعـراف علـى واقـع ملمـوس، هـو معركة بدر وما تفرع عنها من تشريعات وتنظيمات.

وبــــــــذلك يمكــــــــــــــن القــــــــــــــول:

إن **ســــورة الأعــــراف** قــدّمت عرضًــا لســنن الصــراع فــي مســار التــاريخ، بينمـا جـاءت **سـورة الأنفـال** لتجسّـد هـذه السـنن فـي الواقـع العملـي للدولـة الناشـئة، مقرونـة بالتشريع والتوجيه والتنظيم، فيتحقق بذلك التكامل بين البيـان النظري والتطبيق الـواقعي فـي البناء القرآني.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة الأنفال إلى وقفة مراجعة مع النفس، لا بوصفها نصًّا تاريخيًا، بل خطابًا حيًّا متجدّدًا يختبر صدق الإيمان وعمق الانتماء.

فهل نحن ممن **يُقدِّمون طاعة الله ورسوله طاعةً واعية لا تردّد فيها**، أم نقف عند حدود القبول الانتقائي حين تتعارض الأوامر مع الأهواء؟

وهل نُدرك حقًّا أن **النصر لا يُمنَح إلا بالصبر والثبات، وصفاء النية**، وأن النتائج ليست ثمرة الاستعجال ولا الادّعاء، بل حصيلة الالتزام بسنن الله؟

ثم إلى أي حدٍّ ننتمي إلى الأمة انتماءً حقيقيًا يتجاوز الشعارات، أم ما تزال **رواسب العصبية الجاهلية** تؤثر في مواقفنا وولاءاتنا واصطفافاتنا؟

وأخيرًا، هل نُقدِّم **الجماعة على مصلحة النفس، والمبدأ على الغنيمة**، فنختار طريق القيم ولو كان أثقل، أم نبحث عن المكاسب ولو على حساب وحدة الصف؟

إنها أسئلة لا تُطرَح للتجريح، بل للإصلاح، ولا تُستحضَر للإدانة، بل لبناء وعيٍ صادقٍ يستأنف السير على بصيرة.

خاتمة

تُمثّل سورة الأنفال دستور النصر في التصور الإسلامي، إذ لا تكتفي بسرد وقائع معركة، ولا ببيان أحكام جزئية، بل تؤسّس لمنهج متكامل في بناء القوة وإدارة الصراع. فهي تُعلِّم الأمة أن النصر لا يُختزل في السلاح ولا في وفرة العَدد والعُدّة، وإنما ينبع من منظومة قيمية وروحية وتنظيمية قوامها الطاعة، والانضباط، والثبات، ووضوح الولاء، وحسن التوكل على الله. وبهذا ترسم السورة معالم الطريق بين الإيمان والتمكين، وتربط بين صدق الانتماء وحقيقة النصر، لتظل آياتها مرجعًا حيًّا لكل أمة تطلب العزة وتسعى إلى الاستخلاف على هدى من الله.

سورة التوبة

الاسم والدلالة:

سورة التوبة هي الوحيدة التي لم تفتتح بالبسملة[1]، وسُمّيت بهذا الاسم لأنها[2]، في جوهرها، سورة تطهير وتنقية، تهيئ القلوب للتوبة الجماعية، وتصفّي الصفوف، وتفصل بوضوح بين المؤمن الصادق والمنافق المتربص. وقد أطلق عليها أيضًا أسماء شتى، مثل: سورة البراءة، لسخوطها على المنافقين والمتخاذلين؛ سورة الفاضحة، لأنها فضحت النفاق والازدواجية؛ وسورة السيف، لأنها أعلنت سياسة الحزم الحازمة ضد أعداء الأمة ووضعت قواعد المواجهة بكل صرامة.

[1] قال في طيبة النشر: " **سوى براءة فلا ولو وصل ... ووسطا خيّر وفيها يحتمل**

أي فلا يبسمل في ابتدائها قوله: (ووسطا) أي وسط السورة: يعنى ألفاظها وأجزاءها، هذا الموضع الثالث وهو أوساط السورة؛ فالقارئ فيه مخير بين الإتيان بالبسملة فيه بعد الاستعاذة، وذلك سوى براءة فإنه يحتمل التخيير فيها كغيرها، ويحتمل المنع من البسملة فيها". شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)،**شرح طيبة النشر في القراءات**، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م،ص48.قال في الشاطبية: " ولا بدّ منها في ابتدائك سورة ... سواها وفي الأجزاء خيّر من تلا" عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت ١٤٠٣هـ)،**الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م،ص949. وفي مسائل الامام أحمد:" وَسَأَلته عَن سُورَة الْأَنْفَال وَسورَة التَّوْبَة هَل يجوز للرجل أَن يفصل بَينهمَا بِبسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم قَالَ أبي ينتهى فِي الْقُرْآن إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ أَصْحَاب مُحَمَّد عَلَيْهِ السَّلَام لَا يُزَاد فِيهِ وَلَا ينقص". **مسائل الإمام أحمد بن حنبل – رواية ابن أبي الفضل صالح (٢٠٣ هـ – ٢٦٦ هـ)**، حقيق ودراسة وتعليق: د. فضل الرحمن دين محمد، الناشر: الدار العلمية – دلهي، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م،ج1ص274.

[2] "لها عدة أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب؛ لأنّ فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق، أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها، وتثيرها، وتحفرها وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم. وعن حذيفة: "إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سُورةُ العذاب، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه" شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)**،حققه: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م،ج7ص16.

المقصد العام:

تؤكد السورة على ضرورة تنقية الصف الإسلامي من شوائب النفاق، وتنظيم علاقة الدولة مع أهل العهود والمواثيق، وإظهار أن الولاء لله ولدينه فوق أي اعتبار دنيوي. إنها سورة التزكية والتنظيم، والسيف الروحي والسياسي الذي يقطع الطريق أمام كل محاولات التشويش والضعف.

البنية الموضوعية لسورة التوبة:

تنطلق السورة بالتصريح بالبراءة من المشركين، إذ تتناول الآيات الأولى (1–28) إنهاء العهود المرفوضة ووضوح سياسة المواجهة مع من نقض العهود، مؤكدة أن الأمة لا تقوم على التهاون أو المجاملة مع من يعاديها ويخون العهود.

ثم تنتقل السورة إلى إعلان الجهاد وتحديد العدو في الآيات من 29 إلى 59، موضحة قواعد القتال الشرعي، وبيان موقف المؤمنين تجاه أهل الكتاب والمنافقين، مع توجيه الأمة نحو الانضباط، والثبات، والاعتماد على الله في المعارك، دون الانجرار وراء الأهواء أو الحظوظ الدنيوية.

وتبرز الآيات من 60 إلى 110 صفات المنافقين وأدوارهم، إذ تكشف عن ازدواجية سلوكهم، وخطرهم الداخلي، وكيف يهددون تماسك الصف الإسلامي، مؤكدة ضرورة الوعي الجماعي والحذر منهم، وإقامة الحجة عليهم.

أما الخاتمة، في الآيات من 111 إلى 129، فتسلط الضوء على مواقف المؤمنين في العُسرة، داعية إلى التوبة، والتضحية، والثبات على الطريق المستقيم، مع تأكيد أن الخاتمة الحقيقية للنجاة تكمن في الولاء لله ورسوله، وفي استعداد النفس للانصياع للأوامر الربانية، مهما كانت الظروف والتحديات.

(1–28): البراءة وبداية السيادة

تفتتح سورة التوبة بإعلان صريح وواضح عن البراءة من عهود المشركين بعد أن تمكّنت الدولة الإسلامية، ليكون الفصل بين المؤمن والمشرك واضحًا وصريحًا:

- إعلان البراءة:(بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١) ، مع منح المهلة المحددة بأربعة أشهر للتوبة أو مواجهة النتائج.
- تحريم دخول المشركين المسجد الحرام، تأكيدًا على أن السيادة الدينية والسياسية لا يمكن أن تُركن إلى المجاملات.
- تأكيد عدم ولاية المشرك، حتى لو كان أقرب الأقارب، لتصبح العقيدة والمبدأ فوق كل اعتبارات قرابة أو مصلحة شخصية.

الرسالة:

دولة الإسلام لا تُبنى على المجاملات أو التردد، بل على عقيدة راسخة، وسيادة كاملة، وفصل واضح بين الحق والباطل.

(29–59): فقه الجهاد وتنظيم العلاقة مع أهل الكتاب

تستعرض هذه الآيات منهج الدولة الإسلامية في مواجهة من يعاند الحق، مع وضع قواعد واضحة للعلاقة مع أهل الكتاب:

- أمر بالقتال لأهل الكتاب الذين لا يؤدون الجزية (قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩)، لتأكيد سيادة الدولة وحقها في الدفاع عن النظام الإيماني والاجتماعي.
- فضح أحبار اليهود والنصارى الذين حرّفوا الدين، مع بيان أن التحريف والظلم لا يُترك بلا عقاب.
- وضع قاعدة الجزية كآلية عدل: تفرض سيادة الدولة دون إذلال، وتضمن احترام حقوق المواطنين غير المسلمين ضمن نظام الدولة الإسلامية.
- توصيف المنافقين: تخلف عن الحق، تثبيط للمؤمنين، اعجاب بالنفس، وسخرية من الصالحين، ليكونوا عبرة لمن يطعن في الولاء للدين.

الرسالة:

الدولة القوية لا تتسامح مع الانحراف الداخلي أو الخارجي، وتخاطب الأمم بنظام وعدالة، وتضع حدودًا واضحة لمن يخالف مبادئها، مع الحفاظ على وحدة الصف الداخلي.

(60–110): فضح النفاق وتفكيك بنيته

تنتقل السورة في هذا المقطع إلى أخطر جبهة تهدد المجتمع الإسلامي، وهي جبهة النفاق الداخلي. فتبيّن أولًا مصارف الزكاة، لتؤكد أن المال في الدولة الإسلامية يُدار وفق ميزان شرعي يحقق العدالة الاجتماعية ويعالج مواطن الضعف في المجتمع. غير أن الآيات لا تقف عند الجانب المالي، بل تكشف طبيعة المنافقين وسلوكهم؛ فهم يعترضون على القسمة، ويطعنون في القيادة، ويُظهرون الولاء ويخفون الكراهية، ويبحثون دائمًا عن مواضع الفتنة والاضطراب داخل الصف.

ثم تفضح السورة مكرهم السياسي والاجتماعي، ومن أبرز مظاهره بناء **مسجد الضرار**، الذي لم يُنشأ لعبادة الله، بل ليكون مركزًا للتفريق بين المؤمنين وإضعاف وحدتهم. وهنا يجيء الموقف الحاسم بهدمه، ليؤكد أن الشعارات الدينية لا تُقبل إذا كانت أداة لهدم الجماعة وإضعافها.

الرسالة:

خطر النفاق الداخلي أشد من خطر العدو الظاهر، لأن المنافق يعمل من داخل الصف، ولذلك لا بد من الوعي به، وكشف أساليبه، وحماية المجتمع من مشاريعه التخريبية مهما تلثفت بلباس الدين.

(111–129): التوبة والصدق في مواقف العسرة

تختم السورة بمشهد إيماني عظيم يبرز حقيقة الانتماء الصادق، حيث تعرض نموذج المؤمن الذي باع نفسه لله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، ليكون الجهاد والتضحية تعبيرًا عن هذا العقد الإيماني بين العبد وربه.

وتعرض السورة كذلك مواقف الصدق في زمن الشدة، وخاصة في **غزوة تبوك**، حين تميز الصف بين صادق ومنافق، وتجلت قيمة التوبة الصادقة كما في قصة الثلاثة الذين خُلّفوا، فكان صدقهم طريقًا إلى القبول والرحمة.

وتنتهي السورة بتوجيه المؤمنين إلى الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى استحضار رحمته وحرصه على أمته، ثم إلى التوكل الكامل على الله وحده.

الرسالة:
النجاة ليست في ادعاء الإيمان، بل في صدق التوبة، والاستعداد للتضحية، والثبات مع الجماعة المؤمنة في أوقات العسر قبل أوقات اليسر.

خلاصة تفسير سورة التوبة:

تُجمل سورة التوبة معالم بناء الدولة المسلمة في مرحلة القوة والتمكين، وتكشف بوضوح قواعد التمييز بين الصف الصادق والصف المتردد أو المنافق. فهي تؤكد في جانب **العقيدة** أن الولاء يجب أن يكون خالصًا لله ورسوله، وأن رابطة الإيمان تعلو على كل الروابط الأخرى. وفي جانب **السياسة** تُعلن سيادة الدولة الإسلامية ووضوح موقفها من أعدائها، فلا تقوم على المجاملة أو الغموض، بل على وضوح الموقف والوفاء بالعهد.

أما في **فقه الجهاد** فتقرر أن المواجهة مع القوى المعادية ليست اندفاعًا عاطفيًا، بل نظامًا منضبطًا تحكمه مقاصد الشرع ومصلحة الأمة.

وفي **البناء الاجتماعي** تكشف السورة خطر النفاق الداخلي، وتُعرّف المجتمع بصفاته وأساليبه حتى لا يُخدع به. كما تؤكد في **البعد التربوي** أن التوبة الصادقة والصدق مع الله هما طريق النجاة، وأن التضحية والثبات في أوقات العسرة هما الميزان الحقيقي لصدق الإيمان.

وبذلك تظهر سورة التوبة كوثيقة قرآنية كبرى لتنقية الصف، وترسيخ السيادة، وبناء مجتمع مؤمن واضح الهوية، صادق الولاء، ثابت في مواجهة التحديات.

الربط مع السورة السابقة:

إذا كانت سورة الأنفال قد وضعت **قواعد النصر في بداية المواجهة العسكرية**، فإن سورة التوبة تمثل **مرحلة الحسم بعد التمكين**؛ ففي الأنفال كان التركيز على إعداد الصف، والانضباط، وطاعة القيادة في أولى المعارك، أما في التوبة فقد أصبح المجتمع أكثر رسوخًا، فاقتضى الأمر إعلان البراءة من القوى المعادية، وتنقية الصف من النفاق، وتثبيت قواعد السيادة الإسلامية في الداخل والخارج. قال الالوسي:" ووجه مناسبتها للأنفال أن في الأولى قسمة الغنائم وجعل خمسها لخمسة أصناف على ما علمت وفي هذه قيمة الصدقات وجعلها لثمانية أصناف على ما ستعلم إن شاء الله تعالى، وفي الأولى أيضا ذكر العهود وهنا نبذها وأنه تعالى أمر في الأولى بالاعداد فقال سبحانه :وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] الأنفال: ٦٠ [ونعى هنا على المنافقين عدم الاعداد بقوله عز وجل: وَلَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً] التوبة: ٤٦ [وأنه سبحانه ختم الأولى بإيجاب أن يوالي المؤمنين بعضهم بعضا وأن يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وصرح جل شأنه في هذه بهذا المعنى بقوله تبارك وتعالى: بَراءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ] التوبة: ١ [إلخ إلى غير ذلك من وجوه المناسبة"[1].

فالأنفال تُعلّم الأمة كيف تنتصر، والتوبة تُعلّمها كيف تحافظ على النصر وتُصفي صفها بعده.

---

[1]أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م،ج5ص236.

للتأمل الذاتي:

تدعوني سورة التوبة إلى مراجعة صادقة لموقعي في صف الإيمان:

هل ولائي لله ولدينه ولجماعة المؤمنين واضح لا التباس فيه، أم أن في نفسي بقية من حسابات المصلحة أو روابط الجاهلية؟

وهل أكون ثابتًا مع الحق في أوقات العسر كما في أوقات اليسر، أم يتغير موقفي حين تشتد التضحيات؟

كما تدفعني السورة إلى الحذر من أخلاق النفاق، التي تبدأ بالاعتذار والتثبيط وتنتهي بالطعن في أهل الإيمان، وتدعوني في الوقت نفسه إلى دوام التوبة وتجديد العهد مع الله، حتى يبقى القلب صادقًا في انتمائه، ثابتًا في ولائه.

الخاتمة:

سورة التوبة هي سورة الحسم والتمييز، تُنهي مرحلة المجاملات، وتفتح مرحلة الوضوح في الولاء والبراءة. إنها سورة تنقية الصف، وترسيخ السيادة، وتربية الأمة على الصدق مع الله في السلم والحرب. ومن فهم رسالتها أدرك أن قوة الأمة لا تقوم على العدد والعدة فحسب، بل على صفٍّ صادقٍ نقيٍّ من النفاق، ثابتٍ في ولائه، مستعدٍ للتوبة والتضحية في سبيل الله.

سورة يونس

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ "**يونس**"[1] لذكر قصة هذا النبي الكريم في ختامها، وهي **القصة الوحيدة التي نجت فيها أمة كاملة بالتوبة**، في مقابل قصص الأمم الأخرى التي هلكت بسبب تكذيبها وغياب التوبة.

وتُجسّد السورة بهذه الإشارة الكبرى **رحمة الله الواسعة وفرصة التوبة الصادقة**، فتؤكّد أن الخلاص ممكن مهما عظُم الذنب إذا سبق الإيمان التام والإنابة الخالصة إلى الله.

المقصد العام للسورة

تهدف سورة يونس إلى تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، من خلال عرض دلائل على التوحيد، البعث، وصدق الرسالة، عبر أدلة عقلية وكونية وتاريخية. كما تفتح السورة أفق الرجاء والهداية لكل من ابتغي التوبة، مؤكدة أن الإيمان الصادق والتوبة الصادقة هما السبيل للنجاة من الهلاك والضياع.

البنية الموضوعية لسورة يونس

تتوزع سورة يونس على بناء موضوعي متدرج، يربط بين دلائل الوحي ومواقف البشر، وصولًا إلى تثبيت موقف المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] قال الحلاق:" سميت به، عليه السّلام، لتضمنها قوله: فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ [يونس: ٩٨] ، ففيه غاية ما يفيد فيه الإيمان وضرر تركه وتأخيره، وهو المقصد الأعلى من إنزال الكتاب– قاله المهايميّ–". القاسمي الحلاق، **محاسن التأويل** ، مرجع سابق ج6ص3.قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَفِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالسُّنَّةِ سُورَةَ يُونُسَ لِأَنَّهَا انْفَرَدَتْ بِذِكْرِ خُصُوصِيَّةٍ لِقَوْمِ يُونُسَ، أَنَّهُمْ آمَنُوا بَعْدَ أَنْ تَوَعَّدَهُمْ رَسُولُهُمْ بِنُزُولِ الْعَذَابِ فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا آمَنُوا. ابن عاشور، **التحرير والتنوير[تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]**، مرجع سابق،ج11ص77.

يبدأ البناء بمحور **دلائل الوحي والرسالة** في الآيات (1–20)، حيث يُبرز القرآن التعجب من هذا الوحي وبيان حكمته، وما يميّزه عن أي كلام بشري، ليؤسّس الوعي بأهمية الإيمان بالرسالة والاعتماد على هدي الله.

ثم ينتقل المحور الثاني في الآيات (21–56) إلى **براهين التوحيد والبعث**، مع عرض السنن الكونية وأمثلة من مواقف البشر، لإظهار مدى انسجام الكون مع مقاصد الخالق، وكيف أن التكذيب والتجاهل يؤديان إلى الخسارة.

ويعالج المحور الثالث في الآيات (57–98) **مصير الأمم المكذبة**، مستعرضًا مشاهد التاريخ من فرعون إلى قصص الأمم السابقة، مع إبراز قصة يونس كنموذج للأمة المنجاة بعد التوبة، ليكون القرآن موعظة حية وعبرة عملية.

ويُختتم البناء بمحور رابع في الآيات (99–109) يركز على **موقف النبي والمؤمنين**، حيث يُقرّر الثبات على الوحي ورفض التنازل عن الدعوة، مع تعزيز الصبر والاعتماد على الله في مواجهة التكذيب والمعارضة.

(1–20): الوحي ليس عجبًا... بل رحمة ونذير

تفتتح السورة بالإشارة إلى استغراب بعض الناس من أمر الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ٢﴾، لتؤكّد أن **الوحي ليس بدعة، والرسالة ليست مستحدثة، بل هي صواب وحقّ ثابت.**

ويقدّم النص ردًّا عمليًا على المستهزئين من البشر: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ ، أي أن التحدّي متاح لمن أراد المقارنة، إلا أن أحدًا لا يستطيع محاكاته، ما يبرز صدق الرسالة وسموها على كل كلام بشري.

الرسالة المستفادة:

أن الوحي هو **رحمة ونذير**، لا يُقابل بالاندهاش أو السخرية، بل يجب استقباله بـ **الفهم، والتدبّر، والاستعداد للإيمان والعمل**، فهو سبيل الهداية لا مجال للتهكم عليه.

(21–56): سنن الهداية والضلال في الواقع

تتجلّى في هذه الآيات **سنن الله في هداية البشر وضلالهم**، حيث يوضح القرآن أن الناس **يلجؤون إلى الله في الشدائد، وينكرونه عند الرخاء**، متبعين أهواءهم بدل الاستقامة على الحق.

وتستعرض الآيات **دلائل الكون** من حولنا – في الريح، والبحر، والليل، والنهار – لتكون شاهدًا حيًا على حكمة الله وقدرته، مؤيدة للعقل السليم القادر على استخلاص الحُجّة، ومفحّصة لكل مكذب أو جاحد.

كما يبرز النص **مشهد محاورة منكري البعث والآخرة**، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾، لتأكيد الجزاء والحساب الذي يربط بين العمل والنتيجة.

الرسالة:

أن الآيات من حولنا تنطق بالحكمة والهدى، وأن العقل الصادق يهتدي بما يراه ويجده، بينما المكذب يتبع أهواءه ويبتعد عن الطريق المستقيم، فلا يُنجو إلا من خضع لحقائق الكون وهدي الوحي.

(21–56): سنن الهداية والضلال في الواقع

تتجلّى في هذه الآيات **سنن الله في هداية البشر وضلالهم**، حيث يوضح القرآن أن الناس **يلجأون إلى الله في الشدائد، وينكرونه عند الرخاء**، متبعين أهواءهم بدل الاستقامة على الحق.

وتستعرض الآيات **دلائل الكون** من حولنا – في الريح، والبحر، والليل، والنهار – لتكون شاهدًا حيًا على حكمة الله وقدرته، مؤيدة للعقل السليم القادر على استخلاص الحُجّة، ومفحّصة لكل مكذب أو جاحد.

الرسالة المستفادة:

أن الآيات من حولنا تنطق بالحكمة والهدى، وأن العقل الصادق يهتدي بما يراه ويجده، بينما المكذب يتبع أهواءه ويبتعد عن الطريق المستقيم، فلا يُنجو إلا من خضع لحقائق الكون وهدي الوحي.

(57–98): القرآن موعظة وفرصة للنجاة

تبدأ هذه الآيات بوصف القرآن كموعظةٍ جامعة وشفاءٍ وهدى ورحمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾، لتُبرز أنّ الرسالة القرآنية ليست مجرّد كلام، بل دليل حيّ على الهداية ووسيلة للنجاة.

ويقدّم القرآن **نماذج عملية للعبرة**، منها مشهد فرعون الذي آمن حين الغرق، فكان السؤال موجّهًا له:﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾ ، ما يوضح فداحة التوبة المتأخرة.

وفي المقابل، تأتي قصة يونس لتؤكّد **ثمار التوبة المبكرة والإنابة الصادقة**، إذ أن قومه آمنوا قبل فوات الأوان، فنجا الجميع دون استثناء.

الرسالة المستفادة:

أن الإيمان في الوقت المناسب يُنجي ويحقق النجاة، بينما الندم بعد فوات الأوان لا يُقبل، فالتوبة الصادقة قبل الفتح على الحق هي طريق النجاة الحقيقي.

(99–109): الثبات على الوحي، وإن كذّب الناس

تختم سورة يونس بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الثبات على الوحي رغم تكذيب الناس، مؤكدة أن الهداية لا تُفرض على القلوب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾، لتوضّح أن **الإيمان اختيار، والرسول مأمور بالبلّاغ لا بالإكراه.**

كما تدعو الآيات إلى التجرد من التقاليد والأعراف الباطلة، وتوجيه السؤال المنطقي للمشركين –كما في المقطع السابق–:
﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥﴾، لبيان عجزهم عن الهداية، وضرورة التمسك بالحق دون مواربة.

ويُختتم الخطاب بتأكيد الثبات والصبر، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩﴾، مجدّدًا التذكير بأن التزام الوحي والصبر على البلاء هما أساس استمرار الدعوة وتحقيق النتائج المرجوة.

الرسالة :
أن الوحي لا يُساوَم، ولا يُتخلى عنه بسبب تكذيب الناس، وأن الثبات على المبادئ والاعتماد على الله هما السبيل لسلام النفس واستمرار الدعوة.

خلاصة سورة يونس

تقدّم سورة يونس رؤية متكاملة تربط بين العقيدة والسلوك والتوجيه العملي للمؤمنين.

في العقيدة، تؤكد السورة أن التوحيد والبعث يقومان على أساس عقلي ومنطقي، وأن العقل السليم قادر على إدراك صدق الرسالة من خلال دلائل الكون والآيات.

أما في مجال السلوك الفردي والجماعي، فتوضح السورة أن الدعاء في الشدة وحده لا يكفي، بل يجب الثبات على الطاعة والاستقامة حتى في أوقات الرخاء، حيث تختبر القلوب.

وفي ما يتعلق بالقرآن، فهي تصفه **شفاء وهداية ورحمة**، مشروطة بالتلقي الصادق والفهم والتدبر، فلا يتحقق أثره إلا بالانقياد الواعي لأحكامه.

وتبرز السورة **القدوة النبوية**، فالنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بالصبر والثبات على الوحي وعدم التنازل أمام التكذيب والمعارضة، ليكون نموذجًا للأمة في كل زمان.

وأخيرًا، تعرض السورة **سنن الله في الهداية والضلال**، فتُبيّن أن **التوبة الجماعية الصادقة تنجي الأمة**، بينما التوبة الفردية المتأخرة بعد فوات الفرصة لا تجدي، ليظل توقيت الانقياد لله هو عامل الحسم في النجاة والهلاك.

الربط بين سورة يونس وما قبلها

يتجلى التسلسل القرآني بين السورتين في **تدرّج الوظائف والرسائل** التي تهدف إلى تثبيت الأمة وتوجيهها.

فقد ركّزت **سورة التوبة** على الحسم السياسي والعسكري، سواء داخليًا أو خارجيًا، لتطهير الصفوف وضبط الجماعة من خلال القوة والتنظيم، وإقامة العدالة والهيبة في الدولة الناشئة.

ثم تأتي **سورة يونس** لتكمّل هذا البناء، لكنها تتحوّل من بعد الصراع المادي إلى **تزكية القلوب وتعزيز الإيمان الصافي**، مركّزة على التوحيد، والتوبة الصادقة، والثبات على الوحي، وفتح آفاق الرجاء والهداية.

وبذلك يمكن القول:

- **التوبة:** تنقية الصف بالقوة والتنظيم، ضمانًا لوحدة الجماعة واستقرارها.
- **يونس:** تزكية القلب بالرحمة والبصيرة، وترسيخ الثبات على المبادئ بعد تحقيق الأمن والاستقرار.

إن هذا الربط يوضح أن القرآن يجمع بين البُعدين العملي والروحي، فالمواجهة المادية تتبعها تربية النفس، لضمان نجاح الدولة وصلاح الفرد والمجتمع معًا.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة يونس إلى وقفة صادقة مع النفس، لفحص حقيقة العلاقة بالقرآن وبالهداية:

هل أتلقى القرآن كموعظة وشفاء وهداية، أم أكتفي بحفظه نصًّا دون أن يلمس قلبي وسلوكي؟

وهل أنا في موقف يونس حيث التوبة قبل فوات الأوان، أم في موقف فرعون الذي آمن بعد فوات الوقت، ففقد النجاة؟

هل أُدرك دلائل الله من حولي في الكون والحياة، وأستجيب لما تهديه الآيات، أم أغفلها وأتبع الأهواء؟

وهل أستعد للرجوع الصادق إلى الله قبل أن يُقال لي: "ءَآلآن؟"، أي قبل فوات الفرصة وخسارة الأمل؟

إنها أسئلة للتدبر، تهدف إلى مراجعة الذات، وتصحيح المسار، وتجديد النية في الطاعة والتوبة قبل فوات الوقت.

خاتمة

تُقدّم سورة يونس فرصة للأمة للتأمل والتزكية والتثبيت بعد الصراعات والمحن، مؤكّدة أن الهداية ليست فرضًا قسريًا، بل اختيارٌ واعٍ ينبع من الفهم والتدبّر.

وتُبرز السورة أن الإيمان الصادق في الوقت المناسب هو أعظم عمل، فهو الذي ينقذ العبد ويضمن سلامة الأمة، ويحقق التوازن بين القوة العملية والنضج الروحي، ليظل القرآن مرشدًا حيًّا للقلوب قبل الأجسام، وللنفوس قبل الجماعات.

سورة هود

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ "**هود**"[1]، لا لأن مجمل الأحداث تدور حول هذا النبي وحده، بل لأنه **نموج بارز للنبوة الحازمة والموقف الصلب أمام الباطل**، ويمثل **قيادة لا تساوم ولا تتنازل عن الحق.**

تُجسّد سورة هود **روح الاستقامة والإنذار**، وتكشف عن **سنن الله في هلاك الظالمين**، مع التركيز على **الثبات في طريق التغيير والإصلاح**، سواء في مواجهة المجتمع المكذب أو في إدارة الدعوة الصادقة.

---

[1] قال الطبري:" تفسيرُ السورةِ التي يُذكَرُ فيها هودُ "الطبري، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، رجع سابق، ج12ص308.قالالقرطبي:" وَأَسْنَدَ أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّارِمِيُّ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ كَعْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" اقْرَءُوا سُورَةَ هُودٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ". وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ! قَالَ:" شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وعَمَّ يَتَساءَلُونَ وإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ". قَالَ: هذا حديث حسن غريب، وقد روي شي مِنْ هَذَا مُرْسَلًا. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي" نَوَادِرِ الْأُصُولِ": حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرَاكَ قَدْ شِبْتَ! قَالَ:" شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا". أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج9ص1.

المقصد العام

تهدف السورة **إلى** تثبيت قلوب الدعاة والمؤمنين على الطريق المستقيم، من خلال عرض تجارب الأمم السابقة، وإبراز العقوبة للظالمين، والرحمة للتابعين، بما يعزز الوعي برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبين جدوى الصبر والمثابرة في مواجهة المكذبين.

بهذا، تُعد سورة هود مرجعًا استراتيجيًا في فهم منهج الدعوة، وضبط مقاصد الرسالة، وتأكيد سنن الله في التاريخ والواقع.

المقصد العام للسورة

تتمحور سورة هود حول بيان سنن الله في إصلاح الأمم وهلاكها، مع تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على طريق الاستقامة مهما اشتدت التحديات والمعارضة.

وتحقق السورة ذلك من خلال عرض نماذج حاسمة من تاريخ الرسالات السابقة، تكشف مفاتيح النجاة للمؤمنين والتابعين لله، وتوضح مصائر الهالكين من المكذبين والطغاة.

وبذلك تصبح السورة دستورًا للوعي بالمسؤولية الدعوية، وصبر الداعية، وفهم سنن الله في التاريخ والواقع، مع ربط العقوبة بالابتلاء، والهداية بالاستجابة الطوعية لله.

البنية الموضوعية:

تتوزع سورة هود على بناء موضوعي متدرج يربط بين الوحي، الاستقامة، والقصص التاريخية، وصولًا إلى تثبيت الثبات على الحق.

يبدأ البناء بمحور **تمهيد بالوحي والميزان** في الآيات (1–5)، حيث يُعرض الوحي **محكمًا بالحق، مبينًا ميزانًا دقيقًا بين الحق والباطل، مع تحذير مبكر للمكذبين.**

ثم ينتقل المحور الثاني في الآيات (6–24) إلى **مشاهد القيامة وأوامر الاستقامة**، مستعرضًا الحشر والجزاء، والجنة والنار، مع تقسيم الناس إلى أصناف بحسب استجابتهم لله، ليكون ذلك تذكيرًا عمليًا بأهمية الطاعة والثبات.

ويشكّل المحور الثالث (25–100) **القصص الكبرى للأنبياء وأصحاب الرسالات**، مثل نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، شعيب، وموسى، لتوضيح **سنن الله في الهداية والهلاك، وعبر عظيمة للأمم المكذبة**، مع إبراز نماذج للمواقف الحازمة والصبر في الدعوة.

ويُختتم البناء بمحور رابع في الآيات (101–123) بـ **قاعدة الاستقامة والثبات**، حيث يأمر الله بالثبات على الطريق كما أُمر النبي ﷺ، مع الصبر والمراقبة لأثر الأعمال، وبيان عواقب الخذلان والتقصير، ليصبح ذلك **دستورًا عمليًا لثبات الداعية والمجتمع المؤمن.**

(5–1): الوحي المهيمن – لا ريب فيه

تبدأ السورة بالإشارة إلى **الوحي المحكم والمهيمن على كل أمر**، كما في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ...﴾، موضحة أن **آيات القرآن مفصّلة من لدن حكيم خبير**، لا ريب فيها، تحمل **الحق الثابت والمرشد للإنسانية.**

ويحدد القرآن **الموضوع الرئيسي لدعوته في آية خارج المقطع مرتبطة بالسياق:** ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾، مركزًا بذلك على توحيد الله كقاعدة لكل إصلاح وتغيير.

كما يتضمن التحذير من الذين يحاولون **ثني صدور الناس وصدّهم عن الحق**، مبيّنًا أن المناوئين لا يكتفون بالكفر، بل يسعون لتضليل الآخرين.

الرسالة المستفادة:

أن **منهج التغيير يبدأ من الوحي**، الذي هو المرجعية العليا، ولا يقبل **المجاملة أو الهوادة** مع الحق، بل يتطلب الالتزام الصارم والوعي الكامل برسالة الله.

(6–24): الاستقامة أو الهلاك – لا وسطية

تستعرض هذه الآيات **مشهد القيامة والحساب**، مبينة أن **نتائج الأعمال حتمية:**

- من جاء بالحسنة فله **عشر أمثالها وأجر كريم،**
- ومن خفّت موازينه سيؤول إلى **الجحيم**، مبيّنة بذلك سنن الله في الجزاء والعقاب.

ويصف القرآن المؤمنين بأنهم **متجردون لله، صادقون في التوبة، لا يعبدون إلا الله،** ليكون التمسك بالحق والتفرغ للعبادة هو معيار الاستقامة.

الرسالة المستفادة:

أن **العقيدة هي الأساس** الذي يحدد مصير الإنسان، وأن **الاختيار بين الاستقامة والهلاك لا مجال فيه للوسطية أو التهاون،** فإما اتباع الحق فجنة، أو مخالفة الحق فهلاك.

(25–100): القصص التطبيقية – من الرسالة إلى المصير

تتضمن هذه الآيات **نماذج تطبيقية من تاريخ الأنبياء**، لتوضيح **سنن الله في الهداية والهلاك، والعبرة من مصائر الأمم المكذبة.**

نوح عليه السلام

- قام بأطول دعوة بين الأنبياء، ومع ذلك كانت **استجابة الناس قليلة.**
- تركزت السنن الظاهرة في مجتمعه على:
  - **الطغيان في المال والولد،**
  - **تكذيب الغيب والمستقبل الموعود،**
  - **الاستهزاء والسخرية من الدعوة.**
- صنع نوح **السفينة وسط سخرية قومه**، مثالًا على الالتزام بالحق رغم الرفض والاستهزاء.

وكانت النتيجة أن **نجا نوح ومن آمن معه**، بينما **هلك الباقون**، مؤكدةً أن **الاستجابة للهداية حاسمة للنجاة، والمكذبين يحكم عليهم بسنن الهلاك.**

هود وصالح ولوط وشعيب وموسى: نماذج الموقف الصلب أمام الباطل

- **هود عليه السلام** دعا قومه "**عاد**" للرجوع إلى الفطرة، ورفض **التكبر والبغي**، مؤكّدًا موقفه الصريح في قوله الخالد: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾، ليبيّن براءته من شركهم وتصميمه على الدعوة دون مساومة.
- **صالح، لوط، شعيب، موسى عليهم السلام**: جميعهم واجهوا **أنظمة منحرفة ومجتمعات عنيدة**، و **ثبتوا على دعوتهم ولم يتنازلوا عن الحق.**

وتتكرر معهم **ثلاث سمات أساسية في مواجهتهم للمكذبين:**

1. **التهديد بالإقصاء**: "لنخرجنكم" لإظهار عواقب استمرار الباطل.
2. **الاستهزاء والسخرية**: "ما نراك إلا بشرًا مثلنا" لتجربة صبر الأنبياء وثباتهم.
3. **استعجال العذاب**: "ائتنا بما تعدنا" لتبين أن المكذبين يطالبون بالتحقق الفوري للوعيد، بينما سنن الله تعمل في الوقت المحدد.

الرسالة المستفادة:

أن **الثبات على الحق والدعوة إلى الاستقامة يتطلبان الصبر، وعدم التنازل، والوعي بسُنن الله في الهلاك والهداية**، بغض النظر عن الاستهزاء أو التهديد أو استعجال النتائج. وأن سنن الله في الهداية والهلاك تتكرر عبر التاريخ والأمم، **وأن** العبرة ليست بكثرة الأتباع أو الدعم المادي، بل بالثبات على الحق، والصبر على الدعوة، والتزام المبادئ مهما كانت الصعاب.

(101–123): القاعدة الذهبية – "فاستقم كما أُمرت"

تختم سورة هود بتأكيد **القاعدة الذهبية للثبات والاستقامة**، حيث يُوجّه النبي صلى الله عليه وسلم والأمة بأمر واضح: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾، مشدّدًا على **ضرورة الاستقامة الشخصية والجماعية في مواجهة التحديات.**[1]

وتتضمن نهاية السورة **توجيهًا كاملًا للقيادة النبوية والمجتمع المؤمن:**

- **لا تركن** إلى التسهيلات أو المهادنة مع الباطل.
- **لا تجزع** من التهديد أو الصعاب.
- **لا تغتر** بالنجاحات أو عدد الأتباع.
- **لا تنتظر الناس** لإقرار الحق.
- **راقب مصير الظالمين** لتتأكد أن العقاب بيد الله وحده.

الرسالة المستفادة:
أن الاستقامة على الحق هي الثمن الأول للتمكين والاستمرار في الدعوة، وأن نتيجة الأمور ليست بأيدينا، بل عند الله، لذا يكون الاعتماد على الثبات والصبر أساس كل نجاح حقيقي.

خلاصة تفسير سورة هود

تقدّم سورة هود رؤية متكاملة لفهم العقيدة والدعوة والقيادة، مستندة إلى سنن الله في الهداية والهلاك.

---

[1] قال العليمي:" قال – صلى الله عليه وسلم –: "شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها"، قيلَ: أَشَيَّبَكَ منها قصصُ الأنبياءِ وهلاكُ الأممِ الماضية؟ قالَ: "لا، ولكنْ قولُه: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} " أي: افتقرْ إلى اللهِ تعالى بصحَّةِ العزمِ، والاستقامةُ: التبرُّؤُ من الحولِ والقوةِ، وقيل: هي الميلُ إلى العدلِ.{وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} أي: وليستقمِ المؤمنُ معك.{وَلَا تَطْغَوْا} لا تَخْرجوا عن حدودِ الله.، {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} لا يَخْفى عليه من أعمالِكم شيءٌ". مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ)،**فتح الرحمن في تفسير القرآن**، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وَزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلَامِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ج3ص380.

تؤكد السورة أن النجاة لا تتحقق إلا بالتوحيد الخالص لله، مهما عظمت قوى الأعداء أو اشتدت الظروف، وأن الالتزام بالمبادئ هو أساس الثبات والنجاة.

وتبرز السورة دور القيادة الحكيمة في الدعوة، مشددة على أن الثبات على الرسالة والمبادئ أهم من النتائج الظاهرية، وأن نجاح الدعوة لا يُقاس بعدد الأتباع أو قوة الخصوم، بل بمدى التمسك بالحق.

وتوضح السورة أن الدعوة تمر بمراحل تتطلب الصبر والمثابرة، حيث قد تواجه السخرية والتهديد والمقاومة، وأن هذه المراحل جزء من سنن الله العملية في إصلاح الأمم.

كما تُظهر السورة أن مخالفة سنن الله تؤدي إلى الهلاك، مهما بدا صاحبها قويًا أو ذو مكانة، وأن الجزاء الإلهي حتمي لمن أصر على الباطل.

وفي البُعد الاستراتيجي، تقدّم السورة مسارًا واضحًا للأمة والداعية، يقوم على الاستقامة، والصبر، وتمييز الحق من الباطل، وصولًا إلى النصر أو الهلاك، بما يعكس حكمة الله في التاريخ والواقع.

الربط بين سورتي يونس وهود

يمكن النظر إلى التسلسل بين سورتي يونس وهود باعتباره **تدرجًا في وظائف الرسالة وتأطير الأمة.**

تركزت سورة يونس على **تثبيت الروح والإيمان بعد الصراعات**، من خلال دعوة بالرحمة والآيات العقلية والكونية والتاريخية، وإتاحة الفرصة للتوبة والاستجابة لله قبل فوات الأوان.

أما سورة هود فتمثل **مرحلة تالية في مشروع الأمة**، حيث تُرسم معالم الطريق للتغيير الجذري، مع التركيز على **الحزم، والاستقامة، والموقف الصلب في مواجهة الباطل**، مع إبراز سنن الله في الهداية والهلاك وتأكيد الثبات على المبادئ رغم الصعوبات.

بذلك يمكن القول إن يونس تمثل **دعوة بالرحمة والفهم والتدبر**، بينما هود تمثل **دعوة بالحزم والصبر والمواجهة المباشرة للباطل**، لتكتمل الصورة بين تربية القلب وتثبيت النفس، وبين قيادة الأمة والمجتمع في مسار الإصلاح والتغيير.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة هود إلى **مراجعة أنفسنا والتثبت في الموقف قبل كل تصرف:**

هل أستقيم فعلاً كما أمرني الله، أم أساير الناس وأهواءهم دون وعي؟

هل أعي سنن الله في الهداية والهلاك، أم أعيش مفصولًا عن دروس التاريخ وتجارب الأمم السابقة؟

هل أقبل أن أدعو بالحق دون مجاملة، حتى وإن سخر الناس مني أو رفضوا دعوتي؟

وهل أؤمن أن **نتيجة الأمور – النصر أو الهلاك – ليست بأيدينا، بل بيد الله وحده**، وأن الالتزام بالحق والصبر عليه هو السبيل الوحيد للنجاة؟

إن هذه الأسئلة تهدف إلى **تثبيت النفس على الاستقامة، وتعميق الوعي برسالة الله، وتعزيز الثقة في سننه وقدرته.**

خاتمة

تُجسّد سورة هود **الموقف الحاسم والاستقامة الصلبة** في مواجهة الباطل، حيث تتضح **معالم الطريق للتغيير الجذري** وتتجلّى **سنن الله في الهداية والهلاك.**

وتعلّم السورة المؤمن أن **النتائج ليست المعيار الأساسي**، بل **الصدق في حمل الرسالة والثبات على الحق مهما عظمت الصعاب**، مؤكدة أن الالتزام بالمبادئ هو الأساس في بناء الفرد والمجتمع المؤمن.

سورة يوسف

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة باسم **يوسف عليه السلام**[1]، إذ تتناول **قصته كاملة في سياق فريد لم يسبق له مثيل** في القرآن، حيث تتجلى القصة **كإطار استراتيجي للنجاة والتمكين.**

وتبرز السورة كيف يتحوّل **الابتلاء إلى استخلاف**، و**المحنة إلى منن**، بدءًا من الرؤيا، مرورًا بالفتن والاضطهاد، وصولًا إلى **الملك والتأثير** في المجتمع، لتقدّم نموذجًا عمليًا لكيفية إدارة الصعاب وتحويل الظروف القاسية إلى نجاح وتمكين.

المقصد العام

تهدف السورة إلى **بيان قدرة الله على تمكين العبد الصادق**، مهما كان غريبًا أو مظلومًا أو محاصرًا بالفتن، من خلال **الصبر، والوفاء، والعفة، وحسن التدبير.**

وتعطي السورة **درسًا تطبيقيًا في القيادة والمثابرة**، حيث يُظهر يوسف كيف يمكن للثبات على الحق والصدق في النية والممارسة أن يقود إلى **تحقيق النجاة الشخصية والتأثير المجتمعي**، رغم كل الظروف القاسية والتقلبات.

بهذا تصبح سورة يوسف **دليلًا عمليًا للتمكين الفردي والاجتماعي، ونموذجًا استراتيجيًا لإدارة الفتن والتحديات بحكمة وصبر ووفاء.**

[1] قال التويجزي:" وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لأنها نزلت في قصة يوسف مع أبيه وإخوته، وتبلغ آياتها إحدى عشرة ومائة آية.[الغرض منها وترتيبها]يقصد من هذه السورة إثبات تنزيل القرآن، كما يقصد من سورتي «يونس» «وهود» ، ولهذا ذكرت بعدهما، وتختلف طريقة إثباته فيها عن طريقة إثباته فيهما، لأن طريقة إثباته فيهما، كانت بتحدّيهم أن يأتوا بسورة أو عشر سور مثله أما طريقة إثباته في هذه السورة، فبأنه يقصّ عليهم من تفصيل أخبار يوسف (ع) ، ما لا يمكن أميّا مثله أن يعرفه." جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ،ج4 ص127.

البنية الموضوعية لسورة يوسف

تتوزع سورة يوسف على **بناء متدرج يربط بين الرؤيا، الفتن، التمكين، والانتصار النهائي،** لتقدم نموذجًا تطبيقيًا للنجاة الفردية والتمكين في بيئة غريبة.

يبدأ البناء بمحور **التمهيد العام** في الآيات (1–6)، حيث تعرض السورة **الرؤيا والبشارة بمستقبل يوسف وأهمية القصة كأحسن القصص**، محددةً المقصد التعليمي والتربوي منها.

ثم يأتي محور **الفتنة في البيت** في الآيات (7–18)، حيث يظهر **حسد الإخوة ومؤامرتهم ضد يوسف، ووضعت خطة إلقائه في البئر**، ليبرز كيف تنشأ الفتن حتى في بيئة الأمان العائلي.

ويلي ذلك محور **الفتنة في الغربة** في الآيات (19–34)، الذي يعرض **بيع يوسف، فتنة النساء، ودخوله السجن**، لتوضيح أن الابتلاء قد يمتد خارج نطاق البيت، وأن الغربة اختبار للوفاء والصبر.

ثم يأتي محور **التمكين بالعلم** في الآيات (35–57)، حيث يتجلى **تأويل الرؤيا، إدارة الأزمة، والخروج من السجن إلى موقع المسؤولية والتأثير**، مبينًا كيف يتحول الابتلاء إلى تمكين من خلال الحكمة والصدق والمهارة في الإدارة.

ويصل البناء إلى محور **جمع الشمل والانتصار** في الآيات (58–100)، مع **رجوع الإخوة ولقاء الأهل ورفع الأبوين**، ليظهر أثر الصبر والوفاء في تحقيق الانتصار الشخصي والعائلي والاجتماعي.

وأخيرًا، تتضمن الآيات (101–111) **الخاتمة والمقاصد الكبرى**، من خلال **توحيد الله، التوبة، الصبر، وعاقبة المتقين**، لتكون السورة **دليلًا متكاملًا على كيفية تحويل المحن إلى منن، والابتلاءات إلى استخلاف وتمكين.**

(1–6): أحسن القصص – منهج بناء النفس في الغربة

تبدأ السورة ببداية فريدة تضع **الإطار التعليمي والتربوي للقصة**، حيث يقول الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾،[1] مشيرًا إلى أن الهدف الأساسي هو **تثبيت نفس النبي ﷺ والمؤمنين على الصبر والثقة في سنن الله.**

وتعرض السورة **الرؤيا المبكرة**[2] كإعلان عن التمكين المستقبلي، لتكون **أولى إشارات النصر والنجاة رغم الابتلاءات القادمة**، مؤكدة أن ما يحدث ليس صدفة، بل **جزء من تقدير الله وحكمته في إدارة الأحداث.**

---

[1] قال الكرماني:" روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قوله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} ، قال: أُنزل القرآن على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فتلاه عليهم زماناً، فقالوا يا رسول الله: لو قصصت، فأنزل الله هذه السورة وفيها {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} فتلاه عليهم زماناً، فقالوا: يا رسول الله: لو حدثتنا، فأنزل الله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا} قال: كل ذلك يؤمرون بالقرآن". أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ)، **لباب التفاسير**، التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – ناصر بن سليمان العمر – من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء – ١٤٠٤ هـ٢ – عبد الله بن حمد المنصور – من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن محمد بن حسن دومري – أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي – من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس – ١٤٢٩ هـ. ص807.

[2] قال البخاري:" بَابُ رُؤْيَا يُوسُفَ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فَاطِرٌ وَالْبَدِيعُ وَالْمُبْتَدِعُ وَالْبَارِئُ وَالْخَالِقُ وَاحِدٌ مِنَ الْبَدْءِ بَادِئَةٍ". أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة،ج9ص31.

الرسالة المستفادة:

أن كل شيء مقدّر بحكمة من الله، وأن الرؤيا والبوادر الإلهية تمثل إشارات أولية للنصر، إلا أن الطريق لتحقيقها مليء بالابتلاءات التي تختبر الصبر والثبات والإيمان الحقيقي.

(7–18): الفتنة الأولى – الحسد والظلم القريب

تُظهر هذه الآيات **الفتنة الأولى في حياة يوسف عليه السلام داخل البيت**، حيث يتجلى **حسد الإخوة وكرههم ليوسف**، فتخطيطهم:

﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩﴾، ويُلقى يوسف في البئر ظلمًا، لتكون **أولى اختبارات الصبر والإيمان في بيئة مألوفة وقريبة.**

ويبرز في المقابل **الأب الصابر**، الذي يمثل **المدرسة النبوية في التربية على التوحيد والثقة بالله**، مظهرًا كيف يمكن للتحمل والإيمان أن يشكّلا درعًا أمام الفتن الداخلية.

الرسالة المستفادة:

أن **أقرب الناس قد يكونون مصدر البلاء، وأن النجاة تبدأ من حسن الظن بالله، والاعتماد على حكمته في إدارة المواقف حتى في أقرب البيئات.**

(19–34): فتنة الشهوة – الغربة – والسجن

تستعرض هذه الآيات **مرحلة الغربة والابتلاء الأكبر** في حياة يوسف عليه السلام، حيث يُباع بثمن بخس، ليبدأ اختبار الصبر والاعتماد على الله في بيئة غريبة ومعادية.

وتتجلى **فتنة الشهوة** في مواجهة يوسف لامرأة العزيز ومكر النسوة، حيث يُظهر **الصبر، والعفة، والإباء**، مع التمسك بالمبادئ رغم الضغوط والمغريات، كما عبّر عن ذلك يوسف في قوله:

﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾، مؤكدًا أن **الثبات على الحق أهم من الراحة أو الجاه أو الإغراءات.**

الرسالة:

أن العفة والتمسك بالمبادئ أغلى من الجاه والمكاسب المؤقتة، وأن اختيار الطريق الصعب والثبات عليه هو السبيل الحقيقي للتمكين والنجاة.

(35–57): إدارة الأزمة والتمكين بالعلم

تنتقل هذه الآيات إلى **مرحلة التمكين بعد الابتلاء**، حيث يبرز يوسف عليه السلام **القدرة على التأويل وفهم الرؤى**، بدءًا بتأويل رؤيا الملك، ما يمكّنه من **إدارة أزمة اقتصادية واسعة النطاق** تهدد المجتمع.

وتظهر السورة كيف يتحوّل **السجين إلى قائد**، ليصل إلى **مناصب الدولة العليا** عبر **الصبر، والعلم، والإخلاص في العمل والنية**، مؤكدًا أن هذه هي **شروط القيادة الفعالة** كما عبّر عنها قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾)، أي أن من يريد التمكين يجب أن يكون حفيظًا لما بين يديه، وعالمًا بحكم الأمور.

الرسالة المستفادة:

أن الصبر، والعلم، والإخلاص في العمل، والالتزام بالقيم هي مفاتيح التمكين، حتى في بيئة غريبة ومعادية، أو وسط أزمات كبيرة.

(58–100): جمع الشمل وانتصار الأخلاق

تُبرز هذه الآيات **مرحلة الانتصار النهائي بعد الفتن والابتلاءات**، حيث يلتقي يوسف عليه السلام بإخوته، ويجري **اختبار بنيامين** لتأكيد صدق القلوب ونزاهتها.

وتتجلّى حكمة يوسف في **حلمه وعفوه**، إذ يغلب على الموقف **الأخلاق والصدق**، لا الانتقام، ويتحقق بذلك **رفع والديه على العرش** وتمام الرؤيا التي بُشّر بها منذ البداية، كما في قوله

تعالى:

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾.

الرسالة:

أن الصدق في المعاملة والإخلاص في النية يثمر خيرًا، وأن العفو والرحمة يرفعان شأن الإنسان، وأن الله لا يُضيع أجر المحسنين، مؤكدًا أن الثبات على القيم الأخلاقية هو مفتاح النجاح الحقيقي والتمكين الكامل.

(101–111): الخاتمة – التوحيد، التثبيت، والصبر

تختم سورة يوسف بقوة **دروس التوحيد والتثبيت النفسي والصبر على الابتلاءات**، حيث يظهر **دعاء يوسف عليه السلام** في ختام قصته: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾، ليكون نموذجًا **للإيمان الكامل والاعتماد على الله في كل الظروف.**

كما تتضمن الآيات **أمرًا صريحًا للنبي ﷺ والمؤمنين** بالصبر والثبات: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾)، مؤكدًا أن النتائج الحقيقية والنجاة ليست بيد الظالمين أو المتكالبين، بل بيد الله لمن اتقى وعمل بالحق.

الرسالة المستفادة:

أن الثبات على المبادئ، والاعتماد على الله، والصبر على الابتلاءات، هو الطريق لضمان العاقبة الطيبة للمتقين، بغض النظر عن شدة الفتن أو صعوبة الظروف.

خلاصة سورة يوسف

تقدّم سورة يوسف **دروسًا متكاملة في بناء النفس، القيادة، الدعوة، والتمكين**، مع إبراز سنن الله في الهداية والابتلاء.

في **بناء النفس**، تُظهر السورة أن **العفة والصبر هما سر العظمة والنجاة من الفتن**، وأن الالتزام بالمبادئ مهما كانت المغريات طريق للتمكين الداخلي والخارجي.

أما في **القيادة**، فهي تعلم أن **الإدارة الحقيقية تبدأ من موقع الابتلاء والتحدي، لا من مناصب الرفاه أو القصور**، وأن القدرة على التغيير والتمكين تأتي من الحكمة والصبر في المواقف الصعبة.

في مجال **الدعوة**، تؤكد السورة أن **الثبات على الحق خلال الفتن أعظم من تحقيق النصر في أجواء الرفاه أو التأييد السهل**، وأن الابتلاء هو اختبار حقيقي لإخلاص الدعوة.

وفي **التمكين**، تُظهر السورة أن **المحنة ليست عقبة بل سلم للصعود والتغيير**، وأن الصبر والإيمان والوفاء بالحق يحوّل المحن إلى استخلاف وتأثير حقيقي.

وأخيرًا، في **السنن الإلهية**، تبرز السورة أن **الرؤيا حق، وأن الله يمهّد طريق الصادقين خطوة خطوة، ليحقق لهم التمكين والنجاة مهما كانت الظروف صعبة.**

الربط بين سورتي هود ويوسف:

يمكن النظر إلى التسلسل بين سورتي هود ويوسف باعتباره **تدرجًا في وظائف الرسالة واستراتيجيات الصبر والثبات.**

تركزت سورة هود على **الاستقامة والثبات الجماعي في وجه الظلم العام والكفر المجتمعي**، حيث تعلم الأمة كيفية **الثبات على الحق في مواجهة أنظمة منحرفة وظروف قاسية**، مع إبراز سنن الله في الهداية والهلاك.

أما سورة يوسف فتمثل **مرحلة تطبيقية للتمكين الفردي في بيئة غريبة بعد فتنة طويلة**، إذ تركز على **الثبات الشخصي في مواجهة الفتن الخفية والظلم المقنَّع، مع الصبر والعفة والإخلاص والإدارة الحكيمة للأزمات.**

وبذلك يُظهر القرآن للمتلقي أن **هود تعلم الثبات الجماعي والموقف الصلب، بينما يوسف يعكس كيفية تحويل المحن الفردية إلى تمكين وتأثير عملي**، لتكتمل الصورة بين **الصبر على الظلم العام والصبر على الفتن الفردية**، مع فهم متكامل لسنن الله في الإصلاح والهداية.

للتأمل الذاتي:

تدعو سورة يوسف إلى **مراجعة النفس ومواقفنا أمام الفتن والابتلاءات:**

هل أرى الفتنة كفرصة للثبات على المبادئ، أم أستسلم وأتنازل عن الحق؟

هل أستطيع التحكم في شهواتي ورغباتي كما صبر يوسف عليه السلام؟

هل أمارس العفو والرحمة كما عفا عن إخوته، أم أظل أسيرًا للغضب والانتقام؟

هل أطلب التمكين والنجاح لنفسي فقط، أم أبتغي **رضا الله أولًا، حتى لو اقتضى ذلك الصبر في السجن أو الابتلاء؟**

هذه الأسئلة تهدف إلى تثبيت النفس على الصبر، وضبط الشهوات، والتحلي بالرحمة، وطلب رضا الله فوق كل اعتبار.

خاتمة

تجسد سورة يوسف **نموذج القيادة التربوية في زمن الغربة والابتلاء**، موضحة أن الأبطال **لا يُصنعون في القصور والرفاهية، بل في مواقع الابتلاء والتحدي.**

وتعلّم السورة أن **الله يُربي أولياءه على نار المحن، فيحول الشدائد إلى فرص للتمكين والنمو، ويرفعهم متى شاء**، مؤكدة أن الصبر والتقوى هما مفتاح النجاح: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾.

بهذه الخلاصة، تصبح السورة **دليلًا عمليًا على كيفية مواجهة الفتن، والتحكم في النفس، والإدارة الحكيمة للأزمات، وتحويل المحنة إلى استخلاف وتمكين.**

سورة الرعد

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ **الرعد**[1]، إذ يمثل **صوتًا ناتجًا عن انضغاط الهواء بسبب البرق**، وهو من **مظاهر القدرة الإلهية وعظمة الخلق.** يؤكد الله تعالى أن هذا الصوت **يسبح له**: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ۝١٣﴾، مشيرًا إلى أن **القوة الحقيقية في يد الله وحده**، وأن لا صوت يعلو على صوت التوحيد والحق مهما صرخ الباطل في محيط متلاطم من الفتن والاضطرابات.

المقصد العام

تهدف سورة الرعد إلى تحقيق توازن بين التثبيت العقائدي والوعي بالسنن الإلهية، موضحة أن التغيير الحقيقي يبدأ من النفس الفردية قبل أي إصلاح اجتماعي أو سياسي، وأن النصر لا يُنال إلا بالثبات على الحق والصبر على الابتلاءات وسط اضطرابات الحياة.

---

[1] قال ابن عاشور:" هَكَذَا سُمِّيَتْ مِنْ عَهْدِ السَّلَفِ. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مُسَمَّاةٌ بِذَلِكَ مِنْ عَهْدِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ لَمْ يَخْتَلِفُوا فِي اسْمِهَا. وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِإِضَافَتِهَا إِلَى الرَّعْدِ لِوُرُودِ ذِكْرِ الرَّعْدِ فِيهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ [الرَّعْد: ١٣] ". محمد الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق،ج13ص75.

وبذلك تصبح السورة درسًا تطبيقيًا في الصبر، والثبات، والاعتماد على الله، وفهم السنن الكونية والتاريخية للتمكين والنجاة.

كما تهدف السورة إلى إظهار أن التغيير الحقيقي في حياة الأفراد والمجتمعات يبدأ بتغيير النفس الفردية، فالإصلاح الخارجي لا يثمر إلا إذا سبقته صلاح القلوب والالتزام بالحق.

كما تؤكد السورة أن الحق ثابت لا تزعزعه الشبهات أو الضغوط المحيطة، وأن مصير الطغاة والزائلين إلى زوال محتوم، مهما علا صوتهم أو اتسعت سلطتهم.

وبهذا، تقدم السورة درسًا متكاملاً في الثبات على المبادئ، وفهم السنن الإلهية، والاعتماد على الله في مواجهة الفتن والاضطرابات.

البنية الموضوعية لسورة الرعد

تتوزع سورة الرعد على **أربعة محاور رئيسية**، تجمع بين **التثبيت العقائدي، وفهم السنن الكونية، والوعي بسنة الله في الهداية والابتلاء:**

يبدأ البناء بمحور **ثبات الوحي وتحدي المكذبين** في الآيات (1–5)، حيث يؤكد القرآن **حقه وثبات رسالته رغم تكذيب المشركين وسخرية المكذبين**، ليكون الأساس الذي يقوم عليه الصبر والثبات.

ثم يأتي محور **آيات الكون وسنن الله** في الآيات (6–13)، حيث تُعرض **مشاهد كونية متنوعة تدعو إلى التوحيد والتأمل في قدرة الله**، مؤكدة أن الكون كلّه **يشهد على عظمة الخالق ويعزز اليقين بالنصر الإلهي.**

ويلي ذلك محور **ثنائية الهداية والضلال** في الآيات (14–25)، موضحًا **صفات المهتدين وأثرهم في إصلاح النفس والمجتمع مقابل المكذبين وعاقبتهم**، لتكون الآيات درسًا عمليًا في اختيار الطريق الصحيح.

وأخيرًا، يتناول محور **التغيير يبدأ من النفس** في الآيات (26–43)، حيث يُبرز **مبدأ سنة التبديل والصبر، وأن العاقبة للمتقين**، مؤكدًا أن أي إصلاح اجتماعي أو نجاح خارجي **لا** يتحقق إلا بتغيير الذات والتمسك بالحق مهما كانت الظروف مضطربة.

(1–5): الوحي الحق لا يُزعزع

تبدأ سورة الرعد **بتثبيت القرآن كوحي حق لا يلتوي ولا يتغير**، حيث يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ١﴾، مؤكّدًا أن **تكذيب الكفار وسخرية المشركين لا تُغيّر من حقيقة الوحي شيئًا**، كما في قوله تعالى:
﴿۞أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾.

الرسالة:
أن الحق الإلهي ثابت لا يضيع، وأن الأصوات الصاخبة للتشويش أو التكذيب لا قيمة لها أمام يقين المؤمنين بالوحي، فيجب على المتلقي التمسك بالرسالة وعدم الالتفات إلى محاولات الطمس أو الإبطال.

(6–13): الكون ناطق بالتوحيد... والرعد يسبّح

تتضمن هذه الآيات **تأكيد قدرة الله وعظمة خلقه**، حيث يُبرز القرآن أن **دعاء المشركين بالعذاب ليس نابعًا عن إيمان بل عن عناد وعصيان.**

كما تعرض السورة **آيات الطبيعة** المختلفة: السحب، المطر، البرق، الرعد، الجبال، لتكون **آيات واضحة على التوحيد وقدرة الله المطلقة.**

ويشير الله تعالى إلى أن الرعد **يسبح له**: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ﴾، ليكون نموذجًا على **أن كل الكون في طاعة الله، لا صوت فيه إلا لصوت الحق.**

الرسالة:

أن العالم كله يشهد لله تعالى ويخضع لسننه، ويجب على الإنسان أن يختار موقعه: مع الذاكرين والمستقيمين أم مع الغافلين والجاهلين، فالموقف الفردي من الكون يعكس موقف القلب من الحق.

(14–25): ميزان القلوب... بين من يستجيب ومن يُعرض

توضح هذه الآيات **معيار الهداية والضلال من خلال ميزان القلوب**، حيث يقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤ ...﴾، مشيرًا إلى أن الاستجابة للحق ليست تلقائية، بل مرتبطة بصفات القلب وعمله الصالح.

وتبرز الآيات **صفاء القلوب المنيبة** التي تستجيب للحق، والتي تشمل:

- الوفاء بالعهد.
- خشية الله في السر والعلن.
- الصبر في سبيل الله وابتغاء رضاه.
- أداء الصلوات والفرائض كما أمر الله.

الرسالة:

أن الهداية لا تُمنح عبثًا أو مجانًا، بل هي ثمرة الصبر، والصدق، والوفاء بالعهد، والانقياد للحق، فالنجاة مرتبطة بمدى الالتزام الداخلي للإنسان قبل أي أثر خارجي.

(26–43): التغيير... سنة إلهية لا تُستثنى منها أمة

تركّز هذه الآيات بالترابط مع الآيات في المقطع قبلها من الآية11على **مبدأ أساسي في سنن الله وهو التغيير الذاتي كأساس للتغيير العام**، حيث تؤكد الآية المركزية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١﴾، مشيرة إلى أن **النهضة والإصلاح يبدأ من داخل الإنسان قبل أي إصلاح خارجي.**

وتشرح السورة **سنة التبديل الإلهي:**

- من أحسن في نفسه ووفى بحقوقه، رفعه الله وأعانه.
- من بدل وسلك طريق الضلال، أسقطه الله وعقبه.

وتختم الآيات بتأكيد ثبوت الوحي وصدق الرسالة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾، ليكون شاهداً على أن **النجاح والفشل مرهونان بسلوك الأفراد وصدقهم، لا بالسلطة أو القوة الظاهرية.**

الرسالة المستفادة: أن **التغيير الحقيقي يبدأ من القلب والضمير، وأن إصلاح المجتمع والأمة لن يتم إلا بإصلاح النفس والالتزام بالحق والصبر على سنن الله.**

خلاصة تفسير سورة الرعد

تقدم سورة الرعد دروسًا متكاملة في العقيدة والسلوك وفهم السنن الإلهية، مع التأكيد على أن التغيير الحقيقي يبدأ من داخل النفس قبل أي إصلاح خارجي.

في **العقيدة**، تؤكد السورة أن **الوحي حق ثابت، وأن الكون كله دليل حي على توحيد الله وقدرته**، ما يعزز اليقين ويثبت القلب على الحق.

أما في **السلوك الفردي**، فتبرز السورة أن **أهل الإيمان يُعرفون بقلوبهم المنيبة، ووفائهم بالعهود، وصبرهم على الابتلاءات، وأداء فرائضهم بإخلاص.**

في **المجتمع والسياسة**، تؤكد السورة أن **النهضة والإصلاح لا يُفلح من أراد تغيير الواقع قبل أن يغير ذاته ويمكّن نفسه بالحق والصبر.**

وأخيرًا في **السنن الإلهية**، تشير السورة إلى أن **سنة التبديل لا تحابي أحدًا**، **فهي قانون إلهي صارم يُطبق على الأمم والأفراد، بالجزاء أو التمكين بحسب سلوكهم وصدقهم.**

بهذا تكون سورة الرعد **دليلًا عمليًا لفهم الحقائق الكونية والسنن الربانية، ولإرساء قواعد التغيير والإصلاح بدءًا من النفس المؤمنة.**

الربط بين سورتي يوسف والرعد:

يمكن النظر إلى التسلسل بين سورتي يوسف والرعد باعتباره **تدرجًا في فهم سنن الله في التمكين والتغيير.**

في سورة يوسف، يُقدَّم **نموذجًا عمليًا للنجاة الفردية والقيادة الصالحة في بيئة غريبة وفتنة طويلة**، حيث يتحقق التمكين بالصبر، والعفة، والإخلاص، والحكمة في إدارة الأزمات، ما يجعل الفرد قادرًا على التأثير وتحويل المحنة إلى منحة.

أما سورة الرعد فتركز على **ترسيخ سنن التغيير وثبات الحق رغم الضجيج والاضطرابات المحيطة**، موضحة أن التغيير الحقيقي يبدأ من **تغيير النفس أولًا**، وأن الحق ثابت لا تهزه الشبهات، وأن سنن الله في الهداية والضلال تُطبق على الأفراد والمجتمعات بلا تحابي.

وبذلك، يُظهر القرآن أن **يوسف يمثل القيادة الفردية المؤهلة للنجاة والتمكين، بينما الرعد يُحدد معايير التغيير العميق في النفوس والمجتمعات**، ليكتمل الفهم بين **الصبر على الفتنة الفردية والفهم الواعي للسنن الكونية والاجتماعية.**

للتأمل الذاتي:

تدعو سورة الرعد كل مؤمن إلى **مراجعة النفس وموضعه من الحق والسنن الإلهية:**

هل أعمل فعلاً على **تغيير نفسي وقلبي**، أم أنتظر أن يتغير من حولي قبل أن أتخذ موقفًا؟

هل أستشعر في **آيات الكون دعوة صادقة للتوحيد واليقين بالله**، أم أراها مجرد مظاهر طبيعية بلا أثر على سلوكي؟

هل أنا من **أهل "دعوة الحق" المستجيبين بصدق**، أم من **المقلدين الغافلين الذين لا يبالون بالحق؟**

هل ألتزم بالصفات التي تحدد أهل الإيمان، **أوفي بالعهد، وأصلي ما أمر الله به، وأصبر على الابتلاءات؟**

هذه الأسئلة تهدف إلى **تثبيت القلب على الحق، وفهم السنن الإلهية، واستحضار المسؤولية الفردية في التغيير والنجاة.**

خاتمة

سورة الرعد تمثل **دليلًا للتثبيت العقلي والقلبي**، مؤكدًا أن **الحق ثابت لا ينهار مهما كثرت الأصوات المعادية والمكذبون.**

توضح السورة أن **التغيير الحقيقي لا يبدأ من الخارج أو بالسلطة، بل من الداخل، من القلب والضمير الفردي**، وأن **سنن الله في الهداية والضلال ماضية، صارمة، لا تُبدّل ولا تُجامل.**

وتختم السورة بالتأكيد على المبدأ المركزي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ ، لتكون **رسالة واضحة لكل مؤمن: الإصلاح يبدأ بالذات، والثبات على الحق هو السبيل للنجاة والتمكين.**

سورة إبراهيم

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ **إبراهيم**[1]، لا لأن القصة تسرد سيرته، بل لأن **دعاءه في ختام السورة يُمثّل خلاصة مشروع الرسالة الإلهية:** توحيدٌ خالص، وعبودية واعية، وبناء أمة ممتدة في الزمان.

فإبراهيم هو **الأب الروحي للدعوة**، وقائد مرحلة التأسيس العقدي والإنساني، حتى وصفه القرآن بأنه **أمةٌ قائمة بذاتها:** ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل: 120].

ودعاؤه ليس لحظة وجدانية، بل **وثيقة استراتيجية لبناء مجتمع التوحيد:** أمنٌ، وعبادة، واستمرار للرسالة عبر الذرية.

السياق العام للسورة

نزلت سورة إبراهيم في **مرحلة الاستضعاف المكي**، حيث كان المسلمون يواجهون القهر، والتشويه، ومحاولات الإطفاء. فجاءت السورة لتؤسس وعيًا حاسمًا مفاده أن **الطغيان إلى زوال، وأن المستقبل للرسالة لا للجبروت**، وأن **المحن لا تنقض الميثاق، ولا توقف المسيرة، بل تُعمّقها.**

[1] قال الهرري:" سميت بسورة إبراهيم (٢)؛ لذكر قصته فيها. فإن قلت: إن قصة إبراهيم قد ذكرت في غير هذه السورة: الأنبياء والبقرة. قلت: إن علة التسمية لا تقتضي اطراد التسمية، بل التسمية أمر توقيفي". محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي [ت ١٤٤١ هـ]، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،ج14ص317.

المقصد العام للسورة

تهدف السورة إلى **ترسيخ مركزية التوحيد في بناء الرسالة والحضارة**، وبيان أن الصراع الحقيقي هو **صراع النور والظلام**، لا صراع المصالح العابرة. كما تؤكد أن **الدعاء الواعي هو قلب المشروع الرسالي**، وأن الكلمة الطيبة، القائمة على الإيمان والعمل، هي **مفتاح التغيير الحضاري**، مهما طال ليل الطغيان.

وتقرر السورة أن الرسالة الربانية، وإن واجهت طغيانًا متجذرًا، **فإنها تثمر حتمًا** ما دامت قائمة على **دعاء المخلصين، وثبات المؤمنين، وسنن الله التي لا تتخلف.**

البنية الموضوعية لسورة إبراهيم

تنتظم سورة إبراهيم في بناء موضوعي محكم، يكشف مسار الرسالة من **البلاغ إلى الصراع، ثم المآل والعاقبة.**

يبدأ المحور الأول في الآيات (1–5) ببيان **الغاية الكبرى من إنزال الكتاب**، وهي إخراج الناس من الظلمات المتراكمة إلى النور الواحد، بإذن ربهم، تأكيدًا على أن الوحي ليس خطابًا وعظيًا مجردًا، بل **مشروع تحرر إنساني شامل** من كل أشكال الطغيان العقدي والفكري والاجتماعي.

ثم ينتقل الخطاب في الآيات (6–27) إلى محور **صراع النور والظلمة**، من خلال استحضار نماذج تاريخية كقصة فرعون، وعرض مواقف الأمم من رسالات الله، مع إبراز **ثنائية الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة** بوصفها قانونًا حاكمًا للتاريخ: فالكلمة المؤمنة ثابتة، مثمرة، ممتدة، بينما الكلمة الباطلة هشة، منقطعة، إلى زوال.

وفي الآيات (28–41) يبرز محور **مصير الظالمين مقابل النجاة الفردية للمؤمنين**، حيث تُعرض صور الهلاك والعذاب لمن بدّلوا نعمة الله كفرًا، ويُختم هذا المحور بدعاء إبراهيم عليه السلام، الذي يمثل **ذروة الوعي الرسالي:** توحيد خالص، وخوف على الذرية، وبناء أمة تعبد الله وتستمر في حمل الرسالة.

أما الآيات (42–52) فتأتي في ختام السورة بمحور **دعوي تقريري حاسم**، يتضمن تحذيرًا شديدًا للظالمين، وبشارة للمؤمنين، وتأكيدًا قاطعًا على وضوح البلاغ وكمال الحجة، وأن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون، وأن العاقبة الموعودة آتية لا محالة.

وبهذا البناء، تتجلى سورة إبراهيم كسورة **تؤسس وعي الرسالة، وتفسر سنن الصراع، وتربط بين الدعوة والدعاء، وبين البلاغ والمصير:**

(5–1): رسالة القرآن... إخراج الناس من الظلمات إلى النور

تفتتح سورة إبراهيم بتحديد **الغاية الجوهرية من إنزال القرآن**، في بيان جامع لا يقبل التأويل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾.

فالرسالة القرآنية ليست خطابًا وعظيًا محدود الأثر، بل **مشروع تحريري شامل** يهدف إلى إخراج الإنسان من كل صور الظلمة: **ظلمة الشرك، وظلمة الجهل، وظلمة الطغيان**، إلى نور **التوحيد والوعي والعدل**.

وتقوم هذه المهمة الرسالية على ثلاثة أسس كبرى:

- إذن رباني يضمن شرعية الطريق وصحة المنهج،
- ونور قرآني يهدي العقول والقلوب،
- وصبر ثابت على تكذيب الجاحدين ومقاومة المعاندين.

الرسالة:

لا قيام لدعوة بلا نور،

ولا تحرر حقيقي بلا توحيد،

ولا نجاح رسالي بلا وحي يُهتدى به ويُصبر عليه.

(6–27): صراع النور والظلمة في التاريخ والمفاهيم

تعرض هذه الآيات **مشهد الصراع المتكرر في تاريخ الرسالات**، حيث يتجسد التنازع الدائم بين النور والظلمة، والحق والطغيان. ويُستحضر نموذج موسى مع فرعون بوصفه صورة مكتملة لهذا الصراع: استضعاف للمؤمنين، وتكذيب للرسالة، واستكبار عن الانقياد للحق، في مقابل صبر وثبات ووعد إلهي بالعاقبة.

ولا تكتفي السورة بالسرد التاريخي، بل تنتقل إلى **التأصيل المفاهيمي** عبر ضرب المثل الخالد: *الكلمة الطيبة*. فهي كلمة متجذرة في الإيمان، ثابتة الأصل، سامقة الأثر، تؤتي ثمارها في كل حين بإذن ربها، لأنها متصلة بالوحي ومغروسة في الفطرة.

وفي المقابل، تُعرض *الكلمة الخبيثة* بوصفها نقيضًا حضاريًا وأخلاقيًا: كلمة بلا جذور، منزوعة الثبات، سرعان ما تُجتث وتزول، لأنها قائمة على الباطل والهوى، لا على الحق واليقين.

الرسالة:

أن الرسالات الإلهية، على اختلاف الأزمنة والأقوام، واجهت مشهدًا واحدًا: **طغيانٌ يتصدى للنور**، غير أن **الكلمة الطيبة هي وحدها الباقية**، لأنها تحمل سر الثبات، وقانون الامتداد، وسنة النصر عبر الزمن.

(28–41): مصير الجبابرة... وميراث الدعاء

تنتقل السورة في هذا المقطع بالتداخل مع المقاطع السابقة من الآية21 إلى **كشف المصير المحتوم للظالمين**، حيث تُرسم صورة مؤلمة لمن بدّلوا نعمة الله كفرًا، وأقاموا أنظمة الطغيان والوثنية بدل التوحيد، ليقفوا في النهاية **مكشوفين بلا سلطان ولا حجة** في مشهد القيامة:
﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ

عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ، حيث تسقط الأقنعة، وتبطل دعاوى القوة والجبروت.

وفي مقابل هذا المصير القاتم، يبرز **ميراث الدعاء الإبراهيمي** بوصفه النموذج المقابل للبناء والامتداد. فدعاء إبراهيم عليه السلام ليس ابتهالًا عابرًا، بل **مشروعًا متكاملًا لبناء الأمة:** توحيد خالص لا تشوبه شبهة، وشكر دائم يحفظ النعمة من الزوال، وإقامة للصلاة باعتبارها العمود الفقري للهوية الإيمانية، ودعاء متكرر بالأمن، لأن الاستقرار شرط لقيام الرسالة، وسؤال للمغفرة يشمل الذرية والوالدين، ليظل البناء ممتدًا عبر الأجيال.

الرسالة المستفادة:

أن الدعاء في المنظور القرآني **ليس ترفًا روحانيًا ولا انسحابًا من الواقع**، بل هو **أداة استراتيجية في بناء الحضارة، وصيانة الهوية، وضمان استمرارية الرسالة.**

(42–52): لا تظنوا أن الله غافلًا...

يأتي هذا المقطع بلهجةٍ قاطعة، ترفع الوهم عن القلوب، وتضع ميزان العدالة الإلهية في موضعه الصحيح، فغياب العقوبة العاجلة ليس غفلة، وتأخر الجزاء ليس عجزًا، وإنما هو إمهالٌ محسوب، وحكمةٌ قائمة على تمام الحجة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ...﴾ تحذير يُنهي كل تأويل مريح، ويؤكد أن الظلم مرصود، وأن الزمن ليس في صفّ أحد.

ثم يُفتح مشهد القيامة على أقصى درجات الهول:

- أبصار شاخصة لا تطرف.

- قلوب خاوية فقدت السكينة والمعنى.
- حركة اضطراب بلا قدرة على الفرار أو التدارك.

وفي الختام يعود الصوت النبوي ليضع الغاية الكبرى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾

بلاغٌ للتذكير لا للتسلية، وإنذارٌ لإيقاظ القلوب قبل فوات الأوان.

الرسالة:

الظلم لا يُنسى، والباطل لا يدوم، وتأخير الحساب ليس أمانًا... بل آخر فرصة للرجوع.

خلاصة تفسير سورة إبراهيم

تُقَرِّر السورة في بعدها العقدي أن الخلاص الحقيقي لا يتحقق إلا بتوحيدٍ خالص، يُخرج الإنسان من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان والهداية، فالتوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه كل نهضة روحية وحضارية.

وفي بعدها التاريخي تُبيّن أن الطغيان سنّة متكررة في مسار الأمم، غير أن عاقبته الزوال، وأن التمكين وإن تأخر موعودٌ به للمستضعفين الصابرين، متى استقاموا على منهج الله وثبتوا على الحق.

أما في مجال الدعوة، فتؤكد السورة أن مسارها لا يقوم على الصدام المجرد، وإنما على الكلمة الطيبة الراسخة، المدعومة بدعاءٍ صادق، يربط الجهد البشري بالعون الرباني.

وتكشف السورة عن ملامح القيادة الرسالية، حيث يبدأ الأنبياء مشروعهم بالإيمان العميق، وينتهون بالدعاء الخاشع، إدراكًا منهم أن النجاح ثمرة توفيق الله قبل أن يكون نتيجة التخطيط والعمل.

وتختم السورة رؤيتها للتغيير بالتأكيد على أنه لا يُنجز بالكراهية وحدها، ولا بردّ الفعل الآني، بل يتحقق بغرس الكلمة المباركة في النفوس، حتى تؤتي ثمارها في الزمن المناسب.

الربط مع سورة الرعد

تأتي **سورة الرعد** لتُرَسِّخ في الوعي القرآني سننَ التغيير الإلهية، وتؤكد أن الوحي ثابت لا تزعزعه الشبهات ولا يطفئ نوره ضجيج الباطل، وأن الحق يعلو بذاته ولو كثر المعارضون.

ثم تتلوها **سورة إبراهيم** لتنتقل من تقرير السُّنن إلى بيان **إستراتيجية الدعوة**، فتُظهِر كيف يُترجَم ثبات الحق إلى بناءٍ حضاري قائم على التوحيد والدعاء والكلمة الطيبة، لا على القوة المجردة.

فإذا كانت **الرعد** تقول: *الحق يعلو رغم الضجيج*، فإن **إبراهيم** تقول: *الكلمة الطيبة تبقى... ومنها تُبنى الأمة*.

للتأمل الذاتي

هل أرفع دعائي إلى الله كما دعا **إبراهيم**، بقلب يجمع بين إخلاص الفرد وحرص الأمة؟ وهل غُرست في حياتي الكلمة الطيبة لتثمر هداية وصلاحًا؟ هل أعي حقيقة الطغيان، وأراه مؤقتًا وزائلًا مهما بدا عظيمًا؟ وهل أستشعر مسؤوليتي في أن أكون حامل نور، يخرج الناس من الظلمات إلى الهداية؟

الخاتمة

سورة إبراهيم تربي المؤمن على فهم شامل للرسالة، فتبدأ بالنور والتوحيد كأساس لكل حركة وهداية، وتواجه الطغيان لتكشف سنن التاريخ وابتلاءات الأمم، ثم تُغرس في النفوس الكلمة الطيبة التي تُثمر صلاحًا وهداية، وتُسقى بالدعاء كحلقة وصل بين الجهد البشري وتوفيق الله، وتنتهي السورة بتقرير الحسم عند الله، في مشهد لا يُؤخر فيه أحد، ولا يغفل عنه أحد، مؤكدة أن الرسالة قائمة والعاقبة للمتقين.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ .

سورة الحجر

الاسم والدلالة:

سُمِّيت السورة بـ **الحجر**[1] نسبةً إلى قوم ثمود الذين سكنوا منطقة "الحِجْر"، وهم قوم نحتوا الجبال واستكبروا، فكذّبوا نبيهم صالحًا وأُخذوا بالعذاب.

ومع ذلك، لا يشير الاسم إلى الموقع التاريخي فحسب، بل يُحيل إلى نموذج الطغيان المادي حين ينفصل الإنسان عن الإيمان الروحي ويعزل عن دعوة الحق.

المقصد العام لسورة الحجر

تسعى السورة إلى تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في مواجهة التكذيب والاستكبار، مؤكدة أن القرآن محفوظ لا يُمسّ، وأن من سبق تكذيبهم أهلكهم الله، كما تبرز السورة مسؤولية الداعية في الصدع بالحق مع الصبر واليقين في وعد الله، مبيّنة أن الثبات على الرسالة هو طريق النجاح الحقيقي.

البنية الموضوعية لسورة الحجر

- **تمهيد بالكتاب والمكذبين (1–15)**: بيان تكذيب المكذبين مع وضوح الوحي، لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على أن الحق محفوظ ولا يزول رغم الإعراض.

---

[1] قال المكي الناصري:" وانتقل كتاب الله إلى الحديث عن قصة أصحاب الحجر، وبها سميت هذه السورة " سورة الحجر "، والمراد بهم ثمود، وهم قوم صالح عليه السلام، فقال تعالى: {وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}. والحجر هنا اسم للمكان الذي كان قوم صالح نازلين به مستقرين فيه، وهو واقع بين المدينة والشام، وكانت بيوت ثمود ومنازلهم منقورة بالمعاول في الجبال، وقد بلغ تحديهم لنبيهم صالح منتهاه عندما عقروا ناقة الله، التي طالما أمرهم صالح بعدم المساس بها، والتي طالما دعاهم إلى تركها تأكل من أرض الله وتشرب من مائه، فعاقبهم الله على جرائمهم كلها عند عقرهم لها، وكان عقابهم بالصيحة صباحا، فهلكوا وبادوا". محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، **التيسير في أحاديث التفسير**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م،ج3ص294-295.

- **خلق الإنسان والفتنة الكبرى (16–44):** عرض قصة إبليس وامتناعه عن السجود، وبيان القدر والفتنة الكبرى التي تواجه الإنسان في حياته، لتكون عبرة للتصدي للغرور والطغيان.
- **نماذج المكذبين من الأمم (45–84):** سرد أحداث قوم الحجر والأمم السابقة التي كذبت الأنبياء، ليُبرز العاقبة الحتمية للمكذبين وللحفاظ على الثبات على الحق.
- **توجيه مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم (85–99):** أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصدع بالحق، والتوكل على الله، سبحانه، والصبر على تكذيب المكذبين، مع التأكيد على أن الثبات والصبر طريق التمكين والنجاة.

(1–15): تكذيب رغم وضوح البيان

تؤكد هذه الآيات أن القرآن وحي مبين لا غموض فيه،﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ١ ...﴾، وأن تكذيب المكذبين لا ينشأ عن نقص في الرسالة، بل عن عمى القلوب وجحودهم، فطلبهم للآيات لم يكن نابعا عن صدق أو رغبة حقيقية في الهداية، وإنما عن تكبر وجحود.

الرسالة: الوحي واضح ومبين، لكن القلوب الميتة لا تنتفع بالنور مهما ظهر.

(16–44): بداية الصراع – الخلق، الفتنة، والاختبار

تروي هذه الآيات قصة إبليس ورفضه السجود لأمر الله، مبينًا أن أصل البلاء هو الاستكبار عن طاعة الحق. يَعِد إبليس بإغواء البشر جميعًا، لكنه عاجز عن مسّ عباده المخلصين.

وتشير الآيات أيضًا إلى عظمة الخلق في الكون، كما في ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ ...)، لتذكّر بأن القدرة لله وحده وأن الإنسان ميدان اختبار دائم.

الرسالة: الصراع بين الطاعة والمعصية ممتد منذ آدم إلى يومنا، والنجاة تتحقق بالصدق والإخلاص لله.

(45–84): مصائر الأمم المكذبة

تستعرض هذه الآيات مصائر الأقوام الذين كذبوا رسلهم رغم تمكينهم المادي، فتكون عبرة خالدة، فأهل الحجر، الذين نحتوا من الجبال بيوتًا آمنة ومستقرة، لم ينفعهم ذلك أمام الصيحة التي أهلكتهم. وقوم لوط، الذين مارسوا الفاحشة جهارًا، أُهلكوا تمامًا دون تأجيل.

كما لم تنفع القرى الظالمة الأخرى حصونها ومظاهر قوتها أمام القضاء الإلهي.

الرسالة: التمكين المادي بلا إيمان لا يحمي من سنن الله؛ العبرة بالصدق والطاعة، والسنن الإلهية لا تحابي أحدًا.

(85–99): توجيه ختامي مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم

تختم السورة بتوجيه واضح للنبي صلى الله عليه وسلم، يأمره بالصدع بالحق والانشغال بالرسالة دون الالتفات إلى المشركين: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾. وتعود إلى بداية المقاطع لتأكد على حفظ القرآن من الله:﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ .

الرسالة: الدعوة عبادة متواصلة تتطلب الصدق والصبر والتسبيح والالتزام الكامل، حتى النهاية.

خلاصة تفسير سورة الحجر

توضح أن القرآن محفوظ وأن الحق لا يموت، مهما تكذّب المكذبون، والتاريخ يعلّمنا أن مصير الأمم الكافرة واحد، والنفس تنجى بالصدق والإخلاص، وأن الدعوة الصادقة لا تخلو من الأذى؛ لذلك يجب الصبر، بينما القيادة تحتاج إلى التوكل على الله، والتسبيح الدائم، والصدع بالحق، والثبات على المبدأ.

الربط بين السورتين:

يظهر تطور المشروع القرآني من تأسيس الأمة على دعائم التوحيد والدعاء في سورة إبراهيم، إلى تثبيت القيادة النبوية في وجه التكذيب والضغوط في سورة الحجر، حيث يضمن الله حفظ القرآن وسريان سننه، ويؤكد على ضرورة الصدق والصبر والثبات في مواجهة التحديات.

للتأمل الذاتي:

اسأل نفسك: هل أصدع بالحق كما أُمرت، أم أميل إلى المسايرة والرضوخ؟ هل أوقن أن القرآن محفوظ بحفظ الله، أم يشغلني القلق على مصير الدعوة؟ هل أحكم على الأمم بالمعايير المادية والزائلة، أم أزنها بالميزان الإلهي؟ وهل أعتبر نفسي من المخلصين الذين يسيرون على نور الله، أم من الغافلين الذين يتبعون وسوسة إبليس دون وعي؟

خاتمة

سورة الحجر تُربّي المؤمن على الثبات أمام التكذيب، وتزرع فيه اليقين في زمن التراجع والفتن، وتذكّرنا أن قوة الإسلام لا تُقاس بضعف الحُجج، بل بثبات أهله على الحق، وأن والله قد تكفّل بحفظ القرآن، فالواجب على العبد أن يصدع بما أُمِر، ويستمر في التسبيح، ويصبر، ويثبت، حتى يطمئن قلبه باليقين.

سورة النحل

الاســـــــــــــــــــــــــــــم والدلالـــــــــــــــــــــــــــة

سُمّيت السورة بـ **سورة النحل**[1] لورود قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾.قال أبو حيان:" أوحى إليه بكذا، أي: أرسل إليه. وبمعنى: ألهم، قال تعالى (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)، أي: ألهمها؛ لأن الإلهام إشارة في المعنى"[2]. والنحل مخلوق دقيق في بنائه، بالغ في نظامه، قائم على هداية ربانية محكمة؛ فهو شاهد حيّ على حكمة الله في الخلق، وإتقانه في التدبير، وإعجازه في تسخير الرزق من أضعف المخلوقـــــــــــــــــات ظـــــــــــــــــــاهرًا.

غير أن التسمية – على خصوصيتها – ليست مقصورة على هذا المشهد الجزئي، بل هي عنوان رمزي لبنية السورة كلها؛ إذ تتخذ من النعمة الإلهية محورًا جامعًا، وتبني حوله رؤية توحيدية شاملة، تجعل الكون كتابًا مفتوحًا، والسلوك الإنساني ترجمة عملية للإيمان.

المقصد العام للسورة

تقرير أن **التوحيد هو أصل الحياة الرشيدة وقاعدتها الكبرى**، وأن نعم الله – ظاهرةً وباطنةً – لا تُفهم على وجهها إلا في ضوء الإيمان به، وأن إنكار التوحيد هو في حقيقته كفر بالنعمة قبل أن يكون كفرًا بالعقيدة.

وتؤسس السورة لمفهوم الشكر بوصفه موقفًا وجوديًا متكاملًا، يقوم على الوعي العقلي،

---

[1] قال الماتريدي:" وقال بعض أهل التأويل: سميت سورة (النحل) سورة النعم؛ لما فيها من ذكر النعم وأنواع منافع الخلق من أولها إلى آخرها". محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)** المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ج6 ص550.

[2] أبو حيان الأندلسي (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ)، **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، المحقق: د. حسن هنداوي، عدد الأجزاء: ٢٢ [تِباعًا، والأخيران فهارس، واقتصرَتْ هذه النسخة الإلكترونية على ١١ فقط؛ يسَّر الله إتمامها كأصلها]، الناشر: دار القلم بدمشق (الأجزاء ١ – ٥) – دار كنوز إشبيليا بالرياض (الأجزاء ٦ – ٢٢)، الطبعة: الأولى، (١٤١٨ – ١٤٤٥ هـ) = (١٩٩٧ – ٢٠٢٤ م)،ج11ص182.

والاستقامة الضميرية، والعمل السلوكي، لا على مجرد القول أو الادّعاء؛ فالشكر الحق هو التزام بمنهج الله في الاعتقاد والعبادة والأخلاق والعمران.

البنية الموضوعية للسورة:

تنتظم سورة النحل في بناء موضوعي متماسك، يتدرّج بالقارئ من تقرير أصل التوحيد إلى تنزيله سلوكًا ومنهج حياة. ويُمكن إبراز هذا البناء على النحو الآتي:

تفتتح السورة بتعظيم الأمر الإلهي والتأكيد على حتميته ووضوحه، حيث تُقرِّر أن أمر الله آتٍ لا محالة، وأن الحق بيّن في دلائله، وتعرض في هذا السياق مظاهر التسخير في الخيل والأنعام، بما يكشف عن سلطان الله المطلق في الخلق والتدبير (الآيات 1–7).

ثم تنتقل إلى استعراض واسع لمظاهر النعم الكونية المسخَّرة للإنسان، فتذكر تعاقب الليل والنهار، ونزول المطر، وتنوّع الأرزاق، وتسخير البحار، والاهتداء بالنجوم، في لوحة كونية متكاملة تُرسِّخ معنى العناية الإلهية الشاملة (الآيات 8–21).

بعد ذلك تعرض السورة موقف المشركين من هذه النعم، كاشفة عن تقلباتهم النفسية، وجحودهم للمنعم، واضطراب حججهم، مبينة أن الشرك ليس مجرد خطأ عقدي، بل هو انحراف في النظر إلى النعمة ومصدرها (الآيات 22–40).

وتضرب السورة أمثالًا بليغة لتفريق المواقف، من أبرزها مثل النحل، ومثل العبد، ومثل الكلمة الطيبة، لتُظهر التباين الحاد بين موقف العبد الشاكر الذي يهتدي بالوحي، وموقف الكافر الجاحد الذي يعميه الكفر عن الحقائق الواضحة (الآيات 41–60).

ثم تؤسس لبناء أخلاقي وسلوكي متكامل، فتضع قواعد عملية للإيمان، تشمل فقه الأمر والنهي، والحث على الصبر، والوفاء بالعقود، وإقامة العدل في الميزان، وترسيخ التوكل على الله، بوصف هذه القيم ثمرة حقيقية للتوحيد في واقع الحياة (الآيات 61–91).

وتُختَم السورة ببيان وظيفة الرسالة ومنهج الدعوة، مؤكدة ضرورة الاصطفاف حول الحق، والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الربط المحكم بين التوحيد الخالص والعمل الصالح، باعتبارهما جوهر رسالة الإسلام وغايتها الكبرى (الآيات 92–128).

(1–21): نعمُ الله... تأسيسُ التوحيد على مشهد الخلق

تفتتح السورة هذا المقطع بإعلان جليل يزلزل الغفلة ويوقظ الوعي: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ ...﴾، إعلانٌ يُقرِّر حتمية الحق، ويضع الإنسان منذ اللحظة الأولى أمام حقيقة السيادة الإلهية المطلقة، قبل أن يُؤخذ في جولة كونية واسعة.

وتتوالى بعد ذلك مشاهد النعم الإلهية في نسق متدرّج شامل: الأنعام بما فيها من دفء ومنافع وأرزاق، واللباس الذي يستر الجسد ويحفظ الكرامة، والبيوت التي تمنح السكن والأمان، والمطر الذي يحيي الأرض بعد موتها، والفُلك التي تشقّ البحار، والجبال التي ترسي الأرض وتحقق التوازن.

إنها نعم لا تُحصى، تحيط بالإنسان من كل جانب، وتلازمه في حركته وسكونه.

غير أن السورة لا تسرد هذه النعم لمجرد الامتنان، بل لتؤسس بها قاعدة التوحيد؛ فغرض هذا العرض أن ينتقل الإنسان من الإدراك الحسي إلى الفهم العقلي، فيعقل النعمة، ثم يرتقي إلى المقام القلبي فيشكر المنعِم، ثم يبلغ الغاية الكبرى وهي الإيمان بالحق والخضوع له وحده.

الرسالة المركزية:

كل نعمة في هذا الوجود تحيل إلى اسم من أسماء الله، ودلالة من دلائل كماله؛ والسؤال الجوهري الذي تطرحه السورة هو: هل تقف عند رؤية النعمة، أم تنفذ ببصيرتك إلى رؤية المنعِم؟

(22–40): الشِّرك: جحودٌ فكريّ وسلوكيّ

تكشف هذه الآيات البنية العميقة للشرك، فتُبيِّن أنه لا يقتصر على خطإ عقديّ مجرّد، بل هو جحود مركّب في الفكر والسلوك معًا. فالمشركون – مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر – ينقضون هذا الإقرار حين يصرفون العبادة لغيره، فيقعون في تناقض داخلي بين المعرفة والالتزام.

ويمضي القرآن في تفكيك هذا الانحراف، فيُظهر أنهم يستبدلون العقل بالتقليد الأعمى، فيتبعون ما كان عليه آباؤهم دون نظر أو حجة، ويجعلون من الموروث ستارًا يحجب عنهم نور الحق. ثم يتجلّى عمق الانحراف في سخريتهم من البعث، إذ لا ينكرونه عن برهان، بل يرفضونه استهزاءً واستخفافًا، اتباعًا للهوى لا استجابةً للهدى.

وهكذا ترسم السورة صورة متكاملة للشرك بوصفه مسارًا نفسيًا وسلوكيًا قائمًا على تعطيل العقل، وتزييف الفطرة، والانفصال عن مقتضيات الإيمان العملي.

الرسالة المركزية:

من لم يُترجم شكر الله إيمانًا في القلب، واستقامةً في السلوك، فهو في حقيقة الأمر منكرٌ للنِّعَم، وإن ردَّد بلسانه ألفاظ الشكر قائلاً: «شكرتُك».

(41–60): الأمثال الحيّة... النحل، العبد، الكلمة، والجاحدون

ينتقل هذا المقطع إلى أسلوبٍ قرآني بالغ التأثير: **ضرب الأمثال الحيّة**، لا بوصفها صورًا بلاغية للتزيين، بل أدواتٍ معرفية لكشف الحقائق وترسيخ السنن.

فيتصدّر المشهد مثل **النحل** في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾، حيث يُقدَّم هذا المخلوق الصغير نموذجًا مدهشًا لفقه النظام والاتباع؛ يهتدي بوحي رباني دقيق، ويسلك طرقًا مقدّرة، ويُرزق من كل الثمرات، ثم يخرج من عمله شراب مختلف الألوان فيه شفاء للناس.

إنه مثال على أن الهداية، والانتظام، والبركة ثمرة الامتثال لا الفوضى، والطاعة لا العشوائية.

ثم يُضرَب مثل **العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء**، في مقابل الحرّ القادر المنفق، ليُجسِّد العجز المطلق للمعبودات الزائفة، ويُبرز في المقابل كمال القدرة الإلهية؛ فكيف يُسوّى بين من لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، وبين من بيده الخلق والرزق والتدبير؟

ويتتابع النسق بالمقارنة بين **الأعمى والبصير**، **والأصم والسميع**، في تصوير بليغ للفارق الجوهري بين من عطّل أدوات الإدراك، فانغلق عن الحق، ومن فتح بصيرته، فاهتدى واستقام. فالاختلاف هنا ليس في الحواس وحدها، بل في الموقف الوجودي من الهداية.

الرسالة المركزية:
الأمثال القرآنية ليست زخرفًا بيانيًا، بل مفاتيح للفهم، وآليات لتثبيت السنن الإلهية، وبناء التمييز العقلي بين الهدى والضلال، وبين الشكر والجحود.

(61–91): البناءُ السلوكيّ المتكامل على قاعدة التوحيد

ينتقل هذا المقطع من التقرير العقدي إلى **تنزيل التوحيد واقعًا عمليًا**، ليؤكد أن الإيمان الحق لا يكتمل إلا إذا تجسّد سلوكًا منضبطًا، ونظامًا أخلاقيًا يحكم علاقة الإنسان بربه وبالناس.

فتُؤسَّس المعاملات أولًا على **العدل والميزان**، في الأمر الصريح بإيفاء الكيل والميزان، بما يجعل الاستقامة الاقتصادية جزءًا لا يتجزأ من العقيدة، ويحوّل النزاهة من خيار أخلاقي إلى التزام تعبّدي.

ثم تُضبط الكلمة بوصفها مدخلًا للتشريع والفساد معًا، فيُنهى عن القول بغير علم، وعن نسبة الأحكام إلى الله بغير حق، حفاظًا على قدسية الحقيقة، وصيانةً للعقل الجمعي من التزييف:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾.

ويُرسِّخ بعد ذلك مبدأ **الوفاء بالمعاهدات**، باعتباره شاهد صدق الإيمان، وأساس الثقة الاجتماعية، إذ يُربط العهد مباشرة بالله، لا بالمصلحة المتقلبة: ﴿وَأَوۡفُوا۟ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾

ويتوج هذا البناء بالأمر الجامع الذي لخص منظومة الأخلاق الإسلامية كلها، في آية جامعة مانعة، تجعل العدل قاعدة، والإحسان ارتقاءً، والنهي عن المنكر حمايةً للمجتمع من الانهيار القيمي:

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾، رابطا الآية بسابقتها.

الرسالة المركزية:

لا يمكن إقامة سلوك حضاري متماسك دون توحيد راسخ؛ فالتوحيد هو العمود الفقري للأخلاق، والاقتصاد، والمعاملات، ومن دونه تتحول القيم إلى شعارات بلا روح ولا أثر.

(92–128): وظيفةُ الأُمّة... ووظيفةُ الرسالة

يأتي ختام السورة لتحديد موقع الأمة في التاريخ، ووظيفة الرسالة في الواقع، بعد أن اكتمل البناء العقدي والسلوكي، فتُحذِّر الآيات من الانهيار الداخلي بعد الاكتمال، بضرب مثلٍ بليغ: **المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة**، في تصوير صارخ لأمة تُفرِّط فيما بنته من إيمان وقيم، فتهدم بيدها ما شيدته بالصبر والعمل.

ثم ترسم السورة منهج الإصلاح القائم على **التدرّج**، فتنهى عن مسالك الخمر والكذب والظلم بأسلوب يراعي بناء الوعي قبل فرض الأحكام، تأكيدًا على أن تغيير السلوك لا يتم بالعنف ولا بالعجلة، بل بتربية الإيمان وترسيخ المعنى.

وتُبيِّن بعد ذلك وظيفة الدعوة، فتجعلها قائمة على **الحكمة والموعظة الحسنة**، وتضبط الجدل بضابط أخلاقي صارم، فلا يكون إلا بالتي هي أحسن، صيانةً للحق من أن يُشوَّه، وللداعية من أن يتحول إلى خصم منفعل لا حامل رسالة.

ويُخاطَب النبي ﷺ في ختام السورة بأوامر جامعة تُلخِّص طريق الدعوة كلها: الصبر والثبات، والاطمئنان إلى معية الله الخاصة لأهل التقوى والإحسان: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾.

الرسالة الختامية:

الأمة التي تشكر نعم الله، وتدعو بالحكمة، وتحيا على أساس التوحيد، هي الأمة الجديرة بمعية الله ونصره، لأن النصر سنّة إلهية لا تُمنح إلا لمن حقق شروطها إيمانًا وسلوكًا.

خلاصة تفسير سورة النحل

تقدّم سورة النحل رؤية قرآنية متكاملة للحياة، تُعيد ربط مجالاتها كلها بأصلٍ واحد هو التوحيد، وتُحوِّل الإيمان من فكرة ذهنية إلى منهج شامل يحكم الفكر والسلوك والنظم.

فعلى مستوى **التوحيد**، تُقرِّر السورة أن كل نعمة في الوجود ليست حدثًا عابرًا، بل علامة دالّة، تقود بالعقل والقلب إلى اسم من أسماء الله وصفة من صفاته؛ فمن وقف عند النعمة دون المنعِم فقد بتر دلالتها، ومن نفذ إلى المنعِم حقق جوهر الإيمان.

وعلى مستوى **السلوك الفردي والاجتماعي**، تُبيِّن السورة أن التوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه الأخلاق والمعاملات، وأن الاستقامة الخُلُقية ليست ترفًا قيميًا، بل ثمرة طبيعية للإيمان الصحيح، لا تنفصل عنه ولا تقوم بدونه.

وفي مجال **الاقتصاد**، ترسي السورة قواعد العدالة والشفافية، فتجعل إيفاء الكيل والميزان، وتحريم الغش والظلم، التزامًا تعبديًا قبل أن يكون نظامًا رقابيًا، مؤكدة أن فساد المعاملات دليل خلل في العقيدة قبل أن يكون خللًا في السوق.

أما في مجال **الإعلام والخطاب**، فتُحذِّر من الكذب والتزييف، ومن نسبة الأقوال إلى الله بغير علم، لأن الكلمة المضلِّلة ليست مجرد خطإ أخلاقي، بل افتراء على الله، وإفساد للوعي العام.

وفي **الدعوة**، تضبط السورة المنهج ضبطًا دقيقًا، فلا دعوة إلا بالحكمة، ولا توجيه إلا بالموعظة الحسنة، ولا جدال إلا بالتي هي أحسن، حفاظًا على قدسية الحق، وصيانةً للدعوة من الانحراف عن مقصدها.

وعلى مستوى **السياسة والعلاقات العامة**، تُقرِّر السورة أن العقود والعهود والوفاء بها تمثل أساسًا شرعيًا ناظمًا للمعاملات بين الجماعات والأمم، وأن نقضها ليس مجرد إخلال سياسي، بل خيانة أخلاقية ودينية تقوّض الثقة وتُفسد العمران.

وبذلك تُجسِّد سورة النحل نموذجًا قرآنيًا فريدًا، يربط بين العقيدة والحياة، ويؤسس لحضارة تقوم على الشكر، والعدل، والوفاء، والتوحيد.

الربط مع ما قبلها:

يأتي ترتيب سورة **الحجر** قبل سورة **النحل** ترتيبًا مقصودًا في البناء القرآني، يعكس انتقال الخطاب من مرحلة **التثبيت** إلى مرحلة **البناء**، ومن حماية الرسالة إلى تنزيلها في واقع الحياة.

فسورة **الحجر** تؤدي وظيفة **تثبيت القيادة المؤمنة** في وجه الطغيان والتكذيب، فتخاطب النبي ﷺ ومن معه بخطاب الصبر واليقين، وتؤكد أن الحق محفوظ بحفظ الله، ولو وقف الداعية وحده في مواجهة الباطل. إنها سورة تحصين نفسي وعقدي، تُرسِّخ الثبات حين تشتد المواجهة، وتقلّ النصرة الظاهرة.

ثم تأتي سورة **النحل** لتتسلّم المشعل من زاوية أخرى، فتؤدي وظيفة **تأسيس الحياة اليومية على فقه النعمة والتوحيد.** فبعد أن ثُبّتت القيادة على الحق، تبدأ مرحلة بناء المجتمع: وعيٌ بالنعم، شكرٌ عملي، أخلاق، معاملات، دعوة، وعمران. إنها سورة الانتقال من "تحمّل الرسالة" إلى "إدارة الحياة بالرسالة".

ولهذا يمكن تلخيص العلاقة بين السورتين في معادلة جامعة:

الحجر تقول: اثبت على الحق ولو كنت وحدك.
النحل تقول: ابنِ مجتمعًا شاكرًا... تكن أمةً محفوظة.

فالثبات بلا بناء يورث العزلة، والبناء بلا ثبات يورث الانهيار، والمشروع القرآني لا يكتمل إلا بهما معًا: قيادة ثابتة على التوحيد، ومجتمع يعيش هذا التوحيد شكرًا وسلوكًا وحضارة.

للتأمل الذاتي:

- هل أنظر إلى النعمة بعين **الشكر والوعي**، أم بعين **الاعتياد والغرور**؟
- هل أتعامل مع التوحيد كمبدأ **فكري نظري** فقط، أم كأساس **سلوكي عملي** يضبط حياتي اليومية؟
- هل أزن قولي وفعلي بمكيال واحد، أم أفرّق بين ما أقول وما أعمل؟
- هل طريقتي في الدعوة والتأثير على الآخرين مبنية على **الحكمة والموعظة الحسنة**، أم على **الخصام والصراع الشخصي**؟

هذه الأسئلة تعمل كمرآة للضمير، تُنبهنا إلى مدى انسجامنا مع رسالة سورة النحل، وتكشف الثغرات بين معرفة النعمة والإيمان بها، وبين التجسيد العملي لذلك في الحياة والسلوك.

خاتمة

سورة النحل هي **سورة النعمة والعهد**، تحمل في طياتها دعوة متكاملة للشكر الإلهي، ليس بالكلمات فقط، بل **بالسلوك العملي في كل ميادين الحياة:** في الأخلاق، والاقتصاد، والمعاملات، والسياسة، والدعوة.

تعلّمنا أن الشكر الحق يبني **الإنسان الشاكر** الذي يربط قلبه وعمله بالله، ويصبح أهلاً لنصر الله ومعيته في حياته ومجتمعه.

فالتذكير بالنعمة واجب، والشكر الحقيقي اختيار عملي يسهم في صقل شخصية الفرد والمجتمع على حد سواء.

سورة الإسراء

الاسم والدلالة

سُمِّيت السورة بـ "**الإسراء**"[1] نسبةً إلى الحدث العظيم الذي أُسري فيه بالنبي ﷺ[2] من **المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**[3]، إيذانًا بانتقال القيادة الروحية من بني إسرائيل **إلى** أمة محمد ﷺ.

هذا الحدث ليس مجرد رحلة مكانية، بل رمز لانطلاق مشروع عالمي قائم على التوحيد، والكتاب، والأخلاق، وبناء مجتمع جديد متحضر ومتفاعل مع رسالة السماء.

[1] قال عقيلة:" سورة (الإسراء): تسمى سورة (سبحان)، وسورة (بني إسرائيل)." محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ)،**الزيادة والإحسان في علوم القرآن** المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم).،الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ، ج1، ص185.

[2] قال الشنقيطي:" وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ بِالْجَسَدِ، وَالْمِعْرَاجَ بِالرُّوحِ دُونَ الْجَسَدِ، وَلَكِنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقَظَةً لَا مَنَامًا، لِأَنَّهُ قَالَ بِعَبْدِهِ وَالْعَبْدُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَلِأَنَّهُ قَالَ: سُبْحَانَ وَالتَّسْبِيحُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ، فَلَوْ كَانَ مَنَامًا لَمْ يَكُنْ لَهُ كَبِيرُ شَأْنٍ حَتَّى يَتَعَجَّبَ مِنْهُ. وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى [٥٣ \ ١٧] لِأَنَّ الْبَصَرَ مِنْ آلَاتِ الذَّاتِ لَا الرُّوحِ، وَقَوْلُهُ هُنَا: لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا". محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ، ج3ص3.– وقال أبو زيد الثعالبي:" قوله عزَّ وجلَّ: سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ: جل العلماء على أن الإسراء كان بشخصه صلّى الله عليه وسلّم، وأنه ركِب البُرَاق من مكَّة، ووصل إلى بيت المقدس، وصلَّى فيه، وقالتْ عائشة ومعاوية: إنما أُسْرِي بِرُوحه ، والصحيحُ ما ذهب إليه الجمهورُ، ولو كانتْ منامةً، ما أمكن قريشاً التشنيعُ، ولا فُضِّل أبو بكر بالتصديق، ولا قالَتْ له أمُّ هانىء: لا تحدِّث الناس بهذا، فيكذِّبوك، إلى غير هذا من الدلائل، وأما قول عائشة فإنها كانت صغيرة، ولا حدثت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكذلك معاوية". أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، ج3ص349.

[3] قال ابن سلام :" قَوْلُهُ: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا} [الإسراء: ١] ، يَعْنِي نَفْسَهُ. أَسْرَى بِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. {لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى} [الإسراء: ١] ، يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ". يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، **تفسير يحيى بن سلام** ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ج1ص101.

المقصـــــــــــــــــد العـــــــــــــــــــام للســـــــــــــــــــورة

تسعى السورة إلى **إظهـار علويـة الرسـالة** وضرورة تأسيس مجتمع متخلق بوحي السماء، مجتمع **متحرر من التقليد الأعمى**، قائم على العدل، مزوّد بالبصيرة والوعي، ليكون جديرًا بحمل **الأمانــة الإلهيــة بعـد خيانــة بنــي إسـرائيل لهـا**. إنها سورة **التحـوّل مـن مرحلـة الاستضـعاف إلـى التهيئـة للنقلـة الحضـارية**، مرحلة يختبر فيها الإنسان والجماعة قدرتهما على الصبر، والطاعة، والتطبيق العملي للحقائق الإلهية في الحياة اليومية.

البنية الموضوعية لسورة الإسراء

تتوزع سورة الإسراء في بنائها الموضوعي على ستة محاور رئيسية، تبدأ بالتحوّل التاريخي وتنتهي ببناء الأمة والدعوة العملية:

يبدأ المقطع الأول بآية **الإسراء**، مشيرًا إلى **بدايـة التحـول وفـتح آفـاق جديـدة للرسـالة**، حيث يُبرز الانتقال من مرحلة قديمة إلى مرحلة بعث جديدة تُؤهل الأمة لتحمل الرسالة.

ثم تأتي الآيات 2–22 لتسليط الضوء على **مسـؤولية بنــي إسـرائيل**، كاشفة عن انحرافهم، وعقوباتهم، وخيانتهم للكتاب والرسالة، بما يوضّح الدروس المستفادة من التاريخ السابق ويُهيئ الأرضية لمجتمع جديد.

بعد ذلك، تتناول الآيات 23–39 **منهـاج بنـاء الفـرد**، فتقدّم وصايا محورية للأمة الجديدة، تشمل أسس العبادة، والعلاقات الاجتماعية، والالتزام بالأوامر الإلهية، لإرساء شخصية متكاملة ومستعدة لحمل الأمانة.

في الآيات 40–60 تُعرض **سنن الهدايـة والضـلال**، حيث يُوضح القرآن أنه **مفتـاح الهدايـة والتثبيت**، وأن التمسك به وبالحقائق الإلهية هو الطريق للثبات، بينما الإعراض عنه يؤدي إلى الضلال والفشل.

ثم ينتقل التركيز في الآيات 61–77 إلى **القيادة والتثبيت**، مع إبراز مواقف إبليس والتحديات التي تواجه النبي ﷺ، لتؤكد السورة ضرورة الصبر والثبات، وأن القيادة الحقّة تحتاج إلى توكل على الله ووعي بالفتن.

وأخيرًا، تختتم السورة في الآيات 78–111 ببيان **روح الرسالة وبناء الدعوة**، مركزة على الصلاة، والتوحيد، والقرآن، والحكمة في الدعوة، لتضع الأساس العملي لحياة فردية ومجتمعية متكاملة، قادرة على نقل نور الرسالة واستدامته.

حدث الإسراء... إعلان الانتقال

تبدأ السورة بآية عظيمة:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ...﴾،

فيها **تسبيح وتعظيم عند فتح كل عظيم**، إذ لا يقتصر المعنى على رحلة مكانية للنبي ﷺ، بل يحمل أبعادًا روحية وتاريخية عميقة.

فالإسراء ليس مجرد معجزة خارقة، بل هو **إعلان متعدد الدلالات:**

- **ارتباط الحرمين الشريفين**، كرمز لوحدة المشروع الإلهي.
- **بداية عالمية للرسالة**، انتقال من مرحلة محلية محدودة إلى رسالة عامة تشمل البشرية كلها.
- **تأكيد على انتقال القيادة الدينية**، من أمةٍ خانت الرسالة إلى أمة تُهيَّأ لحمل النور والكتاب.

الرسالة المركزية:

الرسالة الإلهية لا تُقيَّد بمكان، بل **مرتبطة بالأمانة والوفاء بالحق**؛ فإذا خانت أمة الأمانة، رُفعت عنها، وسُلِّمت لأمة أخرى تلتزم بها وتُحافظ عليها، لتستمر مشروعية الرسالة وحملها للبشرية.

(2–22): بني إسرائيل... وسقوطهم في الاختبار

تبدأ هذه الآيات بالتذكير بنعمة الله عليهم: ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ۝٢ ...)، لكن رغم هذه النعم الكبرى، **خانوا الأمانة**، وارتكبوا **الفساد مرتين**، فكان جزاؤهم **العقوبة الإلهية**، وما زالوا في غيّهم مستمرين في الانحراف.

تأتي هذه الوقائع **كتحذير للمؤمنين**، لتعلمهم أن لا يتبعوا أهواء أولئك المنحرفين، ولا يقلدوا خطواتهم في الخيانة والانحراف، مهما علا شأنهم أو قدمت لهم المناصب والرموز.

الرسالة المركزية:

التاريخ لا يُحابي أحدًا، والفساد **يجرّ العقوبة الإلهية**، حتى لو كان الفاسد يحمل أسماءً مقدّسة أو مواقع رفيعة. العبرة بالوفاء بالأمانة والتمسّك بالحق، لا بالمكانة أو التقليد.

(23–39): منهاج بناء الفرد المؤمن

تقدّم هذه الآيات **وصايا متتالية** تبدأ بالتأكيد على قاعدة مركزية: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ ...﴾، لتضع أسس حياة الفرد المؤمن، وتغطي جميع جوانب حياته من العبادة إلى المعاملات اليومية.

وتشمل الوصايا:

- **حقوق الأسرة**، وتقدير الوالدين وحفظ روابط الرحمة.
- **الاقتصاد المتزن**، والتحذير من التبذير والبخل.
- **العدل في القول**، والصدق في المعاملات.
- **التواضع** في السلوك والتعامل مع الآخرين.
- **عدم الغرور بالعلم أو المال**، والتذكير بأن القوة الحقيقية في الطاعة والإيمان.

الرسالة المركزية:

الفرد الصالح هو **أساس الأمة الصالحة**؛ لا مكان في المشروع الرسالي لمن لم يَبنِ أخلاقه وسلوكه، فالإيمان وحده دون التطبيق العملي لا يُكمل البناء الاجتماعي والدعوي.

(40–60): القرآن... وسنة الصراع حول الحق

تسلط هذه الآيات الضوء على **اختبار الحق في مواجهة المكذبين**: فالمكذبون يطمعون في **تحريف القرآن** وتغييره ليتوافق مع أهوائهم، لكن الله **يثبّت النبي** ﷺ ويحفظ كتابه، ويؤكد أن الرسالة الإلهية لا تخضع للضغوط البشرية.

كما تُبرز السورة دور إبليس في الصراع، فهو **متربص دائمًا بالإنسان**، لكنه **لا يملك سلطانًا على المخلصين** الذين يتخذون القرآن دستورًا حياتيًا ويستمسكون بالحق.

الرسالة المركزية:

الحق **لا يُساوَم**، والقرآن **ثابت ومحفوظ**، ولا يُغيّر لأجل إرضاء الناس أو التكيف مع أهوائهم، فالثبات على المنهج الإلهي هو ضمان الهداية والثبات في مواجهة الفتن.

(61–77): تثبيت القيادة في وجه الإغواء والمكر

تركّز هذه الآيات على **تحديات القيادة النبوية** في مواجهة الإغواء والمكر: فقد حاولت قريش **طرد النبي** ﷺ **من مكة** وإغواؤه عن طريق الضغط والفتن، لكنها فشلت بفضل **تثبيت الله لنبيه**، كما يُظهر ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤ ...﴾

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ٧٦ ...﴾

الرسالة المركزية:

القيادة الحقّة **تحتاج إلى تثبيت رباني**؛ فالدعوة الإلهية ليست لعبة سياسية أو صراعًا على السلطة، بل **أمانة ومسؤولية سامية** تتطلب الصبر والثبات تحت كل فتنة وإغواء.

(78–111): روح الرسالة... الصلاة، والقرآن، والتوحيد

تُختم السورة بتأكيد **جوهر الرسالة وحقيقتها العملية**، فتُبرز الصلاة والعبادة كركائز أساسية للارتباط بالله، كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾، وتخصّ القرآن بذكر الفجر كوقت للذكر والتثبيت: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾،

كما تؤكد الأدعية والاعتراف بالحقائق التوحيدية:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ ...﴾،

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾

الرسالة المركزية:

الرسالات **لا تُبنى بالشعارات أو الكلام فقط**، بل **بالعمل والتطبيق**: بالصلاة، والتوكل، والتسبيح، والتوحيد، وبالالتزام اليومي بما أمر الله، لتصبح الدعوة حقيقة حية، والمجتمع جاهزًا لحمل الأمانة والضوء الإلهي.

خلاصة تفسير سورة الإسراء

تقدّم سورة الإسراء رؤية متكاملة للمشروع القرآني، حيث تربط بين العقيدة، والأخلاق، والسياسة، والدعوة، والعبادة، لتؤسس مجتمعًا مؤمنًا قادرًا على حمل الرسالة بروح ومسؤولية.

في **العقيدة**، تؤكد السورة أن **الإسراء إعلان عن أحقية الأمة الجديدة بحمل الرسالة**، بعد أن أخفقت أمة سابقة في الوفاء بالأمانة.

أما في **الأخلاق**، فهي توضح أن **الفرد المتزن أخلاقيًا هو لبّ المشروع الحضاري**، وأن بناء الأمة يبدأ بالفرد الصالح.

على مستوى **السياسة والعلاقات العامة**، تحذر السورة من **التنازل عن الحق لإرضاء الطغيان**، مؤكدة أن القيادة الحقّة تحتاج إلى تثبيت رباني وصبر في مواجهة الفتن.

وفي **الدعوة**، ترسم السورة منهجًا واضحًا يقوم على **الحكمة**، **والثبات**، **واليقين**، **وعدم المساومة**، كضمان لاستمرار الرسالة ونشرها بالأسلوب الصحيح.

وأخيرًا، في مجال **العبادة**، تشدد السورة على أن **الصلاة**، **والقرآن**، **والتسبيح** هي أعمدة الثبات، والركائز التي تحفظ الأمة والفرد على الصراط المستقيم.

بهذا، تُجسّد سورة الإسراء **نموذجًا حضاريًا متكاملاً** يربط بين الإيمان والعمل، والفرد والمجتمع، ويضع الأساس لبناء أمة متحركة بالقيم والحقائق الإلهية.

الربط مع سورة النحل:

تُظهر العلاقة بين السورتين انتقال المشروع القرآني من بناء الفرد إلى تأسيس الأمة.

في سورة النحل يكون التركيز على بناء الفرد والمجتمع على التوحيد وشكر النعمة، أي تأسيس القيم الأخلاقية والوعي بالنعمة وترسيخ السلوك الصالح كأساس لأي حضارة.

بينما في سورة الإسراء، ينتقل التركيز إلى تهيئة الأمة لتحمل قيادة الرسالة بعد فشل بني إسرائيل، أي الانتقال من تطوير الأخلاق الفردية إلى مشروع قيادة حضارية عالمية يرتكز على العقيدة والعدل والدعوة والعبادة المنظمة.

باختصار، النحل يمثل شكر النعمة وبناء القيم الفردية، والإسراء تمثل الانتقال من الأخلاق الفردية إلى مشروع قيادة حضاري عالمي.

الربط بين السورتين يوضح التدرج القرآني من الفرد إلى الأمة ومن التوحيد الشخصي إلى قيادة الرسالة العالمية.

للتأمل الذاتي

- هل أحمل في قلبي همّ الرسالة كما حملها النبي ﷺ، وأعمل على نشر الحق والحفاظ على الأمانة؟
- هل أبني نفسي وأخلاقي كفرد متزن يستحق أن يكون جزءًا من مشروع الأمة الصالحة؟
- هل صلاتي وقرآني هما جزء من مشروع إصلاحي حي، أم مجرد عادة يومية بلا أثر على سلوكي وحياتي؟
- هل ألتزم بالحق وأتّبعه حتى لو خالف هواي أو ضغطت عليّ البيئة المحيطة بي؟

هذه الأسئلة تعمل كمرآة للضمير، لتقييم مدى انسجام الفرد مع روح سورة الإسراء، بين البناء الأخلاقي الشخصي والاستعداد لحمل رسالة أوسع على مستوى المجتمع والأمة.

خاتمة

سورة الإسراء هي سورة العبور من المحلية إلى العالمية، فهي تُعلّم المؤمن أن **الرسالة لا تُحمل بمجرد الانتساب أو الانتماء**، بل تتطلب **توحيدًا عميقًا، وأخلاقًا رفيعة، وصلابة في الحق.**

تؤكد السورة أن **الصلاة تغذّي النفس، والقرآن يملأ القلب، والإيمان يجب أن يكون صادقًا لا يُساوم، مهما علت أصوات الباطل.**

وتختتم بذكر الحكمة الإلهية: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، لتذكّرنا أن الحق ثابت لا يزول، وأن الباطل مهما علا شأنه **مصيره الزوال والهلاك**. والعياذ بالله، نسأله عافيته وعفوه ورضاه وقد كمل الجزء الأول بعون الله نحمده ونشكره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله.

الجزء الثاني

الحركة والتمكين واستكمال البناء الحضاري

(من سورة الكهف إلى سورة الناس)

يمثّل هذا الجزء الثاني من **التفسير البنائي الاستراتيجي للقرآن الكريم** الامتداد الطبيعي والوظيفي للجزء الأول، إذ ينتقل فيه الخطاب القرآني – في قراءتنا البنائية – من مرحلة التأسيس وبناء المنهج، إلى مرحلة **الحركة في الواقع، وإدارة التدافع، وتحقيق الاستخلاف، ثم التحصين النهائي للبناء الإيماني والحضاري**. فإذا كان الجزء الأول قد عُنِيَ بتشكيل الإنسان قرآنيًّا من الداخل، فإن هذا الجزء يتوجّه إلى اختبار هذا التشكيل في ميدان الحياة، بكل ما فيه من فتن وصراعات وتحديات.

ويبدأ هذا الجزء بسورة الكهف، لا على سبيل المصادفة، بل لأنها تمثّل **سورة الامتحان الحضاري الشامل**؛ حيث تُعرض فيها نماذج كبرى للفتنة: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة. وهي بذلك تضع الإطار النظري والعملي للحركة في عالم مضطرب، وتقدّم مفاتيح التعامل مع الواقع حين تتشابك القيم بالمصالح، والإيمان بالقوة، والحق بالباطل، ومن هذا المنطلق، تُعدّ سورة الكهف بمثابة البوابة التي يدخل منها القرآن إلى معالجة قضايا التدافع والتمكين.

ويمتد هذا الجزء عبر السور التي تتناول قصص الرسالات في سياق الصراع، وسنن النصر والهزيمة، ومراحل الاستخلاف، وبناء الجماعة المؤمنة، وإدارة القوة، وضبط الأخلاق في حالتي الضعف والتمكين؛ ففيه تُعرض نماذج القيادة، وقواعد الشورى، وأحكام الجهاد والسلم، وأخلاقيات السلطة، ومخاطر الانحراف بعد القوة، كما تُبيَّن القوانين التي تحكم حركة التاريخ، والتي لا تحابي أمة ولا تجامل جماعة.

ولا يقف هذا الجزء عند بيان سبل التمكين الظاهر، بل يتجاوز ذلك إلى استكمال البناء الداخلي والتحصين العميق؛ إذ يُختتم المصحف بسور قصيرة في مبناها، عظيمة في معناها، تُعيد الإنسان إلى أصل المعركة الحقيقية: معركة القلب والعقيدة، والوعي والوسوسة، والاعتصام بالله من عوامل الهدم الخفية؛ فكانت خواتيم القرآن إعلانًا بأن أعظم أسباب الانهيار لا تأتي دائمًا من الخارج، بل كثيرًا ما تبدأ من الداخل.

وفي هذا الجزء، تتجلّى معالم المنهج البنائي الاستراتيجي بوضوح أشد، من خلال:

- تتبّع مسار الحركة القرآنية من الفتنة إلى الصبر، ومن الصبر إلى التمكين.
- إبراز العلاقة بين القيم والأدوات، وبين الغايات والوسائل.
- تحليل البناء الداخلي للسور بوصفه توجيهًا عمليًا لإدارة الواقع.
- ربط السنن القرآنية بواقع الأمة وتحدياتها المعاصرة، دون إسقاطٍ متعسّف أو قراءة انتقائية.

ومع ما في هذا الجزء من معالجة لقضايا القوة والصراع، فإنه يظل ملتزمًا بالميزان القرآني الدقيق، الذي لا يفصل بين الإيمان والعمل، ولا بين الأخلاق والنتائج، ولا بين السنن الربانية والتكليف الإنساني. فالتمكين في التصور القرآني ليس غايةً مستقلة، وإنما هو ثمرة للاستقامة، ووسيلة لحفظ الحق، وأمانة تستوجب الشكر والعدل والانضباط.

ولا يدّعي هذا التفسير – في هذا الجزء كما في سابقه – أنه بلغ الغاية في بيان مقاصد القرآن أو كشف أسراره، وإنما هو اجتهادٌ يسعى إلى إعادة ربط المسلم بالقرآن بوصفه **دليل حركة وبناء**، لا مجرد نصٍّ للتلاوة أو الوعظ المجتزأ. وهو اجتهاد مفتوح على المراجعة والتطوير، متطلع إلى أن يسهم في إحياء الوعي القرآني، وتجديد النظر في علاقة الأمة بكتاب ربها.

سورة الكهف

الاســـــــــــــــــــــــــــم والدلالـــــــــــــــــــــــــة

سُمِّيت السورة بـ "الكهف"[1] نسبةً إلى **مأوى الفتية الذين فرّوا بدينهم من الفتنة**، فأواهم الله في كهف وأظهر آيته عليهم. الكهف هنا **ليس مجرد مكان**، بل رمز لكل **انعتاق من الفتنة، وتحصين بالإيمان، وانتظار للفرج الإلهي**.

إنه فضاء روحي ومثال عملي على الصبر والثبات حين يشتدّ الاختبار، ودلالة على أن الله يحفظ عباده الذين يلتزمون الحق ويبتعدون عن الفساد.

المقصـــــــــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة

تسعى السورة إلى **بناء وعي المؤمن لمواجهة الفتن الكبرى:** فتنة الدين، والمال، والعلم، والسلطة. عبر **قصص قرآنية متتابعة**، تُبرز السورة معالم النجاة، وتؤسس للثبات، وتربط قلب المؤمن بالله في زمن **التيه والاختبار**، فهي دليل عملي وفكري يعلّم كيف يحمي الإنسان إيمانه، ويوازن بين الحياة الروحية والدنيا، ويواجه الفتن بالصبر، والعقل، والوعي، والاعتماد على الله وحده.

بهذا، تصبح سورة الكهف **دستورًا للتثبيت الإيماني والاستعداد لكل امتحان حضاري وأخلاقي**، ورسالة تربوية لكل أمة تحتاج إلى صمود أمام اختبارات الزمان والمكان.

البنية الموضوعية لسورة الكهف

تتوزع سورة الكهف على ستة محاور رئيسية، تبدأ بالتمهيد للكتاب وتنتهي بالختام الرباني الذي يربط بين الوحي والعمل:

[1] قال الفيروز آبادي:" وسُمّيت سورة الكهف؛ لاشتمالها على قصّة أَصحاب أَهل الكهف بتفصيلها". مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ)، ،**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المحقق: محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ]**،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،ج1ص297.

المقطع الأول من الآيات 1–8 يمثل **التمهيد والثناء على القرآن**، موضحًا أنه الكتاب الذي لا اعوجاج فيه، والمواجهة الحقيقية لكل زخرف الدنيا وزخارفها الزائلة.

الآيات 9–26 تتناول **فتنة الدين من خلال قصة أصحاب الكهف**، حيث يبرز الفرار من الفتنة، والثبات على الدين، والاعتماد على توقيت الله وحكمته في حفظ المؤمنين.

الآيات 32–44 تعالج **فتنة المال من خلال صاحب الجنتين**، لتوضح خطر الغرور بزينة الدنيا وعاقبة الكفر والتمادي في التكبر على نعم الله.

الآيات 60–82 تعرض **فتنة العلم من خلال موسى والخضر**، فتعلّم فقه الابتلاء، وتبرز الحكمة الخفية وراء الأحداث، وتؤكد ضرورة التواضع في مواجهة ما لا يعلمه الإنسان.

الآيات 83–98 تتناول **فتنة السلطة من خلال ذو القرنين**، مركزة على مفهوم العدل، واستخدام القوة في حماية المستضعفين، وإقامة نظام إنساني قائم على الحق.

وأخيرًا، الآيات 99–110 تمثل **الختام بوحي الله والميزان**، موضحة حقيقة البعث، وأهمية الميزان في القياس، ومركزية العمل الصالح كأساس للحياة الفردية والاجتماعية.

بهذا الترتيب، تقدم سورة الكهف **خريطة واضحة لمواجهة الفتن الكبرى في الدين والمال والعلم والسلطة**، مع التأكيد على الثبات والوعي والعمل الصالح.

(1–8): افتتاح بقيمة الكتاب... وانهيار زخرف الدنيا

تبدأ السورة بالثناء على القرآن في قوله تعالى:﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ۝٣ ...)،

مبينًا أن الكتاب **لا عوج له**، أي خالٍ من أي خلل أو اعوجاج، وأنه **لينذر** البشر ويقودهم إلى الحق، وليس للتسلية أو المزاح.

بعد ذلك تُعرض السورة على الإنسان **فتنة الدنيا وزخارفها**، موضحة أن ما على الأرض من متاع وزينة هو **امتحان للقلوب**:
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾

الرسالة المركزية:

كل فتنة ستتعرض لها في حياتك، وطريق النجاة يبدأ من فهم الكتاب، والتمسك به كمرشد وحكم في مواجهة مغريات الدنيا وزخارفها العابرة.

(9–26): أصحاب الكهف – فتنة الدين

تروي هذه الآيات قصة **فتية آمنوا بربهم**، فرّوا من قهر السلطان وظلم السلطة، ولجأوا إلى **كهف صغير** ليحفظوا دينهم. وقد جاء **النوم بدل الهلاك**، ليوقظهم الله بعد **309 سنوات**، دلالة على حفظ الله لعباده وثبات وعده.

وتوضح السورة أن **لا أحد يملك الحقيقة كاملة في زمانهم**، لكن الله **حفظ قصتهم وأظهر آيته عليهم**، لتكون عبرة للأجيال.

الرسالة المركزية:

في زمن الفتنة، **لا تُساوم على دينك**، احمِ إيمانك باللجوء إلى "كهفك الإيماني"، واطمئن أن **الله سيتولى أمرك ويثبتك على الحق.**

(27–31):

تذكر هذه الآيات **تفاصيل إضافية عن الفتية وقومهم**، مشيرة إلى أن قومهم **كانوا غارقين في الضلال والفتنة**، بينما هؤلاء الفتية لجأوا إلى الله فحفظهم. وتبرز الآيات **آيات الله في الكون والحياة كدليل للثبات على الحق**، مع التأكيد على أن الله **هو الحافظ والمهيمن على كل شيء، وأنه سيحاسب كل إنسان على أعماله.**

الرسالة المركزية:
النجاة في زمن الفتنة **مرهونة بالثبات على الإيمان، واللجوء إلى الله، والاعتماد عليه وحده،** لا بالمال أو القوة أو الشجاعة الظاهرية.

(32–44): صاحب الجنتين – فتنة المال

تروي هذه الآيات قصة **رجلين، أحدهما أنعم الله عليه فطغى واستكبر**، وظن أن **جنته خالدة** وأنه في مأمن من الحساب، كما كفر بالبعث وأنكر الجزاء، فكانت النتيجة أن **دُمِّرت جنته ولم يجد ناصرًا** ينقذه من عقوبة الله.

الرسالة المركزية:
المال **لا يحمي من السقوط،** والشكر لله هو **الحافظ الحقيقي للنعم،** والتواضع والوعي بالحقائق الإلهية هما السبيل للحفاظ على النعمة والاستقرار.

(45–59): جسر بين فتنة الدين وفتنة المال

تقدم هذه الآيات **تذكيرًا** بالمصير المحتوم لكل إنسان: الحياة والموت، الجزاء، والآخرة، لتوضح أن **المتاع الدنيوي والزينة على الأرض مجرد اختبار**، كما ترتبط الآيات بسياق قصة صاحب الجنتين، موضحة أن الغنى والرزق لا يضمنان النجاة إذا غابت الأخلاق والشكر لله.

الرسالة المركزية:
الوعي بالمصير والآخرة يجعل الإنسان حذرًا من الفتن ويحفّزه على شكر الله والعمل الصالح، قبل أن يغتر بالمال أو المنصب أو المكانة.

(60–82): موسى والخضر – فتنة العلم

تروي هذه الآيات قصة **موسى عليه السلام الذي طلب العلم مع تواضع كامل**، فرافق العبد الصالح **الخضر**[1] في رحلة مليئة بالابتلاءات: اختراق السفينة، قتل الغلام، وبناء الجدار، وكل فعل بدا غريبًا أو مؤلمًا على الظاهر، لكن **التفسير والحكمة ظهر في نهاية الرحلة.**

الرسالة المركزية:

العلم لا يعني معرفة الحكمة من كل شيء فورًا، بل يقتضي **الصبر**، **والتواضع**، **والإيمان بأن لله حكمة في كل قدر**، وأن ما يبدو غامضًا اليوم قد يُكشف غدًا بمعرفة ربانية لا تتوافر للإنسان إلا بالصبر والثقة بالله.

(83–98): ذو القرنين – فتنة السلطة

تروي هذه الآيات قصة **ذو القرنين، الملك الصالح الذي جاب الأرض**، فلم يكن متجبرًا ولا غازيًا، بل **أقام العدل، وعالج ضعف المستضعفين، وبنى السد لحمايتهم** من الأذى والفساد.

الرسالة المركزية:

السلطة **اختبار**؛ إما أن تُستخدم **للعدل ونصرة المظلومين**، أو تتحول إلى **طغيان وفساد**، والاختيار بينهما يحدد مصير القائد والأمة معًا.

(99–110): الختام – بين الغيب والميزان والرسالة

تختتم السورة بمشهد **البعث والحساب:**

﴿۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠﴾، حيث يُظهر كيف أن الذين ضلّ سعيهم، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا، **يفشلون في ميزان الله.**

[1] قال أبو السعود:" {فَوَجَدَا عَبْدًا مّنْ عِبَادِنَا} التنكيرُ للتفخيم والإضافةُ للتشريف والجمهور على أنه الخصر واسُمه بَلْيَا بنُ مَلْكَان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم الصلاة والسلام". أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، ، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج5ص234.

كما تؤكد الآيات أن **وحي محمد** ﷺ **هو الحق**:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ...﴾،

مع تحديد شروط النجاح: **الإيمان بالله، والعمل الصالح، والإخلاص في القصد.**

الرسالة المركزية:

النهاية تعيد الإنسان إلى أصله، لتعلّمه **التواضع أمام الله، والاستقامة على الطريق، والصدق في التوحيد**، فكل حياة يجب أن تُقاس بمعايير الرب، لا بالمظاهر أو الأوهام.

خلاصة تفسير سورة الكهف

تقدّم سورة الكهف نموذجًا متكاملًا لمواجهة **الفتن الكبرى في الحياة**، عبر قصص قرآنية تربوية لكل مجال من مجالات الاختبار:

- في **فتنة الدين**، تظهر قصة **أصحاب الكهف**، حيث يقدمون نموذجًا للصحبة الصالحة، والفرار بالإيمان من الفساد، والثبات على الحق رغم المخاطر.
- في **فتنة المال**، تجسد قصة **صاحب الجنتين** كيف أن الشكر على النعمة، والتواضع، وتذكّر الآخرة، هي الوسائل للحفاظ على النفس من الغرور والضلال.
- في **فتنة العلم**، يقدّم **موسى والخضر** درسًا في الصبر، والتواضع، والتسليم لحكمة الله، مبيّنًا أن العلم لا يكفي وحده دون وعي وإيمان.
- في **فتنة السلطة**، يظهر **ذو القرنين** مثالًا للعدل، ونصرة المستضعفين، والحفاظ على التوازن في استخدام القوة، لتوضيح أن القيادة الحقة اختبار ومسؤولية.

بهذا، تُبرز سورة الكهف أن **النجاة والثبات في كل مجال من مجالات الحياة تتطلب الجمع بين الإيمان، والوعي، والعمل الصالح، والتمسك بالحكمة الإلهية.**

الربط مع ما سورة الإسراء :

تُبرز العلاقة بين السورتين **التدرّج القرآني في بناء الأمة والفرد:**

في **سورة الإسراء**، يكون التركيز على **المسؤولية العالمية الجديدة للأمة**، وبناء القيادة الرسالية التي تحمل المشروع الإلهي بعد فشل أمة سابقة، مع تأسيس مجتمع قادر على الدعوة بالحق والعدل والثبات على المبادئ.

أما في **سورة الكهف**، فيتمحور التركيز على **الوعي والبصيرة لمواجهة اختبارات الطريق**، وبناء **الحصانة النفسية والفكرية للأفراد أمام الفتن الكبرى** في الدين، والمال، والعلم، والسلطة، ليكونوا قادرين على الصمود والتمسك بالإيمان والقيم الصحيحة.

الربط بين السورتين يوضح أن المشروع القرآني يجمع **تأسيس القيادة المؤسسية للأمة مع حماية الفرد وتعزيز قدرته على مواجهة الفتن**، لضمان استمرار الرسالة وصلاح المجتمع.

للتأمل الذاتي

- ما هو **الكهف الذي ألتجئ إليه في زمن الفتنة** لأحمي ديني وإيماني؟
- هل أقيس الناس بـ **زخرف الدنيا ومظاهرها**، أم بأفعالهم وإيمانهم؟
- هل أتواضع عند طلب العلم وأقبل أن **لا أفهم كل شيء فورًا**، مع الثقة بحكمة الله؟
- هل أستخدم السلطة أو النفوذ الذي أُعطي لي **لنصرة الضعيف والحق**، أم أستسلم للغرور والطغيان؟

خاتمة

سورة الكهف ليست مجرد قصة فتيان نائمين، بل هي خارطة طريق للثبات وسط الانهيارات والفتن الكبرى.
تعلّمنا السورة في كل فتنة أن لا ننخدع، ولا نغتر، ولا نساوم على الحق، بل أن نلجأ إلى الله، ونتمسك بالكتاب، ونقوي إيماننا، حينها يُكشف الغطاء وتظل صراطنا مستقيمًا.

وتختتم الآية المباركة بتأكيد: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾، لتذكّرنا أن **النجاة الحقيقية تقوم على العمل الصالح والإخلاص في العبادة والتوحيد.**

سورة مريم

الاسم والدلالة:

سُمّيت السورة باسم **مريم**[1]، وهي المرأة الوحيدة التي خُصّت سورةٌ كاملة باسمها في القرآن الكريم، لتكون عنوانًا للطهارة الخالصة، والإيمان الصادق، والثبات في أقسى لحظات الابتلاء. غير أن السورة لا تقف عند حدود قصتها، بل تتجاوزها إلى بناء رؤية إيمانية متكاملة، تُبرز روح الرسالة الرحيمة، وصفاء التوحيد، ولين الخطاب، وصدق الموقف، وقوة اليقين حين يواجه العبد محنته وحده بين يدي الله.

المقصد العام للسورة:

إبراز الجمال العميق للعقيدة التوحيدية كما تجلّت في نماذج نبوية وأسرٍ مصطفاة، حيث تلتقي الرحمة بالثبات، والحنان باليقين، والصدق بالصبر. وفي المقابل، تحذّر السورة من مسالك التحريف والانحراف عن الوحي، ومآلات من شاقّوا الرسل وكذّبوا الحق. كما تحمل في بنيتها خطاب تثبيتٍ وتسليّةٍ للنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد أن طريق الدعوة وإن طال فيه الأذى، فإن العاقبة للصدق، وأن سنة الله ماضية في نصر التوحيد وأهله.

البنية الموضوعية لسورة مريم مع بيان أرقام الآيات:

---

[1] قال الكتاني:" سميت السورة بسورة مريم من باب تسمية الكل بالبعض، فما قصة مريم في السورة إلا جزء منها، فهي قد تحدثت عن زكريا وعن يحيى وعن إبراهيم وعن موسى وعن أنبياء آخرين، ولكنها سميت بـ مريم، وهذه عادة الأسامي سواء في كتاب الله أو في واقع الحال في الدنيا، فنسمي القطر المصري مصر وما مصر إلا مدينة من القطر، ونسمي القطر الجزائري الجزائر وما الجزائر إلا مدينة من مدنها، ويسمي البعض المغرب مراصف وما مراصف إلا مدينة من مدائنها.". محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (ت ١٤١٩هـ)، **تفسير القرآن الكريم**، الطبعة الشاملة، ج24ص2.

تُفتتح سورة مريم في الآيات من 1 إلى 6 بنداءٍ إلهي مفعم بالحنان، يتجلى في دعاء زكريا عليه السلام، حيث يظهر صفاء التوحيد، وصدق التضرع، وخشية القلب، في لحظة ضعف بشري تُقابلها رحمة ربانية قريبة.

ثم تنتقل السورة في الآيات من 7 إلى 15 إلى قصة زكريا ويحيى عليهما السلام، فتُبرز استجابة الرحمة الإلهية بميلاد غلام زكي، مبارك في ذاته، جامع بين الطهر، والحكمة، والبر، ليكون نموذجًا للامتداد النبوي الصافي.

ويأتي بعد ذلك المحور الأوسع في السورة، في الآيات من 16 إلى 40، وهو مشهد مريم وعيسى عليهما السلام، حيث يُعرض الطهر في أقسى صور الابتلاء، وتُسجَّل معجزة الميلاد دون أب، ويبرز البيان النبوي المبكر لعيسى دفاعًا عن التوحيد، وردًّا على دعاوى الغلو والتحريف.

ثم تعرض السورة في الآيات من 41 إلى 50 نموذج إبراهيم عليه السلام، بوصفه مثالًا للتوحيد في بيتٍ مشرك، حيث يتجلى الخطاب الهادئ الرحيم مع الوالد، مع وضوح المفاصلة العقدية حين يُصرّ الباطل على عناده.

وتتوسع السورة بعد ذلك في الآيات من 51 إلى 58، فتستعرض نماذج من الأنبياء: موسى، وإسماعيل، وإدريس عليهم السلام، تأكيدًا لوحدة الرسالة، واستمرار خط الاصطفاء، وأن التوحيد هو الجامع الأكبر لكل النبوات.

ثم تنتقل السورة في الآيات من 59 إلى 74 إلى التحذير من الانحراف بعد الهداية، فتبيّن حال الخلف الذين ضيّعوا الصلاة، واتبعوا الشهوات، وافتتنوا بزخرف الدنيا، مؤكدة أن الانحراف يبدأ بالتفريط قبل التكذيب.

وتُختتم السورة في الآيات من 75 إلى 98 بمشاهد البعث، ومواقف الناس من الدعوة، والوعد الإلهي الحق، في سياق تثبيت قلب النبي ﷺ، والتأكيد على أن العاقبة للحق، وأن الوحي باقٍ، والباطل إلى زوال.

(1–6): زكريا عليه السلام... التوسل بالرحمة لا بالمصلحة

تفتتح السورة بصورة نبيٍّ شيخٍ كبير، وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيبًا، لكنه لم يضعف يقينه بربه. يتوجّه زكريا عليه السلام إلى الله بدعاء خافتٍ صادق، لا يطلب فيه مالًا ولا سلطانًا، وإنما يسأل وارثًا يحمل عبء النبوة ويحفظ خط الهداية بعده، إذ يقول: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾، خوفَ انقطاع الرسالة لا خوفَ فوات الدنيا.

إنه دعاء ينبع من وعيٍ رساليٍّ عميق، حيث تتحول الأسرة إلى حلقةٍ في مشروع النبوة، ويغدو الابن امتدادًا للأمانة لا مجرد قرابة دم.

الرسالة

الدعوة لا تُبنى ارتجالًا، بل تبدأ من داخل الأسرة، والأنبياء يفكرون في استمرار الرسالة قبل التفكير في ذواتهم، لأن همَّهم الأول هو بقاء النور لا بقاء الأسماء.

(7–15): يحيى عليه السلام... الولد الطاهر والامتداد المبارك

تأتي الاستجابة الإلهية سريعةً رحيمة، فيهب الله لزكريا ولدًا ليس كغيره، مولودًا مميزًا في اسمه وصفاته ومقامه، ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾.إنه يحيى، الذي جمع الطهر الخُلقي مع الاصطفاء النبوي، فوُصف كما في سورة آل عمران من قبل بأنه ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾،﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾).

لم يكن نبوغه عبئًا على تواضعه، ولا مقامه مانعًا من برّه بوالديه، فكان صدّيقًا تقيًّا، لين الجانب، خالص السريرة، محفوظًا من الجبروت والعصيان. وهكذا تتجلى النبوة في سلوكٍ عملي، لا في مقامٍ مجرد.

الرسالة

الولد في المنظور القرآني ليس زينةً اجتماعية ولا امتدادًا اسميًّا فحسب، بل أمانة تُزرع فيها القيم، ويُهيَّأ بها حمل الرسالة، فبصلاح الأبناء يستمر نور الهداية في الأرض.

(16–40): مريم وعيسى عليهما السلام... الطُّهر في مواجهة الافتراء

تنتقل السورة إلى مشهدٍ بالغ الصفاء والهيبة، حيث تنعزل مريم في خلوةٍ طاهرة، فيقع الاصطفاء الإلهي، وتكون النفخة، ثم الحمل، ثم آلام المخاض في لحظةٍ لا يشاركها فيها بشر. تقف وحدها أمام ابتلاءٍ عظيم، يُختبر فيه الصدق والطهر معًا، ويُبتلى فيه العرض قبل الجسد. ثم تؤمر بالصمت، لا عجزًا بل تسليمًا، حتى يتولى الله الدفاع عنها.

وفي ذروة الاتهام، ينطق المولود في المهد ببيانٍ قاطع، جامعٍ مانع: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ ...﴾، فيُثبت عبوديته لله، ويقرر نبوته، وينفي عنه كل دعوى ألوهية أو بنوّة. وهكذا يُعاد الميزان العقدي إلى نصابه، وتُقطع جذور الغلو من أصلها وكان من غلوهم أن حولوا قبلتهم[1].

الرسالة

الطهر لا يعفي صاحبه من الابتلاء، بل قد يكون سببًا فيه، لأن المواقف العظمى تُبتلى قبل أن تُصدَّق. والحق قد يُعلنه الله على لسان من لا يُنتظر منه الكلام، ليبقى الميزان: الوحي لا الأعراف، والحق لا الظنون.

(41–50): إبراهيم عليه السلام... العقل الهادئ في بيت كافر

[1] قال الطبري:" حدَّثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللهِ، عن داودَ، عن عامرٍ، عن ابن عباس، قال: إني لأعلمُ خلْقِ اللهِ لأيِّ شيءٍ اتخذتِ النَّصارى المشرق قبلةً؛ لقولِ الله: ف ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾. فاتَّخذوا ميلادَ عيسى قبلةً" . أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج15ص484.

تظهر هذه الآيات نموذجًا للتوحيد المبني على **الرفق والحكمة**، حيث يخاطب إبراهيم والده المشرك ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ أربع مرات، كل مرة بأسلوب **هادئ وعقلاني:**

- **دعوة بالعقل**، لتوضيح الحق بطريقة مفهومة.
- **استعمال الحجة**، لبيان فساد عبادة الأصنام.
- **التدرج في الخطاب**، فلا يُحاصر المستمع بل يُهيَّأ للقبول.
- **ثم مفاصلة ناعمة**، حين يصرّ الباطل، مع الحفاظ على الاحترام والتوازن.

الرسالة

التوحيد الحق يُبنى على **الرفق في الدعوة**، وعلى **الثبات في الموقف** عند مواجهة عناد الكفار، فهو جمع بين **لين القلب** و**صلابة العقيدة.**

(51–58): صفوة النبوة المتواصلة... وحدة الرسالة

تتواصل السورة في هذه الآيات بتسليط الضوء على مجموعة من الأنبياء الذين جمعهم **خط النبوة الواحد**، فتُذكر:

- **موسى عليه السلام:** رمز الخلاص والهداية، حامل الرسالة الكبرى لقومه.
- **إسماعيل عليه السلام:** الموعود بالثبات على الصلاة، نموذج الطاعة والامتثال.
- **إدريس عليه السلام:** الرفيع في المقام، حامل العلم والحكمة.

وتؤكد الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾، على أن كل هؤلاء الأنبياء **جزء من خيط الرسالة المتواصلة**، يبرز أن النبوة ليست مقطوعة، بل امتداد واحد يحمل التوحيد والهداية عبر الأجيال.

الرسالة

الرسالة واحدة، والأنبياء إخوة في هدفهم، والدين لا يتجزأ، فالخطاب القرآني يُرسي فهمًا متكاملًا للتوحيد يستوعب كل الأنبياء كنموذجٍ متسلسل.

(59–74): الانحراف بعد النبوة... ضياع الأمة وبداية الإصلاح

تسلط هذه الآيات الضوء على **حقيقة الانحراف بعد النبوة**، حيث يُذكر: ﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ ، فيوضح القرآن أن **ترك الأصل – الصلاة – والانغماس في الهوى – طريق مباشر للضياع.**

ولكن مع ذلك، لا تُغلق الآية باب الرجاء، إذ يقول الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ ، مبينًا أن **البداية الصحيحة لإصلاح الأمة هي العودة إلى الله بالتوبة والإيمان والعمل الصالح.**

الرسالة

ضياع الأمة يبدأ حين تترك الصلاة والعبادات الأساسية، والانحراف عن الطريق المستقيم.
أما الخلاص والعودة إلى الاستقامة فتبدأ دائمًا بالتوبة، والإيمان الصادق، والعمل الصالح، مهما طغت الفتن والانحرافات.

(75–98): مشاهد القيامة... وثبات النبي ﷺ أمام التكذيب

ويخاطب الله نبيه ﷺ موضحًا: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ ...﴾، أي أن الرسالة **ميسّرة لك لتبلغ بها المؤمنين المتقين، رغم صعوبة الطريق والتكذيب الذي ستواجهه.**

الرسالة

طريق النبي ﷺ محفوف بالتحديات، لكنه ليس مستحيلًا، لأن الله **يسر له البلاغ** والرسالة. المهم هو الثبات، والتسليم للوحي، واليقين بأن الحق سيعلو مهما طال الباطل.

خلاصة تفسير سورة مريم

الرسالة

الوراثة النبوية تُعد مشروعًا دعويًا يبدأ من الأسرة، حيث يُهيَّأ الفرد لحمل الرسالة وخدمة التوحيد.

العقيدة

عيسى عليه السلام نموذج واضح: عبدٌ ونبيّ، لا إله له، ليُظهر التوحيد الحق ويقطع دعوى الألوهية.

الدعوة

يُبنى الخطاب على **الحسنى والتدرج**، مع إمكانية المفاصلة عند الحاجة، كما فعل إبراهيم مع والده.

الأخلاق

تشمل البر، والتواضع، والصبر، والبذل، لتكون السلوكيات اليومية انعكاسًا للإيمان.

الأمة

ضياع الصلاة هو **بداية الانهيار الجماعي**، إذ تتجسد آثار التفريط في العبادة على المجتمع كله.

التربية

القدوة العائلية والنموذج الأسري النبوي يرسخان القيم، ويهيئان الفرد ليكون حاملًا للرسالة في المستقبل.

الربط مع ما قبلها:

سورة الكهف تهدف إلى مواجهة الفتن الفردية الكبرى، فتُهيئ المؤمن نفسيًا وفكريًا ليصمد أمام اختبارات الدين والمال والعلم والسلطة. أما سورة مريم فتركز على ترسيخ الجمال الداخلي للرسالة، من خلال الطهر، والحنان، والتوحيد، والصدق، والصبر، لتكون الأسرة والنموذج الفردي حاضنةً للنبوة والاستقامة.

للتأمل الذاتي

- هل علاقتي بالوالدين تحاكي **برّ يحيى وعيسى عليهما السلام**، بالحب والطاعة والاحترام؟
- هل دعوت من حولي **بالحكمة والتدرج** كما فعل إبراهيم عليه السلام، أم بالعجلة والحدة؟
- هل أهملت الصلاة وربطتها بالظروف بدل أن تكون **ركيزة حياتي وأمة صالحة؟**
- هل أرى الجمال في **التوحيد ونقاء القيم**، أم أن بصري محصور في زخارف الشرك والجدل العقيم؟
- سورة مريم لا تُقرأ بالبصر فقط... بل بالبصيرة، إنها سورة الحنان النبوي، والبرّ، والتوحيد الصافي... تجعل من العائلة النبوية نموذجًا للتقوى، ومن الأنبياء إخوة متراحمين، ومن العقيدة جمالًا خالصًا، ومن الرسالة أمانةً لا تورَّث إلا للأطهار.

تختتم السورة بعرض **مشاهد القيامة**، حيث يُبيَّن أن كل البشر سيُعرضون على الله **فرادى**، وأن الباطل مهما طال **يضمحل أمام الحق**، وأن **الشيطان لا سلطان له على عباد الله الصالحين.**

سورة طه

الاسم والدلالة: في **سورة طه** تتكثّف دلالة الاسم مع افتتاحها الرفيق؛ فهي من السور التي استُهلّت بحروفٍ مقطّعة[1]، غير أنّ خصوصيتها تتبدّى في تعقيبٍ مباشر يرفع الوهم عن مقصد التنزيل، ويكشف عن جوهر الرسالة. فليس القرآن عبئًا يُثقِل الروح، ولا شقاءً يُرهق القلب، وإنما هو نفحة رحمة، ورسالة تسرية وتثبيت، يُخاطَب بها النبي ﷺ ليطمئن قلبه، وتستقيم بها خطى الدعوة في دروبها الوعرة.

المقصد العام: وتتجلّى المقاصد الكبرى للسورة في تقرير حقيقةٍ مركزية: أن الرسالة الإلهية جاءت رحمةً لا عنت فيها، وأن حملها وإن اقترن بالمواجهة والصبر، فهو طريق النور لا طريق العناء. إنها سورة تضع منهج الدعوة في سياقه الصحيح؛ مواجهةٌ للطغيان بثبات، وتبليغٌ للوحي بحكمة، ويقينٌ بأن النصر لا يُقاس بعجلة اللحظة، بل يُولد من رحم الصبر الطويل والصدق العميق، حين تتلاقى إرادة السماء مع ثبات أهل الرسالة على الحق.

البنية الموضوعية: تنتظم **سورة طه** في بنية موضوعية محكمة، تتدرّج بالقارئ من التأسيس العقدي إلى البيان العملي، ثم إلى التثبيت الختامي، في مسارٍ يعكس حكمة التنزيل وتناسق المقاصد.

تُفتتح السورة بتمهيدٍ مفعم بالرحمة، يُقرِّر منذ البدء أن القرآن لم يُنزَّل ليكون سببًا في الشقاء، بل جاء هدايةً وتذكيرًا لمن يخشى، وتجليةً لربوبية الله المطلقة وسلطانه الأعلى، بما يرسّخ الطمأنينة في القلب، ويؤسس العلاقة الصحيحة مع الوحي.

---

[1] قال الكرماني:" سورة طه .. ويقال لها: سورة موسى". أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ)، ، **لباب التفاسير**، التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، – ناصر بن سليمان العمر – من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء – ١٤٠هـ. – عبد الله بن حمد المنصور – من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن محمد بن حسن دومري – من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي – من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس – ١٤٢٩ هـ، ص1387..

ثم تنتقل السورة إلى المحور المركزي فيها، وهو قصة موسى عليه السلام، بوصفها النموذج الأوضح لفقه المواجهة وفن الدعوة. تُعرض معالم النبوة والرسالة، ويُكشف وجه الطغيان في شخصية فرعون، وتُجسَّد لحظة التحوّل الكبرى في إيمان السحرة، كما تُبرز السورة طبيعة بني إسرائيل وتقلباتهم، لتقدّم بذلك لوحةً كاملة لمسار الدعوة بين الوحي والسلطة، وبين الثبات والاضطراب.

ويلي ذلك الرجوع إلى الجذور الأولى للابتلاء الإنساني، من خلال قصة آدم مع الشيطان، حيث تُبيَّن سنّة الوسوسة، وحقيقة السقوط البشري، ومعنى التوبة، ومقام الهداية الربانية، لتؤكد أن الصراع بين الحق والباطل قديم، وأن باب الرجوع إلى الله مفتوح ما دام القلب حيًّا.

ثم تُبيّن السورة الموقف من القرآن نفسه؛ فتعرض حال من أعرض عن الذكر، وما يترتب على ذلك من ضيقٍ في العيش وعمى في البصيرة، في مقابل حال من تمسّك بالوحي، فاهتدى واستقام، لتجعل القرآن معيار النجاة والخسران في الدنيا والآخرة.

وتُختَم السورة بتثبيت النبي ﷺ، وتوجيهه إلى الصبر والثبات، مع الإشارة إلى أن المكذّبين سيعاينون العذاب حين لا ينفع الندم، وأن العاقبة إنما تكون لأهل الحق، ولو طال الطريق. وهكذا تنتهي السورة كما بدأت: رحمةً وتسليةً، ويقينًا بأن وعد الله لا يتخلّف.

(الآيات 1–8): القرآن رحمةٌ لا شقاء

تفتتح سورة طه خطابها بتقريرٍ حاسم يرفع عن الرسالة كل توهّمٍ بالعنت أو المشقّة[1]؛ فالقرآن لم يُنزَّل ليكون عبئًا يرهق النبي ﷺ، ولا تكليفًا يثقل القلب، وإنما جاء تسريةً وتثبيتًا، ورحمةً تسري في الروح قبل أن تكون تشريعًا يُتلى. إن هذا الوحي ليس مصدر عناء، بل هدية هداية، تُخاطِب القلب برفق، وتصحّح المسار بلا قسوة.

[1] قال السمعاني:" وَقَوله: {مَا أنزلنَا عَلَيْك الْقُرْآن لتشقى} أَي: لتتعب وتنصب، وَرُوِيَ أَنه لما اجْتهد فِي الْعِبَادَة، قَالَ الْمُشْركُونَ: يَا مُحَمَّد، مَا أنزل الْقُرْآن إِلَّا لشقاوتك، فَأنْزل الله تَعَالَى هَذِه الْآيَة. وَمَعْنَاهُ: اجْتهد، وَلَا كل هَذَا التَّعَب حَتَّى تنْسب إِلَى الشقاوة". أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، ، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م،ج3ص319.

ويُعزَّز هذا المعنى حين تُنسَب الرسالة إلى مصدرها الأعلى؛ فهي تنزيلٌ من الرحمن، ربّ العرش العظيم، الذي قامت ربوبيته على الرحمة والحكمة، لا على التعذيب والتشديد. فكما أن سلطانه مطلق، فإن رحمته سابقة، وتشريعه منبثق من علمٍ شامل ولطفٍ محيط.

وهكذا ترسّخ هذه الآيات قاعدةً كبرى في فهم الدين والدعوة: أن حمل الرسالة لا ينبغي أن يتحوّل إلى ثقلٍ نفسي، ولا إلى قلقٍ مُنهك؛ لأنها صادرة عن الرحمن، نزلت لهداية الإنسان وإخراجه من الضيق إلى السعة، ومن الحيرة إلى النور، لا لتعذيبه ولا لإشقائه.

(الآيات 9–98): قصة موسى – النموذج التطبيقي للدعوة

تحتلّ قصة موسى عليه السلام قلب سورة طه، بوصفها النموذج العملي الأوضح لمسار الدعوة منذ لحظة الاصطفاء إلى مآلات المواجهة والابتلاء، ففي هذه الآيات تُرسم معالم الرسالة لا في صورتها النظرية، بل في حركتها الواقعية بين الوحي والواقع.

تبدأ القصة بنداءٍ خاص من جانب الطور، نداء تعريف وتكريم وتكليف، حيث يُستحضَر موسى في مقام القرب، ويُخاطَب خطاب العناية: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾. إنها لحظة التأسيس الإيماني، التي تُنشئ الداعية من الداخل قبل أن تُرسله إلى الناس، وتربطه بالله قبل أن تُلقي به في ساحات الصراع.

ثم تأتي مرحلة الرسالة، حيث تُمنح الآيات الدالة، وتُعطى العصا، ويُكلَّف موسى بالذهاب إلى فرعون. فالرسالة ليست اندفاعًا فرديًا، بل تكليفٌ مؤيَّد بالوحي، قائم على الحجة والبيان، لا على القوة المجردة. ولهذا يطلب موسى العون، ويسأل ربه أن يشدّ أزره بأخيه هارون، في إشارة إلى أن الدعوة تحتاج إلى علمٍ وصبر، وتكاملٍ في الأدوار، لا إلى بطولة منفردة.

وتبلغ القصة ذروتها في مرحلة المواجهة، حيث يظهر فرعون في صورة الكِبر المتجذّر، لا بوصفه طاغيةً سياسيًا فحسب، بل نموذجًا للغرور الذي يعمي القلب. وتتكشّف المعركة الحقيقية حين يقف السحرة في صف الباطل، ثم لا يلبثون – أمام صدق الآية – أن ينتقلوا

في لحظة واحدة من قاع الكفر إلى ذروة الإيمان، معلنين أن النصر الحق ليس بسطوة السلطان، بل بانكسار الكبر أمام الحقيقة.

ثم تنتقل الآيات إلى تربية بني إسرائيل بعد النجاة؛ فالهروب من الطغيان لا يعني اكتمال الإصلاح. فسرعان ما يظهر الضعف البشري في صورة عبادة العجل، ليأتي العفو الإلهي بعد التوبة، دالًّا على أن بناء الأمة أصعب من إنقاذها، وأن التربية أطول أمدًا من لحظة الخلاص.

وتتجلّى من خلال هذا المقطع جملة من السنن الدعوية الواضحة: فلا بد من تزكيةٍ داخلية قبل حمل الأمانة، ولا غنى عن العلم والصبر في طريق الإصلاح، والمعركة الأعمق إنما هي مع الكبر المتغلغل في النفوس لا مع الأشخاص وحدهم. كما أن التحوّل الجماهيري الحقيقي قد يحدث فجأة، حين تلتقي الفطرة مع الصدق.

وهكذا تؤكد هذه الآيات أن الإصلاح مسارٌ طويل النفس، وأن النصر لا يُختزل في سقوط سلطان، بل يتحقق حين تتغيّر القلوب، وتخضع للحق عن وعيٍ واختيار.

(الآيات 99–113): الوحي هو الركيزة... والبيان هو المقصد

تأتي هذه الآيات عقب العرض الطويل لقصة موسى لتكشف عن الحكمة من القصص القرآني ذاته، فتقرر أن ما يُقصّه القرآن ليس سردًا تاريخيًا، ولا متعةً فكرية، بل وحيٌ مقصود لذاته، يحمل وظيفة التثبيت والبيان والتذكير. فالله تعالى يخاطب نبيه ﷺ بأن هذا البيان المتتابع من أنباء السابقين إنما هو جزء من البناء الداخلي للرسالة، وإسنادٌ نفسي ومعنوي في طريق الدعوة.

فالقرآن، في جوهره، ليس ترفًا عقليًا ولا ثقافةً ذهنية، وإنما هو مصدر تثبيت للقلوب حين تضطرب، وبيانٌ للحق حين تختلط السبل، وتذكرةٌ دائمة تعيد الإنسان إلى فطرته كلما ابتعد. إنه الوحي الذي يصوغ الوعي، ويهدي الخطى، ويمنح الرسالة وضوح مقصدها واستقامة مسارها.

وتُبرز هذه الآيات أن حمل الدعوة لا يمكن أن يقوم على الاجتهاد البشري وحده، ولا على التجربة المجردة، بل لا بد له من ارتكازٍ دائم على الوحي، قراءةً وتدبرًا وامتثالًا. فبه تحيا القلوب، وبه تُحفظ الأمة من التشتت والضياع.

وهكذا تقرر هذه الآيات قاعدة جامعة: من أراد الثبات في نفسه، والرسوخ في أمته، فليس له سبيلٌ أصدق ولا أعمق من أن يعيش بالوحي، ويجعل القرآن مركز رؤيته ومنطلق حركته.

(الآيات 99–113): الوحي هو الركيزة... والبيان هو المقصد

تأتي هذه الآيات عقب العرض الطويل لقصة موسى لتكشف عن الحكمة من القصص القرآني ذاته، فتقرر أن ما يُقصّه القرآن ليس سردًا تاريخيًا، ولا متعةً فكرية، بل وحيٌ مقصود لذاته، يحمل وظيفة التثبيت والبيان والتذكير. فالله تعالى يخاطب نبيه ﷺ بأن هذا البيان المتتابع من أنباء السابقين إنما هو جزء من البناء الداخلي للرسالة، وإسنادٌ نفسي ومعنوي في طريق الدعوة.

فالقرآن، في جوهره، ليس ترفًا عقليًا ولا ثقافةً ذهنية، وإنما هو مصدر تثبيت للقلوب حين تضطرب، وبيانٌ للحق حين تختلط السبل، وتذكرةٌ دائمة تعيد الإنسان إلى فطرته كلما ابتعد. إنه الوحي الذي يصوغ الوعي، ويهدي الخطى، ويمنح الرسالة وضوح مقصدها واستقامة مسارها.

وتُبرز هذه الآيات أن حمل الدعوة لا يمكن أن يقوم على الاجتهاد البشري وحده، ولا على التجربة المجردة، بل لا بد له من ارتكازٍ دائم على الوحي، قراءةً وتدبرًا وامتثالًا. فبه تحيا القلوب، وبه تُحفظ الأمة من التشتت والضياع.

وهكذا تقرر هذه الآيات قاعدة جامعة: من أراد الثبات في نفسه، والرسوخ في أمته، فليس له سبيلٌ أصدق ولا أعمق من أن يعيش بالوحي، ويجعل القرآن مركز رؤيته ومنطلق حركته.

(الآيات 99–113 والآية 114): الوحي هو الركيزة والبيان هو المقصد

تختتم سورة طه هذا الجزء بتأكيد مكانة الوحي كركيزة أساسية لحياة النبي ﷺ وأمته، وتوضيح أن الهدف من القرآن ليس مجرد سرد أحداث أو ترف فكري، بل هو وسيلة للتثبيت والهداية والتذكير المستمر. ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾...﴾ تدعو الآيات إلى النظر في قصص السابقين والتعلم من تجربتهم، لتكون دروسًا عملية في الصبر والثبات والحق.

فالقرآن هو تثبيت للقلب، وبيان للحقائق، وتذكرة للمؤمن بما يقتضي عليه من سلوك وعمل. من أراد أن يثبت نفسه وأمته، لا بد أن يجعل الوحي دستور حياته، ويتنزل قلبه مع المعاني الربانية، فلا ينحرف عن الصراط المستقيم، ولا يفتن بالهفوات العابرة، بل يكون مع القرآن في كل موقف هدايةً ونورًا وراحةً للقلب.

الدعوة والتهيئة النفسية الآية 114:﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

الدعوة والعمل بالقرآن يحتاج دائمًا إلى طلب العلم المستمر، فهو ركيزة الفهم والتثبيت للرسالة.

فهي تربط بين التزكية الشخصية والاستعداد العملي، وتؤكد أن المعرفة الحقيقية هي التي تُعين الداعية على تحمل المسؤولية وتحقيق التغيير في النفس والآخرين

(الآيات 115–123): قصة آدم... أصل الصراع

تعيد هذه الآيات القارئ إلى الجذور الأولى للابتلاء الإنساني، حيث تبدأ القصة مع آدم عليه السلام نهيًا واضحًا عن الشجرة، ثم وسوسةً خفية من الشيطان، تستهدف موطن الضعف البشري لا عناد العصيان. فكان النسيان، ثم الوقوع في المخالفة، أعقبه الهبوط إلى الأرض، لا بوصفه لعنةً أبدية، بل انتقالًا إلى ميدان الاختبار.

غير أن جوهر القصة لا يقف عند لحظة الزلل، بل يتجاوزها إلى ما بعدها؛ إذ يبرز الفرق الجوهري بين من يُذنب فيعترف، ومن يعصي فيكابر. فآدم يتلقى كلمات ربه، فيتوب توبة صادقة، فيتلقاه الله برحمته، ويعيد توجيهه بالهداية. وهنا تتجلى سنّة ربانية ثابتة: أن الخطأ البشري وارد، لكن الإصرار عليه هو الهلاك، أما الرجوع الصادق فهو سبيل النجاة.

وتؤكد هذه الآيات أن الصراع الحقيقي في حياة الإنسان ليس بينه وبين القدر، ولا بينه وبين الضعف في ذاته، وإنما هو صراع دائم بين الطاعة والمعصية، وبين الاستجابة للوسوسة أو الانتصار عليها بالتوبة والامتثال. فمن جعل الذنب نهاية الطريق ضلّ، ومن جعله بداية رجوع اهتدى.

(الآيات 115–123): قصة آدم... أصل الصراع

تعيد هذه الآيات القارئ إلى الجذور الأولى للابتلاء الإنساني، حيث تبدأ القصة مع آدم عليه السلام نهيًا واضحًا عن الشجرة، ثم وسوسةً خفية من الشيطان، تستهدف موطن الضعف البشري لا عناد العصيان. فكان النسيان، ثم الوقوع في المخالفة، أعقبه الهبوط إلى الأرض، لا بوصفه لعنةً أبدية، بل انتقالًا إلى ميدان الاختبار.

غير أن جوهر القصة لا يقف عند لحظة الزلل، بل يتجاوزها إلى ما بعدها؛ إذ يبرز الفرق الجوهري بين من يُذنب فيعترف، ومن يعصي فيكابر. فآدم يتلقى كلمات ربه، فيتوب توبة صادقة، فيتلقاه الله برحمته، ويعيد توجيهه بالهداية.

وهنا تتجلى سنّة ربانية ثابتة: أن الخطأ البشري وارد، لكن الإصرار عليه هو الهلاك، أما الرجوع الصادق فهو سبيل النجاة.

وتؤكد هذه الآيات أن الصراع الحقيقي في حياة الإنسان ليس بينه وبين القدر، ولا بينه وبين الضعف في ذاته، وإنما هو صراع دائم بين الطاعة والمعصية، وبين الاستجابة للوسوسة أو الانتصار عليها بالتوبة والامتثال. فمن جعل الذنب نهاية الطريق ضلّ، ومن جعله بداية رجوع اهتدى.

(الآيات 124–132): الموقف من القرآن... مصدر الشقاء أو السعادة

تضع هذه الآيات الإنسان أمام معيارٍ فاصل في مصيره النفسي والروحي؛ معيار الموقف من الذكر. فمن أعرض عن القرآن، لا يُعاقَب فقط في الآخرة، بل يذوق في دنياه معيشةً ضنكًا، ضيقًا في الصدر، واضطرابًا في المعنى، ولو امتلك أسباب الرفاه الظاهرة. فالضنك هنا ليس فقر المال، بل فقر القلب حين ينقطع عن الوحي.

ويُبيِّن السياق أن الذكر المقصود هو هذا القرآن، كلام الله الذي به تحيا القلوب، وتستقيم الفِطَر، وتنتظم الحياة في ميزانها الصحيح. فالإعراض عنه ليس مجرد ترك تلاوة، بل هو انفصال عن مصدر النور والهداية، ومآله العمى عن الحق يوم القيامة بعد عمى البصيرة في الدنيا.

وفي المقابل، تُبرز الآيات صورة أخرى لأهل الصلة بالوحي؛ أولئك الذين يمسكون بالذكر، ويجعلونه محور حياتهم، فيبادرون إلى الطاعات، ويتنافسون في الخيرات، لأن قلوبهم ممتلئة بالمعنى، وأعمالهم منطلقة من اليقين.

وهكذا تُقرِّر هذه الآيات حقيقةً حاسمة: أن السعادة لا تُستمد من المال ولا من الجاه ولا من المنصب، وإنما تنبع من الذكر، ومن الصلة الحيّة بالله، حيث يلتقي القلب بالوحي، فيطمئن، ويستقيم، ويُفلح.

(الآيات 133–135): خاتمة التثبيت

تختتم سورة طه بتوجيهٍ مباشر للنبي ﷺ، يؤكد أن الدعوة هي بلاغٌ وتذكير، لا قسر أو إكراه، حيث يُخاطَب قائلاً: ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾. فهي رسالة تثبيت للنبي ﷺ، ترفع عنه مسؤولية إجبار الناس على الإيمان، وتؤكد أن الرسالة تقع على المستوى التبليغي والإنذاري فقط.

وتُبرز الآيات قاعدةً أساسية في مسار الدعوة:

الثبات على الطريق، وعدم الرهان على تجاوب الجميع، فالمعروض عن الحق قد يظل أعرض مهما اجتهدت، بينما النصر الحقيقي يقاس بالوفاء بالواجب وبالصدق في البلاغ، لا بردود أفعال الناس.

الرسالة الجوهرية هنا: اصبر واثبت في دعوتك، وواصل حمل الرسالة باليقين، فالأثر لا يُقاس بالاستجابة اللحظية، بل بالوفاء بالمسؤولية وصدق الدعوة مهما أعرض المعرضون.

الربط بين طه ومريم: يتجلّى في وحدة الرسالة والمقصد؛ إذ تعرض سورة مريم نماذج من رحمة الله في حياة الأنبياء بأسلوب إجمالي يبرز العناية الإلهية بعباده المصطفين، ويؤكد حضور الهداية في مسيرتهم، ثم تأتي سورة طه لتفصّل هذا المعنى من خلال التركيز على قصة موسى عليه السلام، مبيّنة منهج الدعوة والصبر في مواجهة الطغيان، ومثبّتة قلب النبي ﷺ أمام تكذيب قومه. فالسورتان تلتقيان في إبراز الصراع بين الحق والباطل، والتذكير بالآخرة، غير أن مريم تمهّد بالرحمة والاصطفاء، بينما تبني طه على ذلك ببيان التكليف ومشقة الطريق، في تكامل دلالي يُبرز وحدة البناء القرآني.

للتأمل الذاتي :

حين تتأمل هذه السورة، تجد نفسك مدعوًا إلى مراجعة علاقتك بالقرآن: هل أتعامل معه كرسالة رحمة وهداية، أم كعبء ثقيل لا يغيّر فيّ شيئًا، مع أن الله يقول: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾؟ ثم أسائل نفسي عن قدرتي على الصبر والثبات في مواجهة التحديات: هل أقتدي بموسى عليه السلام في ثقته بالله رغم الخوف والضعف البشري، أم أستسلم سريعًا عند أول عقبة؟

كما يدفعني التأمل إلى النظر في مسؤوليتي تجاه الإصلاح والدعوة: هل أؤدي ما أستطيع من واجب البلاغ بالحكمة واللين، كما أُمر موسى وهارون: ﴿فقولا له قولًا لينًا﴾، أم أغفل هذا الجانب من حياتي؟ وهل أحرص على ذكر الله الذي هو مصدر القوة والثبات، أم أنشغل عنه في زحمة الدنيا؟

الخلاصة: تُقدّم **سورة طه** خلاصة تعليمية متكاملة لمسار الرسالة الإنسانية، بدءًا من فهم طبيعة القرآن ذاته، مرورًا بمناهج الدعوة والمواجهة، وصولًا إلى أسس العقيدة وتربية النفس.

فالرسالة القرآنية واضحة: القرآن لا يثقل القلب ولا يسبب شقاءً، بل هو رحمة وهداية وبيان للحق، ييسر الفهم ويثبت النفوس. أما الدعوة، فهي تتطلب تهيئة نفسية صادقة، وروابط أخوية متينة، وصبرًا طويل النفس، لأن الطريق إلى الهداية لا يُختصر بالجهد الفردي أو بالسرعة.

والمواجهة ليست مجرد صراع مع الطغيان الظاهر، بل تمتد إلى تطهير النفس من الكبْر والهوى، لتصبح القدرة على الإصلاح أكثر استدامة. أما العقيدة، فهي الأساس الذي تستند إليه كل دعوة؛ توحيد الله، الإيمان بالبعث، والاعتراف بخطأ النفس والرجوع إلى التوبة هي القواعد التي تضمن استقامة الحياة.

وأخيرًا، تبرز سورة طه النموذج البشري في شخصية آدم، الذي أخطأ ثم تاب، فارتقى؛ لتؤكد أن طريق الإصلاح والنمو لا يخلو من الزلل، لكن التوبة والرجوع إلى الله هما مفتاح الترقّي والنجاة.

سورة الانبياء

الاسم والدلالة: سميت بسورة الانبياء لما اشتملت عليه من أسمائهم[1] وفيها تتجلى الحكمة القرآنية في عرض قصص الأنبياء بشكل متصل، بحيث لا تُروى الأحداث مجرد حكايات تاريخية، بل في نسق يُبرز وحدة الرسالة الإلهية عبر العصور، وتنوع المواقف والسياقات التي مر بها الدعاة، وثبات المنهج في مواجهة الباطل. فجميع الأنبياء، من نوح إلى محمد

[1] قال ابن عاشور:" سَمَّاهَا السَّلَفُ «سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ» ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطَهَ، وَالْأَنْبِيَاءُ، هُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي» .وَلَا يُعْرَفُ لَهَا اسْمٌ غَيْرُ هَذَا.وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا سُورَةَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا أَسْمَاءُ سِتَّةَ عَشَرَ نَبِيئًا وَمَرْيَمَ وَلَمْ يَأْتِ فِي سُوَرِ الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ فِي سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ عَدَا مَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ. فَقَدْ ذُكِرَ فِيهَا أَسْمَاءُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ نَبِيئًا ". محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق،ج17ص5.

ﷺ، واجهوا الطغيان والجهل والكفر، وانتصروا بالصبر والدعاء والتوكل على الله، مما يجعل قصصهم عبرة للأمة جمعاء.

المقصد العام للسورة: يتمثل في توجيه النظر إلى قرب الحساب، وكشف بطلان حجج المكذبين بالآيات والمعجزات، وإظهار أن دعوة الرسل واحدة، وأن ثبات المؤمنين لا يختلف باختلاف الزمان أو المكان. وفي الوقت نفسه، تُذكر قدرة الله على الفصل بين الحق والباطل، ورحمته المنقذة لمن اتبع الهدي، وسيطرته المطلقة على المصائر، لتكون السورة تذكيرًا حياً بأن الرسالة الإلهية متصلة، وأن الثبات عليها طريق النجاة.

البنية الموضوعية: تتوزع في بنية موضوعية متسقة، تبدأ بتوجيه الانتباه إلى حقيقة قريبة وحاسمة، ثم تنتقل إلى مواجهة الشبهات، وتستعرض نماذج الأنبياء لتقديم الدروس العملية، قبل أن تختتم بتأكيد وعد الله الحق ويوم البعث.

تفتتح السورة بالتذكير بقرب الساعة في الآيات من 1 إلى 15، حيث تُبرز الغفلة عن الحق والاستهزاء بالرسالة، لتضع الإنسان أمام حقيقة المصير المحتوم وتُهيئه للتدبر.

ثم تأتي مرحلة رد شبهات الكافرين من الآيات 16 إلى 35، فتوضح أن الله لم يخلق عبثًا، وأن الحق أعلى من الباطل، بما يضع حجج الكافرين في موضعها الصحيح ويكشف عن عظمة الخلق وحكمة التشريع.

ويشغل العرض الطويل لنماذج الأنبياء من الآيات 36 إلى 94 المحور الأكبر للسورة، إذ تُبرز الصبر، والدعاء، والنجاة، وتؤكد وحدة الرسالة عبر مختلف الزمان والمكان، لتكون قصص الأنبياء درسًا حيًا في الثبات على الحق والتوكل على الله.

وأخيرًا، تختتم السورة بالآيات من 95 إلى 112 بالحديث عن الوعد الحق والبعث، حيث يُبرز القرآن بيان الفصل يوم القيامة، ويُثبت النبي ﷺ ويشجع المؤمنين على الصبر والتمسك بالهدي، لتكتمل بذلك الصورة البنائية للسورة كدعوة للتدبر واليقين في قدرة الله وعدله.

(الآيات 1–15): اقتراب الساعة... والناس في لهو

تبدأ سورة الأنبياء بإنذار حاد للناس حول قرب الحساب، مُظهرة حال الذين يعيشون في غفلة وانشغال عن الحق، حيث يقول الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾. فالناس يسمعون الذكر أحيانًا، لكنهم يمرّون عليه مرور الكرام، منهم من يصفه بأضغاث أحلام، ومنهم من يظنّه افتراءً، أو قول شاعر، لتغلق القلوب أمام الهداية.

الرسالة: وتُبرز هذه الآيات حقيقة جوهرية: أعظم الخطر الذي يواجه الإنسان ليس في العداء الظاهر للرسالة، بل في **الغفلة واللامبالاة** التي تبعده عن التدبر والاهتداء. كما أنها تشكّل بداية استراتيجية للسورة، تضع الزمن في ميزان الحساب، وتذكّر أن الفرصة للرجوع محدودة، وأن الله قريب بالحساب، فلا تأجيل للمصير ولا مهرب من الحق.

(الآيات 16–35): الرد على الإعراض بشواهد الكون

تواصل سورة الأنبياء توجيه الإنذار للبشر عبر عرض براهين الوحدانية والإبداع الإلهي في الكون، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾. فالخلق لم يكن عبثًا أو لهوًا، فلو شاء الله للخلق مجرد لعب لم يتطلب ذلك حكمةً أو نظامًا، بل كل شيء في الكون قائم وفق سنن دقيقة تعكس الحق، والذي يزهق الباطل حسب قانون كوني ثابت.

كما تُبرز الآيات وحدانية الله المطلقة، فلا إله إلا هو، ولا يثقل النوم أو السُنة وجوده، ولا يُسأل عما يفعل، بينما يُسأل الناس عن أفعالهم. هذه المعطيات تجعل الكون كتابًا مفتوحًا للمتفكرين، ودليلاً واضحًا على أن الحق ظاهر لكل بصير، ومن لم يبصره فهو أعمى عن هداية الله.

الرسالة الجوهرية: **الكون نفسه شهادة للحق، والعقل نور يُمكّن الإنسان من رؤية سنن الله، ومن أغلق قلبه عليه فهو في ضلال مستمر.**

(الآيات 36–94): استعراض مواكب النبوة – الرسالة واحدة

تستعرض هذه الآيات مواكب الأنبياء لتوضح وحدة الرسالة عبر الزمان والمكان، بدءًا من نبينا ﷺ، ثم الانتقال إلى قصص عدد من الرسل السابقين، حيث لكل نبي تجربة خاصة تُبرز جوانب الصبر، الدعاء، والخشوع أمام الله، مع التأكيد على أن النصر لا يُمنح مباشرة بل يُكتسب بالمثابرة والإيمان.

فإبراهيم عليه السلام يُظهر أن التوحيد لا يلين أمام الباطل، حين يكسر الأصنام ويجادل قومه. ولوط يُعلّم الصمود والاستقامة في بيئة فاسدة، محافِظًا على الطهر والموقف الواضح. ونوح عليه السلام يمثل الدعوة الطويلة، التي تتطلب الصبر والمثابرة.

داوود وسليمان يعلّمان أن التمكين مع الحكم يحتاجان إلى الشكر والعلم. أيوب عليه السلام يُظهر أن المرض والابتلاء فرصة للصبر والدعاء، بينما إسماعيل وإدريس وذا الكفل يُجسّدون دوام الطاعة والاستقامة المستمرة.

يونس عليه السلام يذكّر بأن الغضب البشري لا يمنع الرجوع إلى الله، فالندم والدعاء يكشفان عن رحمة الله، وزكريا ويحيى ومريم يُبرِزون الطهر والكرامة والتبتل، ويفتحون الباب لرحمة ربانية واسعة.

وتختم الآيات بتقرير قاعدة عامة في الدعوة:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ، مؤكدة أن الأنبياء لم يُؤتَوا النصر مباشرة، بل حققوه بالدعاء، والخشوع، والصبر، ومجابهة التحديات، لتكون قصصهم قدوة للمؤمنين في مواجهة الصعاب.

(الآيات 95–112): الوعد الحق والفرز بين المؤمنين والمجرمين

تختتم سورة الأنبياء بمحور واضح حول يوم الحساب، حيث تُبيّن الآيات أن الأمم لا تُمنح الخلود، وأن الفرج والجزاء مرتبطان بالعمل والثبات. يوم ينفخ في الصور يكون الفصل بين

الناس، فالجنة مهيأة لمن سبق إليه الخير، والنار جزاء من أعرض عن الذكر وترك الطريق المستقيم.

وتؤكد الآيات أن القرآن حقٌّ لا مرية فيه، ودليل على صدق الوعد الإلهي، وأن المغفرة والرحمة من الله هي الأمل المطلق لكل مؤمن صابر، كما يُختتم الدعاء بالتضرع: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

الرسالة الجوهرية: **الفرج والنجاة قادم، لكن الصبر والثبات على الحق هما السبيل، والرجاء في رحمة الله هو ضوء المؤمن في مواجهة التحديات والابتلاءات.**

الخلاصة: تقدّم السورة خلاصة متكاملة لمسار الرسالة الإلهية، بدءًا من التحذير من قرب الساعة، مرورًا بالردود العقلية على شبهات المكذبين، ووصولًا إلى استعراض مواكب الأنبياء كنماذج عملية، وختامًا بتثبيت النبي ﷺ وتذكيره بالسنن الماضية.

فالرسالة الرئيسة التي تبرز في السورة أن الساعة قريبة، والناس غافلون عنها، ما يجعل اليقظة والتدبر ضرورة. كما أن الرد العقلي يُثبت أن الكون منظم بدقة، فلا مجال للعبث أو الصدفة، وهذا يثبت وحدانية الله ويقوي حجج الدعوة.

وحدة الرسالة تتجلى في قصص الأنبياء، حيث يظهرون إخوة في المنهج والصبر على مواجهة الباطل، والنجاة بالدعاء والخشوع والتحدي الراسخ للظلم والطغيان. أما الدعوة، فهي تتطلب صبرًا طويلًا، واستمرارًا في الدعاء، وخشية لله، وثباتًا أمام العداء.

وفي العقيدة، تؤكد السورة على التوحيد الخالص وإبطال الشرك، بينما يُبرز الموقف من النبي ﷺ ضرورة التثبيت والتذكير بالسنن الماضية، لتكون السورة مرشدًا متكاملًا للمؤمنين في كل زمن.

الربط بين الانبياء وطه: فمن حيث وظيفة كل منهما في توضيح مسار الرسالة الإنسانية.

سورة **طه** تركز على **فقه الدعوة ومواجهة الطغيان**، حيث تبدأ الرسالة من الذات أولًا: تثبيت النبي ﷺ، تهيئته نفسيًا وروحيًا، ثم الانتقال إلى الدعوة العملية، ومواجهة الطغيان بالصبر والصراحة والخشوع. هنا يكون التركيز على الفرد الداعية وكيفية التعامل مع الصعوبات الشخصية والمجتمعية في سبيل الرسالة.

أما سورة **الأنبياء**، فوظيفتها **تثبيت النبي ﷺ واستعراض المسار الرسالي الطويل**، حيث تنتظم الرسالة في **موكب تاريخي واحد**؛ واحد في المنهج، متعدد في الأشخاص، من نوح إلى محمد ﷺ. السورة تعرض تجارب الأنبياء السابقة كنماذج عملية، تؤكد وحدة الرسالة وثباتها عبر العصور، وتُبرز الصبر، الدعاء، والاعتماد على الله كقواعد ثابتة لكل داعٍ.

باختصار، سورة طه تعلم **كيف تبدأ الرسالة من الداخل وتخوض الدعوة الأولى**، بينما سورة الأنبياء تُظهر **استمرارية الرسالة التاريخية، والثبات على المنهج عبر الأجيال.**

للتأمل الذاتي في ضوء سورة الأنبياء، يمكن للمرء أن يطرح على نفسه أسئلة صادقة تكشف حقيقة موقفه من الرسالة:

- هل ما زالت الغفلة تسيطر عليّ رغم وضوح آيات القرآن؟ أم أن قلبي مستيقظ للتدبر والعمل؟
- كيف أواجه الفتن والضغوط في حياتي اليومية، وهل أتصرف كما فعل الأنبياء، بالثبات والصبر والدعاء؟
- هل أدعو الله بقلبي كله، برغبةٍ في رحمته، وبرهبةٍ من قدرته، أم أن الدعاء مجرد عادة بلا خشوع؟
- هل أنتمي إلى "أمة محمد" فعليًا، بمعنى أن مواقفي من الحق والباطل تتوافق مع هدي النبي ﷺ، أم أن الانتماء اسمي فقط؟

هذه الأسئلة تساعد على **مراجعة النفس وموازنة العمل مع الإيمان**، لتكون الحياة اليومية امتدادًا للمعاني القرآنية، لا مجرد تلاوة أو سماع.

خاتمة

تُمثّل سورة الأنبياء **موكب الرسالة النوراني الممتد عبر الزمان،** حيث تسير الآيات بنا على خطى نوح وإبراهيم وموسى وزكريا ويحيى ومريم ﷺ، وصولًا إلى النبي محمد ﷺ، لتُظهر أن طريق الأنبياء لم يكن معبّدًا بالسهولة أو الرفاهية، بل مليئًا بالتحديات والابتلاءات. ومع ذلك، فهو الطريق **الحق الموصل إلى الله،** الذي يثمر الصبر، والدعاء، والثبات على المبادئ، ويقود إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وتختتم السورة بوعدٍ ربّاني مطمئن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ ، لتؤكد أن **نهاية المسار المشرف للمؤمنين الصالحين هي التمكين في الأرض بالعدل والخير، ووراثة الخير والثبات على الحق عبر الأجيال.**

سورة الحج

الاسم والدلالة: سُميت السورة بـ "الحج"[1] لما فيها من ذكر الشعيرة الجامعة التي تُجسّد وحدة الأمة، وتربط بين العبادة والهوية، والذكر، واللقاء العظيم في بيت الله الحرام، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي تحمل اسم **شعيرة من شعائر الإسلام**، ما يضفي عليها طابعًا فريدًا يجمع بين البناء العقدي والوجداني للأمة، وبين التذكير بالحق والاقتداء بالرسول ﷺ.

المقصـــــــــــــــــــــــد العـــــــــــــــــــــــام للســـــــــــــــــــــــورة:

السورة تضع الإنسان أمام **مزيج من مشاهد القيامة ومشاهد الشعائر**، لتربط بين الخوف والرجاء، بين التذكير بالمصير وبين الحضور في العبادة الجماعية، كما تبرز دور الأمة في مرحلة التمكين والابتلاء، حيث يكون الالتزام بالشرائع والعمل الصالح دليلًا على الثبات على الحق، والنجاة من الضلال، وفهم العلاقة بين العبادة الفردية والجماعية كامتداد للرسالة الإلهية.

المقصد العام لسورة الحج:

تعمل السورة على **تأسيس معالم التمكين للأمة** في لحظة الانتقال من الاستضعاف إلى الرسوخ، من خلال **الربط بين مشاهد البعث، ومقاصد الشعائر، وسنن الله في النصر والتمحيص**. فهي تعرض للناس صور المصير النهائي والجزاء العادل، مع إبراز الشعائر الجامعة التي تصنع هوية الأمة وتربطها بالله، لتصبح العبادة الجماعية علامة على الثبات والتمكين، ودليلًا على إدراك سنن الله في الانتصار والابتلاء.

تتوزع **سورة الحج** في بنية موضوعية متماسكة، تتدرّج بالقارئ من الإنذار بالساعة، مرورًا بإثبات البعث ومراحل الخلق، ثم عرض حالة الناس مع الحق، وصولًا إلى مشاهد الشعيرة،

---

[1] قال جعفر شرف:" سمّيت هذه السورة بسورة الحج لأنها اشتملت على الدعوة إلى الحج على لسان إبراهيم الخليل (، وفي الحج منافع دينية وعلمية وتجارية وسياحية" **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ، ج6ص7.

والتمكين بعد الابتلاء، وعبر دروس الأمم السابقة، وصولًا إلى الختام بتحديد موقف الأمة الوسط.

تبدأ السورة بمقدمة عظيمة في الآيات 1–7، حيث تهز زلزلة الساعة القلب والعقل، وتوقظ الضمائر وتذكّر الناس بحتمية الحساب، مع التركيز على مشاهد القيامة كمنطلق للتدبر واليقظة.

ثم تأتي مرحلة الاستدلال على البعث والخلق في الآيات 5–7، لتوضح مراحل الخلق من الإنسان ومن الكون وصولًا إلى النشور، مؤكدة قدرة الله وعدله في الجزاء.

ويُعرض حال الناس مع الحق في الآيات 8–24، حيث يظهر صنف يجادل ويعاند، وآخر يخشع ويتبع الحق، لتحديد مواقف القلوب من الرسالة.

تتلوها مشاهد الحج ومقاصده في الآيات 25–37، من الطواف حول البيت الحرام إلى أداء الهدي، مع إبراز الوحدة والالتزام الجماعي، وربط العبادة بالهوية والرسالة.

ويأتي محور التمكين بعد الابتلاء في الآيات 38–41، حيث يُبرز الدفاع عن المؤمنين وقيام الصلاة كعلامة على الثبات، واستكمال دور الأمة في الأرض بعد تمحيصها وابتلائها.

ثم تعرض السورة مشاهد من الأمم السابقة في الآيات 42–48، لتُظهر كيف كانت عاقبة المكذبين وتنبه إلى سنن الله في الجزاء، مع دروسٍ عملية للأمة الحالية.

ويختتم البناء بالآيات 49–78 بالتركيز على **الأمة الوسط**، حيث يتضح موقفها من القرآن، ومن الجهاد، ومن التسمية بالمسلمين، لتصبح السورة دليلًا متكاملاً على **التمكين**، **التثبيت**، **والهوية الجماعية للأمة في ضوء العبادة والمصير النهائي.**

(الآيات 1–7): زلزلة الساعة – بداية التأسيس بالخشية

تفتتح سورة الحج بمشهد رهيب يربط بين **الخوف من الله ووعي المصير النهائي**، حيث يقول تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾، تتجلى قوة هذه الزلزلة في تصوير الإنسان عند المواجهة: المرضعة تذهل عن طفلها، والحامل تسقط، والناس في حالة ذهول وسكر، وما هم بسكارى، لتبرز صدمة القيامة ووقعها على النفس البشرية.

الرسالة الجوهرية من هذه الآيات: لا يمكن تأسيس أمة صالحة بدون خشية صادقة لله، ولا يتحقق التمكين والنجاح الحقيقي إلا بخوف واعٍ من الحساب والجزاء، كقاعدة أولية لأي مسار إصلاحي أو رسالي.

(الآيات 5–7): مراحل الخلق والبعث – من الطين إلى الحساب

توضح هذه الآيات سلسلة الخلق البشري والبعث بعد الموت، بدءًا من خلق الإنسان من تراب، ثم نطفة، مرورًا بالشيخوخة والموت، وصولًا إلى البعث والحساب. هذه المشاهد تربط الإنسان بخط الحياة الكامل وتبيّن عاقبة كل فعل، لتذكّر بالعظمة الإلهية والحكمة في خلق الإنسان.

الرسالة الجوهرية: من لم يؤمن بالبعث لا يمكنه أن يتحمل مسؤولية الرسالة أو يلتزم بالحق، لأن الإيمان بالبعث يشكّل المحرك الأساسي للأخلاق والالتزام والعمل الصالح، ويجعل الإنسان واعيًا بأن كل قرار وكل فعل سيُحاسب عليه أمام الله.

(الآيات 8–24): مواقف الناس من الحق – فريقان

تعرض هذه الآيات حال الناس تجاه الحق الإلهي، حيث يظهر فريقان متباينان:

- **الفريق الأول** يجادل في الله بغير علم، متكبر عن الانقياد للحق، ضال في أفكاره ومواقفه، ومآله الهلاك.
- **الفريق الثاني** يخشع ويتسلم لله، محسن في نيته وخلص في عمله، ومآله الجنة والنعيم.

الرسالة الجوهرية: لا وسطية في الموقف من الدين؛ إما الانقياد والخضوع لله بصدق، أو العناد والجدال الذي يؤدي إلى الضلال والهلاك.

(الآيات 25–37): الحج – شعائر تُبنى على التوحيد

تُبرز هذه الآيات الحج باعتباره شعيرة جامعة ترتكز على التوحيد والهوية الجماعية للأمة، فالبيت الحرام أمان لكل من دخله، ولا يجوز الإلحاد فيه، وأقام إبراهيم عليه السلام قواعد العبادة، ليكون الحج دستورًا عمليًا يجمع بين العبادة، والتقوى، والهوية، والتذكير بالمصير.

توضح السورة مقاصد الحج الأساسية:

- **وحدة الأمة:** ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، حيث تجمع الشعيرة المسلمين على قلب واحد، وهدف واحد سواسية.
- **تعظيم الشعائر:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾، لتصبح الشعائر مقياسًا للتقوى الصادقة.
- **استحضار التقوى:** ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾، فتكون النية والروح أساس العبادة، لا المظاهر الخارجية فقط.
- **التذكير بالبعث:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ليظل الحج مرتبطًا بالوعي بالمسؤولية والمصير النهائي.

الرسالة: الحج ليس مجرد مظهر عبادي، بل هو رسالة توحيد، وتزكية للقلوب، وتحَرّر من الشرك والهوى، وتجسيد لروح الأمة الواحدة.

(الآيات 38–41): التمكين بعد الابتلاء

تتحدث هذه الآيات عن **مرحلة التمكين بعد الابتلاء**، حيث يعلن الله:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾) ، مشيرًا إلى أول إذن بالجهاد في القرآن، والذي يرتبط بالدفاع عن الحق وليس بالطموح الشخصي للسلطة أو السيطرة.

كما تبيّن الآيات صفات الممكَّنين الحقيقيين: **إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**، لتوضح أن التمكين الحقيقي هو إقامة الدين وتصحيح المسار العام للأمة، لا مجرد السلطة السياسية أو القوة الظاهرية.

الرسالة : النصر والتمكين لا يُعطى لمن يسعى للحكم فقط، بل لمن أقام الدين وعمل على تطبيق تعاليم الله بصدق وخشوع.

(الآيات 42–48): مصائر المكذبين السابقين

تستعرض هذه الآيات **عاقبة الأمم التي كذبت الرسل وتجاهلت الحق**، فتذكر: كم من قرية أهلكناها بسبب تكذيبها، وكل أمة أخذتها الصيحة أو العذاب، لتكون عبرة للأجيال القادمة. وتؤكد الآيات أن **الله لا يُعجّله استعجال البشر**، بل يترك الظالمين في مهلة ليختبروا أنفسهم، ثم ينزل الجزاء العادل في الوقت المناسب.

الرسالة الجوهرية: التاريخ يعظ ويدل على حكمة الله وعدله، فلا يغتر أحد بمهلة الله للظالمين، فالعواقب الحتمية حاضرة لكل من أعرض عن الحق.

(الآيات 49–78): الختام – أمة الرسالة تبدأ من هنا

تختتم سورة الحج بالتأكيد على **هوية الأمة ومسؤوليتها في حمل الرسالة**، حيث يُخاطب الله الناس: هذا قرآن مبين، وأنتم المسلمون – من قبل وفي هذا الوقت – فاستجيبوا لأمر الله، وجاهدوا في سبيله، واصبروا على البلاء، واقتربوا من الله بالعبادة والخشوع.

الرسالة الجوهرية: حمل اسم "المسلمين" ليس مجرد شرف، بل هو تكليف، وهوية، ومنهج حياة واضح، يتطلب الاستجابة، والجهاد، والصبر، والقرب من الله، لتصبح الأمة حقًا أمة الرسالة في الواقع والممارسة.

تقدّم **سورة الحج** خلاصة متكاملة لمسار الأمة في مرحلة التمكين والابتلاء، حيث تربط بين **البعث، والشعائر، والتمكين، والعقيدة، والهوية.**

فالبعث يُعرض في مشاهد زلزلة حقيقية تُظهر جدّية الحساب ووقعه على النفوس، بينما الشعائر، وخاصة الحج، تُبيّن أن العبادة ليست مجرد طقوس، بل **دعوة للتقوى والالتزام بالحق.**

ويؤكد محور التمكين أن القوة والنجاح لا يتحققان إلا لمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، أي من يسعى لإقامة الدين حقًا. أما العقيدة، فهي أساس كل فعل: الإيمان بالخالق، وبالبعث، وبالميزان، ما يربط الحياة الدنيا بالآخرة.

تتجلّى الأمة في السورة كبداية إعلان التمكين بعد الابتلاء، مع الاستفادة من **عبر الأمم السابقة،** بينما الهوية الجامعة تتضح في التسمية المباركة: "**هو سماكم المسلمين**"، لتصبح الاسم عنوانًا للتكليف والمنهج والمسؤولية.

الربط مع ما قبلها

سورة الأنبياء تعرض **تاريخ الرسالة وثبات المرسلين،** حيث يتم تقديم مواكب الأنبياء كنماذج حيّة توضح وحدة المنهج وضرورة الصبر والدعاء والخشوع في مواجهة الباطل، لتكون عبرة للأمة في كل زمان.

أما سورة الحج، فتعمل على **إعلان التحول من الضعف إلى التمكين والتمهيد لبناء أمة شاهدة،** من خلال ربط مشاهد القيامة بمقاصد الشعائر، وتوضيح السنن الإلهية في التمكين والابتلاء، وتأكيد هوية الأمة الجامعة تحت اسم المسلمين، ليصبح الطريق نحو الأمة الجديدة واضحًا، مع تحديد الواجبات والمسؤوليات.

الأنبياء يمثلون التاريخ الحي للرسالة، والحج يمثل بداية تأسيس أمة جديدة بهوية واضحة ومقاصد عليا.

للتأمل الذاتي

يمكن للقارئ أن يطرح على نفسه أسئلة صادقة تكشف مدى التزامه بالحق الإلهي ومسؤولياته كمسلم:

- هل أعيش في غفلة عن حقيقة البعث والحساب، أم أن قلبي واعٍ بمصيري؟
- هل شعائري وأعمالي التعبدية متصلة فعليًا بالتقوى والنية الصادقة، أم مجرد مظاهر خارجية بلا روح؟
- هل أستحق التمكين الذي وعد الله به، وهل أقيم الصلاة وأؤدي الواجبات الأخرى كما أمر الله؟
- هل أتمثل فعليًا هويتي كـ"مسلم"، حاملٍ للرسالة العالمية، ملتزم بالهجاء للباطل والدفاع عن الحق؟

خاتمة

تُمثّل سورة الحج **مرحلة فاصلة** في مسار الأمة بين الاستضعاف والتمكين، بين الغفلة والاستيقاظ، وبين الرمز والمقصد، فهي توضح أن الحج ليس مجرد موسم عبادي، بل **تدريب سنوي على التوحيد، والتزكية، والاستعداد ليوم الزلزلة**، حيث يُختبر المؤمن في نيته وصبره وثباته على الحق.

وتختتم السورة بتوجيه عملي وروحي: جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، فهو الذي اختاركم وكرّمكم؛ لتكون الأمة المتمسكة بالرسالة قادرة على الصمود وتحقيق التمكين والهوية الجامعة بين العبادة والمصير.

سورة المؤمنون

الاسم والدلالة: سُميت سورة المؤمنون[1] لأنها تبدأ ببيان **صفات المؤمنين الدقيقة**، وتختتم بتثبيتهم في مواجهة المعرضين، لتوضح أن الفوز والنجاة **لا يقاسان بالمظاهر أو الأماني**، بل بالتحقيق العملي للإيمان والعمل الصالح والثبات على الحق.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى **بيان صفات المؤمنين الذين يرثون الفردوس**، ومقارنة حالهم بحال المكذبين، واستعراض قصص الرسل لتثبيت الحق في الأذهان، مع التأكيد على أن **المعيار الحقيقي للنجاة والنجاح هو الإيمان الصادق، والعمل المستمر، والصبر على البلاء.**

تتوزع **سورة المؤمنون** في بنية موضوعية متسلسلة، تبدأ بفاتحة تبيّن معالم الفوز الحقيقي للمؤمنين، ثم تنتقل إلى مراحل الخلق والتدبير الإلهي، مرورًا بعرض قصص نوح والرسل من بعده لتوضيح طبيعة الرسالة وأثر التكذيب، ثم الرد على شبهات المكذبين لإظهار بطلان حججهم، يليها عرض حال القلوب الغافلة، وأخيرًا تختتم السورة بعرض العذاب والمآل، مؤكدة أن الحق يعلو والمصير مرتبط بالاستقامة والعمل الصالح.

- في الآيات 1–11، **فاتحة الفوز**، حيث تُعرّف السورة بالمعايير العملية للنجاح والفلاح: قد أفلح المؤمنون.
- في الآيات 12–22، **مراحل الخلق والتدبير**، من التراب إلى الرشد، لتوضيح حكمة الله في الخلق وربط الإنسان بمسار المسؤولية.
- في الآيات 23–50، **قصة نوح والرسل من بعده**، حيث تُبرز الرسالة، التكذيب، والنجاة كعبر عملية للأمة.
- في الآيات 51–77، **الرد على شبهات المكذبين**، لكشف بطلان حججهم الواهية ودحضها بالحق الإلهي.
- في الآيات 78–90، **حال القلوب الغافلة**، توضيح لمن ينكر الحق وهو يرى ويعلم.

---

[1] قال مقاتل بن سليمان:" وسميت سورة المؤمنين لافتتاحها بفلاح المؤمنين." أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، **تفسير مقاتل بن سليمان**، مرجع سابق،ج3ص151.

- في الآيات 91–118، **العذاب والمآل**، تأكيد أن الحق يعلو والمصير مرتبط بالاستقامة والعمل الصالح.

(الآيات 1–11): قد أفلح المؤمنون – ميزان الفوز

تبدأ السورة بتحديد **معيار الفوز والنجاة الحقيقي:**﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ ، ثم تعرض سبع صفات جامعة تبيّن ما يحقق هذا الفوز:

1. **خشوع في الصلاة**، دليل على التواصل المستمر مع الله والخضوع له.
2. **إعراض عن اللغو**، أي تجنب الأفعال والكلام العبثي الذي يلهي عن الحق.
3. **أداء الزكاة**، لتطهير النفس والمال، وإظهار الاهتمام بالآخرين.
4. **حفظ الفروج**، كضمان للحياء والطهارة في المجتمع.
5. **رعاية الأمانة والعهد**، للحفاظ على الحقوق وتحقيق العدالة.
6. **حفاظ على الصلاة**، التأكيد على مركزية العبادة في حياة المؤمن.
7. **الوراثة للفردوس**، حيث يثبت أن الثبات على هذه الصفات يؤدي إلى النجاة والخلود في الجنة.

الرسالة الجوهرية: الإيمان ليس مجرد دعوى أو شعور، بل هو بنية عملية متماسكة تترجم في أفعال وسلوكيات واقعية تعكس صدق القلب والتزامه.

(الآيات 12–22): مراحل الخلق – تدبير من رب العالمين

توضح هذه الآيات **رحلة الإنسان من البداية إلى النهاية**، حيث يُخلق من طين، ثم نطفة، فالعلقة، ثم المضغة، حتى يولد طفلاً، ويكبر، ويشيخ، ثم يموت، ليُبعث بعدها للحساب. كما تذكّر الآيات بنعم الله في **الأنعام ووسائل النقل**، لتبين تدبيره الشامل في الكون والإنسان.

الرسالة الجوهرية: من يخلق الإنسان من طين ويصنعه بهذه الدقة لا يعجز عن بعثه بعد الموت، فالإيمان بالبعث والفعل الإلهي هو أساس الوعي والمسؤولية الأخلاقية.

(الآيات 23–50): موكب النبوة – الرسالة واحدة، والموقف متكرر

تستعرض هذه الآيات **قصص الأنبياء المتعاقبين** لتبيّن أن الرسالة واحدة، وأن المواقف الإنسانية تتكرر عبر الزمن:

- **نوح** دعا قومه فأمن معه قليل، وأغرق المكذبين.
- **هود، صالح، موسى، عيسى** عليهم السلام جاؤوا بالبينات، فكانت الاستجابة إما التكذيب أو الاستكبار.

ويختم القرآن هذا العرض بالقول:﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾، لتأكيد **استمرارية الرسالة وموحدها عبر جميع الرسل.**

الرسالة : سنة الدعوة الإلهية تقوم على ثبات الرسل، واستكبار المكذبين، ونجاة الصادقين، وهي قاعدة دائمة لكل زمان ومكان.

(الآيات 51–77): دحض حجج المنكرين

تتوجه هذه الآيات إلى **الرد على المكذبين والمستكبرين** الذين يطلبون آيات مادية رغم وضوح دلائل الوحي، فيقولون: "بل سحر" أو "بل هو مجنون".

ويرد الله عليهم بتوضيح حدود قدراتهم: **أنهم لا يملكون أنفسهم، ولا يخلقون شيئًا، ولا يتحكمون في السمع أو البصر**، ليبيّن أن الإعراض عن الحق ليس له مبرر عقلاني.

الرسالة الجوهرية: لا حجة للعقول التي تعاند الحق، فالعناد والاستكبار لا يغطيان على وضوح الدلائل الإلهية.

(الآيات 78–90): الغفلة القاتلة – الله آتاكم كل شيء

تبيّن هذه الآيات **حال الغافلين عن الحق**، الذين ينكرون النبوة والبعث، ويعرضون عن القرآن رغم سماعهم له، ويذكّر الله الناس بأنّه هو الذي أنشأ لهم **السمع**، **والابصار**، **والأفئدة**، أي القدرة على الإدراك والفهم، لكن قليل منهم يشكر ويستخدم هذه النعم حق استخدامها.

الرسالة الجوهرية: السمع والبصر وحدهما لا ينفعان من لم يستخدم "الفؤاد" في التفكر والفهم، فالمعرفة والإدراك مسؤولية تتطلب وعي القلب والعقل معًا.

(الآيات 91–118): الحق يعلو – والمصير لمن استقام

تختتم سورة المؤمنون بتأكيد **عظمة الحق الإلهي ورفعته فوق كل باطل**، موضحة أن لو كان لله آلهة لفسدت السماوات، وأن الله **لا يُلد ولا يولد**، ليبين تفرد الله وألوهيته المطلقة. كما يبيّن الله أن أمره قائم على الحق، وأنه **أعدل الحاكمين**، فلا ظلام في حكمه.

وتختم السورة بالدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾، ليكون التذكير بالاستقامة والتقوى واللجوء إلى رحمة الله هو خاتمة الطريق.

الرسالة : النهاية والفلاح ليست لمن كثر عدده أو قوته، بل لمن صدق توحيده، وخشع قلبه، وامتثل أمر ربه بصدق وإخلاص.

تقدّم سورة المؤمنون رؤية متكاملة لمعالم الفوز الحقيقي والنجاة، حيث ترتبط **الإيمان والعمل بالنتيجة النهائية.**

- في **الإيمان**، يظهر الخشوع، والأمانة، والطهارة، والمحافظة على الصلاة، ووراثة الفردوس لمن التزم بهذه الصفات.
- أما **العقيدة**، فتتجسد في الإيمان بالبعث، ووحدانية الله، وقدرة الخالق على كل شيء.
- من **السيرة**، يُستفاد أن جميع الرسل دعوا أقوامهم، وغالبًا ما كُذّبوا، لتكون التجربة البشرية متكررة عبر الأزمان.
- **السنن** الإلهية تظهر في أن الدعوة تواجه تكذيبًا دائمًا، ما يختبر صدق الداعين.
- أما **الفتن**، فتتمثل في الشبهات والغرور والإعراض عن الحق.

- وفـي **المـآل**، الله يحكـم بـالحق ويـورّث الجنـة للمـؤمنين، موضـحًا أن الفـلاح مـرتبط بالاستقامة والصدق في التوحيد والعمل الصالح.

الربط مع سورة الحج:

في البناء القرآني، كل سورة تضيف بعدًا يكمّل المسار العام للرسالة:

- **سورة الحج** تركز على **بناء الأمة واستحقاق التمكين** من خلال الشعائر والتقوى، لتؤسس هوية جماعية متصلة بالعبادة والواجبات الشرعية.
- **سورة المؤمنون** تحدد **الصفات العملية للفرد المؤمن** التي تجعله يستحق الجنة، موضحة أن الهوية الحقيقية للأمة تتجلّى في **السلوك والعمل الصالح** وليس في الأسماء أو المنابر فقط.

الحج يمثل الهوية الجماعية للأمة في الشعائر، والمؤمنون يمثل الهوية العملية في السلوك والعمل الفردي والجماعي.

للتأمل الذاتي

يمكن للقارئ أن يراجع نفسه بأسئلة صادقة لتقييم مدى التزامه بالإيمان العملي والصفات التي تحدد الفوز والنجاة:

- هل تنطبق عليَّ **صفات المؤمنين** المذكورة في بداية السورة؟
- ما مدى **خشوعي في الصلاة** والتزامي بها بإخلاص؟
- هل أحفظ **عهدي وأمانتي** في كل أموري؟
- هل أتجنب **اللغو والهوى** الذي يبعدني عن الحق؟
- هل أقف عند **حدود الله** في الجوارح والقلب، محافظًا على الطهارة والصدق في السلوك؟

هذه المراجعة تساعد على **ضبط النفس والالتزام العملي بالإيمان**، وتجعل الهوية القرآنية للمؤمنين واقعًا ملموسًا في حياتنا اليومية.

خاتمة

رسمت **سورة المؤمنون** خارطة الطريق إلى الفردوس، حيث بدأت بتوصيف الناجين الذين يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح، وانتهت بتثبيتهم في **طريق الحق المستقيم**، رغم تكذيب المكذبين واستكبار الجاحدين.

إنها **سورة الإيمان العملي، والوراثة الروحية، والمفاصلة بين من يعبد الله حقًّا ومن يعبد هواه**، لتوضح أن النجاح والفلاح الحقيقيان مرتبطان بالاستقامة والعمل الصادق.﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾-﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾).

سورة النور

الاسم والدلالة:

سُميت سورة النور [1] لأنها تتوسطها **آية النور** العظيمة التي تصف الله بأنه **نور السماوات والأرض**، وترمز إلى أن السورة كلها تمثل **مشروع الأنوار الأخلاقية والاجتماعية** التي تحمي المجتمع وتعمل على بنائه وصيانته.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى **إقامة مجتمع الطهر والحياء والانضباط**، من خلال وضع **ضوابط العلاقات الأسرية والاجتماعية**، وحماية الأعراض، وترسيخ قيم الإيمان، والمراقبة الذاتية، لتكون قاعدة قوية لمجتمع قائم على الحق والعدل والتقوى.

تتوزع **سورة النور** في بنية موضوعية متسلسلة تركز على بناء مجتمع الطهر والانضباط:

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة النور لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، ببيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد، ولتضمنها الآية المشرقة وهي قوله تعالى: {اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} [٣٥] أي منورهما، فبنوره أضاءت السموات والأرض، وبنوره اهتدى الحيارى والضالون إلى طريقهم." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج1ص118.

- في الآيات 1–3، **التقديم للمنهج الرباني**، حيث تُفرض السورة وتُحذر من الزنا، لتوضح أساس حماية المجتمع من الفساد.
- في الآيات 4–10، **حد القذف والتثبت من الأخبار**، لإرساء مبدأ صون الأعراض وإقامة البيّنة عند الاتهام.
- في الآيات 11–20، **حادثة الإفك وعبرها**، كدرس عملي حول الشائعات والفتن، وأثرها على الأفراد والمجتمع.
- في الآيات 21–31، **ضوابط الاستئذان واللباس**، لإظهار أدب العفة والحياء في الحياة اليومية.
- في الآيات 32–40، **آية النور وأثر الإيمان**، حيث يُبيّن نور القلب والإيمان والعفة كركائز أساسية للنجاة الروحية والاجتماعية.
- في الآيات 41–57، **هيمنة الله ووجوب الطاعة**، مؤكدة على الحياء والخضوع لحدود الله في كل شؤون الحياة.
- في الآيات 58–61، **آداب الدخول والاستئذان**، لضمان حماية الخصوصية وضبط الدخول في البيوت والمجتمع.
- في الآيات 62–64، **الختام بالتوجيه الشامل**، موضحًا الانضباط والاستئذان والمراقبة الدائمة لله كأساس لتنظيم العلاقات الاجتماعية.
- **(الآيات 1–3): مقدمة المنهج – الطهر فريضة**

تبدأ السورة بتقديم **المنهج الرباني للأخلاق العامة**: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾، ثم تتناول أحكام الزنا وعقوبته المحددة بمائة جلدة، مع التأكيد على عدم التهاون في تطبيق العدالة الأخلاقية.

الرسالة الجوهرية: الطهر في الإسلام فريضة لا اختيار فيها، فالرحمة لا مجال لها حين تضعف العدالة الأخلاقية ويُهدد المجتمع بالفساد والانحلال.

(الآيات 4–10): القذف والاتهام – صون الأعراض

تناقش هذه الآيات **حماية الأعراض والسمعة**، حيث يُحدد العقاب لمن رمى محصنة بلا أربعة شهداء بثمانين جلدة، وتسقط عدالته في المجتمع، كما يُعرض الأزواج لعقوبة **اللعان** عند غياب البيّنة لإثبات الحق.

الرسالة الجوهرية: العرض في الإسلام مقدّس، ولا يُمس إلا بأدلة وبينة صارمة، ليحافظ المجتمع على الطهارة والعدالة.

- **(الآيات 11–20): حادثة الإفك – درس في التعامل مع الشائعات**

تتناول هذه الآيات **حادثة الإفك على السيدة عائشة رضي الله عنها**، حيث انطلقت الشائعة وشارك فيها بعض الصحابة بجهالة، حتى نزل **البراءة والتوضيح من فوق سبع سماوات** لتصحيح الوضع وكشف الحقيقة.

الرسالة الجوهرية: في زمن الفتن، لا تكن مروجًا للشائعات، بل كُن متبصّرًا، موزونًا بين الظن والخبر، القول والسكوت، الفتنة والتثبّت قبل البث أو التفاعل.

(الآيات 21–31): دروس العفاف واللباس والاستئذان

توضح هذه الآيات **ضوابط العفة والحياء** في المجتمع:

- **لا تتبعوا خطوات الشيطان** في الفساد والتمرد.
- من **لا يستأذن** قبل الدخول، لا يُسمح له بالدخول.
- **غض البصر** واجب على كل مسلم ومسلمة.
- **الحياء في الملبس** يمثل منهجًا ثابتًا لحماية الفرد والمجتمع.

الرسالة الجوهرية: لا يُبنى المجتمع بنصوص العقوبات فقط، بل بضوابط السلوك اليومي والتربية الهادئة التي ترسخ القيم وتحمِي الأعراض.

(الآيات 32–40): آية النور – مدار السورة الروحي

تتوسط السورة **آية النور العظيمة**:﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ، موضحة أن النور الإلهي يشمل كل شيء:

- **النور** يمثل الوحي والهداية.
- **المكان** هو المساجد، حيث يُجمع الناس على العبادة والتزكية.
- **القلوب المضيئة** هي التي لا تُلهيها تجارة ولا بيع عن الحق.
- المقابل هو **القلوب المظلمة**، العاجزة عن البصر الروحي والتمييز بين الحق والباطل.

الرسالة الجوهرية: النور الذي يضيء المجتمعات ليس ماديًا، بل هو الإيمان، العفة، الوحي، والعمل الصالح، وهو أساس صيانة الفرد والمجتمع.

(الآيات 41–57): الله نور الكون... والمؤمنون أهل الطاعة

تؤكد هذه الآيات أن **كل ما في السماوات والأرض يسبّح لله**، وأنه **الخالق لكل دابة وكائن حي**. كما يأمر الله بطاعة الرسول ﷺ ويحض على الالتزام بمنهجه، محذرًا من مخالفة أوامره وحدوده.

الرسالة الجوهرية: الطهر الفردي والاجتماعي لا يتحقق إلا بطاعة القيادة النبوية والخضوع لمنهج السماء، فهو الأساس لاستقامة المجتمع والمحافظة على القيم الأخلاقية.

(الآيات 58–61): الاستئذان حتى داخل البيت – أدب الخصوصية

توضح هذه الآيات **آداب الدخول والاستئذان في البيوت**، حيث يُطلب من الأطفال الاستئذان في أوقات العورة الثلاث: قبل الفجر، وقت الظهيرة، وبعد العشاء، لضمان **حفظ الخصوصية واحترام حدود الآخرين.**

الرسالة : الطهر يبدأ من البيت، ومن التعليم المبكر، ومن احترام الخصوصيات، ليكون المجتمع متماسكًا ومتزنًا أخلاقيًا.

(الآيات 62–64): ختام السورة – مراقبة الله في الخصوص والعام

تختتم السورة بالتأكيد على **أدب المجلس مع النبي ﷺ، والاستئذان عند الخروج، وعدم خيانة الله والرسول.** وتذكّر أن الله يعلم كل ما يُسرّ ويُعلن من أفعال وأقوال.

الرسالة : الطهر والحماية الاجتماعية لا يتحققان بالقوانين وحدها، بل بمراقبة الله في السر والعلن، والالتزام بالقيم والأدب في كل لحظة من الحياة.

خلاصة تفسير سورة النور

تقدّم سورة النور رؤية متكاملة لبناء **مجتمع الطهر والانضباط:**

- في **الطهر**، تُوضّح السورة أن الزنا كبيرة، والشائعات فتنة، والحشمة عفّة وطهارة تحمي المجتمع والفرد.
- في **القيم**، يتم التركيز على الحياء، والتثبت، والأدب، والعفة كأساس للتفاعل الاجتماعي.
- في **الأسرة**، تظهر أهمية الاستئذان، وحفظ الخصوصية، والرقابة الأسرية لضمان التربية الصحيحة.
- في **الإيمان**، يكون النور في القلب ليظهر في السلوك والتصرفات اليومية.
- في **النظام الاجتماعي**، يتم تحقيق الطاعة، والانضباط، واحترام القيادة النبوية، لضمان تماسك المجتمع.
- في **العقوبة**، تُقدَّم حماية العرض والأعراض على كل اعتبار، لتكون قاعدة لضبط السلوك وحفظ حقوق الناس.

الربط مع ما قبلها

في البناء القرآني، تكمل كل سورة الأخرى لتوضيح معالم الحياة الصالحة:

- **سورة المؤمنون** تركز على **صفات أهل الإيمان** في القلب والسلوك الفردي، موضحة كيف يُحقّق المؤمن الفوز والفلاح.

- **سورة النور** تنتقل إلى **ضوابط السلوك الاجتماعي** لحماية الإيمان في المجتمع، من خلال قواعد العفة والحياء والاستئذان واحترام الخصوصيات.

المؤمنون تمثل إيمان القلب والسلوك الفردي، بينما النور تمثل السلوك الاجتماعي والضوابط الناظمة للعيش الجماعي.

للتأمل الذاتي

يمكن أن يستخدم المؤمن هذه الأسئلة لمراجعة نفسه بصدق:

- هل **غضضت بصري** اليوم عن ما يلهيني عن الطاعة؟
- هل **راعيت حدود الله** في الحديث عن الآخرين، وتجنبت القذف والشائعات؟
- هل **أستأذن عند الدخول** إلى البيوت، وهل أعلّم أولادي آداب الاستئذان واحترام الخصوصيات؟
- هل حياتي مشحونة بـ "**نور**" **الطاعة والإيمان** الذي يظهر في السلوك، أم في "**ظلمات**" **الهوى والانشغال بالهواتف والملذات الزائلة؟**

هذه المراجعة اليومية تساعد على ضبط النفس، وترسيخ الطهارة الشخصية والاجتماعية، وتجسيد نور الإيمان في كل تفاصيل الحياة.

خاتمة

سورة النور ليست مجرد **قانون جنائي**، بل تمثل **مشروع مجتمع رباني نقي**، يربط بين العناصر الأساسية لبناء الحياة الصالحة: الإيمان، الحياء، الأسرة، الطاعة، والإحسان. إنها تذكير دائم بأن **نور الله هو المنهج والضوء الذي يضيء القلوب والمجتمعات:** ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

سورة الفرقان

الاسم والدلالة: سُمّيت "الفرقان" لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾،[1] والفرقان هو **ما يفرّق بين الحق والباطل**، والنور والظلام، والهداية والضلال، فالاسم يحمل دلالة حاسمة: أن هذا القرآن ليس مجرد كتاب، بل **معيار فاصل** يُحدّد المواقف، ويميز الصفوف، ويكشف الحقائق.

هي سورة **المعيار**: معيار الفكر، والسلوك، والانتماء.

المقصد العام للسورة:

إثبات أن القرآن هو المرجع الأعلى للتمييز بين الحق والباطل، وكشف شبهات المكذبين، وبيان صفات عباد الرحمن كنموذج عملي للنجاة، مع عرض مآلات الفريقين في الدنيا والآخرة.

البنية الموضوعية لسورة الفرقان

المحور الأول: إثبات مصدرية القرآن والرد على الشبهات (1–20)

تبدأ السورة بتقرير أن القرآن هو **الفرقان المنزل من الله**، ثم تعرض شبهات المكذبين حول الوحي والرسول ﷺ، وتفنّدها، مؤكدة أن الرسالة امتداد لسنن الأنبياء، وأن الاعتراضات ليست جديدة بل هي تكرار لمواقف سابقة.

المحور الثاني: موقف المكذبين ومصيرهم (21–34)

تكشف السورة عن **عقلية الاستكبار** عند الكافرين، وطلبهم رؤية الملائكة أو لقاء الله، وتبين مآلهم يوم القيامة، حيث يُساقون إلى العذاب جزاء تكذيبهم وإعراضهم عن الحق.

---

[1] قال القاسمي:" قال المهايمي: سميت بالفرقان لاشتمالها على أنه ظهر كثرة خيرات الحق بالفرقان، الذي هو التمييز بين الحق والباطل. والأظهر أنه لذكره فيها بمعانيه الآتية المتسع لها اللفظ لا خصوص ما ذكره، وآياتها سبع وسبعون." محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، ج7ص415.

المحور الثالث: عظمة القرآن ومنهج التعامل معه (35–44)

تُظهر السورة أن القرآن نزل **منجّمًا لحكمة**، لتثبيت القلوب، وأن الإعراض عنه هو سبب الضلال، وتصف حال من **اتخذ هواه إلهًا**، فصار أسيرًا لرغباته لا للوحي.

المحور الرابع: دلائل القدرة في الكون (45–62)

تنتقل السورة إلى عرض **آيات الله في الكون:** الظل، الليل والنهار، الرياح، المطر... لتؤكد أن الذي أبدع هذا الكون قادر على البعث والحساب، وأن هذه الآيات تذكير دائم للقلوب.

المحور الخامس: صفات عباد الرحمن (63–77)

تختم السورة برسم نموذج **الإنسان القرآني الكامل:** عباد الرحمن، بصفاتهم الإيمانية والأخلاقية: التواضع، الحلم، القيام، الإنفاق، العفة، الصبر... لتكون هذه الصفات معيار النجاة الحقيقي.

(1–20): القرآن فرقان... وشبهات المكذبين

- تنزيل القرآن من الله ليكون **معيارًا فاصلًا بين الحق والباطل.**
- طعن المكذبين في الوحي والرسول ﷺ: قالوا أساطير، وقالوا يعلمه بشر.
- الرد القرآني: الرسالة امتداد لسنن الأنبياء، والبشرية لا تنفي النبوة.

الرسالة الاستراتيجية:

الطعن في الوحي ليس جديدًا... بل هو سلوك متكرر عبر التاريخ.

والقرآن يثبت أنه **المرجع الأعلى الذي يكشف الشبهات ويفضحها.**

(21–34): استكبار المكذبين... ومصيرهم

- طلبوا رؤية الملائكة ولقاء الله تعنتًا لا طلبًا للحق.
- يُحشرون يوم القيامة إلى جهنم **شر مكانًا وأضل سبيلًا.**
- يُعرضون على النار في مشهد ذلٍّ كامل.

الرسالة الاستراتيجية:

الاستكبار عن الحق لا يؤدي إلى العلم... بل إلى الهلاك.

ومن اشترط شروطًا على الهداية... حُرمها.

(35–44): القرآن منهج... والهوى إله خفي

- نزل القرآن مفرقًا **لتثبيت القلوب وبناء الوعي.**
- حال المعرضين: كأنهم لا يسمعون ولا يعقلون.
- أخطر انحراف: **اتخاذ الهوى إلهًا.**

الرسالة الاستراتيجية:

القرآن ليس معلومات... بل منهج بناء تدريجي.

وأخطر عبودية هي **عبودية الهوى حين تُلبس لبوس العقل أو الحرية.**

(45–62): آيات الكون... دعوة للتفكر

- الظل، الليل، النوم، النهار، الرياح، المطر...
- كلّها دلائل على **قدرة الله وحكمته وتدبيره.**

الرسالة الاستراتيجية:

الكون كتاب مفتوح، يذكّر الإنسان بخالقه في كل لحظة.

ومن لم يتفكر في الآيات... عاش غافلًا ولو رأى كل شيء.

(63–77): عباد الرحمن... النموذج القرآني الكامل

- يمشون على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا.
- يقومون الليل، يخافون الآخرة، ينفقون باعتدال.
- لا يشركون، لا يقتلون، لا يزنون، يتوبون، يصبرون.

- يختمون بدعاء: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

النجاة ليست ادعاءً... بل **بناء متكامل للشخصية الإيمانية.**

وعباد الرحمن هم **ثمرة الفرقان:** من اهتدى به، صار منهم.

خلاصة تفسير سورة الفرقان:

الفرقان: القرآن هو **المعيار الحاسم** الذي يفرّق بين الحق والباطل، فلا هداية بدونه.

الشبهات: الطعن في الوحي سُنّة المكذبين، لكنها **تسقط أمام وضوح القرآن وثباته.**

الهوى: أخطر أنواع الانحراف هو **اتخاذ الهوى إلهًا**، لأنه يُضلّ مع شعور زائف بالحق.

الكون: آيات الله في الكون **أدلة مستمرة على قدرته**، ودعوة دائمة للتفكر والإيمان.

المصير: المكذبون إلى الهلاك، والمتقون إلى النجاة، **والفصل بينهما حتمي.**

النموذج: عباد الرحمن هم **الصورة العملية للإنسان القرآني**، يجمعون بين العقيدة والسلوك والأخلاق.

للتأمل الذاتي:

سورة الفرقان تدعوك إلى أن تسأل نفسك بصدق: ما هو معياري في الحكم على الأمور؟ أهو الوحي أم الهوى؟ هل أتعامل مع القرآن كمرجع حيّ يوجّه قراراتي، أم ككلام أقرؤه دون أثر؟ هل فيّ شيء من صفات عباد الرحمن، أم أنني ما زلت أسير ردود الفعل والغفلة؟ وهل أملك الشجاعة لأترك ما يخالف الحق حين يتبين لي، أم أبحث عن مبررات للبقاء عليه؟

الربط مع ما قبلها وما بعدها في البناء القرآني المتكامل

تأتي سورة الفرقان بعد سورة النور في سياق قرآني بالغ الدقة؛ فبعد أن تولّت سورة النور بناء المجتمع من حيث طهارة السلوك الظاهر وضبط العلاقات والأخلاق العامة، جاءت سورة الفرقان لتكمّل هذا البناء من الداخل، فتنتقل الإنسان من مجرد الانضباط الظاهري إلى امتلاك الميزان الباطني الذي يفرّق به بين الحق والباطل. فالنور أقام سياج العفة والنقاء، والفرقان وضع في يد هذا المجتمع معيارًا فكريًا وعقديًا يحميه من الانحراف والشبهات، حتى لا ينهار من داخله بعد أن استقام ظاهره، ثم تتلوها سورة الشعراء لتجسّد هذا الميزان في الواقع، حيث تعرض نماذج تاريخية لصراع الحق والباطل، وتُري القارئ كيف يُطبَّق الفرقان في ميادين الدعوة والمواجهة، وكيف تكون عاقبة الاختيار بين الهداية والضلال. فكأن الفرقان يضع القاعدة، والشعراء يعرض التطبيق، ليكتمل البناء بين تطهير السلوك، وتصحيح الميزان، واختبار الثبات في واقع الحياة.

خاتمة:

سـورة الفرقـان ترسـم الطريـق بوضـوح:
هناك حق وباطل، نور وظلام، هداية وضلال... ولا منطقة رمادية في الميزان الإلهي.

وتعلن أن النجاة ليست بالانتماء ولا بالشعارات، بل بالتحول الحقيقي إلى عبدٍ للرحمن، يحمل الفرقان في قلبه، ويترجمه سلوكًا في حياته.

فإمـا أن يكـون القـرآن فرقانـك فـي الحيـاة...
أو تكون ضحية الفرقان يوم القيامة.

سورة الشعراء

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "الشعراء"[1] ليس لمجرد ذكرهم، بل لتوضيح الفاصل بين

---

[1] قال الهرري:" واسمها سورة الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه يسمي كل سورة ببعض ما فيها من الكلمات". محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج20ص145.

الوحي الإلهي والوهم البشري، وبين النبي والشاعر، وبين الدعوة الصادقة والزيف المضلل، وذُكر الشعراء في خاتمة السورة ليكون تذكيرًا بفاصل واضح ونهائي بين وحي السماء وتهويمات أهل الهوى.

المقصد العام للسورة:

تقدم السورة عرضًا لموكب الرسالات السماوية في مواجهة الطغيان والجبروت، مبينة صمود الرسل وإصرارهم على الحق، مع تكذيب المستكبرين والمتمردين، ومؤكدة أن القرآن وحي رباني لا يشبه شعر الشعراء، وأن النصر والجزاء محصور للرسل الصادقين لا للطغاة والمتجبرين.

البنية الموضوعية للسورة:

التمهيد للتحدي القرآني (الآيات 1–9)

تبدأ السورة بالتمهيد لتحدي القرآن، مُذكرة للناس ببلاغة الوحي وقدرته على الإرشاد، مع الإشارة إلى أن أكثر الناس معرضون عن الحق رغم الوعد الإلهي.

قصة موسى مع فرعون (الآيات 10–68)

تُعرض السورة نموذج الصراع بين الحق والطغيان من خلال قصة موسى مع فرعون، مبينة صمود موسى، وكذب الطغيان، وعاقبة المكذبين من بني إسرائيل والمستكبرين.

مواكب الأنبياء (الآيات 69–191)

تستعرض السورة سير الأنبياء السابقين: نوح، هود، صالح، لوط، وشعيب، لتكون عبرة للأمم ولتأكيد أن الصراع بين الرسل والطغاة قد تكرر عبر العصور، وأن النصر للحق لا للظالمين.

اتهامات الكفار للنبي ﷺ (الآيات 192–209)

تعرض السورة بعض الاتهامات التي وُجهت إلى النبي ﷺ من قبل الكفار: شاعر،

كاهن، مجنون... لتفنيدها ولإظهار أن الرسالة ليست من نسج الخيال البشري، بل وحي رباني صادق.

موقف المكذبين في كل عصر (الآيات 210–223)

توضح السورة أن المكذبين في كل عصر كانوا يرفضون الوحي، متبعين الشيطان، ومعتقدين أن القرآن ليس إلا كلمات بشرية، بينما الحقيقة أن الشياطين لا يقدرون على النزول بهذا الوحي.

المفاصلة مع الشعراء (الآيات 224–227)

تختم السورة بتحديد الفاصل بين الشعراء الذين يمارسون الزيف والإيهام، وبين القرآن الذي هو وحي الله الحق، لتكون نهاية تأكيدية على تميز الرسالة الإلهية وصدقية النبي ﷺ.

1–9: التمهيد للتحدي القرآني – القرآن تذكرة، ولكن الإعراض سائد

تبدأ السورة بالآيات:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣...﴾

الرسالة:

صدق الرسالة لا يُقاس بعدد الأتباع أو استجابة الجماهير، بل بوضوح الحجة الإلهية، وصبر الداعية على التحدي، وثباته على موقفه، مع اليقين بأن الحق سيظهر مهما طال الإعراض والرفض.

10–68: موسى وفرعون – الصراع الأبدي

تتجلى في هذه الآيات نموذج المواجهة بين الحق والطغيان: ينزل الأمر الإلهي لموسى بأن يذهب إلى فرعون، حاملاً الحجة الواضحة، ويصطحب معه بني إسرائيل. تبدأ المواجهة بين موسى وفرعون، مع تحدي السحر من جانب الطاغية، ثم يظهر الانتصار

الحق على الباطل، فينجو موسى ومن معه بنعمة الله، بينما يغرق فرعون وجنوده، ليكون ذلك درسًا خالدًا لكل أجيال الصراع بين الرسل والمستكبرين.

الرسالة:

الطغيان مهما علا لن يدوم أمام الثبات، والتوكل على الله، ووضوح الحجة، فالحق ينتصر على الباطل مهما كانت قوة الظالم.

69–191: مواكب الأنبياء – ذات الموقف تتكرر النهاية

تستعرض السورة قصص الأنبياء كنوح، هود، صالح، لوط، وشعيب، لتبيّن أن الصراع بين الرسل والطغاة يتكرر عبر العصور، وأن النهاية دائمًا واحدة: حق ونجاة للرسل والصالحين، وهلاك للمستكبرين.

نوح عليه السلام واجه تكذيب قومه، فأنجاه الله ومن معه، وهود دعا قومه إلى الحق مستنكرًا عبثهم، وقال لهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾؟، وصالح حذر قومه قائلاً: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾﴾. لوط أنجاه الله وأهله جميعًا إلا عجوزًا، وشعيب دعى قومه إلى العدل قائلاً: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ ".

تنتهي كل هذه القصص بنفس الرسالة الإلهية: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾.

الرسالة:

التاريخ يتكرر، والصراع بين الحق والباطل يتجدد، لكن العبرة لمن يقرأ بوعي وبصيرة، لا بعين الغفلة، فالنجاة لمن اهتدى والدرس لمن تأمل في آيات الله.

192–209: هذا وحي رباني... لا شعر ولا سحر

تؤكد هذه الآيات أن القرآن نزل بوحي من الروح الأمين على قلب النبي ﷺ، بلغة عربية واضحة، لتكون رسالة صادقة لا لبس فيها.

لا يقرأه الشياطين، ولا يصنعه الشعراء، فهو بعيد عن التدبير البشري والزيف الأدبي.

الرسالة:

الوحي هو صوت السماء، لا يمكن مقارنته بكلام البشر، فهو هدى وبيان، وصدق يتجاوز كل محاولات التشويه أو التقليد.

210–223: الشياطين لا تتنزل بهذا

توضح هذه الآيات أن الشياطين لا تتنزل بالوحي، ولا تصدق الحقيقة، بل تهيم مع كل كاذب أثيم، فالقرآن نزل على قلب طاهر صادق رحيم، محافظًا على صفاء الرسالة وصدقها.

الرسالة:

من يطلب الحق ويريد النجاة، فعليه التمسك بالوحي، والابتعاد عن الوساوس والظنون والتخرصات البشرية، فالوحي هو السبيل الأكيد إلى الهداية.

224–227: المفاصلة الأخيرة – الشعراء في واد... والوحي في واد

تختم السورة بتحديد الفاصل النهائي بين الشعراء والنبي ﷺ: الشعراء يتسمون بالتقلب والمبالغات والتناقض، بينما النبي ﷺ يحمل الصدق والوضوح والثبات. يتبعهم الضالون في كل واد، ولكن استُثني من ذلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهم جزء من الأمة الصالحة.

الرسالة:

الإسلام لا يُعادِي الشعر ذاته، بل يعادي تضليل المشاعر والانحراف عن الحق، مؤكدًا أن الوحي طريق مستقيم للصدق والهدى، لا مكان فيه للزيف والتهويم.

خلاصة تفسير سورة الشعراء

العقيدة:

الوحي حق من الله تعالى، لا كلام شاعر أو كاهن، وهو المصدر الأسمى للهداية والصدق، متميز عن كل قول بشري.

التاريخ:

قصص الرسل تقدم العبرة لكل أجيال: صبرهم على التكذيب، مواجهتهم للطغيان، ونجاتهم برحمة الله، بينما يهلك المكذبون والمستكبرون.

السنن:

الاستكبار ورفض الحق متكرر عبر العصور، لكن النصر حتمي لمن تمسك بالحق والثبات على طريقه.

الأدب والفكر:

الشعر والفكر البشري إذا لم يُقَيَّد بالحق، يتحول إلى ضلال، ويصبح وسيلة للغواية بدل الهداية.

دعوة الداعية:

على الداعية أن يثبت ولا يحزن لقلة المستجيبين، فصدق الحجة وثبات الموقف أهم من عدد المتبعين.

منهج المفاصلة:

السورة ترسخ فرقانًا واضحًا بين الوحي والهوى، بين الثبات والتقلب، وبين الحق والباطل، لتكون هداية للعارفين وبصيرة لمن تأمل في آيات الله.

الربط مع ما قبلها

في السياق البنائي للقرآن، تُبرز سورة الشعراء دورها في توضيح **الفرقان** و **تمييز الحق عن الباطل** على مستويين:

الفرقــان: يعبّـر عـن التمييـز الـداخلي بـين الحـق والباطـل داخـل الفـرد؛ فـي العقيـدة والشخصية، ليصبح الفرد حاملاً للضوء والهداية في نفسه ومبادئه.

الشعراء: يمثل الجانب الخارجي للتمييز، أي المواجهة الدعوية مع الطغيان والضلال في المجتمع؛ فكما يثبت القرآن للرسول ﷺ الوحي والصدق، يواجه بذلك الشعراء وأهل الغواية، ويكون دعوة صادقة لتصحيح المسار الجمعي.

بهذا، تتحقق في السورة رسالة مزدوجة: **الفرقان كهويـة فرديـة حاملـة للنـور، والشـعراء كدعوة نبوية تواجه الظلام،** مؤكدة توازن البناء القرآني بين الإصلاح الداخلي والخطاب العام للمجتمع.

للتأمل الذاتي

هل أقتنع بالحق وأتمسك به، حتى لو كان أصحابه قلة، أم أبحث عن الرضا الجماهيري؟

عندما أواجه الطغيان أو الظلم، هل أرجع خائفًا، أم أصمد كما صمد الرسل؟

هل أتأثر بما يقوله الشعراء والمضلّون، أم أتمسك بالهداية الصادرة عن "الروح الأمين"؟

ما هو **الفرقان** الذي أزن به كل ما أسمعه وأراه، والذي يميّز الحق عن الباطل في قلبي وسلوكي؟

هذه الأسئلة توجه كل مؤمن إلى محاسبة ذاته، وتدعوه لتثبيت قلبه على الحق، ورفع صوته بالحكمة، والثبات في مواجهة الفتن والتحديات.

خاتمة

سورة الشعراء ترسخ سنن الدعوة في مواجهة الجبابرة، وتشعّ الثقة في سبيل الأنبياء، وتحذر من الزيف مهما زخرف. إنها سورة الإصرار على الطريق، وتذكير بأن النصر ليس فورياً، لكنه حتمي لمن ثبت على الحق وأخلص في دعوته.

تختم السورة بتأكيد مصدر الرسالة وصدقها: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾)، لتبقى هدايةً ودليلاً لكل من يطلب الحق ويعتصم به.

سورة النمل

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "النمل"[1] لورود قصة النملة الذكية التي تحدثت بلغة التحذير والعقل، مظهرة بديهة المخلوقات الدقيقة التي خلقها الله، وذكرها يسلط الضوء على جانب من التمكين الذي منح الله لسليمان عليه السلام، حيث فهم لغة النمل واستوعب معانيها، فكانت علامة على التوافق بين العقل والوحي، والفهم الدقيق لسنن الخلق.

المقصد العام للسورة:
تسعى السورة إلى بيان تكامل النبوة والعقل والعلم في مواجهة الطغيان والكفر والكبر، مؤكدة أن الهدى الإلهي لا يتنافى مع الحضارة والعمران، وأن أعظم أشكال التمكين هو التمكين بالوحي، بما يحقق عدل الله وحكمته في الأرض.

هذه السورة تمثل نموذجًا فريدًا لتلاقي العقل بالنبوة، واليقين بالإبداع الحضاري، وجعلت من قصص الأنبياء، وخاصة سليمان والنملة، دليلًا حيًا على حكمة الله في الخلق وإدارة شؤون الكون.

البنية الموضوعية لسورة النمل

---

[1] قال جعفر شرف الدين: "وسميت بسورة النمل، لاشتمالها على مناظرة النمل مع سليمان ، الواردة في قوله تعالى: حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ". جعفر شرف الدين ،**الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، مرجع سابق، ج6ص171.

التمهيد بالقرآن والهدى (الآيات 1–6)

تبدأ السورة بتقديم القرآن هدى وبشارة للمؤمنين، مبيّنة أن الرسالة الإلهية هي نور يهدي القلوب ويثبت النفوس على الطريق المستقيم.

قصة موسى والفرعون (الآيات 7–14)

تُعرض مواجهة موسى مع فرعون كنموذج للصراع بين الطغيان والوحي، حيث يتضح صمود الرسل أمام المستكبرين، وضرورة الثبات على الحق مهما كانت قوة الخصم.

دلائل القدرة وأحوال المكذبين (الآيات 15–44)

تتجلى في هذه الآيات دلائل القدرة الإلهية في قصص سليمان وملكة سبأ (بلقيس)[1]، حيث يتقاطع العقل مع الوحي، وتُظهر الآيات أن النصر الحقيقي يأتي من الفهم والحكمة الممزوجة بالإيمان.

قصص صالح ولوط (الآيات 45–58)

تعرض السورة تمرد الأقوام على الرسل، وسنن الهلاك التي تحيط بالمكذبين والمستكبرين، لتكون عبرة للأمم القادمة ولتأكيد عدل الله في الأرض.

مشاهد يوم القيامة (الآيات 59–66)

تقدّم السورة مشاهد من يوم القيامة، موضحة قدرة الله المطلقة في الملك والسيادة، مقابل عجز الذين لا يملكون شيئًا عن مواجهة الحق.

[1] قال سبط بن الجوزي:" وقال عكرمة: بِلْقِيس بنت شراحيل بن ذي جَدَن.، وقال قتادة: بلْقِيس لقب لها، واسمها: بلقمة بنت ذي شرح، وقيل: بنت الشيصبان، وقيل: اسمها ليلى. وحكى أبو القاسم في "تاريخ دمشق" عن الحسن أنَّ سَبَأ مدينة باليمَن، وبِلْقِيس من حِميَر بنت شرحبيل، قال: وقال الحسن البصري أيضًا: أنَّ ملكة سبا اسمها ليلى". شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه] محمد بركات، وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م،ج2ص215.

النبـــــــــــــــوة والقـــــــــــــــرآن (الآيـــــــــــــــات 67–93)

تثبت هذه الآيات حقيقة البعث وصدق الرسالة، وتؤكد ضرورة الانقياد للقرآن، مستعرضة أن طاعة الله واتباع رسله هما السبيل للنجاة والفلاح.

1–6: الافتتاحية – القرآن فرقان وهدى

تبدأ السورة بالآية:﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ ، مؤكدة أن القرآن هو الفرقان بين الحق والباطل، وهدى وبشارة للمؤمنين. أما الكافرون، فلا يسمعون الحق، ولا يعقلون، ولا يهتدون، فتظل قلوبهم مغلقة عن بصيرة الوحي.

الرسالة:

الهداية لا تعني مجرد قبول الرسالة، بل تتطلب تفعيل العقل والتفكر في ضوء الوحي، ليصبح الإنسان قادرًا على التمييز بين الحق والباطل وفهم الغاية من الرسالة الإلهية.

7–14: موسى ، فرعون – إرهاص التحدي

تستعرض هذه الآيات بداية المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون، حيث يتكلم موسى مع الله، ويُعطى الآيات التي تحمل الحجة الواضحة، بينما يصر فرعون على الاستكبار والكفر والعناد، رافضًا الحق رغم وضوحه.

الرسالة:

ليس كل من كفر جاهلًا؛ فبعضهم يعلم الحق ويجحده عن كِبر واستكبار، مبرزًا أن الاستعلاء على الوحي دليل على العناد والطغيان، لا على معرفة الحق.

15–44: التمكين بسليمان، والحكمة مع بلقيس

مشهد 1: سليمان والعلم

ورث سليمان عليه السلام ملك داوود وفهم لغة الطير، حتى سمع صوت النملة الصغيرة، فابتسم لما فيه من حكمة وتحذير.

هذا المشهد يبرز انسجام العقل بالوحي، وحرص النبوة على الاستفادة من أدق مخلوقات الله ودلالاتها.

الرسالة:

النبوة لا تنفصل عن العلم، فالإنسان المتمكن بالوحي يتعلم أن يصغي لكل مخلوق، حتى "صوت النملة"، ليستوعب دروس الله في الكون ويعمل بها بحكمة وعدل.

مشهد 2: الهدهد والمعلومة الجديدة

أخبر الهدهد سليمان عليه السلام بما رصده من أخبار بلاد سبأ:﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾) هذه المعلومة كانت بمثابة كشف للوضع الروحي لأمة عظيمة، توضح التحدي الحقيقي الذي يواجه النبي في دعوته.

الرسالة:

لا مكان في أمة التوحيد للغفلة عن الشرك، مهما بدت الحضارة مبهرة أو السلطة عظيمة، فالحق الإلهي يسبق كل مظاهر العظمة البشرية.

مشهد 3: الحكمة في الدعوة

أرسل سليمان عليه السلام رسالة حكيمة وودودة لبلقيس: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾)[1]، فاستشارت بلقيس قومها، ثم ذهبت بنفسها للتحقق من الحق ومصدر الرسالة. هذا الأسلوب يعكس منهج الدعوة باللين والحكمة، بعيدًا عن الإكراه أو القسر.

[1] قال النسفي:" وأن في {ألاّ تعلوا} لا تترفعوا عليّ ولا تتكبروا كما تفعل الملوك مفسرة كقوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا يعني أي امشوا {وأتوني مسلمين} مؤمنين أو منقادين وكتب الأنبياء مبينة على الإيجاز والاختصار". أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، مرجع سابق،ج2ص603.

الرسالة:

الحكمة في الدعوة تُظهر الحق وتجذب العظماء إليه طوعًا، لا كرهاً، مؤكدًا أن تأثير الرسالة يزداد باللطف والإقناع والفهم لا بالقوة والتهديد.

مشهد 4: عرش بلقيس وتحويله

قبل أن تصل بلقيس إلى سليمان، أُحضر عرشها في لحظة بقدرة الله، فدخلت القصر ورأت العظمة والسلطان، فتقدمت وسلّمت لله بإيمان. هذا المشهد يبرز التمكين الإلهي الذي يربط بين القوة والحكمة والحق.

الرسالة:

التمكين الحقيقي هو إخضاع المادة وكل مظاهر القوة لخدمة الرسالة، أما القلوب فلا تُسلم بالقوة أو الإكراه، بل بالحق والنبوة، وبالأسلوب الذي يجمع بين الحكمة واللين.

45–58: صالح ولوط – الصراع مع الانحراف الأخلاقي

تستعرض هذه الآيات قصص قوم صالح ولوط، حيث اتسم قوم صالح بالمكر والتهديد والتكذيب للرسول، بينما قوم لوط غرقوا في الفاحشة العلنية والعناد والاستهزاء بالحق. كلتا الحالتين تبرز نتيجة الانحراف عن مبادئ الله.

الرسالة:

لا حضارة يمكن أن تستقيم في ظل فساد الأخلاق، ولا نجاة لأولئك الذين يستحلّون الكبائر، فالأخلاق هي أساس بناء الأمم والحضارات الصالحة.

59–66: تحدي الربوبية – من بيده ملكوت كل شيء؟

تطرح هذه الآيات سلسلة من الأسئلة الربانية لتذكير الناس بقدرة الله المطلقة: من خلق السماوات والأرض؟ من يُنزل المطر؟ من يُخرج الحي من الميت؟ وفي كل مرة، سيجيب المكذبون بقولهم "الله"، لكنهم لا يعبدونه حقًا ولا يخضعون لإرادته.

الرسالة:

الإقرار بالربوبية وحده لا يكفي، فلابد أن يقترن بالعبودية والطاعة والتوحيد الكامل لله، فالإيمان الحق يجمع بين الاعتراف بالقدرة وتنفيذ الإرادة.

67–93: إثبات البعث وتذكير بمآل المكذبين

تواجه هذه الآيات تساؤلات المكذبين بالبعث: قالوا مستهزئين: "أئذا كنا ترابًا؟"، ولا يعلمون موعد الساعة ولا حقيقة الحساب، لكن الله يوضح أن الحق سيظهر يوم القيامة، وسيعلم كل مكذب مصيره وعاقبته.

الرسالة:

الغفلة عن البعث تعني الغفلة عن المصير الحقيقي للإنسان، والقرآن هو البلاغ المبين الذي يزيل كل عذر، ليعلم كل إنسان حقائق الحياة والموت والجزاء، فلا يضل أحد بجهل أو تهرب من المسؤولية.

خلاصة تفسير سورة النمل

الوحي والعقل:

القرآن نور يهدي الإنسان، ولا يتعارض مع العقل بل يُنيره ويفتح آفاق الفهم والحكمة.

النبوة والتمكين:

أعظم أشكال التمكين هو تمكين الرسالة والعدل، كما يظهر في قصة سليمان عليه السلام، حيث يتجلى التوازن بين القوة والحكمة والخضوع للوحي.

الحوار والدعوة:

بلقيس تمثل نموذج المستجيب للحكمة، الذي يراجع الحق بعقلانية ويستجيب للرسالة طوعًا، مؤكدة أثر الدعوة باللين والفهم.

القيادة النبوية:

سليمان عليه السلام يظهر قائدًا حكيمًا وعبدًا شاكرًا لله، يجمع بين العبادة والعمل والتخطيط الواعي، نموذجًا للقيادة الرشيدة في ضوء الوحي.

السنن الاجتماعية:

الشرك والكبر والفجور هي طرق الهلاك، فالأمم التي تغفل عن الحق تتحمل العواقب، كما في قصص الأقوام المكذبة.

يوم القيامة:

هو الحقيقة التي تغفل عنها العقول المنغمسَة في الدنيا، ويُذكر الإنسان بالمصير النهائي، مؤكدًا على ضرورة الطاعة والوعي بالحق.

الربط مع ما قبلها

في البناء القرآني، تكمل سورة النمل ما بدأته سورة الشعراء من إبراز دور الرسالة الإلهية في توجيه البشرية. ففي سورة الشعراء، كان التركيز على ثبات الرسل في مواجهة الطغيان، ومواجهة الزيف والضلال، حيث تُبرز المواجهة والتحدي كعنصر أساسي للرسالة.

أما سورة النمل، فتعرض النبوة مقرونة بالعقل والتمكين، وتوضح كيفية توظيف الحكمة والعلم والوحي في الدعوة، مع التأكيد على تأثير الحق في النفوس والمجتمعات.

بهذا يكتمل المشهد القرآني بين المواجهة والتحدي، كما في الشعراء، وبين التمكين بالحكمة والعلم، كما في النمل، ليظهر التوازن بين الصمود أمام الطغاة وفهم الرسالة والعمل بها بحكمة وذكاء.

للتأمل الذاتي

هل أستخدم العلم والمعرفة لخدمة الحق ونشر الخير، أم أستغلها لمجد نفسي وكرسي مؤقت؟

هل دعوتي تُبنى على الحكمة واللين، كما كانت دعوة سليمان عليه السلام، أم بالعنف والإكراه؟

هل لدي يقين بالبعث والآخرة يجعلني أرتب حياتي وأفعالي وفق ما يرضي الله، أم أعيش بلا حساب؟

هل أستشير، أستمع، وأبصر الحق كما فعلت بلقيس، أم أغفل عن الفهم وأتسرع في الأحكام؟

هذه الأسئلة توجه المؤمن لمراجعة نفسه، وتذكّره بأهمية الدمج بين العلم والحكمة واليقين، لتكون حياته وسلوكه انعكاسًا للحق الإلهي.

خاتمة

سورة النمل تمثل ذروة التناغم بين الحضارة والنبوة، بين بديهة الهدهد ودهاء النملة، وبين حكمة النبي سليمان وعقل ملكة سبأ. إنها تذكرنا بأن الإيمان إذا اجتمع مع العلم والحكمة والتمكين، فإنه يفتح الأرض والقلوب، ويجعل الرسالة تنطلق بسلطان من عند الله، لا بقوة بشرية أو سحر.

سورة القصص

الاسم والدلالة:

سُمّيت السورة بـ "القصص"[1] لاحتوائها على القصة المركزية لموسى عليه السلام، وما تتضمنه من تفاصيل دقيقة ومسارات مفصلية، تُبرز أسلوب "القصّ الرباني المحكم". هذه القصص لا تُروى للتسلية، بل لتعليم الناس سنن الله في النصر والتمكين، وإظهار الحكمة الإلهية في إدارة الشؤون والابتلاءات.

المقصد العام للسورة:

تركز السورة على بيان سنن الابتلاء والتمكين خلال مسيرة موسى عليه السلام، مؤكدة أن التمكين الحقيقي بيد الله تعالى، ويأتي من حيث لا يُتوقع، وأن الرسالة لا تُورّث بالمال أو الجاه، بل بالصدق والإيمان والتفاني في طاعة الله، لتكون العبرة لكل الأجيال في الثبات على الحق والصبر على الابتلاءات.

البنية الموضوعية لسورة القصص

تمهيد وتنزيل القرآن (الآيات 1–6)

تبدأ السورة بالتمهيد للقصص والقرآن، مؤكدة أن القصص حق، وأن نهاية الطغاة والمستكبرين حتمية، لتكون عبرة لكل من يغفل عن سنن الله في الأرض.

ميلاد موسى إلى خروجه (الآيات 7–21)

تتتبع السورة تدبير الله في حياة موسى عليه السلام منذ ميلاده، مرورًا بخروجه من مصر، مبيّنة كيف يحيط الله بالأنبياء بعنايته في كل لحظة، حتى يظهر الحق وينتصر المؤمنون.

---

[1] قال القاسمي:" سميت به لاشتمالها على قوله تعالى: فَلَمَّا جاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ [القصص: ٢٥] ، الدالة على أن من هرب من مكان الأعداء، إلى مكان الأنبياء اعتبارا بقصصهم الدالة على نجاة الهاربين، وهلاك الباقين بمكان الأعداء- أمن من الهلاك. وهذا أيضا من أعظم مقاصد القرآن، مع اشتمالها على ما لا يشتمل عليه غيرها من أنباء موسى، أفاده المهايميّ". محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، **محاسن التأويل**، مرجع سابق،ج7ص513.

من مدين إلى الوحي (الآيات 22–46)

تسرد السورة مرحلة موسى في مدين، ونفيه عن مصر، وصولًا إلى البعثة والوحي، لتوضح انتقاله من مرحلة الابتلاء إلى مرحلة النبوة، وتأكيد أن التمكين ليس نتيجة جهد بشري فحسب بل بتقدير الله.

تكذيب قريش بالقرآن (الآيات 47–59)

تتطرق الآيات إلى موقف المكذبين من القرآن والرسالة، مبينة استحقاق العذاب لمن جحد الحق وأعرض عن الهداية، مع التذكير بحكمة الله في تحقيق العبرة.

قارون نموذج الغرور المالي (الآيات 76–82)

تقدم السورة نموذج قارون الذي أغرّه الغنى، ليُظهر أن الثروة لا تُغني عن الإيمان ولا تضمن النجاة، وأن التمكين الحقيقي هو في طاعة الله والاعتماد عليه.

ختام تأصيلي للنبوة (الآيات 83–88)

تختم السورة بتأكيد أن الرسالة هي هبة من الله لا مكافأة للجاه أو المال، وأن النبوة والتوجيه الإلهي حق لكل مؤمن مخلص، لتكون العبرة النهائية في التمسك بالحق والثبات على طاعة الله.

6-1: وعد بتمكين المستضعفين

تبدأ السورة بتقديم نبأ موسى وفرعون بالحق، موجهًا لقوم مؤمنين، مبينًا أن فرعون طغى واستكبر، وسعى لإخماد نسل بني إسرائيل. في مقابل ذلك، جاء وعد الله للمستضعفين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ ...﴾، ليؤكد أن النصر لا يبدأ بخطط البشر ولا بقوتهم، بل بوعد رباني من عند الله تعالى.

الرسالة:

النصر الحقيقي يبدأ بالوعد الإلهي والاعتماد على حكمة الله، وليس بالمكر أو القوة البشرية، فالثقة بالتمكين الإلهي أساس الثبات والصبر على الابتلاء.

7–21: مشاهد التدبير الخفي – من المهد إلى المدينة

في هذه الآيات، يظهر تدبير الله الخفي في حياة موسى عليه السلام: أمر الله أم موسى أن تُلقيه في اليم، فالتقطه آل فرعون وتربى في قصر العدو، ثم حدث قتل خطأً، فخرج موسى خائفًا يترقّب، متنقّلًا بين الابتلاءات الصغيرة والكبيرة.

الرسالة:

تدبير الله يجري تحت ستار الأحداث العادية، فلا شيء يحدث عبثًا، والله يُربّي عبده ويهيئه لكل مرحلة من مراحل الرسالة، حتى يقدر على مواجهة ما هو أعظم من التحديات والابتلاءات.

22–46: النفي، الزواج، ثم النبوة

تصل موسى عليه السلام إلى مدين، ويسقي للمرأتين، فيُكرم بزواجه من إحدى المرأتين، ثم يتوجه إلى وادي طوى حيث يُكلم الله لأول مرة ويبدأ رحلة النبوة. هذه المراحل تبرز كيف يربط الله بين الابتلاءات والتمكين، ويهيئ عباده للرسالة.

الرسالة:

من الخوف إلى الأمان، ومن الفقر إلى الزواج، ومن الغربة إلى الوحي، كلها مراحل في خطة الله الحكيمة، تُظهر أن كل خطوة في حياة المؤمن مرتبطة بتدبير إلهي يهيئه للمهام الكبرى.

47–59: لا عذر لمكذب

توضح هذه الآيات أن قوم النبي ﷺ يكذبون كما كذبت الأمم السابقة، وأن الله لا يهلك القرى إلا بعد إرسال الرسل وإبلاغهم بالحق، وقد بين الله للناس أن القرآن حق، لكنه رغم ذلك يُعرض عنه كثير منهم.

الرسالة:

من لم يهتدِ بالنور الإلهي فقد آثر العمى عن الحق، وليس له حجة بعد أن جاءه البيان الواضح والدليل القاطع.

76–82: قارون... فتنة المال والتكبر

أُوتي قارون كنوزًا عظيمة تفوق طاقة العصبة، فاغتر بها وأعرض عن النصيحة، ولم يذعن للتحذير الإلهي. فجاءه جزاء الله، فخسف به وبداره الأرض، ليكون عبرة لمن يفتن بالمال ويتكبر.

الرسالة:

المال نعمة إذا كان في يد مؤمن، يعينه على الخير والطاعة، ونقمة إذا ملأ قلب متكبر، فجعله سببًا للغرور والبعد عن الحق، مذكّرة بأن التمكين الحقيقي هو طاعة الله لا الغنى والجاه.

83–88: الختام – من يستحق العاقبة؟

تختم السورة بتوضيح أن دار الآخرة مهيأة للذين لا يطلبون العلو في الأرض ولا يفسدون فيها، فالرسالة ليست للمتكبرين، بل للضعفاء المخلصين الصادقين في إيمانهم وتفانيهم.

الرسالة:

العلو الحقيقي هو الإيمان والتقوى، لا السلطان أو الغنى، والتمكين الحقيقي هو وعد من الله، لا نتاج مجهود فردي أو طموح بشري، ليكون التقدير والنجاح في الدنيا والآخرة مرتبطًا بالصدق والحق.

خلاصة تفسير سورة القصص

التربيـــــــــــــــة الإلهيـــــــــــــــة:

موسى عليه السلام يُربّى في أحلك الظروف ليكون حاملًا للرسالة، ويظهر كيف يهيئ الله عباده للمهام الكبرى من خلال الابتلاءات الصغيرة والكبيرة.

ســـــــــــــنن النصـــــــــــــــر:

التمكين يبدأ من الابتلاء، ولا يُمنح فجأة، فالنجاح والتمكين مرتبطان بصبر المؤمن وثباته على الحق.

القصـــــــــــــص القرآنـــــــــــــي:

القصص ليست للتسلية، بل لتأصيل السنن الإلهية، وتثبيت القلوب على الإيمان، وفهم حكم الله في النصر والهلاك.

قـــــــــــــريش والقـــــــــــــرآن:

تكذيبهم للرسالة امتداد لخط الكفر التاريخي، يوضح كيف يستمر المكذبون رغم الأدلة والبرهان الواضح.

فتنـــــــــــــة المـــــــــــــال:

قارون نموذج يتكرر عبر العصور؛ فالمال إذا لم يُسخّر في طاعة الله وخدمة الحق، يصبح نقمة ويُخسر صاحبه.

الخاتمـــــــــــــة التربويـــــــــــــة:

لا دار للمتكبرين، والرسالة لا تُشترى بالجاه أو المال، بل تُمنح لمن صدق في إيمانه وصدق في التمسك بالحق، مؤكدة أن التمكين الحقيقي هبة إلهية لا نتيجة جهود بشرية بحتة.

الربط مع ما قبلها

في البناء القرآني، تكمل سورة القصص ما قدمته سورة النمل من إبراز التمكين الإلهي، لكنها تضيف بعدًا جديدًا:

في النمل، يظهر التمكين المشهود بالعلم والنبوة والحكمة، أما في القصص، فيُبيّن أن التمكين يبدأ بالابتلاء والصبر على المحن، وينتهي بالنصر والتمكين الحقيقي لمن صدق في إيمانه وتمسك بالحق.

بهذا يكتمل المشهد القرآني بين التمكين المشهود بالقدرة والحكمة، كما في النمل، وبين الطريق الطويل نحو التمكين والنجاح الإلهي، كما في القصص، موضحًا أن الصبر والثبات والصدق أسس العبور إلى النصر والتمكين.

للتأمل الذاتي

هل أرى في المحن تدبير الله وحكمته، أم أعتبرها مجرد ألم ومصائب؟

هل أطمئن إلى أن الله يُدبر أمري، حتى وإن لم أفهم كيف تجري الأمور؟

هل أتعامل مع المال كوسيلة لخدمة الحق والرسالة، أم أصبح غاية بحد ذاته، يلهيني عن الطاعة؟

هل سلوكي في الحياة يعكس التواضع والابتعاد عن طلب العلو والفساد في الأرض، أم أبحث عن الجاه والسلطة؟

هذه الأسئلة تدعونا لمراجعة علاقتنا بالابتلاء، والنعم، والحق، لتكون حياتنا انعكاسًا للثقة بالله والصدق في العبادة والعمل.

خاتمة

سورة القصص تمثل مدرسة تربوية للأنبياء والدعاة، تعلم أن النصر لا يُولد جاهزًا، بل يُصاغ عبر الابتلاءات والصبر، وأن التمكين الحقيقي يأتي من وراء الجدران، وفي غياهب المحن، وبأدوات لا يُدركها البشر.

تختم السورة بتأكيد وعد الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، وهو وعد ليس للنبي ﷺ وحده، بل لكل من سار على طريق الحق، ملتزمًا بالصدق والإيمان، ثابتًا في مواجهة التحديات، متوكلًا على الله في كل مرحلة من حياته.

سورة العنكبوت

الاســــــــــــــــــــم والدلالـــــــــــــــــــــة:

سُمّيت السورة بـ "العنكبوت" [1] لاحتوائها على المثل الرباني الذي يوضّح ضعف الباطل رغـــم زخرفتـــه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾. المثل يبين أن ظاهر الباطل قد يبدو جميلًا ومنظمًا، لكنه أوهن البيوت وأسرعها انهيارًا أمام الحق.

المقصـــــــــــــــد العـــــــــــــــام للســـــــــــــــورة:

تركز السورة على تثبيت المؤمنين في وجه الفتنة والاضطهاد، موضحة أن الابتلاء سنة إيمانية لتجربة الإيمان، وأن الباطل مهما بدا قويًا فهو هش، وأن الإيمان الحقيقي لا يُعرف إلا بالتمييز والاختبار والتجربة، ليصقل روح المؤمن ويثبت قلبه على الحق.

البنية الموضوعية لسورة العنكبوت

[1] قال الفيروزآبادي:" سمِّيت سورة العنكبوت؛ لتكرُّر ذكره فيه {كَمَثَلِ العنكبوت اتخذت بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ البيوت لَبَيْتُ العنكبوت} ". مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مرجع سابق،ج1ص359.

الابتلاء سنة الإيمان (الآيات 1–11)

تبدأ السورة بتوضيح أن الابتلاء سنة الله في حياة البشر: أَحسب الناس أنهم يُتركوا دون اختبار؟ فالامتحان والفتن جزء من تثبيت الإيمان وبيان صدق المؤمن.

تجارب الأنبياء (الآيات 12–40)

تستعرض السورة تجارب الأنبياء كنوح وإبراهيم ولوط وغيرهم، مبينة كيف واجهوا الاضطهاد والتكذيب، وكيف ثبتوا على الحق رغم صعوبة المحن، لتكون عبرة للمؤمنين على مر العصور.

أمثلة على سنن الهلاك (الآيات 41–44)

تُبرز هذه الآيات أمثلة على أقوام تكذّب الرسل، وتوضح أن الباطل هش وضعيف، كما في مثل العنكبوت، مهما بدا ظاهر القوة أو الزينة، فهو سريع الانهيار أمام الحق.

دعوة النبي وصبره (الآيات 45–60)

تُبين السورة صبر النبي ﷺ ودعوته المستمرة، وكيف يُعد الوحي سلاح الصابرين والمتمسكين بالحق في مواجهة المكذبين والمستكبرين، مؤكدة على ضرورة الصبر والثبات.

التوحيد والاعتماد على الله (الآيات 61–69)

تختم السورة بالتأكيد على أن الثقة واليقين بالله، والاعتماد عليه في كل شأن، هو السبيل الحقيقي للنجاة، وأن التمسك بالتوحيد يمنح المؤمن قوة لمواجهة كل فتنة وابتلاء.

1–11: لا إيمان بدون ابتلاء

تبدأ السورة بتوضيح أن الابتلاء جزء لا يتجزأ من الإيمان:﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾. فالابتلاء يكشف صدق الإيمان ويفضح النفاق، ويميز بين المؤمنين الذين يرجون الله والمقلدين الذين يكتفون بالقول بلا تجربة.

الرسالة:

من أراد الجنة بلا ابتلاء، فقد غفل عن سنن الأنبياء، فالثبات على الحق تحت الضيق والفتن هو معيار الصدق في الإيمان.

41–44: مثل العنكبوت – الباطل خادع لكنه واهٍ

توضح هذه الآيات مثال العنكبوت، حيث ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾. ظاهر خيوط العنكبوت يبدو جميلًا ومنظّمًا، لكنه أضعف البيوت، لا يحمي ولا يُسند[1].

الرسالة:

الباطل مهما بدا مزينًا وجذابًا، فهو هش ولا يصمد أمام الحق والحقيقة، فالمظاهر الخادعة لا تنفع أمام سنن الله الثابتة.

45–60: القرآن طريق الثبات

توجه هذه الآيات المؤمنين إلى التمسك بالوحي: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾...﴾. الذكر، والصلاة، والقرآن تمنح المؤمن حصانة من الانهيار النفسي والاضطراب، وتذكّره أن الرزق بيد الله، فلا يدفعه الخوف إلى موالاة الباطل أو الانحراف عن الحق.

---

[1] قال الطيبي:" فأَصبحتُ من ليلى الغَداةَ كقابضٍ ... على الماءِ خانَتْهُ فُروجُ الأَصابعِ
ولمّا كانت حالُ الآلهةِ التي جَعلَها الكُفّارُ أندادًا لله لا حالَ أحقَرَ منها وأقلَّ، جُعل بيتُ العنكبوتِ مثلاً لها في الضَّعْفِ والوَهْنِ، وفي هذا التَّقرير إشارةٌ إلى تقدير مضافٍ في كلام المصنِّفِ عند المُشبَّه؛ أي: تَشبيه حالِ ما اتَّخذوه مُتَّكلاً، وعند المشبَّهِ به؛ أي: بحال ما هو مَثَلٌ عند الناسِ، وذِكْرُ المَثَلَينِ في التَّنزيل أيضًا يُوجبُ هذا الإضمارَ". شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**، مرجع سابق،ج12ص172.

الرســـالة:

من اعتصم بالوحي والإيمان، ثبت عند الزلزلة، وأصبح صامدًا أمام الفتن والابتلاءات مهما اشتدت الظروف.

61–69: خاتمة توحيدية تربط الثقة بالعمل

توضح هذه الآيات كيف أن الناس قد يقرّون أن الله خالق الكون، ثم يشركون به، مضللين أنفسهم عن الحق. في المقابل، الله يدعو المؤمنين إلى الإيمان الصادق والعمل الصالح، ويعد المجاهدين في سبيله بالهداية إلى طرق النصر والتمكين.

الرسالة:

الحق يتجلى في التوازن بين الإيمان الصادق، والجهاد في سبيل الله، والتوكل عليه، والبداية الحقيقية لكل نجاح هي صدق الإيمان وثبات القلب أمام عواصف الابتلاء.

خلاصة تفسير سورة العنكبوت

الابتلاء:

سنة الله في حياة البشر لا مفر منها، وهو غَربال للقلوب يكشف الصادق من المظاهر، ويصقل الإيمان بالتمحيص والاختبار.

التاريخ:

كل نبي ابتُلي في مسيرة الرسالة، ومن ثبت على الحق نجا، لتكون قصص الأنبياء عبرة للمؤمنين عبر الأزمان.

العقل والإيمان:

من يتفكر ويعقل يدرك أن الشرك أوهن من بيت العنكبوت، مهما بدا الباطل مزينًا وجذابًا، فلا قوة له أمام الحق.

السلوك الإيماني:

الثبات على الحق لا يتحقق إلا بالذكر، والصلاة، والتمسك بالوحي، ليصبح القلب حصينًا أمام الابتلاءات.

الموقف العملي:

الصدق في الإيمان يثمر جهادًا وصبرًا وثقة بالله، ويقود المؤمن إلى طريق النصر والتمكين، مثبتًا أن العمل المتوازن مع الإيمان هو أساس الثبات في الحياة والفتن.

الربط مع ما قبلها

في البناء القرآني، تكمل سورة العنكبوت ما بدأته سورة القصص من إبراز سنن التمكين، لكنها تضيف بعدًا نوعيًا: في القصص، نرى التمكين التاريخي الذي يبدأ من المحن والابتلاءات، أما في العنكبوت، فيبرز الابتلاء كمعيار للتمحيص والفرز الحقيقي للمؤمنين، موضحًا شروط النجاة الإيمانية.

بهذا يظهر التكامل بين الدروس التاريخية للتمكين وبين اختبار الإيمان في الواقع، فتتضح صورة الطريق الذي يسلكه المؤمن نحو الثبات والنصر: الصبر، والثبات، والاعتصام بالوحي، والصدق في الإيمان.

للتأمل الذاتي

هل إيماني متين بما يكفي ليصمد أمام لحظة ابتلاء شديدة، أم أضعف من أن يتحمل الفتنة؟

هل أراجع نفسي عند مواجهة الشدائد، أم أنزعج وأفرّ إلى الدنيا والهوى؟

هل أعقل سنن الله وأميز الحق من الباطل، أم أُخدع ببريق الزخارف الكاذبة والظاهر الخادع؟

هل أعي حقًا أن الدنيا دار عبور وليست دار جزاء، وأرتب حياتي على هذا الوعي واليقين؟

هذه الأسئلة تدعونا لمراجعة صدق الإيمان، والثبات تحت الابتلاء، وفهم حقيقة الحياة، ليصبح سلوكنا انعكاسًا لإيمان راسخ وتوكل مطلق على الله.

خاتمة

سورة العنكبوت تصنع من المؤمن شخصية صلبة وواعية وصابرة، لا يغريه زخرف الباطل، ولا تهزه أعاصير الابتلاء، وتعلمك أن الإيمان ليس مجرد كلمات، بل مواقف تُختبر وقت الفتنة، وثبات يظهر عند الاضطراب، وعقل يميز الحق من الزيف.

وتؤكد السورة وعد الله للجادين في سبيله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾، لتكون درب الثبات والهداية مفتوحًا لكل من استقام على الحق بالإيمان والعمل والتوكل.

سورة الروم

الاسم والدلالة : سُمّيت هذه السورة بـ **سورة الروم**[1] استلهامًا من مطلعها الذي يقرر حقيقة تاريخية كبرى: هزيمة الروم ثم غلبتهم بعد ذلك بسنين، ولم يكن هذا الخبر مجرد سردٍ لواقعة سياسية، بل كان حدثًا ذا دلالة عقدية؛ إذ كانت الروم أمةً من أهل الكتاب، في مقابل الفرس أهل الشرك، فجاء الوعد بانتصارهم بشارةً للمؤمنين، وتثبيتًا لقلوبهم في مرحلة اشتداد الفتنة وضعف الاستضعاف.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الروم لافتتاحها بخبر غلبة الروم، والإخبار عن نصرهم بعدئذ في بضع سنين، وتلك إحدى معجزات القرآن العظيم بالإخبار عن المغيبات في المستقبل ووقوع الشيء كما أخبر به". وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج21ص42.

ويحمل اسم السورة في طياته إشارة عميقة إلى أن التحولات الكبرى في العالم لا تجري عبثًا، وأن الصراع بين الحق والباطل لا ينقطع، لكنه يتحرك ضمن سنن إلهية محكمة، تتبدل فيها الموازين، وتتغير فيها المواقع، دون أن يختل الميزان الرباني العادل.

المقصد العام للسورة، فيتجلى في تقرير أن قيام الحضارات وسقوطها، وتقلب الأحوال بين قوة وضعف، ونصر وهزيمة، إنما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان والعمل الصالح، وبمدى انسجام الإنسان مع سنن الله في الكون والتاريخ. فالإيمان ليس انعزالًا عن الواقع، بل هو القراءة الصحيحة لمسار التاريخ، وفهم حركة الكون، واستشراف المصير، في ضوء الوحي والهداية الربانية.

البنية الموضوعية لسورة الروم

تنتظم سورة الروم في بناء محكم تتدرج فيه المعاني من الحدث التاريخي الجزئي إلى السنن الكونية الكلية، ثم تعود بالإنسان إلى مسؤوليته الإيمانية ومصيره النهائي.

تفتتح السورة بالإخبار عن نبوءة غيبية قلبت موازين التوقعات البشرية؛ هزيمة الروم لم تكن نهاية المطاف، بل مقدمة لغلبة قادمة، وفي هذا الوعد فرحٌ للمؤمنين وتثبيت لليقين بأن الأمر كله بيد الله، وأن ما يبدو هزيمة اليوم قد يكون نصر الغد.

ثم تنتقل السورة إلى توسيع أفق النظر، فترسخ سنن الكون والتاريخ، وتدعو الإنسان إلى التأمل في تقلبات الحياة والموت، والليل والنهار، والضعف والقوة، لتقرر أن هذه التحولات ليست عشوائية، بل خاضعة لنظام رباني دقيق، وأن من يعمى عن هذه السنن إنما يجهل حقيقة الوجود.

وفي سياق هذا البيان، تحذر السورة من الشرك، وتبسط أدلة التوحيد في الخلق والنشأة، فتربط بين وحدة الخالق ووحدة النظام الكوني، وتؤكد أن الانحراف العقدي هو أصل كل اضطراب في الفهم والسلوك.

ثم تعود السورة إلى محور الاستقامة، فتدعو إلى الثبات على فطرة الله، والالتزام بالوحي، وتحذر من الفساد الذي يظهر في البر والبحر حين ينفصل الإنسان عن منهج ربه، ليكون ذلك الفساد رسالة إنذار قبل فوات الأوان.

وتُختم السورة بتقرير مآلات الطريقين: طريق التوحيد وطريق الإعراض، من خلال الدعوة إلى السير في الأرض والنظر في مصير الأمم السابقة، تأكيدًا أن الجزاء آتٍ لا محالة، وأن العاقبة إنما تكون لمن ثبت على الإيمان، وصبر على الحق، وأحسن العمل.

وهكذا تتكامل سورة الروم في رسم رؤية إيمانية شاملة: من التاريخ إلى الكون، ومن العقيدة إلى السلوك، ومن الدنيا المتقلبة إلى الآخرة المستقرة.

نبوءة قرآنية وانتصار إيماني 1-7

تفتتح سورة الروم بمشهد عالميّ بالغ الدلالة، حين تعلن هزيمة الروم في أدنى الأرض، في لحظة تاريخية كان ميزان القوة فيها يميل بوضوح إلى الفرس، حتى بدا انتصار الروم ضربًا من المستحيل في الحسابات البشرية. وفي ذروة هذا اليأس السياسي والعسكري، جاء القرآن بخبرٍ قاطع: أن هذه الهزيمة ليست خاتمة المطاف، وأن الغلبة ستعود إليهم في بضع سنين.

لم يكن هذا الخبر مجرد تحليل للأحداث، بل نبوءة غيبية محكمة، تحققت كما أخبر الوحي، فكان في تحققها برهان على صدق الرسالة، وتثبيت لقلوب المؤمنين، الذين فرحوا بانتصار أمةٍ تنتسب إلى كتاب سماوي، في مواجهة أمة وثنية، فكان الفرح هنا فرح عقيدة قبل أن يكون فرح سياسة.

وتؤسس هذه الآيات لقاعدة إيمانية كبرى، وهي أن حركة التاريخ لا تُدار بعشوائية، ولا تخضع لمجرد موازين القوة الظاهرة، بل تجري وفق سنن إلهية دقيقة، من أدركها لم يجزع عند الهزيمة، ولم يغتر عند النصر، بل استبشر بوعد الله، واطمأن إلى أن ما وراء الأحداث تدبيرًا أعلى وحكمة بالغة.

8-19: سنن التاريخ والعاقبة للمتقين

تنتقل السورة من خبرٍ غيبيّ عن تقلب موازين القوى، إلى دعوةٍ عميقة للتفكر في سنن الوجود والتاريخ، فتسأل سؤال تقريع وإيقاظ: أولم يتفكروا في أنفسهم؟ وهو سؤال لا يطلب جوابًا لفظيًا، بل يطالب بوعيٍ كونيّ شامل، يدرك أن هذا الخلق لم يُنشأ عبثًا، ولم يُترك سدى، وإنما قام على حق، وسار إلى أجل مسمى.

وفي هذا السياق، تُبرز الآيات حقيقة الحياة والموت، لا بوصفهما ظاهرتين طبيعيتين فحسب، بل باعتبارهما آيتين من آيات التدبير الإلهي، الذي يُحيي ويميت، ويُقلّب الأحوال، ليعلّم الإنسان أن بقاءه وقوته، كما زواله وضعفه، خاضعان لإرادة واحدة لا تُغالب.

ثم تُسدل السورة الستار على هذه السنن بحقيقة فاصلة، وهي أن العاقبة ليست رهينة التفوق المادي، ولا مرهونة بطول البقاء، وإنما هي وعدٌ إلهي للذين آمنوا، وصبروا، وقرأوا التاريخ بعين البصيرة لا بعين الغفلة.

وهكذا تقرر هذه الآيات أن مسار التاريخ ليس فوضى متراكمة، ولا حوادث متصادمة بلا معنى، بل هو حركة منتظمة بعدل إلهي، تتجه بالعالم، رغم اضطرابه، نحو غاية كبرى، يكون فيها النصر الأخير للحق، والخذلان الدائم للباطل.

20-27: التوحيد في الآفاق والأنفس

تفتح هذه الآيات نافذة واسعة على مشهد التوحيد، لا عبر الجدل النظري، بل من خلال قراءة هادئة عميقة في كتاب الكون والإنسان. تبدأ الدلالة من الداخل، من ذات الإنسان نفسها، حين جعل الله له من جنسه زوجًا يسكن إليها، وأودع بينهما المودة والرحمة، لتكون العلاقة الإنسانية الأولى شاهدًا حيًّا على القصد والحكمة، لا على المصادفة والعبث.

ثم يمتد النظر إلى الآفاق، حيث تتجلى وحدة الخالق في تنوع المخلوق؛ اختلاف الألسن والألوان، مع وحدة الأصل، آية قائمة على القدرة والتقدير. والبرق يخيف ويطمع، والنوم يسكّن الجوارح، والمطر يحيي الأرض بعد موتها، وكل مشهد من هذه المشاهد يعلن بلغة صامتة أن لهذا الكون ربًا يدبره بعلم وإحكام.

إنها آيات لا تخاطب السطح، بل تستنهض العقل والقلب معًا، لتقرر أن التوحيد ليس قفزة إيمانية عمياء، بل هو الاستجابة الطبيعية لعقل يتأمل، وقلب يعي، ونفس لا تُعرض عن هذا السيل المتدفق من الشواهد.

ومن لم ينقد قلبه لله أمام هذا البيان المتكرر في الأنفس والآفاق، فليس عجزه في الدليل، وإنما في تعطيل العقل عن وظيفته، وإغلاق البصيرة عن نورها.

28–41: الفطرة والفساد والرجوع إلى الله

تنتقل السورة هنا من عرض الآيات الكونية إلى مخاطبة العمق الإنساني، فتضع الإنسان وجهًا لوجه أمام فطرته الأولى. فالدين الذي يدعو إليه القرآن ليس طارئًا على النفس، ولا غريبًا عن الكيان، بل هو امتداد طبيعي للفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فطرة التوحيد، والاستقامة، والبحث عن العدل والمعنى.

غير أن الشرك لا يظهر إلا بوصفه تشويهًا لهذه الفطرة السليمة، وانحرافًا عن مسارها القويم. وحين ينفصل الإنسان عن خالقه، تختل موازينه الداخلية، فينعكس ذلك فسادًا في الواقع الخارجي. ولذلك يربط القرآن بوضوح بين الفساد في البر والبحر وبين ما كسبت أيدي الناس، ليقرر أن الأزمات الكبرى ليست حوادث طبيعية مجردة، بل نتائج أخلاقية وسلوكية قبل أن تكون كوارث مادية.

وتلك سنّة ماضية؛ فالحضارات لا تسقط فجأة، وإنما تبدأ بالانهيار من داخلها، يوم يُهمَل العدل، وتُستباح القيم، وتُقطع الصلة بالله. عندها يفقد الإنسان بوصلته، وتتحول القوة إلى طغيان، والعمران إلى خراب.

ومن هنا تأتي الدعوة الصريحة إلى الرجوع، لا بوصفه هروبًا من الواقع، بل عودة واعية إلى الأصل، إلى الفطرة التي بها تصلح القلوب، وتستقيم المجتمعات، وتُستأنف مسيرة الحياة على هدى من الله.

42–60: عِبرة التاريخ وسُنّة الانتظار واليقين

تختم السورة مسارها بنداء يوقظ الوعي التاريخي في النفس الإنسانية، فتدعو إلى السير في الأرض لا لمجرد الحركة، بل للنظر المتبصّر في مصائر الأمم السابقة. فالتاريخ في المنظور القرآني ليس سردًا لأحداث منتهية، وإنما سجلّ سنن حيّة، من قرأه بعين الاعتبار نجا، ومن أعرض عنه أعاد المأساة بيده.

لقد كان التكذيب طريقًا مطروقًا، سلكته أمم كثيرة حين واجهت الحق بالإنكار، والرسالات بالجحود. غير أن هذه السورة تقيم ميزانًا دقيقًا بين سنة التكذيب وسنة الصبر، لتقرر أن الصبر الواعي أقوى أثرًا وأبقى نتيجة، وأن الزمن لا يعمل لصالح الباطل وإن طال، بل يمهل ولا يهمل.

ويبلغ الخطاب ذروته حين يربط بين الصبر واليقين، فالنصر في المنظور الإيماني ليس انفجار لحظة، بل ثمرة مسار طويل من الثبات والثقة بوعد الله. ذلك الوعد الذي لا يتخلف، وإن بدا في أعين الناس متأخرًا، لأنه مرتبط بحكمة أعلى، وتقدير محكم، وسنن لا تحابي أحدًا.

وهكذا تُنهي السورة رسالتها بتقرير حاسم: من لم يتأمل مصائر من سبقه، ولم يقرأ التاريخ قراءة إيمانية واعية، عاش غافلًا، وكرّر أخطاء الهالكين، بينما المؤمن الحق يجعل من التاريخ نورًا، ومن الانتظار عبادة، ومن اليقين زادًا لا ينفد.

خلاصة تفسير سورة الروم

تقدّم سورة الروم رؤية قرآنية متكاملة لحركة التاريخ، وتؤكد أن النصر والهزيمة لا يخضعان للمصادفة ولا لتقلّب الحظوظ، وإنما يجريان وفق سنن إلهية ثابتة، تحكم مسار

الأمم كما تحكم مصائر الأفراد. فحين تُفهم هذه السنن، يتحوّل التاريخ من أخبار تُروى إلى قوانين تُدرك، ومن سردٍ جامد إلى بصيرة واعية.

وتربط السورة بين الإيمان والواقع ربطًا عميقًا، فتجعل الإيمان أداة قراءة صحيحة للأحداث، لا هروبًا منها. فالمؤمن لا يرى الوقائع سطحًا متحركًا فحسب، بل يدرك ما وراءها من حكم ومآلات، ويعي أن تقلب الأحوال رسالة بقدر ما هو ابتلاء.

ثم ترسّخ السورة حقيقة التوحيد، من خلال آيات مبثوثة في النفس والكون، تشهد بوحدانية الخالق شهادة لا يدفعها إلا كبر أو عناد، فالتوحيد ليس فكرة تجريدية، بل انسجام شامل مع نظام الوجود، ومعنى يفسّر الخلق والحياة والمصير.

وتُبرز السورة مفهوم الفطرة بوصفه الأصل الذي خُلق عليه الإنسان، وتجعل الإيمان عودة واعية إلى هذا الأصل، بينما تصوّر الشرك انحرافًا عن الجادة، وتمردًا على ما استقر في أعماق النفس من معرفة الله. ومن هنا يتصل البعد العقدي بالبُعد الحضاري اتصالًا وثيقًا.

فالفساد الذي يصيب المجتمعات ليس طارئًا بلا سبب، وإنما ثمرة ظلم الإنسان، وانقطاعه عن ميزان القيم، وتفككه عن العلاقة بالخالق. وحين يشيع الظلم وتُهدر الفطرة، تبدأ الحضارات في التآكل من الداخل، مهما بلغت من قوة أو ازدهار.

وتختم السورة دعوتها ببناء البصيرة الحضارية، فالسير في الأرض ليس انتقالًا بالأقدام فقط، بل انتقال بالعقول والقلوب، وتأمل في مصائر الأمم، ووعي بقوانين النهوض والسقوط. وهكذا تصوغ سورة الروم إنسانًا قارئًا للتاريخ، متصالحًا مع فطرته، واثقًا بسنن ربه، سائرًا في الحياة ببصيرة لا بعين غافلة.

الربط مع ما قبلها

تأتي سورة الروم امتدادًا بنائيًا عميقًا لما قررته سورة العنكبوت، ولكن مع انتقال واضح من الداخل النفسي إلى الأفق التاريخي الواسع.

ففي سورة العنكبوت كان الخطاب موجَّهًا إلى قلب المؤمن، يثبّته ساعة الفتنة، ويعلّمه أن الابتلاء سنة ماضية لتمييز الصادق من المدّعي، وأن الإيمان لا يُختبر إلا حين تُسحب أسباب الطمأنينة الظاهرة.

ثم تنتقل سورة الروم خطوة أبعد، لتضع هذا الابتلاء الفردي في سياقه الكوني والتاريخي، فتبيّن أن ما يجري للأمم من هزيمة أو نصر، ومن صعود أو أفول، ليس إلا امتدادًا لتلك السنن نفسها، ولكن على مستوى الحضارات. فكما يُمحَّص الأفراد بالفتن، تُمحَّص الأمم بتقلّب الأيام، وتُربّى الشعوب عبر دورات التاريخ.

وبذلك يتكامل البناء؛ فالعنكبوت ترسّخ أن الابتلاء هو ميزان الصدق الإيماني، بينما الروم تكشف أن التمكين ثمرة هذا الصدق حين يصمد عبر الزمن، وأن التاريخ نفسه يتحرك وفق قانون إيماني عادل، لا يحابي قوة ولا يغفل عن إيمان.

إنها نقلة من تربية القلب على الصبر، إلى تربية العقل على فهم السنن، ومن وعي الفتنة الآنية، إلى إدراك مسار التاريخ الطويل، حيث لا يضيع إيمان صادق، ولا يثبت باطل مهما طال أمده.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة الروم المؤمن إلى النظر بعينٍ نافذة في أحداث العالم، فلا يكتفي بمتابعة الأخبار كما لو كانت مجرد وقائع عابرة، بل يقرأها قراءة إيمانية، يدرك من خلالها سنن الله في التاريخ، ويتعلم كيف يُقاس النصر والهزيمة بالعدل الإلهي لا بموازين البشر.

ويحثّنا القرآن على أن يكون التحرك مدفوعًا بالعمل الصالح والتوكل، لا بالتمني الفارغ، فالتغيير الحقيقي يستدعي مشاركة الإنسان مع سنن الله، ليس كمتفرج، بل كفاعل مسؤول وواعٍ.

كما يُذكّر بأن الإيمان لا يكتمل إلا إذا كان متجذرًا في الفطرة، متناغمًا مع أصل الخلق، لا مجرد تقليد سطحي يزيّن الكلام دون أن يثمر مواقف وثباتًا.

وأخيرًا، يربط القرآن بين الرؤية الإيمانية والوعي الحضاري، ليعلّم أن من يعقل سنن الأمم السابقة ويستخلص منها العبر، ينجو من تكرار الأخطاء، ويصنع قرارًا واعيًا يقوده إلى الصواب، ويجعله قارئًا حكيمًا للتاريخ، لا تابعًا للأحداث بلا معنى.

خاتمة

سورة الروم تصوغ وعاءً معرفيًا متكاملاً لفهم السنن الإلهية في التاريخ والحضارات، وتربط بين الإيمان الفردي والسلوك العملي والمصائر الجماعية. تعلم أن قراءة التاريخ ليست مجرد متابعة للأحداث، بل تتطلب قلبًا يقيس المعاني، وعينًا تتمعن في السنن، وإيمانًا يربط الوقائع بوعد الله الثابت.

إنها دعوة للوعي العميق: أن نرى في صعود الأمم وهبوطها تجليات العدالة الإلهية، وأن نصنع من فهم السنن طريقًا للحكمة والعمل، فالنصر والهداية ليسا منحصرين في قوة أو حظ، بل في الانسجام مع إرادة الله وصدق الإيمان.

سورة لقمان

الاسم والدلالة

سُمّيت السورة بـ "لقمان"[1] نسبة إلى الحكيم الذي وهبه الله العلم والحكمة، فجعل وصاياه لابنه نموذجًا تربويًا خالدًا.

[1] قال طنطاوي:" سميت هذه السورة (سورة لقمان) بهذا الاسم لاشتمالها على موعظة لقمان عليه السلام التي تضمنت فضيلة الحكمة وسر معرفة الله وصفاته وذم الشرك، والأمر بمكارم الأخلاق، والنهي عن القبائح والمنكرات، وما تضمنته

هذه الوصايا تبني النفس على التوحيد والخُلق القويم، وتنمي العقل، وتعزز الخشية لله في كل تصرف.

ويرمز الاسم إلى أن الحكمة ليست حكرًا على النسب أو النبوة، بل هي ثمرة التقوى والصدق، فلقمان لم يكن نبيًا، ومع ذلك بلغ بالعلم والفطرة النقية مستوى راقٍ من التأصيل الروحي والأخلاقي، رغم محيطه الزاخر بزخرف المادة والغرور.

المقصد العام للسورة

تركز السورة على بناء الإنسان المسلم المتكامل، من خلال وصايا الحكمة التي تغطي أبعاد العقيدة والعبادة والخلق، وتربط بين التوازن السلوكي والوعي الروحي. كما تحذر من الغفلة والانجرار وراء زخارف الدنيا، موضحة أن السير على طريق الحكمة هو سبيل الاستقامة والنجاة، وأن الالتزام بالحق والثبات على القيم أساس لرشد النفس وإصلاح المجتمع.

البنية الموضوعية لسورة لقمان

تقدّم سورة لقمان بناءً متكاملاً يربط بين العقيدة والسلوك والوعي الإيماني، ويمكن تلخيص محاورها كالتالي:

القرآن هدى ورحمة (الآيات 1–5)

تبدأ السورة بالقرآن بوصفه هدى ورحمة للمؤمنين المهتدين، فتؤكد أن الوحي مصدر يقين وطمأنينة، وقاعدة لتثبيت النفس في الحق.

الغرور الدنيوي والتحذير منه (الآيات 6–11)

تحذر السورة من الانغماس في متاع الدنيا واللهو واللعب، مبينة أن ذلك يؤدي إلى الخسارة والفقد، وأن الانتباه إلى الحق واجب لكل مؤمن.

من الوصايا الثمينة»" عرفة بن طنطاوي ، **المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي**، الناشر: الشاملة، https://shamela.ws/book/756 ص:71.

وصايا لقمان الحكيم (الآيات 12–19)

تركز السورة على وصايا لقمان لابنه، التي تشمل التوحيد، وبر الوالدين، وضبط السلوك، والحذر من الغفلة. هذه الوصايا نموذج تربوي يربط بين العقل والخلق والخشية.

دلائل التوحيد في الكون (الآيات 20–27)

تستعرض السورة نعم الله وآياته في الكون، من الخلق إلى التقدير، لتكون دليلاً عمليًا على وحدانية الله وقدرته المطلقة، ولتعزز الإيمان بالفطرة والعقل معًا.

عظمة الله وعلمه (الآيات 28–34)

تختم السورة بالتأكيد على علم الله بالغيب، ومراقبته لأفعال الناس، مما يرسخ شعور المسؤولية الفردية ويقوي الإيمان بأن كل تصرف يُحسب، وأن الاستقامة طريق للنجاة والرضا الإلهي.

(1–5): مدخل قرآني – الهداية للمحسنين

تبدأ السورة بالقرآن بوصفه كتابًا حكيمًا يجمع بين الهداية والرحمة، موجّهًا بالأساس للمحسنين الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بالآخرة.

الرسالة:

الهداية الإلهية لا تتجلى إلا في من صدّق بالآخرة، وطهّر قلبه، وجعل عمله موافقًا للإيمان، فالمسلك الحق يتطلب استعداد القلب لتلقي النور والالتزام بالحق.

(6–11): تحذير من الغرور الدنيوي

تحذر السورة من الانغماس في اللهو والملهيات التي تلهي عن ذكر الله، فتبعد عن سبيل الهداية. وتوضح أن من يعرض عن الذكر ويتبع زخارف الدنيا، يجرّ على نفسه الخسارة والفقد. كما تشير إلى أن الكون كله آيات شاهدة على قدرة الله وعظمته، فلا يحق للإنسان أن يغفل عن الحق ويغتر بالمتاع الزائل.

الرسالة:

الغفلة تبدأ بالتسلية الزائفة، وتنتهي بالإعراض التام عن الوحي، فالمتعة الدنياوية دون وعي إيماني تقود إلى الانحراف والخسران.

(12–19): وصايا لقمان لابنه – مدرسة الحكمة

تركز هذه الآيات على الوصايا التي قدمها لقمان لابنه، لتكون نموذجًا متكاملاً للحكمة في بناء النفس والمجتمع:

التوحيـــد أولًا

أمر لقمان ابنه بعدم الشرك بالله، لأن الشرك أصل كل انحراف وظلم، وهو النقطة الجوهرية في تربية النفس على الحق.

البــــــــــــــــــــــر بالوالـــــــــــــــــــــدين

بين ضرورة بر الوالدين، مع الحرص على ألا يمتد الطاعة إلى ما يخالف الله، ليُحقق توازنًا دقيقًا بين الطاعة والحق.

مراقبـــة الله

علّم ابنه أن الله عليم بكل شيء، حتى أصغر الأمور، ليغرس فيه شعور المسؤولية والوعي المستمر بالأفعال.

الصـــــــــــلاة والأمـــــــــــــــر بـــــــــــــالمعروف

حثه على أداء الصلاة، والمساهمة في الإصلاح المجتمعي، والصبر على الأذى، ما يعكس الالتزام العملي بالحق في الحياة اليومية.

الخلـــــــــــــــــــق والســـــــــــــــــلوك

نصحه بالرفق في المشي، وعدم التكبر، وخفض الصوت، لتعزيز التواضع وضبط السلوك في المجتمع.

الرسالة:

الحكمة الحقيقية تتجسد في توازن متكامل بين التوحيد، والخلق الحسن، والسلوك الرشيد، والمسؤولية الفردية والاجتماعية، بما يجعل الإنسان نافعًا لنفسه ولمحيطه.

(20–27): دلائل التوحيد ونِعَم الله

تبيّن هذه الآيات عظمة الله في خلقه، حيث سخر للبشر ما في السماوات والأرض من نعم لا تُحصى، من أرزاق ومصادر حياة وأدوات فكرية وعلمية. وتوضح السورة أن محاولات الإنسان لوصف نعم الله بالكلمات ستفشل مهما كثرت، فالعظمة تفوق كل تعبير.

الرسالة:

معرفة الله لا تُختصر بالمشاهدة أو التفكير وحده، بل تتطلب تسليم القلب وخضوع الجوارح للحق، وإدراك أن كل النعم دليل على قدرة الله وعظمته.

(28–34): عظمة علم الله وخاتمة السورة

تختم السورة بالتأكيد على عظمة الله وعلمه الكامل بكل ما في السماوات والأرض، وعلمه بالغيب وما تحمله الأرحام، وأن الإنسان لا يعلم ماذا سيكسب غدًا. هذا الإحاطة الإلهية الشاملة تذكّر بأن كل تصرف يُحسب وأن القوة الحقيقية لله وحده.

الرسالة:

الإيمان الحق هو شعور دائم برقابة الله، ووعي عميق بضعف الإنسان وجهله، مما يولد التواضع والخشية والاعتماد الكامل على رب العالمين.

خلاصة تفسير سورة لقمان

تقدّم سورة لقمان نموذجًا متكاملاً لبناء الإنسان المسلم من حيث العقيدة والسلوك والعقل:

التربية

تبدأ السورة بالتأكيد على التوحيد، وتربطه مباشرة بالخلق والسلوك، لتوضح أن الإيمان لا يكتمل إلا مع التقوى والعمل الصالح.

العقل

الحكمة هبة من الله، ويجب أن تُستوعب بالقلب والعقل معًا، فلا يصل الإنسان إلى الرشد إلا بتفكّر واعٍ.

البر

بر الوالدين واجب، لكنه لا يُغني عن عقيدة صحيحة واتباع الحق، فهو عنصر متكامل ضمن منظومة الأخلاق.

المراقبة

الإيمان يعني وعيًا دائمًا بنظر الله، فكل تصرف يخضع للرقابة الإلهية، مما يرسخ المسؤولية الفردية.

السلوك

الاعتدال والتواضع والخلق الحسن من السمات القرآنية الأصيلة التي تُصقل شخصية المؤمن في المجتمع.

التوحيد

هو المحور الذي تدور حوله كل الوصايا، وبه تتسق بقية القيم، ويصبح الإنسان قادرًا على التوازن بين عقله وقلبه وعمله.

الربط مع ما قبلها

سورة الروم تركز على فقه السنن والحضارة من منظور إيماني، حيث يُستشف تاريخ الأمم وتقلبات الحضارات عبر عدل الله وحكمته، وتُبيّن أن النصر والهزيمة ليست مصادفات بل سنن ربانية.

أما سورة لقمان، فتنتقلنا إلى بناء الإنسان المؤمن من الداخل، عبر توحيد القلب، وسلوك متوازن، وحكمة مدروسة، ليكون فردًا قادرًا على الإصلاح داخل المجتمع والحضارة.

بهذا، يُكمل كل منهما الآخر: الروم تحلل الظواهر الخارجية للتاريخ، ولقمان تُصقل النفوس لبناء الإنسان الصالح المؤهل للتفاعل الإيجابي مع تلك السنن.

للتأمل الذاتي

هل أؤسس تربيتي لأطفالي على وصايا التوحيد والقيم الإلهية، أم أكتفي بالعادات والتقاليد؟

هل أستحضر شعور مراقبة الله في سري وعلني، وأتصرف على ضوء هذا الوعي؟

هل أحافظ على التوازن في مشيي، وصوتي، وانفعالاتي، أم أترك العاطفة تهيمن عليّ؟

هل أعي أن الحكمة تبدأ بالتواضع أمام الحق، وتمتد لتشمل الإصلاح في نفسي ومجتمعي؟

خاتمة

سورة لقمان تصنع الإنسان الذي يحمل الرسالة بقلب متين، وعقل راجح، وسلوك مستقيم، فتجمع بين التوحيد، والخلق الحسن، والخشية الدائمة من الله في السر والعلن، فهي مدرسة الحكمة التي تبدأ بالأساس الإيماني، وتتفرع إلى سلوك عملي متوازن، وتختم بخشية الله ومراقبته في كل تصرف.

هذه الوصية الخالدة لابن الإنسان، وجوهرة السورة التي تلخص روحها وهدفها التربوي.

سورة السجدة

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "السجدة"[1] لظهور مشهد يميز عباد الله الصالحين عن غيرهم، حيث يتركون النوم ويخشعون في سجودهم ويستمرون بالدعاء لربهم. السجود هنا رمز للتذلل الصادق، وهو الفارق الأوضح بين المؤمن الصادق والغافل عن الحق.

المقصود العام للسورة

تؤكد السورة على أن الوحي والبعث هما الأساس في تكوين الإنسان المؤمن، وأن العبودية الحقيقية لله تتجلى في السجود والخشية والعمل الصالح، لا في الإنكار أو الغفلة عن مسؤولية الإنسان تجاه ربه.

البنية الموضوعية لسورة السجدة

الوحي والقرآن (1–3)

تُبين السورة أن القرآن منزل من رب العالمين، لا شك في صدقه، ويدعو الناس للتفكر في آياته.

الخلق والبعث (4–11)

تعرض السورة مشهد الخلق من التراب، ثم البعث بعد الموت، لتذكير البشر بعظمة الله وقدرته على إعادة الحياة.

مصير الفريقين (12–20)

توضح نهاية الفريقين: الخزي لمن كفر وأصر على الغفلة، والنعيم للمؤمنين الذين صدقوا وعملوا الصالحات.

[1] قال الابياري:" (السجدة) تسمى أيضا: المضاجع". الموسوعة القرآنية، **إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)**، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ، ج2ص63.

صـــــــــــــفات المـــــــــــــــؤمنين الســـــــــــــــاجدين (21–24)

يُبرز المشهد المؤمنين الذين يتصفون بقلة النوم وكثرة العمل، والحرص على السجود والذكر، كرمز للتذلل الصادق لله.

معـــــــــــــــذرة المكـــــــــــــــــذبين ونهـــــــــــــــــايتهم (25–30)

تُذكر السورة أن المكذبين لا عذر لهم بعد أن تبيّن لهم الحق، وأن نهايتهم مؤلمة لا محالة، فلا رجوع بعد الفوت.

الوحي حقّ لا شك فيه (1–3)

تؤكد السورة أن القرآن منزل من رب العالمين بلا ريب، وليس من اختلاق النبي ﷺ، بل هو إنذار وهداية لقوم لم يأتهم نذير من قبل.

الرسالة:

الوحي ليس مجرد فكرة بشرية، بل نداء إلهي يوقظ الفطرة ويهدي القلوب من الغفلة إلى الوعي.

الخلق الأول والبعث الآخر (4–11)

تتناول السورة خلق السماوات والأرض، وتسوية الإنسان مع نفخ الروح فيه، ثم ذكر الموت والرجوع إلى الله بعد ذلك.

الرسالة:

من أنكر البعث فقد غفل عن أصل الخلق، ومن جهل البداية ضلّ عن النهاية، فالوعي بالخلق يرسّخ الإيمان بالآخرة.

مشاهد المصير – ندم المتكبرين ونعيم المؤمنين (12–20)

تصف السورة حال المجرمين عند مواجهة العذاب، حيث يعترفون برؤيتهم وسماعهم للحق، لكن لا رجعة بعد الفوت. في المقابل، المؤمنون يُجزون في الجنات على أعمالهم الصالحة.

الرسالة:

المصير يُحدّد بما تزرعه في الدنيا من إيمان وعمل، لا بما تتمنى عند لحظة الهلاك.

صفات عباد السجود (21–24)

تُبرز السورة صورة المؤمنين الصادقين الذين ينهضون عن مضاجعهم ليؤدوا السجود والدعاء، يسيرون في حياتهم متيقنين بآيات الله، صابرين على الابتلاء، ومنفقين مما رزقهم الله. هذه العبادات ليست شعائر شكلية، بل تجسيد لحياة يقظة، قلبها متصل بالله وعقلها متفكر في سنن الخالق.

الرسالة:

الإيمان الحق يوقظ الجسد والقلب معًا؛ السجود هو علامة العبودية الصادقة والصدق الداخلي، وتجسيد الالتزام واليقين في كل فعل وحركة.

خلاصة تفسير سورة السجدة تُركز على أن الوحي حق قطعي منزل من الله للعقول الحيّة، وأن البعث حتمي ومن أنكره أعمي عن إدراك الحقيقة. السجود ليس مجرد حركة جسدية، بل مقام روحي عميق يرفع القلب ويقوّي الصلة بالخالق. الإيمان يُقاس بمقدار التجافي عن الراحة والسعي الدائم لله، والاستكبار يُعمي القلوب بينما السجود يُبصرها. النهاية ثابتة: المكذب يُخذل ويهلك، والمؤمن الصادق يُكرم وينال رضا الله.

الربط بينها وما قبلها: يظهر كيف يكمّل القرآن منهج بناء الإنسان الرباني بالحكمة والتوحيد مع إثبات مركزية الوحي والبعث في حياته. سورة لقمان تعلم المنهج: تربية القلب والعقل على التوحيد والخلق، بينما سورة السجدة تُظهر نتيجة هذه التربية العملية، فتخرج إنسانًا ينهض بالسجود والخشية والعمل الصالح، ومع ذلك يظل المكذب معرضًا

للهلاك. لقمان تمهّد الطريق بالحكمة، والسجدة تُرسي حصيلة الإيمان في الميدان العملي.

للتأمل الذاتي، اسأل نفسك: هل أتعامل مع القرآن ككلام حيّ من ربي يوجّه قلبي وفكري، أم مجرد حروف متكررة بلا أثر؟ هل الإيمان ينهض بي من فراشي ليعمل ويجتهد، أم أستسلم للكسل والراحة؟ هل أشعر بالخشوع في السجود، أم أصبح مجرد حركة مألوفة؟ وهل أنا مستعدّ يوم الحساب أن أقول بصدق: ربنا أبصرنا وسمعنا، فنُحاسب على عملنا وإيماننا؟ هذه الأسئلة تكشف صلة القلب بالقرآن وصدق العبد في عبادته وسلوكه.

خاتمة:

سورة السجدة تصوّر بجلاء أنّ السجود ليس مجرد حركة جسدية، بل هو ميزان صدق الإيمان. من استسلم لربّه بالقلب والروح، ونظم حياته في طاعة الله، نال النعيم والجزاء. ومن أعرض عن الذكر وانشغل بالدنيا، ضاعت عليه الفرصة. السجود الحقيقي يفرّق بين القلوب، ويظهر من هو قريب من الله ومن غفل عن الحق.

سورة الأحزاب

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ **الأحزاب**[1]؛ إشارةً إلى أخطر لحظةٍ واجهتها الدولة الإسلامية الناشئة، حين تكاتفت قوى الكفر وتآلفت قبائل الشرك في هجومٍ شاملٍ استهدف اقتلاع الدعوة من جذورها. وقد صوّر القرآن تلك اللحظة الفاصلة تصويرًا حيًّا بقوله تعالى:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ

[1] قال الهرري:" التسمية: سميت سورة الأحزاب، لأنه ذكر فيها قصة المشركين الذين تحزبوا على المسلمين، من كل جهة، فاجتمع كفار مكة مع غطفان وبنى قريظة وأوباش العرب على حرب المسلمين، ولكن الله ردهم مدحورين، وكفى المؤمنين القتال بتلك المعجزة الباهرة." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج22ص400.

وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾).

فالاسم لا يكتفي بتسجيل حدثٍ تاريخي، بل يكشف عن امتحانٍ وجوديٍّ تُمحَّص فيه القلوب، وتُفرَز الصفوف، وتنكشف المعادن؛ فيظهر صدق الإيمان من زيف الادّعاء، وتُعرف الرجولة الحقّة ساعة الشدّة.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى تثبيت النبي ﷺ والمؤمنين في وجه ضغطٍ خارجيٍّ عاتٍ تمثّل في تحالف الأحزاب، وتحدٍّ داخليٍّ خفيٍّ تجسّد في نفاق المتخاذلين، مع إرساء معالم نظامٍ سياسيٍّ واجتماعيٍّ جديدٍ يقوم على الطاعة الواعية لله ورسوله، والانضباط الجماعي، والغيرة الصادقة على الرسالة.

وبذلك تُحوِّل السورة المحنة إلى منهاج، والخطر إلى مدرسةٍ تُؤسِّس لأمّةٍ تعرف كيف تصمد، وكيف تنتصر، وكيف تبني مجتمعها على أساسٍ من الإيمان والمسؤولية.

البنية الموضوعية لسورة الأحزاب

تنتظم سورة الأحزاب في بناءٍ محكم، تتدرّج فيه القضايا من تأسيس المرجعية العليا للطاعة، إلى غربلة الصفوف، ثم إلى ترسيخ النظام الأسري والاجتماعي، وصولًا إلى النداء الختامي الحاسم للأمّة.

أولًا: الطاعة المطلقة لله والرسول (1–8)

تفتتح السورة بتقرير أصلٍ جامعٍ لا تقوم الجماعة المؤمنة إلا به: الطاعة المطلقة لله ورسوله، ورفض كل أشكال الخضوع لضغط الكافرين أو تلوّن المنافقين. ففي هذا المطلع تُرسَم المرجعية العليا، ويُحسَم مصدر التلقي والتوجيه.

ثانيًا: إلغاء التقاليد الجاهلية وسقوط الحلف الخارجي (9–27)

تنتقل السورة إلى مشهد الأحزاب، حيث يتجلّى الامتحان العملي للعقيدة، وتتكشف هشاشة التحالفات الباطلة. وفي خضمّ الحدث تُلغى رواسب الجاهلية، ويُسقِط الله الحلف الخارجي، ليؤكد أن النصر من عنده لا من كثرة العدد ولا من قوة العُدّة.

ثالثًـــــا: الموقـــــف مـــــن الـــــداخل وفـــــرز القلـــــوب (28–35)

بعد مواجهة الخارج، تُعالج السورة الداخل، فتُبرز صفات المؤمنين والمؤمنات في مقابل مظاهر النفاق والتردّد. إنه انتقال من ساحة القتال إلى ساحة القلوب، حيث يكون الثبات والصدق معيار النجاة.

رابعًـــــا: المقـــــام النبـــــوي وحرمـــــة بيتـــــه (36–40)

تؤسّس السورة لمكانة النبي ﷺ، فتقرّر أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وتُحاط حرمة بيته بسياجٍ تشريعيٍّ وأخلاقيٍّ رفيع. وهنا يتداخل الخاص والعام؛ إذ إن تعظيم المقام النبوي جزء من انتظام الجماعة كلّها.

خامسًـــــا: سُـــــنّة الابـــــتلاء وغربلـــــة الصـــــفوف (41–48)

تُرسّخ السورة سُنّة الابتلاء باعتبارها قانونًا ماضيًا، وتدعو إلى الوعي والاستعداد، مقرونةً بإعلامٍ نبويٍّ يثبّت القلوب ويهدي السلوك. فالشدائد ليست عارضًا طارئًا، بل أداة تمحيص وبناء.

سادسًـــــا: تنظـــــيم البيـــــت النبـــــوي والأســـــري (49–59)

تُفصّل السورة قواعد السلوك داخل بيت النبوّة، وتمتد بهذه القواعد إلى المجتمع كله، لتصوغ أخلاقًا عامة تضبط العلاقة بين الرجال والنساء، وتحفظ الطهر والوقار، وتبني مجتمعًا نظيفًا في ظاهره وباطنه.

ســـابعًا: الختـــام – نـــداء للأمـــة وتحـــذير مـــن النفـــاق (60–73)

تُختَم السورة بنداءٍ جامعٍ للأمّة، يتضمن تحذيرًا صارمًا من النفاق، وعرضًا لمشهد الأمانة التي حُمِّلها الإنسان، ليتمّ الفرز النهائي للصفوف. إنه ختام يُحمِّل المسؤولية، ويُعلن أن الطريق واضح، وأن العاقبة مرهونة بالوفاء بالعهد مع الله.

وبهذا البناء المتدرّج، تُحوِّل سورة الأحزاب الوقائع إلى منهج، والأحداث إلى قواعد، لتنشئ أمةً تعرف مرجعيتها، وتدرك سنن ربها، وتحسن الثبات ساعة الابتلاء.

(1–8): الطاعة... أساس البناء

تفتتح السورة بنداءٍ ربانيٍّ مباشرٍ إلى النبي ﷺ، يحمل في طيّاته توجيهًا تأسيسيًّا للأمّة كلّها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾. إنه نداء يضع حجر الأساس لكل بناءٍ حضاريٍّ رباني، ويحدّد منذ اللحظة الأولى مرجعية القيادة ومصدر القرار.

ففي هذه الآيات تتقرر معالم الطريق بوضوح: لا مداهنة مع الباطل مهما تلون، ولا مساومة على الحق تحت ضغط الواقع أو كثافة التحديات، فالطاعة لا تُستمد من موازين القوة، ولا من حسابات السياسة المجردة، وإنما تُردّ إلى الشرع وحده، بوصفه الميزان الحاكم على الأقوال والأفعال.

كما تُعزّز هذه الافتتاحية مقام النبوة، فتثبّت الرسالة في وجه التشكيك، وتؤكد أن القيادة النبوية ليست خاضعة لأهواء الجماعات ولا لمناورات المنافقين، بل هي متصلة بالوحي، مستندة إلى علم الله وحكمته.

الرسالة الاستراتيجية:

تقرر هذه المقاطع أن أي مشروع نهضويٍّ صادق لا يمكن أن يقوم إلا على قيادةٍ أمينةٍ ثابتة، وطاعةٍ واعيةٍ منضبطة، ورفضٍ حاسمٍ لكل أشكال التبعية الفكرية أو السياسية؛ فحيثما اختلّ ميزان الطاعة، تهاوى البناء، وحيثما استقامت القيادة على التقوى، استقام معها المسار والمصير.

(9–27): معركة الأحزاب – إدارة الأزمة ووعي السُّنن

تنقل هذه المقاطع مشهدًا بالغ الشدّة من تاريخ الدعوة، حيث بلغ الحصار ذروته، واهتزّت القلوب تحت ضغط الخوف والجوع وتكالب الأعداء، حتى وصف القرآن تلك اللحظة بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١﴾.

إنها لحظة اختبارٍ وجوديٍّ، لا تُقاس فيها الأقوال، بل تُوزَن المواقف، ولا يثبت فيها إلا من رسخ يقينه بالله.

في قلب هذه الأزمة، ثبت المؤمنون لأنهم قرؤوا الواقع بعين الوعد الإلهي، فزادهم الخطر إيمانًا وتسليمًا، بينما انكشف المنافقون، فتعثّرت ألسنتهم، وفضحتهم مواقفهم، وبحثوا عن المخارج والذرائع. وهكذا تحوّلت المعركة من صدام سيوف إلى صدام قلوب، ومن مواجهة عسكرية إلى غربلة إيمانية.

ثم جاء التحوّل الحاسم؛ فانقلب ميزان الصراع لا بقوة بشرية ولا بخطة مادية، بل بريحٍ وجنودٍ من عند الله لم يروها، لتُرسّخ السورة سُنّةً ربانيةً خالدة: أن النصر ثمرة الصبر حين يكتمل، والثبات حين يُمتحن، واليقين حين يشتد الظلام.

الرسالة الاستراتيجية:

تُعلِّم هذه الآيات أن كل أزمةٍ كبرى هي في حقيقتها أداة فرزٍ وتمحيص؛ تُظهر المخلص من المتلوّن، وتكشف من يثق بوعد الله ومن يفتّش عن طريق الفرار. وانتصار الأمة لا يُصنع بالعجلة ولا بالجزع، بل بمعادلة واضحة: صبرٌ صادق، وثباتٌ واعٍ، ويقينٌ لا يتزعزع بوعد الله.

(28–35): غربلة الداخل وتكريم المؤمنات

بعد معالجة ضغط الخارج، تعود السورة إلى الداخل لتنجز غربلةً أدقّ وأعمق، تبدأ من بيت النبوّة نفسه. فنساء النبي ﷺ يُوضَعن أمام اختيارٍ حاسم: إمّا زخرف الدنيا ومتاعها، وإمّا الله ورسوله والدار الآخرة. وفي هذا الموقف تتجلّى قمّة الصفاء الإيماني، إذ يكون الاختيار لله ولرسالته، لا لمغانم الحياة ولا لزخارفها الزائلة.

ثم ترتقي السورة من الخاص إلى العام، فتُطلق آيةً جامعةً خالدة تُعيد ترتيب القيم داخل المجتمع المؤمن:

﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾﴾،

آية شرفٍ وتكريم، تُعلن التكافؤ الكامل بين الرجال والنساء في ميزان الإيمان والعمل الصالح، وفي الأجر والجزاء، دون تمييزٍ إلا بالتقوى والصدقK وهنا يُهدم منطق التفضيل الجاهلي، ويُستبدل بمنهج ربانيٍّ يُقيم الإنسان على أساس العبودية لله.

الرسالة الاستراتيجية:

تُقرّر هذه المقاطع أن بناء المجتمع الرسالي لا يقوم على نصف الصف، ولا يكتمل برجالٍ دون نساء، بل يحتاج إلى رجالٍ ونساءٍ مؤمنين، ربانيين، متحرّرين من أسر الدنيا، يحملون الرسالة بقلوبٍ زاهدة، وهممٍ عالية، واستعدادٍ دائم للتضحية في سبيل الحق.

(36–40): مقام النبي ومرجعية النبوة

تُرسي هذه المقاطع أصلًا حاكمًا في البنية العقدية والتشريعية للأمّة، وهو أن مرجعية القرار في حياة المؤمنين ليست للأعراف ولا للأهواء، بل لله ورسوله وحدهما: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾﴾.

إنها قاعدة انضباطٍ كبرى، تُنهي التردّد، وتُسقط من الحساب كل اعتبارٍ يناقض حكم الوحي، وفي سياق هذا التأصيل، تأتي قصة زيد وزينب رضي الله عنهما لا بوصفها حدثًا اجتماعيًّا عابرًا، بل كمشروع إصلاحٍ جذريٍّ للمفاهيم الجاهلية، يكسر وهم الطبقية

والنسب، ويُعيد بناء العلاقات الإنسانية على أساس القيم لا الألقاب،[1] وهنا تتجلّى شجاعة التشريع، حين يُقدَّم الحق على الحرج الاجتماعي، ويُقدَّم الوحي على ضغط العرف.

ثم تُختَم المقاطع بتقرير المقام النبوي الأعلى: فالنبي ﷺ ليس أبًا لأحدٍ من رجالكم، حتى تُستمدّ شرعيته من رابطة النسب، بل هو رسول الله، وخاتم النبيين، تُستمدّ مرجعيته من الوحي، وتُستمدّ طاعته من كونه المبلِّغ عن رب العالمين.

الرسالة الاستراتيجية:

تؤكد هذه الآيات أن أي مشروعٍ رسالي لا يستقيم إلا بمرجعيةٍ واضحةٍ **لا تنازعها الأعراف ولا تُزاحمها العواطف**؛ مرجعية الوحي ممثَّلة في النبوة، فحيثما قُدِّم حكم الله ورسوله على كل اعتبار، انضبط المسار، وحيثما زُوحِمت النبوة بمنطق العادات أو الحسابات البشرية، اختلّ البناء وانفرط العقد.

(41–48): التعبئة الروحية والسياسية للأمّة

تنتقل السورة في هذه المقاطع من معالجة الأحداث إلى شحن القلوب، ومن إدارة الواقع إلى بناء الوعي، فتدعو المؤمنين إلى الذكر الكثير؛ لأنه الوقود الروحي الذي يحفظ التوازن في زمن الفتن، ويمنح القلوب ثباتها حين تضطرب الموازين. فالذكر هنا ليس عبادة فردية فحسب، بل حالة وعيٍ جماعيٍّ تصنع أمةً يقِظةً متصلةً بربها.

ويأتي الأمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ليؤسّس رابطة الولاء والاتباع، ويجعل التحية النبوية عنوان الانتماء الحقيقي للرسالة، وتأكيدًا على أن القيادة في الإسلام ليست مجرد إدارة، بل هداية وتأثير وبناء إنساني شامل.

---

[1] قال الطبري:" حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبي، قال: ثنى عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباسٍ قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ إلى آخرِ الآيةِ، وذلك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ انطَلَق يَخطُبُ على فتاه زيدِ بنِ حارثةَ، فدخَل على زينبَ بنتِ جحْشٍ الأسديَّة، فخطَبها، فقالت: لستُ بناكِحَتِه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "فانْكِحِيه". فقالت: يا رسولَ اللَّهِ أُوَّامَرُ في نفسى؟ فبينَما هما يَتَحدَّثان أنزَل الله هذه الآيةَ على رسوله ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿ضَلَالًا مُبِينًا﴾. قالت: قد رَضِيته لى يا رسولُ اللهِ مَنْكَحًا؟ **قال: "نعم"**. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق، ج19ص112.

ثم تُرسم ملامح القيادة النبوية بأوضح بيان؛ فالنبي ﷺ **داعٍ إلى الله بإذنه**، يربط الناس بربهم، و**بشيرٌ ونذير** يوازن بين الرجاء والخوف، و**سراجٌ منير** يبدّد ظلمات التيه، ويمنح الطريق وضوحه في أحلك الظروف. إنها قيادة تجمع بين الصفاء الروحي والوعي السياسي، وبين الثبات على المبدأ وحسن توجيه الجماعة.

الرسالة الاستراتيجية:

تقرّر هذه الآيات أن نهضة الأمّة لا تُبنى بالقوة المجردة ولا بالحماسة العابرة، وإنما بروحٍ حيّةٍ متصلةٍ بالله، وبقيادةٍ ربانيةٍ تُنير الطريق، وتجمع القلوب، وتحوّل الإيمان إلى طاقةٍ فاعلةٍ في واقع الحياة.

(49–59): التنظيم الداخلي والحياء الاجتماعي

تنتقل السورة في هذه المقاطع من التعبئة العامة إلى الضبط الدقيق للحياة اليومية، لتؤكد أن الأمة الرسالية لا تُبنى بالشعارات وحدها، بل بتنظيمٍ داخليٍّ محكمٍ يحكم العلاقات ويصون القيم. فتُقرَّر آداب الزواج والطلاق، لا بوصفها أحكامًا قانونية جافة، بل باعتبارها ضوابط أخلاقية تحفظ الكرامة الإنسانية، وتمنع الظلم، وتُشيع السكينة داخل الأسرة التي هي نواة المجتمع.

ثم يأتي تشريع الحجاب والستر ليُرسّخ مبدأ الحياء الاجتماعي، ويقيم سياجًا واقيًا يحمي الفضاء العام من الابتذال والاختلاط المفسد، ويجعل العفة سلوكًا ظاهرًا لا مجرد قيمة باطنية. فالستر هنا ليس قيدًا، بل هوية، وليس عزلًا، بل صيانة ووقار.

وفي ختام هذه المقاطع، يتجلى التمايز الاجتماعي بوضوح بين المؤمنين والمنافقين؛ فالمؤمن يتميّز بالانضباط الخُلقي والالتزام السلوكي، بينما يكشف المنافق عن اضطرابه وازدواجيته في المواقف. وهكذا يصبح السلوك اليومي أداة فرزٍ صامتة، تُعرَف بها حقيقة الانتماء.

الرسالة الاستراتيجية:

تُرسّخ هذه الآيات أن الأخلاق والسلوك ليست تفصيلات هامشية في المشروع الحضاري

الإسلامي، بل هي أسس راسخة يقوم عليها البناء كله؛ فحيثما استقام السلوك، استقام المجتمع، وحيثما تهاون الناس في القيم، تهاوى الصرح من داخله مهما بدا قويًّا من ظاهره.

(60–73): الحسم... وسقوط النفاق

تبلغ السورة في ختامها ذروة الحسم، فتسقط الأقنعة، وتُغلق مناطق الرماد. يجيء التحذير الإلهي صريحًا لا مواربة فيه، كاشفًا المصير الحقيقي للنفاق حين يتحوّل من مرضٍ قلبي إلى خطرٍ يهدد كيان الأمة

إنه إعلان قاطع بأن النفاق ليس خطأً عابرًا، بل خيانة وجودية، وموقعه في أسفل دركات العذاب لأنه يُفسد من الداخل ما لا تُفسده الجيوش من الخارج.

ثم يُختَم المشهد بعرض الأمانة الكبرى، في مشهد كونيٍّ مهيب، يعيد تعريف الإنسان ووظيفته في هذا الوجود:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

أمانة التكليف، والاختيار، والالتزام بالوحي، التي أشفقت منها المخلوقات العظام، وحملها الإنسان؛ ليكون بذلك إمّا في مقام الوفاء أو في درك الخيانة. وهنا يتم الفرز النهائي: صدقٌ يرقى بصاحبه، أو نفاقٌ يهوي به إلى أسفل السافلين.

الرسالة الاستراتيجية:

تُعلن هذه الخاتمة أن مشروع الأمة ليس تجربةً قابلةً للعبث ولا ساحةً للمناورات، بل أمانة ثقيلة ومسؤولية مصيرية، لا يحملها ولا يثبت تحت ثقلها إلا صادقٌ تقيّ، عارفٌ بقدر التكليف، أما المنافق المتلوّن فمكانه السقوط مهما طال به الأمد أو حَسُن ظاهره.

خلاصة تفسير سورة الأحزاب

تركز سورة الأحزاب على مجموعة من الرسائل الاستراتيجية التي تشكّل معالم بناء الأمة الرسالية. أولها القيادة، فلا مشروع حضاري ولا نهضة صادقة تقوم إلا على قيادة نبوية صادقة، يُطاع فيها الشرع، ويُستمدّ منها التوجيه والحماية الروحية والسياسية.

ثم تأتي الأزمة، فهي محكّ يفرز الصفوف، ويكشف معادن الرجال، ويُظهر الثابت من المتلوّن، فالثبات في المحن جزء من صميم البناء الرسالي.

المرأة تُبرز في السورة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من هذا البناء الحضاري، تشارك الرجل في اختيار الحق، وتثبّت المجتمع بالإيمان والعمل الصالح، وتظهر التكافؤ في الجزاء والمقام.

الطاعة قاعدة أساسية، فهي الأساس الذي يقوم عليه الانضباط، ويُترجَم بها النصر والتمكين في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

النفاق خطر داخلي لا يقلّ عن العدو الخارجي، فهو يهدد المجتمع من الداخل، ويحتاج إلى كشفٍ وفرزٍ وحسمٍ واضح، فلا استقرار للأمة إلا بصدق الأفراد وإخلاصهم في القول والعمل.

وأخيرًا التنظيم، فالشرع يحكم كل جانب من حياة الأمة؛ ينظّم السياسة، والبيت، والسلوك، والحرب، والسلم، ليبني مجتمعًا متكاملًا قائمًا على القيم، مترابطًا في صفوفه، قويًّا في موقفه، وصادقًا في التزامه برسالته.

الربط بين سورة الأحزاب وما قبلها

تتواصل سورة الأحزاب مع ما سبقها من سور البناء الروحي والتربوي، فتظهر الصورة الكاملة لمسار تكوين الأمة، ففي السورة السابقة: سورة السجدة، يركّز القرآن على الوحي والبعث كأساس للعبودية الصادقة، ويبيّن الفرز الفردي: كل إنسان يُمحّص بالإيمان والطاعة، ويُعرف بمقدار خضوعه لله تعالى، كما يتجلّى ذلك في السجود الذي يفرز القلوب.

أما في الأحزاب: فيتحوّل التركيز من الفرز الفردي إلى الفرز الجماعي، حيث تُختبر الأمة كلها في مواجهة ضغوط الحرب والفتنة، وتظهر المعادن الحقيقية بين المؤمنين والمنافقين، بين الثابتين والمتردّدين. السجدة تمثل الفرز بالقلب والروح، بينما الأحزاب تمثل الفرز بالثبات العملي والصبر تحت الضغط، ليكتمل بذلك البناء المتكامل للأمة على مستوى الفرد والمجتمع، بين الطاعة الخاصة والعمل الجماعي، بين الإيمان الداخلي والمواجهة الواقعية.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة الأحزاب كل مؤمن ومؤمنة إلى وقفة مع النفس صادقة، لقياس مدى التزامه بالدين وحمله للأمانة التي كلفه الله بها. فهل أعي حقًّا أن هذا الدين أمانة كونية حملها الإنسان، وأن مسؤوليتي أمامها ليست اختيارية؟

في أوقات الأزمات، هل أفرّ أمام الضغوط، أم أزداد ثباتًا وصلابة؟ وهل طاعتي لله ولرسوله صافية، حتى حين يتعارض أمرهما مع هواي الشخصي؟

وأخيرًا، هل أُعدّ نفسي وأسرتي لنكون جزءًا فاعلًا في بناء الأمة، نحمل القيم، ونصون المبادئ، ونكون على استعدادٍ دائمٍ للثبات والعمل في سبيل الحق؟

التأمل هنا ليس مجرد تفكير لحظي، بل تدريب مستمر على مواجهة الحياة بوعي، وإدراك المسؤولية، وتحويل الإيمان إلى طاقة فاعلة في الفرد والمجتمع.

خاتمة

ترسم سورة الأحزاب خريطة متكاملة للبناء السياسي والاجتماعي للأمة في مواجهة الأحزاب والضغوط الخارجية والفتن الداخلية، مؤكدة أن النصر لا يُقاس بكثرة العدد، ولا بحجم القوة المادية، بل بوضوح القيادة، وانضباط الصفوف، ونزاهة النفوس.

فالصف المترابط، والقيادة الصادقة، والالتزام بالقيم، هي عناصر الانتصار الحقيقية، كما يبين الله عز وجل:

﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٨﴾﴾.

تُختم السورة إذن برسالة واضحة للأمة: التزام الصدق، وقوة الانتماء، والاستعداد الدائم للمحاكمة الإلهية، هي الضمانة الحقيقية لاستمرار المشروع الرسالي وصمود الأمة في وجه كل تحدٍّ وفتنة.

ونمضي بعون الله في مسيرتنا التفسيرية البنائيّة الاستراتيجية، مستلهمين من السورة المقبلة، سورة سبأ، إشارات القرآن العميقة في تحليل أسباب انهيار الحضارات المترفة، وبيان الفرق بين التمكين بالشكر، الذي يُنمي المجتمعات ويرسّخ دعائمها، والترف بالكفر، الذي يقود إلى الزوال والهلاك. هذا ما يدخل صميم هدف تفسيرنا في **فقه السنن الربانية** واستشراف مصير الأمم والمجتمعات.

سورة سبأ

الاسم والدلالة: سُمّيت بـ **سبأ**[1]، نسبةً إلى الحضارة اليمنية العريقة التي مكنّها الله تعالى، ثم أهلكها لما كفرت بأنعمه، لتصبح عبرة للأمم المتعاقبة. فالتمكين نعمة إذا اقترن بالشكر، والغفلة أو الكفر سبب للهلاك، وهذا ما جسّدته قصة سبأ التاريخية.

الاسم هنا يُحيل إلى دورة حضارية مكتملة: بناءٌ يجلب رخاء و كفر يجلب فناء، ليعلم الإنسان أن الله يربط النصر والاستمرار بالشكر والطاعة، والفناء بالعصيان والغرور.

المقصد العام للسورة:

تُوضح السورة أن التمكين في الأرض مشروط بالشكر والإخلاص لله، وأن الغرور

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة سبأ للتذكير فيها بقصة سبأ، وهم ملوك اليمن، في قوله تعالى: {لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ: جَنَّتانِ.}. [١٥ – ١٦] فقد أنعم الله عليهم بالحدائق الغناء والأراضي الخصبة، فلما كفروا النعمة، أبادهم بسيل العرم." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج2ص131.

بالسلطة، أو بالعلم، أو بالمال، يؤدي إلى الفناء والهلاك، وقد ضرب القرآن أمثلة تاريخية متكررة، من سبأ إلى داود وسليمان، ليبين كيف أن الشكر يرفع الأمم ويثبتها، والكفر والغرور يرديانها إلى الهلاك، في قانون إلهي سنّي راسخ في مصير المجتمعات.

البنية الموضوعية لسورة سبأ

تتدرج سورة سبأ في عرضها للأحداث والدروس الحضارية بطريقة بنائية واضحة، تجمع بين العرض التاريخي والتحليل الرباني لمصير الأمم والأفراد، من خلال ستة محاور رئيسية.

أولًا: الوحي والبعث حق (1–9)

تبدأ السورة بتأكيد أصلٍ لا غنى عنه: أن الوحي والبعث حقيقة، وأن كل شيء يعلم به الله، وكل أمر يُرجع إليه. يُرسى بذلك المبدأ العقدي الأساسي الذي يربط الإنسان بمصدر القرار والمعرفة المطلقة، ويؤسس لوعي الفرد والمجتمع بالمسؤولية أمام الله.

ثانيًا: نموذج التمكين بالشكر (10–14)

تستعرض السورة أمثلة عملية للتمكين بالحق، من خلال قصة داود وسليمان عليهما السلام، حيث يمنّ الله عليهما بالملك والعلم والقدرة، ويثبت مكانتهما بالدعاء والشكر. هنا يظهر أن التمكين مرتبط ارتباطًا مباشرًا بالامتثال والإخلاص، وليس مجرد ملك أو قوة مادية.

ثالثًا: نموذج الترف بالكفر (15–21)

ثم تنتقل السورة إلى العبرة الكبرى، في قصة سبأ، حيث تمكّنوا وبلغوا الذروة في الرخاء والترف، لكن كفرهم ونكرانهم لأنعم الله أدى إلى الهلاك والانهيار. المشهد يوضّح قانون السنن الربانية: التمكين بلا شكر يُفضي حتمًا إلى الزوال.

رابعًا: الإنكار والاحتجاجات (22–30)

تُسلّط السورة الضوء على ردود فعل الكافرين، الذين جادلوا بالبعث والنهاية، وأنكروا سنن الله، ما يعكس عناد النفس البشرية ومقاومة الحق حين يتعارض مع الهوى والترف.

خامسًـــــــــــا: مشـــــــــــــهد القيامـــــــــــــــة (31–42)

في هذا المحور، يُبرز القرآن مشهد القيامة، حيث يسقط الأقنعة، ويظهر اللوم المتبادل بين الناس على مواقفهم، ويُفضح الكافر والمتغطرس، في حين يثبت الحق ويُظهر صدق المؤمنين.

سادسًـــــــــــا: مصـــــــــــــير المـــــــــــــــؤمنين (43–54)

تُختتم السورة بوعد الحق وتمكين المؤمنين بالحق، موضحة أن الثبات على الطاعة والشكر لله يحقق الاستقرار والتمكين، ويؤكد أن الخير والنجاة مرتبطان بالالتزام بالسنن الربانية، وأن أي انحراف عن هذه القاعدة يؤدي إلى الفناء والهلاك.

بهذا البناء، تُحوّل سورة سبأ الدروس التاريخية إلى منهجٍ عمليٍّ لفهم مصير الأمم، وتوضح أن الاستقرار الحضاري مرتبط بالشكر، وأن الغرور والكفر بالنعمة يفضيان إلى الزوال.

(1–9): البداية – العلم الإلهي والشهادة الكبرى

تفتتح السورة بتأكيد العلم الإلهي المطلق، الذي يشمل كل ما يدخل الأرض وما يخرج منهـــا: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾. كل شيء خاضع لإرادة الله وعلمه، لا يخفى عليه شيء، ولا يحدث أمر إلا بعلمه ومشيئته. هذا التذكير يضع الإنسان أمام مسؤولية ووعي مستمر، ويكشف عن غفلة منكروا البعث، الذين يغفلون عن سنن الكون ويظنون أن مصالحهم وفتنهم لا يحاسبون عليها.

الرسالة الاستراتيجية:

لا يمكن لمن ينكر البعث والحساب أن يقيم حضارة صالحة أو مجتمعًا مستقرًا، فالغفلة عن المصير النهائي تفسد الغايات الكبرى، وتحوّل التمكين والرخاء إلى غرور وزوال. المعرفة بالمصير والالتزام بالسنن الإلهية هما الأساس لأي نهضة حقيقية.

(10–14): داود وسليمان – نموذج الشكر في التمكين

تقدم السورة مثالًا حيًّا للتمكين المشروط بالشكر والطاعة من خلال قصة داود وسليمان عليهما السلام:
﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾

داود عليه السلام جمع بين الملك والنبوّة، القوة واللين، والقدرة على الحكم والفتوّة، ومع ذلك بقي قلبه متصلاً بالله، يذكره ويخشاه، فتتحقق العدالة والحكمة في حكمه. وسليمان عليه السلام امتلك ريحًا وجنًّا وعلمًا واسعًا، لكنه أيضًا حافظ على التواضع والخشية لله، ما جعله نموذجًا متكاملًا للقيادة الصالحة.

الرسالة الاستراتيجية:

التمكين الحقيقي لا يقوم بالسلطة أو القوة وحدها، بل بالوحي والشكر والارتباط بالله. الحضارة الراشدة تبدأ من السجود، من عبادة الله والانضباط بالقيم، لا من الجدران أو الثروات المادية، فالشكر يحوّل القدرة إلى نعمة مستمرة، والتمكين إلى صرح حضاري متين.

(15–21): سبأ – نموذج الفساد بعد النعمة

تقدّم السورة نموذجًا مضادًا لما تحقق بالتمكين بالشكر، من خلال قصة سبأ، البلدة الطيبة التي أنعم الله عليها بوفرة النعم، وبساتين وخيرات وأمن ورخاء. لكنها انغمس أهلها في الغرور ونكران النعمة، حتى قالوا: ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾، متجاهلين شكر الله وحقّه عليهم.

فأبدل الله نعمتهم خرابًا وتمزقًا، لتصبح الحضارة التي بنتها الطاعة والشكر مثالًا للزوال حين يغيب الامتثال. هنا يظهر قانون سنّي واضح: أن الفساد يبدأ في القلوب، بالترف الروحي والغرور، قبل أن يظهر في الجدران والبنية المادية.

الرسالة الاستراتيجية:

الغرور بالنعم دون شكر هو انتحار حضاري بطيء، يبدأ في الروح ثم يطال المجتمع كله. السقوط الحقيقي لا يبدأ بالخراب الخارجي، بل بانحراف القيم وفساد القلوب، فتنهار الحضارة مهما بلغت من القوة أو الثراء.

(22–30): منطق الكافرين وجدالهم

تنتقل السورة هنا إلى مشهد الكافرين الذين يجادلون وينكرون، يسألون عن الساعة ويتحدّثون بالإنكار والتكذيب، متجاهلين أن مفاتيح الغيب كلها بيد الله وحده. ويؤكد القرآن أن النبي ﷺ ليس إلا رسولًا، نذيرًا ومبشّرًا، موصلاً للحق، لا صاحب سلطة مطلقة على المواعيد أو النتائج.

الجدل العقيم الذي يقوده هؤلاء لا يُسهم في بناء مجتمع صلب، ولا يُخرجهم من خطأ، بل يستهلك وقتهم ووعيهم ويؤخر الإصلاح، ويشتت الجهود بدل أن يركّزها في طاعة الله واتباع سننه.

الرسالة الاستراتيجية:

أي نقاش أو جدال لا يستند إلى الحق والوعي بالله، ولا يقود إلى التغيير والإصلاح، فهو مضيعة للجهد، ويعرّض الأمة للضياع. بناء الحضارة يحتاج إلى تركيز على الحق والعمل، لا على الإنكار والمماحكات العقيمة.

(43–54): مصير أهل الحق وبشارة العاقبة

تختم السورة بسرد مصير أهل الحق والمكذبين، حيث يجمع الله الجميع يوم القيامة، ليظهر الحساب والجزاء العادل. يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾، فتنكشف مواقف المكذبين،

ويظهر خسرانهم الواضح، بينما يفرح المؤمنون بثباتهم وصبرهم على الحق، ويجني كل صابر ومواظب على طاعة الله ثمرة التمكين والنجاة.

الرسالة الاستراتيجية:

الصبر على الحق والالتزام بالسنن الإلهية يُورث التمكين الحقيقي والعاقبة الطيبة، وليس كثرة العدد أو السلطة المادية. فالنجاح والتمكين مرتبطان بالثبات على المبادئ والوفاء بالواجبات، لا بالزخارف أو القوة العابرة.

خلاصة تفسير سورة سبأ

تركز سورة سبأ على مجموعة من الرسائل الاستراتيجية التي تشكّل قواعد فهم الحضارة والمجتمعات وفق السنن الربانية.

الحضارة، كما توضّح السورة، روحها الشكر لله على النعم، والترف والغفلة عنها يقتلها ويؤدي إلى الانهيار. التمكين الذي يمنحه الله هو وسيلة للعبودية والطاعة، لا للزهو والتفاخر، فهو مرتبط بالمسؤولية والالتزام.

العلم والقوة والقدرات لا قيمة لها إذا لم تُقِد صاحبها إلى الحق، فالمعيار الحقيقي هو مدى استثمار النعمة في الطاعة والصلاح.

القيادة الصالحة تثمر الأمن والاستقرار، بينما الطاغية الفاسد ينهار وينهك من حوله.

الساعة واليقين بالمصير هما شرط لصلاح المسار الحضاري، فالوعي بالحق والنتيجة النهائية يحفظ الأمة من الغفلة والانحراف.

أما النعم، فتُختبر بالشكر والعمل الصالح، لا بالاستغناء عنها أو الغرور بها، لتظل الحضارة مزدهرة وراسخة في ضوء العدل والطاعة.

الربط بين سورة سبأ وما قبلها

تتواصل سورة سبأ مع ما سبقها من البناء القرآني المتكامل، فكل سورة تضيف بعدًا جديدًا لفهم الأمة والمجتمع تحت ضوء السنن الإلهية.

في سورة الأحزاب، يركّز القرآن على **بناء الأمة في مواجهة التحديات**، سواء من الخارج أو الداخل، وعلى التمايز بين الصفوف، ليظهر المخلص من المنافق، والثابت من المتردد. هنا يكون الابتلاء اختبارًا عمليًا، يفرز المعادن ويقوّي الجماعة على الصمود في زمن الحرب والفتن.

أما في سورة سبأ، فينتقل التركيز إلى **فقه التمكين الحضاري**، حيث تُختبر الأمم بالنعم والرخاء، ويُبرز الفرق بين التمكين بالشكر الذي يؤدي إلى النجاة والاستمرار، وبين الترف بالغفلة والكفر الذي يؤدي إلى الهلاك والانهيار. فالأمة تُمحّص هذه المرة ليس بالقتال أو الضغط الخارجي، بل بالنعمة والقدرة والرخاء، ليُظهر القرآن قانون السنن الربانية في صعود وهبوط الحضارات.

ويتبين أن الأحزاب تمثل الابتلاء من الخارج والداخل، وسبأ تمثل التمحيص بالنعمة والترف، ليكتمل بذلك البناء القرآني المتكامل لمفهوم صمود الأمة ونهوضها ونجاتها.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة سبأ المؤمنين إلى وقفة صادقة مع النفس حول طبيعة العلاقة بالنعمة والتمكين. فهل أنظر إلى التمكين والقدرة على الأرض على أنه **أمانة تتحمل مسؤوليتها**، أم مجرد فتنة تُغوي وتُلهي؟

هل أربي نفسي وأسرتي على **الشكر العملي** الذي يترجمه الالتزام بالطاعة والعمل الصالح، أم يقتصر شكرنا على الأقوال والشعارات؟

هل أخشى أن تتكرر مأساة الأمم السابقة، كما في قوله تعالى: "فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم"، أي هل أعي أن الغفلة والكفر بالنعمة يؤديان إلى الهلاك؟

وأخيرًا، هل أتعامل مع القرآن بوعي حضاري يوجه حياتي ويشكّل عملي ومجتمعي، أم أكتفي بأدائه كواجب ديني مجرد، بلا استيعاب لدروس السنن الربانية؟

هذا التأمل يربط بين الفرد والمجتمع، بين النعمة والتمكين، وبين الإدراك والواجب، ليكون العمل القرآني حجر أساس لبناء حضارة راشدة ومستدامة.

خاتمة

تعلّمنا سورة سبأ أن الحضارة الحقيقية لا تقاس بالرخاء أو العمارة وحدها، بل بالقدرة على **الشكر والعمل الصالح**، وبالعدل والوفاء بالواجب تجاه النعم، وربطها بالآخرة والالتزام بسنة الله في الأرض.

ومن لم يحسن الشكر على ما أنعم الله عليه، استبدله الله بقوم آخرين أكثر وفاءً وإدراكًا، كما حدث مع سبأ، لتكون العبرة واضحة: النعمة بلا شكر تُفضي إلى الزوال والهلاك.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾.

الدرس الاستراتيجي: التمكين مرتبط بالحق، والشكر أساس استمراره، والغفلة بالنعمة بداية الانهيار، فلا نهضة بلا وعي ولا صمود بلا التزام.

سورة فاطر

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ **فاطر**[1]، وهو من أسماء الله الحسنى التي وردت في مطلع السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.يشير هذا

[1] قال الهرري:" لتسمية: سميت بسورة فاطر أو بسورة الملائكة لذكرهما فيها" محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن،مرجع سابق،ج23ص335.

الاسم إلى **الخلق من العدم، والبديع في التقدير والتدبير**[1]، ويمثل تمهيدًا ذهنيًا وروحيًا لتلقي السورة، بحيث تتشكل لدى المتلقي **اليقين بقدرة الله المطلقة في الخلق والرزق والجزاء.**

المقصد العام للسورة:

تؤكد السورة أن الله هو فاطر السماوات والأرض، الذي يفيض على عباده بالنعم ويهب الرزق والعلم، وهو وحده المستحق للعبادة. كما تبين أن طريق العلم والعمل الصالح هو السبيل لرفع الأمة وتمكينها، بينما **الكفر والجحود يقود صاحبه إلى الخسران المبين.** السورة إذن تضع الأساس لفهم العلاقة بين القدرة الإلهية، ومسؤولية الإنسان، والنجاح الحضاري، ضمن سنن ربانية دقيقة تحدد صعود الأمم أو سقوطها.

البنية الموضوعية لسورة فاطر

تتدرج سورة فاطر في عرضها للأحداث والدروس بطريقة بنائية واضحة، تجمع بين التأصيل العقدي والتحليل الحضاري لسنن الله في الخلق والتمكين والهلاك، من خلال ستة محاور رئيسية.

أولًا: الله فاطر كل شيء (1–3)

تبدأ السورة بتأكيد قدرة الله المطلقة في الخلق والتدبير، فكل شيء مخلوق بإرادته، ومصيره إليه يعود. هذا التذكير يرسخ لدى الإنسان وعيًا عميقًا بعظمة الخالق، ويدعو إلى **التوحيد المطلق والطاعة الكاملة.**

ثانيًا: لا يقنط من رزقه إلا مغرور (4–7)

توضح الآيات أن الإنسان لا ينبغي أن يقنط من رحمة الله ورزقه، فحتى من وقع في

---

[1] قال الماتريدي:" الَ بَعْضُهُمْ: الفاطر: هو المبتدئ والبادئ؛ وهو قول الْقُتَبِيّ من أهل الأدب، وكذلك ذكر عن ابن عَبَّاسٍ أنه قال: " ما أدري ما (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، حتى جاء أعرابيان فاختصما في بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرتها أنا بدأتها، فعند ذلك عرفت "، أو كلام نحوه. ويجيء أن يكون الفاطر هو الشاق، أي: شق السماوات كلها من واحدة وكذلك الأرضين كقوله: (إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَت) أي: انشقت؛ كما قال: (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى) أي: الشاق". محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، مرجع سابق،ج8ص465.

الخطأ يستطيع الرجوع، إلا من استكبر وغرّته نفسه. ويتناول النص أيضًا دور الوحي والشيطان، والصراع بين الحق والباطل، ليُظهر أن الفطرة الإنسانية ميدان اختبار دائم.

ثالثًا: من سنن الله: التفاوت في الخلق (8–14)

تشرح السورة سنن الله في التفاوت بين الناس في الخلق، والقدرة، والرزق، بحيث يُترك الخيار لكل فرد: من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. يظهر هنا قانون الاختيار والمسؤولية، الذي يحدد مصير الأمم والأفراد.

رابعًا: أهل العلم والقرآن (15–28)

تركز الآيات على فضل العلم واتباع القرآن، وأن الله يرفع من خافه وعمل بعلمه. فالعلم لا يكون مجرد معرفة، بل وسيلة للارتقاء الروحي والاجتماعي، وربط الإنسان بالقيم الصالحة والعمل الصالح.

خامسًا: جزاء الصالحين والكافرين (29–38)

توضح السورة أن الكتاب والرسالة الإلهية تهدي إلى الصدق، وأن الصالحين ينالون الخلود في العطاء والجزاء، بينما الكافر يواجه الهلاك، فتبرز قاعدة الجزاء العادل.

سادسًا: تحذير من الغرور والاستدراج (39–45)

تختم السورة بالتحذير من الغرور والاستدراج، فتسقط الأمم إذا تكذبت أو أعرضت عن الحق، مهما بلغت من القوة أو الرفاهية، مؤكدّة أن سقوط الحضارة يبدأ بالتكذيب والغفلة، وليس بالعدو الخارجي وحده.

بهذا البناء، تقدم سورة فاطر رؤية متكاملة لسنن الله في الخلق والتمكين والهلاك، وتؤسس لفهم العلاقة بين القدرة الإلهية، ومسؤولية الإنسان، وبقاء الحضارات أو سقوطها.

(1–3): الله فاطر كل شيء... فله الحمد وحده

تبدأ السورة بتسليط الضوء على قدرة الله المطلقة في الخلق والتدبير، فالخلق والأمر والنعم كلها بيده وحده، ولا يملك البشر شيئًا من دون إرادته ومشيئته. هذه الآيات تذكّر الإنسان بأن النعمة الحقيقية تبدأ من الإيمان بالله والتعلق به، لا بالمال أو القوة أو المكانة الاجتماعية.

الرسالة الاستراتيجية:

لا يمكن إقامة أي مشروع حضاري أو نهضة صادقة إلا بعد **تجديد التصور عن الله**، والإقرار بأنه المالك المطلق، والرازق الحكيم، والمدبّر لكل أمر، والمستحق الوحيد للاتباع والطاعة، فكل قوة أو قدرة أو نجاح بدون هذا الوعي تصبح هشة وزائلة.

(4–7): مواجهة الوحي والشيطان

توضح السورة أن الإنسان في صراع دائم بين الحق والباطل، وأن الشيطان عدو واضح، يزيّن، ويعد، ثم يهلك، فلا يُعوّل عليه في شيء. ويؤكد الله أن الرسول ﷺ مُكلّف بالتبليغ فقط، وأن مسؤولية التمسك بالحق تقع على الفرد نفسه. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

النهوض بالأمة لا يتحقق إلا بالوعي التام بثنائية **الوحي مقابل الشيطان**. السبيل للنجاة والبناء الحضاري هو **ربط الأرض بالسماء، والعقل بالوحي**، فلا تقدم بدون الالتزام بالحق، ولا ثبات إلا بالاسترشاد بالرسالة الإلهية.

(8–14): تفاوت الناس سنّة... لكن الفرق في الهداية

توضح السورة أن الله خلق الناس متفاوتين في القدرات والرزق والميول، لكن الفرق الحقيقي يظهر في الهداية والوعي. فمن زُيّن له سوء عمله وغفل عن الحق، فلا هداية له، كما لا يستوي الأعمى بالبصير، ولا الظلمات بالنور. كذلك، الدعاء لأي غير الله لا يُستجاب، فتظل الصلة بالخالق هي الأساس في توجيه الحياة وتحديد المصير.

الرسالة الاستراتيجية:

معيار الرفعة والنجاح الحقيقي لا يقوم على المال أو القوة أو المنصب، بل على **البصيرة، والتوحيد، والعمل الصالح**. كل ما عداه زخرف لا وزن له أمام ميزان السنن الإلهية، فالتميز الحضاري يبدأ بالوعي والارتباط بالله، ويستمر بالعمل الصالح والثبات على الحق.

(15–28): من فقه السنن... أن الله غني وأن الرفعة لأهل العلم

تؤكد السورة أن الله غني عن العالمين، وأن البشر فقراء إليه في كل شيء، فلا عز حقيقي لمن يغفل عن ارتباطه بالله. يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾،فمن أراد العز والرفعة في الدنيا والآخرة فعليه بطلب العلم والعمل الصالح، وملازمة خشية الله في كل أمر. الاختلاف في الألوان والثمار والجبال وغيرها من مظاهر التنوع لا يرفع أحدًا، فالخشية والوعي هما الفيصل في التمكين والرفعة.

الرسالة الاستراتيجية:

الأمة تُبنى على **علماء ربانيين يخشون الله ويعملون بعلمهم**، لا على من يكثرون الجدال والمظاهر دون خشية، فالعز الحقيقي يرتبط بالعلم الصالح والخشية، لا بالمكانة أو القوة الزائفة.

(29–38): أهل القرآن هم أهل البصائر والخلود

تبيّن السورة أن أهل القرآن هم من يتلو كتاب الله ويتعبدون به، ويحولون تعاليمه إلى عمل صالح يثمر في حياتهم ومجتمعاتهم، فأفعالهم ليست عابرة، بل هي تجارة لا تبور، تستمر آثارها، وتثمر **الخير والخلود في الآخرة**. فهم الوارثون الحقيقيون للجنة، لأنهم بنوا حياتهم على بصيرة واتباع للحق.

الرسالة الاستراتيجية:

الأمة القرآنية هي **أمة الخلود والبقاء الحقيقي**. فالاتصال بالقرآن والعمل به هو أساس **التمكين والاستقرار الحضاري**، والسبيل لبناء مجتمع صامد، يعيش بالقيم، ويرتقي بالوعي والبصيرة.

(39–45): نهاية المتكبرين... وغفلة المستدرَجين

توضح السورة أن الله يمهل الناس ولا يهملهم، كما يقول تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.فالظالمون قد يبدو استمرارهم طويلًا، والأمم المستكبرة قد تُستدرج بالنعمة والرخاء، لكن سقوطهم حتمي إذا لم يُصلحوا أنفسهم ويعودوا إلى الحق. التأخير في العقوبة لا يعني الغفلة، بل اختبار وصبر قبل المحاسبة.

الرسالة الاستراتيجية:

لا ينبغي الانخداع ببقاء الظالم أو طول أمد التمكين الزائف، فهو غالبًا **يُستدرج حتى يقع في العقوبة على غفلة منه.**

و الوعي بهذه السنّة يحث الأمة على الثبات، وعدم التراخي، والاستفادة من الزمن في الإصلاح والبناء الصالح.

خلاصة تفسير سورة فاطر

تركز سورة فاطر على مجموعة من الرسائل الاستراتيجية التي تشكّل قواعد فهم علاقة الإنسان بالخالق وبالمجتمع، وبناء الحضارة وفق السنن الربانية.

الخلق كله لله، فالعبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضررًا، والقدرة والرزق كلّه بيد الفاطر، مستحق العبادة والطاعة وحده.

العلم الحقيقي لا يُقبل إلا مع **خشية الله**، بعيدًا عن الجدال والكبر، فالوعي والاعتراف بالمصدر الإلهي أساس الرفعة.

الشيطان لا ينجي أحدًا، فزينته ومكره تُبطل بالبصيرة والارتباط بالحق، والنجاة لا تكون إلا باتباع الوحي.

القرآن هو المنهج والبوصلة، فالتلاوة والعمل به سبب للرفعة الخالدة، ويجعل الأمة قائمة على بصيرة ووعي.

أما الأمم، فهي تُؤخذ بعد الإمهال، فتختبر بالنعم والتمكين، وتهلك حين يعميها الغرور ويغفلون عن الحق، لتتضح سنن الله في صعود وهبوط الحضارات.

الربط بين سورة فاطر وما قبلها

تتواصل سورة فاطر مع ما سبقها من البناء القرآني المتكامل، لتقدم بعدًا جديدًا لفهم صعود وهبوط الأمم.

في سورة سبأ، تركز الرسالة على **الحضارة المرتبطة بالنعمة**، فتنهض بالشكر وتنهار بالترف والغفلة، موضحة كيف أن التمكين المادي بلا وعي يؤدي إلى الزوال.

أما في سورة فاطر، فينتقل التركيز إلى **التمكين القائم على العلم والعمل والخشية**، حيث يصبح الإنسان قادرًا على الاستفادة من النعم وتحويلها إلى رقي حضاري. فسبأ تقدم درسًا في فقه النعمة والهلاك، بينما فاطر تقدم درسًا في **فقه العلم والخشية والتمكين الحقيقي**.

الرسالتان تكملان بعضهما، لتوضح أن نهضة الأمة تحتاج إلى **وعي بالنعم، علم يربطه بالعمل، وخشية لله توجه القوة والقدرة نحو الخير والتمكين المستدام.**

للتأمل الذاتي

تدعو سورة فاطر المؤمن إلى وقفة صادقة مع النفس حول موازين العلم والعمل والخشية: هل أطلب العلم لأتقرب إلى الله، أم ليكون وسيلة للتنافس على مكاسب الدنيا وزخارفها؟ هل أنا من الذين يخشون الله حق الخشية، بحيث يوجّه هذا الخوف سلوكي وقراراتي، ويضبط علاقاتي مع الخلق والخالق؟ هل علاقتي بالقرآن مجرد تلاوة كلام، أم أن القرآن **يقود حياتي وقراراتي ويشكل وعيي الحضاري**؟ هل أتأمل في مصائر الأمم الغابرة، وأستفيد من سنن الله في الاستدراج وسقوط الظالمين، حتى أعي خطر الغرور والغفلة وأتجنّب الوقوع فيه؟ هذا التأمل يربط بين الفرد والقراءة الحكيمة للسنن الإلهية، وبين الوعي بالمسؤولية الحضارية والارتباط الحقيقي بالخالق.

خاتمة

تعلّمنا سورة فاطر أن الرفعة الحقيقية والعاقبة الحسنى لا تُقاس بالمظاهر أو بالمكانة المادية، بل **بالتوحيد، وبالعلم، والعمل الصالح، وبالخوف الواعي من الله**، فكل أمة أرادت التمكين والخلود في الأرض، فعليها أن **تمسك بالقرآن، وتُعدّ رجالًا ونساءً يخشون الله في السر والعلن، ويعملون بعلمهم وإيمانهم**، ليكونوا أساس نهضة حضارية صادقة ومستدامة، فالتمكين لا يُبنى إلا على العلم والوعي والالتزام بالحق، لا على القوة أو الثراء وحدهما.

سورة يس

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "**يس**"[1]، وهي من الحروف المقطعة، ويفسرها بعض أهل العلم على أنها **نداء للنبي ﷺ**، مثل "يا إنسان" أو "يا سيد". وتفتتح السورة بقسم الله

[1] قال الهرري:" وسميت هذه السورة سورة يس؛ لأن الله سبحانه افتتح السورة الكريمة بها، وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، وتسمى أيضًا القلب والدافعة والقاضية والمعمِّمة". محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج23ص469.

تعالى:

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾[1].

يشير هذا الافتتاح إلى **التثبيت والتكريم والخصوصية النبوية**، ليبدأ الوحي بإعادة بناء ثقة النبي ﷺ برسالته في مواجهة التكذيب والاعتراض، مؤكدًا أن الرسالة إلهية وأن البصيرة ثابتة للثابتين.

المقصد العام للسورة:
تؤكد السورة أن **القرآن وحي حكيم**، وأن الرسالة حق لا مراء فيه، وأن العاقبة للأمة المؤمنة الصابرة على الحق، بينما المكذبون يسيرون في غفلة نحو الهلاك. كما تبرز قدرة الله على **البعث والنهاية**، مؤكدة أن الخلق من البداية يستلزم القدرة على الإعادة والحساب، ليكون كل أمر محكومًا بالعدل والحق.

السورة إذن تجمع بين **التثبيت النبوي، وضمان الثقة بالرسالة، والتحذير من الغفلة، وتوضيح سنن الله في الحياة والآخرة**، لتكون قاعدة لفهم منهجية الإيمان والعمل الصالح ضمن سنن ربانية دقيقة.

البنية الموضوعية لسورة يس

تتدرج سورة يس في عرضها للأحداث والدروس بأسلوب بنائي استراتيجي، يجمع بين التأصيل العقدي والتحليل الحضاري للسنن الربانية، من خلال خمسة محاور رئيسية:

أولًا: إثبات الرسالة (1–12)
تبدأ السورة بإثبات ثبوت النبوة والرسالة، وتأكيد حكمة القرآن وصدق الدعوة، لتثبيت قلب

[1] قال السمعاني:" قَالَ ابْن عَبَّاس: قسم أقسم الله بِهِ، وَقَالَ قَتَادَة: اسْم للسورة، وَقَالَ مُجَاهِد: يس من فواتح الْقُرْآن، وَقَالَ (الْحسن) وَسَعِيد بن جُبَير وَالضَّحَّاك وَجَمَاعَة معنى قَوْله: {يس} يَا إِنْسَان، وَهَذَا هُوَ أشهر الْأَقَاوِيل، قَالَ ثَعْلَب: هُوَ يَا إِنْسَان بلغَة طي، وَقَالَ غَيره: بلغَة كلب، وَقَرَأَ عِيسَى بن عمر: " يسن " بِالنّصب، وَيُقَال مَعْنَاهُ: يَا مُحَمَّد". أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، **تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج4ص365.

النبي ﷺ أمام التكذيب والاعتراض، مع التأكيد على أن القرآن وحي من عند الله لا مرية فيه.

ثانيًـــــــــــا: قصـــــــــــــة القريـــــــــــــة (13–29)

تقدم السورة نموذجًا للتبليغ والرفض، حيث يُرسل الرسل إلى قرية تكذبهم وتستهزئ بهم، لتظهر العاقبة الواضحة للثابتين والمتقاعسين، وتبرز سنن الله في **الفرز بين المؤمن والمكذب**.

ثالثًـــــــــــا: مشـــــــــاهد القـــــــــدرة الإلهيـــــــــة (30–44)

تستعرض السورة دلائل القدرة الإلهية في الخلق والرزق، مثل الشمس والقمر والسماء والأرض والسفن، لتذكّر الإنسان بعظمة الخالق وبأن كل شيء تحت تدبيره، وتعزز الوعي بالحقائق الكبرى في الكون.

رابعًـــــــــــا: البعـــــــــــث والنشـــــــــــور (45–65)

ترد السورة شبهات المكذبين حول البعث والنشور، وتوضح أهوال الآخرة والجزاء العادل، مؤكدة أن الله قادر على إعادة الخلق والحساب، وأن الحياة الآخرة ليست مجرد وهم.

خامسًـــــــــــا: فـــــــــــرز المصـــــــــــير (66–83)

تختم السورة بعرض طريقين واضحين للمصير: **الجنة للثابتين على الحق، والجحيم للمكذبين والمستكبرين**، لتبرز سنّة الله في المكافأة والعقاب، ولتكون رسالة تحذير ودعوة في الوقت نفسه.

بهذا التدرج، تقدم سورة يس رؤية متكاملة للتثبيت النبوي، والقدرة الإلهية، ووعي الأمة بمسارها بين الإيمان والكفر، وتوضح قواعد البقاء والتمكين والهلاك وفق السنن الربانية.

(1–12): الرسالة حق والقرآن هداية

تؤكد السورة في مطلعها أن القرآن ليس أسطورة أو كلامًا عابرًا، بل **حكمة إلهية صافية**، وأن النبي ﷺ مرسل على صراط مستقيم، يحمل رسالة واضحة للناس كافة. وظيفة

القرآن الأساسية هي **إنذار من كان حيًّا بالقلب والوعي**، وتنبيه الأمة إلى الحق والواجب قبل أن تحل العقوبة أو تكتمل السنن الربانية في الفرز بين الثابت والمكذب.

الرسالة الاستراتيجية:

لا يمكن أن تنهض أمة إلا بـ **اليقين برسالة النبي ﷺ**، ولا يُثمر أي عمل دعوي أو إصلاحي إلا بالوعي الكامل بـ **الحكمة القرآنية ومقام النبوة**، ليكون التبليغ مؤسسًا على معرفة وعمل، لا مجرد قول ظاهر.

(13–29): قصة القرية –قصة دعوية مُلهمة

تسرد السورة قصة قرية[1] أرسل الله إليها اثنين من الرسل﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾[2]، فأيدهما بثالث، لكن قومهم كذبوا واستكبروا عن الحق. حتى جاء رجل من أقصى المدينة يسعى لنصرة الرسل، فواجه الكفار وصمد، وبالرغم من أنه قُتل في سبيل الحق، جاء وعد الله له بالجنة، تقديرًا لشجاعته وإخلاصه.

الرسالة الاستراتيجية:

أبطال الدعوة ليسوا الأنبياء وحدهم، بل **أي صادق مستعد للتضحية بنفسه لنصرة الحق**، والمكذبون قد يُمهَلون لفترة، لكن **الحق لا يُترك بلا عقوبة**، والسنن الربانية في الفرز والجزاء واضحة للثابتين والمكذبين على حد سواء.

(30–44): مظاهر القدرة والرحمة في الخلق

---

[1] قال ابن القيم:" قال: هي أنطاكية." العلامة ابن القيم ، **الجامع في أمثال القرآن**، ، جمعه ورتبه ووثق نصوصه وحققه: أبو أويس، الكردي، (جمع أمثال القرآن التي ذكرها ابن القيم في كتبه ورتبتها على السور)، راجعه وقدم له: الشيخ مصطفى العدوي، الناشر:، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م،ص189.

[2] قال مجاهد:" {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس: ١٤] ، يَعْنِي: «شَدَّدْنَا»" أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ)،: **تفسير مجاهد**، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م،ص559.

تبيّن السورة قدرة الله وعظمته في **الخلق والتدبير**، فتشير إلى الأزواج، الليل والنهار، الشمس والقمر، والسفن التي تبحر في البحار، كلها دلائل واضحة على **القدرة الإلهية ورعاية الكون.** هذه المظاهر ليست مجرد جمال طبيعي، بل **آيات تذكّر الإنسان بربه وتدعم الرسالة القرآنية.**

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الكون **كتاب ناطق للإنسان**، يعزز الوحي ويؤيده بالحجة والبراهين. من لم ير الله وعظمته في الشمس والنجوم والبحار، فلن يدرك قدره في **السور والآيات المكتوبة.** الوعي بهذه السنن يرسخ اليقين ويقوي الثقة في الحق والرسالة.

(45–65): الرد على المنكرين والبعث العظيم

توضح السورة كيف أن المكذبين يصرّون على **العرض والإعراض عن الحق**، ويستهزئون بالنصيحة والأمر بالمعروف، كما يظهر في موقفهم من الإنفاق لقضاء حاجات الفقراء: ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾ ثم تأتي الصيحة، ويحدث **البعث والنشور والحساب** لكل عمل.

الرسالة الاستراتيجية:

الفجور في الإنفاق، والاستكبار على النصيحة، هما **علامتان تحذّران من قرب النهاية والعقوبة**، هذه السنن الربانية تبيّن أن **التكذيب والإعراض عن الحق لا يطيل البقاء، وأن المحاسبة والجزاء حتمية.**

(66–83): فرز المصير وبيان الخاتمة

تختم السورة بعرض المصير النهائي للناس: الصالحون يُدخلون **جنات النعيم**، والمجرمون يُلقون في **العذاب المهين**، لتبرز العدالة الإلهية والفرز النهائي بين الحق والباطل.

وتختم السورة بآية عظيمة تبيّن قدرة الله المطلقة على الخلق والبعث: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الخلق والبعث والحساب والمصير كلّها **بيد الله وحده.** لذلك، يجب أن يكون العمل خالصًا لمرضاة الله، لا لأهواء الناس، وأن يبني الإنسان حياته على الحق والخشية، مؤمنًا بأن كل شيء مقدّر بعلم الله وحكمته.

خلاصة تفسير سورة يس

تركّز سورة يس على مجموعة من الرسائل الاستراتيجية التي تشكّل أسس فهم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإيمان والعمل والمصير:

الرسالة: ثابتة، صادرة من عند الله، متصلة بالحكمة، تهدي القلوب وتثبت النفوس على الحق.

الدعوة: تتطلب الثبات والتضحية، ولا يقومها الأنبياء وحدهم، بل يشترك فيها الصادقون من العامة والخاصة، مستعدين لنصرة الحق بكل أمانة وشجاعة.

الكون: كتاب ناطق يُفسر الوحي، والآيات فيه تدل على قدرة الله وعظمته، لتعضد الإيمان وتعزز اليقين.

البعث: واقع لا مفر منه، والعاقل هو من يُعد له بالعمل الصالح والوعي الكامل بسنن الله.

المصير: فردي، قائم على العمل والنية، لا على الشعار أو العدد، فالثواب والعقاب بمقدار الصدق والاتباع والالتزام بالحق.

الربط بين سورة يس وما قبلها:

تتواصل سورة يس مع البناء القرآني المتكامل الذي عرضته السور السابقة لتكمل **رؤية الأمة ونهضتها:**

في سورة **فاطر**، تركز الرسالة على أن **الله هو فاطر الكون والعلم**، وأن الرفعة الحقيقية للناس تأتي بالعلم والخشية والتمكين وفق سنن الله.

أما في سورة **يس**، فينتقل التركيز إلى **الدعوة للقرآن**، **وتثبيت النبي ﷺ**، **والوعي بالمصير النهائي**، مؤكدة أن كل شيء، من الخلق إلى البعث والحساب، **بيد من فطر كل شيء**، وأن الصلاح والهلاك مرتبطان بالاستجابة للحق والعمل بالهدى.

بذلك، تكمل السور بعضها: فـ **فاطر** تضع أسس التمكين بالعلم والخشية، و**يس** تترجم هذه الأسس إلى دعوة عملية للرسالة والوعي بالمصير، مع التركيز على الحكمة والبصيرة في اتباع السنن الربانية.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة يس المؤمن إلى وقفة صادقة مع نفسه حول العلاقة بالقرآن والعمل الصالح:

هل أستشعر أنني **من الذين يُنذرهم هذا القرآن**، فأُحسن الاستجابة وأتقي الغفلة؟

هل أنا ممن **يسعى بالحق ويضحّي من أجل نصرة الرسالة**، كما فعل صاحب القرية الذي ثبت على الصواب؟

هل أتدبر **دلائل القدرة الإلهية من حولي**، في الكون والخلق والرزق، لأزداد يقينًا وعزمًا؟

هل أستعد **ليوم البعث والنشور**، وللنداء الحقّ: "وامتازوا اليوم أيها المجرمون"؟

هذا التأمل يربط بين **الوعي الفردي**، **والقدرة على الثبات في الحق**، **والاستعداد للآخرة**، ويجعل من قراءة السورة تجربة تربوية وبصيرة عملية في الحياة.

خاتمة

سورة يس ليست مجرد نص يُتلى للبركة، بل **رسالة استراتيجية للأمة والداعية وللإنسان الفرد.**

تُعلّمنا أن **الدعوة تحتاج صبرًا وتضحية**، وأن **ثبات الرسالة مرتبط بالقرآن وبالحكمة الربانية.** كما تؤكد أن الناس **يُفرزون يوم البعث، ويُحاسب كل فرد على عمله وصدق نيته** ليتضح الدرس المركزي وهو أن الارتباط بالحق والعمل الصالح هو ما يضمن الاستقامة والتمكين، لا مجرد الكلمات أو المظاهر.

سورة الصافات

الاسم والدلالة: افتتحت السورة بالقَسَم بالصافّات صفًّا، في إشارة مقصودة إلى الملائكة المصطفّين في طاعة الله، لا باعتبارهم مجرد كائنات غيبية، بل بوصفهم نموذجًا أعلى للاصطفاف الكامل حول الأمر الإلهي، فالتسمية[1] تحمل دلالة بنائية عميقة، إذ تقرر منذ البدء أن حركة الحق في الكون لا تقوم على العفوية ولا على الجهود المتناثرة، وإنما على صفٍّ منظمٍ متراصٍّ، تتوحد فيه الوجهة، وتنتظم فيه الطاعة، ويذوب فيه الفرد في مقصد الرسالة، ومن ثمّ فإن السورة تضع القارئ أمام حقيقة استراتيجية مفادها أن التمكين لا يتحقق إلا حين تتحول العقيدة إلى صفّ، ويتحول الإيمان إلى اصطفاف واعٍ في الفكر والعمل والسلوك.

المقصـــــــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:

تتجه سورة الصافات إلى ترسيخ أصول التوحيد والبعث، وتثبيت النبي ﷺ في مواجهة

[1]قال حموش:" قال المهايميّ: (سميت بها لاشتمال الآية التي هي فيها على صفات للملائكة تنفي إلهية الملائكة من الجهات الموهمة لها فيهم. فينتفي بذلك إلهية ما دونهم، فيدل على توحيد الله، وهو من أعظم مقاصد القرآن) – ذكره القاسمي رحمه الله." الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش ،**التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر** ، الناشر: (المؤلف)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م،ج6ص385.

موجات السخرية والتكذيب، وذلك من خلال إدخاله في موكب النبوة الممتد عبر التاريخ، حيث تتكرر سنة الصراع بين الحق والباطل، ويتجلى ثبات الصفّ المؤمن في مقابل تهاوي جبهات الشرك. فالسورة تعرض الصراع لا بوصفه حادثة عابرة، بل باعتباره قانونًا كونيًا تحكمه سنن واضحة، في مقدمتها أن العاقبة للصفّ الموحِّد الصابر، وأن الباطل، مهما امتلك من قوة وضجيج، محكوم بالاندحار. وبهذا تؤسس السورة وعيًا رساليًا جماعيًا، ينقل الدعوة من دائرة المواجهة الفردية إلى أفق الاصطفاف المنظم، حيث تتكامل القيادة والاتباع، وتُبنى الأمة على منطق الصفّ لا على منطق الأفراد المتفرقين.

تنتظم سورة الصافات في بنية موضوعية محكمة، تتدرج بالقارئ من عالم الغيب الأعلى إلى ساحة الصراع الإنساني، ثم تنتهي بحسم المعركة لصالح التوحيد والوحي.

تبدأ السورة في الآيات من **1 إلى 10** بتأسيس مشهد الاصطفاف الأعلى، حيث يُعرض نموذج الطائعين في أبهى صوره: الملائكة المصطفّون صفًّا في طاعة الله، القائمون على تنفيذ أمره، والحافظون للوحي من كل اختراق. وفي هذا المطلع ترسيخ للتوحيد الخالص، وبيان أن الكون محروس بإرادة الله، وأن مصدر الرسالة محفوظ من عبث الشياطين، مما يؤسس لمرجعية الوحي بوصفها منطلق الصراع كله.

ثم تنتقل السورة في الآيات من **11 إلى 39** إلى مواجهة مباشرة مع المكذبين، كاشفة عن هشاشة تصوراتهم وسخريتهم من البعث والجزاء. وتعرض السورة أسئلتهم الاستهزائية لا لتناقشها جدلًا، بل لتفككها من الداخل، مقررة أن الإعادة أهون من البدء، وأن إنكار الآخرة ليس إلا امتدادًا للغفلة والعناد. وهنا يتجلى التوحيد في صورته الجدلية الحاسمة، بوصفه الميزان الذي تتكشف به زيف السخرية وقصر نظر المنكرين.

وفي الآيات من **40 إلى 74** يُفتح مشهد المصير، حيث يُفرز الناس إلى فريقين متقابلين: عباد الله المخلَصين في نعيم مقيم، والمجرمين في عذاب مهين. ويُعرض هذا المشهد لا بوصفه مجرد ترهيب أو ترغيب، بل باعتباره نتيجة طبيعية للاصطفاف السابق: صفٌّ اختار التوحيد والطاعة، وصفٌّ أصرّ على الشرك والتكذيب، فجاء الجزاء من جنس الاختيار.

ثم تمضي السورة في الآيات من **75 إلى 148** لعرض موكب النبوة الموحد عبر تسع قصص متتابعة، من نوح إلى يونس عليهم السلام. وتبرز هذه القصص وحدة الرسالة، وتشابه المواقف، وتكرار سنة الصراع بين الرسل وأقوامهم، مع اختلاف الأزمنة والبيئات. فالأنبياء جميعًا يقفون في صفٍّ واحد، يدعون إلى التوحيد، ويواجهون التكذيب، ثم تكون العاقبة لهم ولمن آمن معهم، في ترسيخ تاريخي لمعنى الصفّ الرسالي الممتد عبر العصور.

وتُختَم السورة في الآيات من **149 إلى 182** بحسم عقدي ونهائي للمعركة، حيث يُردّ على دعاوى الشرك وردّتهم في نسبتها إلى الله، ويُعاد تثبيت الوحي والرسالة، مع إعلان صريح أن النصر للمرسلين، وأن جند الله هم الغالبون. وتنتهي السورة بتنزيه الله عن كل ما يصفه به المشركون، وبالسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وكأنها ختمٌ يؤكد أن الصفّ الموحد هو خاتمة الصراع وبدايته في آن واحد.

في الآيات **(1–10)**تفتتح سورة الصافات بالقَسَم بالصفوف،﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١﴾ لتضع منذ اللحظة الأولى أساس المعركة العقدية الكبرى. فالملائكة تُعرض بوصفها صفًّا منظمًا في الطاعة، تؤدي أدوارها في الزجر والتنفيذ والتسبيح دون تخلّف ولا اضطراب، في صورة كونية عليا للانضباط الكامل حول أمر الله. وليس هذا المشهد لمجرد البيان الغيبي، بل لتقرير أن الوحي الذي ينزل إلى الأرض محاط بحماية إلهية شاملة، إذ تُمنع الشياطين من استراق السمع، وتُجعل النجوم حرّاسًا للسماء، في تأكيد حاسم على أن مصدر الرسالة مصون من التحريف والاختراق. ومن خلال هذا التأسيس، تقرر السورة رسالة استراتيجية واضحة: حماية الوحي ليست شأنًا تاريخيًا عابرًا، بل مهمة كونية مستمرة، كما أن أي مجتمع رسالي لا يمكن أن يقوم أو يستمر إلا إذا تشكّل على هيئة صفٍّ منضبط، متوحد حول الحق، يستمد تماسكه من مرجعية الوحي المحفوظ.

في الآيات **(11–39)**تنتقل سورة الصافات من مشهد الحماية الكونية للوحي إلى ساحة المواجهة النفسية والفكرية مع الساخرين المكذبين، حيث يُنقل خطابهم الاستهزائي الذي يتساءلون فيه عن إمكان البعث بعد الفناء: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ١٦﴾؟.

ويُعرض هذا التساؤل لا بوصفه طلبًا للحق، بل باعتباره تعبيرًا عن استعلاء ساخر، يظن أصحابه أن الاستهزاء يغنيهم عن الحجة، وأن الضحك على الحق كفيل بإسقاطه. غير أن السورة تقلب ميزان السخرية، فتُبيّن أن هذا الموقف لا يصدر عن قوة فكرية، بل عن عجز عن مواجهة الحقيقة، وأن الاستهزاء ليس إلا ستارًا يخفي خواء الموقف وضيق الأفق.

وفي هذا السياق يأتي تثبيت النبي ﷺ تثبيتًا هادئًا وعميقًا، إذ تُظهر السورة أن الساخرين، مهما ارتفعت أصواتهم، هم الطرف المهزوم في مآل الصراع، وأن الحق لا يُقاس بلحظة الاستهزاء، بل بما يحمله من يقين وسنة جارية. وهكذا تتجلى الرسالة الاستراتيجية لهذا المقطع: السخرية من الوحي لا تبطل الحق، بل تكشف ضعف الحجة، وعلى الداعية أن يصبر على الأذى، ويمضي في طريقه واثقًا بأن العاقبة ليست للضجيج، وإنما لليقين والثبات.

في الآيات **(40–74)**تفتح سورة الصافات مشهد المصير النهائي، فتنتقل من جدل الدنيا وسخريتها إلى لحظة الفرز الحاسم التي تتكشف فيها الحقائق بلا مواربة. يُعرض أهل الجنة في نعيم مقيم، آمنين مطمئنين، وقد تحققت لهم ثمرة الإيمان والصبر، في مقابل أهل النار الذين يواجهون الندم والحسرة بعد أن ضيّعوا أعمارهم في التكذيب والاستهزاء. ولا يقتصر العرض على الوصف، بل يتخلله حوار كاشف بين أهل الجنة والضالين، يُبرز المفارقة المؤلمة بين من اختار طريق التوحيد ومن انساق خلف الضلال، ويجعل العاقبة ناطقة بعدل الاختيار في الدنيا.

ومن خلال هذا المشهد يتضح مآل المكذبين الطغاة الذين استكبروا عن الحق وظنوا أن القوة أو السخرية تمنحهم حصانة من الحساب، فإذا هم أول من يواجه الخيبة والانكسار. وهنا تتجلى الرسالة الاستراتيجية لهذا المقطع بوضوح: مشهد الآخرة ليس للتخويف المجرد، بل لحسم أمر الاصطفاف في الدنيا؛ إذ يُوضع الإنسان أمام خيارين لا ثالث لهما، صفّ الموحدين الذين انتهوا إلى الكرامة، أو صفّ الساخرين الذين آلوا إلى الخسران.

في الآيات **(75–148)**تعرض سورة الصافات موكب النبوة بوصفه صفًّا واحدًا ممتدًا عبر التاريخ، تتعدد فيه التجارب وتتنوع صور الابتلاء، بينما تبقى الرسالة واحدة والغاية واحدة.

فتستحضر السورة **نوح** في مواجهة الطوفان والتكذيب الطويل، ثم **إبراهيم** في صراعه مع الشرك الأسري والمجتمعي، وما تبعه من ابتلاء الذبح وتسليم الأمر لله، ثم تذكر **إسحاق** ويعقوب في سياق الامتداد المبارك للنبوة عبر الذرية الصالحة. ويأتي بعد ذلك ذكر **موسى** وهارون في مواجهة الطغيان المنظّم، حيث يتجلى الصراع بين الوحي والسلطة الجائرة، ثم يُعرض نموذج **إلياس** في دعوته لقوم عبدوا البعل، ولوط في معركته الأخلاقية مع الانحراف الجماعي، ويُختَم الموكب بقصة **يونس** التي تُبرز أثر الصبر والرجوع إلى الله في أحلك لحظات الدعوة.

وتتكامل هذه النماذج لتؤكد أن كل نبي مرّ بابتلاء خاص، لكنهم جميعًا التقوا عند أصل واحد هو الثبات على التوحيد، والقيام بواجب البلاغ دون التفات إلى كثرة المكذبين أو شدة الأذى. فموكب النبوة في هذا المقطع ليس استعراضًا تاريخيًا، بل بناءٌ لوعي رسالي يرى في الأنبياء جنودًا في صفٍّ واحد، وحملةَ راية واحدة، يجمعهم التوحيد، ويرفعهم العمل، وتكتب لهم العاقبة مهما طال الطريق أو اشتد البلاء.

في الآيات **(149–182)**تبلغ سورة الصافات ذروة الحسم العقدي، حيث تواجه دعاوى الشرك مواجهة مباشرة كاشفة، فتُبطل زعم المشركين حين نسبوا إلى الله ما يأنفون منه لأنفسهم، وادّعوا أن له البنات، في تناقض فاضح يكشف اضطراب التصور وفساد الميزان. وتُعرّي السورة حقيقة المعبودات الباطلة، فتبيّن أن عباد الأصنام لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عن أن ينصروا غيرهم، وأن العلاقة بينهم وبين أتباعهم ستنقلب يوم القيامة إلى خصومة وتبرؤ.

وفي ختام السورة يرتفع الخطاب إلى مقام التنزيه المطلق، فيُنزَّه الله عما يصفه به المشركون، ويُسَلَّم على المرسلين، ويُختَم بالحمد لله رب العالمين، في تثبيت نهائي للوحي، وتأكيد راسخ لمكانة النبي ﷺ ضمن الصف الرسالي المنتصر. وتتجلى الرسالة الاستراتيجية لهذا الختام بوضوح: أهل الشرك، مهما ظهر لهم من تماسك، هم في حقيقتهم مفككون متناقضون، أما أهل الوحي فهم صفٌّ واحد متماسك، يستمد قوته من صدق المرجعية ووحدة الوجهة، ولذلك لا يُكسر صفهم ولا تُهزم رسالتهم.

خلاصة تفسير سورة الصافات

العمل الجماعي: تؤكد السورة أن الصف المنضبط شرط أساسي للنصر، من الملائكة في السماء إلى الأنبياء على الأرض، فالنجاح الجماعي مبني على وحدة العقيدة والتنسيق في العمل.

السخرية: يُبين النص أن السخرية من الوحي لا تبطل الحق، بل تكشف ضعف الموقف وجهل المكذبين، وتؤكد على صبر الداعية وثباته على الرسالة.

النبوة: الرسالة النبوية واحدة في جوهرها، تقوم على التوحيد، والجهاد في سبيل الله، والثبات أمام المكذبين والمستكبرين، رغم اختلاف الزمان والمكان والابتلاءات.

المصير: تحدد السورة مصير الفريقين بوضوح: الجنة للموحدين الصابرين، والنار للمستكبرين المكذبين، في تأكيد لحكمة الله وعدله في الجزاء.

الرسالة: تبقى الرسالة ثابتة، لا تتبدل بزمن أو مكان، والحق منصور في النهاية، والنصر حتمي للصف الموحد على الباطل والشرك.

الربط مع ما قبلها:

تأتي سورة **يس** لتؤسس لمرحلة التثبيت الفردي، حيث يتم التركيز على النبي ﷺ في دوره كداعٍ ومبشّر، وتنبيه القلوب للبعث والجزاء، مع إبراز رحمة الله وعظمة الوحي. هنا يكون التركيز على **التبليغ والإنذار الفردي**، وتعزيز اليقين الشخصي بالمصدر الإلهي للرسالة.

ثم تنتقل سورة **الصافات** لتأخذ القارئ إلى مرحلة أوسع، حيث يُعرض **اصطفاف الأنبياء والمؤمنين** في صف واحد، وبناء معسكر التوحيد الكامل ضد الباطل والشرك. فالسورة تُظهر أن النصر لا يتحقق إلا بالصف الموحد، وأن الرسالة تتحول من تجربة فردية إلى منظومة جماعية متكاملة، حيث تتلاحم العقول والقلوب حول الهدف نفسه، فتتضح صورة **التوحيد الرسالي والصف الجماعي** بوصفها شرطًا أساسيًا للثبات والانتصار.

للتأمل الذاتي، تدعونا سورة الصافات إلى محاسبة النفس بعمق وصدق. علينا أن نسأل أنفسنا: هل أنا فعلاً جزء من الصف الموحد، أم أنني أتركني للتيه الفردي الذي يضعف أمام الضغوط ويبتعد عن الحق؟ هل أستخف بالسخرية من الدين، أم أني أقف صامدًا، مستمدًا القوة من اليقين والصفّ المخلص؟ هل أستلهم من موكب النبوة صبر الرسل وثباتهم في مواجهة الابتلاءات، وأجعل ذلك منهجًا في حياتي؟ وهل ترتبط رسالتي في هذه الدنيا بالحق والتوحيد، أم أركن إلى الهوى والمظاهر الزائلة؟ هذه الأسئلة ليست مجرد تأملات نظرية، بل محكّ عملي يحدد اتجاه حياتنا، واختبار حقيقي لما إذا كنا في صف الحق أم في صف الضلال.

خاتمة:

تُختتم سورة الصافات بتأكيد صريح على أن الصف العقائدي والعملي للأمة ليس خيارًا، بل ضرورة للتمكين والثبات. فهي تُرينا أن النصر لا يتحقق إلا لمن اصطفّوا لله، ووحّدوا وجهتهم حول الحق، وصبروا على أذى الساخرين والمكذبين، مستمدين قوتهم من اليقين بالرسالة ووحدة الصفّ. وفي ختام السورة يُرفع التنزيه لله عز وجل، ويُسَلَّم على المرسلين، ويُحمد الله رب العالمين، مصداقًا لقول الله:

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾.

سورة "ص"

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "**ص**"،[1] وهي من الحروف المقطعة التي تحمل مدلولات القوة والوضوح والحسم، كما تشير ضمنيًا إلى الصبر والثبات، وهما عماد هذه السورة. وقد افتُتحت بالقَسَم:﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ .هذا الافتتاح يرسّخ أن القرآن هو الذكر المبين، والنور الهادي، والقيادة الحقّة في مواجهة تكبر الطغاة وسخريتهم، وأن الرسالة الإلهية قائمة على اليقين والصبر لا على السلطة أو المنزلة الاجتماعية.

المقصد العام للسورة:

تتجه السورة إلى تثبيت النبي ﷺ بالصبر على ما يلقاه من تكذيب ومحنة، كما صبر أولو العزم من الرسل قبله، وتوضح أن الغرور بالجاه أو السلطة لا يعيق ظهور الحق، ولا يبرر التكبر عن اتباع الوحي. فالعاقبة للمتقين من أهل الذكر، والصف الموحد حول الحق، والصبر على البلاء هو الطريق الذي يضمن تمكين الرسالة ونصرتها.

تنتظم سورة "**ص**" في بنية موضوعية متكاملة، تتدرج بسلاسة من مواجهة المكذبين المستكبرين إلى عرض مآل الأمة وفق الاصطفاف الإيماني، ثم تتناول جذور العداء والاستكبار.

في البداية، من الآيات **1 إلى 16**، تتجلى مواجهة الكبراء وسخريتهم، حيث يرفع المكذبون أصواتهم مستهزئين بالرسول ﷺ، متسائلين:﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥﴾ ، في مشهد يوضح تعنت الطغاة وعنادهم أمام الحق.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة ص لافتتاحها بهذا الحرف العربي أحد أحرف الهجاء الثمانية والعشرين، للدلالة على أن هذا القرآن العظيم مكون ومنظوم من حروف الهجاء العربية، ومع ذلك لم يستطع العرب الفصحاء الإتيان بمثل أقصر سورة منه، فبدئ به بهذه السورة كغيرها من السور المبدوءة بحروف هجائية، بقصد تحدي العرب، وإثبات إعجاز القرآن." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج23ص161.

ثم تمتد السورة في الآيات **17 إلى 26** لتؤكد تأييد السماء للرسول ﷺ من خلال قصة داود عليه السلام، الذي واجه الابتلاء مع الحفاظ على العدل، مؤكدة أن قوة الرسالة تأتي من الله، وليس من سلطان الأرض أو الجاه.

بعد ذلك، في الآيات **27 إلى 48**، يُثبت النبي ﷺ بالصبر عبر عرض القصص النبوية، من أيوب عليه السلام الذي صبر على الابتلاءات، إلى إبراهيم وإسماعيل وإلياس، موضحين أن الثبات على التوحيد والعمل الحق هو طريق النصر والتثبيت الإلهي.

وفي الآيات **49 إلى 64**، يُعرض مآل المستكبرين والمتبعين، فالجنة لأولئك الذين صبروا وآمنوا، وأهل الجحيم لأولئك الذين أصرّوا على الكفر والاستكبار، في إظهار واضح للجزاء والاختيار بين الحق والباطل.

وأخيرًا، من الآيات **65 إلى 88**، يُناقش أصل العداء عبر إبليس، موضحًا امتداد الصراع بين الحق والباطل منذ البداية، وكيف أن الاستكبار هو المحرك الأساسي للخصومة ضد الوحي، ليكتمل بذلك بناء السورة حول محور الصبر والثبات والصفّ الموحد.

في الآيات **(1–16)**تبرز سورة "ص" مواجهة المكابر من السادة والزعماء الذين عارضوا الدعوة بدافع الحفاظ على مصالحهم وامتيازاتهم الاجتماعية والسياسية. فقد جاء في قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾)، ليكشفوا عن موقفهم الاستعلائي المملوء بالخوف من فقدان النفوذ والسلطة، ولم تكن السخرية من النبي ﷺ مجرد تهكم، بل جزء من استراتيجية سياسية لإضعاف تأثير الرسالة في نفوس الناس والسيطرة على المجتمع. ومن هذا المنظور، تُظهر السورة أن **أصحاب النفوذ لا يُكذّبون غالبًا لعجز في الحجة، بل لخوفهم على امتيازاتهم الطبقية والسلطوية**، وهو درس أساسي في فهم ديناميكيات المعارضة للحق عبر التاريخ.

في الآيات **(17–26)**تقدم سورة "ص" نموذج **داود عليه السلام** كقدوة قيادية تجمع بين النبوة والملك والعبادة والعدل. فقد جاء فيه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ

ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾، ليبين أن السلطة مصحوبة بمسؤولية عظيمة. واجه داود اختبارًا رمزيًا في الخصومة، وجرى توجيهه بأن يحكم بالحق دون أن يتبع هوى نفسه أو تأثير المنافقين، معتمدًا على الخشية واليقين الإلهي في إصدار الأحكام. ومن هذا المنطلق، تحمل السورة رسالة استراتيجية واضحة: **أعظم امتحان للحاكم هو ألا يُفتن بسلطته، وأن يبدأ الحُكم من الخشية والعدل، لا من البطش والسيطرة، فالمعيار الحقيقي للقيادة الصالحة هو الصدق مع الحق قبل أي اعتبار آخر.**

في الآيات **(27–48)**تعرض سورة "ص" تسلسل الابتلاءات التي واجهها الأنبياء، لتكون درسًا عمليًا في الصبر والثبات على الحق. فقد صبر **أيوب عليه السلام** على المرض والبلاء دون أن يلتفت إلى الظلم أو اليأس، بينما جسّد **إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام** التضحية التامة في سبيل طاعة الله، مؤكدين أن الامتثال الكامل لا يوقفه خوف أو مصلحة دنيوية. أما **إلياس واليسع وذو الكفل** فقد حملوا رسالة التبليغ في مواجهة إعراض الأقوام ورفضهم، مثبتين أن الصبر والإصرار على الرسالة لا يتأثر بمستوى الاستجابة. ومن هذا يتضح أن **الأنبياء صبروا حتى في أشد الابتلاءات، وأن الطريق الذي تسلكه ليس طريقًا وحيدًا، بل هو درب الشجعان الذين يثبتون على الحق مهما اشتدت المحن.**

في الآيات **(49–64)**تفتح سورة "ص" مشهد يوم القيامة، حيث يتم الفرز النهائي بين الفريقين، فيظهر أهل الجنة في نعيم وأمن ورضوان، مطمئنين بنتائج صفّهم وإيمانهم، بينما يجد أهل النار أنفسهم في شقاق وجدال وندم على ما فاتهم من الحق. ويتبادلون القول فيما بينهم: "بل أنتم لا مرحبًا بكم"، في مشهد يكشف حقيقة مصير كل فريق ويؤكد عدالة الله. ومن هذا السياق، تتضح الرسالة الاستراتيجية: الدنيا تصنع صفّين، لكنها الآخرة وحدها التي تفضح بجلاء من كان على الحق ومن اتبع الباطل، فتصبح نتائج الاصطفاف واضحة وحاسمة بلا غموض أو تزييف.

في الآيات **(65–88)**تعرض سورة "ص" قصة **إبليس** لتوضح أصل الاستكبار والصراع الكوني بين الحق والباطل، فقد رفض السجود لآدم، متحديًا أمر الله، لتتضح قيمة الامتحان

الحقيقي: هل يطيع العبد الله حتى وإن لم يُدرك الحكمة الكاملة؟ وأقسم إبليس أن يغوي البشر ويصدهم عن طريق الحق، لكنه لم يفلح، إذ تعهد الله بأن عباده المخلصين لا يُغلبون، ومن هذا تتجلى الرسالة الاستراتيجية بوضوح: أصل الصراع هو كبر إبليس وتمرده، أما مفتاح النجاة فهو إخلاص العبادة، واتباع الذكر، والثبات على الطاعة مهما بلغت صعوبة الابتلاءات.

خلاصة تفسير سورة "ص"

الرسالة: تواجه الرسالة الإلهية التكذيب والاستكبار، لكنها ثابتة وماضية مهما تصاعدت المعارضة، مؤكدة أن الحق لا يُلغى بسخريّة الطغاة أو ضعف النفوس.

الحُكم: يمثل امتحان العدالة الحقيقية للحاكم، إذ لا يُقاس بالبسط أو القوة، بل بالخشية والالتزام بالحق، بعيدًا عن الاستعلاء أو الهوى الشخصي.

النبوة: طريق الأنبياء محفوف بالابتلاءات، والصبر والثبات هما الضمان لاستمرار الدعوة، وإتمام المهمة الرسالية رغم كل العقبات.

المصير: تحدد السورة نتيجة الاصطفاف بوضوح: الجنة لمن ثبت على الحق وصبر، والنار للمستكبرين المكذبين الذين رفضوا التوحيد.

العدو: إبليس عدو قديم، لا ييأس من الإغواء، لكنه عاجز أمام إخلاص العباد واتباع الذكر، ما يؤكد أن الثبات على الطاعة هو مفتاح النجاة والتمكين.

الربط مع ما قبلها:

تأتي سورة **الصافات** لتؤكد على أهمية **الصف الموحد في مواجهة الشرك والباطل**، مبيّنة أن القوة الحقيقية تكمن في وحدة العقيدة والعمل الجماعي بين الأنبياء والمؤمنين. أما سورة "**ص**" فتمثل مرحلة لاحقة في البناء القرآني، حيث يُعرَض الصف نفسه على **محك الابتلاءات:** الكبر، والغطرسة، والاستكبار، ومواجهة إبليس، لتُظهر أن التوحيد وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى **التمحيص والصبر والثبات** أمام المحن، فالصافات تعلمنا الاصطفاف والتوحيد، بينما

"ص" تعلمنا كيف نصمد ونتمسك بالصف حتى في أصعب الظروف، مؤكدة أن القوة تكمن في الصبر واليقين والثبات على الحق.

للتأمل الذاتي: تدعونا سورة "ص" إلى مواجهة الحقيقة بصدق مع النفس. علينا أن نسأل أنفسنا: هل أرفض الحق خوفًا على مكاسب شخصية أو مكانة اجتماعية، أم أني أختار الصدق والحق مهما كانت التكلفة؟ هل أتحلى بالصبر والثبات كما صبر أيوب عليه السلام، وأستمد القوة من يقيني بالله؟ هل أعي أن كِبر إبليس يمكن أن يتكرر في قلبي، فيشكّل عائقًا أمام الطاعة والحق؟ وهل أعدّ نفسي لمواجهة الابتلاءات التي قد تأتي، كما ابتُلي من سبقوني من الأنبياء والرسول ﷺ، مؤمنًا بأن الصبر والثبات هما مفتاح النجاة والتمكين؟

خاتمة: تختتم سورة "ص" بتجسيد الصراع الحقيقي بين الحق والباطل، حيث يواجه الحق كِبر المستكبرين، وتتعرض النبوة لهجمات السلطة والطغيان، بينما يظل الصبر واليقين مفتاح النصر والتمكين. ويؤكد القرآن، بوصفه الذكر والنور والهداية، أن من أعرض عنه فقد أعرض الله عنه، كما جاء في قوله تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ۝٨٨﴾.

فالرسالة ثابتة، والحق منصور، والثبات على الوحي هو الطريق الذي يضمن نصرة الرسالة وصون الصف الموحد.

سورة الزُّمَر

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "**الزُّمَر**"[1] لأنها تختتم بتصوير البشر موزعين على **زمرتين متقابلتين:** زمرة تتوجه إلى الجنة، وزمرة تتجه إلى النار. هذا التصوير يوضح أن مصير كل إنسان محدد بما اختار في حياته، وأن الطريق ينتهي دائمًا إلى إحدى الزمرتين، فلا حياد بين الحق والباطل، ولا غموض في العاقبة.

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ «سُورَةَ الزُّمَرِ» مِنْ عَهْدِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ الزُّمَرَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ سُورَةَ الزُّمَرِ لِوُقُوعِ هَذَا اللَّفْظِ فِيهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ" محمد الطاهر ابن عاشور ،**التحرير والتنوير**، مرجع سابق،ج23ص311.

الاسم هنا يحمل المفتاح الأساسي لفهم السورة: إما أن تكون في زمرة الموحدين، أو في زمرة المعذبين.

المقصد العام للسورة:

تسعى السورة إلى تثبيت الوعي بأن **إخلاص الدين لله وحده** هو أساس النجاة والنجاح في الدنيا والآخرة. فالانقياد للوحي دون الانحراف بالشرك أو الهوى الشخصي هو السبيل الوحيد للهداية. وبذلك توضح السورة أن البشر، في نهاية المطاف، سينقسمون إلى زمرتين وفق ما كانوا عليه من التوحيد أو الشرك، والطاعة أو العناد، ليصبح الاصطفاف النهائي في الآخرة انعكاسًا لخياراتهم في الحياة الدنيا.

تتوزع سورة **الزُّمَر** في بنية موضوعية متكاملة، تُرسي منطلقاتها من التوحيد والإخلاص، وتمتد لتوضح مآل البشر بناءً على اختيارهم وامتثالهم للحق.

في البداية، من الآيات **(1–10)**تُركز السورة على **التوحيد والإخلاص**، موضحة أن أساس الدين قيام على إخلاص العبادة لله وحده، وبطلان كل صور الشرك مهما بدت قوية أو مقنعة.

ثم في الآيات **(11–26)**يُبرز الفرق بين المؤمن والكافر، حيث يُظهر النص كيف أن الاستجابة للحق تؤدي إلى النجاة، بينما تكذيب الرسالة والتمرد على الوحي يُفضي إلى العذاب والهلاك، مؤكدة أن الاختيار الشخصي هو معيار المصير.

وفي الآيات **(27–37)**تأتي دلائل التوحيد، مستندة إلى القرآن، والخلق، والكفاية الإلهية، لتكون حججًا واضحة تدعو البشر إلى التأمل والاعتراف بوحدانية الله وقدرته الكاملة على التدبير.

بعد ذلك، في الآيات **(38–52)**يُعرض مصير المكذبين والمؤمنين في الدنيا والآخرة، فتتضح العاقبة لكل فريق بشكل مباشر وواقعي، بما يعكس عدل الله ونتائج الاختيارات.

وفي الآيات **(53–63)**يأتي **نداء التوبة** والرجاء، مؤكدة أن رحمة الله واسعة، وأن أبواب التوبة مفتوحة لكل من يرغب في العودة إلى الحق، مع التأكيد على قوله تعالى: "لا تقنطوا من رحمة الله".

وأخيرًا، في الآيات **(64–75)**يُختتم المشهد بـ **الحشر النهائي**، حيث يُفصل البشر إلى زمرة تتوجه إلى الجنة وزمرة تتجه إلى النار، لتأكيد أن الاصطفاف النهائي في الآخرة هو انعكاس حقيقي لما اختاره الإنسان في حياته الدنيا.

في الآيات **(1–10)**تؤكد سورة **الزُّمَر** أن **إخلاص الدين لله وحده** هو شرط القبول والنجاة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ٣...﴾، فالعمل مهما عظُم، لن يُقبل إلا إذا كان خالصًا لله، وكل شرك، حتى ولو خفي أو ظهر في النية أو السلوك، فإنه يُفسد العمل ويجعله غير مقبول.

ويبرز القرآن هنا كمصدر الحق والنور والمرشد للحياة، مؤكدًا أن الالتزام بالوحي هو الطريق إلى الإصلاح الحقيقي.

ومن هذا المنظور، تحمل السورة رسالة استراتيجية واضحة :

أساس الإصلاح يبدأ بتصفية العقيدة من الشرك، وتنقية النفس من الرياء، ليكون كل عمل صالحًا خالصًا لله، وتتحقق به البركة والقبول.

في الآيات **(11–26)** توضح سورة **الزُّمَر** أن النجاة أو الهلاك مرتبطان مباشرة بموقف الإنسان من الوحي. فالّذين يخشون ربهم ويخشون أوامره يستجيبون له بإخلاص، ويشرح الله

صدورهم للإيمان، فيكونون على نور من عنده، بينما الذين أعرضوا عن الحق تُخطفهم الشياطين ويضلون عن الطريق المستقيم.

الرسالة الاستراتيجية: الفرق الحقيقي بين الناس ليس في النسب أو المال أو المكانة، بل في الانقياد للوحي أو الجحود له. فالخلاص مرتبط بالاستجابة للحق، والضلال مرتبط بالرفض والإعراض، ليصبح موقف الإنسان من الرسالة هو الميزان الحاسم لمصيره في الدنيا والآخرة.

في الآيات **(27–37)**تعرض سورة **الزُّمَر** الأدلة العقلية على التوحيد، حيث يستخدم الله الأمثال لتفتيح العقول وتحفيز التفكير، مبيّنًا أن كل شيء في الكون مخلوق ومدبّر بإرادته، وأن من احتمى بالله فهو محصن لا يُغلب، كما يُوضّح أن الله هو فاطر كل شيء وكافٍ لعباده، لا يحتاج إلى شركاء في سلطانه أو قدرته، ما يثبت وحدانيته المطلقة.

ومن هذا تتجلى **الرسالة الاستراتيجية** بوضوح: الدين قائم على البرهان والعقل، والله يقيم الحجة على الجميع، فلا مجال للغفلة أو التواكل، فالاستدلال العقلي جزء من اليقين بالحق والانقياد للوحي.

في الآيات **(38–52)**تبيّن سورة **الزُّمَر** كيف أن كثيرًا من الناس يواجهون الحق بالتذكير والحذر، لكنهم غالبًا لا يعقلون ولا يلتزمون باستمرار. فهم يتوجهون إلى الله في الشدائد ويطلبون النجاة، فإذا نجّاهم الله عادوا إلى الشرك والهوى، متشبثين بحجج تقليدية مثل: "بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا".

ومن هذا المنظور، تتضح **الرسالة الاستراتيجية :الشرك غالبًا يكون تقليدًا أعمى لا تفكيرًا واعيًا، والتدين الموسمي والطارئ لا يُنجي صاحبه، فالنجاة مرتبطة بالاستمرار في الطاعة والانقياد للحق وليس باللحظات العابرة من التوجه الديني.**

في الآيات **(53–63)** يوجه الله دعوته الحانية إلى الذين أسرفوا على أنفسهم، مؤكّدًا أنهم لا يجب أن يقنطوا من رحمته: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾. فالله يغفر كل

الذنوب ويحب التوابين، ما يفتح أفق الرجوع والنجاة لكل من ارتكب الخطأ وأراد العودة. ومع ذلك، هناك شرط أساسي: **التوبة قبل أن يحل الأجل أو يأتي الحساب**، لأن الزمن محدود والفرصة ليست دائمة.

ومن هذا المنظور، تحمل الآيات **رسالة استراتيجية** واضحة : باب الله للرحمة مفتوح دائمًا، لكن لا أحد يعلم متى يُغلق، فالاستجابة للحق والتوبة في الوقت المناسب هي مفتاح النجاة.

في الآيات **(64–75)**تختتم سورة **الزُّمَر** بمشهد الحسم النهائي، حيث يُصنَّف البشر إلى **زمرة تُساق إلى النار** وزمرة تتوجه إلى **الجنة**، في مشهد يوضح أن مصير كل إنسان محدد باختياراته في الدنيا. وتُختتم السورة بتسبيح الملائكة وسجودهم، وإعلان الحمد لله رب العالمين، مشهد يرسّخ سيادة الحق وتمام العدل الإلهي.

الرسالة الاستراتيجية:

في النهاية، كل طريق ينتهي بزُمرة، فلا حياد بين الحق والباطل، وعليك أن تختار الآن زمرة من تكون، فقرارك اليوم يحدد مصيرك الأبدي.

خلاصة تفسير سورة الزُّمَر

التوحيد: يشكّل لبّ الدين وشرط قبول العمل، فلا يُعتد بأي عبادة أو طاعة إلا إذا كانت خالصة لله وحده.

الوحي: هو المقياس الوحيد للهداية، وموقف الإنسان منه يحدد مصيره، فالاستجابة للحق هي معيار النجاة، والإعراض عنه هو سبب الضلال والهلاك.

الشرك: غالبًا ما يكون نتاج تقليد أعمى أو غفلة، وليس تفكيرًا واعيًا، ما يجعل صاحبه معرضًا للانحراف والضياع.

التوبة: باب الله مفتوح دائمًا للعودة والرجوع، لكن الفرصة مقيدة بالوقت، فلا يُؤجل الأمر، فالتوبة قبل الحساب هي شرط النجاة.

المصير: ينقسم البشر في الآخرة إلى زمرة تتوجه إلى الجنة وزمرة تتجه إلى النار، في تأكيد أن نهاية الطريق مرتبطة بالاختيار والالتزام بالحق في الحياة الدنيا.

الربط مع ما قبلها:

تأتي سورة "**ص**" لتوضح أن الصف الموحد، وإن كان قائمًا على الحق، سيُختبر بالابتلاءات: الكبر، والغطرسة، واستكبار إبليس، ليُظهر الصبر والثبات كشرط للتمكين. بينما سورة **الزُّمَر** تنتقل إلى مرحلة أبعد، حيث تُبرز **إخلاص الدين لله والانتماء الكامل للحق** كأساس للنجاة، وتعرض الاصطفاف النهائي للأمة في الآخرة، بين زمرة تتوجه إلى الجنة وزمرة إلى النار.

بهذا الربط، نجد أن "**ص**" تركز على الفتنة والابتلاء في الطريق، في حين أن **الزُّمَر** تعرض **الصف النهائي والمآل الأبدي**، مؤكدتين معًا أن الثبات على الحق والصبر عليه هما السبيل للوصول إلى النصر والنجاة.

للتأمل الذاتي: تدعونا سورة **الزُّمَر** إلى محاسبة النفس بعمق وصدق. علينا أن نسأل أنفسنا: هل ديني خالص لله وحده، أم يحمل شركًا خفيًا أو هوى شخصيًا يفسد إخلاصي؟ هل فتح قلبي للقرآن فاستجاب، أم بقي مغلقًا عن نور الرسالة؟ هل أنتمي اليوم بالفعل إلى **زمرة المؤمنين** الملتزمين بالحق، أم إلى زمرة الغافلين عن أوامر الله؟ وهل أعيش حياتي على بصيرة مستمرة، أم أنتظر الشدائد لأعود إلى الله، كما يفعل كثير من الغافلين؟ هذه الأسئلة ليست مجرد تأمل نظري، بل محك عملي يحدد موقفي من الحق، ومصيري في الدنيا والآخرة.

خاتمة:

تُختتم سورة **الزُّمَر** بتأكيد أن النجاة لا تقتصر على الفرد وحده، ولا على الصف الجماعي وحده، بل هي نتيجة الجمع بين **الإخلاص لله والانتماء الصادق للحق.** فكل طريق في الحياة، وكل جماعة، وكل اختيار شخصي، سينتهي إلى **زمرة محددة:** إما زمرة المؤمنين المتقين الموحدين، أو زمرة الغافلين عن الحق.

لذا يحثّنا القرآن على الإسراع بالانتماء إلى **زمرة التائبين الموحدين قبل أن يفوت الأوان**، كما جاء في قوله تعالى:﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾.

سورة غافر

تُمثّل سورة **غافر**، ، محطة مفصلية في الوعي القرآني، إذ تُعرّف الأمة بالصراع التاريخي بين **الدعاة إلى الحق والطغاة المستكبرين**، مؤكدة أن النجاة لا تُقاس بكثرة الأتباع أو السلطان، بل بالثبات على الحق والاستقامة على رسالة الله.

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ "**غافر**" [1]تيمّنًا بقوله تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾. هذه الآية المفتاحية تُبرز حقيقة العدل الإلهي المزدوج: الله **غافر للذنوب** لمن تاب، لكنه **شديد العقاب** على من أعرض وتعنّت. وبذلك تجمع السورة بين **الرجاء والخوف**، **بين المغفرة والعقوبة**، لتكون بمثابة توازن قرآني يُرشد الأمة إلى الثبات على الحق مع إدراك مسؤولية أفعالها.

من هذا المنطلق، تُظهر السورة أن الطريق إلى الهداية والنجاة لا يمر بالسطوة أو الكثرة، بل بالثبات والصبر على الدعوة والالتزام بالإيمان، مهما واجه الداعية من تكذيب أو اضطهاد من الطغاة.

---

[1] قال محمدالهلال:" سميت بهذا الاسم؛ لقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ وتسمى سورة المؤمن (مؤمن آل فرعون)..وهذه أول سور القرآن الّتي تبدأ بـ (حم) فهناك سبع سور في القرآن متتالية تبدأ بـ (حم) وهي: غافر، فصلت، الشّورى، الزّخرف، الدّخان، الجاثية،" محمد الهلال، **تفسير القرآن الثري الجامع (في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي)** الناشر: (دار المعراج، ودار جوامع الكلم)، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٤٣ هـ – ٢٠٢٢ م ،ج10ص110.

المقصد العام لسورة غافر

تُؤكد سورة **غافر** أن **طريق الأنبياء محفوف بالمخاطر والابتلاءات**، وأن التمسك بالحق يتطلب صبرًا وثباتًا أمام التكذيب والاضطهاد، فهي تبيّن أن **العاقبة للحق**، وأن الله يغفر **للتائبين المخلصين** ويهلك **المتكبرين عن الحق والمستبدين**. كما تُظهر السورة أن **الصراع بين دعاة التوحيد وأهل السلطة الباطشة** هو سنة إلهية متكررة في التاريخ، تتجدد مع كل دعوة إلى الحق، لتعلّم الأمة أن الثبات على الرسالة واليقين بنصر الله هو السبيل لتحقيق الهداية والنجاة.

تتوزع سورة **غافر** في بنية موضوعية متكاملة، تُرسي معالم الصراع بين الحق والباطل، وتوضح آليات الثبات على الدعوة والإيمان.

في البداية، من الآيات **(1–3)** تُقدّم السورة **التعريف بالله**، موضحة صفاته العظيمة: **غافر الذنب، قابل للتوبة، شديد العقاب**، لتؤسس فهمًا متوازنًا بين الرحمة والعدل الإلهي.

ثم في الآيات **(4–12)** تأتي **تحذيرات من الاستكبار**، حيث يُبرز النص أن من يجادل في آيات الله أو يعرض عن الحق هم غالبًا المستكبرون الذين يرفضون الإقرار بالحق لإرضاء أهوائهم أو حماية مصالحهم.

وفي الآيات **(13–22)** تُعرض **مصائر الأمم السابقة** التي أنذرها الله فأعرضت عن دعوة الحق، ليهلكوا نتيجة تكبرهم وعنادهم، ما يُظهر درسًا تاريخيًا متكررًا عن العاقبة المحتومة للمستكبرين.

بعد ذلك، في الآيات **(23–46)** نجد **مناظرة عقلانية لمؤمن آل فرعون** مع الطغاة، حيث يُفحمهم بالبرهان العقلي والحجج المنطقية، مؤكدًا أن الحوار القائم على العقل والحق قادر على مواجهة الغطرسة والجهل.

في الآيات **(47–55)** يُبرز النص **انتصار الله لعباده**، إذ يُستجاب لنداء الضعفاء والمستضعفين، ويهلك المستكبرون، مؤكدًا أن العدل الإلهي يتحقق مهما طال الظلم.

وأخيرًا، في الآيات **(56–85)**تأتي **دعوة للثبات والرجوع**، مُبيّنة أن وعد الله قائم لا يتبدل، وأن الالتزام بالحق والثبات على الإيمان هما السبيل لدرء الغرور والخديعة، فالأمة مطالبة بالصبر والاستمرار في طريق الحق رغم الابتلاءات.

في الآيات **(1–3)**تؤكد سورة **غافر** أن فهم **صفات الله الأساسية** هو مفتاح النجاة والهداية. فالآية الكريمة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ تبرز أربع صفات رئيسية تحدد موقف الإنسان من ربه: الغفران للذنوب، وقبول التوبة، والشدة في العقاب، وأن المصير النهائي كله إلى الله.

الرسالة: ابدأ بالإخلاص في عبادتك لله، فإذا زللت فتُب بصدق، وإلا فأنت معرض للعقاب، فالوعي بهذه الصفات يحدد طريقك بين الرحمة والعدل.

في الآيات **(4–22)**تبيّن سورة **غافر** أن **الاستكبار والجدل بلا هداية** هما سبب الهلاك الجماعي للأمم، فالمكذبون يجادلون بغرور وكبرياء، معتمدين على قوتهم أو سلطتهم، تمامًا كما أُهلكت الأمم السابقة التي أعرضت عن الحق رغم نفوذها وقوتها. وتؤكد السورة أن **الله لا يظلم أحدًا**، لكن البشر أنفسهم يظلمون أنفسهم باختيارهم العناد والرفض.

ومن هذا يتضح **الدرس الاستراتيجي** : الجدل بلا نية صادقة للهداية هو جريمة عقلية، ومن جعل مصالحه وهواه فوق الحق فهو معرض للهلاك، مهما امتلك من قوة أو سلطان.

في الآيات **(23–46)**تقدم سورة **غافر** مشهدًا محوريًا عبر **مناظرة رجل من آل فرعون،** الذي يجمع بين **الثبات على الإيمان والذكاء في التعامل مع الطغيان.** ففي البداية يُخفي إيمانه خوفًا من البطش، ثم يجهر بالحجة أمام الطغاة، مذكّرًا إياهم بمصير الأقوام السابقة التي أصرّت على الكفر، وداعيًا إلى استخدام العقل بدل الغرور والجبروت.

الرسالة الاستراتيجية :أحيانًا، كلمة صادقة وحجة رشيدة داخل بنية الاستبداد تكون مفصلية في تغيير المواقف أو تثبيت الحق، والوعي حتى داخل النظام الظالم له أثر كبير، وإن كان محاصرًا وظروفه صعبة.

في الآيات **(47–55)**تؤكد سورة **غافر** أن **الله ينصر المستضعفين عند استغاثتهم به**، كما جـــــــــــــاء فـــــــــــــي قولــــــــــــه تعـــــــــــــالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾.

تصف الآيات مشهد الصراع بين المستكبرين الذين يهدّدون ويستبدّون، والضعفاء المؤمنين الذين يذكرونهم بالحق والذكر، فيردّون على الطغيان بقوة الإيمان واليقين.

ومن هذا تنبثق **الرسالة الاستراتيجية** : الاستضعاف ليس نهاية الطريق، بل هو مرحلة تمهّد للنصر، فالثقة بالله والاستغاثة به في المحن تسبق التمكين والانتصار.

في الآيات **(56–85)**تعرض السورة مشاهد من **العقوبة الإلهية للمتكبرين**، موضحة أن استغاثاتهم عند الفوت لم تعد مقبولة، إذ طال الزمن أو انتهت الفرصة. وتتخلل هذه الآيات **دعوة صريحة للثبات على الحق** مهما طال الطريق، مؤكدة أن الانصياع للباطل أو الغرور بالطغيان لا يحمي من الانهيار المفاجئ والجزاء العادل.

الرسالة الاستراتيجية :الغرور بالقوة أو الطغيان لا يمنع الهلاك، والحق لا يضيع بين الجدل والنقاش، إذا تمسك صاحبه بالإيمان واليقين، فإنه يحقق الانتصار والثبات في النهاية.

خلاصة تفسير سورة غافر

صفات الله: الغفران والتوبة والعدل والقوة تشكّل معالم العلاقة مع الله، فلا مجال للغفلة أو الظلم، فكل عمل يُقاس بصدق النية واتباع الحق.

الاستكبار: هو مرض الأمم ومفتاح الهلاك، فالغرور بالقوة أو بالجاه يقود إلى الانحراف عن الحق وعاقبة محتومة.

الدعوة: تحتاج إلى **جرأة وصبر**، مدعومة بالمنطق والعقل، لتثبيت الحق أمام الطغاة والمستكبرين، كما يظهر في مناظرات المؤمنين مع الأنظمة الجائرة.

النصر: حتمي لمن ثبت على الحق، لكنه يأتي بعد **الابتلاء والصبر**، مؤكدًا أن القوة لا تضمن النجاح، بل الاتكال على الله والثبات في الطريق.

الإنذار: ينفع من له قلب واعٍ مستعد للهدى، أما المستكبر فهو مُحدد مسبقًا بعاقبة الهلاك إذا أعرض وتعنّت.

الربط مع ما قبلها:

تتابع سورة **غافر** مسار القرآن في توضيح معالم الصراع بين الحق والباطل، بعد أن ركّزت سورة **الزُّمَر** على النجاة بالإخلاص والانتماء الكامل للحق، والفصل النهائي بين الزمر يوم القيامة. في حين تعرض سورة **غافر التمحيص والابتلاء في ساحة الصراع**، موضحة أن التحديات أمام الإخلاص كبيرة، وأن الاستكبار في وجه الحق يؤدي إلى الهلاك. فبينما الزمر تمثل الفرز النهائي للأرواح والمصير الأبدي، تقدم غافر دروسًا عملية في **الثبات والصبر على الحق ومواجهة الطغاة والمستكبرين في الدنيا**، لتكتمل بذلك صورة الطريق من التمحيص إلى الانتصار والنصر.

للتأمل الذاتي: تدعونا سورة **غافر** إلى محاسبة النفس بصدق وعمق. علينا أن نسأل أنفسنا: هل يوجد في قلبي **استكبار خفي** يمنعني من الخضوع للحق، أم أن قلبي منفتح على الهداية؟ هل أستمع إلى الحجة بعقل صادق، أم أنني أجادل بلا نية للحق كما يفعل المستكبرون؟ وهل أملك القدرة على الثبات والمثابرة مثل مؤمن آل فرعون، الذي جمع بين الصبر والذكاء في مواجهة الطغاة؟ وأخيرًا، هل أستغيث بالله بصدق في أوقات الشدة، وأصبر على الطريق رغم المحن، مدركًا أن الاستعانة به والصبر هما مفتاح النصر والتمكين؟

خاتمة:

تُقدّم سورة **غافر** درسًا عمليًا في حياة الدعاة والمهتدين، مؤكدة أن **طريق الدعوة محفوف**

بالصراع والتحديات، وأن **العدل الإلهي لا يظلم أحدًا** مهما طال الظلم في الأرض. وتظهر السورة أن **الحق قد يظهر من داخل بنية الطغيان** حين يملك الإنسان الصدق واليقين، وأن **النصر حتمي** لمن ثبت على الحق، لكنه مشروط بأن يكون للقلب إخلاص، وللسان حكمة، وللصبر ثبات عظيم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٧٧﴾.

سورة **فصلت**

تُمثّل سورة **فصلت** لبنة مركزية في البناء التفسيري البنائي الاستراتيجي، إذ تركز على **البصيرة والوضوح في الدعوة**، وتقدّم **حججًا مفصّلة للعقل والوجدان**، دون مواربة أو مساومة مع الباطل.

الاسم والدلالة:

سُمّيت السورة "**فصلت**"[1] لبيان قيمة **البيان والتفصيل والحجة**، كما جاء في الآية: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤﴾.يُظهر هذا الاسم أن التفصيل والوضوح من أبرز خصائص القرآن التي تميّزه عن سائر الكتب، ويُرشد القارئ والمستمع إلى:

- **الاستماع بإنصاف**
- **التفكر بلا مكابرة**
- **الرد على الباطل بالحق والبيان المفصّل**

[1] قال الزحيلي:" سمّيت سورة فصلت لافتتاحها بقوله تعالى: {كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ.}. وقد فصّل الله تعالى فيها الآيات، وأوضح الأدلة والبراهين على وجوده وقدرته ووحدانيته، من خلقه هذا الكون العظيم وتصرفه فيه. وتسمى أيضا حم، السجدة لأن رسول الله ص عند قراءة أولها على زعماء قريش حتى انتهى إلى السجدة منها، سجد". وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج24ص179.

ويحمل عنوان السورة **رسالة استراتيجية واضحة:** الحق لا بد أن يكون مفصلاً، واضحًا، ومدعومًا بالحجة.

المقصد العام للسورة:

تسعى السورة إلى **إقامة الحجة على المعاندين** بأن القرآن وحي من عند الله، وتوضّح طريق النجاة من خلال الإيمان والعمل الصالح، مع تصوير حال المكذبين في الدنيا والآخرة. كما تقدم **تسليًا وتثبيتًا للرسول** ﷺ على طريق البلاغ، مؤكدة أن الاستقامة على الحق تتطلب الصبر على تكذيب المعاندين وتثبيت النفس أمام المعارضة.

البنية الموضوعية: تتكوّن سورة **فصلت** في بنية موضوعية متكاملة، تعكس خطابًا رساليًا واضحًا بين **الحق والباطل**، وتُرسي أسس الدعوة المفصّلة القائمة على الحجة والبصيرة.

في البداية، من الآيات **(1–5)** تُقدّم السورة **تعريفًا بالقرآن**، موضحة أنه **مفصّل، عربي، ومبين** لمن يسعى للبصيرة والفهم الصحيح، ليكون أداة للفكر والتدبر.

ثم في الآيات **(6–12)** تُعرَض **حقائق خلق السموات والأرض**، مؤكدة أن الخلق تم بالحق وبحكمة، بعيدًا عن العبث أو الصدفة، ما يرسّخ الإيمان بقدرة الله وعدله في كل شيء.

في الآيات **(13–25)** يُستعرض **موقف المكذبين**، بين التكذيب والعناد، مع تبيان العقوبة المرتقبة لهم، لتوضيح عاقبة الانحراف عن الحق وعدم الانقياد لله.

أما في الآيات **(26–40)**، فتُقدّم **مشاهد يوم القيامة**، حيث تشهد الجوارح على أعمال البشر ويسقط المكذبون أمام الحق، ليُظهِر اليقين العقابي للباطلين.

وفي الآيات **(41–50)** تُبرز السورة **عاقبة المؤمنين**، من الفوز والتثبيت على الحق، وصولًا إلى حُسن المآل، كتعزيز للثبات والاطمئنان للرسول ﷺ وللمؤمنين.

وأخيرًا، في الآيات **(54–51)**يُقدّم **الرد على شبهاتهم**، حيث تنهار حجج المكذبين أمام بصيرة المؤمنين وفهمهم العميق للحق، ليُختتم الخطاب برسالة مفادها أن **البصيرة والحجة الساطعة تفنّد كل تكذيب وجحد.**

في الآيات **(5–1)**تؤكد سورة **فصلت** أن القرآن **مفصّل وواضح**، مُوجَّه للعقول البصيرة والقلوب الواعية، فهو **بشير ونذير** في الوقت نفسه. ورغم ذلك، أعرض بعض المكذبين قائلاً: "قلوبنا في أكنة"، مُظهرين غلقهم على الحق وانغلاقهم عن الهداية.

وتتجلّى **الرسالة الاستراتيجية** هنا في أن القرآن يكشف من يملك العقل الحر الذي يقبل النور والحقيقة، ومن سجن نفسه في أهوائه وعنادها، فغلق قلبه عن الفهم والاعتبار.

في الآيات **(12–6)**تعرض سورة **فصلت خلق السماوات والأرض بالحكمة**، موضحة أن الخلق تم في ستة أيام بإرادة محكمة وتقدير دقيق، وأن السماء زُيّنت وحُفظت بعناية.

وتتجلّى **الرسالة الاستراتيجية** في أن الله الذي أبدع هذا الخلق بإتقان وكمال، هو الأحق بأن يُتبع ويُؤمن به، خاصة حين يُفصّل للناس آياته ليهتدوا ويعيّوا قدرته وحكمته في كل شيء.

في الآيات **(25–13)**تبيّن سورة **فصلت** كيف أن **المكذبين يتعامون عن الحق**، إذ يشمأزون عند ذكر الله وحده، ويفرحون عند ذكر ما سواه، معبرين عن انحراف قلوبهم وانصرافها عن الهداية.

وتبرز **الرسالة الاستراتيجية** في أن من **أعرض عن بصيرة العقل ورفض الحق في الدنيا**، سيُفضح يوم القيامة **ببصيرة الجوارح التي تشهد على أعماله**، ليظهر جزاء الإنكار والعناد أمام الحقائق الإلهية.

في الآيات **(40–26)**تصوّر سورة **فصلت المشهد المزلزل للصراع بين الحق والباطل**، حين يقول المكذبون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾، في محاولة لطمس الدعوة وتحريف الخطاب.

لكن الله يرد عليهم بقوة وعدل: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾)، مذكّرًا بأن آياته في **الليل والنهار**، **والخلق والرزق** تشهد على قدرته وحكمته، وأن **القرآن لا يمسه الباطل ولا يستطيع أحد أن يحرفه.**

وتتجلّى **الرسالة الاستراتيجية** في أن الصراع الإعلامي أو الفكري على الخطاب القرآني ليس جديدًا، لكن **الصوت القرآني يعلو دائمًا، لأنه حق مفصّل بحكمة واضحة لا يمكن تجاوزه أو تجاهله.**

في الآيات **(41–50)**تعرض سورة **فصلت حال المؤمنين الثابتين على الحق**، موضحة أن من قال: "ربنا الله" ثم استقام على أوامره، تتنزل عليهم الملائكة بالطمأنينة والبشرى.

وتبرز هذه الآيات أن **الثبات على الاستقامة هو مفتاح الفلاح**، وأن المؤمن الذي يحسن الظن بربه ويثبت على الحق يعيش مطمئنًا حتى في الشدائد، مستندًا إلى بصيرة واضحة وهداية راسخة.

وتتجلّى **الرسالة الاستراتيجية** في أن **المشروع القرآني يبدأ بالإيمان بالله، ويُبنى بالاستقامة على الحق، ويُكلل بالنجاة وبشرى الجنة**، مؤكدًا أن الطريق إلى الفوز مرتبط بالثبات والصبر والإخلاص.

في الآيات **(51–54)**توضح سورة **فصلت** كيفية **الرد على شبهات المكذبين بالحجة الدقيقة**، حيث يظهر تعامُلهم المتناقض مع النعم والضر، فيعرضون عند السعة ويستغيثون عند الشدة، ويصفون القرآن بأنه افتراء.

وتتجلّى **الرسالة الاستراتيجية** في أن من **لم يفقه الحق بالقرآن والحجة المباشرة**، يمكنه أن يتعلم من الواقع والتاريخ، ليجد أن نهاية المكذبين ثابتة وواضحة، وأن الحق لا يزول مهما طال الزمن.

خلاصة تفسير سورة فصلت

القرآن: كتاب مفصّل بالحجة والبيان، واضح للعقل والوجدان، بعيد عن الغموض أو التناقض، ليكون حجة ثابتة على المكذبين ومرشدًا للمؤمنين.

الخلق: آيات الخلق دليل للعقلاء على حكمة الله وقدرته، تفتح الأذهان للتفكر وتثبيت الإيمان.

الدعوة: تحتاج إلى بيان مفصل وصبر وثقة في الوحي، لتثبيت الحق أمام المعاندين والمكذبين.

المكذبون: يتذرعون بالشبهات والأعذار، إلا أن الحق يفضحهم في الدنيا والآخرة، ويُظهر عواقب تكذيبهم.

المؤمنون: قلوبهم مطمئنة ومستجيبة لله، يلتقون بالملائكة بالبشرى، ويثبتون على الحق مهما اشتدت المحن.

الربط مع ما قبلها:

بعد أن ركّزت سورة **غافر** على **صراع الحق مع الطغيان والكبر**، وبيّنت أن العدل الإلهي يغفر للتائبين ويهلك المستكبرين، تأتي سورة **فصلت** لتكمل هذا البناء من جهة **مواجهة الشبهات بالحجة والبصيرة.**

فبينما غافر توضّح أن الانتصار للحق مرتبط بالثبات والصبر على الابتلاء، فإن فصلت تُبرز أن **القرآن مفصّل وواضح، وأن الهداية لمن قبل الحق بعقل وبصيرة.** هكذا تتكامل الرسالة القرآنية بين **التمحيص في مواجهة الطغاة** و**التفصيل الواضح لمن يريد أن يهتدي ويثبت على الحق.**

للتأمل الذاتي: تدعونا سورة **فصلت** إلى محاسبة النفس بعمق وصدق. علينا أن نسأل أنفسنا: هل **أستمع للقرآن وأتدبّر آياته كما يريد الله، أم أغفل الحق كأنني لم أُخلق لعهد؟** هل أجد نفسي أجادل بالباطل لدفع الحق عني، أم أقبل الهداية بكل تواضع؟ وهل أطمئن عندما أقرّ بأن **ربّي هو الله**، أم أن قلبي يميل إلى التردد؟ وأخيرًا، بعد الإيمان، هل **استقمت على الحق**

بالعمل والصبر، أم تراخيت أمام الشدائد والمكذبين؟ هذه الأسئلة تجعلنا نواجه أنفسنا بصدق، ونقيس مدى تمسّكنا بالهداية والبصيرة.

خاتمة:

تعلّمنا سورة **فصلت** أن الحق لا يُعرض إلا **مفصّلًا بالحجة والبيان**، وأن كل من أغلق عقله عن الفهم وصدّ نفسه عن البصيرة، سيُفضح يوم القيامة حين تشهد عليه جوارحه، وفي المقابل من يسير في طريق الحق، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾، "ربنا الله" ثم **يستقيم على أوامره**، تصاحبه الملائكة في كل مراحل حياته، وفي القبر، وفي الجنة، مؤكدًا أن **الحق المستند إلى الهداية والإيمان يثمر الأمان والنجاة.**

سورة الشورى

الاسم والدلالة: سُمّيت "الشورى"[1] لورود قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ . وهي **قاعدة قرآنية لإدارة الأمة بالحكمة والمشاركة**، وتأكيد على أن القيادة الجماعية لا تتحقق إلا بالاستشارة، وأن مشروعيتها مستمدة من الوحي الإلهي.

مفتاح السورة: لا نهضة لأمة دون شورى، ولا شورى إلا بوحي، ولا وحي إلا بتوحيد.

المقصد العام:

توضح السورة أن وحدة الوحي ووحدة الدين هي أساس النظام الاجتماعي، وأن إقامة العدل

[1] قال القاسمي:" سميت بالشورى، لإشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة، وصفات طالبيها، مع اجتماع قلوبهم بكل حال. وهذا من أعظم مقاصد القرآن" محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)،، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ،ج8ص349.

والرحمة بين الناس مرهون بالرجوع إلى القرآن والسنة، وأن الشورى هي الآلية الأساسية لإدارة شؤون الأمة، مع التذكير بأن العودة إلى الله هي الهدف النهائي لكل مخلوق.

الرؤية البنيوية للسورة:

1. **التوحيد كوحدة أساسية:** يؤكد القرآن أن مصدر كل شرعية هو الله، وأن الوحي هو طريق الهداية.
2. **الشورى كآلية قيادة:** يُبرز المشروع القرآني للشورى كأساس لاتخاذ القرار الجماعي وتحقيق التوازن بين الناس.
3. **العدل والرحمة:** ربط القيادة المشروعة بالرحمة الإلهية والإنصاف بين الناس، لضمان استدامة المجتمع المؤمن.
4. **الوحدة بين الرسالات:** يظهر القرآن وحدة الرسالات السماوية، مؤكدًا على أن الشورى والعمل بالوحي هما ما يحققان استقرار الأمة.

الخلاصة:

سورة الشورى تقدم منظومة متكاملة للتصور الإسلامي للحكم، للقيادة، وللإصلاح الداخلي للأمة، مع محور مركزي: التوحيد والوحي كأساس، والشورى كآلية، والرحمة كغاية.

البنية الموضوعية لسورة الشورى تتوزع حول عدة محاور رئيسية:

1. **افتتاح بهيبة الوحي (الآيات 1–6):**
   الله العلي العظيم يوحي بالحق، مهيبًا رسالته وأثرها في النفوس.
2. **وحدة الدين والرسل (الآيات 7–13):**
   تأكيد على أن الوحي واحد والدين واحد، وأن جميع الرسل جاءوا برسالة واحدة للناس.
3. **تكذيب الطغاة (الآيات 14–21):**
   الاستكبار والطغيان يحرف الدين ويصد عن الحق، وتظهر عاقبة المكذبين.
4. **دلائل القدرة والرحمة (الآيات 22–29):**
   بيان علم الله وقدرته، ورحمته وحكمته في تدبير الأمور.

5. **معـــــــالم المجتمـــــــع المـــــــؤمن (الآيـــــــات 30–40):**
صفات المجتمع الصالح: التوكل على الله، الشورى، العفو، والعمل بالعدل والرحمة.
6. **ختـــــام بمقـــــام الـــــوحي والنـــــذارة (الآيـــــات 41–53):**
تأكيد على أن الوحي من الله، وأنه مصدر بصائر وهداية للناس.

(الآيات 1–6): **التعريف بالعلي العظيم... منبع الوحي**

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾.

- الله هو العليّ المتعال، منبع الوحي ومالك كل شيء في السماوات والأرض.
- له القدرة على بدء الخلق وإعادته، وهو المدبر لكل شؤون الكون.
- الوحي الصادر منه ليس رأيًا بشريًا، بل أمر رباني شامل وهداية مطلقة.

الرسالة الاستراتيجية:
الوحي ليس مجرد فكرة بشرية أو رأي عابر، بل هو أمر صادر من العليّ العزيز الحكيم، يقود الأمة بالحق ويضمن استقامة المجتمع المؤمن.

(الآيات 7–13): **وحدة الدين ووحدة الدعوة**

- أنزل الله القرآن لتكون فيه الهداية والإنذار لأم القرى ومن حولها.
- به تُقام الحجة على البشر، ويُبين الطريق المستقيم.
- الدين واحد، ويجب على الأمة أن تثبّت هذا الدين ولا تتفرق فيه.

الرسالة الاستراتيجية:
كل الأنبياء جاءوا بنفس الرسالة: التوحيد الخالص، وإقامة العدل، ونشر الرحمة، والطاعة لله وحده، لتظل البشرية على منهج واحد مستقر ومستقيم.

(الآيات 14–21): **الانقسام جاء من الاستكبار**

الناس لم يتفرقوا إلا بعد أن جاءهم العلم، والله يبيّن الطريق ويُوفق من تاب وعاد إلى الحق. عباد الشرك لا يملكون الشفاعة ولا سلطان الوحي، فاستكبارهم وحبهم للهوى سبب انحرافهم عن الدين.

الرسالة الاستراتيجية:

الانحراف عن الدين غالبًا يكون بسبب التعصب والاستكبار وليس الجهل، ولذلك يجب أن يُبنى المجتمع على التواضع والطاعة لله ليظل على الطريق المستقيم.

(الآيات 22–29): **دلائل القدرة والعدالة والرحمة**

الظالمون مشفقون مما كسبوا من أعمالهم، بينما المؤمنون يفرحون بثواب الله. كل نعمة في حياتكم هي من الله، وهو الذي يرسل الرياح بشرًا، قوي قادر، ورحيم بلطفه وحكمته.

الرسالة الاستراتيجية:

الله عادل وقدير ولطيف بعباده، فلا يجدر بالإنسان أن يجزع من البلاء، ولا يغتر بالعافية، بل يثق برحمة الله وعدله في كل الأحوال.

(الآيات 30–40): **معالم البناء المجتمعي الإسلامي**

من صفات المجتمع المؤمن التوكل على الله، اجتناب الكبائر، العفو عند الغضب، الاستجابة لأوامر الله، ممارسة الشورى في الأمور، الإنفاق من الرزق، والانتصار بعد الظلم.

الرسالة الاستراتيجية:

الأمة الراشدة تُبنى على مزيج من الاستقامة الشخصية، والحكمة الجماعية، ونصرة المظلوم، لتكون مجتمعًا قويًا متماسكًا عادلًا ورحمة للعباد.

(الآيات 41–53): **ختام بهيبة الوحي ونداء العودة**

الآيات تذكّر أن النصر حليف من انتصر بعد الظلم، وأن العفو والخير أسمى مرتبة لمن عزم على الحق، فالله لا يكلم البشر إلا بالوحي، وهكذا أُوحِيَ إلى الرسول روحًا من أمر الله،

لتكون الهداية واضحة وبصيرة للناس. الوحي هنا ليس مجرد كلام، بل روح حياة للمؤمنين، ومن فقده مات قلبه، ومن طلب الهداية من غير الله ضل عن الطريق المستقيم.

الرسالة الاستراتيجية:

الوحي هو أساس حياة القلب والروح، ومن دونه تفقد الأمة هدايتها واستقامتها، والرجوع إلى الله والتمسك بالوحي هو السبيل للبقاء على الصراط المستقيم.

خلاصة تفسير سورة الشورى

الوحي: أصل الدين ومصدر الهداية لكل البشر، لا يتغير ولا يبدل، وهو المرجع لكل تشريع وإصلاح.

الرسالات: جميع الأنبياء والرسالات اتحدوا على التوحيد، والعدل، والرحمة، والطاعة لله وحده، لتبقى الرسالة واحدة ومستقرة.

الشرك: الانحراف عن الحق غالبًا يكون بسبب الاستكبار والعناد، لا الجهل وحده، فالهوى وحب السلطة يؤديان إلى الضلال.

المجتمع: يُبنى المجتمع المؤمن على أسس الشورى، العفو عند الغضب، العدل بين الناس، والاستقامة في العمل، لتنشأ أمة متماسكة قوية.

الفلاح: النصر والنجاح الحقيقي للمؤمن الذي يتوكل على الله، يصبر على البلاء، ينفق من رزقه، ويستشير في أموره، فتصبح حياته نموذجًا للفلاح الفردي والجماعي.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة، **فصلت**، تناولت البيان المفصل للعقيدة والمصير، وبيّنت مواقف الناس بدقة، فالقرآن مفصل يوضح الحقائق ويسلّط الضوء على الجزاءات والمصير.

سورة **الشورى** تكمل هذا البناء القرآني المتكامل، حيث يظهر المشروع الجماعي لبناء الأمة بالوحي والشورى، فيُنتج مجتمعًا مؤمنًا عادلاً ومتعاونًا، يرتكز على القيادة الجماعية والحكمة الإلهية.

بهذا الربط، نرى كيف يربط القرآن بين **الفصلت** كوحدة توضيحية للعقيدة والمصير، و**الشورى** كخطة عملية لبناء الأمة وفق منهج الوحي، فالبيان الفردي يسبق المشروع الجماعي ليكوّن رؤية متكاملة للإيمان والعمل.

للتأمل الذاتي :

هل أؤمن حقًا بأن الوحي هو مصدر حياتي وهدايتي، وأنه المعين الذي لا يُضِل؟
هل أطبق مبدأ الشورى في حياتي اليومية، في بيتي، عملي، وعلاقاتي، أم أُهمل مشورة الآخرين؟
هل أنا من يشكر الله عند النعم، ويصبر عند البلاء، محافظًا على الثبات والاستقامة؟
هل أُبعد عن الجدال العقيم وأستجيب لهدي الوحي في كل قراراتي وأفعالي؟

هذه الأسئلة تساعد على ربط فهم السورة بالواقع الشخصي، وتجعل من تأملنا فيها خطوة عملية نحو بناء شخصية وأمة مؤمنة بالشورى والوحي والعدل.

خاتمة

سورة الشورى ترسّخ معالم مشروع الأمة الإسلامي الكامل: مصدره الوحي، وقيمه العدل والرحمة والشورى، وقاعدته الإيمان والعمل الصالح، وغايته العودة إلى الله وإقامة الدين في الأرض. ومن ضيّع الشورى ضيّع المشروع، ومن أعرض عن الوحي ضاع وسط زحمة الحياة ومتاعها، بعيدًا عن هداية الله. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ .
تذكير بأن الوحي هو روح الأمة، ونورها، وسبيلها للثبات والاستقامة.

سورة الزخرف

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة "الزخرف"[1] لورود قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ ،

فالزخرف يعني الذهب والزينة، فالسورة تحمل تحذيرًا من الانخداع بالمظاهر المادية، ومن اتخاذ الثروة أو المكانة الاجتماعية معيارًا للفضل أو الحق.

العنـــــــــــوان المفتـــــــــــــاحي:
الزينة المادية ليست مقياسًا للهداية أو الصلاح، والانبهار بالمال والجاه قد يُبعد عن الحق.

المقصود العام للسورة:
السورة تفنّد حجج المشركين المبنية على تعظيم المال والنسب والجاه، وتؤكد أن الحق لا يُقاس بالزخرف ولا بالثراء.
الأنبياء جاؤوا بكلمة واحدة: لا إله إلا الله، وأن الكبر والغرور يمنعان من الهداية، ولو نزل القرآن بلغة الذهب لما أدركه المكابرون.

السورة إذًا تربط بين **التحذير من المظاهر الفارغة** و**إبراز الحقيقة الإلهية**، وتعلّم أن قيمة الإنسان ومشروعه لا تُقاس بالمال أو الزينة، بل بالهدى والعمل الصالح.

---

[1] قال الهرري:" سميت سورة الزخرف، لما فيها من التمثيل الرائع، لمتاع الدنيا الزائل، وبريقها الخادع، بالزخرف اللامع الذي ينخدع به الكثيرون، مع أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. ولهذا يعطيها الله تعالى للأبرار والفجار، وينالها الأخيار والأشرار، أما الآخرة فلا يمنحها الله تعالى إلا لعباده المتقين، فالدنيا دار الفناء، والآخرة دار البقاء" محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج26ص184.

البنية الموضوعية لسورة الزخرف

1. **تمهيد بهيمنة القرآن (الآيات 1–8):**
القرآن عربي حكيم، لا يُكذب إلا من متكبر، ويُبرز مكانته ككلمة الله الباقية والهداية الصادقة.
2. **دعوة الرسل واحدة (الآيات 9–25):**
كل الأنبياء جاءوا برسالة واحدة: لا إله إلا الله، مؤكّدين وحدة الدين ووحدة الهدف الإلهي.
3. **حجج باطلة للمكذبين (الآيات 26–35):**
المكذبون يبررون ضلالهم باتباع آبائهم وتعظيم المال والنسب، معتبرينها دليلًا على المكانة والحق.
4. **الرد على معيار الزخرف (الآيات 36–50):**
الزخرف والمال مجرد ابتلاء، وليس معيارًا للتفضيل أو الهداية، والاعتداد بالمظاهر لا يضمن القرب من الله.
5. **فرعون نموذجًا للطغيان (الآيات 51–67):**
غرور المال والجاه يعمي البصيرة، كما ظهر في قصة فرعون، الذي أضلّه كبُره واستكباره.
6. **بشارة للمؤمنين وخاتمة واضحة (الآيات 68–89):**
لا خوف ولا حزن على المؤمنين، والطمأنينة والعزة مخصصة للمتقين فقط، مع تأكيد أن الهداية والحفظ من الله لمن التزم بالحق.
7. (الآيات 1–8): **القرآن... حق مبين بلغة العرب**

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾، الوحي هنا ليس شيئًا غامضًا أو نكرة، بل عربي مبين، متين، يُفهَم ويُدرك بعقل العرب.

الأمم السابقة أهلكت بسبب تكذيبها للحق، لا لجهلها بالرسالة.

الرسالة الاستراتيجية:

العقل الذي يميز الحق ويعقله ثم يُعرض عنه يتحمل وزرًا مضاعفًا، فالقرآن واضح ومبين، والتجاهل بعد الفهم مسؤولية كبيرة على صاحبه.

8. (الآيات 9–25): وحدة دعوة الأنبياء... والتكذيب المتكرر

كل رسول جاء برسالة واحدة: "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"، مؤكّدًا توحيد الله ورفض الشرك. ومع ذلك، كان رد الناس دائمًا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ، معتمدين على التقليد دون تدبر أو تفكير.

الرسالة الاستراتيجية:

التقليد الأعمى أخطر من الإلحاد، لأنه يغطّي الباطل بقشرة التقديس، ويمنع الناس من إدراك الحق والهداية الحقيقية.

9. (الآيات 26–35): المال والنسب لا يدلان على الحق

المكذبون قالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾، متوهمين أن المكانة أو النسب تجعل الرسالة أصدق. فأجابهم الله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾)؟!، موضحًا أن الأرزاق والتفضيلات الدنيوية هي ابتلاء وامتحان، وليست معيارًا للهداية أو الحق.

الرسالة الاستراتيجية:

الزخرف والمال اختبار، والرسالة الإلهية هداية للناس، فالمال والنسب لا يمنحان الإنسان قيمة عند الله، ولا تكسبه مكانة في ضوء الوحي.

10. (الآيات 36–50): الزخرف يضل من أعرض عن الذكر

من أعرض عن ذكر الله، يُقيّض له شيطانًا ليغويه ويضله. كما ظهر في فرعون الذي قال: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ ؟، فاستُدرج بالغرور والزينة، وهلك بسبب كبْره واستكباره عن الحق.

الرسالة الاستراتيجية:

من رفض الهداية الربانية، سُلِّط عليه زخرف الحياة ليهلك مستدرجًا، فالانبهار بالمظاهر والمال قد يقود إلى الضلال والدمار إذا عُرض الإنسان عن الذكر والحق.

11. (الآيات 51–67): **نموذج فرعون... خطاب المتغطرس المغرور**

فرعون استخف بقومه فأطاعوه، وتغطرس قائلاً: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾)، معتقدًا أن مكانته وسلطانه تجعله فوق الحق. فأهلكه الله، وجعل قصته عبرة لمن بعده عن التكبر والاستعلاء.

الرسالة الاستراتيجية:

الغرور بالمال والمنصب أخطر من الكفر نفسه، لأنه يعمي الإنسان عن الحق ويبعده عن الهداية، ويجعله فريسة للغواية والزخرف الذي يغوي القلوب.

12. (الآيات 68–89): **ختام بالبشرى والإنذار**

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ، بشرى للمؤمنين بالسلام والطمأنينة، فلا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن، والقرآن ذكرٌ وعبرة للعالمين. ومن أعرض عن الحق وعن الهداية فمصيره الويل.

الرسالة الاستراتيجية:

النجاة الحقيقية لا تُقاس بالجاه أو المال أو النسب، بل بالإيمان والعمل الصالح، واتباع هدي الله والقرآن، فهو الطريق إلى الأمان والفلاح.

خلاصة تفسير سورة الزخرف

الوحي: معيار التفاضل الحقيقي بين الناس، لا يُقاس بالمال أو الجاه، بل بالهدى والعمل الصالح.

التقليد: عقبة أمام الهداية، فاتباع آباء أو تقاليد دون تفكير يغلف الباطل بقشرة من التقديس ويمنع الإنسان من إدراك الحق.

الزخرف: المال والمظاهر ليست كرامة، بل فتنة وامتحان لمن أعرض عن الذكر، وقد تغوي القلوب وتبعد عن الحق.

الطغيان: من يستقوي بالمال والمنصب والمظاهر عاجز في النهاية، كما ظهر في نموذج فرعون، فالمآل للهلاك لمن تغطرس واستكبر.

المؤمنون: لا خوف ولا حزن عليهم، بشرط الالتزام بالهداية، والإيمان، واتباع الحق، فالنجاة والفلاح في طاعة الله والالتزام بالقرآن.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة، **الشورى**، ركزت على **البناء القرآني المتكامل للأمة**، وبيّنت كيفية قيادة المجتمع بالوحي والشورى والرحمة، لتكون الأمة عادلة ومتماسكة.

سورة **الزخرف** تكمل هذا البناء من زاوية أخرى، حيث تحذر من الانحراف والانغماس في الزينة والمال والجاه والتقليد الأعمى، وتُظهر كيف يمكن أن تُضلل الأمم عن الطريق الصحيح إذا ابتعدت عن الحق، وبهذا، نرى التكامل بين السورتين:

- **الشورى** تبيّن كيف تُقاد الأمة وتُبنى بالحق والعدل والشورى.
- **الزخرف** تُبيّن كيف تُضلل الأمم إذا أعرضت عن الهداية وانبهرت بالمظاهر الدنيوية، لتكون عبرة وعظة للمؤمنين.

للتأمل الذاتي :

- هل أدرك أنني قد أكون من المقلدين لآبائي أو تقاليدي في الباطل دون وعي، وأترك الحـــــــــــــــــــــــق جانبًـــــــــــــــــــــــا؟
هل يغلب عليّ معيار المال أو النسب أو المكانة في الحكم على الحق، أم ألتزم بـــــــــــــــــــــــالوحي وحـــــــــــــــــــــــده؟
هل أعظم في نفسي غرور أو منطق يشبه منطق فرعون، يجعلني أستكبر عن الحق؟
هل أستشعر أن القرآن أُنزل لي شخصيًا، لأفهمه وأتبعه، وأجعل منه هداية لحياتي وقراراتي؟
- هذه الأسئلة تجعل التأمل في السورة ليس مجرد معرفة، بل ممارسة عملية لمراجعة النفس وتصحيح مسارها نحو الحق والهداية.

خاتمة:

سورة الزخرف تُفكك البنية النفسية للمكذبين، فتظهر آثار: التقليد الأعمى، الكبر والاستعلاء، تعظيم الزخرف والمال، ازدراء الفقراء، واتهام الوحي بالنقص.

وترد السورة على كل هذا بوحي مفصّل، عقلاني وواقعي، يُقيم الحجة على المكذبين، ويكشف الزينة الخادعة، ويرشد الناس إلى الحق، ليكون القرآن مرجعًا للهدى والفـــــــــــــــــــــلاح. ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣﴾، تذكير بأن الله يترك المكذبين في لغطهم وغرورهم حتى يحين يوم الحساب، بينما الهداية للمؤمنين المبصرين بالحق.

سورة الدخان

الاسم والدلالة: سُمِّيت السورة "الدخان"[1] لورود قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠...﴾، الدخان يغشى الناس كعذاب أليم، رمزًا للعقاب المفاجئ الذي لا يُقاوَم، وجزء من الجزاء الدنيوي قبل الحساب الأخروي.

العنوان المفتاحي:
الدخان يُذكّر بالمخاطر والعقاب الذي يلاحق المكذبين، ويكشف عن قوة الله وقدرته في إقامة الحق والعدل.

المقصـــــــــــــــود العـــــــــــــــام للســـــــــــــــورة:
السـورة تحـذر المكـذبين مـن عـذاب قريـب لا يُـرد، وتوضـح عاقبـة الأمـم السـابقة التـي أعرضت عن الذكر. كما تثبت للرسول ﷺ فضل ليلة نزول القرآن، وتطمئن المؤمنين بأن الفرج لهم والعاقبة للمتقين، مؤكدًا أن الحق سينتصر وأن المكذبين لن يفلحوا.

- السورة تربط بين **العقاب الدنيوي والآخروي** و**الثبات على الوحي**، لتكون درسًا عمليًا في الصبر، والتحذير، والتمسك بالحق.

البنية الموضوعية لسورة الدخان

1. **القـــــرآن أنـــــزل فـــــي ليلـــــة القـــــدر (الآيـــــات 1-6):**
القرآن نزل في ليلـة القدر ليُفصّل كل أمر حكيم من لدن عليم رحيم، ليكون هدايـة للناس وبيانًا للحق.

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة الدّخان لقوله فيها: {يَوْمَ تَأْتِي السمآء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ}" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المحقق: محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ] الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،ج1ص424.

2. **تحـــــذير بعـــــــذاب الـــــــدخان (الآيــــــــات 7–16):**
السورة تحذر المكذبين من عذاب الدخان، وتوضح أن من أعرض عن الحق سيذوق هذا العذاب الأليم.
3. **قصــــــة فرعـــــــون وقومـــــــــه (الآيــــــــات 17–33):**
تُعـرض قصــة فرعـون وقومـه كمثـال واضـح علـى المصـير الكـارثي للمكـذبين والمتغطرسين، وكيف يؤدي الاستكبار إلى الهلاك.
4. **جــــــزاء المتقـــــــــين (الآيــــــــات 34–57):**
المؤمنون والمتقون لهم مقام أمين، بين جنات وعيون، مع جزاء الله العظيم لمن اتبع الحق وصبر على الابتلاء.
5. **ختـــــام بـــــالعبرة والتـــــذكير (الآيــــــات 58–59):**
القرآن يُيسر بلسان الرسول ﷺ لعل الناس يتذكرون، وتبقى الدعوة والهدى واضحة لكل من أراد الاستقامة.
6. (الآيات 1–6): **القرآن نزل في ليلة القدر... لتفصيل الحق**

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦﴾. القرآن نزل في ليلة مباركة، ليلة القدر، لتُفصّل كل الأمور الحكيمة من لدن عليم رحيم، ويكون هداية ورحمة وإنذارًا للبشرية. هذه اللحظة كانت حاسمة، إذ أُتيح بها للإنسان فرصة للتغيير والتصحيح، ووضعت أساسًا لتحول استراتيجي في مسار البشرية بين الحق والباطل.

الرسالة الاستراتيجية:
القرآن نزل في لحظة حاسمة ليكون نقطة فارقة، يوضح الحق، ويُبيّن الصراط المستقيم، ويوجه البشرية نحو الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة.

7. (الآيات 7–16): **الدخان عقوبة الاستكبار**

8. المكذبون قالوا: ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾ ، لكنهم عندما يُكشف عنهم العذاب يعودون إلى ما كانوا عليه من الكفر والطغيان، مستمرين في غيّهم واستكبارهم.

الرسالة الاستراتيجية:

الدخان يرمز إلى عقاب دنيوي شديد لا ينفع معه الاعتذار المتأخر، والدرس أن التوبة لا يجب تأجيلها إلى لحظة السقوط، بل يجب الالتزام بالحق والهداية قبل أن تحين ساعة العقاب.

9. (الآيات 17–33): **قصة فرعون... نموذج الاستكبار المتكرر**

موسى جاء إلى فرعون وقومه بالبينات والحجج الواضحة، لكن فرعون استكبر عن الحق وأعرض عن الرسالة، مستندًا إلى سلطانه وزخرف الدنيا حوله. فأخذهم الله بعقابه، وجعل قصتهم عبرة وعظة للأمم من بعدهم.

الرسالة الاستراتيجية:

السلطة التي تستكبر عن الحق، مهما أسبغت عليها زخرف الدنيا، ستنهار بصاعقة واحدة من السماء، مؤكدة أن القوة الحقيقية لله وحده، وأن الغرور والاستكبار لا يفلحان.

10. (الآيات 34–57): **مصير المتقين... وعاقبة المتكبرين**

المتقون يعيشون في أمان وسعادة بين جنات وعيون، بينما الأشقياء والمتكبرون يعانون العذاب. ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩﴾ ، تسخر الآيات من أولئك الذين اعتقدوا أن الجاه والسلطان يمنحهم الكرامة.

الرسالة الاستراتيجية:

الكرامة الحقيقية ليست في المال أو المنصب، بل في التقوى والاتباع والصدق مع الله، فالنجاة والفلاح لمن اتبع الحق وتقى الله في حياته.

11. (الآيات 58–59): **ختام يربط التذكير بالتيسير**

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾، القرآن أُنزل بلسان عربي مبين، ميسّر للفهم، ليكون هداية واضحة لكل من أراد التذكر والاهتداء.

الرسالة الاستراتيجية:

القرآن واضح ومباشر، فلا حجة لمن أعرض عنه أو تجاهل الحق، فالفرصة أمام الناس للتدبر والفهم متاحة بشكل كامل.

خلاصة تفسير سورة الدخان

الوحي: نزل في ليلة القدر المفصلية ليكون نقطة تحول استراتيجية، يقود التاريخ ويوضح الحق للبشرية.

المكذبون: يستغيثون عند وقوع الدخان والعذاب، لكنهم يعودون سريعًا إلى غيهم واستكبارهم، مما يوضح خطورة التأجيل في التوبة والإنذار.

فرعون: نموذج دائم للاستكبار والطغيان بالمال والسلطة، وعبرته تحذر كل من يستكبر عن الحق ويتمادى في غروره.

المتقون: لهم مقام أمين وسعادة في جنات وعيون، جزاءً للصبر والاتباع والتقوى.

الذكر: القرآن واضح ومباشر، فلا يُعرض عنه إلا من متكبر عن الحق، مؤكدًا أن الهداية متاحة لمن أراد التدبر والإيمان.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة، **الزخرف**، بيّنت أن الزينة والمال ليست معيار الحق، بل الإيمان والعمل الصالح هما أساس التفاضل والنجاة.

سورة **الدخان** تكمل هذا المعنى من زاوية العقاب، فالأمم والمغرورون الذين اغتروا بالزينة والجاه، نزل عليهم العذاب، مبرزين أن الغرور والاستكبار لا يفلحان أمام قدرة الله، بهذا الربط يتضح أن:

- **الزخرف** تبيّن كيف تغرّ المظاهر الدنيوية وتضلّ القلوب.
- **الدخان** تُظهر العاقبة المحتومة لمن أُعجب بزخرف الدنيا واستكبر عن الحق، فالزينة مغرية، والعذاب حتمي لمن أعرض عنها.

للتأمل الذاتي :

هل أعي حقيقة لحظة "ليلة القدر" في حياتي الفكرية والروحية، وأستفيد من هداية القرآن قبل فوات الأوان؟

هل أنخدع بمظاهر القوة الزائفة والمال والجاه كما فعل فرعون، أم أتمسك بالحق واليقين؟

هل أنتظر وقوع البلاء لأعود عن الغفلة، أم أُبادر بالتوبة والرجوع قبل أن يفجأني "الدخان" بالعقاب؟

هل أنظر للقرآن كرحمة هداية حقيقية تنير حياتي، أم أتعامل معه كنص ثقافي أو عادة دينية فقط؟ هذه التأملات تجعل السورة أداة عملية لمراجعة النفس، والابتعاد عن الغرور، والانخداع بالمظاهر، والالتزام بالحق قبل أن يحين موعد الحساب.

خاتمة:

سورة الدخان هي سورة التحول العنيف في مسار الأمم، حين يُعرض الناس عن القرآن ويستفحل البطر ويستخفون بالحق، يأتي "الدخان" ليهدم الغرور ويظهر قدرة الله، مؤكدًا للمتقين أن وعده حق وأن النصر لهم.

سورة الجاثية

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ «**الجاثية**» [1]لورود هذا المشهد المهيب في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾. حيث تُستحضر صورة الأمم وقد أُلجئت إلى الجلوس خضوعًا وقهرًا[2]، تُساق إلى كتاب أعمالها لتُحاسَب بلا حجاب ولا مواربة،

ودلالة الاسم أعمق من مجرد الوصف الحسي؛ إذ توحي بانكسار الكِبر، وسقوط دعاوى القوة، وانهيار الباطل حين يواجه الحق مواجهة نهائية لا مهرب منها. فالجثو هنا ليس خشوع اختيار، بل خضوع اضطرار، بعد طول إعراض واستكبار.

الاسم مفتاح السورة:

يكشف عن المآل الحتمي لمن أعرض عن هدى الله، واستبدل الوحي بالهوى، والعقل بالشهوة، فكان سقوطه في الدنيا ذلًّا، وفي الآخرة جثوًّا بين يدي العدل الإلهي.

المقصد العام للسورة:

تقرر السورة أن اتباع الهوى هو العلة الكبرى في هلاك الأمم وسقوط القيم، وأن الإصرار على إنكار آيات الله يفضي إلى الذل في الحياة، ثم إلى الخزي يوم الحساب. كما تبرز منزلة الذين أوتوا العلم، فهم الأثبت عند الفتن، والأوعى بسنن الله في الكون والتاريخ، وهم الشهود على صدق الوحي وعدالة الرسالة، إذ يقيمون ميزان الحق في زمن الاضطراب، ويثبتون حين تتهاوى الأمم تحت سلطان الأهواء.

---

[1] قال القاسمي:" سميت بها لتضمن آيها بيان سبب تأخير البعث إلى يوم القيامة، لأجل اجتماع الأمم محاكمة إلى الله تعالى، وفصله بينهم يوم القيامة، وهي من المطالب الشريفة في القرآن. وتسمى (سورة الشريعة) لتضمن آيها وجه نسخ هذه الشريعة، سائر الشرائع، وفضلها عليها. وهو أيضا من المطالب العزيزة فيه." محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل** ، مرجع سابق، ج8ص425.

[2] قال الزبيدي:" الجاثِيَةُ فِي قوْلِه تَعَالَى: {وَترى كُلَّ أُمَّةٍ {جاثِيَةً} ، مَوْضوعٌ مَوْضِع الجَمْع كقوْلِكَ جماعَةٌ قائِمَةٌ وجماعَةٌ قاعِدَةٌ: قالَهُ الرَّاغبُ؛ وَبِه سُمِّيَت سُورَةُ الجاثِيَة وَهِي الَّتِي تلِي الدّخانَ. وقالَ ابنُ شُمَيْل: يقالُ للرَّجُلِ العظيمِ} الجُثْوَة بالضمِّ. {والجُثَا: الجماعَةُ؛ وَمِنْه الحدِيثُ: (يصيرُونَ يَوْمَ القِيامَةِ} جُثاً كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَع نَبيَّها. والجُثْوَةُ: القَبْرُ." : محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي،، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويتن عدد الأجزاء: ٤٠ أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م)،ج37ص323.

البنية الموضوعية لسورة الجاثية:

المحور الأول: بدء بتقرير الحق القرآني

الآيات (1–5):

تفتتح السورة بتقرير مصدر الوحي، وأنه صادر عن العزيز الحكيم، جامعٍ بين كمال القدرة وإحكام التشريع. وتعرض الآيات دلائل الحق المبثوثة في آفاق الكون والأنفس، لتؤكد أن هذا القرآن منسجم مع نظام الوجود، وأن آيات الله الكونية شاهدة على صدق رسالته، لا تنفصل عنها ولا تناقضها.

المحور الثاني: إنكار المكذبين

الآيات (6–11):

تنتقل السورة إلى تصوير موقف المكذبين الذين أعرضوا عن آيات الله لا جهلًا بها، بل كفرًا عن علم، واستبدالًا للهدى بالهوى. فتكشف عن علّة الإنكار الحقيقية، وهي اتباع الشهوة، والاستهانة بالوحي، والسخرية من الحق رغم وضوحه.

المحور الثالث: مصير من اتخذ هواه إلهًا

الآيات (12–17):

تبيّن السورة مآل من جعل هواه حاكمًا عليه، فعاش في ضياع فكري واضطراب قيمي في الدنيا، وانتهى إلى الخذلان والعقوبة في الآخرة. ويُقابل هذا المصير بما أُوتي بنو إسرائيل من كتاب وحكم ونبوة حين التزموا بالوحي، ثم ما آلوا إليه حين اختلفوا بغياً بعد قيام الحجة.

المحور الرابع: بيان فضل العلم وأهله

الآيات (18–22):

تُبرز السورة منزلة العلم الشرعي وأهله، وتقرر أن أهل العلم هم الأقدر على التمييز بين الحق والباطل، والأثبت عند الفتن، وهم الشهود على عدل الله في تشريعه، وعلى صدق رسالته في مقابل أهل الأهواء والظنون.

المحور الخامس: مشهد الجاثية

الآيات (23–37):

تختم السورة بمشهد مهيب من مشاهد القيامة، حيث تُستحضر صورة الأمم جاثية بين يدي الله، كل أمة تُدعى إلى كتابها، وتُجزى بما عملت دون ظلم أو محاباة. ويُعلن في الختام تمام العدل الإلهي، وانكشاف زيف القوة الدنيوية، وظهور سلطان الله المطلق في الحكم والجزاء.

(1–5): آيات الله في الوحي والكون

تفتتح السورة بإعلان مصدر الحق إعلانًا حاسمًا لا لبس فيه: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤﴾، فالوحي صادر عن إلهٍ غالبٍ لا يُغالَب، حكيمٍ لا يشرّع عبثًا ولا يُنزل كتابًا بلا مقصد. ومنذ المطلع، تُؤسَّس المعادلة الكبرى للسورة: **هذا القرآن حقٌّ في ذاته، وموافقٌ لنظام الكون في آياته وسننه.**

ثم تُساق دلائل الله لا في مجال واحد، بل في دوائر الوجود كلها؛ في السماء بما فيها من إحكام واتساع وانتظام، وفي الأرض بما أودع فيها من توازن وتسخير، وفي خلق الإنسان بما يحمله من إعجاز الخلق ودقة التكوين، وفي اختلاف الليل والنهار بما يعكس حركة الزمن وسننية التعاقب والتدبير، فهي آيات متكررة، محيطة بالإنسان من كل جهة، لا تحتاج إلى تأويل معقّد، بل إلى قلبٍ سليم وعقلٍ منصف.

الرسالة الاستراتيجية:

أن من أعرض عن رؤية الله في الوحي، فإن آيات الكون قائمة تشهد عليه. ومن لم يبصر الحق في نظام السماء والأرض، ولا في نفسه التي بين جنبيه، فلن تنفعه المشاهدة القسرية يوم القيامة؛ إذ إن من لم يعرف الله اختيارًا في الدنيا، لم يعرفه اضطرارًا في الآخرة إلا على وجه الحسرة والعذاب.

(6–11): إعراضهم عن الذكر ليس عن جهل... بل عن كِبر

تواجه السورة المكذبين بسؤال تقريعي قاطع ينسف كل اعتذار موهوم: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ؟، فإذا كان هذا القرآن هو كلام الله، مؤيَّدًا بآياته في الوحي والكون، فأيُّ خطاب بعده يمكن أن يُنتظر؟ وأيُّ حجة يمكن أن تُقام لمن أعرض عنه؟

وتكشف الآيات أن الإعراض لم يكن ناشئًا عن غموض في الدليل، ولا عن قصور في البيان؛ فقد جاء الوعد والوعيد واضحين، والحجة قائمة، لكن القلوب استكبرت، فاتخذت من الاستهزاء سلاحًا، ومن السخرية موقفًا، ومن العناد منهجًا. فكان سماعهم للذكر سماعَ استخفاف لا سماعَ اعتبار، واستماعَ جدال لا استماعَ امتثال.

الرسالة الاستراتيجية:

أن جوهر الأزمة ليس في نقص البرهان، بل في استعلاء النفس عن الخضوع للحق، ورفض الانقياد له حين يصادم الأهواء والمصالح. فالحق قد يَظهر، لكن لا ينتفع به إلا من تواضع له، أما المتكبر فوضوح الدليل لا يزيده إلا نفورًا.

(12–17): مصير من اتخذ هواه إلهًا

تضع السورة اليد على أخطر صور الانحراف العقدي والسلوكي بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وهو استفهام يراد به التعجيب والتقريع؛ إذ كيف ينحدر الإنسان إلى هذا الدرك، فيجعل شهوته مرجعًا، ورغبته حَكَمًا، وهواه معبودًا من دون الله؟

وتبين الآيات أن هذا الصنف لا يُترك في الضلال جزافًا، بل جزاءً وفاقًا؛ إذ عُرضت عليه البصائر، وقامت له الحجج، فآثر الإعراض، فكان الخذلان عقوبةً عادلة على رفض الهداية. فخُتم على سمعه وقلبه، وغُشّي بصره، لا لغياب الدليل، بل لإصرار النفس على تقديم الهوى على الحق.

الرسالة الاستراتيجية:

أن الهوى ليس مجرد ميل نفسي عابر، بل قد يتحول إلى معبودٍ يُطاع، ومرجعٍ يُحتكم إليه، ومِعيارٍ يُقدَّم على الوحي. واتباع الهوى هو أخطر صور الإلحاد؛ لأنه لا يواجه النص صراحة، بل يتلبّس بالشرع، ويُحرّف دلالاته، ويُسخّر النصوص لخدمة الرغبات، فيجمع بين دعوى الالتزام وحقيقة الانحراف.

(18–22): فضل العلم وأهله

تستحضر السورة تجربة تاريخية ذات دلالة عميقة، فتقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦﴾، حيث اجتمع لهم شرف الوحي، وسلطان الحكم، ومنزلة النبوة، فكانت الحجة بالغة، والفضل عظيمًا. غير أن الاختلاف وقع بعد قيام الدليل، لا لالتباس الحق، بل بغيًا بينهم، حين انفصل العلم عن التقوى، وتحول من أداة هداية إلى وسيلة صراع ومصلحة. وفي المقابل، تبرز السورة النموذج المقابل في هذه الأمة؛ وهم الذين أوتوا العلم حقًّا، فآمنوا بالوحي، واستقاموا عليه، ولم تزلزلهم الفتن ولا اختلاف الأهواء. فكان علمهم موصولًا بالعمل، ومقترنًا بالخشية، فثبتوا حين اضطرب غيرهم.

الرسالة الاستراتيجية:

أن العلم الحقيقي ليس مجرد تحصيل معرفي، بل هو ربط واعٍ بين الوحي والواقع، وفهم للهداية في سياق الفتنة، واستقامة عند تعارض المصالح، فأهل العلم هم أمناء الهداية، وحملة ميزان الحق، وهم الشهود يوم يختلط الزيف بالحق، وتضطرب المعايير.

(23–37): الجثو في السقوط، ومشهد الحساب

تبلغ السورة ذروتها بمشهد كوني مهيب، تتجلى فيه نتائج المسار كله؛ حيث تُعرض النهاية التي لا مهرب منها: كل أمة جاثية، منكسرة، مستسلمة لسلطان العدل الإلهي. لا جثوّ تعبّد، بل جثوّ سقوط، بعد طول استعلاء وإنكار.

وتُدعى كل أمة إلى كتابها، لا إلى جدال ولا اعتذار، بل إلى سجلٍ ناطق بما قدمت، ويُجزى كل فريق بما كان يعمل، جزاءً مطابقًا لا ظلم فيه ولا محاباة.

ويأتي القول الفاصل الذي يقطع كل أمل موهوم: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾؛ نسيانُ إهمالٍ وإقصاءٍ عن الرحمة، لا نسيانَ غفلة، جزاءً لمن أعرض عن ذكر الله، وتعامى عن آياته، وكأن الحساب لن يكون.

وتُختم السورة بإعلان الحقيقة العليا التي تنسف أوهام الجبابرة، وتُسقط كل ادعاء زائف: أن الكبرياء والعظمة والحكم إنما هي لله وحده، لا لمن استكبر في الأرض بغير حق، ولا لمن ظن أن القوة أو العلم أو السلطان يغني عن الخضوع للحق.

الرسالة الاستراتيجية:

أن أعظم العذاب ليس النار وحدها، بل أن يُنسى الإنسان من رحمة الله، كما نسي هو ذكر الله في الدنيا. وأن النهاية الحتمية لكل استكبار هي الجثو، ولكل ادعاء عظمة هو السقوط؛ إذ لا كبرياء إلا لله، ولا بقاء إلا للحق.

خلاصة تفسير سورة الجاثية

الهوى: يظهر في السورة بوصفه الإله البديل عند الغافلين؛ إذ يتحول من ميلٍ نفسي إلى مرجعيةٍ حاكمة، يُقدَّم فيها الذوق والشهوة على الوحي والعقل، فيكون سبب الانحراف والسقوط.

الوحي: حقٌّ واضح، مؤيَّد بالآيات في الكتاب والكون، غير أن الإعراض عنه لا يكون لخفائه، بل لكِبر النفوس واستثقالها للانقياد، حين يصادم مصالحها وأهواءها.

العلم: تقرره السورة معيار النجاة في زمن الفتن؛ فليس هو كثرة معلومات، بل بصيرة تهدي، وربط واعٍ بين النص والواقع، واستقامة تحفظ صاحبها عند الاختلاف والابتلاء.

الحساب: حساب دقيق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة؛ تُدعى فيه كل أمة إلى سجلها، ويُجزى كل إنسان بما كسب، بلا ظلم ولا محاباة، ولا نفع لدعوى أو اعتذار.

العاقبة: تُحسم السورة بحقيقة جامعة: الكبرياء لله وحده، لا يشاركه فيها مستكبر، وأن النصر في مآله لأهل الإيمان والثبات، بعد انكشاف الزيف وسقوط دعاوى القوة والهوى.

الربط مع ما قبلها:

سورة الدخان:
تُبرز سنّة الله في الاستكبار؛ فالعذاب يأتي إنذارًا عنيفًا لمن أعرض وتكبّر، بعد قيام الحجة ووضوح البيان. فهو تحذير مبكّر، يُنذر بانفجار العاقبة إذا استمر العناد، ويكشف أن الاستعلاء عن الحق لا يمرّ بلا مؤاخذة.

سورة الجاثية:
تأتي امتدادًا منطقيًا لهذا المسار، لكنها تنقل الخطاب من دائرة الإنذار إلى مشهد المآل. فالسقوط هنا سقوطٌ كامل، لا عارضًا ولا مؤقتًا، وهو نتيجة مباشرة لاتباع الهوى بعد الاستكبار، حيث ينكشف المصير الأخير للأمم التي لم تعتبر بالتحذير.

التكامل الدلالي بين السورتين:
تتجلى وحدة البناء القرآني في هذا الترتيب المحكم؛ فـ **الدخان** تمثل مرحلة الإنذار العنيف الذي يوقظ من الغفلة، بينما **الجاثية** تجسد مرحلة الانهيار الذليل حين لا يعود للإنذار معنى. فالاستكبار في الأولى يُواجَه بالتحذير، واتباع الهوى في الثانية يُفضي إلى الجثو والانكسار، ليكتمل مشهد السنن الإلهية في الهداية والعقوبة.

للتأمل الذاتي

هذه السورة لا تُقرأ للتفسير فقط، بل للمساءلة الصادقة مع النفس:

- هل أعرض عن الحق حين يثقل عليّ، لا لأنه باطل، بل لأنه لا يوافق هواي؟
- هل أقدّم رغباتي النفسية، وتأويلاتي المريحة، على صراحة النص ووضوح الدلالة؟
- هل أطلب العلم طلبَ نجاةٍ وهداية، أم أطلبه لأجل الجدل، والتفوّق على الناس، والتصدّر بينهم؟
- هل أستحضر كتابي الذي سأُدعَى إليه يوم القيامة، فأقرأه جاثيًا، بلا تبرير ولا اعتذار؟

إنها أسئلة لا تُجاب باللسان، بل تُجاب بالموقف، وبالاختيار اليومي بين الوحي والهوى، وبين التواضع للحق والاستكبار عنه، فمن جعل القرآن مرآةً لنفسه نجا، ومن جعله أداةً لمحاكمة غيره هلك وهو لا يشعر.

خاتمة سورة الجاثية

تُحذّر سورة الجاثية من أخطر عدو داخلي، هو **الهوى المستتر باسم الدين، أو العقل، أو العادة**، ذلك الميل الذي قد يتحول إلى معبود يُقدَّم على الحق، ويقود صاحبه إلى الانحراف البليغ. كما تحذر من **لحظة السقوط النهائي** التي لا نهوض بعدها، حين يُقال للإنسان: ﴿وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤﴾.

وفي المقابل، تقدم السورة نموذج النجاة الواضح: **العلم المرتبط بالهدى، والإيمان القائم على الثبات، والاتباع الصادق للوحي**، فهي المعادلة التي تحفظ الإنسان من السقوط، وتثبت له مكانه في رحمة الله، بعيدًا عن عواقب الهوى والاستكبار.

سورة الأحقاف

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ «**الأحقاف**»[1] نسبةً إلى ديار عاد التي سكنوا فيها بين الرمال والجبال. فالسورة تستحضر مصير أمة عاتية ظنت أنها لا تُقهر، فهلكت بالريح العقيم بعد طول استكبار.

دلالة الاسم: رمز لهشاشة القوة البشرية حين تعاند الوحي، مهما بدت جبالها عالية أو رمالها كثيفة، فالقوة المادية لا تغني عن الخضوع للحق، ولا تنقذ من جزاء العناد.

المقصد العام للسورة:

تتمحور السورة حول **التحذير من مصير عاد**، وإظهار أن رفض الوحي والإعراض عن الحق يؤدي إلى الهلاك. كما تثبت للنبي صلى الله عليه وسلم قلبه وتهديه بالتذكير بنتائج التكذيب في الأمم السابقة، وتبشّر الذين آمنوا وعملوا صالحًا بالثواب والنجاة.

وتتضمن السورة خطابًا **خاصًا بأهل الكتاب والمؤمنين**، لتأكيد الرسالة العالمية للقرآن، وأنها هداية لكل البشرية، لا مقصورة على زمن أو مكان محدد.

البنية الموضوعية :

المحـــــور الأول: إثبـــــات الـــــوحي والحـــــق (الآيـــــات 1–6)

تفتتح السورة بتأكيد أن القرآن تنزيل من الله الحق، وأنه طريق الهداية المباشر. وتُبين السورة أن الآلهة المزعومة عاجزة عن الرد، وأن العبادة يجب أن تكون لله وحده. فتضع الأساس للعلاقة بين الإنسان والخالق، وتكشف بوضوح خطأ التعلق بالباطل.

المحـــــور الثـــــاني: قـــــوم عـــــاد والأحقـــــاف (الآيـــــات 7–14)

تستعرض السورة قصة عاد وأحقافهم كنموذج للأمم المستكبرة، التي تعنتت عن الحق فهلكت بعذاب الله، رغم قدرتها المادية الظاهرية. المشهد يحذر من الغرور والاعتداد بالقوة، ويبرز أن الاستكبار لا يرد عن القضاء الإلهي، مهما بدت الجبال صلبة أو الرمال كثيفة.

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ «سُورَةَ الْأَحْقَافِ» فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ، وَوَرَدَتْ تَسْمِيَتُهَا بِهَذَا الِاسْمِ فِي كَلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ" محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**،ج26ص5.

المحور الثالث: وصية البر بالوالدين (الآيات 15–18)
تنتقل السورة إلى بيان القيم الإنسانية، داعيةً إلى الإحسان للوالدين، والتحذير من العقوق، موضحة أن الإحسان جزء من الطاعة لله، وأن تقصير الإنسان في حقوق والديه مرتبط بعواقب الدنيا والآخرة، ما يجعل العلاقة الإنسانية جزءًا من المسار الإيماني.

المحور الرابع: يوم القيامة (الآيات 19–20)
تؤكد السورة على أن الجزاء سيكون بحسب العمل، فالإنسان سيُحاسب على أفعاله، ويجزى الصالح جزاءه، والمذنب يُعرض لعقابه. هذه الآيات تعزز مفهوم المسؤولية الفردية، وتضع معيار العدل الإلهي في الحساب.

المحور الخامس: مصير المكذبين (الآيات 21–28)
تعيد السورة تذكير الناس بمصير عاد الذين كذبوا الرسل، محذرة أن الأمم المكذبة لاحقًا ستلقى نفس المصير إن استمروا في تكذيب الحق. فالماضي عبرة للمستقبل، والإنذار قائم لكل من يستهين بالوحي، ليُبرز أن التكذيب هو سبب الهلاك.

المحور السادس: القرآن والحق الأخير (الآيات 29–35)
تختم السورة بخطاب شامل للناس كافة، داعيةً إلى اتباع الحق قبل فوات الأوان، ومشددةً على أن القرآن هو الدليل الأخير والنهائي للهداية. وتؤكد أن الفرصة متاحة للإنسان طالما هو على الأرض، وأن الالتزام بالحق هو طريق النجاة من الغرور والهلاك.

(1–6): إثبات أن القرآن من الله... والآلهة الأخرى لا تخلق ولا تهدي

تفتتح السورة بتأكيد أن القرآن **تنزيل من الله الحق:** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾، فتُبرز وحدة المصدر الإلهي وصحة الرسالة، وأنه لا مجال للشك أو التناقض فلو كان هذا الكتاب من عند غير الله، لظهر التنافر والاختلاف في مضمونه، ما كان ليجمع بين الحكمة والدقة في التشريع والبيان.

كما توضح السورة **عجز الآلهة المزعومة** التي يُعبدون من دون الله: فهي لا تسمع الدعاء، ولا ترد على السائل، ولا تملك شيئًا من أمر الكون أو مصائر البشر. فتكشف عن زيف المرجعيات البشرية أو الاصطناعية حين تُدّعى سلطة مطلقة وتُقصي الحق.

الرسالة الاستراتيجية:
أن كل سلطة أو مرجعية تُقصي الوحي، ثم تدّعي أنها مطلقة أو قدسية، فهي في حقيقتها **عبادة من دون الله**، وعلامة على الانحراف عن الحق، مهما بدت قوية أو مؤثرة في الظاهر.

(7–14): مشهد قوم عاد... وذكرى الأحقاف

تستعرض السورة قصة **قوم عاد** وديارهم في الأحقاف، كمشهد حي للتحذير من الاستكبار واتباع الهوى .

لكنهم ردّوا عليه بالاستعلاء والتمسك بالعادات: ، فاختاروا التقليد الأعمى على الهداية، والغرور على الاستماع للحجة.

فكانت النهاية **هلاكهم بريح صرصر** شديدة أبادت ما كانوا عليه، لتصبح ذكرى تحذيرية لكل أمة تتعالى عن الحق.

الرسالة الاستراتيجية:
أن **التقليد الأعمى والاستكبار** هو بداية السقوط، وأن **القوة بلا إيمان**، مهما بدت جبارة أو مستبدة، هي هشّة كالرمل في مهب الريح، لا تقي صاحبها من العقاب الإلهي.

(15–18): الإحسان إلى الوالدين... وذم العقوق

تنتقل السورة إلى بيان القيم الأخلاقية الأساسية، فتوضح أن **الإيمان الحقيقي يبدأ من الأسرة**، ومن التزام الإنسان بحقوق والديه. فالبر والصبر على الوالدين علامة على الفوز

والنجاة: من أحسن إليهما، وصبر على ما يترتب من مسؤوليات، كان من **الفائزين** في الدنيا والآخرة.

وفي المقابل، يُذم العقوق بشكل حاد، كما في قول الله: «**أفّ لكما**»[1]، حيث يرمز هذا اللفظ إلى ازدراء الوالدين وإهمال حقوقهما، فالعاق يواجه الهلاك والخذلان.

الرسالة الاستراتيجية:

أن الإيمان ليس تنظيرًا أو شعارات بلا أثر، بل **يبدأ من البيت، من الأسرة، من بر الوالدين.** ومن لم يعرف الوفاء لأهله، فلن يثبت في ميدان الأمة، ولن يكون قادرًا على الالتزام بالقيم الكبرى في الحياة العامة والدين.

(19–20): يوم القيامة... والجزاء بحسب العمل

توضح السورة أن **يوم القيامة يوم حساب دقيق**، حيث يُجازى كل إنسان بحسب عمله ونيته. فالجزاء متفاوت بحسب الدرجات، فلا ظلم ولا محاباة، وكل صغيرة وكبيرة محسوبة.

ويُذكّر الكفار الذين أفرطوا في اللهو والملذات في حياتهم الدنيا بما فقدوه، فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ٢٠﴾، أي أضاعوا فرص النفع والفائدة الحقيقية بلهوهم واستكبارهم.

الرسالة الاستراتيجية:

أن العدل الإلهي دقيق، لا يضيع مثقال ذرة، وأن من شرب لذات الدنيا حتى الثمالة، واستغرق في الهوى والمتع الزائلة، **فليندم ويبكِ على الآخرة**، إذ الحساب لا يرحم من أهمل حياته الحقيقية.

[1] قال النسفي:" وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر كما إذا قال حس علم أنه متوجع واللام للبيان" أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** مرجع سابق، ج3ص313.

(21–28): عاد هلكوا... ومن بعدهم موعودون بالعذاب إن كذبوا

تستعرض السورة **مصير عاد** بعد استكبارهم عن الحق: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾، لتؤكد أن العناد والكفر لا ينجّيان أحدًا. وتوضح أن **ما كانوا ليؤمنوا** كان واضحًا منذ البداية، فالعقوبة ليست عبثًا، بل نتيجة حتمية لرفض الحجة. وقد جاء العقاب متمثلًا في **ريح لم تُبقِ منهم أحدًا**، علامة على انقضاء القوة المادية أمام إرادة الله.

الرسالة الاستراتيجية:

أن القرآن ليس مجرد سرد قصصي، بل تحذير استراتيجي لتجنب تكرار أخطاء الماضي، ومن ظن أنه استثناء، أو أنه بمنأى عن الجزاء، فقد بدأ هلاكه قبل أن يعي، فالدروس التاريخية واضحة لمن أراد الاعتبار.

(29–35): خاتمة السورة... تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوة شاملة

تختتم السورة بخطاب شامل يربط بين **ثبات النبي صلى لله عليه وسلم** ونتائج الرسالة: فقد آمن بالقرآن **الجن**، وبرزت قوة الهداية في كل المخلوقات القابلة للسمع والطاعة. وفي المقابل، يوضح القرآن أن **الظالمين والمستكبرين** لا يُنصرون مهما كانت قوتهم، فالقوة بلا هداية لا قيمة لها.

وتحذّر السورة النبي صلى الله عليه وسلم من اليأس، داعيةً إلى الصبر على طريق الدعوة كما صبر **أولو العزم من الرسل**، مؤكدةً أن الرسالة ليست مرتبطة بزمن أو مكان، بل عالمية وراسخة.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **دعوة النبي صلى اله عليه وسلم** رسالة عالمية تمتد إلى الإنس والجن، وأن **النصر الحقيقي** لا يكون للغضوب أو العاجلين، بل **للصابرين والمتمسكين بالوحي**، ممن يحفظون الثبات رغم الأهواء والابتلاءات.

خلاصة سورة الأحقاف

الوحي:
تنزيل حكيم من الله الحق، واضح في دلالاته، لا جدال فيه، ومرجع ثابت للهداية.

عاد: نموذج للأمم المستكبرة التي هلكت رغم قوتها المادية، تحذير من الاستعلاء والتقليد الأعمى للعادات.

البر: الإحسان إلى الوالدين والصبر على حقوقهم مدخل أساسي للنجاة، ومنطلق للاستقامة في الفتن والابتلاءات.

القيامة: الجزاء دقيق بحسب الأعمال، فالإنسان يُجازى بما عمل، ولا يضيع مثقال ذرة، فتظهر عدالة الله وحكمة الحساب.

الصبر: هو مفتاح النصر في المشروع النبوي، والاستقامة على الحق، والتمسك بالوحي في مواجهة المكذبين والمستكبرين، كما ثبت في خاتمة السورة بالاقتداء بأولو العزم من الرسل.

الربط مع ما قبلها:

سورة الجاثية تناولت سقوط الأمم نتيجة اتباع الهوى، مصورةً ذلك في مشهد القيامة حيث تُجبر الأمم على الجثو أمام الحق، ليكون الانكسار كاملًا ولا مهرب منه.

أما سورة الأحقاف فتركز على سقوط الأمم بسبب العناد والاستكبار، كما حصل مع قوم عاد، وتعرضه في الدنيا قبل أن يأتي يوم الحساب.

التكامل بين السورتين يظهر في طريقة عرض السنن الإلهية: الجاثية تركز على **النتيجة النهائية للسقوط في الآخرة**، بينما الأحقاف تعرض **سقوط الأمم في الحياة الدنيا** كتحذير استراتيجي للمتعجرفين، فترسم الصورة الكاملة لمسار التكذيب والاستكبار.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة الأحقاف إلى مساءلة النفس بصدق وعمق:

- هل أقدّم **التقليد والعادات** على أوامر الوحي، أم ألتزم بالحق مهما خالف معتقداتي الموروثة؟
- هل أقيس الحق بالقوة أو بالسطوة، أم أستند إلى **الحق الإلهي والوحي** وحده؟
- هل أدرك أن **الإحسان إلى الوالدين** ليس مجرد واجب، بل مدخل استراتيجي للنجاة والثبات في الفتن؟
- هل أنا **صابر** في مواجهة الباطل والمكذبين، أم مستعجل لأجل النتائج والمظاهر الدنيوية؟

هذه الأسئلة ليست للتفكير النظري فحسب، بل لتطبيقها يوميًا في سلوكنا، فالنجاة والثبات يحتاجان إلى إدراك واعٍ، وربط دائم بين الوحي والعمل.

خاتمة تفسير سورة الأحقاف

تُغلق سورة الأحقاف دورة طويلة من التحذير الإلهي، فتضع **السطر الأخير تحت معادلة الهلاك**: الإعراض عن الحق، الاستكبار، العناد، والتقليد الأعمى تؤدي جميعها إلى الهلاك المحتم. فهي تحذر من أن القوة والمكانة المادية لا تنفع من أعرض عن الوحي، مهما بدت جبارة أو متينة.

وفي المقابل، تضع السورة **طريق النجاة** أمام من أراد الثبات والهداية: العودة إلى الوحي، والتمسك بالحق، والصبر على الابتلاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾.

فالرسالة واضحة: الصبر والثبات على الحق هما مفتاح النجاة في مواجهة الباطل والمستكبرين، كما ثبت لأولو العزم من الرسل.

سورة محمد

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ «**محمد**»[1] لورود اسمه الشريف في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢﴾. ويتصدر الاسم السورة كراية للنبي صلى الله عليه وسلم القائد، وبشارة بانتصار الحق الذي نزل عليه، مع إبراز موقعه المحوري في قلب الصراع بين الإيمان والنفاق.

المقصد العام للسورة:

تحدد السورة **معالم الصراع الحاسم** بين فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر، وتوضح أثر الإيمان والعمل الصالح في تحقيق النصر، مقابل أثر النفاق والهوى في الهزيمة والتخريب. كما تثبت المؤمنين في مرحلة المواجهة، مع وعد صريح **بالتمكين والنجاح** للثابتين على الحق، ما يجعل السورة خارطة استراتيجية للمؤمن في معركة الإيمان ضد الباطل.

البنية الموضوعية للسورة :

المحور الأول: افتتاح حاسم (الآيات 1–3)

تفتتح السورة بتقسيم الناس إلى فريقين: **الكافرون** و**المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم**، موضحةً خطوط الصراع الأساسية بين الحق والباطل، والإيمان والنفاق. هذا التقسيم يرسخ وعي المؤمن بمكانه ومسؤوليته في ميدان المواجهة.

المحور الثاني: القتال سنة ماضية (الآيات 4–11)

تستعرض السورة **مصير الكافرين في المعارك السابقة**، وتوضح أن القتال في سبيل الله ليس

[1] قال أبو السعود:" سورة محمدٍ صلَّى الله عليهِ وسلم وتسمى سورة القتال" أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، فسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج8ص98.

اعتباطًا، بل **سنة متسقة في نصرة الحق**. كما تؤكد أن النتائج مرتبطة بالصدق في النية والبذل في سبيل الله، وأن الجزاء الإلهي يتبع العمل.

المحور الثالث: مصير المكذبين (الآيات 12–15)

تتحدث الآيات عن **الجنة والنار**، مظهرةً العاقبة الحاسمة لكل فريق، لتكون الحجة واضحة على من يختار طريق النفاق والكفر، والجزاء متناسبًا مع أعمال الإنسان وإيمانه.

المحور الرابع: النفاق خطر داخلي (الآيات 16–20)

تحذر السورة من **المنافقين داخل الصفوف المؤمنة**، الذين يُربكون التنظيم ويضعفون الصمود. فتبين أن الاستقامة في الإيمان لا تكفي وحدها، بل يجب التحقق من صدق العمل والتوجه، لأن الخطر الداخلي قد يكون أشد تأثيرًا من الأعداء الخارجيين.

المحور الخامس: الإعداد للنصر (الآيات 21–38)

تختم السورة بمفاتيح **التمكين والنصر**: الصدق في العقيدة، الطاعة لله ورسوله، والبذل في سبيل الحق. فالثبات على المبادئ والالتزام بالأوامر الإلهية يُعد أبرز عوامل التمكين في مواجهة الكفر، ويُظهر كيف يترسخ النصر للمؤمنين الصادقين.

(1–3): الاصطفاف بين معسكرين

تبدأ السورة بتحديد **اصطفاف واضح بين فريقين**: الكافرون والمؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فالكافرون **أضلّت أعمالهم** وأضعفتهم عن الهداية، بينما المؤمنون **غُفرت سيئاتهم وأصلح بالهم**، وذلك نتيجة إيمانهم بما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم واتباعهم له.

الرسالة الاستراتيجية:

أن الصراع في هذه السورة **ليس صراعًا بين أفراد مجردين**، بل بين مشروعين متكاملين: مشروع محمد صلى الله عليه وسلم الحق، ومشروع أعدائه الباطل. وموقع الإنسان من النبي صلى الله عليه وسلم **هو مقياس موقعه من الحق نفسه**، وما اختاره يعكس موقفه النهائي في المعركة الكبرى بين الإيمان والكفر.

(4–11): القتال ليس عنفًا... بل تصفية للباطل

توضح السورة أن **القتال في سبيل الله** ليس عملًا عشوائيًا أو عنفًا بلا هدف، بل له **أهداف واضحة ومحددة:** ردع الظالمين، ورفع الباطل، وتمييز الصفوف بين المؤمنين والكافرين. كما تؤكد أن **الله ينصر من ينصره** بالصدق والطاعة، ويجعل النتيجة النهائية **دمار الكافرين واستقرار المؤمنين.**

الرسالة الاستراتيجية:
أن القرآن **لا يرهب المؤمن من القتال،** بل يؤطره ويحدد غايته، ويبين أن الهدف هو **تثبيت العدل وحماية الحق،** لا سفك دماء الأبرياء أو تحقيق مصالح شخصية.

(12–15): مآلات الصراع: الجنة... أو النار

توضح السورة أن **الصراع العقائدي بين الحق والباطل له عواقب حاسمة:** الجنة للمؤمنين الصادقين، فيها **أنهار من لبن وعسل وخمر طهور،** والنار للكافرين والمستكبرين، فيها **ماء كالمهل يشوي الوجوه،** علامة على شدّة الجزاء وعواقب التمرد على الحق.

الرسالة الاستراتيجية:
أن الصراع العقائدي **ليس بلا ثمن ولا بلا مآل،** فالنجاة مرتبطة بالثبات على الحق والعمل الصالح، ومن دخل الجنة نال الفوز الحقيقي، ومن خسر الآخرة فقد ضاع، فلا نصر له ولا خلاص من جزاء الله.

(16–20): خطر المنافقين

تحذر السورة من **المنافقين داخل المجتمع الإسلامي،** الذين **يستمعون للحق ثم يسخرون منه،** ويتظاهرون بالاهتمام بينما يزرعون الشكوك في نفوس المؤمنين، مثل سؤالهم: **هل نرى نصرًا قريبًا؟.**

الرسالة الاستراتيجية:
أن النفاق **ليس مجرد كفر باطني،** بل يمثل **إرباكًا استراتيجيًا للصفوف المؤمنة.** وكل

مجتمع يسمح بتغلغل النفاق داخله **يهزم نفسه بيده**، مهما كانت قوته الخارجية، لأن الصراع مع الباطل يبدأ من الداخل قبل الخارج.

(21–38): وصايا الانتصار... وملامح المشروع القرآني

تختم السورة بتقديم **المفاتيح العملية للنصر والتمكين:** فطاعة الله ورسوله هي الشرط الأساسي للانتصار، والإنفاق في سبيل الله **مقياس صدق الإيمان.** كما يظهر الابتلاء كـ **غربال يمحص المؤمنين**، والجهاد بالمال والنفس هو الطريق لتحقيق التمكين والثبات على الحق.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **النصر لا يُكتسب بالتمني أو الارتجال**، بل يحتاج إلى **إعداد دقيق، وصدق، وانضباط، وثبات على الوحي.** والتخلف عن الركب ليس مجرد خسارة دنيوية، بل **خطيئة توجب السؤال يوم القيامة**، ما يجعل الالتزام بالمشروع القرآني ضرورة استراتيجية للنجاة والتمكين.

خلاصة سورة محمد

الموقف من محمد صلى الله عليه وسلم: الوقوف مع النبي صلى الله عليه وسلم هو **مفتاح قبول الأعمال**، ومقياس للثبات على الحق، فالإيمان به وتأييده أساس كل نجاح في الدنيا والآخرة.

القتال: القتال في سبيل الله **سنة لتثبيت المشروع الإيماني**، يهدف إلى ردع الظالم وتمييز الصفوف، وليس مجرد عنف بلا هدف.

النفاق: المنافقون يمثلون **أخطر تهديد داخلي**، إذ يربكون الصفوف ويضعفون المشروع من الداخل، مما يجعل مواجهة الباطل الخارجية أقل فعالية إذا غفل المجتمع عن خطر النفاق.

النصر: النصر **مشروط بالصدق، والبذل، والطاعة** لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهو نتيجة الالتزام بالمشروع القرآني، لا مجرد التمني أو القوة الظاهرية.

المشروع المحمدي: هو **معيار الفرز الحقيقي في الأمة**، الذي يحدد موقع كل إنسان بين الحق والباطل، ويُظهر من يستحق النجاة ومن يستحق الجزاء، ويضع الأسس العملية للثبات والتمكين.

الربط مع ما قبلها :

سورة الأحقاف عرضت **هلاك المكذبين رغم قوتهم واستكبارهم**، مظهرةً أن القوة المادية بلا هداية لا تنفع، وأن العناد يقود إلى الهلاك.

سورة محمد تأتي **لتأسيس مشروع بديل**، مشروع محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقاتل لإقامة العدل ونصرة الحق، مع تحديد ملامح الانتصار والاستعداد له، وبيان مخاطر النفاق والخطر الداخلي.

بهذا المعنى، الأحقاف تمثل **نهاية مشروع عاد وهلاك القوى المتكبرة**، بينما محمد صلى الله عليه وسلم يمثل **بداية مشروع التمكين والثبات على الحق**، مع تعليم الأمة أن النصر مشروط بالإيمان والعمل الصالح والانضباط على الوحي.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة محمد المؤمن إلى مساءلة النفس بصدق وعمق:

- هل أنتمي حقًا إلى **المعسكر المحمدي**، الذي يقاتل بالحق ويثبت على الإيمان؟
- هل أنا من الذين **ينصرون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم** بالصدق والعمل، أم ممن **يترددون ويتلكؤون** عند المواجهة؟
- هل أُنفِق في سبيل الله حين يُطلب مني، أم أُمسك وأتأول، متذرعًا بالهوى أو المصلحة الشخصية؟
- هل قلبي مع **المجاهدين الصادقين** في سبيل الحق، أم مع **المترددين والمنتظرين**، الذين يضعفون الصف ويعرضون المشروع للخطر؟

هذه الأسئلة ليست للتفكير النظري فحسب، بل **مرآة صادقة لقياس موقفنا من المشروع المحمدي**، ولتحديد مدى استعدادنا للثبات والصبر في مواجهة الباطل.

خاتمة سورة محمد

سورة محمد وضعت **خارطة الصراع الكبرى** بين الحق والباطل، وبرزت فيها **فرز الصفوف** بين المؤمنين الصادقين والمنافقين والمترددين. وأكدت أن **النصر الحقيقي** يكون لمن **نصروا محمدًا صلى الله عليه وسلم** بالصدق والطاعة، ولأهل **العمل الصالح والجهاد والبذل في سبيل الله.**

سورة الفتح

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ «**الفتح**»[1] لقول الله تعالى:﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾.
والفتح هنا يتجاوز مجرد **فتح مكة**[2] ليشمل **فتحًا في الرؤية والتمكين، ووضوح الطريق،**

[1] قال الهرري:" سميت سورة الفتح؛ لأنّ الله تعالى بشّر المؤمنين بالفتح المبين، حيث قال في أولها: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا } الآيات" محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج27ص222.

[2] قال النسفي:" {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} الفتح الظفر بالبلدة عنوة أو صلحاً بحرب أو بغير حرب لانه مغلق مالم يظفر به فإذا ظفر به فقد فتح ثم قيل هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به لفظ على الماضي لأنها في تحققها بمنزلة الكائنة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر عنه وهو الفتح مالا يخفى" أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)مرجع سابق،ج3ص333.– قال البغوي:" اختلفوا في هذا الفتح، وروي عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ فَتْحُ مَكَّةَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فَتْحُ خَيْبَرَ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعْنَى الْفَتْحِ فَتْحُ الْمُنْغَلِقِ، وَالصُّلْحُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بِالْحُدَيْبِيَةِ كَانَ مُتَعَذِّرًا حَتَّى فَتَحَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ". محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، مرجع سابق،ج4ص222.

وتجديد الثقة في المشروع النبوي. فهي سورة **التحول:** من الحصار إلى الانطلاق، من الصبر إلى التمكين، ومن انتظار تحقيق الوعد إلى إدراكه فعليًا.

المقصد العام للسورة:

تقدم السورة **بشرى نبوية عظيمة** بعد صلح الحديبية، حيث تثبت المؤمنين على الصبر والطاعة، وتفضح المنافقين والمتخلفين عن الصفوف، كما تؤكد أن **الطاعة، والبيعة، والاتباع الصادق** هي السبيل لتحقيق النصر، وأن **الصبر والمثابرة** هما طريق الرضا الإلهي والتمكين المستمر للمشروع المحمدي.

البنية الموضوعية لسورة الفتح:

المحور الأول: وعد بالفتح القريب (الآيات 1–3)

تبدأ السورة بتقديم **البشرى بالفتح المبين،** حيث يشمل الغفران للمؤمنين، التثبيت في الإيمان، ووعد **النصر القريب.** هذه الآيات تؤطر مرحلة **التحول من الصبر والانتظار إلى تحقق الوعد الإلهي.**

المحور الثاني: تثبيت للمؤمنين (الآيات 4–10)

تكرّس السورة جهودها لتثبيت المؤمنين على الصبر والطاعة، من خلال **السكينة الإلهية والبيعة،** وإظهار أن الالتزام بالحق والطاعة الصادقة هو الطريق الأمثل للنصر والتمكين.

المحور الثالث: كشف المتخلفين (الآيات 11–18)

تفضح السورة **المتخلفين عن الصفوف** وأعذارهم الواهية، وتظهر مواقفهم الحقيقية، لينكشف **نفاقهم وضعف إيمانهم،** في دروس تحذر المؤمنين من الخطر الداخلي الذي قد يضعف المشروع النبوي.

المحور الرابع: رضوان الله على الصادقين (الآيات 18–21)

تسلط الآيات الضوء على **بيعة الرضوان،** علامة على صدق الإيمان والثبات على الحق، وتقدم **بشارة الفتح** كمكافأة للمخلصين، مؤكدًا أن الصدق في المواقف هو مفتاح الرضا الإلهي والتمكين.

المحور الخامس: الرؤية الصادقة (الآيات 22–29)

تختتم السورة ببيان **تحقق الرؤيا والنصر الإلهي**، وتعرض **صفات الأمة الفاتحة**، مظهرةً التمكين الذي تحقق بفضل الصبر والصدق، ومؤكدة أن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك بالوحي هو الضمان لثبات المشروع واستمرار الانتصار.

(1–3): افتتاح بانتصار مفاجئ ومهيب

تفتتح السورة بالآية:

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾ معلنة **المغفرة، وتمام النعمة، والهداية، والنصر** بعد صبر طويل ومحنة صلح الحديبية. هذه الآيات تمثل لحظة **التحول من الانتظار والصبر إلى تحقق الوعد الإلهي والانتصار المباشر.**

الرسالة الاستراتيجية:

أن **أعظم الفتوح تأتي بعد أحلك اللحظات وأشد الأزمات**، وأن الفتح الحقيقي لا يقتصر على **الفتح العسكري أو السياسي**، بل يبدأ بـ **فتح القلوب ووضوح الرؤية** قبل فتح الحصون والمدن، ليكون الانتصار مستدامًا ومثمرًا.

(4–10): السكينة، والطاعة، والبيعة... مفاتيح التمكين

توضح السورة أن الله **أنزل السكينة في قلوب المؤمنين** ليزدادوا إيمانًا وثباتًا، ويظهر ذلك جليًا في **بيعة الرضوان**، حيث يُقال: **يد الله فوق أيديهم**، علامة على التوفيق الإلهي والنصر القادم.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **المجتمع المؤمن الذي يتماسك تحت الطاعة الشرعية الصادقة** هو الذي يُنصر ويثبت في مواجهة التحديات. فالبيعة ليست مجرد شكل رمزي، بل **عقد نصر وتمكين** يربط المؤمنين بالحق ويؤسس لمشروعهم الاستراتيجي في تمكين الدين وتحقيق الوعد الإلهي.

(11–18): كشف المتخلفين... وأوهامهم

تكشف السورة **مواقف المتخلفين عن الصفوف**، الذين قالوا: "شغلتنا أموالنا وأهلونا"، ظانين أن **الدعوة يمكن أن تستمر بلا تكلفة أو جهد**. كما تبين السورة أنهم سيُدعون لاحقًا للقتال، لتظهر **الفرز بين الصادقين والكاذبين**، فالله يعلم من يخلص لله ومن يتخذ أعذارًا واهية لتبرير تقصيره.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **من لا يشارك في التأسيس والصفوف الصادقة**، لن يُؤتمن في مرحلة التمكين. والدعوة الإلهية **تفضح الأهواء الشخصية كما تنصر الحق**، فالنجاة والتمكين مرتبطان بالصدق والالتزام، وليس بالمناورات أو الأعذار الواهية.

(18–21): رضوان الله على الصادقين... وثمار بيعتهم

تعلن السورة أن **الله رضي عن المؤمنين** الذين ثبتوا تحت الشجرة، رغم قلّة عددهم، في لحظة **الاختبار والتضحية**. وتؤكد السورة أن النصر قادم، بما يشمل **إنجازات أكبر لم يدركوها بعد**، دلالة على تحقق الوعد الإلهي على مراحل.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **الرضا الإلهي يُنال في ميادين التضحية والثبات على الحق**، لا في أوقات الراحة والسهولة. و**بيعة الرضوان** تمثل **النموذج الكامل للانضباط النبوي والمشاركة الفعلية في المشروع المحمدي**، حيث يتحد الصبر مع الطاعة والالتزام لتحقيق النصر والتمكين.

(22–29): الرؤية تتحقق... وصفات الأمة المؤمنة

تؤكد السورة تحقق **الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم**، حيث وعد الله بدخول المسجد الحرام آمنين، وأظهر أن **السكينة والنصر القريب** هما نتيجة الطاعة والثبات. ويختم الله السورة بتحديد **صفات الأمة المؤمنة:** أشداء على الكفار ورحماء بينهم، متجسدين في صبرهم، تضحيتهم، وخشوعهم، وانضباطهم ضمن المشروع المحمدي.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **الرؤية الصادقة لا تموت وإن تأخرت**، وأن المؤمنين هم **جنود المشروع المحمدي** الذين يجمعون بين **العقيدة الراسخة، السلوك النقي، الصبر، التضحية، والخشوع**، ليتركوا أثرًا واضحًا في الأمة ويحققوا النصر على الباطل بالوسائل الشرعية والمشروع القرآني.

خلاصة سورة الفتح

الفتح: النصر يتحقق بعد **صبر طويل ومحنة**، وهو بداية تحول حقيقي في مسار الدعوة والنصر الإلهي.

البيعة: تشكل **أساس التمكين**، فهي عقد الطاعة والانضباط الذي يربط المؤمنين بالحق ويؤسس لمشروع ناجح ومستمر.

الطاعة: لا يمكن أن يتحقق النصر **بدون انضباط واتباع صادق للوحي**، فالطاعة الصادقة شرط أساسي للتمكين والثبات.

النفاق: يمثل **عائقًا داخليًا**، يكشفه الميدان ويضع المجتمع المؤمن أمام اختبار حقيقي، فلا تمكين دون فرز الصفوف.

الرؤية: الوعد الإلهي **لا يخلف أبدًا**، بل يتحقق في وقته، محققًا الرؤيا الصادقة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومؤكدًا أن التمكين والنجاح يرتبطان بالثبات، الصبر، والصدق في المواقف العملية.

الربط مع ما قبلها :

سورة **محمد** عرضت **الصراع القائم وفرز الصفوف** بين المؤمنين الصادقين والمنافقين والمترددين، محددةً **أسس التمكين بالنصر**: الطاعة، الصدق، البذل، والجهاد.

سورة **الفتح** تأتي **لتؤكد تحقق النصر والرؤية الإلهية**، بعد مرحلة الإعداد، حيث يظهر **تمكين الأمة وتحقيق وعد الله**، مع إبراز ملامح الانضباط والالتزام الصادق بالمشروع المحمدي.

بهذا، **محمد** تمثل مرحلة **الإعداد والاختبار**، و**الفتح** تمثل **بداية التمكين وتحقيق النتائج العملية** للثبات والصدق في سبيل الله.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة الفتح المؤمن إلى مساءلة النفس بعمق وصراحة:

- هل **أؤمن بالرؤية الصادقة** للنبي صلى الله عليه وسلم وأصبر حتى تتحقق، أم أستعجل النتائج وأضعف أمام الشدائد؟
- هل **أطيع قيادتي الربانية بإخلاص**، أم أتصرف بتردد أو حسب هواي الشخصي؟
- هل أنا من الذين **رضي الله عنهم**، أي ممن ثبتوا في الميادين وأخلصوا في الطاعة والجهاد؟
- هل أشارك بفعالية في **بناء المشروع المحمدي**، حتى أستحق النصر والتمكين، أم أكتفي بالمراقبة أو الانزواء؟

هذه الأسئلة تعكس **مرآة صادقة لموقفنا من المشروع الإلهي**، وتحدد استعدادنا للثبات والصبر والمساهمة في تمكين الحق في الأمة.

خاتمة

سورة الفتح تُعلن **بداية مرحلة التمكين** بعد صبر طويل ومحنة، وتؤسس لعقيدة **السكينة، والرؤية الصادقة، والبيعة، والانضباط** في صفوف المؤمنين.

تؤكد السورة أن من **ثبت في الحديبية** وشارك في الاختبار، سيثبت في الفتح ويشارك في التمكين، بينما من **تخلف عن المحنة أو تراجع عن الطاعة**، سيفوته المجد ولن يشارك في النتائج العظيمة.

وتُختم السورة بأجمل إعلان للانتصار:
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

فأين موقعك من هذا الاصطفاف؟ هل قلبك ويدك وصدقك مع المشروع الرباني، أم مع المترددين عن الصف؟.

سورة الحجرات

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ «**الحجرات**»[1] نسبة إلى حجرات أمهات المؤمنين حيث كان يسكن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾، فالاسم يشير إلى **خصوصية الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومراعاة المقامات، وضبط السلوك، وتنظيم الحياة داخل الصف المؤمن.**

يمكن وصف السورة بأنها **سورة الضبط الداخلي** بعد الفتح الخارجي، إذ تأتي بعد مرحلة التمكين لتؤسس **لبنية المجتمع الإيماني من الداخل،** لا من الخارج فقط.

[1] قال المكي الناصري:" هذه السورة الكريمة سميت " سورة الحجرات " أخذا من قوله تعالى فيها: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}، وأول ما يلفت النظر في هذه السورة الكريمة على العموم، وخاصة في الربع المخصص لهذا اليوم، أن آياتها البينات تعنى على الخصوص بإرشاد المؤمنين إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه في سلوكهم نحو الله ورسوله، بعضهم نحو بعض، وما ينبغي أن يكونوا عليه في سلوكهم جميعا نحو غيرهم من بقية الناس." محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ) ، **التيسير في أحاديث التفسير**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ج6ص59.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى بناء مجتمع راشد ومتماسك، يضبط علاقاته بالله، وبالرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالمؤمنين، قائم على الأدب، والتثبت، والتقوى، وعدم التسرع، ووحدة الجماعة، حيث تكون الهويّة الإيمانية هي المعيار الأساسي للانتماء، لا الانتماءات القبلية أو الجهوية.

السورة إذًا تمثل **مرحلة ما بعد الفتح**، مرحلة **تنظيم الصف الداخلي، وضبط العلاقات، وترسيخ الثقافة الإيمانية السليمة** لضمان استمرار التمكين وتحقيق الأهداف العليا للأمة.

البنية الموضوعية للسورة:

المحور الأول: الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم(الآيات 1–5)
تبدأ السورة بتوجيهات دقيقة حول **كيفية التعامل مع النبي صلى الله عليه وسلم:** لا تتقدموا عليه في الكلام، لا ترفعوا الصوت عند مناداته، ولا تنادوه جهرًا إلا بإذن. هذه الآيات تؤكد **الضبط الداخلي واحترام المقامات** كأساس للانسجام المجتمعي.

المحور الثاني: التثبت من الأخبار (الآية 6)
تفرض السورة **ضرورة التثبت والتحقق من الأخبار** قبل تصديقها أو نشرها، حمايةً للمجتمع من الفتنة، وضمانًا لتماسك الصفوف.

المحور الثالث: الإصلاح عند الاقتتال (الآيات 7–10)
توضح السورة **منهج الإصلاح بين المؤمنين** عند وقوع خلاف أو اقتتال، مشددة على **الابتعاد عن الاصطفاف والعصبية**، واتباع الحكمة والعدل في المصالحة.

المحور الرابع: لا يسخر قوم من قوم (الآية 11)
تضع السورة **آداب العلاقات الاجتماعية**، وتحذر من السخرية والاستهزاء بالآخرين، مع تعزيز الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع.

المحور الخامس: اجتنبوا كثيرًا من الظن (الآية 12)

تحذر السورة من **الظن السيئ، التجسس، والغيبة**، مؤكدة على أهمية **النزاهة والشفافية** في التعاملات بين الناس.

المحور السادس: معيار التفاضل: التقوى (الآية 13)

توضح السورة أن **التقوى هي معيار التفاضل الحقيقي بين الناس**، رافضة أي عصبية قبلية أو جهوية، لتكون **الهوية الإيمانية هي الأساس.**

المحور السابع: الإيمان عمل... لا ادّعاء (الآيات 14–18)

تؤكد السورة أن **الإسلام نعمة من الله، وليس منة من الناس**، وأن الإيمان الحقيقي يظهر **بالعمل والطاعة**، لا بالادعاء، فيضبط بذلك **الهوية والسلوك الفردي والجماعي** للأمة.

(1–5): الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم... مدخل كل خير

توجه السورة المؤمنين إلى **ضبط سلوكهم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم**: ألا يتقدموا بين يديه، وألا يرفعوا أصواتهم عند مناداته، فالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم هو **امتداد للأدب مع الوحي نفسه.**

الرسالة الاستراتيجية:

أن **القيادة النبوية ليست بشرية عادية**، بل **مقام شرعي يتطلب التعظيم والاحترام**. ومن قل أدبه في الكلام مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه يُظهر ضعف الالتزام بالشرع، ويضعف موقعه في الصفوف المؤمنة، وقد يهدر عليه الخير الذي يرتبط بالانضباط والطاعة.

(6): التثبت من الأخبار... حماية للجماعة

توجه السورة المؤمنين إلى **التحقق من الأخبار قبل تصديقها أو نقلها**، كما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ

نَٰدِمِينَ ۝٦﴾. وذلك **لحماية المجتمع من الفتن والأضرار الناتجة عن الجهل أو الأكاذيب**، فلا يُؤذى الناس بغير علم.

الرسالة الاستراتيجية:

في **أزمنة الفتن والشائعات والأخبار الملفقة**، يصبح **التثبت فريضة استراتيجية**، لأن الإعلام أو الخبر غير المنضبط يمكن أن **يهدم الصفوف ويضعف المجتمع من الداخل.**

(7–10): الإصلاح منهج إيماني

توضح السورة أن **الإصلاح بين المتخاصمين من المؤمنين** يجب أن يكون دون انحياز أو تحيز لطرف على حساب الآخر، فإذا بغت إحدى الجماعات، فيُقاتل الباغي فقط.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **العدل لا يُلغى بحجة الموالاة أو الانتماء.** ومنهج الإصلاح الحقيقي **لا يقوم على الانحياز**، بل على **نصرة المظلوم وإيقاف الباغي**، بما يضمن وحدة الصف وسلامة المجتمع الإيماني.

(11): لا سخرية، لا تنابز، لا تحقير

توجه السورة المؤمنين إلى **ضبط علاقاتهم الاجتماعية**، فلا يسخر قوم من قوم، ولا نساء من نساء، ولا يُنابزوا بالألقاب أو الألقاب المهينة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **المجتمع الإيماني المتماسك لا تُبنى وحدته على التهكم أو التحقير**، بل على **الاحترام المتبادل والمودة الصادقة بين أفراده**، فالسلوك القيمي هو أساس قوة الجماعة واستقرارها.

(12): لا ظن ، لا تجسس، لاغيبة

توجه السورة المؤمنين إلى **ضبط سلوكهم الداخلي تجاه الآخرين**، بالتحذير من الظن السيئ، والتجسس، والغيبة بين الناس، لتجنب الفتن الداخلية ونشر الأحقاد.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **تخريب العلاقات يبدأ بالظنون السيئة، ثم التجسس، ثم الغيبة**. ومن **حفظ لسانه عن الشر وأدرك حدوده**، فقد حفظ قلبه، وحُفظ مجتمعه من الانقسام والفتنة، ليبقى الصف الإيماني متماسكًا وقويًا.

(13): معيار التفاضل: التقوى لا العرق

توضح السورة أن **معيار التفاضل الحقيقي بين الناس هو التقوى والعمل الصالح**، لا النسب أو اللون أو المكانة الاجتماعية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **المجتمع المؤمن لا يُبنى على العنصر أو النسب**، بل على **الإيمان والعمل الصالح**، وهو الحسم النهائي لأي شكل من أشكال **القبلية أو التمييز العرقي**، ليكون معيار الانتماء الحقيقي هو الالتزام بالقيم الإيمانية.

(14–18): لا تمنوا الإسلام... فالله يمن عليكم

تؤكد السورة أن **الإيمان الحقيقي ليس مجرد قول أو ادعاء**، بل **تصديق بالقلب، وعمل صالح، وثبات في المواقف**، والله يعلم من صدق في ولائه لله ورسوله.

الرسالة الاستراتيجية:

أن **الولاء الصادق لا يُدّعى، بل يُثبت بالأفعال والسلوكيات**. والمؤمن الحق **لا يمنّ بإيمانه**

على الآخرين، بل يدرك أن الهداية والمنّة كلها من الله، فلا فخر إلا بالالتزام والتقوى، وهذا ما يحفظ تماسك المجتمع الإيماني ويعزز قوته.

خلاصة تفسير سورة الحجرات

- **الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم:** أصل كل هداية، والالتزام بالقيادة النبوية شرط ضبط الصفوف.
- **التثبت من الأخبار:** حماية المجتمع من الإشاعة والفتن الداخلية.
- **الإصلاح عند الخلاف:** فوق كل انحياز، لضمان العدالة ووحدة الصف.
- **الأخلاق الاجتماعية:** احترام الآخرين، والابتعاد عن السخرية والغيبة، ضرورة لاستمرار الوحدة.
- **الهوية الحقيقية:** إيمانية قائمة على التقوى والعمل، لا على النسب أو القبيلة.
- **الإيمان العملي:** صدق في القول والعمل، لا مجرد شعارات أو ادعاء.

الربط مع ما قبلها

- **الفتح:** تمكين خارجي، بيعة صادقة، قوة عسكرية وسياسية للمؤمنين، إعلان انتصار المشروع النبوي.
- **الحجرات:** ضبط داخلي، أخلاقي، جماعي، تنظيم العلاقات والسلوك، تعزيز الوحدة والهوية الإيمانية.

المقارنة الجوهرية:

الفتح يرمز إلى **فتح الأرض**، بينما الحجرات ترمز إلى **فتح القلوب**، فتمكين المؤمنين يبدأ من الداخل قبل الخارج، ويكتمل بالالتزام الأخلاقي والاجتماعي.

للتأمل الذاتي

- هل ألتزم **بأدب الخطاب مع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم**، وأراعي المقامات الشرعية في كلامي وتصرفي؟

- هل أُسهم في **تماسك جماعتي وأمتّي**، أم أكون سببًا في التفرقة والفتن؟
- هل أبتعد عن **السخرية، والغيبة، والظن السيئ**، للحفاظ على وحدة المجتمع الإيماني؟
- هل أميز بين الناس **بالإيمان والعمل الصالح والتقوى**، لا بالحسب أو النسب أو المكانة الاجتماعية؟
- هل **أصدق في إيماني** وأُبرزه بالعمل والصدق والثبات، أم أرفعه مجرد شعار بلا أثر؟

خاتمة:

سورة الحجرات تضع **لبنات المجتمع الإسلامي النموذجي**، فتبدأ من **أدب الخطاب مع القيادة النبوية**، وتستمر في **ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية**، وتنتهي بتثبيت **الهوية الإيمانية الجماعية.**

الرسالة العملية للأمة بعد الفتح:

لن تحافظوا على هذا النصر إلا إذا **بنيتم أنفسكم على هذه الأخلاق، والتزام الأدب، والصدق، والتقوى، والعدل**، فتصبحوا صفًا واحدًا متماسكًا، كما جاء:

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾. فاجعلوها **أخوّة حقيقية**، لا مجرد شعار يُنسى عند أول خلاف أو فتنة.

سورة ق

الاسم والدلالة: سُميت "سورة ق"[1] باسم الحرف المقطّع في أولها: قٓ. هذا الحرف الصوتي القوي جاء في **مفتتح السورة ليهزّ الوجدان** ويجذب الانتباه[2]، كأنه **جرس إنذار للقلوب**

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة ق تسمية لها بما افتتحت به من أحرف الهجاء، كقوله تعالى: {ص}، {ن}، {الم}، {حم}، {طس} قال الشعبي: ق: فاتحة السورة". وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج26ص275.

[2] قال ابن رجب:" وأول المفصل سورة {ق} وروي ذلك في حديث مرفوع. وقيل: أوله [سورة] القتال. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت

الغافلة. الاسم يوحي بمقام عالٍ من **التذكير الوجداني بيوم الحساب**، ورقابة الله الدائمة للخلق.

المقصد العام للسورة:

السورة تفتح **دورة جديدة من التذكير بيوم القيامة**، وتؤكد أن الغفلة عدو داخلي خطير. وتوضح أن:

- **الإنسان مراقب بدقة**، ولا يفلت من حساب الله.
- **البعث والجزاء** حتميان، والجنة والنار هما النتيجة الحتمية لطريقين متباينين.
- التذكير هنا **وجداني قبل أن يكون عقليًا**، يهز القلب ليدرك ضعفه وضرورة الالتزام بالحق.

البنية الموضوعية للسورة:

1. **تعجب الكافرين من البعث (1–5):**
ردّ المكذبين بالبعث بعد الموت، واستغرابهم من رجوعهم من التراب، مع التذكير بأن **الله قادر على كل شيء.**
2. **علم الله المحيط (6–11):**
تبيان شمول علم الله لكل ما في السماء والأرض، وأنه **يعلم خفايا القلوب** والأفعال قبل وقوعها.
3. **مصير الإنسان (12–15):**
بيان هلاك المكذبين بالبعث، والتأكيد أن **الجزاء قادم لا محالة.**
4. **قرب الساعة (16–29):**
التذكير برقابة الله الدائمة، وجود القرين، وقوة الكلمة، وأن **الجزاء محسوب لكل إنسان** بدقة.

المرسي، محمد، بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م،ج7ص74.

5. **مشـــــــــــــــــــهد القيامـــــــــــــــــــة (30–35):**

وصف جهنم وهي تقول: "هل من مزيد؟"، مقابل جزاء المتقين في الجنة، لتبيين **الفرق بين الطريقين.**

6. **تـــــــــــــــــــذكير وتبليـــــــــــــــــــغ (36–45):**

تحذير المكذبين، وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة، مع **تأكيد حتمية العاقبة لكل متمرد على الحق.**

(1–5): عجب الكافرين من البعث

﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ كيف نبعث من جديد؟

الله يجيبهم بأن **قدرته على الخلق الأولى تضمن القدرة على الإعادة**، وأنه يعلم كل نقص الأرض منهم: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

المنكرون للبعث **يتجاهلون قدرة الله المطلقة**، وإنكارهم **لا يُغير الحقيقة** ولا يُلغي وعد القيامة.

(6–11): الله يعلم... وخلق... ويُعيد

- السماء: بُنيت وزينت لا خلل فيها ولا فطور.
- الأرض: مهدت وأنبتت، لتكون﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ۝٨﴾
- الكون كله **دليل على قدرة الخالق وإحكامه.**

الرسالة الاستراتيجية:

الكون كتاب مفتوح **يكشف قدرة الله المطلقة** ويدعو للتفكر.

ومن تأمل هذا الخلق **لا يعسر عليه تصديق البعث والحساب.**

(12–15): هلاك المكذبين... وصدق الوعد

- ذكر أمثلة المكذبين: قوم نوح، أصحاب الرس، وثمود، وكيف **أخذهم الله بعقابه.**
- تساؤل الكافرين: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٥﴾﴾؟

والجواب: قدرة الله **على الإعادة مضمونة ومحققة للوعود.**

الرسالة الاستراتيجية:

من **لا يتعظ بمصير السابقين**، يسلك طريقهم في الهلاك.

والمكذبون **لا يُعجزون الله مهما بلغ كيدهم** أو تعنتهم.

(16–29): المشهد الأقوى في السورة: رقابة الله ولحظة الحساب

- خلق الإنسان وعلم الله بما **توسوس به نفسه.**
- الملكان يكتبان كل فعل وقول.
- بداية القيامة بسكرة الموت التي تأتي **بالحق.**
- كشف الغطاء عن الغافل: "لقد كنت في غفلة فكشفنا عنك غطاءك".

الرسالة الاستراتيجية:

لا لحظة أعظم من **انكشاف الغفلة وبدء الحساب.**

القرآن **يضع القارئ أمام هذه الحقيقة ببلاغة هازّة**، دون مهرب أو غفلة.

(30–35): الحساب... والنهاية الحاسمة

- جهنم تسأل: ﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾﴾"هل من مزيد؟" في إشارة إلى **شدّة العقاب لمن استكبر وكذب.**
- الجنة أُعدت للمتقين: **من خشي الرحمن بالغيب، وجاء بقلب منيب.**
- قيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾، **ذلك يوم الخلود الأبدي.**

الرسالة الاستراتيجية:

الحياة **ليست عبثًا**، والخاتمة تحدد **المصير الأبدي**: إما مزيد من العذاب، أو **سلام أبدي في جنات الخلود.**

(36–45): التحذير الأخير... والأمر بالتبليغ

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦﴾

لقصص عبرة لمن يخاف وعيد الله.الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم بالتذكير: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الداعية **لا يملك القلوب**، لكنه يملك **التبليغ الصاد**، والقرآن **هو أعظم وسيلة للتذكير**، لمن بقي في قلبه حياة وإدراك.

خلاصة السورة:

البعث: حقيقة لا مهرب منها، والإنكار لا يغيرها.

علم الله: محيط بكل شيء، حتى وساوس النفس وخفايا القلوب.

الرقابة: دقيقة ومستمرة، كل كلمة وكل فعل مسجل عند الملكين.

المصير: إمّا خلود في الجنة للمتقين، أو عذاب في النار للمكذبين.

التبليغ: واجب النبي صلى الله عليه وسلم والدعاة، والقرآن أداة التذكير لمن بقي في قلبه حياة.

الربط مع ما قبلها:

السورة السابقة، **الحجرات**، ركزت على **بناء الجماعة المؤمنة وضبطها داخليًا وأخلاقيًا.**

سورة **ق** تأتي لتفتح دورة جديدة من التذكير، وتركز على **الفرد ومسؤوليته أمام الله ويوم الحساب.**

خاتمة:

سورة **ق** تزلزل الغفلة من جذورها، وتضع كل إنسان أمام حقيقة الموت ووعي المصير النهائي. تكشف السورة ما خبّأه القلب من سرائر وأعمال، وتضعه أمام رقابة الله الدقيقة التي لا تُخفى. في نهاية المشهد، تظل الرسالة واضحة وصارخة: التذكير بالقرآن واجب لكل من يحمل قلبًا حيًا يخاف وعيد الله، فالتغيير يبدأ من الوعي الداخلي والانصياع لله قبل كل شيء.

سورة الذاريات

الاسم والدلالة: سُمِّيت السورة بـ **الذاريات**[1] افتتاحًا بالقسم الإلهي: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾، وهي الرياح التي تذرو التراب وتفرّقه في الآفاق.

ويحمل الاسم دلالة عميقة على الحركة المنظمة في الكون، وعلى الفعل غير المرئي الذي يُحدث آثارًا عظيمة، في إحالةٍ بليغة إلى أن هذا الوجود المتحرك ليس فوضى عمياء، بل يجري وفق سنن محكمة وتقدير سابق، وأن الذي دبّر حركة الرياح قادر على إعادة الخلق وبعثه بعد موته. فالاسم منذ مطلعه يمهّد نفس المتلقي لتلقي قضايا الغيب الكبرى، وعلى رأسها صدق الوعد ويقين الآخرة.

المقصد العام للسورة:

ترتكز سورة الذاريات على تقرير حقيقة البعث والجزاء تقريرًا يقينيًا، من خلال ربط مشاهد القدرة الإلهية في الكون بسنن الله الجارية في التاريخ والإنسان. وتواجه السورة إنكار المكذبين

[1] قال الهرري:" سمّيت بالذاريات؛ لذكر الذاريات فيها." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج27ص497.

بالحجة الكونية والتجربة التاريخية، فتستعرض مصائر الأمم التي كذّبت، وتفتح في المقابل أفق الرجاء للمحسنين المتقين.

كما تؤسس السورة لمعنى الغاية من الخلق، ببيان أن وجود الإنسان والجن إنما هو لتحقيق العبودية لله، وتربط بين الغفلة عن هذه الغاية وبين الهلاك والحرمان، وبين الوعي بها وبين الطمأنينة والجزاء الكريم. وبذلك تأتي السورة خطابًا جامعًا بين الإنذار والبشارة، وبين البرهان الكوني والتوجيه الإيماني، في بناء متكامل يوقظ القلب ويهدي العقل إلى سواء السبيل.

البنية الموضوعية لسورة الذاريات:

المحور الأول: القسم الإلهي وتقرير يقين البعث

الآيات: 1–6

افتتاح السورة بسلسلة من الأقسام الكونية بالرياح وما تحمله من حركة وتدبير، لتقرير حقيقة كبرى هي صدق الوعد الإلهي، وأن الجزاء آتٍ لا محالة، في ردٍّ حاسم على من يشكك في البعث والحساب.

المحور الثاني: إنذار المكذبين وفضح اضطرابهم العقدي

الآيات: 7–23

تشخيص حالة القلب المكذب المتناقض، المنغمس في الغفلة واللهو، مع تصوير المصير المحتوم الذي ينتظر من أعرض عن الحق، وبيان دلائل القدرة في النفس والآفاق التي تقطع العذر عن المنكرين.

المحور الثالث: سنن الله في الأمم المكذِّبة

الآيات: 24–46

عرض نماذج تاريخية لأمم واجهت الحق بالتكذيب، كقوم إبراهيم، وعاد، وثمود، وقوم نوح، لإبراز سنة الله في إهلاك الجاحدين، وربط الحاضر بالماضي في منطق التحذير والاعتبار.

المحور الرابع: مآل المتقين وجزاء الإحسان

الآيات: 15–23

مشاهد الجنة ونعيمها، وأوصاف أهل التقوى في الدنيا قبل الآخرة، من إحسان، وإنفاق، واستغفار بالأسحار، وقد جاء هذا المحور متقدمًا في التلاوة لكنه مفصلي في البناء، ليقيم التوازن بين الإنذار والبشارة.

المحور الخامس: الغاية الوجودية والتحذير من الغفلة

الآيات: 47–60

تقرير الغاية الكبرى من خلق الإنسان والجن وهي العبودية لله، مع تأكيد غنى الله المطلق عن خلقه، والتحذير الشديد من الإعراض والغفلة، وختم السورة بتهديد المكذبين بانتظار يومهم الموعود.

(1–6): القسم العظيم بوعد يوم الدين

تفتتح السورة بسلسلة أقسام كونية متتابعة، تتدرج من الظاهر المشهود إلى الغيب المدبَّر:
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣﴾﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤﴾.
وهي صور لحركة الكون في أدق تفاصيله؛ رياح تذرو، وسحب تحمل، ومياه تجري، وقوى تنفذ الأوامر بدقة وانتظام[1].

---

[1] قال ابن حجر:" وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي التَّفْسِيرِ عَنِ ابْنِ أَبِي حُسَيْنٍ سَمِعْتُ أَبَا الطُّفَيْلِ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ الْكَوَّاءِ يَسْأَلُ عَلِيَّ بن أبي طَالب عَن الذاريات ذَروا قَالَ هِيَ الرِّيَاح وَعَن ٢ الذاريات {فَالْحَامِلَات وقرا} قَالَ السَّحَاب وَعَن ٣ الذاريات {فَالْجَارِيَات يسرا} قَالَ السفن وَعَن ٤ الذاريات {فَالْمُقَسِّمَات أمرا} قَالَ الْمَلائِكَةُ سَمِعْنَاهُ فِي الْمُخْتَارَةِ وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرك من حَدِيث بَسَّامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ وَقَالَ صَحِيحُ الإِسْنَادِ" أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي [ت ١٤٤١ هـ]، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥،ج4ص318–319.

ثم يأتي جواب القسم قاطعًا لا يحتمل ترددًا ولا تأويلاً:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾

فكما أن هذا الكون لا يتحرك عبثًا، ولا تجري قواه مصادفة، فإن وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت، ونظام الحساب آتٍ لا محالة.

الرسالة الاستراتيجية:

انتظام الكون شهادة كبرى على يقين يوم الحساب.

فالذي أحكم حركة الرياح، وضبط مسار الغيوم، ويسّر جريان الماء، وفوّض الملائكة بتقسيم الأمر، هو ذاته الذي أحكم نظام الجزاء. وكما لا يختل نظام الكون، لا يختل وعد الله، ولا مهرب من يوم الدين.

(7–23): الإنكار المستهتر... والنهاية الصادمة

ينتقل الخطاب من تقرير اليقين إلى تشريح موقف المنكرين، فيُفتتح هذا المقطع بلغة حاسمة تقطع كل تلطيف:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾، أي لُعن المكذبون الذين يقولون بغير علم، ويخوضون في أعظم الحقائق بالظن والسخرية.، قال النسفي:" {قُتِلَ} لعن وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن {الخراصون} الكذابون"[1].

يظهـــــــــر إنكـــــــــارهم فـــــــــي صـــــــــورة اســـــــــتهزاء متكـــــــــرر: يسألون عن يوم الدين سؤال تحدٍّ لا سؤال بحث، ويصفون الوحي بأنه سحر مستمر، لا لأن الدليل غائب، بل لأن القلب معاند، والعقل أسير الهوى والغفلة. إنهم في غمرةٍ ساهون، يعيشون انفصامًا بين وضوح الآيات وعمى البصيرة.

---

[1] أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي ، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**،مرجع سابق، ج3ص372.

ثم يفاجئ السياق القارئ بقطع المسار فجأة إلى مآل الفريق الآخر، في تقرير قاطع لا يقبل المســـاومة:

المتقون في جنات ونعيم، تُذكَر صفاتهم العملية من إيمان وإنفاق ويقين، في مقابل المكذبين الذين ينتظرهم الجحيم جزاء استهزائهم وإنكارهم.

الرسالة الاستراتيجية:

الناس في ميزان القرآن فريقان لا ثالث لهما:

قلب خاشع يتلقى الحق ويتهيأ للقاء الله، وقلب خراص مستهزئ يُغلق على نفسه أبواب الهداية فيلقى جزاءه.

فالقرآن لا يساوم في المصير، ولا يموّه الحقائق؛ بل يفصل بين الطريقين بوضوح يوقظ الغافل ويقيم الحجة على المعاند.

(24–46): مصارع المكذبين عبر التاريخ

يعرض هذا المقطع سجلًّا تاريخيًا مكثفًا، لا بوصفه سردًا قصصيًا، بل بوصفه سننًا متكررة. يبدأ بمشهد ضيافة **إبراهيم** عليه السلام والملائكة، حيث يقابل البشارة والإنذار معًا: بشرى للمتقين، ونذير بالعذاب لقوم لوط. وفي هذا الافتتاح تهيئة نفسية للانتقال من الفرد الصالح إلى الجماعات الهالكة.

ثم تتوالى النماذج دون إطالة: عاد بقوتها، وثمود بتمكينها، وفرعون بجبروته، وقوم نوح بطول أمد دعوتهم، وقوم لوط بانحرافهم؛ أمم مختلفة في الأزمنة والطبائع، لكنها اجتمعت على داء واحد: تكذيب الرسول والإعراض عن الحق. فجاءها العذاب على صور شتى: **صيحة**، و**صاعقة**، و**ريح**، و**خسف**... وكلها تنفيذ لحكم واحد لا يتبدل.

السياق لا يعلّق ولا يشرح مطولًا؛ فالمصائر تتكلم عن نفسها، وتكرار النهايات مع اختلاف الأقوام يؤكد أن القضية ليست قوة ولا حضارة، بل موقف من الوحي.

الرسالة الاستراتيجية:

التاريخ في منطق القرآن ليس حكاية للتسلية، بل مرآة للمصير.

كل أمة كذبت رسولها بلغها يوم الفصل بطريقته، وانتهت إلى الهلاك مهما اختلفت الأسباب الظاهرة. والسؤال الذي يفرضه النص بقوة: وأنت اليوم... في أي موضع تقف من هذه السنّة الجارية؟

(15–23): صفات المتقين... وعاقبتهم

يأتي هذا المقطع في قلب السورة كواحة نور بين مشاهد الوعيد، فيفتح أفق الرجاء ويقدّم النموذج المقابل للإنكار والجحود. فالمتقون في جنات وعيون، ينالون عطاء ربهم عن رضا واستحقاق، وقد سبق ذلك توصيف دقيق لحياتهم في الدنيا قبل جزائهم في الآخرة.

إنهم محسنون في علاقتهم بالله والناس، لا يكتفون بالحد الأدنى من الطاعة، بل يرقون إلى مقام الإحسان. يحيون ليلهم يقظة وخشوعًا، فلا يستغرقهم النوم عن مناجاة ربهم، ويختمون أسحارهم بالاستغفار، اعترافًا بالتقصير رغم الطاعة. ثم يمتد إيمانهم إلى المجتمع، فيجعلون في أموالهم حقًا معلومًا للسائل والمحروم، لا منّة فيه ولا تفضّل.

وتكتمل صورتهم بالوعي العميق؛ فهم أهل نظر وتدبر، يرون آيات الله في أنفسهم وفي الأرض، فيتحول الكون عندهم إلى كتاب مفتوح يزيدهم يقينًا وخشية.

الرسالة الاستراتيجية:
العبادة الحقة في منطق القرآن ليست طقوسًا معزولة، بل حياة متكاملة قوامها الإحسان، والرحمة، والبذل، والوعي.
والمتقي الحقيقي ليس فردًا منسحبًا من الواقع، بل مشروع إنساني متوازن، يزكّي نفسه، ويعمر محيطه، ويشهد على الحق بسلوكه قبل قوله.

(47–60): خلقناكم للعبادة... لا للغفلة

تُختِم السورة خطابها بالعودة إلى الأصل الأكبر الذي تتفرع عنه كل القضايا السابقة: الخلق والغاية. فالله الذي بنى السماء بقوة، وبسط الأرض بحكمة، وخلق الجن والإنس بتقدير، لم

يفعل ذلك عبثًا ولا لهوًا، وإنما وفق مقصد واحد جامع لا يقبل الالتباس: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾.

ثم يقطع النص كل تصور فاسد عن طبيعة هذه العبودية، فينفي أن يكون الله محتاجًا إلى خلقه أو منتفعًا بطاعتهم؛ فهو الرزّاق ذو القوة المتين، لا يطلب رزقًا، ولا ينتظر طعامًا، ولا تزيده طاعة الطائعين، ولا تنقصه معصية العاصين، فالعبادة هنا ليست لسدّ نقص، بل لتحقيق كمال الإنسان نفسه.

ويأتي التحذير الختامي شديدًا، موجَّهًا لمن أعرض عن هذه الغاية، ليذكّره أن سنن الهلاك التي مرّت في السورة ليست تاريخًا منتهيًا، بل قانونًا مفتوحًا لمن سار في طريق الغفلة والتكذيب.

الرسالة الاستراتيجية:

الحياة في ميزان القرآن ليست ساحة لهو، بل ميدان امتحان:

هل يختار الإنسان أن يكون عبدًا لله، أم أسيرًا لهواه ورغباته؟

فالعبودية لله ليست قيدًا، بل هي أرقى صور التحرر؛ تحرر من الخوف، والطمع، والارتهان لكل ما سوى الله.

خلاصة تفسير سورة الذاريات

تتجلى سورة الذاريات في منظومة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية، تبدأ بالقسم الكوني الذي يمهد لتأكيد حتمي ليقين البعث والجزاء، فيذكرنا بأن حركة الرياح وسريان الماء وتنفيذ الملائكة لكل أمر دقيق يشهد على أن وعد الله لا مفر منه، وأن يوم الحساب واقع لا محالة.

ثم تنتقل السورة إلى المكذبين، موضحة ماضٍ مشهود لهم بالأمم الهالكة، حيث تكذيب الرسل أدى إلى مصائر محتمة، لتكون عبرة لمن يظن أن الإنكار ينجو به من حساب الله.

على النقيض، تصور السورة حال المتقين الذين يجمعون بين الأخلاق الحسنة والعطاء والقيام بالليل والاستغفار في الأسحار، ويستثمرون أموالهم فيما فيه حق معلوم للمحتاجين، بحيث تكون عبادتهم حياة كاملة متكاملة، ليست مجرد صلوات وأعمال ظاهرية، بل أسلوب وجودي قائم على التقوى والإحسان.

وتختتم السورة بتأكيد الغاية الكبرى من الخلق، وهي عبادة الله خالصة لا يشرك فيها أحدًا، حياةً وعبادةً ووعياً، لتذكّر الإنسان أن العبودية لله هي قمة الحرية، والتحرر من عبودية الأهواء والشهوات، وأن هذه الغاية هي المقياس لكل سلوك وبقاء أو فناء.

الربط مع السورة السابقة

يمكن فهم سورة **الذاريات** بشكل أعمق عند ربطها بما قبلها، وهي سورة **ق**، التي ركزت على الإنذار الوجداني بالموت ويوم الحساب. فـ **ق** جاءت لتوقظ القلب وتحرك النفس، وتضع الإنسان أمام لحظة فاصلة، لحظة لا مهرب بعدها من الحق والجزاء.

أما **الذاريات**، فتستكمل هذه الرؤية من خلال بناء قرآني متكامل يربط اليقين بالغيب بالبراهين الكونية والتاريخية. فهي تؤكد يوم الدين بآيات في الكون، وفي حركة الرياح والماء، وفي السحاب والملائكة، كما تؤكد مصائر الفريقين: المكذبين الذين يشهد التاريخ على هلاكهم، والمتقين الذين تتجلى أعمالهم وأخلاقهم كنموذج حي للعبادة الحقّة. وعليه، إذا كانت سورة **ق** تحدد اللحظة الفاصلة بين الغفلة والحق، فإن **الذاريات** تبني البنية الكونية والأخلاقية التي تؤكد حتمية هذه اللحظة، فتربط بين الإدراك القلبي للآخرة وبين وقائع الكون وسنن التاريخ، لتصبح الرسالة القرآنية أكثر تكاملاً وعمقًا.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة **الذاريات** إلى وقفة صادقة مع النفس، ونظرة نقدية صافية إلى حياتنا وأعمالنا، بعيدًا عن التبريرات والهوى:

- هل أعبد الله حقًا كما أراد، أم كما أريد أنا؟ هل عبادتي خالصة لله، أم مجرد طقوس تتوافق مع أهوائي؟
- هل في مالي حق معلوم لمن يستحق، أم أحتفظ به للترف والشهوات؟ هل أحسن في الإنفاق كما أمرني الله، أم أغفل عن حقوق الآخرين؟
- هل أنظر إلى الكون بنظرة المتأمل في آيات الله، أم بعين الغافل التي تغفل عن الحكمة والقدرة؟
- هل أشبه المتقين في صفاتهم من خشوع وإحسان واستغفار، أم أشبه المكذبين في تهرّبهم وغفلتهم عن الحق؟

هذه التأملات ليست مجرد أسئلة نظرية، بل مقياس عملي لحياة الإنسان، لمعرفة موقعه بين صفوف المتقين الذين ينالون رضا الله، والمكذبين الذين يواجهون مصيرًا محتومًا.

خاتمة

تأخذنا سورة **الذاريات** في رحلة متكاملة بين أبعاد مختلفة: من حركة الرياح في الكون، إلى حركة الأمم في التاريخ، وصولًا إلى حركة القلب البشري بين الإيمان والإنكار. وفي هذه الرحلة تدعونا السورة إلى العودة إلى أصل الخلق والغاية الأسمى منه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ ، فكل عمل وكل لحظة حياة يُقاس بمقياس العبودية لله والخضوع لحكمه.

وفي الوقت نفسه، توجه تحذيرًا صارمًا لمن أعرض عن الحق أو كفر به، فتختم بنداء الانذار:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾. لتجمع بذلك بين البشارة للمتقين، والإنذار للمكذبين، في رسالة متكاملة تهز القلب وتوقظ الفكر، وتربط بين الكون، والتاريخ، والنفس البشرية.

سورة الطور

الاسم والدلالة: سُميت السورة بـ **الطور** نسبة إلى قوله تعالى:﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾ وهو الجبل الذي كلّم الله عليه **موسى**[1] عليه السلام، موطن الوحي والميثاق، فهذا الاسم يحمل دلالات عميقة على عظمة الموقف، ورهبة الوحي، ووقار الرسالة، إذ يمهّد لما سيأتي من أقسام إلهية، وتحذيرات، وبشائر، ويؤكد أن ما سيذكر لاحقًا ليس مجرد خطاب عادي، بل حقائق كونية وأخروية متعالية على عواطف البشر.

المقصد العام للسورة:

تقوم السورة على عدة محاور متكاملة:

1. **تقرير حتمية العذاب للمكذبين:** تصوير مشاهد القيامة وأهوال العذاب لمن جحد الحق، لتكون رادعًا لمن يستكبر عن الطاعة.
2. **تأكيد صدق وعد الله للمؤمنين:** إبراز النعيم الخالد والمكافأة الثابتة للمتقين.
3. **التذكير بالقيامة وجزاء الأعمال:** ربط أحداث الآخرة بمحاسبة الإنسان في الدنيا، وإظهار عدالة الله المحكمة.
4. **تثبيت النبي ﷺ وتخليصه من كيد المعاندين:** إظهار نصرة الله لرسله، وصدق رسالته، وفشل محاولات المكذبين والمعارضين.
5. **بيان وظيفة الرسالة الربانية:** توجيه البشرية نحو عبادة الله وحده، وإرشادها إلى الحق، وتذكيرها بمصيرها المحتوم.

---

[1] قال الهرري:" سمّيت سورة الطور لذكر الطور – الذي هو جبل طور سيناء – فيها أقسم الله به تشريفًا وتكريمًا وتذكيرًا بما فيه من الآيات. وهو أحد جبال الجنّة، قاله السدّي." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج28ص42–43.

تجمع السورة بين رهبة الوعيد، ونغمة التبشير، وبين البعد الكوني والوجداني، لتؤسس خطابًا قرآنيًا متكاملًا يوقظ القلب، ويوقظ العقل، ويثبت اليقين بالحق والبعث.

البنية الموضوعية لسورة الطور

المحور الأول: القسم بآيات الوحي

الآيات: 1–8

الموضوع الرئيسي: افتتاح السورة بأقسام إلهية بالطور والكتاب والميثاق، لتأكيد وعيد صريح للمكذبين، وإظهار أن التحذير قائم على حجج واضحة وثابتة، لا مجرد إنذار لفظي.

المحور الثاني: مشهد العذاب

الآيات: 9–16

الموضوع الرئيسي: تصوير يوم القيامة وأهواله: تمور السماء، وتُسحب النفوس في النار، فيعرض الله جزاء الظالمين والمكذبين بطريقة تصيب القلب بالرهبة، وتبرز عدالته المحكمة.

المحور الثالث: مشهد النعيم

الآيات: 17–28

الموضوع الرئيسي: عرض جزاء المتقين، حيث يعيشون في جنات عالية، متقابلين ومستريحين، مطمئنين، ينالون ثواب أعمالهم، وتتجلى آثار الطاعة والإحسان في صور حياتية كاملة، تؤكد النعيم الدائم والثواب العادل.

المحور الرابع: تثبيت الرسول ﷺ

الآيات: 29–43

الموضوع الرئيسي: الرد على تهم المشركين والذين شككوا في الرسالة، وإبراز نصرة الله

لنبيه، وإظهار صدق دعوته، مع بيان أن مؤامراتهم ستبوء بالفشل، وتأكيد أن الوحي والرسالة أقوى من أي تكذيب.

المحور الخامس: تسلية النبي وتكذيبهم

الآيات: 44–49

الموضوع الرئيسي: دعوة للنبي ﷺ للصبر على معاناة الدعوة، مع تأكيد أن المكذبين سيهلكون مهما استعجلوا، وأن المهم هو الثبات على الرسالة، مع رؤية القضاء الإلهي يتحقق في وقته المحدد.

(1–8): القسم الجليل... والعذاب واقع

تفتتح السورة بأقسام إلهية متتابعة، تُظهر عظمة الخلق والقدرة الإلهية، فتأتي الآيات:
﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾، يشمل القسم بجبل الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، والسماء المرفوعة، والبحر المسجور، لتشكل خمس صور من مظاهر القدرة الإلهية التي لا يختلف عليها عاقل.

ويأتي الجواب القاطع بعد هذه الأقسام: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾، ليؤكد أن العذاب ليس مجرد احتمال، بل وعد واقعي سيتحقق لا محالة، وأن المكذبين مستحقون لهذا الجزاء بسبب غفلتهم وتحديهم للحق.

الرسالة الاستراتيجية:
القسم بخمسة مظاهر من عظمة الخلق والوحي لا يُبرز قدرة الله فحسب، بل يوضح خطورة تكذيب الرسالة، ويثبت أن العذاب الوشيك واقع وحتمي، ليكون تحذيرًا قاطعًا لكل مكذب أو معاند.

(9–16): تصوير رهيب ليوم القيامة وعذاب الجحيم

تنتقل السورة هنا من القسم والتحذير إلى مشهد حي ليوم القيامة، حيث تمور السماء اضطرابًا شديدًا، وتتكشف عظمة الله وقدرته على محاسبة البشر:
يُسحب المكذبون إلى النار قسرًا، ويُعرض عليهم عذابهم، كأنهم يُذوقون نتيجة فتنتهم وغفلتهم في الدنيا. في المقابل، يُذكر المتقون في جنات، لتبرز المقارنة بين مصير الفريقين بشكل حي ووجداني.

الرسالة الاستراتيجية:

المكذبون سيُجرّون إلى جهنم عنوة، بعد استكبارهم وتمادِهم في المعاصي والدعوة إلى الباطل، بينما العدل الإلهي لا يُهمل أحدًا، ويُنفذ جزاء كل نفس بحسب عملها، مما يعكس دقة المحاسبة الإلهية وحتمية الجزاء.

(17–28): مشهد النعيم ومجتمع المتقين

يصور هذا المقطع جزاء المتقين في صور حياتية متكاملة، حيث يعيشون في جنات ونعيم، متكئين آمنين مطمئنين، لا يمسهم فيها نصب ولا تعب. تتجسد حياتهم في لقاءات مع أزواجهم وذرياتهم، في مشهد يبرز الاستقرار والطمأنينة والعلاقات الأسرية المتكاملة في الآخرة.

ويعبرون عن امتنانهم لله، قائلين:
﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ ...﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

المتقون هم أهل النجاة ليس لأنهم بلا ذنوب، بل لأنهم كانوا مشفقين، يخشون الله، ويجاهدون أنفسهم في الطاعة والصلاح.
النعيم لا يُنال بمجرد التمني، بل بالعمل والخوف من الله، ويشمل كل جوانب الحياة، حتى الأسر تُجمع شملها، في صورة قرآنية فريدة للبناء الاجتماعي والأخلاقي في الآخرة.

(29–43): الرد على تهم المشركين... وتثبيت النبي ﷺ

يتناول هذا المقطع افتراءات المشركين على النبي ﷺ، حيث اتهموه بالجنون، أو الشعر، أو الكهانة، محاولين تشويه رسالته وصد الناس عنه. ويأتي الرد الإلهي قاطعًا وحاسمًا: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ٣٠﴾، ويأمر الله النبي ﷺ بالرد بثبات: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ٣١ ...﴾"، مع طرح أسئلة وجودية منطقية: من خلقهم؟ من بيده الأمر؟ من يملك السمع؟ لتظهر الحقيقة جلية، فإما أن يُذعنوا أو يُكذبوا أنفسهم.

الرسالة الاستراتيجية:

الافتراء على الدعوة هو سلاح العاجزين، لكنه لا يغير الحقائق ولا يثني الرسالة.

الرد العقلي الحازم، المدعوم بالحجة والمنطق، هو أداة مركزية لتثبيت النبي ﷺ والدفاع عن دعوته، وبيان صدقه أمام معارضيه.

(44–49): دعهم ومكرهم... واصبر

تختم السورة بتوجيه نبوي واضح للنبي ﷺ: دع المكذبين والمنافقين يواصلون مكرهم حتى يلقوا جزاءهم يوم القيامة، يوم الصاعقة والعقوبة المحتومة:

﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥﴾"، ويؤكد الله للنبي ﷺ الصبر والثبات: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

المصلح الحق لا يُستفز بكيد المفسدين، ولا ينجر وراء استفزازاتهم، بل يثبت على الحق، وصبره ليس علامة ضعف، بل هو تحت رعاية الله وحمايته، واليقين بأن العدالة الإلهية ستتحقق في وقتها المحدد.

خلاصة تفسير سورة الطور

تقدّم سورة **الطور** منظومة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية:

- **الوحي:** هو الحق المطلق الذي يُبنى عليه كل أمر في الحياة والدين، ويستند إليه التشريع والرسالة.
- **المكذبون:** مصيرهم معلوم مسبقًا، وعذابهم واقع لا محالة، نتيجة كفرهم واستكبارهم في الدنيا.
- **المتقون:** يعيشون في أمان نفسي وجزاء دائم، ويجمعهم النعيم مع أسرهم في صورة أخلاقية وأسرية فريدة، تعكس الجزاء العادل لمن اجتهدوا في الطاعة.
- **الدعوة:** كثيرًا ما تواجه بالتكذيب والافتراء، ولكن يُجابَه ذلك بالصبر، والحجة العقلية، والثبات على الحق، دون الانجرار وراء مكائد المكذبين.
- **النبي ﷺ:** محفوظ برعاية الله، مرعي من كل مكروه، ومؤمر بالصبر والمواصلة في تبليغ الرسالة، مؤكدًا أن الثبات على الحق هو أعلى درجات العزة والنجاح.

تجمع السورة بين رهبة الوعيد، وبشارة النعيم، وحقيقة الرسالة، لتكون درسًا عمليًا في الإيمان والعمل واليقين، مع تبيين أساليب الصبر والثبات في مواجهة التكذيب والمعارضة.

الربط مع السورة السابقة

إذا كانت سورة **الذاريات** ركّزت على بيان حتمية البعث من خلال سنن الله الكونية والتاريخية، مستعرضة حركة الكون وأحداث الأمم الماضية كمبررات للجزاء، فإن سورة **الطور** تأتي لتكمل هذا البناء القرآني المتكامل من زاوية أخرى:

تركّز **الطور** على حتمية العذاب والنعيم في الآخرة، مع تصوير مشاهد القيامة، وعرض جزاء المكذبين والمتقين، والرد العقلاني والمنطقي على منكري الرسالة، وتثبيت النبي ﷺ في مواجهة الافتراءات.

باختصار:

- **الذاريات:** تبرز دلائل كونية وتاريخية تثبت اليقين بالبعث والجزاء.
- **الطور:** بيان أخروي ووجداني، مدعوم برد عقلاني، يوضّح مصير الفريقين ويثبّت الدعوة.

بهذا الترتيب، يُصبح البناء القرآني أكثر تكاملاً، حيث يربط اليقين العقلي بالرهبة الوجدانية، والتاريخ بالآخرة، والكون بالرسالة.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة **الطور** إلى وقفة صادقة مع النفس، ومراجعة علاقتنا بالحق، والعمل، والجزاء:

- هل أعتبر بالقرآن وأصدق بالبعث، أم أترك نفسي للشكوك والهوى؟
- هل أسعى أن أكون من "**المتقين الآمنين**"، الذين يجمعون بين الخشية والعمل والطمأنينة في حياتهم؟
- هل أتعظ بمواقف الأنبياء وثباتهم، أم أغفل عن دروس الصبر والمقاومة في مواجهة المكذبين؟
- هل أوفّر لنفسي ولأهلي بيئة إشفاق ورجاء، حياةً مبنية على الخوف من الله، والأمل في رحمته؟

- هل أنا من الذين﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦﴾، أي يعيشون بالتقوى والرحمة والتوازن بين الحق والواجب؟

هذه التأملات تشكل مقياسًا عمليًا لموقفنا من الرسالة، وتوضح أي فريق نحن فيه: فريق الخشية والعمل أو فريق الغفلة والتكذيب.

خاتمة

تأتي سورة **الطور** لتؤكد ثوابت الرسالة الربانية: فهي تحطم أوهام المعاندين، وتُرسّخ في قلب المؤمن اليقين بيوم الجزاء وبصدق النبي ﷺ.

كما تحمي الداعية من التأثر بمكر المفسدين، وتثبّته على طريق الرسالة بالعلم والصبر، موضحة أن الصبر ليس ضعفًا، بل هو تحت رعاية الله ومراقبته: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ٢٩﴾. وتمنح المتقين صورة متكاملة عن النعيم، ليس مجرد رفاهية فردية، بل حياة أسريّة ومجتمعية في الآخرة، تكافئ من اجتهدوا في الطاعة والخشية والرحمة، مؤكدة أن النبي ﷺ نبي صادق، وأن الله يحيط به بعين رعايته وحفظه.

سورة النجم

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ **النجم**[1] لافتتاحها بالآية ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١﴾.

النجم الذي يهوي قد يُفسّر كنجم السماء إذا سقط أو كالكواكب إذا أفلت أو كناية عن الوحي الذي ينزل متتابعًا

دلالة الاسم مرتبطة بالوحي الإلهي فكما يسير النجم في نظام دقيق يسير الوحي بأمر الله وكل انحراف عن الوحي هوى.

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت النجم؛ لمفتتحها." **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، مرجع سابق،ج1 ص443.

المقصد العام للسورة

تقرير أن القرآن وحي من عند الله لا هوى فيه، تأكيد صدق النبي ﷺ في تلقيه دحض أباطيل المشركين حول الأوثان، تذكير بمصير الأمم السابقة، تأكيد مسؤولية الإنسان الفردية، إظهار أن النجاة باتباع الوحي لا باتباع الهوى.

البنية الموضوعية لسورة النجم:

المحور الأول: القسم بوحي السماء

الآيات: 1–18**الموضوع الرئيسي:**
تأكيد أن النبي ﷺ لم يضل ولم يغو، وأن ما يبلغه وحي من عند الله، مع أقسام وإشارات إلى عظمة الوحي وصدقه.

المحور الثاني: دحض أباطيل المشركين

الآيات: 19–30**الموضوع الرئيسي:**
الإنكار على عبادة الأوثان كاللات والعزى، وبيان بطلان الغرور بالأصنام والآلهة المزيفة، ورفع الحجة على المشركين.

المحور الثالث: التحذير من الغرور بالأنساب

الآيات: 31–41
الموضوع الرئيسي: كل نفس رهينة بما كسبت من الأعمال، ولا ينفع الغرور بالأنساب أو المكانة الاجتماعية، فالجزاء مرتبط بالطاعة والعمل الحق.

المحور الرابع: بيان مصير المكذبين

الآيات: 42–56

الموضوع الرئيسي: عرض عواقب الأمم السابقة التي كذبت رسلها، وتحذير من مصير مشابه للمكذبين، لتكون عبرة للناس.

المحور الخامس: أمر بالسجود والخضوع

الآيات: 57–62

الموضوع الرئيسي: دعوة الإنسان لعبادة الله وحده، والانصياع لأمره بالسجود والخضوع، خاتمة السورة بدعوة عملية للتقوى والطاعة.

(1–18): الوحي الحق... لا هوى فيه

تفتتح السورة بقسم إلهي يؤكد صدق النبي ﷺ وموثوقية الوحي:

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ..﴾.

يوضح هذا القسم أن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنما يتلقى الوحي الذي يُوحى إليه، بل ويشهد له المشهد العظيم برؤية جبريل على صورته عند سدرة[1] المنتهى.

الرسالة الاستراتيجية:

ثقة المؤمن بوحي الله هي الأساس الراسخ لكل فكر وسلوك، والنبي ﷺ صادق فيما يبلغه، وما جاء به ليس رأيًا شخصيًا، بل أمر رباني مُلزم.

(19–30): تفنيد عبادة الأوثان... والهوى

---

[1] قال الطبري:" حدَّثنا ابنُ حُميدٍ، قال: ثنا مِهرانُ، عن أبي جعفرٍ، عن الربيعِ: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾. قال: السِّدرةُ شجرةٌ يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطَعُها ، وإن ورقةً منها غَشِيت الأمةَ كلَّها." أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق،ج22ص39.

تنتقل السورة هنا لتفنيد عبادة المشركين للأوثان مثل **اللات والعزى ومناة**، وتبيّن أن هذه الأصنام ليست إلا أسماء أطلقت عليهم، وأن أتباعها يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، بلا دليل أو وحي.

الرسالة الاستراتيجية:

الهوى هو أصل الانحراف عن التوحيد، وكل دين لا يستند إلى وحي الله هو صناعة بشرية محكومة بالأهواء والميول الشخصية، ولا يمكن أن يكون طريقًا للحق أو النجاة.

(31–41): لا يُجزى أحد عن أحد

تؤكد السورة هنا مبدأ المسؤولية الفردية:

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ..﴿٣٩﴾﴾. كل إنسان مسؤول عن نفسه، ولا ينفعه نسبه، أو مكانته، أو حسبه في الدنيا أمام حساب الله.

الرسالة الاستراتيجية:

الفردية في الجزاء تمنع التعلق الزائف بالأنساب والمشايخ والقبائل، وتوضح أن النجاة مرتبطة بالسعي والعمل الصادق، وليس بالانتماء أو الادعاء الاجتماعي أو السياسي.

(42–56): مصارع المكذبين... وصيحة التنبيه

تستعرض السورة هنا عواقب الأمم السابقة، موضحة قدرة الله المطلقة على الحياة والموت والغنى والفقر، وكيف أُهلكت أقوام نوح وعاد وثمود والمؤتفكة بسبب كفرهم وعنادهم: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الأمم التي سبقتنا هلكت حين أعرضت عن الوحي واتبعت الهوى، والقرآن يُنبهنا ويوقظنا من الغرور قبل فوات الأوان، ليكون درسًا مستمرًا لكل إنسان في تذكر الجزاء وضرورة الالتزام بالحق.

(57–62): فاسجدوا لله واعبدوا

تختم السورة بالدعوة العملية لعبادة الله وحده، بعد إشارات إلى اقتراب الساعة وانشقاق القمر، لتذكير الناس بعظمة الآيات:﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

السجود لله وحده هو المخرج من عبودية الهوى والأصنام البشرية، وطريق النجاة الحقيقي. من لم يسجد لله اليوم ويخضع لأمره، سيسجد له غدًا عند الحساب، لكن حينها لا ينفعه السجود، فالعمل اليومي والعبودية الطوعية هما الضمان الحقيقي للنجاة.

خلاصة تفسير سورة النجم

تقدّم سورة **النجم** مجموعة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية التي توجه الإنسان نحو الحق والعمل الصالح:

- **النبوة:** النبي ﷺ صادق لا ينطق عن الهوى، وكل ما يبلغه هو وحي من عند الله.
- **العقيدة:** الوحي هو الأصل والحق المطلق، أما اتباع الهوى فهو سبب الضلال والانحراف.
- **المسؤولية:** كل فرد يُجازى بأعماله الشخصية، فلا ينفعه نسبه أو مكانته الاجتماعية.
- **التاريخ:** الأمم السابقة التي أعرضت عن الحق هلكت، والدرس واضح لكل جيل.
- **العمل:** السجود لله وحده هو خلاصة الدين، وطريق النجاة من عبودية الهوى والأصنام، والعبادة الصادقة هي التي تحقق الخلاص في الدنيا والآخرة.

الربط مع السورة السابقة

إذا كانت سورة **الطور** ركّزت على تثبيت النبي ﷺ والرد على افتراءات الكافرين، مؤكدة حتمية العذاب والجزاء، فإن سورة **النجم** تأتي لتكمل البناء القرآني من الداخل، من خلال

تبرئة النبي ﷺ من أي تأثير هوى أو غلو شخصي، وتأكيد أن دعوته وحي من عند الله، لا رأي شخصي.

باختصار:

- **الطور** : ثبات الرسالة أمام التكذيب الخارجي والمواجهة مع المشركين.
- **النجم** : تأكيد نقاء الرسالة من الداخل، وضمان أن كل ما يبلغه النبي ﷺ هو وحي الله، خالص من أي تحريف أو هوى.

بهذا، يكتمل البناء القرآني بين الثبات على الحق ورد الطعن الخارجي، وبين نقاء الرسالة من الداخل وصدق النبوة.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة **النجم** إلى وقفة صادقة مع أنفسنا وعلاقتنا بالحق والعمل:

- هل أعامل الوحي كأنه هوى، أم أقدّره حق قدره وأعطيه المكانة التي يستحق؟
- هل أُقدّس كلام النبي ﷺ وأعمل به في حياتي اليومية، أم أغفل عن تطبيقه؟
- هل أعتمد على نسب أو شيخ أو جماعة، أم أتحمل مسؤولية عملي أمام الله بنفسي؟
- هل قلبي متصل بالسجود والخضوع لله، أم تائه في ضحك وسهو واتباع الهوى؟

هذه التأملات تقيس مدى صدق الالتزام بالرسالة الإلهية، وتكشف موقعنا بين الحق والهوى، بين التعلق بالوحي والغرور بالمظاهر البشرية.

خاتمة

تأتي سورة **النجم** كهزة يقظة في قلب الغافل، توقظه من أمانٍ كاذبة وتعيد الأمور إلى معيارها الحقيقي: الوحي والعمل الصادق وتختم السورة بأقصر أمر، وأعظم عبادة، موجّهًا لكل إنسان:﴿فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

ليكون السجود والخضوع لله وحده خلاصة الدين، وطريق النجاة من ضلال الهوى والأصنام البشرية، ومقياس صدق الفرد وإيمانه.

سورة القمر

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ **القمر** [1] لافتتاحها بالآية ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ القمر هنا آية من آيات الله، وانشقاقه كان معجزة عظيمة لتأييد النبي ﷺ دلالة الاسم مرتبطة بالتحذير من اقتراب يوم القيامة، وإظهار صدق النبي ﷺ، مع أن أكثر الناس معرضون عن الاعتبار.

المقصد العام للسورة

تقدّم السورة تحذيرًا شديدًا من الإعراض عن آيات الله و تعرض حوادث الهلاك المتكررة في الأمم السابقة نتيجة تكذيب الرسل وتشير إلى سنة الله في المكذبين وتكرار العاقبة لهم وتكرر آية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾) ؟ لتكون دعوة للتعلم والاعتبار، وتحذيرًا عمليًا للناس من تكرار خطايا السابقين.

البنية الموضوعية لسورة القمر

المحور الأول: إنذار الساعة ومعجزة الانشقاق

الآيات: 1–8

الموضوع الرئيسي: الساعة اقتربت، وانشق القمر معجزة لتأييد النبي ﷺ، تحذير للناس من الإعراض عن الحق.

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة القمر، لافتتاحها بالخبر عن انشقاق القمر، معجزة لنبينا صلى الله عليه وسلم." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج27ص142.

المحور الثاني: نماذج هلاك المكذبين

الآيات: 9–42

الموضوع الرئيسي: استعراض مصائر الأمم السابقة المكذبة للرسل: نوح، عاد، ثمود، لوط، فرعون، لتكون عبرة لكل من يغفل عن آيات الله.

المحور الثالث: تكرار آية التذكير

الآيات: متكررة

الموضوع الرئيسي: ﴿فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ﴾، دعوة متواصلة للناس للتفكر والاعتبار، وللاستفادة من ذكر الله وعبر التاريخ.

المحور الرابع: ختام حاسم بالوعيد

الآيات: 43–55

الموضوع الرئيسي: توضيح مصير المجرمين في الضلال، والمتقين في جنات النعيم، خاتمة تربوية وعقابية تحث على الالتزام بالحق والعمل الصالح.

(1–8): اقتراب الساعة ومعجزة الإنذار

تبدأ السورة بإنذار صريح بقدوم الساعة وذكر المعجزة الكبرى بانشقاق القمر: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾. لكن الكفار تجاهلوا الحجة وادّعوا أن الأمر سحر مستمر، وأعرضوا عن الحق واتبعوا أهواءهم.

الرسالة الاستراتيجية:

حين تقع المعجزة وتُكذَّب، تكون الحجة قد تَمت، والساعة تقترب، لكن القلوب النائمة في لهوها لا تعي هذا الواقع، مما يبرز خطورة الغفلة عن آيات الله.

(9–42): خمس نماذج تاريخية لهلاك المكذبين

تستعرض السورة مصائر الأمم السابقة التي كذبت رسلها:

قوم نوح: كذبوا النبي ﷺ وقالوا عنه مجنونًا، فدعا ربه: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠﴾، ففتح الله عليهم أبواب السماء بماء منهمر، وعم الطوفان الشامل.

عاد: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٨﴾. أرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا في يوم نحس مستمر أهلكتهم بسبب عنادهم وكفرهم.

ثمود: قالوا: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾)، فأخذتهم الصيحة وهم ينظرون، عاقبة كفرهم واضحة.

قوم لوط: أنزل الله عليهم حجارة من سجيل، وجعل عاليها سافلها، عقوبة للهالكين على فسادهم.

قوم فرعون: أتاهم النذر، وكذبوا فأتوا بالعذاب: أخذهم الله أخذًا عزيزًا مقتدرًا.

<u>الرسالة الاستراتيجية:</u>

التكذيب المتكرر يؤدي إلى الهلاك الحتمي، وسنة الله في الأمم لا تتبدل، ومن سار على دربهم لحق بمصيرهم، فالتاريخ مرآة للعبرة والاعتبار.

آية مركزية متكررة

تتكرر في السورة الآية: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٤٠﴾). تكررت أربع مرات بعد كل قصة كبرى للأمم السابقة، لتؤكد:

الرسالة الاستراتيجية:

القرآن ليس معجزة تعجيزية، بل دعوة للفهم، والاعتبار، والعمل الصالح.
فمن لم يتذكر ويعتبر مع وضوح القرآن، فبماذا سيتذكر حين يحل به الحساب؟

الرسالة الاستراتيجية

القرآن واضح وميسر للذّكر والتدبر، ومن لم يتذكر مع وضوحه، فبماذا سيتذكر؟

(43–55): ختام شديد الوعيد ووعد عظيم للمتقين

تختتم السورة بتوضيح مصير الفريقين:

- المجرمون في ضلال وسُعُر، يُسحبون على وجوههم ويذوقون مسّ سقر.
- المتقون في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الرسالة الاستراتيجية

الناس صنفان: مجرم في سعير أو متقٍ في نعيم، والنجاة لا تتحقق بالتمني أو الأماني، بل بالمدّكر الذي يسلك سبيل القرآن ويعمل بمقتضاه.

خلاصة تفسير سورة القمر

تقدّم سورة **القمر** مجموعة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية التي توجّه الإنسان نحو اليقظة والعمل الصالح:

- **الساعة:** اقتربت، ويجب على كل إنسان الاستعداد للقاء الله.
- **المعجزة:** انشقاق القمر وآيات الله لم يغيّر قلوب المعرضين عن الحق.
- **التاريخ:** دروس متكررة من هلاك الأمم المكذبة للرسل، لتكون عبرة لكل جيل.
- **القرآن:** ميسّر للذكر والتدبر، فالسؤال: أين المتدبر والملتزم؟
- **المصير:** الناس صنفان: مجرمون في سعير، ومتقون في نعيم، والنجاة مرتبطة بالعمل الصادق والاتعاظ بالقرآن.

الربط مع ما قبلها

- السورة السابقة النجم ركّزت على صدق الوحي وتحذير الإنسان من اتباع الهوى، وأكدت نقاء الرسالة الإلهية وأن النبي ﷺ صادق فيما يبلغه من عند الله
- سورة القمر تأتي لتكمل البناء القرآني بالإنذار من عواقب التكذيب، وعرض نماذج واقعية لهلاك الأمم المكذبة للرسل

سورة النجم تمثل تحذيرًا فكريًا وعقائديًا، أما سورة القمر فتمثل تحذيرًا واقعيًا وتاريخيًا عمليًا يربط بين الفكر والعمل والنتيجة المترتبة على التكذيب والإعراض عن الحق

للتأمل الذاتي:

تدعونا سورة **القمر** إلى وقفة صادقة مع أنفسنا وعلاقتنا بالحق:

هل قلبي حاضر حين أسمع "اقتربت الساعة" وأعي خطورة الوقت؟
هل أعتبر بمصائر المكذبين وأستفيد من عبر التاريخ؟
هل أجد نفسي ضمن المدّكرين الذين يتفكرون ويعملون بما أمر الله؟
هل أعمل لأكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر لا في سعير الضلال؟

هذه الأسئلة تضع الإنسان أمام مسؤولياته الفردية وتحثه على اليقظة والعمل الصالح قبل فوات الأوان.

خاتمة

تكرّر سورة **القمر** التحذير بأسلوب متراكم لا يترك مجالًا للغفلة، فكل قصة من قصص الأمم السابقة هي إنذار عملي، وكل عبارة "فهل من مدّكر؟" دعوة شخصية لكل واحد منا للتفكر والعمل.

السورة تذكّر أن التوبة لا تؤجل، فالساعة اقتربت، والقرآن ميسّر للذكر، فهل من مدّكر؟

سورة الرحمن

الاسم والدلالة: سميت السورة **الرحمن** لافتتاحها باسم الله الأعظم في الرحمة: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢﴾ اسم الرحمن جامع لكل صفات الرحمة[1]، شامل لكل الخلق، ومخصوص بالمؤمنين.

افتتاح السورة بهذا الاسم يشير إلى أن كل ما سيأتي من آلاء، وهبات، وعدل، وعقوبة، إنما هو من الرحمن، فلا يجتمع جمال وعدل إلا تحت هذا الاسم.

المقصد العام للسورة:

تقدّم السورة تذكيرًا شاملًا بآلاء الله في الخلق والشرع والجزاء، بأسلوب تقريري مؤثر، مع تكرار آية﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ ، لتأكيد وجوب الاعتراف بالنعم، والتحذير من إنكارها، وإظهار عدل الله في الجزاء ومصير الفريقين في الآخرة.

البنية الموضوعية لسورة الرحمن:

- **المحور الأول: تعليم القرآن وخلق الإنسان (1–13)**
  تبدأ السورة بذكر تعليم القرآن وخلق الإنسان، وبداية عرض آلاء الله وتكريم المخلوقات.

---

[1] قال الخطيب:" «الرَّحْمنُ» هو الله سبحانه وتعالى، المتجلّى بتلك الصفة من صفاته الكريمة، وهى الرحمة، التي هى اللطف الساري فى هذا الوجود، والنور الهادي لكل موجود..وقد سميت السورة سورة «الرحمن» .. فهى بهذا محلّى من مجالى رحمة الله، وكل آية من آياتها رحمة راحمة، ونعمة سابغة، حتى تلك الآيات التي تحمل العذاب إلى الكافرين والضالين.. فإنهم– مع هذا العذاب الذي هم فيه– واقعون تحت رحمة الله، ولولا هذه الرحمة لتضاعف لهم هذا العذاب أضعافا كثيرة، لا تنتهى.." عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، **التفسير القرآني للقرآن** ،الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة،ج14ص656-657.

- **المحور الثاني: الكون المتناغم (14–25)**

تستعرض السورة النظام الكوني المتوازن، من الشمس والقمر إلى البحار والنباتات، لتبيّن رحمة الله وحكمته في الخلق.

- **المحور الثالث: من كل زوج بهيج (26–30)**

تسلط السورة الضوء على التنوع في الخلق، الموت والبقاء، سؤال الإنسان عن مصيره، واستغناء الله عن خلقه في رحمته وعدله.

- **المحور الرابع: وعيد المجرمين (31–45)**

تصف السورة الجحيم وعقوبة المجرمين، وتحذّر من الإعراض عن أوامر الله، وتبرز عدله في الجزاء.

- **المحور الخامس: جزاء المتقين – الجنتان (46–78)**

تختتم السورة بالوصف التفصيلي للنعيم، والجزاء العظيم للمتقين، مظهرة التوازن بين الرحمة والعدل الإلهي. **الآية المتكررة**

آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣﴾ تتكرر واحدا وثلاثين مرة في السورة، تفصل بين مشاهد النعمة والعقوبة، وتُذكّر القارئ بمسؤولية الاعتراف بفضل الله، والحياء من الجحود، وتزرع الشعور بالامتنان والخضوع.

- **(1–13): الرحمن علم القرآن وخلق الإنسان**

تبدأ السورة بذكر الرحمن وتعليمه القرآن وخلق الإنسان وتعليمه البيان، ثم سرد مظاهر الكون من الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والثمر والريح.

الرسالة الاستراتيجية

القرآن سبق الإنسان، والعلم سبق الخلق. خلق الله الإنسان لم يكن عبثًا، بل علمه البيان والوحي ليكون واعيًا بمسؤوليته ومقدرًا لنعم الرحمن.

- **(14–25): الكون المتوازن والنعمة ممتدة**

تتحدث السورة عن خلق الإنسان من طين والجن من نار، وذكر رب المشرقين ورب المغربين، ومرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ، لتبيان عظمة الخلق ونظام الكون.

الرسالة الاستراتيجية

كل عناصر الكون تعكس الربوبية والرحمة الإلهية، فلا فوضى في الوجود، بل نظام محكم ومنسجم يذكّر الإنسان بعناية الله وعظمته.

- **(26–30): فناء المخلوقات وبقاء وجه الله**

تذكر السورة أن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، وأن من في السماوات والأرض يسأله كل يوم في شأنه.

الرسالة الاستراتيجية

كل ما سواه فانٍ وزائل، وبقاء وجه الله هو الثابت الوحيد. من لا يتوجه إليه الآن سيتوجه إليه لاحقًا بعد فوات الأوان، فاجعل وجه الله هدفك ومرجعك منذ اللحظة.

- **(31–45): تهديد المجرمين وتفاصيل العذاب**

تصف السورة كيف يُحذر المجرمون من العقوبة، وتخاطب الجن والإنس قائلة إن استطعتم أن تنفذوا فانفذوا، وتبيّن أن المجرمين يُعرفون بسيماهم فيؤخذون بالنواصي والأقدام.

الرسالة الاستراتيجية

العدالة الإلهية لا تفلت أحدًا مهما راوغ أو تكبّر. القوة والثراء والجاه لا ترد عذاب الله، وكل من أعرض عن أوامره سيلاقى الجزاء الحتمي.

- **(46–78): جزاء المتقين وجنتان**

تذكر السورة أن من خاف مقام ربه ينال جنتين، فيهما من كل فاكهة زوجان، متكئين على فرش بطائنها من إستبرق، كما أُشير إلى جنتين لمن هم دون في الدرجة لكنهم في نعيم أيضًا.

الرسالة الاستراتيجية

التقوى درجات والنعيم مراتب، ومن خاف مقام ربه ينال جزاءً يفوق توقعه، و لا تضيع نيتك ولا خشيّتك عند الرحمن، فكل تقوى وعمل صالح محفوظ ومجازي عليه بالنعيم العظيم.

خلاصة تفسير سورة الرحمن

الخلق : مبني على الرحمة والبيان، كل مخلوق له غاية وإحاطة رحمانية.

الكون : متناغم ومنسجم، لا فوضى فيه، يعكس حكمة الله في نظام الخلق.

القرآن: أول النعمة على الإنسان وأصل العلم الذي يربطه بخالقه ويهديه إلى الطريق القويم.

الجزاء : عدل مطلق للمجرمين، ونعيم دائم بلا حد للمتقين، بحسب تقواهم وخشيتهم لله.

المتلقي : مدعو للشكر والاعتراف بالنعمة، لا للغفلة أو الجحود، فالوعي بالآلاء واجب على كل إنسان.

الربط مع ما قبلها:

السورة السابقة القمر تناولت وعيد المكذبين وتكرار التحذير التاريخي من هلاك الأمم السابقة، بينما سورة الرحمن تعرض عرضًا شاملًا لآلاء الله وتفصيلًا لنعيم المتقين وعقوبة المجرمين.

القمر يمثل التذكير بالعذاب وسقوط المكذبين، أما الرحمن فيجسد التوازن بين النعمة والعدالة الإلهية، ويبرز أثر التقوى والخشية في الجزاء والنجاة.

للتأمل الذاتي

كم من آلاء الله أقرّ بها قلبي ولساني؟

هل تعلمت من القرآن حق تعليمه، أم اكتفيت بما تعلمت من غيره؟

هل أخشى مقام ربي حق الخشية؟ وهل أرجو جزاءه ونعيمه؟

ما موقفي إن وقفت أمام رب العدل وسألني عن آياته ونعمائه؟

خاتمة

سورة الرحمن ليست مجرد وصف للنعيم والعذاب، بل هي جرس يقظة، ودعوة للشكر، وعرض لجمال الخالق وعدله وكرمه.

كل آية فيها تذكرك بألا تكذب بآلاء الله، فهي سبيل الحياة وآية المحاسبة، فتعيش بالتقدير والشكر، وتستعد للجزاء.﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾

سورة الواقعة

الاسم والدلالة: سُميت السورة "**الواقعة**" [1]لاستهلالها بها: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١﴾. والاسم يشير إلى **يوم القيامة**، حتميته، ولا رجعة فيه، حيث يُفصل فيه بين الحق والباطل وبين المصير الأبدي للبشر.

دلالة الاسم:

- وقوع الحدث العظيم الحتمي.
- تبيان فصل الناس على أساس أعمالهم ومصيرهم.

المقصد العام للسورة:

[1] قال القاسمي:" سميت بها لأنها مملوءة بوقائع القيامة، التي هي الواقعة العظمى، لوقوعها في أشد الأحوال- قاله المهايمي-.وهي مكية. وآيها ست وتسعون. وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! قد شبت! قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات، وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كورت- رواه الترمذي" محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، **محاسن التأويل**، مرجع سابق،ج9ص118.

تسعى السورة إلى إثبات وقوع يوم القيامة بوصف تفصيلي دقيق، حيث تصوّر الأحداث الكبرى التي تقع في هذا اليوم، وتُصنّف الناس بحسب أعمالهم إلى ثلاث مراتب: السابقون في الخيرات وأهل اليمين، وأهل الشمال ممن حملوا السيئات، ما يجعل المصير الأبدي لكل فئة واضحًا لا لبس فيه. كما تعرض السورة دلائل قدرة الله في الخلق، وتؤكد أن القرآن كلام الله الحق، منزلٌ من عنده، لا خيال فيه ولا شعر، مع توجيه إنذار صارم للمكذبين وتحذير من العاقبة السيئة لمن غفل عن الحق ولم يلتزم به.

البنية الموضوعية لسورة الواقعة:

(1–10): لا ريب في وقوع الواقعة

تبدأ السورة بتأكيد وقوع **الواقعة**، فلا ريب في حدوثها ولا كذب فيها. تصف الآيات هذا اليوم بأنه **خافضة ورافعة**، إذ تهوي بالمكذبين وترفع المؤمنين، وتزلزل الأرض وتبسط الجبال حتى تصير هباءً منبثًّا، مشهد يوضح عظمة الحدث وروعته.

الرسالة الاستراتيجية

القيامة ليست احتمالًا أو فكرة نظرية، بل هي يقين محتوم، ستقلب الموازين في حياة البشر، وترفع أو تخفض بحسب الإيمان والعمل، لتظهر عدالة الله وحكمته في جزاء كل إنسان بما قدمت يداه.

(11–56): ثلاثة أصناف... ثلاثة مصائر

تقسم السورة الناس في هذه الآيات إلى ثلاثة أصناف، لكلٍ منهم مصير محدد بحسب أعماله وإيمانه. فهناك **السابقون**، وهم القلة من الأوائل وبعض الآخرين، الذين حازوا القرب من الله، وفي نعيم رفيع، مستقرّين على سرر موضونة، يتناولون فاكهةً وخمرًا، ويرافقهم الحور العين. أما **أصحاب اليمين**، وهم كثير من الأولين وكثير من الآخرين، فيمتعون بأنعام الله في ظلال وارفة، وماء عذب، وفواكه متنوعة، وأزواج مطهرة، حياةً تفيض سكينةً وراحةً. في المقابل،

أصحاب الشمال يلقون مصيرًا شديدًا في سموم وحميم، ظل بارد لا يرحم، إذ كانوا مترفين في دنياهم، يكذبون البعث، ويستهينون بالآخرة قائلين: أإذا متنا؟

الرسالة الاستراتيجية

ليست الجنة رتبة واحدة، ولا النار سواء، بل تختلف الدرجات بحسب الأعمال والإخلاص. فالسبق إلى الله وتحقيق القرب منه لا يتحقق إلا بالمجاهدة، والعطاء، والإخلاص في القول والعمل، ما يجعل لكل إنسان نصيبه العادل من الجزاء الأبدي.

(57–74): دلائل البعث في مشاهد الخلق

تقدم السورة في هذه الآيات دلائل واضحة على قدرة الله المطلقة، من خلال مشاهد الخلق التي يراها الإنسان يوميًا. تتساءل الآيات: أفرأيتم ما تمنون؟ أفرأيتم ما تحرثون؟ أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ وأفرأيتم النار التي تورون؟ كلها مظاهر لقدرته العظيمة وإبداعه في الكون، تنقل الإنسان من التفكير في المظاهر إلى إدراك الحقائق الكبرى وراء الخلق، وتؤكد أن الله القادر على خلق النطفة، والزرع، والماء، والنار، قادر على البعث بعد الموت بلا شك.

الرسالة الاستراتيجية

من يغفل عن هذه الدلالات ويستهين بها لا عذر له، فمشاهدة هذه الآيات من القدرة الإلهية يجب أن تكون دافعًا للتفكر، والإيمان بالبعث، والعمل الصالح، وإدراك أن قدرة الله على الخلق والبعث واحدة لا تنفصل.

(75–82): القسم بالنجوم... إنه لقرآن كريم

تبدأ السورة في هذه الآيات بالقسم بمواقع النجوم، ليس لغرض التعظيم للنجوم نفسها، بل لتأكيد **عظمة القرآن الكريم** ومكانته الرفيعة. فالقرآن موجود في **كتاب مكنون**، محفوظ ومكرم، لا يمسه إلا المطهرون من قلوبهم وجوارحهم، وهو تنزيل من **رب العالمين**، مصدر الهداية والحق المطلق. هذا القسم يوجّه الانتباه إلى حرمة القرآن ورفعة شأنه، ويذكّر بأن الله قد جعل هذا الكتاب معجزة ثابتة لا تقاس بالخيال أو الشعر، بل بالحقائق الثابتة والمعاني المبدعة.

الرسالة الاستراتيجية

القرآن محفوظ، منزّل، مكرّم، ولا يُنال إلا بتطهير القلب والجوارح. ومن زهد فيه أو أعرض عن تدبره فقد أغفل أعظم الحقائق وأهم مفاتيح الهداية، ضيع الرسالة الكبرى التي تهدي الإنسان إلى السبيل القويم.

(83–96): موعظة حاسمة عند سكرات الموت

تختم السورة بموعظة حاسمة، تتناول لحظة الموت وسكراته، وتضع الإنسان أمام الحقيقة الكبرى التي لا مهرب منها. تساءل الآيات:﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ؟، لتؤكد أن الموت هو اللحظة التي تتساقط فيها كل الأوهام، ويظهر فيها مصير كل إنسان بلا ستار أو مواربة. فالمقربون يجدون الراحة والرضوان، وأهل اليمين ينعمون بالسلام والأمان، بينما المكذبون الضالون يلقون الجحيم وغسلين العذاب، ما يجعل لحظة الاحتضار مفترق طرق حقيقي يحدد مقعد الإنسان الأبدي.

الرسالة الاستراتيجية

الساعة تبدأ عند موتك، فاستعد لها بكل عمل صالح وإيمان. فالاحتضار هو أول مفترق طرق في مصير الإنسان، وما تختاره اليوم في حياتك هو الذي يحدد موقعك الأبدي، فاختر لنفسك مقعدك قبل فوات الأوان، وتوجه نحو الحق والعمل الصالح قبل أن يحل يوم الحساب.

خلاصة تفسير سورة الواقعة

تؤكد السورة في محورها الأول على **البعث**، موضحة أنه حق مؤكد لا جدال فيه، لا يمكن إنكاره، وهو قاعدة أساسية لفهم كل أحداث الآخرة. وتعرض السورة تصنيف **الناس** إلى ثلاث مراتب بحسب أعمالهم وإيمانهم، وهم السابقون المقربون، وأصحاب اليمين الذين ينالون السلام والأمان، وأصحاب الشمال الذين يلقون العذاب، ما يوضح عدالة الجزاء وتفاوت المصير. كما تقدم **دلائل الخلق** لتكون حجة قائمة على قدرة الله المطلقة، من خلق الإنسان

والزراعة والماء والنار، دليلاً على أنه قادر على البعث والحساب. وتبرز السورة **القرآن** كتنزيل محفوظ ومكرّم، لا يُنال إلا بالطهارة الخالصة للقلب والجوارح، مع التأكيد على أنه كلام الله الحق. وأخيرًا، تُذكر السورة **الموت** كأول يوم من أيام القيامة لكل إنسان، لحظة مفصلية يبرز فيها مصير كل واحد، وتكون بمثابة نقطة الانطلاق نحو الحساب والجزاء الأبدي.

الربط مع ما قبلها

تتواصل السورة **الواقعة** مع ما قبلها في **سورة الرحمن** ضمن البناء القرآني المتكامل، حيث يقدم كل منهما منظومة متكاملة لفهم الرحمة والعدل الإلهي والمصير الإنساني. فسورة "الرحمن" توازن بين الرحمة والعدل، ويعرض النعم والآلاء المتكررة بأسلوب جمالي متقن، موضحًا النعيم والعذاب بصورة شاملة وجاذبة للقلب والعقل. أما سورة "الواقعة"، فتأتي لتفصيل المصير الأبدي بحسب العمل، وتصنيف الناس إلى مراتب محددة، لتقدم رؤية منهجية دقيقة لحقيقة البعث والجزاء، بما يربط بين جمال العرض في "الرحمن" والتحليل العملي والتصنيفي في "الواقعة"، فتصبح الرؤية القرآنية متكاملة بين الجمال والتنظيم، بين الوعد والوعيد، وبين الرحمة والعدل في آن واحد.

للتأمل الذاتي

تدعو السورة كل قارئ للتوقف أمام نفسه والتفكر في موقفه من الحق: من أي الفريقين أنا؟ هل أنا من **السابقين** المقربين، أم من **أصحاب اليمين** الذين ينالون السلام والأمان، أم – والعياذ بالله – من **أصحاب الشمال** الذين يلقون العذاب؟ هل أرى **آيات الله** في الزرع والماء والنار، أم أعتبرها مجرد مظاهر عادية لا تدل على قدرة خالقي؟ وهل ينعكس القرآن الكريم في قلبي وفي عملي، أم اكتفيت بسماعه دون أن يغيّر حياتي؟ والأهم من ذلك، هل أنا مستعد ليوم **سكّرات الموت** الذي لا مفر منه، مستعد لملاقاة الله وما يحمل من حساب وجزاء؟ هذه التأملات تجعل القارئ أمام مسؤولية مباشرة، وتحثه على المراجعة والعمل قبل فوات الأوان.

خاتمة

تمثل **سورة الواقعة** قمة الوضوح والقطع، فهي سورة بلا مجاز ولا تورية، تكشف الحقائق الكبرى للآخرة والمصير الأبدي بجلاء تام. إنها الحقّ الصريح، فإما أن يُصدّق الإنسان ويعمل، فينال رضوان الله ونعيمه، أو يُكذّب فيُسحب عن طريق الحق ويواجه العذاب. وتختم السورة بأمر جازم يذكر الإنسان بعظمة ربه ووجوب التسبيح له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾، خاتمة تحثّ على التقدير والخضوع لله، وتنقل القارئ من التأمل في المصير إلى العمل الطوعي الصادق في سبيل الله.

سورة الحديد

الاسم والدلالة: سُميت السورة "**الحديد**"[1] لورود قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾. حيث يمثل الحديد رمزًا للقوة المادية، ولإقامة التوازن بين **الرحمة والعدل**، بين السلم والقوة، وبين الحجة والسيف.ففي هذه السورة يظهر كيف يمكن للموارد والقوة أن تكون أداة لتحقيق **عدل الشريعة**، مع دمج مفاهيم التسبيح والإيمان والبذل والجهاد، وبيان دور المادة في خدمة المصلحة العامة والحق الإلهي.

المقصد العام للسورة

تسعى السورة إلى بيان **عظمة الله في ملكوته**، وحث الناس على الإيمان الحقّ والعمل الصالح، مع التشديد على التسابق في الإنفاق في سبيل الله. كما توضح حكمة إرسال الرسل وإنزال الكتاب والحديد لإقامة العدل، وتفضح المنافقين الذين خلطوا بين الإيمان والمصلحة

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الحديد، للإشارة في الآية (٢٥) منها إلى منافع الحديد، واعتماد مظاهر المدنية والعمران والحضارة عليه، سواء في السلم والحرب" وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق،ج27ص287.

الشخصية، مذكّرة بحقيقة الدنيا وزيف زخرفها، لتربط بين الروح والمادة، بين الوحي والواقع، وبين الإيمان والعمل، فتقدم رؤية متكاملة للتوازن بين الحياة الدنيوية والهدف الأخروي.

البنية الموضوعية لسورة الحديد

تبدأ السورة بمحور **تسبيح الله وعظمته** في الآيات من 1 إلى 6، موضحة أن الله له **ملك السماوات والأرض**، وأن قدرته وعظمته تشمل كل شيء في الكون. ثم تنتقل إلى محور **الدعوة للإيمان والإنفاق** في الآيات من 7 إلى 11، حيث تُحث الأمة على السعي في عمل الخير والتصدق، والتسابق في **قرض الله الحسن**، وهو الإنفاق في سبيله بصدق وإخلاص.

بعد ذلك تميز السورة بين **المؤمنين والمنافقين** في الآيات من 12 إلى 19، موضحة أثر الإيمان على حياة الإنسان، حيث يظهر نور المؤمنين ويهديهم على الطريق المستقيم، في حين يضل المنافقون عن السبيل الحق.

وتتوجه السورة في الآيات من 20 إلى 24 إلى **حقيقة الدنيا والزهد فيها**، موضحة أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة فانية، وأن الزهد فيها والتوجه للآخرة هو الطريق الأمثل. ثم تأتي الآية 25 لتوضح محور **الكتاب والحديد لإقامة العدل**، حيث بعث الله الرسل وأنزل الميزان والحديد كأدوات لتحقيق العدل وإرساء حكمته في الأرض. وتختم السورة في الآيات من 26 إلى 29 بمحور **فضل الذين آمنوا قبل الفتح**، موضحة درجاتهم واصطفاءهم ونورهم، لتكون خاتمة تعكس قيمة الإيمان والعمل الصالح وأثرهما في نيل رضا الله ورضوانه الأبدي.

(1–6): تسبيح شامل... وربوبية مطلقة

تفتتح السورة بتسبيح شامل لله تعالى، موضحة أن كل ما في السماوات والأرض يسبح له، فهو **الذي له الملك**، يحيي ويميت، وقادر على كل شيء، هو **الأول والآخر، الظاهر والباطن**، ويحيط بكل شيء علمًا وعملًا. هذه الآيات تضع الإنسان أمام حقيقة الربوبية المطلقة لله، وتجعل إدراك عظمته أساسًا للفهم السليم للكون والحياة.

الرسالة الاستراتيجية

كل شيء في الكون خاضع لله، فكن أنت أول المسبّحين بإيمانك وعملك. ومن عرف عظمة الله وعلمه الواسع وسعه في كل شيء، صار البذل والتجرد في سبيله أمرًا يسيرًا، وارتبطت عبادته بالوعي والصدق والإخلاص.

(7–11): دعوة إلى الإيمان والإنفاق

تتوجه السورة في هذه الآيات بالدعوة إلى **الإيمان بالله ورسوله**، مع التأكيد على أهمية **الإنفاق في سبيل الله** كأحد مظاهر الإيمان الحقيقي. وتطرح الآيات سؤالًا تقريريًا: من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا؟ لتوضيح أن العطاء الصادق في سبيل الله ليس مجرد صدقة، بل استثمار روحي يجني صاحبه أجرًا مضاعفًا. كما توضح الآيات أن من أنفق قبل الفتح أو بعده، فالثواب قائم على صدق النية وصدق العمل، فلا فرق بين الزمن بل على الإخلاص والصدق.

الرسالة الاستراتيجية

الإيمان الحقيقي يتجلّى في العطاء، والسبق في الإنفاق يعكس **السبق في الرتبة عند الله.** فالمال ليس هدفًا بحد ذاته، بل أداة اختبار: إما أن يُرفع صاحبه إلى الدرجات العليا بالإنفاق الصالح، أو يُسقطه البخل والتعلق بالدنيا، فتكون أمواله سببًا في خسرانه الأبدي.

(12–19): يوم الامتحان الحقيقي... نور المؤمنين وفضيحة المنافقين

تركز هذه الآيات على **يوم القيامة كاختبار حاسم** يميز بين المؤمنين الصادقين والمنافقين. فالمؤمنون والمؤمنات يُرى نورهم يسعى أمامهم وبين أيديهم، دليلًا على صدق أعمالهم وإيمانهم، بينما يسعى المنافقون محاولين اقتباس نورهم دون جدوى، فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا، فلا يجدون إلا خيبة وعجزًا. هذه المشاهد تجسد جزاء الإخلاص والصدق مقابل فشل الرياء والمصلحة الشخصية في ضمان النجاة والرضوان الإلهي.

الرسالة الاستراتيجية

العمل الصادق والإيمان الخالص يُثمر نورًا يوم القيامة ويهدي صاحبه إلى الرضا والنجاة.

أما الرياء والسعي وراء المصالح الشخصية، فلن ينير الطريق في الآخرة، وسيظهر فشلها وفداحتها في أبهى صورها يوم الحساب.

(20–24): كشف حقيقة الدنيا وزيفها

تسلط هذه الآيات الضوء على **حقيقة الدنيا وزيف مظاهرها**، مؤكدة أن الحياة الدنيا ليست إلا لعبًا ولهوًا وزينة وتفاخرًا بين الناس. يُشبّه القرآن حياة الكفار فيها بغيث أعجبهم نباته، فإذا ما هيج وتقلب، يظهر مصفرًا ثم يتحول إلى حطام، لتتضح فناء الدنيا وزوال كل زخارفها. هذه الصور تذكّر الإنسان بأن ما يراه في الدنيا من جمال ومظاهر هو **ممر مؤقت** وليس مقرًا أبديًا، وأن التفاخر والكثرة والزينة هي امتحانات لاختبار صدق الإيمان والأعمال.

الرسالة الاستراتيجية

الدنيا جميلة، لكنها فانية وزائلة، وما فيها ليس إلا ممرًا للآخرة، فلا يغتر بها أحد. والتفاخر، الكثرة، والزينة كلها وسائل اختبار، لتمييز الصادقين في إيمانهم وعملهم عن من غرّتهم الدنيا وزخرفها.

(25): إنزال الكتاب والحديد لتحقيق العدل

توضح هذه الآية الحكمة الإلهية في **إرسال الرسل بالبينات** وإنزال **الكتاب والميزان** ليقوم الناس بالقسط والعدل. كما تشير إلى إنزال **الحديد**، الذي يحمل بأسًا شديدًا ولكنه يحمل منافع عظيمة للبشر، ليكون أداة لتحقيق التوازن بين القوة والرحمة، وبين الكلام والعمل، وبين القانون والحزم. يظهر هنا أن الإسلام لا يكتفي بالموعظة والدعوة بالحق، بل يدعمها بالوسائل المادية والعملية التي تضمن قيام العدل وإحقاق الحق عند الحاجة.

الرسالة الاستراتيجية

العدل لا يقوم فقط بالعلم والكلمة، بل يحتاج أحيانًا إلى **القوة الرادعة**. والحديد في هذه الآية رمز للتوازن بين الكلمة والسيف، بين الرحمة والحزم، وبين الدعوة للحق والقدرة على إنفاذه، بما يحقق الصلاح والعدل في المجتمع.

(26–29): ختام بإعلاء السابقين وفضح المتذبذبين

تختم السورة بالإشارة إلى فضل الذين آمنوا وأنفقوا **قبل الفتح**، موضحة أن درجاتهم أعظم، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين مهما صغر شأنهم في أعين الناس. كما تُبرز الآيات أن الله يعلم من **ينصره ورسله بالغيب**، ويجازي كل من كان صادقًا في إيمانه وعمله، حتى وإن كان ذلك غير مرئي للآخرين. في المقابل، تظهر السورة فضيحة المتذبذبين والمنافقين الذين يختبئون وراء الشعارات دون صدق، لتؤكد أن الله يُطلع على القلوب ويجازيها بالعدل المطلق.

الرسالة الاستراتيجية

التاريخ يسجّل المواقف لا الشعارات، ومن نصر الله في الخفاء وصدق في عمله، رفعه الله في العلن، وأكرمه بالرضوان والدرجات العليا، بينما يفشل من غشّ وأعرض عن الحق.

خلاصة تفسير سورة الحديد

تؤكد السورة في محور **العقيدة** على أن الله هو **الأول والآخر، الظاهر والباطن**، يحيط بكل شيء علمًا وقدرة، فلا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض. وفي **مجال العمل**، يبرز الإنفاق في سبيل الله كأصدق دلائل الإيمان، فهو اختبار للصدق والإخلاص ووسيلة لارتقاء الإنسان في درجات القرب الإلهي. أما **المجتمع**، فتوضح السورة أن لا عدل قائم إلا بوجود **الميزان**، وأن القوة والحديد وسيلة لتحقيق التوازن والعدل بين الناس عند الحاجة. وتُبيّن السورة أثر **النفاق**، حيث أنه لا ينفع صاحبه يوم القيامة، ويُظهر فضيحته أمام الجميع، بينما يُكافأ الصادقون والمؤمنون. وأخيرًا، تتناول **الدنيا**، مؤكدة أنها زينة فانية وليست مقرًا أبديًا، فهي مجرد ممر للآخرة، ما يحث على الاستعداد لها والعمل الصالح قبل فوات الأوان.

الربط مع ما قبلها

تتواصل سورة **الحديد** مع السورة السابقة **الواقعة** ضمن البناء القرآني المتكامل، حيث تعالج كل منهما جانبًا من الحياة والآخرة بشكل متوازن. فـ"الواقعة" تركز على **تفصيل المصير الأخروي وموازين الآخرة**، لتوضح للإنسان ماذا سيحدث بعد الموت، بينما تأتي "الحديد"

لتقدم **دعوة للإعداد للآخرة بالإيمان والبذل والعدل**، أي كيف يمكن للإنسان أن يستعد ليوم الحساب من خلال الإيمان والعمل الصالح، والإنفاق في سبيل الله، وتحقيق العدل، والاستفادة من قدراته وموجوداته في خدمة الحق. بذلك تكتمل الرؤية القرآنية بين المعرفة بالمصير الأخروي والتصرف العملي في الدنيا بما يحقق هذا المصير الصالح.

للتأمل الذاتي

تدعو السورة كل مؤمن للتفكر في موقفه من الحق والعمل الصالح: هل أنفقت في سبيل الله من **أطيب مالك**، أم اكتفيت بالقليل أو بالظاهر؟ وهل تعاملت مع الدنيا كأنها **مزرعة مؤقتة** تُزرع فيها الطاعات، لا كأنها قصر إقامة دائم يُغرّك بزخرفه وزينته؟ وهل كنت مستعدًا لدعم الحق إذا احتاج إلى **الكلمة الصادقة أو القوة اللازمة**؟ وفي نهاية المطاف، هل ستسير بنور يوم القيامة المستمد من صدق الإيمان والعمل، أم ستسقط في ظلام الرياء والمصلحة الشخصية؟ هذه التأملات تجعل الإنسان أمام مسؤوليته المباشرة في حياته اليومية، وتدفعه للعمل بوعي وإخلاص قبل أن يحين يوم الحساب.

خاتمة

تُعلّمنا **سورة الحديد** أن الإيمان ليس مجرد فكرة نظرية، بل هو **قوة دافعة في النفس وسلوك عملي في الواقع**، يوجّه الإنسان للعمل الصالح والإنفاق في سبيل الله والدفاع عن الحق. كما تؤكد السورة أن **العدل لا يُقام إلا إذا اجتمع** كل من **الكتاب والميزان والحديد**، أي الوحي والقياس والقدرة، لتصبح القوة أداة لتحقيق الصلاح والحق، لا للظلم والتسلط، وتختم السورة بالتذكير بعظمة الله وفضله الواسع: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾، لتربط بين الإيمان والعمل والعدل في رؤية متكاملة تشمل الروح والمجتمع والدنيا والآخرة.

سورة المجادلة

الاسم والدلالة سُميت السورة "**المجادلة**"[1] لاستهلالها بقصة المرأة التي جاءت **تجادل النبي** ﷺ حول ظلم وقع لها من زوجها[2]، كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾. هذا الاسم يرمز إلى **رفع المظلمة بالحوار**، ويؤكد أن **باب السماء مفتوح لكل مظلوم** يطلب نصرة الحق والعدل.

---

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَفِي الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ «سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ» بِكَسْرِ الدَّالِ أَوْ بِفَتْحِهِ كَمَا سَيَأْتِي. وَتُسَمَّى «سُورَةَ قَدْ سَمِعَ» وَهَذَا الِاسْمُ مُشْتَهِرٌ فِي الْكَتَاتِيبِ فِي تُونُسَ، وَسُمِّيَتْ فِي مُصْحَفِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ «سُورَةَ الظِّهَارِ» .وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا «سُورَةَ الْمُجَادَلَةِ» لِأَنَّهَا افْتُتِحَتْ بِقَضِيَّةِ مُجَادَلَةِ امْرَأَةِ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ لَدَى النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَأْنِ مُظَاهَرَةِ زَوْجِهَا. وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُفَسِّرُونَ وَلَا شَارِحُو كُتُبِ السُّنَّةِ ضَبْطَهُ بِكَسْرِ الدَّالِ أَوْ فَتْحِهَا". محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق،ج28ص5.

[2] قال ابن العربي:" قِيلَ هِيَ خَوْلَةُ امْرَأَةُ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ. وَقِيلَ هِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ دُلَيْجٍ. وَقِيلَ: بِنْتُ الصَّامِتِ. وَأُمُّهَا مُعَاذَةُ؛ كَانَتْ أَمَةً لِابْنِ أُبَيٍّ. وَفِيهَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ} [النور: ٣٣] الْآيَةَ. وَقِيلَ: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَهِيَ أَشْبَهُهَا؛ لِمَا رُوِيَ أَنَّ خَوْلَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ جَاءَتْ إلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهِيَ عَجُوزَةٌ كَبِيرَةٌ، وَالنَّاسُ مَعَهُ، وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ قَالَ: فَجَنَحَ إلَيْهَا، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِهَا، وَتَنَحَّى النَّاسُ عَنْهَا، فَنَاجَاهَا طَوِيلًا، ثُمَّ انْطَلَقَتْ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْت رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ. قَالَ: أَتَدْرُونَ مَنْ هِيَ؟ هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ؛ فَوَاَللَّهِ لَوْ قَامَتْ هَكَذَا إلَى اللَّيْلِ لَقُمْت مَعَهَا إلَى أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ، وَأَنْطَلِقَ لِأُصَلِّيَ ثُمَّ أَرْجِعَ إلَيْهَا. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ" القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن**، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م،ج4ص185.

المقصـــــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة

تركز السورة على مفهوم **النظام والانضباط** في كل مستويات الحياة، سواء في الأسرة أو المجتمع أو الدولة، وتبين أن الله **سميع لكل شيء،** يراقب أدق التفاصيل في حياة الأفراد، في المجالس، في التحالفات، وفي الولاء والبراء. كما تضع السورة قواعد واضحة للتصرف، مؤكدة أن **الانحراف عن منهج الله في أي من هذه الميادين يُعد خيانة للمشروع الإيماني،** وأن الالتزام بالحق والعدل هو أساس قوة المجتمع وحفظه من الفوضى والانحراف.

البنية الموضوعية لسورة المجادلة

تبدأ السورة بمحور **قضية المرأة المجادلة** في الآيات من 1 إلى 4، حيث تعرض ظلم الظهار وتبين حكمه الشرعي، موضحة أن الله سميع لكل مظلوم وأن الشريعة تحمي حقوق الأفراد في الأسرة. ثم تنتقل السورة في الآيات من 5 إلى 6 إلى **تحذير من مخالفة أمر الله،** مؤكدة أن من يعاد الله ورسوله يُسقط نفسه في الخزي والعقوبة. بعد ذلك، تركز الآيات من 7 إلى 13 على **أدب المجالس والمناجاة،** حيث توضح أن لا نجوى للضر إلا برعاية الله، وأن المؤمنين يُرفعون عند الله، وتضع قواعد التعامل في الاجتماعات والمجالس بما يحقق النظام والاحترام.

وتسلط السورة الضوء في الآيات من 14 إلى 19 على **فضح حزب الشيطان،** موضحة خطورة موالاة أعداء الله وخداع النفس، وتحذر من التورط في التحالفات الخاطئة التي تضر بالإيمان والمجتمع. وأخيرًا، تختم السورة في الآيات من 20 إلى 22 بمحور **حزب الله هم الغالبون،** مؤكدة أنه لا توجد أمة مؤمنة تؤمن حقًا إلا وتبتعد عن موالاة من حادّ الله، ليظهر أن النصر والظفر مرتبط بالولاء لله واتباع أوامره.

(1–4): مظلمة امرأة... وسمع الله لا يخفى عليه شيء

تفتتح السورة بقصة **امرأة جاءت تجادل النبي ﷺ** بسبب ظلم وقع لها من زوجها عبر الظهار، كما جاء في قوله تعالى:﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ

وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ . كان الظهار في الجاهلية يُعد نوعًا من الطلاق الظالم، وقد أنصفت الشريعة المرأة فيه وفرضت الكفارة على الرجل، لتؤكد أن العدالة تبدأ من **أبسط مظلمة في البيت**، وأن الله يراقب التفاصيل الدقيقة في حياة الناس، لا الأمور الكلية فقط.

الرسالة الاستراتيجية

العدل يبدأ من البيت، ومن أبسط مظلمة، ولا يُصلح الله مجتمعًا يظلم فيه الرجل امرأته. هذه الآيات تبيّن أن **شرع الله يرقب التفاصيل الدقيقة** ويؤسس لحياة متوازنة قائمة على الحق والإنصاف في كل مستويات المجتمع.

(5–6): من يعادي الله... يهزمه الله

تحذر هذه الآيات من **معاداة الله ورسوله**، موضحة أن الذين حادّوا عن منهج الحق سابقًا قد **كُبتوا وهُزموا**، ولن يفلح أحد في محاربة الحق مهما بدا له القوة أو المناورة. وتؤكد الآيات أن الله أنزل **آيات بينات** تهدي المؤمنين، بينما ينتظر الكافرين **عذاب مهين**، لتكون هذه الآيات تذكيرًا صارمًا بأن الفشل حتمي لمن يصر على العدوان على منهج الله.

الرسالة الاستراتيجية

محاربة المنهج الرباني مصيرها **الفشل الحتمي**، مهما بدا للناس غير ذلك، والمعاداة لله تعني **السقوط الاستراتيجي** والهزيمة المبكرة، فهي ليست مجرد قضية أخلاقية بل درس عملي لكل مجتمع يسعى للثبات على الحق.

(7–13): آداب المجالس، وضوابط المناجاة

توضح هذه الآيات أن **الله يعلم كل ما في السماوات والأرض**، وأنه لا يجوز للمؤمنين عقد النجوى إلا فيما فيه خير كالصدقة والإصلاح والمعروف. كما توضح الآيات آداب **التصرف في المجالس**، مثل أمر المؤمنين بالتفريق وإفساح المجال عند الحاجة، لتظهر أهمية **النظام والانضباط في التعاملات اليومية**. هذه التوجيهات تُبرز أن الحياة العملية جزء لا يتجزأ من

الإيمان، وأن الالتزام بآداب الحديث وترتيب المجالس وسلامة النية يعكس صدق الإيمان وعمق التقوى.

الرسالة الاستراتيجية

الإيمان يظهر في **أدق التفاصيل:** في أدب الحديث، وفي ترتيب المجالس، وفي النية وراء الكلام. فلا معنى للإيمان في القلب دون أن يترجم إلى **انضباط السلوك في العلن والسر**، لأن الإيمان الحقيقي يشمل كل جوانب حياة الإنسان.

(14–19): فضح المنافقين وأهل المولاة المحرمة

تركز هذه الآيات على **فضح المنافقين وأولئك الذين يوالون أعداء الله**، موضحة أن من تولى قومًا غضب الله عليهم **لا ينتمي إلى المؤمنين ولا إلى من عادوا الحق**، وأنهم **يحلفون على الكذب وهم يعلمون**، ويتركهم الشيطان مستحوذًا عليهم حتى ينسو ذكر الله. وتكشف هذه المشاهد أن الخيانة تبدأ **من الداخل، من قلب لا ولاء فيه لله**، وأن التحالفات الفاسدة أشد خطرًا من الهزائم الظاهرة، لأنها تهدد وحدة المجتمع ومبادئ الإيمان من جذورها.

الرسالة الاستراتيجية

حزب الشيطان هو كل من **يخدع نفسه ويمالئ أعداء الله**، فالخيانة الداخلية وانعدام الولاء لله تؤدي إلى السقوط والتشتت، وتبيّن أن الثبات على منهج الله والصدق في الولاء هما أساس النصر والنجاة.

(20–22): الخاتمة – من هم حزب الله؟

تختم السورة بالتأكيد على أن **الولاء لله ورسله فوق كل اعتبار آخر**، كما جاء في قوله تعالى:﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١﴾ ، موضحة أن **حزب الله لا يُقاس بالكثرة** أو بالنسب، بل بالثبات والنقاء في الإيمان والعمل. فلا يوجد قوم مؤمنون بالله واليوم الآخر يوالون من حادّ الله، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليهم من آباء أو أبناء أو إخوة، لأن الولاء الحقيقي **مرتبط بالحق والانتماء لله وحده.**

الرسالة الاستراتيجية

الولاء لله هو الأعلى والأعظم، وحزب الله يتحدد **بثبات القلب ونقاء النية وصدق العمل**، لا بالعدد أو النسب، فالثبات على الحق هو مصدر القوة والغلبة.

خلاصة تفسير سورة المجادلة

تؤكد السورة على أن **الأسرة** يجب أن تكون خالية من الظلم، وأن **الشرع يحكم تفاصيلها** بما يضمن العدل والإنصاف لكل الأفراد، خصوصًا المرأة والمظلومين. وفي **المجالس**، يظهر الإيمان من خلال **أدب الكلام والانضباط في الصف الإيماني**، والالتزام بآداب الحديث والنوايا الصالحة، فلا معنى للإيمان دون ضبط السلوك في العلن والسر. أما **الولاء**، فتوضح السورة أنه لا يجوز أن يكون لأي معادٍ لله، حتى لو كان الأقرب، لأن الولاء الحقيقي هو لله وحده. وتكشف السورة أن **النفاق** يظهر في موالاة أعداء الله وخداع النفس، فهم يمثلون **حزب الشيطان**، بينما **الجماعة الصادقة** هي حزب الله، وهم **الغالبون** بالثبات على الحق والصدق في الولاء والعمل.

الربط مع ما قبلها

تتواصل سورة **المجادلة** مع السورة السابقة **الحديد** ضمن البناء القرآني المتكامل، حيث يركز كل منهما على جانب تكاملي من حياة المؤمن. فـ"الحديد" يرسخ **البناء العقدي العام**، مؤكدًا على الإيمان، والبذل في سبيل الله، والعدل، والقوة كوسائل لإقامة الحق، بينما تأتي "المجادلة" لتكمل هذا البناء من خلال **تفصيلات السلوك والانضباط داخل المجتمع والأسرة والجماعة**، فتوضح قواعد الولاء، آداب الكلام، وأدوات الانضباط الاجتماعي والسياسي. بذلك يكمل القرآن رؤية متكاملة تجمع بين **الإيمان العام والعملي** وبين **السلوك الفردي والجماعي** في الحياة الواقعية.

للتأمل الذاتي

تدعو السورة كل مؤمن للتفكر في **موقفه من العدل والسلوك:** هل أُقيم العدل في بيتي ومع من حولي، أم أغفل عن حقوق الآخرين وظلمتهم دون شعور؟ وهل يحكم **كلامي وسري**

وضعي في المجالس ضوابط القرآن وأخلاقه، أم أترك الفوضى والرياء يتسللان إلى حياتي اليومية؟ وأين **ولائي الحقيقي؟** هل هو لله، أم قلبي متذبذب مع من حادّ عن الحق؟ وأخيرًا، هل أنتمي فعلًا إلى **حزب الله** بالثبات على الحق، أم أنني في صفوف **حزب الشيطان** دون أن أشعر، مخدوعًا بالمظاهر أو بالأنانية؟ هذه الأسئلة تجعل الإنسان أمام **محاسبة ذاتية صارمة**، وتدفعه للتمسك بالحق والعمل الصالح قبل فوات الأوان.

خاتمة

تُعلّمنا **سورة المجادلة** أن قوة الجماعة الإيمانية لا تُبنى فقط على العدد أو المظاهر، بل على **النقاء الداخلي والثبات على الحق**، فهي تحرس الجماعة من الانحرافات الخفية التي قد تهدم المجتمع من الداخل. وتؤكد السورة أن **النصر ليس للكثرة، بل للصفوف الصافية الوفيّة لله**، كما جاء في قوله تعالى:﴿...أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ ، لتربط بين الولاء الصادق والعمل المستقيم وبين الغلبة الحقيقية والنجاة في الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة "**الحشر**"[1] لاستهلالها بقصة إخراج الله الكافرين من أهل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ . ويشير "الحشر" [2]هنا إلى **الجمع والطرد من الأرض**، أي إجلاء بني النضير من المدينة،

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة الحشر؛ لقوله: {لأَوَّلِ الحشر} ." مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزي**ز، مرجع سابق، ج1ص458.

[2]قال الرميان:" قال القرطبي: "الحشر: الجمع، ومنه قوله تعالى: {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} وقد جاء في الحشر قوله – صلى الله عليه وسلم –: "يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين" .وقد اختلف العلماء في هذا الحديث، فمنهم من حمله على الحشر في الدنيا، ومنهم من حمله على الحشر في الآخرة، وقد ذهب القرطبي إلى القول الأول". الدكتور / عبد الله بن محمد بن رميان الرميان، **آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم (دراسة وترجيح)** ، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه –جامعة أم القرى بمكة المكرمة، قسم العقيدة، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ،ص822.

وهو أول **طرد جماعي لأهل الخيانة**، ما يجعل السورة مرجعًا لفهم **فقه التعامل مع الخيانة والمنافقين** في المجتمع الإسلامي.

المقصد العام للسورة

تركز سورة **الحشر** على **بيان عاقبة خيانة أهل الكتاب**، مع توضيح كيف أن **الله يُنزل النصر متى ما التزم المؤمنون بشروطه** ووسائل التقوى والعمل الصالح. وتضع السورة قواعد **توزيع الغنائم** بما يحقق التكافل الاجتماعي، وتحذر من **منافقين الداخل الذين يهددون وحدة الصف وقوة الأمة**. وتختم السورة بعرض **جلال أسماء الله وصفاته**، ليظل المؤمن على **وعي دائم بمصدر العزة والقوة الحقيقية**، وليعلم أن الثبات على الحق والولاء لله هو أساس النصر والفلاح في الدنيا والآخرة.

البنية الموضوعية لسورة الحشر

تبدأ السورة ب**تسبيح الكائنات وعظمة الله** في الآية الأولى، مواصلة بذلك روح التسبيح التي ختمت بها سورة المجادلة، لتؤكد أن كل شيء في الكون خاضع لله وأن العزة لله وحده. ثم تنتقل الآيات من 2 إلى 5 إلى **طرد بني النضير**، موضحة سنن الله في التعامل مع خيانة الأعداء، وكيف أن الانحراف عن الحق يؤدي إلى الهزيمة والخزي. بعد ذلك، تعرض الآيات من 6 إلى 10 **توزيع الفيء**، لتبيّن أن المال العام يجب أن يُدار بأمانة وأن تُحفظ حقوق الجماعة بما يحقق التكافل والعدالة. وتكشف الآيات من 11 إلى 17 عن **فضح المنافقين** وتحالفهم مع اليهود وخذلانهم، لتكون درسًا عمليًا في الولاء والصدق والانتماء للصف الصالح. وأخيرًا، تختتم السورة في الآيات من 18 إلى 24 ب**العبرة والختام الجلالي**، داعية المؤمنين للتقوى والتفكر في أسماء الله الحسنى وصفاته، ليظل وعيهم منصبًا على مصدر العزة والقوة الحقيقية.

(1): تسبيح كل ما في السماوات والأرض

تبدأ السورة بتأكيد **تسبيح كل ما في السماوات والأرض لله عز وجل**، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾، مشيرًا إلى أن هذا التسبيح يعكس **عظمة الله وعزته وحكمته المطلقة**. إن الكون كله يعلن خضوعه لربه، من كائنات ومجرات وجبال وأنهار، ليكون الإنسان أمام سؤال حاسم: هل **يؤمن حقًا ويخضع لله** كما يسبّح كل شيء حوله؟

الرسالة الاستراتيجية

كل شيء يسبّح لله، فالإيمان الحق لا يكتمل إلا بخضوع القلب والعمل، فهل أنت مستعد لتكون جزءًا من هذا التسبيح العملي؟

(2-5): خيانة بني النضير وعاقبتها

تتحدث هذه الآيات عن **خيانة بني النضير وطردهم من المدينة**[1]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾ فقد ظنوا أن **حصونهم وتحصينهم بالسلاح** ستمنعهم من الحساب، لكن الله أتاهم **من حيث لم يحتسبوا**، وقذف في قلوبهم **الرعب والخوف** نتيجة خيانتهم وانحرافهم عن الحق. هذا الحدث يبرز أن القوة المادية **لا تغني عن قوة الله**، وأن تطبيق الأمة لسنن الله والالتزام بمنهجه يكفي ليُؤتى النصر دون الحاجة إلى صراع مباشر أحيانًا.

---

[1] قال عبد الرزاق:" عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مِنْ دِيَارِهِمْ لَأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر: ٢] قَالَ: هُمْ بَنُو النَّضِيرِ قَاتَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى صَالَحَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَلَى الْجَلَاءِ فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشَّامِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الْحَلْقَةَ ، وَالْحَلْقَةُ السِّلَاحُ ، وَكَانُوا مِنْ سَبْطٍ لَمْ يُصِبْهُمْ جَلَاءٌ فِيمَا خَلَا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر: ٢] فَكَانَ جَلَاؤُهُمْ ذَلِكَ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ فِي الدُّنْيَا إِلَى الشَّامِ " أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ،ج3ص296.

الرسالة الاستراتيجية

التحصن بالسلاح لا يغني عن الله، والأمة إذا **طبّقت سنن الله بدقة وصدق**، ينزل الله عليها النصر، ويظهر فضل التوكل على الله أولًا قبل أي وسيلة أخرى.

(6–10): الفيء وتشريعه العادل

توضح هذه الآيات كيفية **توزيع ما أفاء الله على رسوله** من غنائم، فهو لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، لتكون إدارة المال العام **عادلة ومتوازنة**، ولا يُترك ليغني الأغنياء عن الآخرين أو ليخلق دولة بين القادرين والفقراء. وتظهر الآيات أيضًا روح **التكافل والمحبة بين المؤمنين**، حيث يحب الذين تبوأوا الدار والإيمان من هاجر إليهم، ويستغفر الذين جاءوا من بعدهم ربهم ليحافظوا على وحدة الصف.

الرسالة الاستراتيجية

المال أداة اختبار؛ فلا يُترك ليغني البعض ويقصي الآخرين. **المجتمع الإيماني الحقيقي** يقوم على الحب والتكافل، ويورث المحبة والتعاون، لا الحسد والانقسام.

(11–17): فضح المنافقين وتحالفاتهم

تسلط هذه الآيات الضوء على **المنافقين وتحالفاتهم الخادعة**، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾، إلا أنهم **لم يخرجوا معهم** عندما أُخرج أهل الكتاب، فكشفت سلوكهم الزائف وانعدام الولاء الحقيقي. وتشبه الآيات تصرفهم بالشيطان الذي يغوي الإنسان بالكفر ثم يتركه، لتوضح أن **المنافقين ليسوا حلفاء حقيقيين**، بل أدوات مؤقتة تستغل اللحظة لتحقيق مصالح شخصية، وغالبًا ما تؤدي تحالفاتهم مع أهل الباطل إلى خسارة الجميع.

الرسالة الاستراتيجية

التحالف مع أهل الباطل يُخسر الجميع، والمنافقون لا يكونون شركاء حقيقيين، بل **أدوات مؤقتة تهدد وحدة الصف وقوة الأمة.**

(18–24): الختام الجلالي – أسماء الله وصفاته

تختم السورة بتوجيه المؤمنين إلى **التقوى والمحاسبة الذاتية**، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ ، وتذكيرهم بأن **الله شديد العقاب** على كل ظلم وخيانة. ثم تعرض الآيات **أسماء الله الحسنى وصفاته الجلالية** مثل:﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾، لتوضح أن **العزة الحقيقية والنجاح في الحياة والآخرة** مرتبط بالتمسك بهذه الصفات والتعلق بها.

الرسالة الاستراتيجية

من أراد **النصر والعزة** فليتعلق بصفات الله، فسنة **التغيير تبدأ من القلب، وتنتهي بالعمران،** ويصبح كل عمل فردي وجماعي مستندًا إلى وعي بالله وعظمته.

خلاصة تفسير سورة الحشر

توضح السورة أن **النصر السياسي والعسكري** لا يأتي من الحصون والمظاهر، بل من **وحدة الصف والالتزام بسنن الله.** وأن **الفيء والغنائم** ليست مجرد مال، بل **أداة للعدل والتوازن الاجتماعي.** كما تؤكد أن **الإيمان الحقيقي** ينتقل بين الأجيال، ويُورِّث المحبة والتعاون، بينما

المنافقون ضعفاء لا يُعوّل عليهم في أي تحالف أو مشروع جماعي. وفي الصميم، ترتبط كل هذه القيم با**لعقيدة الصحيحة**، إذ أن العزة والنجاح الحقيقيان هما لله وحده، وأسماء الله الحسنى وصفاته تبني **الوعي الإيماني والفطنة الروحية** لكل فرد ومجتمع.

الربط مع ما قبلها

تأتي سورة **الحشر** بعد سورة **المجادلة** لتكمل بناء التصور القرآني للجماعة الإسلامية، فبينما ركّزت المجادلة على **الانضباط الداخلي** وضبط العلاقات والولاء داخل الصف الصالح، تنتقل الحشر إلى **تطبيق السنن الإلهية على الواقع السياسي والاجتماعي**، عبر عرض دروس من تاريخ بني النضير وتحليل تحالفاتهم وفشل المنافقين، مع تشريع توزيع الغنائم والحفاظ على وحدة المجتمع. بذلك، تصبح **المجادلة بناء الجماعة من الداخل**، والحشر **حماية الجماعة من الخونة والمتحالفين مع العدو**، لتتحقق مقاصد الله في العزة والنصر.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة **الحشر** المؤمن إلى مراجعة **اعتماده في الحياة:** هل يراهن على الله ووحدته، أم على الحصون والمظاهر؟ كما تحثه على النظر في **تعامله مع المال**، هل هو أداة للعدل والتكافل أم وسيلة للسلطة والسيطرة؟ وتدفعه إلى التفكير في **علاقاته الاجتماعية والإيمانية:** هل هو من الذين يحبون ويناصرون المؤمنين ويورثون الحب بين الأجيال؟ وأخيرًا، هل **أسماء الله الحسنى وصفاته حية في قلبه وسلوكه**، أم مجرد ألفاظ يرددها بلا تأثير على حياته وأفعاله؟

خاتمة

تُعلّمنا سورة **الحشر** أن المجتمع الإيماني المتماسك **لا يُهزم مهما كانت التحديات**، وأن نصر الله لعباده لا يعتمد بالضرورة على القتال، بل يكفي أن **يرعب العدو ويخذل المنافقين**. فهي تبرز أن قوة الأمة الحقيقية تكمن في **وحدة الصف، الالتزام بالحق، والتقوى**. وتختم السورة

بتذكير المؤمن بعظمة خالقه وجلاله لتبقى **العزة والوعي الإيماني مصدر القوة والفلاح** لكل فرد ومجتمع.

سورة الممتحنة

الاسم والدلالة: سُمِّيت سورة **الممتحنة**[1] لورود مبدأ الامتحان صريحًا في بنيتها التشريعية، كما في قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ)، ويُطلق عليها كذلك **سورة الامتحان**؛ لأن جوهرها ليس حكمًا جزئيًا، بل اختبارٌ كاشف لصدق الإيمان حين يُمتحن في أكثر دوائر الحياة حساسية وتأثيرًا.

مجال الامتحان: لا تتناول السورة امتحان الإيمان في دائرة الشعائر الظاهرة أو الالتزامات التعبدية المحضة، وإنما تنقله إلى مستوى أعمق وأدقّ: مستوى **المواقف**، و**الولاءات**، و**الاصطفافات** عند اشتباك الإيمان مع ضغط الواقع الاجتماعي والسياسي. فهي تمتحن القلب حين تتقاطع العقيدة مع القرابة، والمصلحة، والخوف، والأمن، والعلاقات العابرة للحدود.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى تقويم الموقف الشرعي من الكافرين تقويمًا دقيقًا متوازنًا؛ فتُبيِّن متى يُمنع التواصل، ومتى يُباح البرّ، وفق ضوابط إيمانية صارمة لا تخضع للأهواء ولا للاندفاع العاطفي. كما تؤسس لفقهٍ راشدٍ في **الولاء والبراء**، يضبط المشاعر والسلوك معًا، ويُميّز بين

[1]قال ابن عادل:" وتسمى " الممتحنة " – بكسر الحاء – أي: المختبرة، وأضيف الفعل إليها مجازا، كما سميت سورة " براءة " المبعثرة والفاضحة والكاشفة لما كشفت من عيوب المنافقين. ومن قال " بفتح الحاء " فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قال تعالى: {فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن} [الممتحنة: ١٠] ." أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠ هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض شارك في التحقيق: محمد سعد رمضان (أطروحة دكتوراة من سورة مريم آية (٥٩)، إلى آخر سورة القصص) محمد المتولي الدسوقي (أطروحة دكتوراة من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، ج19ص3.

العداوة العقدية الثابتة، والبرّ الإنساني المشروع، في إطار المصلحة الشرعية والميزان الإيماني.

وتفصّل السورة أحكام التعامل مع النساء المؤمنات عند الهجرة، بوصف ذلك نموذجًا عمليًا لاختبار صدق الانتماء العقدي، وتكشف أن الإيمان الحق ليس دعوى تُرفع، بل موقف يُتَّخذ، وثمن يُدفع، واختيار يُحسم عند مفترق الطرق.

البنية الموضوعية لسورة الممتحنة

تقوم سورة الممتحنة على بناءٍ محكمٍ متدرّج، ينتقل بالقارئ من التحذير العقدي الصارم إلى التفصيل التشريعي الدقيق، ثم يعود ليختم بالموقف الحاسم، في وحدة موضوعية متماسكة.

تفتتح السورة بالتحذير الشديد من موالاة أعداء الله، وذلك في الآيات (1–3)، حيث تُقرر قاعدة فاصلة في الانتماء العقدي: أن العداوة الإيمانية لا تجتمع مع الولاء، وأن اتخاذ أعداء الله وأعداء المؤمنين أولياء يُعد خيانة للعقيدة قبل أن يكون خطأً سلوكيًا.

ثم تعرض السورة النموذج القدوة في البراء العقدي، ممثلًا في موقف إبراهيم عليه السلام والذين معه، في الآيات (4–6)، حيث يُعلن البراء الصريح من الشرك وأهله، وتُرسَّخ قاعدة المفاصلة العقدية الواضحة:﴿ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ ، بوصفها أصلًا لا يتغير بتغير الظروف. بعد ذلك تنتقل السورة إلى بيان الاستثناء المنضبط في العلاقة مع غير المحاربين، في الآيات (7–9)، فتقرر أن العداوة العقدية لا تمنع البرّ والعدل مع من لم يقاتل في الدين ولم يُخرج المؤمنين من ديارهم، لتؤسس توازنًا دقيقًا بين الثبات العقدي والعدل الإنساني.

وتتجه السورة في الآيات (10–12) إلى تفصيل أحكام المؤمنات المهاجرات، فتأمر بامتحانهن للتحقق من صدق إيمانهن، وتمنع إرجاعهن إلى الكفار، مؤكدة أن رابطة الإيمان مقدَّمة على كل رابطة أخرى، وأن الهجرة موقف عقدي لا إجراء شكلي.

ثم تُفرد السورة في الآية (12) مشهد بيعة النساء للنبي ﷺ، بوصفها ترجمة عملية للطاعة والتقوى، وضبطًا للسلوك الفردي والاجتماعي في إطار الالتزام الإيماني الشامل.

وتُختَم السورة في الآية (13) بالعودة إلى الأمر الحاسم بعدم موالاة قوم غضب الله عليهم، ليكتمل البناء الدائري للسورة: بدءًا بالتحذير من الموالاة، وانتهاءً بتأكيد القطيعة مع من ثبتت عداوته لله، في تثبيت نهائي لمعالم الولاء والبراء في الوعي الإيماني.

(1–3): لا موالاة لأعداء الله... ولو كانوا أقرب الناس

تضع الآيات الأولى من السورة حدًّا قاطعًا لا يقبل التمييع ولا التأويل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾،فتنفي أي مشروعية للموالاة حين تكون الجهة المقابلة في موقع العداوة لله ولدينه، مهما كانت روابط القربى أو دواعي العاطفة.

وتكشف السورة العلّة الجوهرية لهذا المنع، وهي أنهم **كفروا بما جاء من الحق**، وأن عداوتهم لم تكن طارئة ولا ردّ فعل، بل موقفًا عقديًا ثابتًا تجلّى في إخراج الرسول والمؤمنين من ديارهم لمجردِ إيمانهم بالله ربهم. فالقضية ليست خلاف مصالح، بل صراع هوية وعقيدة.

الرسالة الاستراتيجية:

تؤكد هذه الآيات أن الموالاة ليست حالة وجدانية أو تصرفًا إنسانيًا مجردًا، بل **ميثاق إيماني** تُبنى عليه المواقف الكبرى. وإفشاء الأسرار للأعداء، أو تليين المواقف باسم الرحمة أو الحكمة، ليس تعاطفًا مشروعًا، بل خيانة للأمانة العقدية، وانخراط عملي في تقويض الصف الإيماني من الداخل.

(4–6): قدوة إبراهيم في المفاصلة

تنتقل السورة من النهي المباشر إلى عرض النموذج العملي، فتقدّم إبراهيم عليه السلام والذين معه بوصفهم **أُسوة حسنة** في تحقيق المفاصلة الإيمانية الواضحة. لقد أعلنوا لقومهم بلا مواربة: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، مفاصلةً في الاعتقاد والانتماء قبل أي اعتبار اجتماعي أو عاطفي، وأظهروا أن رابطة التوحيد تعلو على رابطة الدم والقرابة.

وتُلفت السورة الانتباه إلى الاستثناء الوحيد في موقف إبراهيم، وهو قوله لأبيه: ،﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ) لتقرر أن هذا الاستثناء لم يكن أصلًا يُقتدى به، بل موقفًا خاصًا قبل أن يتبيّن له عداوة أبيه لله، وقد نُسخ عمليًا بالبراءة التامة لاحقًا[1]. وبذلك تُغلق السورة باب التعلّل بالعواطف الخاصة لتبرير الموالاة العقدية.

الرسالة الاستراتيجية:

الاقتداء بالأنبياء لا يقتصر على الأخلاق الهادئة أو المواعظ العامة، بل يبدأ أولًا من **المفاصلة الإيمانية** الواضحة عند تعارض الحق مع الباطل. فلا ولاء، ولا تمييع للموقف، مع من يُعلن العداء لله ولرسوله، مهما تزيّنت العداوة بشعارات القربى أو المجاملة.

(7–9): ضوابط العلاقة مع غير المحاربين

[1] قال الطبري:" يقولُ تعالى ذكرُه: قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين معه في هذه الأمورِ التي ذكَرْناها؛ من مباينةِ الكفارِ ومعاداتِهم، وتركِ موالاتِهم، إلا في قولِ إبراهيمَ لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾. فإنه لا أُسوةَ لكم فيه في ذلك؛ لأن ذلك كان من إبراهيمَ لأبيه عن موعدةٍ وعدَها إيَّاه، قبلَ أن يَتَبَيَّنَ له أنه عدوٌّ للَّهِ، فلما تَبَيَّن له أنه عدوٌّ للَّهِ تبرَّأ منه. يقولُ تعالى ذكرُه: فكذلك أنتم أيُّها المؤمنون باللَّهِ، فتبرَّءوا من أعداءِ اللَّهِ من المشرِكين به، ولا تتَّخِذوا منهم أولياءَ حتى يُؤْمِنوا باللَّهِ وحدَه، ويتَبَرَّءوا من عبادةِ ما سِواه، وأَظْهِروا لهم العداوةَ والبغضاءَ" أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، مرجع سابق،22ص567.

تُعيد هذه الآيات ضبط ميزان العلاقات بعد تقرير أصل المفاصلة العقدية، فتمنع تحوّل البراء إلى قطيعة عمياء أو ظلمٍ باسم الدين. وتفتح أفق التحول التاريخي بقوله تعالى: ﴿۞عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧﴾، إيذانًا بأن القلوب بيد الله، وأن العداوة ليست قدرًا أبديًا متى تغيّر الموقف والسلوك. ثم تُقرّر الآيات قاعدةً أخلاقية وتشريعية جامعة: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾، لتؤكد أن البرّ والعدل ليسا تنازلًا عقديًا، بل التزامًا إيمانيًا مع من لم يُظهر عداءً ولا حربًا. وفي المقابل تحصر السورة المنع الصارم في فئة محددة: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩) ،حيث تتحول العلاقة إلى مفاصلة كاملة، بلا موالاة ولا نصرة.

الرسالة الاستراتيجية:

ميزان العلاقات في الإسلام لا يُبنى على الهوية المجردة وحدها، بل على **السلوك والموقف العملي**. فالبرّ والعدل واجبان مع من لم يحارب ولم يعتد، ولو كان كافرًا، بينما تُمنع الموالاة مع من اختار طريق الحرب والعداء، حفظًا للثوابت وصيانةً للصف الإيماني.

(10–11): فامتحنوهن... ولا تُرجِعوهن إلى الكفار

تنتقل السورة في هاتين الآيتين من تقويم العلاقات العامة إلى معالجة حالة دقيقة تمسّ جوهر الانتماء العقدي، وهي هجرة النساء المؤمنات من دار الكفر إلى دار الإيمان. فتأمر الأمة بألا يُكتفى بدعوى الإيمان، بل بتمحيصها والتحقق من صدقها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ)، ليكون الامتحان أداةً لحماية الجماعة الإيمانية من التسلل أو التلاعب تحت ضغط الظروف السياسية والاجتماعية. ثم تقرر الآيات حكمًا فاصلًا لا يقبل المساومة: ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾، مع بيان العلة الشرعية

الصريحة: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ...﴾، فتُقدَّم رابطة العقيدة على رابطة الزواج، ويُعلن أن الإيمان إذا ثبت غيّر البنية القانونية والاجتماعية للعلاقة كلها.

الرسالة الاستراتيجية:

تؤكد السورة أن الإيمان ليس شعارًا يُرفع ولا دعوى تُتداول، بل **حقيقة تُختبَر** عند المواقف الكبرى، وفي لحظات الاختبار الحاسمة – كالهجرة والتضحية والانفصال عن البيئة الأولى – تنكشف الصدقية، ويتميّز الصادق من المدّعي، وتُرسم حدود الجماعة المؤمنة على أساس الإيمان العملي لا الادّعاء اللفظي.

(12): بيعة النساء... تعاقد على الطهر والإخلاص

تُفرد السورة هذه الآية لتقرير مشهدٍ تأسيسي في بناء الجماعة المؤمنة، حيث تنتقل المرأة من دائرة التبعية الاجتماعية إلى دائرة **التعاقد الإيماني الواعي**. فالبيعة هنا ليست طقسًا شكليًا، بل التزامًا شاملًا يبدأ من التوحيد الخالص: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾، بوصفه الأساس الذي تُبنى عليه بقية القيم. ثم تتدرج البيعة في ضبط السلوك الفردي والأخلاقي: حفظ المال، وصيانة العرض، وحماية النفس والنسل، والالتزام بالطاعة في المعروف، لتؤكد أن الإيمان ليس حالة روحية مجردة، بل منظومة عملية تنعكس في السلوك اليومي والاختيارات الواقعية.

وتختم البيعة بشرط الطاعة في المعروف، لتؤسس لمعادلة دقيقة: طاعة واعية منضبطة بالشرع، لا خضوع أعمى ولا تمرّد فوضوي.

الرسالة الاستراتيجية:

الإسلام دين **عقيدة وسلوك وبيعة**، لا مجرد مشاعر أو انتماء اسمي. والمرأة في التصور القرآني شريكة كاملة في مشروع الإيمان وبناء المجتمع، تتحمل مسؤولية الالتزام والاختيار، لا تابعًا عاطفيًا ولا عنصرًا هامشيًا، بل طرفًا أصيلًا في عقد الطهر والإخلاص مع الله ورسوله.

(13): لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم

تُسدل السورة ستارها بخاتمة حاسمة تُعيد تثبيت القاعدة التي افتتحت بها خطابها: النهي القاطع عن موالاة من استقر عليهم غضب الله. فهؤلاء لم يعودوا في دائرة العداء العارض، بل في منزلة السقوط العقدي الكامل، إذ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ)، واليأس من الآخرة ليس حالة نفسية عابرة، بل انقطاع وجودي عن معنى الحساب والجزاء، وتُجسِّد الآية عمق هذا الانقطاع بتشبيهٍ بالغ القسوة والوضوح: (كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾، حيث تنعدم كل أفق للرجاء، ويغيب كل رادع أخلاقي أو ضابط قيمي. فمن انقطعت صلته بالآخرة، انقطعت تبعًا لذلك صلته بمعايير الحق والعدل في الدنيا.

الرســـــــــــــالة الاســـــــــــــتراتيجية:

مـــن قطـــع صـــلته بـــالله، لا يجـــوز أن يُوصَـــل بـــولاء المـــؤمنين. ومن يئس من الآخرة، سقط ميزان الأمانة لديه، فلا يُؤتمن على دنيا ولا على مصير، لأن الولاء في التصور الإيماني ليس مجاملة، بل اصطفاء مبني على الإيمان والرجاء والمسؤولية أمام الله.

خلاصة تفسير سورة الممتحنة

تُرسِّخ سورة الممتحنة منظومة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية التي تُعيد ضبط الوعي الإيماني في مجالاته الكبرى، وتربط بين العقيدة والسلوك والواقع.

في **مجال الولاء**، تُقرر السورة أن الولاء حقٌّ خالصٌ لله وحده، لا تحكمه العاطفة ولا تُبرره القرابة، بل يُبنى على الإيمان والموقف العقدي الواضح، ويُنزَع عمّن اختار معاداة الله ودينه.

وفي **مجال السياسة والعلاقات العامة**، تُؤسس السورة لفقه متوازن، يُجيز إقامة علاقات قائمة على البرّ والعدل مع غير المحاربين، ما داموا لم يعتدوا ولم يقاتلوا في الدين، مع بقاء خطّ المفاصلة واضحًا مع أهل الحرب والعدوان.

أما في **مجال الأسرة**، فتُبيّن السورة أن رابطة الإيمان مقدَّمة على رابطة العقد، وأن الامتحان والتحقق سابقان على الإلحاق والاعتراف، حمايةً للبناء العقدي للأسرة المسلمة من التسلل أو الازدواجية.

وفي **مجال المرأة**، ترفع السورة المرأة إلى مقام الشراكة الواعية، باعتبارها عنصرًا مسؤولًا في بناء المجتمع المؤمن، تُبايع، وتلتزم، وتتحمل تبعات الاختيار الإيماني، لا تابعًا عاطفيًا ولا كيانًا هامشيًا.

أما في **مجال السنن الإلهية**، فتختم السورة برسالة كلية مفادها أن النصر والتمكين مشروطان بمفاصلة إيمانية واضحة، لا لبس فيها ولا ازدواج، وأن أي تمييع في الولاء أو تردد في الموقف يُفضي حتمًا إلى الخذلان قبل المواجهة.

الربط مع ما قبلها:

يأتي ترتيب سورة الممتحنة بعد سورة الحشر في سياق قرآني بالغ الإحكام، يكشف عن بناء متكامل ينتقل من توصيف الواقع إلى تقنين التعامل معه.

ففي **سورة الحشر** يُفضَح نموذج الخيانة عمليًا، وتُعرَض سنن النصر والهزيمة من خلال كشف تهاوي التحالفات الزائفة، وبيان عاقبة من خان العهد وراهن على قوة غير قوة الله. هناك يُعرِّي القرآن واقع الأعداء وحلفائهم، ويُظهر هشاشتهم عند لحظة المواجهة، لتتجلى السنن الإلهية في سقوط من انقطع عن الله واعتمد على غيره.

ثم تأتي **سورة الممتحنة** لتبني على ذلك الواقع المكشوف، فتنتقل من العرض إلى **التقنين**، ومن التشخيص إلى **التوجيه**. فهي لا تكتفي ببيان خيانة الأعداء، بل تضع القواعد التفصيلية التي ينبغي أن يضبط بها الصف المؤمن علاقاته ومواقفه، وتُحدِّد الامتحان الحقيقي للانتماء الإيماني في زمن الاختلاط والضغط.

وبذلك يمكن القول إن: سورة **الحشر** تمثل **الواقع العملي لخيانة الأعداء وسقوطهم،**

بينما سورة **الممتحنة** تمثل **الدليل المنهجي لكيفية التعامل مع هذا الواقع**، حمايةً للصف، وصيانةً للولاء، وضبطًا للعلاقات على ميزان الإيمان لا الانفعال.

للتأمل الذاتي :

تدعونا السورة للتوقف عند أنفسنا ومراجعة مواقفنا الحقيقية، لا مجرد معلوماتنا النظرية:

- هل **مشاعري السياسية والإنسانية** منضبطة بضوابط شرع الله، أم أن العاطفة تحكم اختياراتي أحيانًا؟
- هل أستطيع **التمييز بين من يعاديني ومن لا يحاربني**، فلا أظلم من لم يظهر عداءً، ولا ألين مع من اختار الحرب؟
- هل أمارس **الولاء والبراء** كما علمنا إبراهيم عليه السلام، أم أخلط بين الانتماء العقائدي والعاطفي؟
- هل أنا **صادق في بيعتي مع الله**، ملتزمًا بالإخلاص والطاعة، كما بايعت الصحابيات المؤمنات، أم أني أتنازل عن ثوابت الوفاء في المواقف الحاسمة؟

هذه التأملات تجعل السورة ليست مجرد نص للتفسير، بل **مرآة لفحص الصدق الإيماني والالتزام العملي** في حياتنا اليومية.

خاتمة: سورة الممتحنة – مدرسة في الولاء والتمييز الاستراتيجي

تقدم سورة الممتحنة **منهجًا عمليًا دقيقًا** في ضبط الولاء والبراء، وتوضيح كيف يُميّز المؤمن بين الصادق والكافر، بين العدو والمعتدل، بين ما هو واجب وما هو محظور، فهي مدرسة تعلم أن **الإيمان ليس شعورًا عابرًا ولا انفعالًا عاطفيًا**، بل موقف واعٍ، وفحص مستمر للولاء والانتماء، واتخاذ القرار وفق ضوابط شرعية واضحة، وتختم السورة بأمر صريح يحفظ هذا المنهج:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ

أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾، لتذكّر المؤمن أن الولاء الحق **ميثاق إيماني لا يُساوم فيه، وأن التمييز الاستراتيجي ضرورة لحماية الصف وصدق الانتماء.**

سورة الصف

الاسم والدلالة: سُمّيت سورة **الصف**[1] لورود مبدأ الصف الصارم والوحدة في بنيتها التشريعية والقتالية، كما في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾﴾، فالسورة لا تتحدث عن تنظيم عسكري فحسب، بل عن **بناء جماعة مؤمنة متماسكة** في العقيدة والسلوك، تتسق قلوب أفرادها وأفعالهم، فتتشكل منظومة إيمانية متكاملة تبدأ بالصدق وتنتهي بالنصر.

مجال البناء القرآني:

الصف هنا ليس مجرد هيئة حربية أو ترتيب خارجي، بل **منظومة قيمية متكاملة:** الالتزام بالصدق، الطاعة لله ولرسوله، الانضباط في القول والعمل، التضحية في سبيل الحق، والتكامل في المصلحة المشتركة. كل هذه العناصر تشكل قوة الجماعة، وتؤسس قاعدة ثابتة للنصر الإيماني والاجتماعي.

المقصد العام للسورة:

تدعو السورة المؤمنين إلى **التوحّد في القول والعمل،** إلى تكوين صف متراص في الجهاد والدعوة، وتحذر من **التناقض بين الأقوال والأفعال،** باعتباره سببًا لتفكك الجماعة وضعفها، كما تُبرز السورة أن **النصر وعد إلهي للمصلحين الصادقين،** مؤكدًا أن هذا الوعد تم الإشارة إليه سابقًا في الكتب السماوية السابقة، من توراة وإنجيل، لتكون الوحدة والعمل الصادق طريقًا لتحقيقه.

[1] قال الهرري:" سميت سورة الصف لذكر الصف فيها. وقال أبو عبد الله محمد بن حزم: سورة الصف كلها محكمة، ليس فيها ناسخ ولا منسوخ." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج29ص241.

البنية الموضوعية لسورة الصف

تتميز سورة الصف ببنية متدرجة تجمع بين التسبيح، التحذير، القدوة العملية، والتوجيه العملي للجماعة المؤمنة، فتنسج خيوط الرسالة القرآنية من البداية إلى النهاية:

تبدأ السورة **بتسبيح الكائنات** في الآية (1)، فتفتتح بالسياق الكوني الذي يهيئ القلوب للتقوى والانضباط.

ثم تنتقل إلى **إنكار القول بلا فعل** في الآيات (2–3)، موضحة أن أعظم المقت عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، ليكون الفعل متسقًا مع القول، أساسًا لأي صف متين.

في الآية (4)، تُقدّم **صف المؤمنين المحبوب إلى الله** كقدوة، مُشبهًا إياهم بـ"بنيان مرصوص"، نموذجًا للوحدة والتلاحم.

بعد ذلك، تعرض السورة **قصة موسى وقومه** في الآية (5)، لتكون **نموذجًا للخيانة داخل الصف**، وتحذيرًا من التهاون أو التفرق داخل الجماعة.

ثم تُشير إلى **دعوة عيسى عليه السلام وبشارة محمد** ﷺ في الآية (6)، داعيةً إلى الإيمان الحق، ومُعلنة استمرار الوعد النبوي ووحدة الرسالات في نصرة الحق.

وتأتي الآيات (7–9) لتحذر من من يحاولون **إطفاء نور الله**، مؤكدة أن الله متم نوره، وأن الإيمان الصادق سيبقى متماسكًا رغم المؤامرات.

في الآيات (10–13)، يُقدّم القرآن **نموذج تجارة تنجي من العذاب**، أي سلوك عملي يرتكز على الإيمان والعمل الصالح، ليكون الدليل العملي على صدق الصف.

وتُختتم السورة في الآية (14) **بالنداء للجهاد الجماعي**، حيث آمن فريق وكفر فريق، مؤكدًا أن الوحدة والتماسك الإيماني هما السبيل للنجاح، بينما التفرق والخيانة تؤدي إلى الهزيمة.

(1): كل شيء يسبّح... فهل أنت من المسبّحين؟

تفتتح السورة بالتسبيح الكوني: ،﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ لتضع المؤمن أمام نموذج عالمي من الانضباط المطلق والطاعة الكاملة لله.

الرسالة الاستراتيجية:

إذا كان كل الكون خاضعًا لنظام الطاعة والسبحان، فكيف يُعقل أن يتخلف الإنسان المؤمن عن الانسجام مع هذا النظام؟ هذه الآية تضع **المعيار الأول للصف الصادق:** الانضباط الإيماني يبدأ بالاقتداء بنظام الكون في طاعته لله، قبل أي ترتيب أو تنظيم بشري.

(2–3): لا تقولوا ما لا تفعلون

تحذر هذه الآيات من **التناقض بين القول والفعل**، مؤكدة أن أعظم المقت عند الله هو أن يدّعي الإنسان شيئًا لا يلتزم به:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ .

الرسالة الاستراتيجية:

الخلل الأول في الصف ليس ضعف العتاد أو قلة العدد، بل **فساد الالتزام الداخلي**، والنفاق العملي داخل الجماعة أخطر من أي تهديد خارجي، لأنه يُفكك الصف من الداخل ويقوض قوته قبل المواجهة، و الصدق في القول والفعل هو أساس قوة أي جماعة مؤمنة متماسكة.

(4): صفّ الله المحبوب

تقدّم الآية نموذج الصف المؤمن الذي يحظى **بحب الله**:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ ، مشيرةً إلى أن القوة الحقيقية ليست في الأفراد منفصلين، بل في **تماسك الجماعة واتحادها في الهدف والعمل.**

الرسالة الاستراتيجية:

الحب الإلهي للصف مشروط **بوحدة الصف وترصّفه**، فالصف المرصوص هو سر النصر الإيماني والاجتماعي، بينما العدد الكبير أو السلاح وحدهما لا يحققان الفوز. الانضباط والوفاء المتبادل داخل الصف هما ما يُثبت الهيبة والنجاح في مواجهة التحديات.

(5): مثال على كسر الصف – قوم موسى

تستعرض الآية نموذجًا تاريخيًا لتحذير المؤمنين من **اختلال الصف الداخلي:** ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾. هنا يظهر كيف يؤدي **الإعراض عن الالتزام والتمرد على الصف** إلى تفكك الروح الجماعية وفقدان التوفيق الإلهي.

الرسالة الاستراتيجية:

من يخذل الصف يزيغ الله قلبه، ومن يضعف التلاحم أو يخالف النظام الداخلي للجماعة، يسقط عن الصف **البركة والقوة**، حتى لو كان العدد والسلاح متوفرين. الصدق والانضباط هما الأساس الذي يبنى عليه نجاح أي جماعة مؤمنة.

(6): مثال آخر – عيسى وبشارة النبي ﷺ

تقدّم الآية نموذجًا آخر لتوجيه الصف نحو الوحدة والهدف الأعلى: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾، حيث بشّر عيسى عليه السلام برسول الله ﷺ، مشيرًا إلى استمرار الدعوة الإلهية وتكامل الرسالات.

الرسالة الاستراتيجية:

البشارة بالنبي ﷺ تمثل **دعوة أممية لتوحيد الصف العالمي للإيمان**، لتتجاوز الانقسامات القبلية والاجتماعية. فالرسول الخاتم ﷺ هو **نقطة ارتكاز الصف الأخير**، حولها تتجمع الجماعة الصادقة، ويُبنى عليها تلاحم المؤمنين وتحقيق النصر الإيماني.

(7–9): يريدون ليطفئوا نور الله... ولكن!

تكشف هذه الآيات عن محاولات الأعداء لإطفاء النور الإلهي، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾، لكنها تؤكد أن **الله متم نوره**، وأن مشروع النبي ﷺ هو **نور إلهي مستمر لا يزول مهما تكاثرت المؤامرات:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾.

الرسالة الاستراتيجية:
النور الإيماني لمشروع محمد ﷺ **لا يُقهر بالإرادات البشرية**، لكنه **يُستمر وينتصر عبر صفّ مرصوص من المؤمنين**، جماعة متماسكة منضبطة، لا جماعات متفرقة. قوة المشروع ترتبط مباشرة بتماسك الصف وصدق الالتزام الداخلي، وليس بالعدد أو القوة المادية وحدها.

(10–13): صفقة النجاة... جهاد بالمال والنفس

تُبيّن هذه الآيات أن **الإيمان وحده لا يكفي** لتحقيق النصر، بل لابد من **الجهاد الحقيقي بالمال والنفس:** ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ .الجهاد هنا ليس مجرد قتال، بل **التزام شامل بالعمل الصالح والبذل الفعلي** من أجل الهدف الإيماني الجماعي.

الرسالة الاستراتيجية:
النجاة والتمكين **لا تُشترى بالدعاء وحده**، بل تتحقق **بالموقف العملي الصادق**. مشروع الصف المرصوص قائم على **التضحية والبذل قبل انتظار النصر**، وما يُقدّم من الجهد والإخلاص هو ما يُثبت الصف ويحقق قوته.

(14): انصروا الله... ليجعل منكم أنصارًا

تختتم السورة بالتأكيد على **نتيجة الالتزام الصادق والصف المتماسك:**﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ . فالحق **يعلو ويظهر** حين يتبناه الصادقون من المؤمنين الذين يشكلون صفًا متراصًا ومتماسكًا، متحدين في القول والعمل.

الرسالة الاستراتيجية:

صفّ المؤمنين **دائمًا منتصر** عندما يكون **صدقه كاملاً وتلاحمه متينًا.** النصر لا يأتي من العدد أو القوة وحدها، بل من التمسك بالإيمان والعمل الصادق، والانضباط الجماعي الذي يحقق ظهور الحق وعلو مكانة الصف الإيماني.

خلاصة تفسير سورة الصف

تقدّم سورة الصف **منهجًا متكاملاً لبناء الصف الإيماني والجماعي،** بحيث يربط بين العقيدة والسلوك والنتائج العملية:

في **مجال الإيمان،** تؤكد السورة أن **صدق القول شرط أساسي في أهل الصف،** فلا مكان للنفاق أو التظاهر، فالقول والفعل يجب أن يكونا متطابقين لضمان قوة الصف.

أما في **مجال الجماعة،** فالوحدة الحقيقية **لا تُبنى بالكلام أو الوعود فقط، بل بالثبات والالتزام العملي،** حيث الانضباط والتلاحم الداخلي هو أساس قوة أي جماعة مؤمنة.

في **مجال السنن الإلهية،** تُظهر السورة أن **النصر مشروط بالبذل والتضحيات الواقعية،** لا يتحقق بمجرد التمني أو الدعاء، بل بالعمل الصادق والجهاد المستمر.

أما **الرسالة العامة،** فهي أن **محمد** ﷺ **خاتم صف الرسل، وصفه يجب أن يُبنى** في كل جماعة مؤمنة، كقدوة ومعيار للتلاحم والتماسك الإيماني.

وفي **مجال الاستمرارية**، تؤكد السورة أن **النور الإيماني لا يُطفأ أبدًا**، لكن من يحمل شعلة هذا النور؟ الجواب هو الصف المرصوص الصادق، الموحد في القول والفعل، المستمر في حماية مشروع الحق وتحقيقه.

الربط مع ما قبلها:

يُبرز التسلسل بين السورتين **بنية قرآنية متكاملة**، تنتقل من التشخيص والتقنين إلى البناء العملي:

- **سورة الممتحنة** ركّزت على **المفاصلة مع أعداء الله واختبار الولاء**، أي على تحديد من هو داخل الصف ومن هو خارجه. فهي تضع المعايير التفصيلية للتمييز بين المؤمن الحقيقي ومن لا ينتمي للجماعة الصادقة.
- **سورة الصف** تبني على ذلك الأساس، فتركز على **بناء الجماعة الصادقة للتمكين وتحقيق المشروع الإيماني**. أي أن الصف يُكوَّن من الذين ثبتوا بالاختبار وأظهروا الصدق والتضحية، فيصبحون عناصر فعالة في الجهاد والعمل الصالح، على قاعدة الصدق، الوحدة، والجهاد. فالممتحنة : **تمييز من هو داخل الصف ومن هو خارجه** والصف : **بناء قوة الصف من الداخل على أساس الصدق والجهاد والالتزام الجماعي**

للتأمل الذاتي :

تدعونا السورة للتوقف عند أنفسنا ومراجعة مواقفنا تجاه الصف الإيماني والجماعة:

- هل **أقول ما لا أفعل**، أم أن فعلي يطابق كلامي ويعكس صدقي؟
- هل أشبه **البنيان المرصوص** في تلاحمي مع الإخوة، أم أني ثغرة تضعف الصف؟
- هل أنا **في الصف أصلاً**، أم مجرد متفرج لا يلتزم ولا يشارك؟
- هل **دفعت الثمن من مالي ونفسي** في سبيل الله، أم اكتفيت بالدعاء والكلام؟
- هل **أحمل نور الله**، وأساهم في استمرار مشروع الحق، أم أتركه يخبو من حولي؟

هذه التأملات تجعل السورة **مرآة لفحص الانضباط الإيماني والجماعي**، وتضع المؤمن أمام مسؤولياته الحقيقية تجاه ذاته وجماعته ودينه.

خاتمة: سورة الصف – دستور صناعة الجماعة المنتصرة

تقدّم سورة الصف **منهجًا متكاملًا لبناء الصف الإيماني القوي**، يبدأ بتصحيح الذات والصدق في القول والفعل، ثم **التماسك والانضباط الجماعي**، يليهما **البذل والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله**، لينتهي بتحقيق **النصر الإيماني والاجتماعي**.

فالصف المرصوص هو **سر القوة والتمكين**، كما جاء في الوصف الإلهي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ ، مؤكدًا أن وحدة الصف وصدق التزام أفراده هما ما يرفع مكانة الجماعة ويحقق ظهور الحق.

سورة الجمعة

الاسم والدلالة: سُمّيت سورة **الجمعة**[1] لورود ذكرها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾، فالجمعة هنا ليست مجرد **صلاة وقتية**، بل **منظومة استدعاء إيماني وعلمي وروحي**، تهدف إلى إعادة ربط الأمة بالله، والرسول ﷺ، والمشروع الحضاري للنهضة.

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الجمعة لاشتمالها على الأمر بإجابة النداء لصلاة الجمعة، في قوله تعالى: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ..} ." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق،ج28ص181.

مجـــــــــــــــــال البنـــــــــــــــــــاء القرآنـــــــــــــــــي:

السورة تُظهر أسس النهضة المؤمنة على ثلاثة أعمدة:

1. **الارتبـاط بالرسـول ﷺ:** إذ هو المعرّف للهدايـة وموجـه الأمـة نحـو النـور بـالعلم والعمل.
2. **التمييز بين أهل العلم الحقيقي والمعطل:** بين من حملوا التوراة وأدوا مسؤوليتها، ومن حُمّلوا دون أن يحملوا، ليكون معيار التقدم هو العمل الصادق بالعلم وليس التظاهر أو الوراثة العلمية.
3. **حماية الصف من الركض وراء الدنيا:** فالانشغال بالدنيا عند نداء الله يُضعف الأمة ويعيق نهضتها، بينما التوازن بين العلم والإيمان والانقياد العملي يحقق صعودها الحضاري.

المقصـــــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:

تدعو السورة الأمة إلى **الخروج من الظلمات إلى النور**، عبر **الصدق في الانقياد**، **والموازنة بين العلم والعمل**، **والارتباط الحقيقي بالرسول ﷺ**، وتحذر من الانحراف وراء الدنيا والركض خلف متاعها عند نداء الذكر، لأن النهضة الشاملة لا تتحقق إلا بالوعي الإيماني والعمل الصادق.

البنية الموضوعية لسورة الجمعة

تتوزع سورة الجمعة على محاور متكاملة تجمع بين التسبيح، البيان النبوي، التحذير، والتوجيه العملي:

تبدأ السورة بـ **تسبيح الكائنات لله** في الآية (1)، كافتتاح كوني يوحي بجلال الخالق ويهيئ القلوب للاستجابة.

ثم تنتقل إلى **بعثة النبي ﷺ ووظيفته** في الآيات (2–4)، مركزة على ثلاثة أبعاد: **التلاوة**، **التزكية**، **والتعليم**، لتوضيح مهمة الرسول في إخراج الأمة من الظلمات إلى النور.

في الآية (5)، تُعرض **مثل الذين حُمّلوا التوراة ولم يحملوا مسؤوليتها**، موضحة كمثل **الحمار يحمل أسفارًا**، لتبيّن الفارق بين العلم المعلن والعمل الصادق.

تأتي الآيات (6–8) لتبيّن **تمني الموت وفضح التناقض**، فالرغبة الحقيقية في الآخرة تكشف عن صدق الإيمان، بينما التعلق بالدنيا يفضح الانحراف والتراجع عن الواجبات.

وتختتم السورة بالآيات (9–11) **بالنداء إلى الجمعة وسلوك المؤمنين**، مؤكدة أن **الذكر أولى من اللهو والتجارة**، وأن الانصراف إلى الله والعمل الصالح هو الأساس في بناء نهضة الأمة.

(1): تسبيح لله... توحيد البداية

تفتتح السورة بالتسبيح الكوني: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾، موضحة أن كل شيء في الكون **خاضع لله ويعكس جلاله وتنظيمه**.

الرسالة الاستراتيجية:

منظومة الإصلاح **لا تبدأ إلا من التوحيد الكامل**. إذا كان كل الكون خاضعًا لله، فهل الأمة أيضاً تخضع لنظامه؟ هذا التسبيح الكوني يضع معيارًا أساسيًا للنهضة: **الارتباط بالله كشرط أول لأي إصلاح إيماني وعلمي واجتماعي.**

(2–4): بعثة محمد ﷺ – مشروع الأمة الكبرى

توضح هذه الآيات مهمة النبي ﷺ في **قيادة نهضة الأمة**: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

نهضة الأمة **تبدأ بالعلم والتزكية**، فالرسالة النبوية تجمع بين التوجيه العقائدي والتعليم والعمل

الصالح. كما أن المشروع **عالمي وليس مقصورًا على العرب**، فالدعوة تمتد لكل الأمم: الأمة الكبرى هي من يتحقق فيها العلم، الصلاح، والانقياد العملي لله ورسوله ﷺ.

(5): التشبيه الخطير... الحمار الحامل للأسفار

تقدّم الآية تحذيرًا صادمًا لمن **يحمل العلم دون أن يطبقه:** ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

العلم **دون عمل** يُصبح **مهلكة وخيانة علمية**. هذا التشبيه يذكّر المسلمين بأن **المعرفة بلا تطبيق تفضي إلى الضعف والانحراف**، وهو تحذير من مصير أهل الكتاب الذين عطّلوا مسؤوليات علمهم، فالنهضة الحقيقية تتطلب **علمًا نافعًا مترافقًا مع الالتزام والعمل الصادق.**

(6–8): اختبار الصدق... تمنّوا الموت إن كنتم صادقين!

توضح الآيات أن **دعوى الاصطفاء والولاء لله** تُختبر بالموقف العملي في أصعب اللحظات: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الصدق الإيماني **لا يُقاس بالكلام والخطابات فقط**، بل يظهر في **الزهد والتضحية**، في لحظة الاستعداد لمواجهة الموت أو التخلي عن متاع الدنيا. هذا الاختبار يكشف من هم **أولياء الله الحقيقيون**، ويؤكد أن النهضة لا تقوم إلا على **الصدق العملي والالتزام المطلق.**

(9–11): النداء العظيم... لا تتركوا الذكر من أجل الدنيا

توجه هذه الآيات المؤمنين للانصراف عن كل ما يشغلهم عن **نداء الجمعة**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الصلاة **ليست مجرد عبادة شخصية أو عزلة عن الواقع**، بل **محور للإصلاح الحضاري**. يوم الجمعة يجمع بين الذكر والعمل والدنيا، لكن الأولوية **للارتباط بالله والانقياد لنداء الحق**، فالنهضة الحقيقية لا تتحقق إلا حين يضع المؤمن **ذكر الله على مقدّم الأولويات**، حتى في ظل مشاغل الحياة والتجارة.

خلاصة تفسير سورة الجمعة

تقدّم سورة الجمعة **منهجًا متكاملاً للنهضة الإيمانية والعلمية والروحية للأمة**، يجمع بين البعثة، العلم، العبادة والسلوك:

- **البعثة:** الإصلاح يبدأ عبر **التلاوة، التزكية، والتعليم**، فالرسول ﷺ هو المعلم والمربّي لهداية الأمة.
- **العلم:** العلم بلا عمل **مهلك وخطر على حامل العلم**، فالمعرفة تحتاج إلى تطبيق والتزام عملي.
- **الرسالة:** الرسالة ليست محصورة بأمة أو لغة، بل **عالمية**، موجهة للأميين وغيرهم من الأمم.
- **العبادة: الذكر مقدم على التجارة**، فالارتباط بالله يجب أن يكون الأولوية، حتى في مشاغل الحياة والدنيا.
- **السلوك: لا تنشغلوا عن الجمعة بالدنيا** مهما كانت الأرباح، فالنهضة الحقيقية تتطلب الانقياد العملي للنداء الإلهي والعمل الصادق في إطار الجماعة المؤمنة.

الربط مع ما قبلها:

تتواصل البنية القرآنية المتكاملة بين السورتين، كل واحدة تكمل الأخرى:

- **سورة الصف** ركّزت على **بناء الصف المرصوص بالقوة، الصدق، والجهاد**، أي بناء الجماعة المؤمنة على الالتزام العملي والانضباط الجماعي في سبيل الحق.
- **سورة الجمعة** تأتي لتغذي هذا الصف **علمًا وتزكية واستجابة لنداء الله**، فتربط بين القوة العملية وبين الارتباط الإيماني والعلمي، لتكون النهضة متكاملة بين **البناء الجماعي القتالي الصادق** و**البناء العلمي التزكوي الحضاري**.

باختصار: الصف يوفر **الصلابة والانضباط**، والجمعة توفر **العلم والتزكية والانقياد العملي للنداء الإلهي**، ليكون المؤمنون قادرين على النهوض بأمتهم على أساس متين.

للتأمل الذاتي :

تدعو السورة كل مؤمن إلى **مراجعة موقفه الشخصي من العلم والعمل والعبادة الجماعية:**

- هل **أحمل العلم وأطبقه**، أم أكتفي بحمله دون عمل؟
- هل **أجيب نداء الجمعة**، أم تشتتني مشاغل الأسواق والدنيا؟
- هل أؤمن بـ**عالمية الرسالة**، أم أحصرها في قومي أو محيطي الضيق؟
- هل أشبه **الحمار الحامل للأسفار** بلا فائدة، أم أنا من **يعمل بما يعلم ويطبق العلم في حياته؟**

هذه التأملات تجعل المؤمن **يوازن بين العلم والعمل والانقياد العملي لله**، وتكشف عن مدى التزامه بالنهضة الإيمانية والعلمية المنهجية التي تؤسسها السورة.

خاتمة: سورة الجمعة – مرآة الأمة ونهضتها

تقدّم سورة الجمعة **مرآة أمام الأمة** لتفحص موقفها من العلم والعمل والعبادة الجماعية:

- إن **استجابت لنداء الله ورسوله ﷺ، وتزكّت، وعملت بعلمها**، فإنها **تسير نحو النصر والرفعة الحقيقية.**

- وإن لم تفعل، فإنها تصبح **كأهل الكتاب الذين حمّلوا ثم ضيّعوا مسؤوليات علمهم**، محذّرة من ضياع النهضة والفرصة.

سورة المنافقون

الاسم والدلالة: سُمّيت سورة **المنـافقون** [1] لافتتاحها بفضح حال المنافقين، ولإظهار **خطرهم المباشر على الصف والجماعة المؤمنة**. النفاق هنا ليس مجرد كذب أو تضليل ظاهر، بل **مرض استراتيجي ينهش الصف من الداخل**، يفسد الثقة بين أفراد الجماعة، ويعيق تحقيق النصر.

مجـــــــــــــال البنـــــــــــــاء القرآنـــــــــــــي:

السورة تشريح دقيق **للنفاق السياسي والاجتماعي داخل المجتمع الإسلامي الناشئ**، بحيث تكشف صفاتهم، و أساليبهم، وأثرهم الهدام، وتوضح **التمييز الواجب بين المؤمنين والمنافقين** لضمان صلابة الصف واستمرار المشروع الإيماني.

المقصد العام للسورة:

- فضح حقيقة المنافقين وصفاتهم التخريبية.
- بيان أثرهم المدمر داخل الصف الإسلامي.
- التحذير من الركون إلى أموالهم وأولادهم.
- الدعوة إلى **الصدقة الخالصة لله**، التي **تطهّر النفس وتقوّي الصف**، وتعيد التوازن بين الدين والعمل الصالح داخل الجماعة.

السورة إذًا **مرآة لاختبار الصف وصيانته من الداخل**، وتؤكد أن قوة الصف **لا تتحقق إلا بالصدق، الإنفاق في سبيل الله، والانضباط الإيماني الجماعي.**

---

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ «سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ» اعْتِبَارًا بِذِكْرِ أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ فِيهَا. وَوَقَعَ هَذَا الِاسْمُ فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ قَوْلُهُ: «فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ»" محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق،ج28ص231.

البنية الموضوعية للسورة:

تتوزع سورة المنافقون على محاور متكاملة تكشف **حقيقة المنافقين وأثرهم داخل الصف:**

- **الآيات 1–3:** بيان صفات المنافقين في القول والكذب، وكيف يخفون الحقيقة ويضلّون الناس بالكلام المعسول.
- **الآية 4:** الإعجاب بالمظهر الخارجي وخواء الجوهر، فالمنافق يبدو صالحًا لكنه فارغ داخليًا.
- **الآيات 5–8:** مواقفهم التخريبية ومحاولاتهم لإقصاء المؤمنين وإفساد الصف من الداخل.
- **الآيات 9–11:** تحذير من الغفلة عن أمرهم، وأمر بالإنفاق الصادق قبل فوات الأوان، ليبقى الصف قويًا متماسكًا ويُحصن من الأذى الداخلي.
- **(1–3): المنافقون... كذبة باسم الإيمان**

توضح هذه الآيات حقيقة المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾.

- **الرسالة الاستراتيجية:**

المنافق **لا يعارض الإسلام علانية**، بل يخترقه من الداخل عبر **الشهادات الكاذبة والتصريحات المنافقة**. هذا النوع من النفاق **يهدد الصف ويُضعف الثقة** بين المؤمنين، ويجعل الجماعة عرضة للتشويش والانقسام إذا لم تُكشف دوافعهم وأفعالهم.

- **(4): يفتنونك بالمظهر... وهم أعدى العدو**

تبيّن الآية خطورة المنافقين المخادعين: ﴿۞وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾.

الرســــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

النفاق السياسي **يتجمل بالأناقة والكلام المعسول** ليظهر كما لو كان صادقًا، لكنه في الواقع **خنجـــــــــــــــر فـــــــــــــي ظهـــــــــــــــر الصـــــــــــــف.**

العدو الحقيقي **ليس دائمًا من الخارج**، بل من **يتسلل إلى قلب الجماعة ويخدع بظاهره**، لذا يجب اليقظة والكشف عن نواياه قبل فوات الأوان.

- **(5–8): موقفهم من الدعوة... إقصاء واستعلاء**

توضـــح هـــذه الآيـــات نوايـــا المنـــافقين تجـــاه الجماعـــة والمســـلمين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ .

الرســــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

المنافق **يسعى للسلطة والسيطرة على المدينة**، لكنه لا يفعل ذلك باسم الشريعة أو خدمة للإسلام، بل عبر **الإقصاء والاستعلاء والاستغلال السياسي والاجتماعي.** هدفه **إضعاف الصف وكسر التماسك الداخلي**، وليس خدمة الدعوة أو مصلحة الأمة، مما يحتم على المؤمنين **الوعي والاستعداد لمنع اختراق الصف من الداخل.**

خلاصة السورة:

تقدّم سورة المنافقون **منهجًا استراتيجيًا لفهم النفاق الداخلي وحماية الصف الإسلامي:**

- **النفاق:** خطر داخلي **أخطر من العدو الظاهر والكافر الخارج**، لأنه يضعف الثقة ويهدم التماسك من الداخل.
- **القيادة: ليست لمن يتجمّل ويُداهن**، بل لمن يصدق ويُضحي ويعمل للصف والجماعة.
- **الأمن الجماعي:** يتطلب **اليقظة والحذر من الاختراق الداخلي**، لا الاقتصار على المواجهة الخارجية.

- **الغفلة:** الانشغال بالدنيا **يفتح الباب للنفاق العملي** ويضعف الصف.
- **الوقايـة: الصـدقة الخالصـة لله** تقي من فساد القلب وتحصّن الجماعة ضد التملق والخداع الداخلي، فتثبت الصف وتُعزز الانضباط الإيماني.

الربط مع ما قبلها:

تتواصل البنية القرآنية المتكاملة بين السورتين في **صيانة الصف وبناء الأمة:**

- **سورة الجمعة** ركّزت على **العلم والعمل والانقياد للرسالة**، أي تأسيس جماعة قائمة على العلم، التزكية، والالتزام العملي للنهضة الإيمانية.
- **سورة المنافقون** تحذر من **من يتظاهر بالعلم والدين لكنه يفسد الصف من الداخل بالكذب والنفاق**، ليظهر كيف يمكن للجماعة أن تُنهار لو لم تُحصن ضد الاختراق الداخلي.

باختصار: **الجمعة تبني الجماعة، والمنافقون يوضحون الأخطار الداخلية التي تهدد هذه البنية**، فتكتمل صورة حماية الصف وصيانته من الداخل والخارج معًا.

للتأمل الذاتي :

تدعو السورة المؤمن إلى **مراجعة نفسه وحماية الصف من الداخل:**

- هل **أقول ما لا أفعل**، أم ألتزم بالصدق في القول والفعل؟
- هل **أُظهر غير ما أبطن**، أم أكون صادقًا أمام الله والناس؟
- هل أهتم **بالمظهر أكثر من الجوهر**، أم أعطي الأولوية للصدق والنزاهة؟
- هل أُفضل **مالي وولدي على دعوة الله**، أم أضع المصلحة الإيمانية أولًا؟
- هل أنا **سبب في وهن الصف** بالتخاذل أو النفاق، أم أُعزز قوته بالصدق والعمل والتضحية؟

هذه التأملات تجعل المؤمن **يدرك موقعه الحقيقي داخل الصف** ويحفزه على **التزكية، الإنفاق الصادق، والالتزام الإيماني** لتقوية الجماعة وحمايتها من الاختراق الداخلي.

خاتمة: سورة المنافقون – إنذار مبكر للصف الإسلامي

تقدّم سورة المنافقون **تحذيرًا استراتيجيًا لكل مشروع دعوي أو سياسي أو مجتمعي:**

- العدو الأخطر **ليس دائمًا من الخارج**، بل من **يتسلل إلى قلب الصف ويظهر خلاف ما يبطن.**
- المنافقون **يفسدون الثقة ويضعفون التماسك الداخلي**، مما يجعل الجماعة عرضة للفشل والانقسام. تحذير القرآن واضح:﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾. ليكون الصف **اليقظ والواعي، ثابتًا على الصدق والعمل والإخلاص**، محافظًا على قوته واستمراريته في مواجهة كل الأخطار.

سورة التغابن

الاسم والدلالة: سُمّيت سورة **التغابن**[1] لورود ذكرها في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾

مصطلح "التغابن"[2] مشتق من **الغُبن والنقص والخسارة**، ويقصد به **يوم تتمايز فيه المواقف ويظهر من الرابح ومن الخاسر الحقيقي.** السورة تؤكد أن **الخسارة الكبرى ليست في الدنيا، بل في الآخرة**، حين يخسر الإنسان دينه مقابل متاع زائل.

المقصد العام للسورة:

- بيان حقيقة الإيمان بالله وقدره، وضرورة **الثبات على الصدق والعمل الصالح.**

---

[1] قال الهرري:" سميت بلفظ التغابن لذِكره فيها." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج29ص355.

[2] قال عبد الباري،:" التغابن غبن أهل الجنة أهل النار. وللطبري من طريق شعبة عن قتادة: يوم التغابن يوم غبن أهل الجنة أهل النار" عبد المجيد الشيخ عبد الباري،، **الروايات التفسيرية في فتح الباري**، رسالة دكتوراة.. قال مؤلفها: عزمت على جمع تلك الروايات في مكان واحد وترتيبها وتخريجها وبيان درجتها من الصحة، الناشر: وقف السلام الخيري، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م،ج3ص1216.

- التذكير بيوم التغابن الذي **يتمايز فيه أهل الإيمان والعمل عن أهل الغفلة والعناد.**
- توجيه المؤمنين إلى **التحلي بالإيمان وضبط العلاقات الأسرية والمادية.**
- **الطاعة والإنفاق في سبيل الله** هما طريق النجاة الحقيقي والفوز في يوم الحساب، بينما الغفلة عن ذلك تؤدي إلى الخسران العظيم.

السورة إذًا **تجمع بين التذكير بالمصير الإيماني والتحذير من التعلق بالدنيا**، لتكون دليلاً على **أولوية الدين والعمل الصالح في حياة المؤمن.**

البنية الموضوعية للسورة :

تتوزع سورة التغابن على محاور رئيسية توضح **حقيقة الإيمان والعمل والنجاة من الخسارة الكبرى:**

- **الآيات 1–4:** تسبيح لله وتقرير الإيمان به، وترسيخ اليقين بقدر الله وحكمته.
- **الآيات 5–9:** مشاهد يوم القيامة ويوم التغابن، حيث يُبين من الرابح والخاسر الحقيقي.
- **الآيات 10–11:** موقف أهل الكفر، وبيان قدرة الله في التمييز بينهم وبين المؤمنين.
- **الآيات 12–13:** الأمر بالطاعة والإنفاق في سبيل الله كسبيل للنجاة والفلاح.
- **الآيات 14–15:** التحذير من فتنة الأهل والمال التي قد تشتت القلب وتؤدي إلى الخسارة.
- **الآيات 16–18:** التوجيه للاستمرار في الإنفاق، والصبر، والتقوى كأساس لتثبيت الإيمان وحفظ الصف الداخلي للمؤمنين.

(1–4): الله يعلم كل شيء... فآمن به وارجع إليه

توضح هذه الآيات حقيقة الإيمان والابتلاء: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

السبيل إلى النجاة يبدأ بالتسبيح لله والاعتراف بقدرته وعلمه المطلق.

- الخلق **ليس عبثًا، بل ابتلاء**، فمن ثبت بالإيمان ورضا بالقضاء والقدر، يكون مستعدًا ليوم التغابن.
- الإدراك أن بعض الخلق مؤمن وبعضه كافر **يحدد المواقف الصحيحة** في الحياة ويقوي الثقة في عدل الله وحكمته.

(5–9): يوم التغابن... المشهد الفاصل

توضح هذه الآيات طبيعة يوم التغابن وفصل المواقف: ﴿...ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

- **ليس كل رابح في الدنيا رابحًا في الآخرة**؛ فالمكاسب الدنيوية لا تضمن النجاة الإيمانية.
- هناك من **يُخدع بنفسه وبدينه مقابل متاع زائل**، وهناك من **يحقق الفوز الحقيقي بثباته على الإيمان والعمل الصالح.**
- **الإيمان والعمل هما بطاقة الفوز والنجاة في يوم الحساب**، بينما الغفلة عن ذلك تؤدي إلى الخسارة الكبرى.

(10–11): القدر الإلهي... والقبول به

توضح هذه الآيات حقيقة **القدر والطمأنينة الإيمانية**: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١١﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

- **فهم القدر الإلهي يسكن النفس** ويمنع اضطرابها أمام الشدائد والمحن.
- **الاستسلام لله في البلاء** ليس ضعفًا، بل **طريق للهداية والرضا واليقين.**
- الإيمان بالقدر يجعل المؤمن **مستعدًا للتقلبات الحياتية ويقوي صفه الداخلي**، لأنه يعلم أن كل ما يصيبه مقدّر ويهدف إلى مصلحته الكبرى.

(12–13): الطاعة هي المفتاح

تؤكد هذه الآيات على **ضرورة الطاعة المطلقة لله ولرسوله ﷺ:** ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٢..﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

- **منهج الفوز في يوم التغابن** يقوم على **طاعة الله ورسوله دون تردد أو تعطيل.**
- الطاعة **ليست خيارًا ثانويًا أو مؤقتًا**، بل هي **الطريق الوحيد للنجاة والفلاح الحقيقي.**
- الالتزام بالطاعة يحفظ **الصف الداخلي للمؤمنين** ويضمن تماسك الجماعة أمام الابتلاءات والفتن.

(14–15): انتبهوا... الأهل والمال فتنة

توضح هذه الآيات **خطر الانشغال بالتعلقات الدنيوية على الصف الإيماني:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤...﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

- **الصف الإيماني قد يختل بسبب التعلقات العاطفية والمادية**، التي تعطل الطاعة والجهاد في سبيل الله.
- يجب **التحلي بالوعي والاعتدال:** المحبة للأهل والمال **لا تُعطل واجبات الدين.**
- إدراك هذه الفتنة يحمي القلب ويُبقي الصف الداخلي متماسكًا، ويُجنّب الخسارة الكبرى في الآخرة.

(16–18): اصبروا... وتزودوا بالإنفاق

توجّه هذه الآيات المؤمنين إلى **العمل الإيماني العملي المستمر:** ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

- **التقوى ليست شعارات**، بل **سمع وطاعة لله، وإنفاق في سبيله، وصبر على البلاء.**
- **الإنفاق الصادق والتضحيات المبذولة** هي وسيلة الفوز في يوم التغابن، لأنها تثبت صدق الإيمان وتحصن الصف الداخلي.
- من أراد **الربح الحقيقي في الآخرة**، فعليه أن **يتزود بما يحب من مال وجهد ونفس** في سبيل الله، فذلك يميز الرابح عن الخاسر.

خلاصة السورة

- **المصير:** يوم التغابن يُبيّن الرابح والخاسر الحقيقي، فليس كل نجاح دنيوي ضمانًا للنجاة.
- **القدر:** الإيمان بالقدر الإلهي يسكّن القلب ويوجهه، ويجعل المؤمن مستعدًا للابتلاءات.
- **الطاعة:** لا فوز حقيقي بدون **طاعة الله ورسوله ﷺ**، فهي طريق النجاة والفلاح.

- **العلاقات:** الأهل والمال قد يشكّلان **فتنة تعطل الصف الإيماني** إذا تغلّبت على الطاعة والجهاد.
- **الوقاية:** الإنفاق في سبيل الله والصبر والتقوى **وسائل تطهير النفس وحماية الصف الداخلي**، وضمان الربح الحقيقي في الآخرة.

الربط مع ما قبلها

- **السورة السابقة – المنافقون:** تكشف زيف الإيمان الخادع وأثره على الصف، وتحذر من الاختراق الداخلي الذي يهدد الجماعة.
- **سورة التغابن:** تُظهر الخسارة الحقيقية لمن لم يخلص لله ولم يعمل بطاعته، وتوضح يوم التغابن حيث يُفرَّز الصادق عن المخادع.

المقارنة الاستراتيجية:

- **المنافقون: هدم داخلي بالإدعاء والكذب**، خطرهم على الصف يبدأ من الداخل ويُضعف التماسك.
- **التغابن : الفرز النهائي بين الصادق والمخادع**، يحدد الرابح والخاسر في الآخرة ويُظهر قيمة الطاعة والعمل الصادق.

للتأمل الذاتي :

- هل **أُدرك حقيقة يوم التغابن**، ذلك اليوم الذي يُفرَّز فيه الصادق عن المخادع؟
- هل **أتهيأ له عمليًا** بالطاعة لله ورسوله، وبالإنفاق في سبيله؟
- هل **أتعامل مع قدر الله برضا وسكينة**، أم أغضب وأقسو عند البلاء؟
- هل **يُلهيني المال والأهل عن طاعة الله** وحقائق الآخرة؟
- هل أنا **في طريق الربح الحقيقي** بالإيمان والعمل، أم أعيش في **غُبن خفي** يضلل حياتي ويؤخر نجاة روحي؟

خاتمة

- سورة التغابن **دعوة للاستيقاظ من الغفلة**، وتذكير بأن الدنيا ليست مقياسًا للنجاة، بل يوم التغابن يكشف الرابح والخاسر الحقيقي. إنها **توجيه للمؤمن نحو ربح حقيقي لا غبن فيه**، عبر الطاعة، والإنفاق، والرضا بالقدر، والصبر على الابتلاءات. ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ ...﴾ **فاختر موقعك من الآن، لتكن من الرابحين لا الخاسرين.**

سورة الطلاق

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بالطلاق[1] لافتتاحها بالأحكام المتعلقة به، وتكرار ذكره في آياتها، حتى صار الاسم معبرًا عن موضوعها المحوري ودلالتها التشريعية الواضحة، والطلاق في هذه السورة لا يُعرض بوصفه حالة انفعالية عابرة أو انفصالًا عاطفيًا طارئًا، بل يُقدَّم باعتباره إجراءً شرعيًا منضبطًا، تُدار من خلاله العلاقة الزوجية عند تعذر استمرارها وفق منظومة متكاملة تقوم على التقوى والعدل والرحمة. فهو ليس فوضى تُطلق فيها الأهواء، ولا قرارًا يُتخذ تحت ضغط الغضب، وإنما هو تصرف مسؤول تحكمه حدود الله وتؤطره أحكام دقيقة تحفظ الحقوق وتصون الكرامات.

وتؤسس السورة بذلك لفلسفة الطلاق في الإسلام بوصفه خيارًا منضبطًا يُلجأ إليه عند الحاجة، ضمن إطار تشريعي يحفظ توازن الأسرة والمجتمع، ويمنع الظلم والتعدي، ويجعل من إنهاء العلاقة – إن وقع – انتقالًا منضبطًا لا انهيارًا أخلاقيًا.

المقصد العام: مقصد السورة العام فيتمثل في بيان الأحكام التفصيلية المتعلقة بالطلاق والعدة والنفقة، مع تأكيد مستمر على ضرورة التقوى في جميع مراحل هذا التحول الأسري، والتنبيه إلى خطورة تجاوز حدود الله. كما تربط السورة بين الامتثال لهذه الأحكام وبين عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، لتجعل الالتزام التشريعي نابعًا من وازع إيماني عميق، لا مجرد امتثال شكلي.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الطلاق، لبيان أحكام الطلاق والعدة فيها، وافتتاحها بقوله تعالى: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ.}" وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج28ص261.

البنية الموضوعية: تنتظم البنية الموضوعية لسورة الطلاق في محاور متتابعة، يبدأ أولها من الآيات ١–٢، حيث تناولت في محورها أحكام الطلاق في بدايته، مقرونة بالأمر بالتقوى وضبط هذا الإجراء بحدود الله، وبيان أن الانفصال – إن وقع – يجب أن يتم في إطار من الانضباط الشرعي والمراقبة الإيمانية.

- ثم تنتقل السورة في الآيات ٣–٥ إلى بيان معادلة التقوى والرزق والفرج، فتقرر أن من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وتربط بين الامتثال لأحكام الله وبين التيسير الإلهي في المعاش والمصير، مع تأكيد أن أمر الله نافذ، وأن عدته وحدوده قائمة على الحكمة والتقدير.
- وفي الآيات ٦–٧ تناولت السورة أحكام النفقة والسكنى للمطلقة، فأرست قواعد العدل والرحمة في مرحلة ما بعد الطلاق، وقررت أن النفقة تكون بحسب السعة والقدرة، وأن لا يُكلَّف أحد إلا ما آتاه الله، بما يحفظ الكرامة ويمنع الظلم ويؤسس لعلاقة مسؤولة حتى بعد الانفصال.
- أما الآيات ٨–١٠ فقد عرضت مصير من عصى الله في الأمم والأسر والمجتمعات، مبينة عاقبة التمرد على أوامر الله، وكيف يقود الاستكبار عن حدوده إلى الحساب الشديد والخسران، لتجعل من التاريخ شاهدًا على سنن الله في المخالفين.
- وتختم السورة في الآيات ١١–١٢ ببيان الهدى والنور لمن آمن واتقى، فتؤكد أن الله أنزل ذكرًا ورسولًا يتلو آياته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتربط بين الامتثال التشريعي وبين الهداية الكونية الشاملة، في مشهد يبرز إحاطة القدرة الإلهية علمًا وخلقًا وتدبيرًا.
- في الآيات ١–٢ يتجلى التوجيه الإلهي الواضح: إذا وقع الطلاق فليكن في إطار حدود الله لا بهوى النفس. يقول تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ

ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾، فجعل للطلاق توقيتًا محسوبًا، وربطه بالعدة، وأمر بإحصائها، ونبّه إلى عدم إخراج المطلقة من بيتها ولا خروجها إلا في حدود ما شرع الله.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المطلع أن الطلاق ليس قرارًا انفعاليًا تحركه لحظة غضب، ولا فوضى عاطفية يُترك فيها الأمر للأهواء، بل هو إجراء منضبط بتوقيت محدد، وأحكام مفصلة، وعدة معلومة، ومراقبة شرعية دقيقة. إن الله يضع حدودًا تحمي الحقوق وتمنع التعدي، ليبقى الانفصال – إن حدث – ضمن سياج العدل.

كما تؤكد الآيات أن التقوى مطلوبة عند الفراق كما هي مطلوبة عند الزواج؛ فالمؤمن لا يلتزم بشرع الله في لحظات الصفاء فقط، بل يزداد التزامًا عند الشدة. ومن يتق الله في هذه اللحظة الحساسة، فإنما يحفظ نفسه من الظلم، ويحفظ الأسرة من الانهيار الأخلاقي، ويجعل قراره خاضعًا لله لا لنزوة عابرة.

- في الآيات ٢–٥ يتعمق البناء الإيماني للسورة، فيقرر أن التقوى هي الأساس الذي ينبني عليه كل مخرج وكل رزق وكل نور في طريق الإنسان، وخاصة في الأزمات الأسرية. يقول تعالى: ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، فيربط بين الامتثال لأمر الله وبين الفرج غير المتوقع، والرزق الذي يأتي من أبواب لم تخطر على البال.

الآيات لا تقدم وعدًا عاطفيًا، بل ترسم قانونًا ربانيًا ثابتًا: من ضبط نفسه بحدود الله في لحظة الاضطراب، فتح الله له طريقًا للخروج من الضيق، ويسّر له أسباب الطمأنينة والاستقرار. فالتقوى هنا ليست وعظًا مجردًا، وإنما هي منهج عملي في إدارة الأزمة، يبدأ بالالتزام بالأحكام، ويستمر بحسن التوكل، وينتهي بالرضا بقضاء الله.

الرسالة الاستراتيجية: أن التقوى في لحظات الانكسار الأسري ليست خيارًا ثانويًا، بل هي مفتاح النجاة، و لا يُتجاوز مأزق الطلاق بكثرة الجدل، ولا بالاندفاع العاطفي، وإنما بالانضباط الشرعي والإيمان الراسخ بأن أمر الله نافذ، وأن وعده حق، وأن الفرج مع التقوى حتمًا يأتي، ولو بعد حين.

- في الآيات ٦–٧ ينتقل الخطاب إلى تنظيم ما بعد الطلاق، فيقرر أن الكرامة الإنسانية لا تسقط بالانفصال، وأن الحقوق تبقى محفوظة بميزان الشرع. يقول تعالى: أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن، فجعل السكنى حقًا مقررًا، ونهى عن الإضرار بالمطلقة بقصد التضييق أو الانتقام أو الضغط النفسي والمادي.

تؤسس هذه الآيات لقاعدة عدلية واضحة: الطلاق لا يبيح الظلم، ولا يحول العلاقة السابقة إلى ساحة تصفية حسابات. بل يبقى التعامل منضبطًا بالتقوى، وتُراعى القدرة المالية دون إسراف ولا تقتير، كما قال تعالى: لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها.

الرسالة الاستراتيجية هنا: أن الكرامة لا تُسلب بالطلاق، وأن المرأة تبقى مصونة محترمة، لها حق السكن والنفقة في حدود ما شرع الله. هذه الحقوق لا تُحسم بدافع الغضب أو الهوى، وإنما يُفصل فيها بميزان شرعي عادل، يراعي الإمكانات ويمنع التعسف، ليبقى الانفصال منضبطًا بالقيم لا منحدرًا إلى الإيذاء.

- في الآيات ٨–١٠ يتسع أفق السورة من دائرة الأسرة إلى أفق الأمة والتاريخ، فتقرر سنة من سنن الله في المجتمعات، إذ يقول تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا وَعَذَّبۡنَٰهَا عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨﴾. فالعصيان هنا ليس خطأ فرديًا عابرًا، بل تمردًا على منهج الله في الحياة، يفضي إلى حساب قاسٍ وعاقبة وخيمة.
- تُظهر هذه الآيات أن مخالفة أوامر الله، سواء في شؤون الأسرة أو في نظام المجتمع، ليست أمرًا بلا تبعات، بل لها آثار تتجاوز الأفراد إلى البنية الجماعية. فإذا ضُيّعت الحدود، وأُهملت القيم، واستُبيح الظلم، تحوّل الانحراف الفردي إلى خلل اجتماعي، ثم إلى سقوط حضاري.

الرسالة الاستراتيجية: أن التفكك الأسري ليس شأنًا خاصًا معزولًا، بل هو لبنة في بناء المجتمع؛ فإذا اختلّ ميزان العدل داخل الأسرة، وتهاون الناس بأحكام الله، تراكم الظلم حتى

يصير ظاهرة عامة، وعندها تجري سنن الهلاك. فالحضارات لا تنهار فجأة، وإنما تبدأ بالسقوط حين تهمل العدل في أصغر دوائرها: دائرة الأسرة، وحين يُستبدل منهج الله بأهواء البشر.

- في الآيات ١١–١٢ تختم السورة مسارها التشريعي بربطه بمصدر الهداية ومنبع النور، فتبيّن أن الله أرسل رسولًا يتلو على الناس آياته المبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور. فالتشريع الذي نظّم شؤون الطلاق والعدة والنفقة، ليس أحكامًا منفصلة عن الوحي، بل هو جزء من نور شامل أنزله الله رحمةً بالعباد.
- تؤكد الآيات أن هذا البيان التشريعي إنما جاء عبر الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي بلّغ الآيات وبيّن حدود الله، فكان اتباعه اتباعًا للنور، والانقياد له انقيادًا لمنهج يخرج الإنسان من الاضطراب إلى الطمأنينة، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الظلم إلى العدل.
- **الرسالة الاستراتيجية** أن كل هذا النور التشريعي ليس إلا ثمرة الاستجابة لله ولرسوله؛ فمن يستجب لله يهتد، ويستنير قلبه، ويبارك له في دنياه وأخراه. فالطاعة ليست مجرد امتثال قانوني، بل هي طريق نجاة في الدنيا، وسَبيل فوز في الآخرة، في ظل إيمان بأن الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن هو الذي أنزل هذا المنهج بعلمٍ محيط وقدرةٍ نافذة، ليقيم به حياة الناس على أساس الحق والعدل.

خلاصة السورة: تتجلى في سورة الطلاق مجموعة من الرسائل الاستراتيجية المتكاملة التي تربط بين التشريع والإيمان، وبين الأسرة والمجتمع، وبين الحكم الشرعي والهداية الربانية.

- في مجال التشريع تؤكد السورة أن الطلاق ليس انفجارًا عاطفيًا ولا تصرفًا ارتجاليًا، بل هو إجراء منضبط تحكمه حدود الله، ويُدار وفق توقيت وأحكام وعدّة واضحة تحفظ التوازن وتمنع الظلم.

- وفي مجال التقوى تقرر السورة أن التقوى هي الأساس في كل قرار أسري، سواء عند الإمساك أو عند الفراق، وأن من يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، فتكون المراقبة الإيمانية هي الضامن الحقيقي لحسن التطبيق.
- أما في مجال العدالة فتثبت السورة أن حق المطلقة محفوظ، من سكن ونفقة وعدم إضرار، وأن الكرامة لا تُسلب بالطلاق، بل تبقى الحقوق مصونة بميزان الشرع بعيدًا عن الأهواء والانتقام.
- وفي بعد الجماعة تبين السورة أن صلاح الأسرة جزء من صلاح المجتمع، وأن التفريط في حدود الله داخل البيت ينعكس خللًا في البنية العامة، بينما الالتزام بها يعزز الاستقرار والعدل في الأمة كلها.
- وفي مجال الهدى تؤكد السورة أن تطبيق هذه الأحكام ليس مجرد التزام قانوني، بل هو استجابة لله ولرسوله، وطريق إلى النور للمؤمنين، يخرجهم من الفوضى إلى النظام، ومن الظلم إلى العدل، ومن الضيق إلى السعة في الدنيا والآخرة.

الربط بين سورة الطلاق وما قبلها: يظهر البناء القرآني المتكامل الذي ينسج السور في سياق واحد يربط بين التحذير والتوجيه التشريعي.

- السورة السابقة، التغابن، تحدثت عن فتنة الأهل والمال وخطر الغفلة، مبينة كيف يمكن للتعلقات العاطفية والمادية أن تضل الإنسان عن سبيل الحق، وموضحة عواقب الانصراف عن طاعة الله والانجرار وراء الهوى.
- أما سورة الطلاق، فهي تؤسس لإدارة هذه الفتنة عندما تظهر في الحياة الأسرية، بالشرع والانضباط والعدل، فلا تُترك القرارات المهمة للهوى أو الانفعال، بل يُحكم فيها بضوابط واضحة تحمي حقوق الجميع وتضمن استقرار المجتمع.

الخلاصة: يمكن تلخيص العلاقة بين السورتين بأن التغابن يقدم التحذير النظري من الانجرار وراء العواطف والملذات، بينما الطلاق يقدم التطبيق العملي لهذا التحذير، بوضع ضوابط شرعية لحفظ الكيان الأسري عند النزاع، وبذلك يكمل القرآن سياق التوجيه بين الوقاية والإدارة.

للتأمل الذاتي: في سورة الطلاق، يُدعى الإنسان لمراجعة نفسه بصدق وموضوعية:

- هل أُدير أزماتي الأسرية بتقوى، أم أترك هوى النفس يقود قراراتي؟ هل أعي أن الطلاق اختبار للعدل، وليس ساحة للانتقام أو التعبير عن الغضب؟
- هل ألتزم بأحكام الشريعة في كل كبيرة وصغيرة من شؤون حياتي الأسرية، حتى في لحظات النزاع والصعوبة؟ وهل أضمن لزوجتي حقوقها كاملة، من سكن ونفقة وكرامة، حتى في حال الفراق؟
- وأخيرًا، هل أتعامل مع شرع الله كحل استراتيجي يُرشدني ويضبط تصرفاتي، أم أعتبره خيارًا ثانويًا يمكن تجاوزه عند الضغط النفسي أو المصلحة الشخصية؟

هذه التأملات تقود إلى إدراك أن التقوى والالتزام بالشرع ليسا مجرد فرض ديني، بل منهج استراتيجي يحفظ الأسرة والمجتمع، ويجعل القرارات الشخصية متسقة مع العدالة والرحمة والحق.

خاتمة:

سورة الطلاق هي سورة التشريع والانضباط، تصوغ إطارًا متكاملًا لإدارة الحياة الأسرية، فتؤسس لفكر أسري راقٍ يعالج الأزمات بعقلانية وتقوى، ويجعل كل قرار مرتبطًا بالعدل والرحمة. كما تبني المجتمع من لبنته الأساسية، الأسرة المؤمنة المستجيبة لله، فاستقرارها وحفظ حقوقها هو ضمان لاستقرار الأمة، وامتثالها لأحكام الله هو طريق الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة.

سورة التحريم

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بالتحريم[1] لافتتاحها بالخطاب المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾، حيث

[1] قال ابن عاشور" سُمِّيَتْ «سُورَةَ التَّحْرِيمِ» فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ. وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ «لِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» تَسْمِيَتُهَا بَاسْمِ «سُورَةِ اللَّمَ تُحَرِّمُ» بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَفِي «الْإِتْقَانِ» وَتُسَمَّى «سُورَةَ اللَّمَ تُحَرِّمُ» ، وَفِي «تَفْسِيرِ الْكَوَاشِيِّ» (أَيْ بِهَمْزَةِ وَصْلٍ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَكْسُورَةً) وَبِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّ التَّاءِ مُخَفَّفَةً وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ مَكْسُورَةً بَعْدَهَا مِيمٌ عَلَى

يُنبه الله النبي إلى اجتهاد شخصي اتخذ بُعدًا عاطفيًا وأسريًا، يحاكي المودة والحرص على القلوب، لكنه كان قد يمسّ الأولويات الشرعية للرسالة، فالتحريم هنا ليس تشريعًا عامًا، بل موقفًا فرديًا يُظهر كيفية ضبط المشاعر الخاصة أمام مسؤولية القيادة، ويؤكد أن أي اجتهاد شخصي، حتى للنبي، يجب أن يخضع لموازين الشرع، حفاظًا على استقامة الرسالة ومكانة القيادة.

المقصد العام للسورة: يتمثل في تصحيح هذا الاجتهاد، وتحذير أمهات المؤمنين من تجاوز حدود الطاعة، وإعادة ترتيب الأولويات داخل البيت النبوي. كما تعرض السورة نماذج نسائية خالدة، بعضها قدوة في الإيمان والصبر، وبعضها مثال في الغفلة والعصيان، لتكون مراجع أخلاقية وسلوكية، تُعلّم كيف تُدار الأزمات في أقدس البيوت، وكيف تُحفظ القيادة من الزلل، وتستمر الأمة في استقامتِها عبر استقامة رموزها.

البنية الموضوعية لسورة التحريم: تتوزع على محاور متتابعة، تبدأ بالآيات ١–٢، حيث تناولت في محورها عتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتبيان حدود التحريم، موضحة أن أي اجتهاد شخصي حتى للنبي يجب أن يخضع لتوجيه الله والضوابط الشرعية.

- ثم تأتي الآيات ٣–٥ لتعرض أزمة أسرية داخل بيت النبوة، وتحذر المشاركات فيها من تجاوز حدود الطاعة، مبينة أثر المشاعر الخاصة على استقرار البيت النبوي وضرورة الانضباط في إدارة العلاقة الأسرية والقيادية.
- في الآية ٦ تناولت السورة أمر الله بحماية النفس والأهل من النار، مؤكدة أن الالتزام بالشرع يحفظ الأسرة من الانحراف الروحي، ويجعل الحماية الدينية شاملة لكل فرد في البيت.
- أما الآية ٧ فتوضح مصير من كفر ولو كان مقربًا، فالتقرب بالنسب أو القرابة لا يغني عن طاعة الله، ويُظهر أن الحكم الإلهي فوق كل اعتبار شخصي أو عاطفي.

حِكَايَةِ جُمْلَةِ لِمَ تُحَرِّمُ وَجَعْلِهَا بِمَنْزِلَةِ الِاسْمِ وَإِدْخَالِ لَامِ تَعْرِيفِ الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ وَإِدْغَامِ اللَّامَيْنِ. وَتُسَمَّى «سُورَةَ النبيء» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ الْآلُوسِيُّ: إِنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ سَمَّاهَا «سُورَةَ النِّسَاءِ» .قُلْتُ وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَذْكُرْ صَاحِبُ «الْإِتْقَانِ» هَذَيْنِ فِي أَسْمَائِهَا". محمد الطاهر ابن عاشور ،التحرير والتنوير، مرجع سابق،ج28ص343.

- وفي الآيات ٩–١٢ قدمت السورة نماذج نسائية بارزة، أربع نساء: اثنتان في الجنة واثنتان في النار، لتكون عبرة واضحة، وأدلة عملية على أثر الإيمان والطاعة أو الغفلة والعصيان، وتبرز كيف أن السلوك الفردي يؤثر في الأسرة وفي الأمة، وكيف أن استقامة القيادة ترتبط بوعي كل من يعيش في بيئتها المباشرة.

في الآيات ٣–٥ تتناول السورة ما جرى في البيت النبوي من أسرار ومواقف حساسة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾، مشيرًا إلى لحظة اجتهاد شخصي اتخذ بُعدًا عاطفيًا، أدت إلى فتح باب العتاب الإلهي.

الرسالة الاستراتيجية هنا: أنه حتى في أقدس البيوت قد تقع تجاوزات أو اختلالات، لكن المعالجة الحقيقية تأتي بالعودة الصادقة والتوبة، لا بالانفعال أو الانتقام. فالبيت القيادي، خصوصًا بيت النبوة، يجب أن يكون نموذجًا في الطاعة والانضباط، وليس ساحة للخصومات أو تصفية الحسابات، بحيث يُظهر كيف تُدار الأزمات بأسلوب متوازن يجمع بين الرحمة والعدل، ويحافظ على استقامة القيادة والدعوة.

- في الآية ٦ توجه السورة المؤمن إلى مسؤولية القيادة الأسرية، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ ، مشيرًا إلى أن الواجب لا يقتصر على حفظ النفس وحدها، بل يمتد إلى توجيه الأسرة والاهتمام برعايتها روحياً وأخلاقياً.

الرسالة الاستراتيجية هنا: أن المؤمن قائد في بيته، وعليه واجب التوجيه والحماية، فلا يكفي أن ينجو وحده من الضلال أو الفتن، بل يجب أن يكون راعيًا يزرع التقوى والعدل والوعي داخل أسرته. فالاستقامة الشخصية متصلة بالمسؤولية الجماعية، والأمانة في البيت أساس لسلامة المجتمع واستمرارية القيم النبوية.

- في الآية ٧ توضح السورة حقيقة الحساب العادل عند الله، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧﴾، مشيرًا إلى أن الاعتذارات والأعذار لن تُقبل يوم القيامة، وأن القرب من النبي أو القرابة النسبية لا تنفع في تخفيف العقوبة.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن المصير يوم القيامة مرهون بالعمل والطاعة، لا بالانتماء أو المجاملة. فالعدل الإلهي قائم على الالتزام والصدق في الطاعة، وكل تهاون أو تجاوز في الحدود يُحاسب عليه، فلا مكان للانحياز الشخصي أو التهاون بالمبادئ. هذا يعلم المؤمن أن كل عمل يُقاس وفق معيار الحق، وأن المسؤولية الفردية والجماعية لا تُعفى عنها أي علاقة أو منزلة.

- في الآية ٨ تدعو السورة المؤمنين إلى توبة صادقة، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا...﴾، مشيرًا إلى أن التوبة ليست مجرد لفظ أو شكل، بل موقف داخلي كامل يعكس الوعي بالخطأ والرغبة الجادة في الإصلاح.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن النجاة والفرج مرهونة بتوبة حقيقية تشمل الإقلاع عن المعصية، والندم على الماضي، والتصميم على عدم العودة، والسعي للإصلاح في النفس والأسرة والمجتمع. فالتوبة النصوح هي الطريق العملي للخروج من الغفلة إلى الطاعة، ولتثبيت الاستقامة في القيادة الأسرية والدعوية، بحيث يصبح كل تصرف مشروطًا بالصدق والالتزام التام بتوجيهات الله.

- في الآيات ٩-١٢ تقدم السورة نماذج نسائية خالدة لتكون عبرة وأمثلة عملية، تبدأ بامرأة نوح ولوط في الآية ١٠، حيث يبيّن الله أن القرب من النبي أو من الصالحين لا يغني عن الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان هو المعيار الحقيقي للمصير.

- ثم تأتي امرأة فرعون في الآية ١١، لتُظهر أن الإيمان يمكن أن يزهر حتى تحت طغيان الجبابرة، وأن الثبات على الحق ممكن في أصعب الظروف، مهما كان المحيط معاديًا.
- وفي الآية ١٢ تُبرز السورة مريم بنت عمران، نموذج العفة والتصديق، حيث تعكس روح الرسالة النسائية في الطاعة والصدق، وتكون قدوة في التزام الإيمان والمبادئ.

الرسالة الاستراتيجية من هذه النماذج: أن المرأة إما أن تكون لبنة بناء في البيت والأسرة والمجتمع، أو معول هدم إذا غابت الطاعة والإيمان، وأن قياس دورها الحقيقي لا يكون بالنسب أو المكانة الاجتماعية، بل بالإيمان والعمل الصالح، وبالالتزام بالقيم الشرعية التي تحفظ الكيان الأسري والمجتمعي.

خلاصة السورة : تتجلى في مجموعة متكاملة من الرسائل الاستراتيجية التي تربط بين القيادة، والأسرة، والتربية، والمصير، والنماذج العملية.

- في مجال القيادة، تبيّن السورة أن حتى النبوة تُعاتَب عند الخطأ، خصوصًا حين يختلط العاطفة بالتشريع، لتؤكد أن أي اجتهاد شخصي لا يجوز أن يزيح الأولويات الشرعية.
- أما في مجال الأسرة، فتؤكد السورة أن بيت القيادة يجب أن يكون نموذجًا في الطاعة والانضباط، لا ساحة للخصومات أو الانفعالات، ليكون مقياسًا للأمة في الالتزام بالقيم.
- وفي التربية، توضّح السورة أن مسؤولية الأسرة لا تقتصر على النفقة أو الحفظ المادي، بل تشمل تربية الأهل على التقوى، وغرس المبادئ والقيم التي تحفظ استقامة البيت واستمرار الرسالة.
- وفي مجال المصير، تُشير السورة إلى أن النسب أو القرابة لا تُنجي، ولا تُغني عن العمل الصالح، وأن كل شخص يُقاس بحسب التزامه وطاعته، لا بحسب موقعه الاجتماعي أو القرابة.

- أما النماذج، فتوضح أن المرأة المؤمنة، بعقيدتها وصبرها وإيمانها، قد تكون أعظم تأثيرًا وأعلى منزلة من الرجل الكافر حتى لو كان متميزًا بالنسب أو المقام، فتكون بذلك لبنة صالحة في بناء الأسرة والأمة، أو عبرة لمن يغفل عن التزامه بالإيمان.

الربط بين سورة التحريم وما قبلها يبرز البناء القرآني المتكامل الذي يربط التشريع بالأخلاق، والأسرة بالقيادة، والمبدأ بالقدوة.

- السورة السابقة، الطلاق، ركزت على ضبط العلاقات الأسرية وقت الأزمات، فوضعت أحكامًا منضبطة للانفصال والنفقة والعدة، لتكون الأسرة مستقرة حتى في لحظات النزاع، وحماية للحقوق والكرامة، مع التأكيد على التقوى والعدل كأساس لكل قرار.
- أما سورة التحريم، فهي تكمل هذا البناء من الداخل، فتعمل على إصلاح البيت القيادي نفسه، بحيث لا يُصبح القدوة – أي النبي وأهل بيته – مصدر فتنة أو تشويش على المنهج. فالمشاعر العاطفية أو الانفعالات الشخصية يجب أن تخضع للضوابط الشرعية، لتظل القيادة نموذجًا في الطاعة والانضباط.

باختصار، الطلاق يمثل تشريعًا منضبطًا لإدارة الأزمات الزوجية، بينما التحريم يهدف إلى تنقية بيت القيادة من شوائب العاطفة التي قد تعرقل المنهج، فتتجلى حكمة القرآن في الجمع بين التشريع العملي وإصلاح القيادة لضمان استقامة الأسرة والأمة معًا.

للتأمل الذاتي: في سورة التحريم يُدعى المؤمن إلى مراجعة سلوكه ووعيه القيادي والأسرِي:

- هل أُقدم المودة العائلية على الالتزام الشرعي، أم أوازن بين المشاعر والواجب؟ هل أُدرك أن بيتي مرآة لديني، وأن كل تصرف فيه يعكس مدى استقامتي وتقواي؟
- هل أحرص على قيادة أهلي نحو النجاة كما أقود نفسي، مؤكدًا أن المسؤولية تشمل التربية الروحية والأخلاقية، لا تقتصر على النفقة أو الحفظ المادي؟
- هل أزن علاقاتي بالولاء والبراء على ضوء الطاعة والشرع، لا مجرد الانتماء أو القرابة؟ وهل أقتدي بنماذج النساء الصالحات مثل مريم وآسية في طهرهن وعقيدتهن، لأستفيد من قدوتهن في البناء الأسري والالتزام بالقيم؟

- هذه التأملات تذكّر بأن القيادة الأسرية والاستقامة الشخصية متشابكتان، وأن ضبط العاطفة بالشرع وحماية البيت من الانحراف أساس لاستقامة الفرد والأسرة والأمة.

خاتمة:

سورة التحريم تمثل درسًا عميقًا في قيادة النفس والأسرة، وتؤكد أن حتى القيادة المعصومة يجب أن تُضبط بوحي الله وتُراجع عند الحاجة. كما تبيّن أن النساء قد يكنّ منارات إيمان تبني البيت والمجتمع، أو أبواب فتنة إذا غاب الالتزام بالقيم، بحيث يبقى المعيار الحقيقي للتقدير والقدوة هو التقوى لا النسب، والصدق لا الموقع، فالأثر الإيماني والالتزام الشرعي هما ميزان النجاح والاستقامة في الأسرة والأمة.

سورة الملك

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بالملك[1] لافتتاحها بالبيان الإلهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١﴾، مشيرة إلى أن الملك المطلق لله وحده، وهو مالك الحياة والموت، والخلق والتدبير، والجنة والنار، فلا أحد يشترك معه في القدرة على التدبير والحساب.

الملك في هذه السورة ليس مجرد مفهوم مجرد، بل هو إطار للوعي الوجودي: الله مالك المصير، وهو الذي أقام الأدلة والحجج على خلقه عبر الآيات الباهرة، ليعلم كل إنسان حدود قدره ومسؤوليته.

---

[1] قال المقدم:" سورة الملك هي السورة السابعة والستون في ترتيب المصحف الشريف، وسميت بالملك لاشتمالها على كثير من آثار المُلك، من كثرة الخيرات وعموم القدرة والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة، والغفران، وعدم التفاوت في رعاياه، وتزيين بلاده، والقهر على الأعداء، والترحم على الأولياء، والأمن ورخص الأسعار، وألا يقدر أحد على نصر من عاداه، فهذه كلها من آثار الملك، وهذه المعاني في عامتها مما تناولته هذه السورة الكريمة؛ فمن ثم سميت سورة الملك، وتسمى أيضاً سورة تبارك."، محمد أحمد إسماعيل المقدم، **تفسير القرآن الكريم**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس – ٢٠٤ درسا] (الشاملة)،ج77ص2.

المقصد العام للسورة: يتمثل في ترسيخ حقيقة أن الله هو الملك القدير، وأن الحياة والموت ابتلاء من الله، وأن الحكم الإلهي قائم على العدل المطلق. فمن لم يخش الله بالغيب ويؤمن برسالته ويعمل صالحًا، فمصيره العذاب، ومن اهتدى بالعلم والعمل والالتزام، فله الفوز الحقيقي في الدنيا والآخرة.

السورة بذلك تُفتح بصيرة القلب على المصير، وتعلّم المؤمن الخشية الواعية، وتربّيه على رؤية وجودية شاملة، تجعل كل تصرف مرتبطًا بالمسؤولية أمام الله، وتحصّنه من الغفلة والخذلان بالموت، فهي – كما ورد عن النبي ﷺ "عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسبه أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبي ﷺ: (هي المانعة، هي النجية تنجيه من عذاب القبر) قال: حديث حسن غريب"[1].

البنية الموضوعية لسورة الملك: تتوزع على محاور متتابعة توضّح الغاية الإلهية من الخلق والتحذير من الغفلة:

- في الآيات ١–٢ تناولت السورة ملك الله المطلق، مشيرة إلى أن الحياة والموت ابتلاء، وأن كل شيء بيده، فلا سلطان للإنسان على مصيره إلا بإرادة الله.
- الآيات ٣–٥ ركزت على دقة الخلق وآيات السماء، لتكون دليلاً على القدرة الإلهية وعظمة التدبير، وإشعار الإنسان بعظم شأنه أمام الخالق.
- في الآيات ٦–١١ عرضت السورة مصير المكذبين في جهنم، موضحة عواقب الغفلة وإنكار الحق، وأن العذاب حق لكل من أعرض عن آيات الله.
- الآيات ١٢–١٥ بينت أن النجاة تتحقق بالخوف من الله والعمل الصالح، وأن الوعي بالغيب والالتزام بالواجبات الشرعية هو سبيل النجاة والفوز.

[1] أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة من الجامعة الاسلامية، ١٤٢٣ هـ، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، ج1ص420

- في الآيات ١٦–١٩ استعرضت السورة آيات الله في الأرض والسماء، لتذكّر الإنسان بآثار الخلق وعلامات القدرة الإلهية في الكون، وتدفعه للتفكر والاعتبار.
- الآيات ٢٠–٢٤ وجهت إنذارًا للغافلين، متسائلة: من يرزقكم؟ من يحييكم؟، لتذكّر الإنسان بعجزه أمام القدرة المطلقة، وحاجته الدائمة إلى الله.
- وأخيرًا، في الآيات ٢٥–٣٠ عرضت السورة جدال الكفار وتحديهم بموعد العذاب، لتبرز استهتارهم ورفضهم للحجج الإلهية، ولتكون شهادة تحذيرية على موقف الإنسان أمام الحق.

- في الآيات ١–٢ تبدأ سورة الملك بمفتاح المصير، حيث يقول تعالى:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ ، مُبيّنًا أن الملك لله وحده، وأن كل شيء في الحياة والموت ابتلاء وامتحان.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الحياة كلها اختبار، والموت جزء لا يتجزأ من هذا الامتحان، وأن النجاح الحقيقي لا يُقاس بكثرة الأعمال فحسب، بل بحسنها وإتقانها وصدق النية. فالعمل الصالح الواعي والمتقن هو الذي يحقق الفوز والفلاح، ويُظهر التفاضل بين الخلق على ضوء التقوى والالتزام بالشرع.

- في الآيات ٣–٥ تدعو السورة المؤمن إلى التأمل في عظمة الخلق، حيث يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾مشيرًا إلى دقة النظام في السماء وترتيب الكون، الذي يعكس القدرة والحكمة الإلهية.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن من يتأمل في هذا الخلق الرائع يدرك أن الحياة ليست عبثًا، وأن وراء كل شيء ربًّا حكيمًا، مدبرًا لكل أمر، لا يترك خليقته إلا بحكمة وحساب. فالتفكر

في النظام الكوني يقوي الإيمان ويحض الإنسان على السير وفق ما يرضي الله، مستشعرًا مسؤولية حياته أمام الملك القدير.

- في الآيات ٦–١١ تصوّر السورة مشهد العذاب في جهنم، حيث يقول تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٞ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٞ ﴿٨﴾﴾، لتبرز شدة العقاب وغضب الله على المكذبين، مع تصوير أثر الكفر والعناد على النفس والجسد.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الله أعذر من أنذر، فالعذاب ليس مفاجئًا، بل نتيجة طبيعية للكفر والعصيان المستمر. النجاة لا تكون لمن يجادل أو يماطل، بل لمن يستجيب للتحذير ويعمل بما يرضي الله، فالإصغاء للطاعة والعمل الصالح هو سبيل الفلاح، والرفض المستمر يقود إلى الهلاك.

- في الآيات ١٢–١٥ تُبرز السورة علامة الإيمان العميق والخشية الحقيقية لله، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَأَجْرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾﴾ ، موضحًا أن التقوى الحقيقية لا تُقاس بالمظاهر، بل بالوعي والالتزام حتى في الخفاء.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الإيمان ليس مجرد حضور اجتماعي أو أداء شعائر ظاهرة، بل موقف داخلي باطني، حيث يكون القلب منضبطًا وخاضعًا لله في كل الظروف، في السر والعلن، فالخشية من الله والمراقبة المستمرة للنفس هما أساس المغفرة والأجر الكبير، ويشكلان صمام الأمان ضد الغفلة والانحراف.

- في الآيات ١٦–١٩ تطرح السورة تساؤلات وجودية عن قدرة الإنسان أمام الله، حيث يقول تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾، لتذكّر بأن كل شيء في الكون تحت قبضته المطلقة، وأن التكذيب بقدرته وغرور الإنسان لا يغير الحقيقة.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الغفلة عن قدرة الله أو المبالغة في الأمان الوهمي تُعدّ غرورًا، فلا أحد ينجو من بأسه إذا شاء، وأن إدراك هذا الواقع يحث الإنسان على التواضع والخشية والالتزام، ويجعله يعيش حياته وهو واعٍ لمسؤولياته أمام الملك القدير، مستشعرًا أن كل فعل له أثر في ميزان الحساب.

- في الآيات ٢٠–٢٤ تؤكد السورة أن الرزق والإحياء بيد الله وحده، حيث يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ ...﴾، لتذكّر الإنسان بأن كل نعمة وكل حياة وكل استمرار في الوجود قائم على مشيئة الله وقدرته.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الغفلة عن الله فيما يخص الرزق والحياة تمثل نوعًا من الإلحاد العملي، إذ يُغفل الإنسان مصدر كل خير ويستغني عن شكر المنعم. فالواجب هو الاعتراف بالمنعم والرجوع إليه في الدعاء والعمل، قبل فوات الأوان، والاعتراف بأن الاعتماد الحقيقي على الله وحده يحفظ الإنسان من الانحراف والغفلة ويؤكد الوعي بالمسؤولية أمام الملك القدير.

- في الآيات ٢٥–٣٠ توجه السورة المؤمن إلى حقيقة الساعة والموعد المحتوم، حيث يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ موضحًا أن العلم بالوقت الحقيقي للقيامة لا يعلمه إلا الله، وأن السؤال عن موعدها ليس لتحديد التاريخ، بل لتذكير الإنسان بالاستعداد الدائم.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن التركيز لا يجب أن يكون على توقيت الساعة، بل على الاستعداد لها بالأعمال الصالحة والخشية والطاعة. فالرد الصحيح لمن يُسأل عن الساعة هو: ماذا أعددت لها؟ أي ما هي أعمالك، وما مدى استقامتك والتزامك بالشرع؟ فالمسؤولية الفردية والاستعداد العملي هما ما يضمن النجاة، وليس مجرد الفضول عن موعد الفناء أو الحساب.

خلاصة تفسير سورة الملك تتجلى في رسائل استراتيجية متكاملة ترسّخ العقيدة، وتبني الوعي بالمصير، وتقوّي البصيرة والخشية، وتفتح باب التوبة قبل الحساب.

- في مجال العقيدة، تؤكد السورة أن الملك لله وحده، وأن الحياة والموت هما اختبار مستمر، فكل شيء بيده، ولا سلطان للإنسان إلا بإرادة الله.
- أما في مجال المصير، فتوضح السورة أن الجنة والنار مآلان حقيقيان، لا وهم فيهما، وأن التقوى والعمل الصالح هما السبيل للنجاة والفلاح.
- وفي البصيرة، تدعو السورة المؤمن إلى التأمل في دقة خلق السماء والأرض وآيات الكون، لأن هذا التفكر يقود إلى اليقين بعظمة الله وقدرته، ويحفّز على الالتزام والطاعة.
- أما الخشية، فهي الخوف من الله في الغيب، علامة صدق الإيمان، والنية الخالصة في السر والعلن، وهو أساس المغفرة والأجر الكبير.
- وأخيرًا، في مجال التوبة، تذكّر السورة بأن الدعوة مفتوحة دائمًا، وأن التوبة النصوح قبل الفتح الأكبر (القيامة) هي طريق النجاة، فالاستجابة قبل الحساب واجب وقاية للفرد والبيت والمجتمع من الغفلة والهلاك.

الربط بين سورة الملك وما قبلها يبرز البناء القرآني المتكامل الذي يربط بين الإصلاح الداخلي والأسري والوعي الوجودي والمصيري.

- السورة السابقة، التحريم، ركّزت على ضبط الداخل القيادي والأسري، موضحة أن حتى البيت النبوي يجب أن يكون نموذجًا في الطاعة والانضباط، وأن المودة العاطفية لا تُقدّم على الشرع، للحفاظ على استقامة القيادة وقدوة الأمة.
- أما سورة الملك، فهي تكمل هذا البناء من منظور كوني ووجودي، فتزرع في وجدان المؤمن الوعي بالمصير والملك المطلق لله، وتدعو للتأمل في الكون والخشية من الله والعمل الصالح، لتصبح القيادة الذاتية والأسرة والمجتمع مؤمنة ومستعدة للمساءلة أمام الملك القدير.

باختصار، التحريم يهدف إلى تهذيب القيادة من الداخل، بينما الملك يزرع الخشية والرؤية الكونية، ليكتمل البناء بين الانضباط الأسري والوعي الإيماني الشامل.

للتأمل الذاتي: في سورة الملك يُدعى المؤمن لمراجعة حياته ووعيه بالملك الإلهي والمصير:

- هل أعيش كأنني مُلك لله وحده، أُدرك أن كل تصرف وموقف يخضع لإرادته، أم أتصرف وكأن لي حرية مطلقة دون حساب؟
- هل أُحسن العمل في حياتي وأتقنه، أم أُكثره بلا ضبط أو نية صادقة؟
- هل أستشعر الرقابة الإلهية في الغيب، فالخوف من الله في السر والعلن علامة على صدق الإيمان والتقوى؟
- هل أقف أمام آيات الله في السماء والأرض بخشوع، متأملًا دقة الخلق وعظمة القدرة الإلهية، لأستخلص منها اليقين وأوجه حياتي وفق ما يرضي الله؟
- وهل أستعد ليوم الحساب، اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، فأكون مستعدًا بالأعمال الصالحة والتقوى التي تحفظني من الغفلة والهلاك؟
- هذه التأملات تربط بين الوعي بالملك الإلهي، والتفكر في الكون، والعمل الصالح، والخشية من الله، لتنشئ حياة متوازنة قائمة على مسؤولية الفرد أمام خالقه.

خاتمة:

سورة الملك تمثل سورة النجاة، فهي تربي في القلب البصيرة والمهابة، وتذكّر بأن الحياة قصيرة وأن الامتحان دقيق. فهي تؤكد أن النجاة ليست مسألة حظ أو مصادفة، بل تتعلق بالإتقان في العمل الصالح والإخلاص في الطاعة، والوعي الكامل بالملك المطلق لله وبالمصير المحتوم لكل إنسان، لتكون هدى ووقاية من الغفلة والهلاك.

سورة القلم

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بالقلم[1] لافتتاحها بالقسم به، حيث يقول تعالى﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾ ، مشيرًا إلى أن القلم رمز للعلم، والتدوين، وحفظ الحق، ولتأكيد أن مواجهة الباطل تكون بالحجة الموثقة لا بالهوى أو الانفعال.

السورة تعلي من شأن الكتابة المسؤولة والوعي الأخلاقي في مواجهة السخرية والاستهزاء، وتؤسس لمنهج المواجهة النبوية بالخلق الحسن والثبات على الحق.

المقصد العام للسورة: يتمثل في تثبيت النبي ﷺ على خُلقه العظيم رغم استهزاء المكذبين، وبيان الموقف الصحيح تجاه المستهزئين والمكذبين، مع تهديدهم بعذاب الاستئصال لمن يصر على العصيان والكفر. كما تضرب السورة مثالًا اقتصاديًا واجتماعيًا من خلال قصة أصحاب الجنة، لتبيّن كيف تنهار المشاريع التي تنقطع عن القيم الربانية، فتُظهر أن النجاح الحقيقي مرتبط بالالتزام بالقيم الإلهية، لا بالقوة أو المال أو الحيلة البشرية.

البنية الموضوعية لسورة القلم تتوزع على محاور متتابعة توضّح القيم النبوية، والتحذير من الاستهزاء، والعواقب المترتبة على الابتعاد عن التقوى:

- في الآيات ١–٧ تبدأ السورة بالقسم بثبات النبي ﷺ على خُلقه العظيم، مؤكدة أن الثبات على الأخلاق والخلق الرفيع في مواجهة الإساءات جزء أساسي من الرسالة.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة القلم لافتتاحها بما أقسم الله تعالى به وهو {ن، وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ} وأقسم بالقلم تعظيما له؛ لما له في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة؛ ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف، كما قال صاحب الكشاف. والمراد بالقلم عند الأكثرين: الجنس، أقسم الله سبحانه بكل قلم يكتب به في السماء وفي الأرض.، وقيل: سورة {ن}" وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج29ص41.

- الآيات ٨–١٦ تحذر من شخصيات الفساد الأخلاقي والاجتماعي، موضحة أثر السخرية والاستهزاء على المجتمع، وأن الانحراف عن القيم يؤدي إلى تدمير النفس والجماعة.
- في الآيات ١٧–٣٣ تُروى قصة أصحاب الجنة، نموذج لمشروع اقتصادي واجتماعي انقطع عن التقوى، فانهار بالرغم من قوته ووفرة موارده، لتكون عبرة على أن النجاح الحقيقي مرتبط بالالتزام بالقيم الربانية.
- الآيات ٣٤–٤١ تعرض التحدي في مسألة الجزاء الأخروي، مؤكدة أن الجزاء العادل مرتبط بالطاعة والعمل الصالح، وأن المكذبين سيواجهون عذاب الاستئصال.
- الآيات ٤٢–٤٧ تصوّر مشهد يوم القيامة وحسرة المكذبين، لتذكّر بأثر الغفلة وعدم الالتزام بالحق على النهاية المحتومة.
- وأخيرًا، في الآيات ٤٨–٥٢ يُأمر النبي ﷺ بالصبر والتثبيت، والاعتبار بمن سبقوه من الرسل والأمم، لتكون السورة درسًا في الصبر والثبات على القيم النبوية مهما كان التحدي أو الاستهزاء.
- في الآيات ١–٧ تفتتح السورة بثناء الله على خُلق النبي ﷺ، حيث يقول تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ ، مؤكّدًا أن ثبات النبي في الأخلاق هو أساس رسالته وميزانه في مواجهة المكذبين والمستفزين.

الرسالة الاستراتيجية هنا: أن القيادة النبوية لا تُقاس بالمعجزات أو القوة، بل بالأخلاق العالية والسلوك القويم. فالأخلاق هي جوهر الرسالة وأثقل ما في ميزان العمل، وهي ما يحفظ الرسالة من الانحراف، ويكون قدوة للأمة في الصبر، والعدل، والرحمة، والثبات على الحق.

- في الآيات ٨–١٦ تصوّر السورة صفات المفسدين كنموذج للمتغطرس الكذوب، حيث يقول تعالى:﴿..هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣...﴾ ، موضحًا كيف تبدأ الانحرافات الاجتماعية باللسان والكلام الضار، مثل النميمة والسخرية والكذب، ثم تتطور لتطال الحق والمال والعرض.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الإفساد الاجتماعي لا يبدأ بالعنف المباشر، بل بالتصرفات الصغيرة في الكلام والسلوك اليومي، وأن هؤلاء الأفراد لا يصلحون لمجتمع قائم على الإيمان والقيم، لأن فسادهم يؤثر في الكيان الأخلاقي والاجتماعي، ويهدد استقامة الجماعة وقيمها الأساسية.

- في الآيات ١٧–٣٣ تروي السورة قصة أصحاب الجنة، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧ ...﴾، لتبيّن كيف يمكن أن ينهار مشروع اقتصادي واجتماعي رغم قوته ووفرة موارده إذا غاب البعد الإيماني عنه.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن غياب التقوى والنية الصالحة عن المشاريع المادية يؤدي حتمًا إلى الفشل والانهيار. فالرزق إذا لم يُزكَّ بالصدقة والعمل الصالح، يصبح وبالًا على صاحبه، فتتضح حكمة الشرع في ربط النجاح الاقتصادي والاجتماعي بالالتزام بالقيم الإلهية، والتذكير بأن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بالعدل والصدق والتقوى.

- في الآيات ٣٤–٤١ تتساءل السورة: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥﴾ ؟، لتوضح الفرق بين الطائع والعاصي في ميزان الله، وأن الانتماء الظاهر لا يكفي، بل العمل الصالح هو المعيار الحقيقي للحساب.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الميزان عند الله قائم على العمل لا الاسم أو النسب، وأن التمييز بين الطائع والعاصي ليس تفرقة ظالمة، بل ضرورة فطرية وشرعية تحمي المجتمع من الظلم وتؤكد العدالة الإلهية، فتكون القيم والسلوكيات العملية هي معيار النجاة والفلاح، لا مجرد الانتماء الظاهري أو الادعاء.

- في الآيات ٤٢–٤٧ تصوّر السورة مشهد يوم القيامة، حيث يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ ...﴾، لتبرز الخزي والهوان الذي يعيشه المكذبون والغافلون أمام الحق، وتبيّن شدة الحساب.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن هناك مواقف لا يُجدي فيها اعتذار ولا تنفع الأعذار بعد فوات الأوان. فالسجود الحقيقي لله وطاعة أوامره يجب أن يكون في الدنيا، في حياة الإنسان اليومية وأعماله، وليس عند الفزع والرهبة يوم القيامة، لأن وقت الحساب لا مكان فيه للمراوغات أو التراجع عن السلوك الخاطئ.

- في الآيات ٤٨–٥٢ يأمر الله النبي ﷺ بالصبر والثبات، قائلاً﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ ..﴾ ، مشيرًا إلى أن الابتلاء جزء من الرسالة وأن الثبات على الحق واجب مهما اشتدت التحديات.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن حتى الرسل يبتلون بالمصاعب، وأن النصر والتحقق من الرسالة يحتاج إلى صبر طويل وتثبيت النفس. فالقيادة الحقيقية لا تنجح إلا بالصبر على الأذى والمكاره، والتمسك بالقيم والأخلاق، مع الاعتماد الكامل على الله، ليكون قدوة للأمة في مواجهة الاستهزاء والفتن والصعوبات الاجتماعية والأخلاقية.

خلاصة تفسير سورة القلم تتجلى في رسائل استراتيجية متكاملة تعالج القيادة، والمواجهة مع الفساد، وأهمية الالتزام بالقيم الربانية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وتربّي على الصبر والعدل في التعامل مع الناس:

- في مجال القيادة، تؤكد السورة تثبيت النبي ﷺ على الأخلاق والمنهج، فالأخلاق العالية والثبات على الحق هما أساس الرسالة والقدوة.
- في مجال المواجهة، تعلم أن لا مساومة مع المفسدين، ولا خنوع أمام الساخرين، وأن الكلمة المسؤولة والخلق القويم هما أدوات مواجهة الباطل.
- في المجال الاقتصادي والاجتماعي، تبيّن السورة أن المال إذا لم يُزكَّ ويُصرف وفق القيم الإلهية، يصبح سببًا للهلاك والفشل، كما يظهر في قصة أصحاب الجنة.
- أما الجزاء، فتؤكد أن عدل الله يميز بين المجرم والمسلم، فالعمل الصالح والمعاملة بالحق هما معيار الحساب لا النسب أو الواجهة الاجتماعية.

- وأخيرًا، في الصبر، تذكّر السورة أن القيادة تحتاج إلى صبر طويل يضاهي صبر أولي العزم، فالنصر والاستمرار في الرسالة مرتبط بالثبات والتحمل أمام الابتلاءات والأذى، مع التمسك بالقيم الربانية.

الربط بين سورة القلم وما قبلها يبرز استمرار البناء القرآني المتكامل الذي يربط بين الوعي بالمصير والجزاء وبين التأديب الأخلاقي والاجتماعي:

- السورة السابقة، الملك، ركّزت على ترسيخ الخشية من الله، والوعي بالمصير، وإدراك الجزاء العادل، لتنشئ وعيًا إيمانيًا عميقًا في المؤمن، يجعل حياته اليومية مشحونة بالرقابة الذاتية والمحاسبة المستمرة أمام الله.
- أما سورة القلم، فهي تُكمل هذا البناء من خلال تأديب النفس والرد على المجرمين والمستكبرين أخلاقيًا وفكريًا، فتعلم المؤمن كيف يواجه الاستهزاء، والفساد الاجتماعي، وانحراف القيم، وكيف يربط بين العمل الصالح والثبات على المنهج والعدالة في الحياة اليومية.

باختصار، الملك تزرع الرقابة الإيمانية والوعي بالمصير، بينما القلم تُفعّل الموقف الأخلاقي في مواجهة المستهزئين والمفسدين، ليكتمل توازن البناء بين الخشية والعمل الصالح والمواجهة الأخلاقية.

للتأمل الذاتي: في سورة القلم يُدعى المؤمن لمراجعة سلوكه ونواياه:

- هل أعيش الأخلاق في حياتي اليومية فعلاً، أم أكتفي بالشعارات والكلمات؟
- هل أنا من أهل القلم النافع، الذي يكتب ويقول الحق ويعزز الخير، أم من أهل اللسان المفسد، الذي ينشر النميمة والكذب والإفساد؟
- هل مشاريعي الاقتصادية والاجتماعية خاضعة للقيم الدينية والتقوى، أم منفصلة عنها فتكون سببًا للفشل والانهيار؟
- هل أفرق بين المسلم الملتزم بالطاعة والعمل الصالح، وبين المجرم المنحرف، فلا أساوم على الحق ولا أظلم أحدًا بالانحياز للاسم أو النسب؟

- وهل أُهيّئ نفسي لصبر طويل في طريق الدعوة والثبات على المنهج، كما صبر أولي العزم، مستشعرًا أن الثبات في مواجهة الاستهزاء والفتن هو سبيل النصر والنجاة؟

هذه التأملات تربط بين الأخلاق، والعمل الصالح، والوعي بالمصير، والصبر، لتنشئ حياة متوازنة قائمة على القيم الربانية والمواجهة الأخلاقية المسؤولة.

خاتمة:

سورة القلم تمثل مدرسة للتربية الأخلاقية للقيادة، فهي تؤسس لعلاقة متوازنة بين العلم والأخلاق، والدعوة والصبر، والمال والتقوى. السورة تذكّر أن المسؤولية لا تُقاس بالاسم أو المنصب، وأن الميزان عند الله دقيق، فلا يُسوّى بين المؤمن الفاعل للخير والفاسد المتجاوز، لتكون رسالتها تثبيتًا للحق، وتحفيزًا على الصبر والعمل الصالح في كل مجال من مجالات الحياة.

سورة الحاقة

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بالحاقة[1] لأنها من أسماء يوم القيامة، وقد كررت افتتاحها ثلاث مرات بصيغة توكيد وتهويل:﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾، لتبيّن أن الحاقة هي الواقعة الحق، التي يتحقق فيها وعد الله ووعيده، فلا جدل بعد وقوعها.

هذا التكرار الأسلوبي له أثر نفسي ووجداني قوي، فهو يزلزل القلب ولفت الانتباه الكامل إلى عظمة الحدث، ويهيئ المؤمن لمشاهد القيامة وأهوالها، ويزرع الخشية من الله والوعي بالمصير المحتوم.

المقصد العام للسورة يتمثل في إثبات وقوع القيامة بالدلائل، واستعراض مشاهد هلاك المكذبين بها، ووصف أهوال يوم الفصل، وتكريم المؤمنين، وفضح المكذبين، مع ختم السورة

[1] قال ابن عاشور: " سُمِّيَتْ «سُورَةُ الْحَاقَّةِ» فِي عَهْدِ النَّبِيءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج29ص110.

بالقسم على صدق الوحي والرسالة، لتكون السورة درسًا في التأمل الوجودي والوعي بالمصير، وتحفيزًا على الثبات على الحق والعمل الصالح قبل فوات الأوان.

البنية الموضوعية لسورة الحاقة تتوزع على محاور متتابعة توضح مشهد القيامة وأهوالها، وتبرز مصير المكذبين والمكافأة للمؤمنين:

- في الآيات ١–٣ تُفتتح السورة باسم الحاقة، مع تأكيد هول هذا اليوم العظيم وإثبات وقوعه، لتزرع الخشية في قلوب المستمعين.
- الآيات ٤–١٢ تعرض مصائر الأمم المكذبة السابقة، مثل عاد وثمود، لتكون عبرة وتحذيرًا لكل من يكذب الرسالة أو يتجاهل الحقائق الإلهية.
- في الآيات ١٣–١٨ يُصور النفخ في الصور وأهوال القيامة، في مشهد يزلزل القلوب ويظهر مدى هيبة يوم الحساب.
- الآيات ١٩–٢٤ تُبيّن حال أصحاب اليمين وكتابهم المسرور، وتصف جزاءهم ونعيمهم، لتكون حافزًا للمؤمنين على العمل الصالح.
- الآيات ٢٥–٣٧ تصوّر حال المكذبين، والندم والعذاب الذي ينزل بهم، موضحة أن الجزاء نتيجة مباشرة لأعمالهم ورفضهم للحق.
- وأخيرًا، في الآيات ٣٨–٥٢ تُختتم السورة بالقسم على صدق القرآن والرسالة، لتثبت اليقين بوحي الله وتعظم مسؤولية الإنسان في التعامل مع الحق قبل وقوع الحاقة.
- في الآيات ١–٣ تفتتح السورة بالحديث عن الحاقة، مع التكرار التحذيري: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾، لتبرز هول هذا اليوم ووقعه على القلوب.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الحق عند وقوعه لا يُستهان به، وأن وعد الله المنجز أهوَل من كل تخيل. من يوقن بالحاقة ويعي واقعها، تتغير حياته كلها، فتزداد خشوعًا لله، وتصحيحًا للسلوك، وحرصًا على العمل الصالح قبل فوات الأوان.

- في الآيات ٤–١٢ تعرض السورة مصائر الأمم المكذبة السابقة مثل عاد وثمود وفرعون وقوم نوح، حيث يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ

بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ ...﴾، لتوضيح أن العقاب الإلهي جاء نتيجة المعصية والتكذيب.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الطغيان في الكفر والتمرد على الحق لا يمر دون حساب، وأن كل أمة عاندت رسل الله وكذبت الحق، حلت بها حاقتها بما يوازي حجم جرمها، ليكون عبرة للمؤمنين، وتذكيرًا بأن الصبر على الحق لا يعني التساهل مع الباطل.

- في الآيات ١٣–١٨ تُصور السورة مشهد البعث والنفخ في الصور، حيث يقول تعالى: ﴿...وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧ ...﴾، لتبيّن تحول الكون كله واستعداده ليوم الحساب العظيم.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن كل شيء في هذا الكون يتبدل في لحظة، وكل الخلق يُستدعى للمحاسبة، فالإنسان ليس وحده، بل هو جزء من المشهد العظيم، فالسؤال المحوري لكل مؤمن: هل أعددت جوابك وأعددت عملك للعرض على الله يوم الحاقة؟

- في الآيات ١٩–٢٤ تصوّر السورة حال أصحاب اليمين، حيث يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩﴾، موضحًا سرورهم ورضاهم عند الاطلاع على أعمالهم.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن من أحسن الظن بالله وعمل صالحًا بإخلاص، ينال كتابه بيمينه، ويُسعد بلقاء ربه، فتتحقق المكافأة الحقيقية للثقة بالله والعمل الصالح، ويكون الفوز بالجنة نتيجة مباشرة للنية الصادقة والعمل المتقن، لا مجرد التمنّي أو الادعاء.

في الآيات ٢٥–٣٧ تُصور السورة حال من أوتي كتابه بشماله، حيث يقول تعالى: ﴿...مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩ ...﴾ لتظهر مدى الحسرة والندم الذي يعيشه هؤلاء يوم القيامة.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن من عاش لنفسه فقط، متكئًا على ماله وجاهه ونسبه، سيقف يوم الحساب خالي اليدين، بلا أي نفع مما جمع، سوى الندم والعذاب. هذا المشهد يذكّر بأن قيمة الإنسان الحقيقية تتحدد بأعماله وصدقه وتقواه، لا بمكانته الاجتماعية أو ثروته في الدنيا.

في الآيات ٣٨–٥٢ تختتم السورة بالقسم على صدق الرسول ﷺ، حيث يقول تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ..﴾، لتثبيت اليقين بأن القرآن وحي إلهي، لا خيال أو قول بشر.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن من يشك في القرآن أو في رسالة النبي ﷺ، يكون قد كذب بكل شيء، وتغاضى عن الحقائق الكبرى في الحياة والآخرة. القرآن ليس شعرًا ولا كلام كهان، بل هو قول كريم منزل من رب العالمين، يُراد به هداية البشر، وتثبيت قلوب المؤمنين على الحق، وتحفيزهم على التمسك بالعمل الصالح قبل وقوع الحاقة.

خلاصة تفسير سورة الحاقة تُبرز رسائل استراتيجية متكاملة عن العقيدة والمصير والفردية والمسؤولية:

في مجال العقيدة، تؤكد السورة أن الحاقة قادمة لا ريب فيها، وأن مصير كل إنسان حتمي، فلا مهرب من حساب الله.

في التاريخ، تعرض السورة هلاك المكذبين من الأمم السابقة، لتكون عبرة واضحة لا مجال للجدال فيها، ودرسًا لكل من يعاند الحق.

في الحساب، توضّح السورة أن النفخ في الصور، والجمع، والوزن، والجزاء هي حقائق واقعية لا مجرد رموز أو مجاز، فاليوم الموعود سيشهد كل عمل صغير وكبير.

في البعد الفردي، تطرح السورة سؤالًا محوريًا لكل إنسان: من أي الفريقين أنا؟ أصحاب اليمين الذين نالوا السرور والنجاة، أم أصحاب الشمال الذين سيلاقون الحسرة والعذاب؟

وأخيرًا في الرسالة، تثبت السورة صدق القرآن ونبل رسالة النبي ﷺ، وتبين أن الكفر به يؤدي إلى دمار أبدي، ليكون التمسك بالحق والعمل الصالح هو السبيل للنجاة.

الربط بين سورة الحاقة وما قبلها يوضح استمرار البناء القرآني المتكامل الذي يربط بين السلوك الأخلاقي للدعوة ونتائجها في الآخرة:

السورة السابقة، القلم، ركّزت على تثبيت النبي ﷺ على الأخلاق والمنهج، وتوضيح الموقف من الساخرين والمفسدين، فكانت مدرسة للدعوة المسؤولة، والرد الأخلاقي على الباطل، وتعليم الصبر والثبات.

أما سورة الحاقة، فهي تعرض نتائج الدعوة على مستوى المصير، فتبيّن حتمية القيامة، مصائر المكذبين وأهوال الحساب، ومكافأة المؤمنين، لتؤكد أن الالتزام بالحق والثبات على المنهج لا يضيع سدى، وأن الجزاء واقع وحقيقي.

باختصار، القلم تزرع الثبات على الأخلاق والمنهج، والحاقة تظهر النتائج النهائية لهذا الثبات أو الانحراف، لتكتمل الصورة بين العمل في الدنيا والمصير في الآخرة.

للتأمل الذاتي: في سورة الحاقة، يُدعى المؤمن لمراجعة موقفه من المصير والعمل الصالح: هل أستعد فعلاً ليوم الحاقة وأهوال القيامة، أم أعيش بلا وعي بالمصير؟ و ماذا لو طُلب مني غدًا قراءة كتابي، هل سأكون مطمئنًا أم في حالة خوف وندم؟ و هل سأكون من أصحاب اليمين لأقول: **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**، أم سأقف بلا حول ولا قوة؟ و هل مالي وسلطاني سيكونان سبب نجاتي، أم سيكونان جزءًا من هلاكي، كما بيّنت السورة لمن أوتي كتابه بشماله؟ و هل أعيش كأن هذا القرآن حق منزّل من السماء، وحي من رب العالمين، أم أتعامل معه ككلام عادي بلا أثر على حياتي؟

هذه التأملات تهدف إلى تهذيب القلب، وزرع الخشية، وتحفيز العمل الصالح قبل وقوع الحاقة.

خاتمة:

سورة الحاقة تُرَكّز على وزن النفوس بميزان الحق، وتُثبت أن القيامة واقع لا ريب فيه، وأن النجاة ليست بالأماني أو المنصب أو المال، بل بالعمل الصالح والتقوى. كما تؤكد السورة أن القرآن وحي منزل من الله، ليس خيالًا ولا أسطورة، بل بلاغٌ للعالمين، ليكون دليلاً على الطريق الصحيح للنجاة في الدنيا والآخرة.

سورة المعارج

الاسم والدلالة: سُمّيت "المعارج"[1] لاشتمالها على قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣﴾ أي: طرق الارتقاء[2] والتقرب والعلوّ، سواء في الدنيا أو في الدار الآخرة.

---

[1] قال طنطاوي:" سورة (المعارج) هي السورة السبعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة (الحاقة) وقبل سورة (النبأ) .وتسمى- أيضا- بسورة (سأل سائل) ، وذكر السيوطي في كتابه (الإتقان) أنها تسمى كذلك بسورة (الواقع) .وهذه الأسماء الثلاثة قد وردت ألفاظها في السورة الكريمة. قال- تعالى- سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ. لِلْكافِرينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ. مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعارِجِ". محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ – ١٩٩٨ م، ج15ص89.

[2] قال الرازي:" ذِي الْمَعارِجِ الْمَعَارِجُ جَمْعُ مِعْرَجٍ وَهُوَ الْمَصْعَدُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُونَ [الزُّخْرُفِ: ٣٣] وَالْمُفَسِّرُونَ ذَكَرُوا فِيهِ وُجُوهًا أَحَدُهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الكلبي: ذِي الْمَعارِجِ، أي ذي السموات، وَسَمَّاهَا مَعَارِجَ لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَعْرُجُونَ فِيهَا وَثَانِيهَا: قَالَ قَتَادَةُ: ذِي الْفَوَاضِلِ وَالنِّعَمِ وَذَلِكَ لِأَنَّ لِأَيَادِيهِ وَوُجُوهِ إِنْعَامِهِ مَرَاتِبَ، وَهِيَ تَصِلُ إِلَى النَّاسِ عَلَى مَرَاتِبَ مُخْتَلِفَةٍ" أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ،ج30ص338.

السورة كلها مبنية على المفارقة بين "السؤال عن العذاب" و"الصعود إلى الله"، وبين "عجلة الإنسان" و"صبر المؤمن".

المقصد العام للسورة:

الرد على المكذبين بالعذاب المنتظر، وبيان حقيقة طبع الإنسان من الجزع والهلع، وبيان صفات الذين يرتقون في مدارج الإيمان بالصلاة والصدق والصبر.البنية الموضوعية لسورة المعارج تتوزع على محاور متتابعة توضّح العلاقة بين طبيعة الإنسان، ووجوب الصبر، وسبل الارتقاء الإيماني:

في الآيات الأولى تُطرح أسئلة وجودية حول العذاب المنتظر، وتبيّن الجزع الذي يعتري المكذبين عند مواجهة الحق.

تتدرج السورة لتصف أخلاق المؤمنين الذين يرتقون في مدارج الإيمان بالصبر، الصلاة، الصدق، والوفاء بالعهود، مقابل طبيعة الجزع والأنانية لدى الكافرين.

كما توضّح السورة أن الصعود إلى الله يكون عبر معارج ثابتة، أي خطوات روحية وسلوكية، بينما من يلهث وراء الملذات الفانية ويعجل بالعصيان يبقى في الحضيض.

الرسالة العامة للسورة هي ضبط سلوك الإنسان تجاه الفتن، وتوجيهه نحو الصبر والثبات، وتثبيت وعيه بالمصير الحقيقي، بحيث يدرك أن العلو الحقيقي في الدنيا والآخرة مرتبط بالاستقامة والتقوى.

في الآيات ١–٧ تُفتتح السورة بسؤال مستهزئ بالعذاب، حيث يُعبّر الإنسان عن جزعه ودهشته من العقاب، وترد السورة عليه بتأكيد وقوعه لا محالة.

من الآيات ٨–١٨، تصوّر السورة هول يوم القيامة وفزع الكافرين عند مواجهة الحق، لتبين مدى أهوال الحساب والعذاب الذي ينتظر المكذبين.

في الآيات ١٩–٣٥، تُوضح السورة طبيعة الإنسان، موضحة جزعه وغروره، إلا من تزكّى قلبه بالتقوى والعمل الصالح، فهؤلاء يرتقون في مدارج الإيمان ويثابرون على الصبر والصدق.

أما الآيات ٣٦–٤٤، فهي رد على المعرضين والمستهزئين، وتوبيخ لهم على عنادهم وجحودهم، لتكون هذه الآيات درسًا في تذكير الإنسان بعواقب التجاهل والتحايل على الحق.

في الآيات ١–٧ تُفتتح السورة بسؤال مستهزئ بالعذاب، حيث يقول تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ۝١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣...﴾

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الاستهزاء بالعذاب لا يرد وقوعه، فكل من يسأل عنه بسخرية أو تهكم، سيواجهه واقعًا لا مهرب منه، فهذه الآيات تزرع الخشية في قلب الإنسان وتذكّره بحقيقة الجزاء.

في الآيات ٨–١٨ تصوّر السورة مشهد يوم القيامة، حيث يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩...﴾

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الساعة تفقد الإنسان كل ما يعتز به في الدنيا: الحب، الأمان، الثقة، وحتى أصدقاؤه ورفاقه. في ذلك اليوم، لا أحد يسأل عن أحد، فتتضح وحدة المسؤولية أمام الله، ويبرز الجزاء الفردي لكل إنسان حسب عمله وتقواه.

في الآيات ١٩–٣٥ توضّح السورة طبيعة الإنسان بين الجزع والهداية، حيث يقول تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢...﴾

الرسالة الاستراتيجية أن الطبع الإنساني وحده لا يكفي للهداية والاستقامة، بل يحتاج الإنسان إلى ترويض دائم على الصلاح والالتزام بالقيم: الصلاة، الصدقة، خشية الله،

الصدق في الشهادة، الأمانة، والصبر على الابتلاءات. هذه المعارج الإيمانية ترفع صاحبه في درجات التقوى وتحصنه من الجزع والأنانية.

صفات المرتقين في سورة المعارج تُلخّص مسار الصعود الإيماني والتميز عن طبيعة الجزع الإنسانية:

1. دوامهم على الصلاة، فهي رابطهم المستمر بالله.
2. إنصافهم في المال، فلا يبخلون على السائل أو المحروم.
3. تصديقهم بيوم الدين، وإدراكهم حقيقة الحساب والجزاء.
4. خوفهم من عذاب الله، فيخافون المعاصي حتى في الخفاء.
5. حفظ الفروج، أي ضبط الشهوات والانضباط الأخلاقي.
6. الوفاء بالأمانات والعهود، وصدقهم في التعامل مع الآخرين.
7. الصدق في الشهادة، أي قول الحق بلا تحريف أو مراوغة.
8. المحافظة على الصلاة، تكرارها واستدامتها على مدار الحياة.

هؤلاء هم الذين خرجوا من طبع الجزع والأنانية، وارتقوا في معارج الإيمان، ليكونوا قدوة صالحة في الدنيا والآخرة.

في الآيات ٣٦–٤٤ تتعرض السورة لتعجب من إعراض الكافرين وسخريتهم، حيث يقول تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ ...﴾؟

الرسالة الاستراتيجية هنا أن هؤلاء الكافرين يتعاملون مع الدين وكأنه فرجة أو مسرحية، يستهزئون بالحق ويعرضون عن الإيمان. لكن في يوم القيامة، سيواجهون الجزاء: يُسحبون على وجوههم، ويُختم على أبصارهم وبصائرهم، لتكون عقوبة حقيقية على التهاون والاستهزاء، وتحذيرًا من الغفلة عن أمر الله.

خلاصة السورة :

في العقيدة، تُثبت السورة أن العذاب واقع لا دافع له، وأن المعارج، أي طرق الارتقاء الإيماني، بيد الله وحده.

في السلوك، تُبين أن الإنسان جزوع بطبعه، وأن الإيمان هو الذي يروضه ويقوده نحو الصبر والصدق والاستقامة.

في المجتمع، تُبرز السورة أن صفات المؤمن تتجلّى في الإنصاف في المال، والوفاء بالعهود، والصدق في الشهادة، والمحافظة على الصلاة.

أما في المصير، فتؤكد أن يوم الفزع يكشف كل شيء، فلا مهرب من الجزاء، وأن الأعمال وحدها هي التي تحدد مصير الإنسان في الآخرة.

الربط بين السورة وما قبلها:

سورة الحاقة تعرض الواقع الآتي لا محالة، مؤكدة أن القيامة حق لا ريب فيه والمصير حتمي لكل إنسان.

سورة المعارج تأتي لتعلّمنا كيفية التعامل النفسي والعملي مع هذا الواقع، فتوضح طبيعة الإنسان الجزوع، وضرورة الصبر، والتمسك بصفات المؤمنين لترتقي النفس في مدارج الإيمان استعدادًا للقاء الله.

للتأمل الذاتي:

- هل أسأل عن الحقائق الكبرى باستهزاء أم بإشفاق وخشية؟
- هل أنجو من طبع الجزع والأنانية، أم أسمح لهما بالتحكم في تصرفاتي؟
- هل صلاتي تنهاني عن الجزع وتزرع الصبر، أم أنها مجرد عادة بلا تأثير حقيقي؟
- هل ألتزم بالحق في المال وأراعي المظلوم والمحروم في معاملاتي؟
- هل أسعى للارتقاء في مدارج الإيمان، أم أتباطأ في الطريق إلى الله؟

خاتمة:

سورة المعارج تكشف طبيعة الإنسان بين الجزع والطاعة، وتبيّن من هم الذين يستطيعون تجاوز طبائعهم الضعيفة بالصبر والإيمان.

إنها سورة الارتقاء الإيماني لمن أخلص لله وتمرّن على الطاعة، ودعوة صريحة للصعود في المعارج الروحية، لا السقوط في دركات الأنانية والجزع.

سورة نوح

الاسم والدلالة: سُمّيت "نوح"[1] لأنه المحور الكامل للسورة: دعوة نوح عليه السلام لقومه عبر قرون، وصبره، ومنهجه، ثم دعاؤه عليهم بعد اليأس.

ليست قصة للتسلية، بل خارطة طريق للدعاة والمصلحين في وجه التحديات المجتمعية العميقة.

المقصد العام للسورة:

بيان المنهج الدعوي المتكامل للنبي نوح عليه السلام في دعوة قومه، وكيف خاطبهم بالعقل، والعاطفة، والموعظة، والدليل، ثم صبر طويلاً، فلما طغى القوم، دعا عليهم، فاستجيب له.

الدروس الرئيسة:

- الصبر الطويل أساس نجاح الدعوة.
- المخاطبة المتدرجة للعقول والقلوب تحقق تأثيرًا أعمق.
- الإصلاح الاجتماعي مرتبط بالإصلاح العقدي.
- الداعية قائد برؤية، لا نتائج سريعة.

البنية الموضوعية لسورة نوح:

[1] قال الفيرزةآبادي:" سمّيت سورة نوح لذكره فى مفتتحها ومختتمها" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1ص481.**

- الآيات 1–4: مهمة نوح عليه السلام وأهداف دعوته لقومه، وإظهار الرسالة والمبدأ الذي جاء به.
- الآيات 5–9: شكوى نوح من إعراض قومه ورفضهم الاستماع والتحاور، مع بيان أسلوبه في الصبر والمخاطبة.
- الآيات 10–12: دعوته لهم للنظر في آثار رحمة الله، وتحريك القلوب بالاستدلال على الخير والبركة.
- الآيات 13–20: دعوته لهم للتأمل في خلق الله الكوني، واستعراض الدلائل الكبرى في الكون للحث على الإيمان.
- الآيات 21–24: وصف موقف القوم من قادة الضلال واتباعهم للهوى، وإظهار فسادهم الاجتماعي والعقلي.
- الآية 25: بيان العقوبة الإلهية ونهاية الظالمين نتيجة استمراره في الطغيان والرفض.
- الآيات 26–28: دعاء نوح عليه السلام بعد أن استنفد كل الوسائل، مستعينا بالله لتحقيق الحق وإنزال العاقبة بالقوم الظالمين.
- **1–4) مهمة نوح وأهداف رسالته**

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١...)

الرسالة الاستراتيجية:

كل دعوة ربانية ترتكز على ثلاثية أساسية: العبادة، التقوى، والطاعة للقيادة النبوية، فهي الأساس الذي يبنى عليه الإصلاح الروحي والاجتماعي.

- **:(5–9) استنفاد الوسائل وتدرج الدعوة**

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الدعوة تتطلب صبرًا طويلًا وتدرجًا حكيمًا في الوسائل، بالإعلان والإسرار، بالليل والنهار، حتى لو أصرّ القوم على الإعراض، فالنجاح في الدعوة غالبًا يأتي بصبر الداعية ومثابرته، لا بالاستعجال.

- **(10–12): تحريك العاطفة ورزق الدنيا مرتبط بالتوبة**

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

التوبة الصادقة ليست مجرد عبادة، بل مفتاح للبركة في الدنيا، فالإصلاح العقدي يقود طبيعيًا إلى إصلاح اقتصادي واجتماعي، ويجعل حياة المجتمع قائمة على النعم والاستقرار.

- **(13–20): تحريك العقل... تأمل خلق الله الدال على قدرته**

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

إذا لم تخشع القلوب، فالاستدلال بالعقل يكون سبيلًا للفهم، فالتأمل في خلق الإنسان، طبقات السماء، الشمس والقمر، والأرض، كلها دلائل واضحة على قدرة الله وعظمته، تحرك الفكر قبل القلب.

- **(21–24): عناد القوم وتبعية الجُهال لرموز الضلال**

﴿...وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الجهل لا ينتج الفساد وحده، بل يُقاد بواسطة زعماء الضلال. لذا، أي إصلاح حقيقي يبدأ بهدم المرجعيات الفاسدة وإعادة توجيه القلوب والعقول نحو الحق.

- 25)**العقوبة الجماعية نتيجة الاستكبار والعناد**

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ٢٥﴾)

الرسالة الاستراتيجية:

الاستكبار والعناد يؤديان حتمًا إلى جزاء رباني، فالطغيان لا يُمحى إلا بالعقوبة، والسنن الإلهية ثابتة لا تتغير.

- :(26–28)**دعاء نوح بعد استنفاد الوسائل**

﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾...)

الرسالة الاستراتيجية:

عندما تُسد كل السبل وتُستنفد كل الوسائل، يصبح اللجوء إلى القضاء الرباني العادل هو الطريق الأخير، مُعتمدًا على حكمة الله وعدله في إنهاء الظلم.

خلاصة السورة:

- **الدعوة:** الصبر الطويل، التدرج في الوسائل، تنويع الخطاب، مع انتظار النتائج دون استعجال.
- **المجتمع:** الإصلاح الحقيقي يبدأ بإصلاح العقيدة قبل السياسات، لأن استقامة المجتمع مرهونة بصلاح القلوب.
- **الإيمان:** التوبة الصادقة مفتاح لبركة الحياة، وربط العقيدة بالرزق والاستقرار.
- **السياسة:** الجهل يُستغل من قبل رموز الضلال، لذا أي إصلاح يحتاج إلى مواجهة هذه المرجعيات الفاسدة.

- **القضـاء:** عندما تُستنفد كل الحِجج والوسائل، ينزل حكم الله العادل لإنهاء الظلم والطغيان.

الربط بين سورة نوح وما قبلها

- **سورة المعارج:** تركز على صفاء الفطرة الداخلية والتزكية الروحية، وتعمل على تجهيز القلب لمواجهة اختبارات الحياة.
- **سورة نوح:** تكمل هذا البناء بتطبيق الدعوة عمليًا، عبر التبليغ الطويل والصبر على استجابات الناس، وبناء الإنسان والمجتمع من خلال الإصلاح العقدي والاجتماعي.

المعارج تهتم بالجانب الداخلي للإنسان، بينما نوح يترجم هذا الصفاء إلى عمل ميداني ودعوة مستمرة، ليظهر التكامل بين تزكية القلب والتبليغ العملي.

للتأمل الذاتي:

- هل أملك صبر نوح عليه السلام في دعوتي، مستمرًا رغم الإعراض؟
- هل أدعو بالثبات والمتابعة، ليلًا ونهارًا، أم أكتفي بالمواسم والمناسبات؟
- هل ربطت بين التوبة الشخصية وإصلاح حياتي اليومية وعلاقاتي؟
- هل أتبنى عقيدة واضحة، أم أتباع فقط لرموز وزعامات دون فهم؟
- هل يحمل قلبي روح الدعاء بالرحمة، أم الدعاء بالقصاص؟ ومتى يكون كل منهما مناسبًا؟

خاتمة:

سورة نوح ليست مجرد قصة تاريخية، بل هي **منهج حياة متكامل:** تربّي الداعية على الصبر والمثابرة، وتدعو المجتمع للتوبة والإصلاح، وتحذّر من عناد الجاهلين الذين لا يزيدهم الحق إلا تمسّكًا بالباطل.

سورة الجن

الاسم والدلالة: سُمّيت السورة بـ"الجن"[1] لأنها تبدأ بسرد موقف جماعة من الجن استمعوا للقرآن فآمنوا وتأثروا به. هذا الحدث الغيبي الذي أطلع الله عليه نبيه ﷺ يبرهن على **عالمية الرسالة القرآنية** وتأثيرها حتى على الكائنات غير البشرية.

الموضوع المركزي:

السورة توضح العلاقة بين الجن والقرآن، وتضع حدًا لأي خلط بين النبوة والكهانة، كما تُظهر كيف يُثبت القرآن قواعد التوحيد، ويكشف زيف الدجل والخرافة.

المقصد العام:

بيان استجابة بعض الجن للحقّ، وتقرير التوحيد ونفي ادعاءات علم الغيب، و تحديد وظيفة النبي ﷺ كنذير، وفضح الكهان والدجالين وإظهار خطورة تضليل الناس.

البنية الموضوعية لسورة الجن:

- **الآيات 1–2:** شهادة الجن للقرآن وتأثرهم به، وإيمان بعضهم بالرسالة.
- **الآيات 3–4:** إعلان التوحيد ونفي الشرك، وتأكيد أن الله الواحد لا شريك له.
- **الآيات 5–7:** استعراض تخبط الجن السابق في معرفة الحقيقة قبل استماعهم للقرآن.
- **الآيات 8–10:** تحذيرهم ومنعهم من استراق السمع للغيب، وإظهار حدود علمهم.
- **الآيات 11–15:** بيان أصناف الجن ومواقفهم المتباينة تجاه الدعوة، من الإيمان والرفض.
- **الآيات 16–18:** التوجيه بالتقوى والإيمان، وربط السلوك بالجزاء والخطر.

---

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَفِي الْمَصَاحِفِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَمِنْهَا الْكُوفِيُّ الْمَكْتُوبُ بِالْقَيْرَوَانَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ «سُورَةُ الْجِنِّ» . وَكَذَلِكَ تَرْجَمَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «جَامِعِهِ» ، وَتَرْجَمَهَا الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ «سُورَةُ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ» . وَاشْتُهِرَتْ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُكَتِّبِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ فِي الْكَتَاتِيبِ الْقُرْآنِيَّةِ بِاسْمِ قُلْ أُوحِيَ [الْجِنّ: ١] .وَلَمْ يَذْكُرْهَا فِي «الْإِتْقَانِ» فِي عِدَادِ السُّوَرِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنِ اسْمٍ وَوَجْهُ التَّسْمِيَتَيْنِ ظَاهِرٌ. محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، 29ص216.

- **الآيات 19–24:** توضيح أن الرسول ﷺ ينذر فقط ولا يملك شيئًا بغير إذن الله.
- **الآيات 25–28:** علم الساعة والغيب لله وحده، ونفي أي قدرة للجن أو البشر على معرفة الغيب.
- (1–2)**الجن يسمعون القرآن ويؤمنون**

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ
وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾

الرسالة الاستراتيجية:

إذا خضعت قلوب الجن للقرآن وتأثرت به، فكيف يمكن للإنس الذين أُعطوا العقل والقلب أن يعرضوا عنه؟ هذا يرسخ قاعدة **استجابة القلوب للحق مهما كان العالم** ويُبرز أثر القرآن في الهداية.

- (3–4)**التوحيد الخالص ونفي الكذب على الله**

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الجن أدركوا بكمال الفطرة صفاء التوحيد، فصححوا مفاهيمهم وانفصلوا عن رموز الضلال، مؤكدين أن الهداية تبدأ بفهم الحق ونبذ أي كذب يُنسب لله.

- (5–7)**التيه قبل النبوة**

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧)

الرســــــــــــــــــــــالة الاســــــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

قبل نزول الرسالة كانت الظنون تغطي العقول، وكان التيه سائداً، فجاء القرآن ليهدم الأساطير والخرافات، ويُثبت أن **المصدر الوحيد للحق هو الوحي الإلهي**.

- **8–10) منع استراق السمع وتغير النظام الكوني**

﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ٩ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

بعثة النبي ﷺ ليست مجرد حدث محدود في الزمان والمكان، بل هي **تغير كوني شامل،** إذ شملت القوانين الكونية حتى بالنسبة لعالم الجن، ومنعتهم من استراق السمع للغيب، مؤكدة أن كل نظام مرتبط بإرادة الله وأن حدود المعرفة لا تتعدى الوحي.

- **:(11–15)الجن فرق ومواقف متعددة**

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ١١ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

حتى بين الجن توجد **فرق ومواقف متنوعة؛** بعضهم آمن واستجاب للحق، وبعضهم أعرض وتمسك بالباطل، فالمعيار الحقيقي للتمييز هو **الاستسلام للحق والانقياد له،** لا الأصل أو النوع أو البيئة التي ينتمي إليها الفرد.

- **16–18) بشرى المهتدين وتحذير المعرضين**

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ١٧ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الاستقامة على طريق الحق سبب للبركة والفتح، بينما الإعراض عن الحق يؤدي إلى الحرمان والنقص، وهذا **مبدأ ثابت في كل زمان ومكان**، سواء للجن أو الإنس، فالالتزام بالهداية هو مفتاح الرزق والهداية.

- **:(19–24)وظيفة الرسول ﷺ ونفي العلم بالغيب**

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الرسول ﷺ ليس ساحرًا ولا كاهنًا، بل **نذير يبلّغ الحق فقط**، لا يعلم الغيب، ولا يتجاوز حدود مهمته. هذا يوضح الفرق بين النبوة والدجل، ويُرسخ مفهوم أن أي ادعاء بالغيب أو القوة الخارقة خارج نطاق الرسالة الربانية هو باطل.

- **:(25–28)علم الساعة والغيب لله وحده**

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦
إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ
رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الغيب شأن **إلهي خالص**، لا يعلمه إلا الله، وأي ادعاء علم الغيب من الكهان أو المنتسبين للخرافة **باطل تمامًا**. هذا يرسخ التوحيد ويكشف زيف كل أنواع الدجل والخرافات.

خلاصة تفسير سورة الجن – الرسائل الاستراتيجية

- **العقيدة:** التمسك بالتوحيد الخالص، والانفصال عن كل أشكال الشرك والخرافة.

- **الدعوة:** القرآن يؤثر حتى في الجن، فكيف يترك الإنس دون هداية؟ الصبر والمثابرة على تبليغ الحق واجب.
- **النبوة:** النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ووظيفته محصورة في التبليغ والتحذير، لا التسلط أو التحكم في الغيب.
- **الغيب:** علم الغيب لله وحده، وكل ادعاء من الكهان أو المنتسبين للخرافة **باطل ولا أصل له.**
- **المجتمع:** الجهل والظنون تنتشر حيث يغيب الوحي، والإيمان بالحق ونور القرآن هو الذي يبدد الضلال ويهدي القلوب.

الربط بين سورة الجن وما قبلها

- **سورة نوح:** ركّزت على دعوة البشر في الواقع الميداني، مع الصبر، التدرج، والمخاطبة العقلية والعاطفية لتحقيق الإصلاح الاجتماعي والعقائدي.
- **سورة الجن:** تُظهر أن الرسالة القرآنية **تتجاوز عالم البشر**، فتؤثر حتى في العوالم الغيبية، وتثبت قدرة القرآن على تغيير القلوب والقوانين الكونية للجن، مع التمسك بالتوحيد ونفي الدجل.

الخلاصة:

نوح يربط الرسالة بالإنسان والواقع، بينما الجن يوضح أن القرآن **عالمي التأثير**، في البشري والغيبي، موضحًا شمولية الدعوة وحدود النبوة ووحدة الغيب لله.

للتأمل الذاتي:

- هل أتعامل مع القرآن كرسالة تهدي للرشاد، كما استجاب الجن لها؟
- هل عقيدتي صافية من الشرك الخفي ومن القول على الله بغير علم؟
- هل أؤمن بأن علم الغيب **بيد الله وحده؟**
- هل أطلب من الرسول ﷺ ما لم يُكلف به، أم أحترم حدود مهمته كنذير فقط؟

- هل أستطيع التمييز بين الدين الحق والكهانة، بين الغيب الحقيقي والإشاعات والخرافات؟

خاتمة:

سورة الجن تكشف **مدى تأثير القرآن** على القلوب، وتؤكد أن التوحيد فطرة إذا صفا القلب آمنت به، وأن النبي ﷺ **مبلغ للرسالة لا يعلم الغيب**، وأن الوحي هو الفاصل بين النور والظن، وأن الاستقامة على الطريق الحق تجلب **بركة السماء والرضا الإلهي.**

سورة المزمل

الاسم والدلالة: سورة العزلة الأولى والتكوين الإيماني في الخفاء، سورة بناء الذات قبل خوض معترك الدعوة، وإعداد الروح قبل منازلة الواقع.

إنها من أوائل ما تنزّل من الوحي، وقد خُصَّ بها النبي صلى الله عليه وسلم في اللحظات التأسيسية للبعثة، حين كان الحمل ثقيلاً، والطريق مجهول المعالم، والسماء تهيّئ عبدها المختار لمقام الرسالة.

ليست هذه السورة خطاب تكليفٍ دعويٍّ ظاهر، بل خطاب إعدادٍ باطنيٍّ عميق؛ تربية في الليل قبل الجهر في النهار، وتزكية في الخلوة قبل المجابهة في الملأ. إنها تعيد ترتيب الأولويات: الوصل بالله قبل الوصل بالناس، وبناء النفس قبل بناء الأمة، وترسيخ الجذور قبل مدّ الفروع.

أما اسمها[1]، فدلالته رفيقة وعميقة في آن، "المزمل"[2] هو المتلفف بثيابه، في هيئة من الانكماش والسكون، فجاء النداء الإلهي الحاني لينقله من حال الاضطجاع إلى حال القيام،

---

[1] قال جعفر شرف الدين:" وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)"جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، مرجع سابق، ج10ص217.

[2] قال البلنسي:" {يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.} هو خطاب للنّبي صلى الله عليه وسلم وليس (المزّمّل) باسم من أسمائه يعرف به كما ذهب إليه بعض النّاس وعدّوه في أسمائه وإنما {(الْمُزَّمِّلُ)} اسم مشتق من حاله (٢) التي كان عليها حين الخطاب وكذلك (المدّثّر،)" أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢ هـ) **تفسير مبهمات القرآن «الموسوم بصلة الجمع وعائد**

ومن سكون الجسد إلى حركة الرسالة: يا أيها المزمل قم الليل. إنه انتقال من دفء الغطاء إلى برد التكليف، ومن عزلة التأمل إلى أفق التغيير. فالنداء ليس توبيخًا، بل تهيئة؛ وليس تعنيفًا، بل تشريفٌ واستنهاض.

السورة بهذا المعنى تحمل مفاتيح التزكية والتمكين معًا؛ إذ تقيم معادلة دقيقة بين العبادة والقيادة، بين طول القيام وثقل القول، بين ترتيل القرآن وحمل الأمانة. فالرسالة الثقيلة لا يحملها إلا قلب مُشبَع بالذكر، وروح مُروَّضة على الصبر، ونفس ذاقت لذة المناجاة في ظلمة الليل.

ومقصد السورة العام يتجلّى في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى القيام، قيام الليل الذي يصوغ الباطن، ويقوّي العزيمة، ويثبت الفؤاد، ثم إلى الصبر على ما يلقى، وهجر الجميل، والتوكل على الرب الواحد. إنها تهيئة متكاملة لحمل القول الثقيل، ومواجهة أعباء الدعوة بثباتٍ لا تزعزعه المعارضة، ويقينٍ لا تفتّ فيه المحن.

- وهكذا تبدو سورة المزمل سورة التأسيس العميق؛ تؤسس الإنسان قبل أن تؤسس المشروع، وتبني القائد قبل أن تُطلق الرسالة، لتعلّم الأمة من بعده أن طريق النهار يبدأ من محراب الليل، وأن سرَّ الثبات في ميادين الناس يُصنع أولًا في خلوة بين العبد وربه.

البنية الموضوعية لسورة المزمل تتدرج في نسق تربوي محكم، يكشف عن وحدة مقصدها، ويبيّن أن السورة ليست مقاطع متجاورة، بل حلقات متساندة في مشروع إعدادٍ متكامل:

- في الآيات من الأولى إلى السابعة يَرِدُ الأمر بقيام الليل، بوصفه أصل التكوين ومفتاح التزكية. هنا يتأسس البناء الداخلي: قيام، وترتيل، وتدرج في العبادة، مع بيان أن القول ثقيل، وأن حمله يقتضي استعدادًا روحيًا عميقًا. فقيام الليل ليس نافلة عارضة، بل منهج إعدادٍ للرسالة، وصياغة للنفس على معاني الصبر والثبات.

التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل» دراسة وتحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م،ج2ص257.

- وفي الآيات من الثامنة إلى العاشرة ينتقل الخطاب إلى معنى التفرغ لله، وقطع العلائق التي تضعف الصلة به، مع توجيهٍ إلى احتمال الأذى وهجره هجرًا جميلًا. فبعد بناء الداخل، يأتي توجيه السلوك الخارجي: ذكرٌ دائم، وتوكلٌ خالص، وصبرٌ راقٍ لا يتورط في ردود أفعال منفلتة، بل يواجه الإساءة بسكينةٍ وثقة.
- ثم في الآيات من الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة يشتد الخطاب في تهديد المكذبين، فيتجلى وجه العدل الإلهي بعد بيان طريق الرحمة والتزكية. هذا المقطع يرسّخ اليقين في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ويؤكد أن الصبر ليس ضعفًا، وأن وراء الإمهال حسابًا دقيقًا.
- وفي الآيات من الخامسة عشرة إلى التاسعة عشرة يرد التذكير بسنة التاريخ، من خلال استحضار مصير فرعون ومن سبقه، ليتحول التهديد من وعيدٍ مجرد إلى شاهدٍ تاريخيٍّ قائم. فالتاريخ هنا ليس سردًا، بل تثبيتٌ للقلب، وبيانٌ أن المواجهة بين الحق والباطل لها سنن ماضية لا تتخلف.
- وأخيرًا تأتي الآية العشرون، فتُختم السورة بتخفيفٍ وتشريعٍ مرحلي، يراعي أحوال المؤمنين وظروفهم. فبعد أن كان القيام واجبًا في صورةٍ مشددة، جاء التيسير رحمةً بالأمة، مع الإبقاء على جوهر الصلة بالقرآن والقيام. وهكذا تتوازن السورة بين العزيمة والرخصة، وبين التأسيس العالي والواقعية التشريعية.
- بهذا التدرج تتضح وحدة البناء: تزكيةٌ أولًا، ثم توجيهٌ في السلوك، ثم تثبيتٌ بالوعيد والتاريخ، ثم رحمةٌ بالتخفيف؛ وكل ذلك في إطار إعداد الجيل الأول لحمل القول الثقيل، وبناء الذات القادرة على حمل أمانة الدعوة.
- في الآيات من الأولى إلى السابعة يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾.

هذا المطلع يؤسس لأعظم مدرسة قيادية في القرآن: مدرسة القيام قبل الكلام، ومدرسة التزكية قبل التبليغ. فالنداء في الآية الأولى انتقال من حال الالتحاف والسكون إلى حال

النهوض والتكليف، ثم يأتي الأمر في الآيتين الثانية والثالثة بقيام معظم الليل، على تفاوتٍ في المقدار، ليكون الزمن المقتطع من النوم هو زمن صناعة القادة.

- وفي الآية الرابعة يجيء الأمر بترتيل القرآن، لا مجرد قراءته، ليغدو التلقي عميقًا متدبرًا، ينفذ إلى القلب قبل أن يجري على اللسان، ثم تُعلل هذه الأوامر في الآية الخامسة ببيان حقيقة مركزية: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا، فثقل الرسالة يستدعي قوة في الروح، وصلابة في اليقين، واتصالًا دائمًا بالمصدر.
- وتكشف الآيتان السادسة والسابعة عن سر هذا الاختيار الزمني؛ فقيام الليل أشد وطأ وأقوم قيلا، إذ يخلو القلب من الشواغل، وتصفو النفس من ضجيج النهار، بينما النهار ميدان السعي الطويل ومواجهة الناس وأعباء الدعوة.

الرسالة الاستراتيجية: قبل مواجهة العالم برسالة ثقيلة، لا بد من بناء الداخل في خلوة صادقة مع الله. قيام الليل ليس عبادة فردية فحسب، بل هو معمل إعداد، ومحراب تشكيل، ومنصة انطلاق. فيه تُفتح البصيرة، ويثبت القلب، ويستقيم العمل، ومنه يتولد القائد الذي لا تزلزله العواصف؛ لأن جذوره ممتدة في ظلمة الليل، حيث لا شاهد إلا الله.

- في الآيات من الثامنة إلى العاشرة يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨...﴾، بعد تأسيس القيام في الآيات الأولى، ينتقل الخطاب هنا إلى تعميق معنى التفرغ لله. فالآية الثامنة تأمر بذكر الاسم، لا مجرد الذكر، ليكون اللسان والقلب في اتصال دائم بالمصدر الأعلى، ثم بالتبتل، وهو الانقطاع الواعي عما يشغل عن الله، لا انقطاع هروب، بل انقطاع تزكية وتركيز.
- وفي الآية التاسعة يُبنى هذا التبتل على توحيد كوني شامل:﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾. فحين يستقر في القلب أن رب الجهات كلها واحد، يسهل تسليم الأمر إليه، ويغدو التوكل خيارًا استراتيجيًا لا مجرد حالة وجدانية.

- ثم تأتي الآية العاشرة لتضع المؤمن في قلب الميدان:﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾. فالدعوة ستُواجَه بالسخرية والتكذيب، لكن الرد ليس انفعالًا، بل صبرًا راقيًا وهجرًا جميلًا، أي مفاصلة بلا خصومة مبتذلة، وثباتًا بلا انحدار أخلاقي.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن العزلة مع الله ليست انسحابًا من الواقع، بل شحنٌ للروح بطاقة الاستمرار فيه. فمن لم يتبتل قلبه، تفتته كلمات الناس، ومن لم يتخذ الله وكيلا، أرهقته حسابات البشر، ومن لا يتحمل الأذى لا يبلغ التبليغ، لأن طريق الرسالة محفوف بالاعتراض، ولا يصمد فيه إلا من امتلأ قلبه بذكر ربه، واستند في خطوه إلى وكالته سبحانه.

- في الآيات من الحادية عشرة إلى الرابعة عشرة يقول تعالى:﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١...)

بعد الأمر بالصبر في الآية العاشرة، يأتي هنا توجيه يحرر قلب الداعية من عبء المواجهة المباشرة: وذرني والمكذبين. إنه إعلان رباني بأن الحساب ليس مهمة الرسول، ولا الانتقام وظيفة الدعوة، فالخصوم، مهما بلغ سلطانهم، في قبضة الله، وهو الذي يتولى شأنهم.

- وتصف الآيات الثانية عشرة والثالثة عشرة مشاهد العقوبة تصويرًا يهز الوجدان: أنكالا تقيد، وجحيما تحرق، وطعاما ذا غصة يخنق، وعذابا أليما يحيط. ليس ذلك لإشباع رغبة في التخويف، بل لترسيخ يقين العدالة الإلهية في قلب النبي والمؤمنين.
- ثم تبلغ الصورة ذروتها في الآية الرابعة عشرة، حيث يرتجف الكون كله: الأرض والجبال، حتى تتحول الجبال الصلبة إلى كثيب مهيَل، في مشهد يذيب وهم القوة البشرية، ويعيد الأحجام إلى حقيقتها أمام سلطان الله.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن الداعية لا يُستدرج إلى معارك انتقامية، ولا يرهقه بطش الطغاة؛ لأنهم مهما بدوا أقوياء، فهم مؤجلون لا مهملون. سلاحه الصبر والقرآن، وثقته

أن الله يتولى الحساب، فمن استيقن أن خصومه في قبضة العدل الإلهي، تفرغ لبناء رسالته، ولم تستهلكه مشاعر الغضب، ولا أضعفت مسيرته رغبة في رد الصاع بالصاع.

- في الآيات 15–19 يقول تعالى:﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ ...﴾. ينتقل الخطاب هنا من الوعيد المجمل إلى الشاهد التاريخي الملموس. فكما أُرسل موسى إلى فرعون، أُرسل محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه؛ والرسالة واحدة في جوهرها، والسنن واحدة في مآلاتها. الآية 15 تقيم المماثلة الصريحة، لتؤكد أن البعثة المحمدية ليست حادثة معزولة، بل امتداد لسلسلة النور المتتابعة عبر التاريخ.
- وفي الآية 16 يُختصر مصير الطغيان في عبارة موجزة حاسمة:﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦﴾. لم تنفعه قوة، ولم تدفعه هيبة ملك، لأن معصية الرسالة مواجهة مباشرة لسنن الله.
- ثم تأتي الآيتان 17 و18 لتوسّعا المشهد من عذاب أمة في الدنيا إلى هول القيامة:﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾. صورة تهز الفطرة، وتكسر غفلة المتكبرين، وتضع الإنسان أمام سؤال المصير لا سؤال اللحظة.
- وتُختم هذه السلسلة في الآية 19 بحقيقة قاطعة: كان وعده مفعولا. فلا التاريخ عبث، ولا الوعيد تهديدًا فارغًا، بل سنن تمضي بوعد لا يتخلف.

الرسالة الاستراتيجية أن التاريخ لا يعيد ذاته مصادفة، بل يجري وفق سنن ثابتة: من كذّب الرسل كانت عاقبته الهلاك، ومن استكبر على الحق أُخذ أخذًا وبيلا. والرسول صلى الله عليه وسلم حلقة في السلسلة النورانية الممتدة، فمن عارضه فقد واجه الامتداد ذاته، ومن ناصره فقد انضم إلى موكب الحق الذي لا ينقطع.

- في الآية 20 يقول تعالى: ﴿۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ...﴾

تأتي هذه الآية خاتمة للسورة، جامعة بين العزيمة والرحمة، وبين التكليف والتخفيف. فقد كان قيام معظم الليل في صدر السورة توجيهًا مكثفًا لبناء الجيل الأول، فلما استقرت المعاني في القلوب، ونما العود، جاء التخفيف رحمةً وتدرجًا. تقرر الآية أولًا علم الله الدقيق بحال نبيه والمؤمنين معه؛ فهو يعلم قيامهم، ويعلم تقلب الليل والنهار، ويعلم حدود طاقتهم. ثم تعلن قاعدة عظيمة في التشريع: علم أن لن تحصوه فتاب عليكم، فالتكليف ليس تعجيزًا، بل تربية، فإذا ظهرت المشقة التي تتجاوز الوسع، جاء التيسير.

ثم يُستبقى الجوهر: فاقرؤوا ما تيسر من القرآن، فقيام الليل قد يُخفف في مقداره، لكن الصلة بالقرآن لا تُرفع، لأنها عمود البناء وروح الرسالة.

وتُذكر في تتمة الآية أحوال الناس من مرض وسفر وجهاد، ليُبنى الحكم على واقع الحياة، لا على مثال متجرد عن الظروف.

الرسالة الاستراتيجية أن التكليف في الإسلام متدرج، وأن الله لطيف بعباده، يربيهم بالعزائم ثم يرفق بهم بالتخفيف. غير أن الرخصة لا تعني القطيعة، ولا التيسير يعني التفلت؛ فمن أراد الرفعة والثبات في طريق الدعوة فلا غنى له عن ورد من الليل، ولا عن صحبة القرآن، إذ بهما يستبقي حرارة الإيمان، ويحفظ توازن الروح في زحام التكليف.

خلاصة السورة: يمكن ردّها إلى مجالات كبرى تتكامل في بناء الإنسان الرسالي، وتكشف أن السورة ليست توجيهات متفرقة، بل مشروع إعداد شامل:

- في مجال التزكية تقرر السورة أن قيام الليل هو مصدر الصفاء والبصيرة. فمنه يتغذى القلب، وتصفو الرؤية، ويستقيم الميزان الداخلي. الليل هنا ليس زمنًا فحسب، بل مدرسة تطهير، ومعمل إعادة تشكيل للروح على نور القرآن.

- وفي مجال القيادة تؤكد السورة أن إعداد النفس هو الخطوة الأولى في كل مشروع تغييري. فلا قيادة بلا تزكية، ولا تأثير بلا تربية سابقة. القائد يُصنع في الخلوة قبل أن يُختبر في الساحة، ويُبنى في محراب المناجاة قبل أن يُمتحن في ميادين المواجهة.
- أما في مجال الدعوة، فترسّخ السورة أن الصبر والتحمل هما أساس التبليغ. الطريق محفوف بالأذى، والكلمة الحق تستفز الباطل، لكن الداعية لا يستمد ثباته من ردود الفعل، بل من عمق صلته بالله، ومن يقينه بأن الحساب ليس إليه.
- وفي مجال السياسة الشرعية تبين السورة أن مواجهة الطغيان لا تكون بانفعالٍ مجرد، ولا بردود أفعال غاضبة، بل بوحيٍ يوجه، وتربيةٍ تزكي، وبصيرةٍ تدرك سنن التاريخ. فالقوة الحقيقية تبدأ من الداخل، ومن الرسوخ في المنهج قبل الاحتكاك بالخصم.
- وفي مجال التشريع تؤسس السورة لقاعدة التدرج بوصفها سنة ربانية رحيمة. يبدأ التكليف بالعزيمة لتنشأ الهمم، ثم يأتي التخفيف مراعاة للوسع، دون أن يُلغى الأصل أو تُقطع الصلة بالقرآن. وهكذا يجتمع في السورة الحزم والرحمة، والعزيمة والرخصة، في توازن يكشف عن حكمة التشريع وعمق المقصد.

بهذه المعاني تتجلى سورة المزمل سورة تأسيس وبناء؛ تبني القلب، وتصوغ القائد، وترسم منهج الدعوة، وتؤصل سنن المواجهة، وتكشف رحمة التشريع، في نسق واحد محكم يخرج الإنسان من دفء الغطاء إلى أفق الرسالة.

الربط بينها وما قبلها: إذا نُظر إلى سورة المزمل في سياقها القرآني، بدا ارتباطها بسورة الجن ارتباط تكامل لا تعاقب عارض.

- فسورة الجن عرضت أثر القرآن في الخارج؛ إذ كشفت كيف بلغ صوته عالَم الغيب، فآمنت به طائفة من الجن، وأعلنت خضوعها للحق حين سمعته. هناك يتجلى تأثير الرسالة في محيطها، وكيف يخترق الوحي الحواجز المرئية وغير المرئية، فيصنع تحولًا في السامعين، ويقيم حجة في المجتمع والكون معًا.
- أما سورة المزمل فتعود بالخطاب إلى الداخل؛ إلى حامل الرسالة نفسه. فإذا كانت سورة الجن ترسم صورة التأثير الخارجي للقرآن، فإن سورة المزمل ترسم منهج الإعداد

الداخلي لحاملي القرآن. هناك نرى صدى الكلمة في الأسماع، وهنا نرى صناعة القلب الذي يحمل الكلمة.

- الجن تمثل مرحلة الامتداد، والمزمل تمثل مرحلة التكوين. في الأولى يتجلى سلطان القرآن في تحويل القناعات وبناء المواقف، وفي الثانية يُبنى الإنسان الذي سيحمل هذا السلطان. فالتأثير في الخارج لا يستقيم ما لم يُسبق بإعداد في الداخل، وانتشار النور في الآفاق لا يتم إلا إذا اشتعل أولًا في القلوب.
- بهذا الترتيب يتضح البناء القرآني المتكامل: رسالة تؤثر في الغيب والمجتمع، ثم تربية تُعدّ النفوس لتحمل أعباء هذا التأثير. فالقرآن لا يكتفي بأن يُسمَع، بل يُنشئ رجالًا ونساءً يصيرون تجسيدًا حيًا له؛ ومن هنا كانت المزمل ضرورة بعد الجن، إذ لا معنى لتأثير خارجي واسع بلا جذور داخلية راسخة.

للتأمل الذاتي في ضوء سورة المزمل:

- كم أقوم من الليل طلبًا للتزكية؟ هل أعطي نفسي مساحة للاتصال بالله بعيدًا عن صخب النهار؟
- هل أربي نفسي سرًّا كما أتحرك في العلن؟ هل أتهيأ داخليًا قبل أن أواجه مسؤولياتي؟
- هل أتحمل الأذى بصبر الرسل؟ هل أعلم أن الصبر على الكلام المؤذي والمواقف الصعبة جزء من حمل الرسالة؟
- هل أذكر أن الله لطيف بي في تكليفه؟ هل أعي أن التدرج والرحمة في التكليف جزء من الحكمة الإلهية؟
- هل وردي من القرآن يكفيني لحمل الرسالة؟ هل صلتي بالقرآن تغذي روحي، وتثبت قلبي، وتمكنني من مسؤولياتي؟

هذه الأسئلة ليست مجرد مراجعة، بل دعوة لتقييم النفس ومقاييسها في الطريق الذي رسمه القرآن، لتكون المزملية منهجًا عمليًا في بناء الذات وتحمل الرسالة.

خاتمة:

سورة المزمل مدرسة متكاملة للقادة، تختبر النفوس وتُهيئها للرسالة. فيها دروس التهيئة والارتقاء، وفيها همس الله لنبيه ﷺ في خلوته، يأمره بالقيام والارتباط العميق بالقرآن:﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ .هي دعوة للصفاء الداخلي قبل مجابهة الخارج، وللبناء الروحي قبل الانطلاق في حمل الأمانة، لتظل النفس قوية، والقلب ثابتًا، والرسالة مستمرة على دروب الزمن.

سورة المدثر

الاسم والدلالة:

سورة النداء العلني والانطلاق الخارجي بعد مرحلة التهيئة الداخلية في المزمل. فحين كانت المزمل مدرسة التزكية والخلوة، جاءت المدثر لتعلن لحظة الفعل، لحظة الظهور والبلاغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾). هذه السورة تمثل الانتقال من البناء الداخلي إلى المهمة الميدانية الكبرى، من السكون إلى الحركة، ومن التكوين الصامت إلى الإعلان الجهرِي بالدعوة. الاسم نفسه[1]، "المدثر" الذي جاءت التسمية منه وهو المتغطي بثيابه يشير إلى حال الانطلاقة الجديدة: لقد حان وقت كشف الذات أمام الناس، وحان وقت حمل الرسالة بلا تردد.

السورة تعلم أن الانطلاق لا يكون إلا بعد اكتمال الاستعداد الداخلي؛ فالخلوة السابقة صاغت القلب، وجعلته صامدًا أمام العداء، وجعل الصبر والثبات من طبيعة النفس. أما المدثر فتضع هذا القلب في مواجهة المجتمع، وتبيّن طبيعة الرسالة وخصائصها، وتتحذّر من المتكبرين الذين يرفضون الحق، وتكشف عقوبة المكذبين.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة المدّثر لافتتاحها بهذا الوصف الذي وصف به النبي صلّى الله عليه وسلّم، وأصل المدثر المتدثر: وهو الذي يتدثر بثيابه لينام أو ليستدفئ. والدثار: اسم لما يتدثر به." وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، مرجع سابق،ج29ص215.

المقصد العام للسورة يتجلى في أمر النبي ﷺ بالبلاغ العلني والإنذار العام، وتهيئة الأمة لفهم طبيعة الرسالة، ومواجهة الباطل بثبات، مع إدراك أن التحدي لن يكون مجرد خصومة كلامية، بل معركة أخلاقية واجتماعية شاملة. فهي بذلك توثق لحظة الانطلاق، وتضع إطارًا استراتيجيًا لكل من أراد أن يسلك درب البلاغ والجهر بالحق.

البنية الموضوعية للسورة : تتدرج في نسق متكامل، يكشف عن منهجية الإعلان الجهري للرسالة بعد اكتمال التهيئة الداخلية:

في الآيات 1–7 يأمر الله النبي ﷺ بالإنذار: "يا أيها المدثر. قم فأنذر"، مع تحديد خصائص الرسالة ووضوح واجب البلاغ. هنا يظهر الانتقال من الخلوة إلى العلن، ومن التزكية الداخلية إلى التمكين الخارجي، إذ يُهيّأ النبي لمواجهة المجتمع بمبادئ الدعوة وبلاغتها.

في الآيات 8–31 يأتي الوصف التفصيلي لمصير المكذبين وعقابهم، مع تصوير نار "سقر" وملامح العذاب: مشاهد تهز القلب وتوضح جدية الرسالة وضرورة الالتزام بها، كما تؤكد أن رفض الحق لا يمرّ دون حساب. هذا القسم يربط الإنذار بالنتائج الواقعية والتأديبية، فيشدّد على أثر التكذيب ووعيده.

أما في الآيات 32–56 فيقسم الله على عظمة القرآن، ويبرز خصائصه وبلاغته، ثم ينذر المتأخرين الذين تجاهلوا الدعوة في مراحلها الأولى. هذا القسم يرسّخ الوعي برسالة القرآن كمنهج شامل، ويظهر حكمة الله في تقديم الإنذار والرحمة قبل العقاب، ويعطي درسًا استراتيجيًا عن التدرج في التبليغ والصبر على المكذبين.

بهذا التدرج تتضح وحدة البناء: أمر بالإنذار وبيان خصائص الرسالة، ثم التحذير من مصير المكذبين، ثم تثبيت مكانة القرآن وعظمة بلاغته مع إنذار المتأخرين، ليكتمل انتقال الدعوة من التهيئة الداخلية إلى الانطلاق الخارجي الجهري.

في الآيات 1–7 يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾.

في هذا المقطع يُفتتح عهد البلاغ الجهري بعد اكتمال التهيئة في سورة المزمل. فالنداء هنا تكليف مباشر وعاجل: النبي ﷺ لا يكتفي بالتحضير الداخلي، بل يُدعى للقيام والعمل في العلن. الأمر يشمل الإنذار، وتعظيم الله، وتنقية الذات من كل دنس، وصبر طويل على الطريق، وهو ما يجعل الرسالة أكثر صلابة ووضوحًا.

الرسالة الاستراتيجية: الرسول ﷺ لا يرتاح في هذه المرحلة، بل يتحرك، ينذر، يعظم ربه، ويتجرد من شواغل النفس والدنيا، مستعدًا لتحمل أعباء البلاغ العلني ومواجهة الصعاب بثبات وثقة. هذا هو نمط الانطلاق الخارجي الذي يرفع الدعوة من مستوى التهيئة الفردية إلى مستوى المواجهة العامة.

في الآيات 8–10 يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾. في هذا المقطع يبدأ التحذير المباشر للمكذبين، حيث يُظهر القرآن أن الرسالة ليست مجرد دعوة أوطمأنينة، بل إنذار جاد يذكّر بالمصير المحتوم لمن يرفض الحق. يوم النكول ليس يوم عادي، بل يوم عسير على من تغافل عن الرسالة وأصر على الكفر، وهو تصوير صارخ لقوة الحساب الإلهي وحقه على المكذبين.

الرسالة الاستراتيجية: الدعوة تبدأ بالإنذار والتحذير، لتكون واضحة المعالم منذ بدايتها؛ فالبلاغ الجهري يحمل في طياته تنبيهًا صارمًا بأن الطريق ليس مجرد نصائح، بل مسؤولية وحقائق يومية ومصيرية، فلا يمكن أن يُختزل التبليغ في الوعظ أو المجاملة.

في الآيات 11–26 يقول تعالى: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣...﴾ تقدم هذه الآيات مثالاً حيًّا للمكذب المتكبر، مستوحى من سيرة الوليد بن المغيرة، الغني الذي عرف الحق لكنه كابر، وتمادى في طغيانه. الآيات تصوّر التناقض بين

المعرفة بالحق والموقف المتعنت، وتكشف عن أسلوب البشر في مقاومة النور حين تصطدم مصالحهم وأنانيتهم به.

الرسالة الاستراتيجية هنا: أن سيرة الوليد تفضح نمطًا متكررًا عبر العصور: من يمتلك القدرة والمال ويعرف الحق، لكنه يتجاهله ويتكبر، يجد نفسه في النهاية تحت حساب الله، عاجزًا عن نجاته. فالدعوة تحذر من الطغيان المتكبر، وتُظهر أن القوة المادية أو الاجتماعية لا تحمي من المحاسبة الإلهية، وأن قبول الحق والخضوع لله هما السبيل الحقيقي للسلامة والنجاة.

في الآيات 27–31 يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ...﴾، تلظى على القلوب والعظام، عليها تسعة أعوان، ليس عليهم غائبٌ، إلا شدة الكفر والرفض.

توضح هذه الآيات طبيعة العقوبة الإلهية للمكذبين: "سقر" ليست نارًا عادية، بل هي مهلكة شديدة، لا تبقي شيئًا ولا تذر، تعكس جدية الرسالة وصرامة الحساب. التصوير التفصيلي للنار وعذابها يهدف إلى هزّ القلوب المتكبرة وتحذير المكذبين من الاستهانة بالحق، مؤكّدًا أن الكفر والإعراض عن الرسالة لهما عواقب قاطعة لا مهرب منها.

الرسالة الاستراتيجية: النذارة هنا واضحة وجلية، لتذكير المكذبين أن الرسالة ليست مجرّد كلام، بل إنذار صارم بمصير لا يمكن تجاهله. فهي ترفع الوعي بالمسؤولية الفردية، وتؤكد أن التكبر عن الحق يعرض صاحبه لعقوبة شديدة لا يُمكن تفاديها.

في الآيات 32–37 يقول تعالى: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ ...﴾ تأتي هذه الآيات لتؤكد عظمة البلاغ وضرورة الانتباه له، من خلال القسم بأمور كونية مألوفة للبشر: الليل، والقمر، والصبح. فالقرآن ليس مجرّد خطاب عابر، بل ذكرٌ للبشر، يحمل في طياته حكمة وعظة وتوجيهًا للنفوس، ويذكّر بأن كل إنسان مسؤول عن نفسه وما يصنعه.

الرسالة الاستراتيجية: التأكيد على خطورة البلاغ القرآني، وأنه دعوة شخصية لكل فرد. فمن أراد أن يتعظ ويتوب، يجد فيه سبيل الهداية، ومن تجاهله أو كابر، فالخسارة عليه، لأن القرآن يترك الخيار للإنسان، لكنه يعلن بوضوح عاقبة الإعراض عن الحق.

في الآيات 38–48 يقول تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ۝٤٧ ...﴾تقدّم هذه الآيات حوارًا في الآخرة يكشف الأسباب المباشرة للوقوع في الهلاك، ويضع أمام الإنسان صورًا واقعية لغفلة القلب وسلوكياته الخاطئة: الإعراض عن الصلاة، إهمال الفقراء والمحتاجين، اتباع الأهواء، وكذب باليوم الآخر. كل هذه الأسباب تتضافر لتنتج الغفلة والعقاب، فتصبح المعاناة نتيجة حتمية لما اختاره الإنسان في دنياه.

الرسالة الاستراتيجية: التعلم من الحوار الآخروي أن الانصراف عن العبادات والحقوق، واتباع الأهواء، وكفر الآخرة ليس مجرد خطأ فردي، بل سبب مباشر للهلاك. فالقرآن يربط بين السلوك اليومي ونتائجه الأخروية، ليكون كل تصرف فرصة للمحاسبة الذاتية، وتصحيح الطريق قبل فوات الأوان.

في الآيات 49–56 يقول تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ ...﴾، كلٌّ منهم يصرّ على جهله وكفره، ويقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، وما يعلمون أن الله يحيي ويميت، وأن القرآن ذكرٌ للناس، لا إكراه فيه.

تُختتم السورة هنا بالاستدراك على المكذبين، موضحة طبيعة موقفهم من التذكرة الإلهية: النفور العجيب والإعراض عن الحق، كما يصورهم القرآن في صورة الحمير المستنفرة، كلٌّ منهم هارب من الحقيقة، عاجز عن الاعتراف بها. وفي الوقت ذاته تُثبت الآيات أن الهداية لمن شاء الله، وأن الرسالة باقية للتذكير، لا لإكراه أحد على قبولها بالقوة.

الرسالة الاستراتيجية: التذكرة الإلهية تُقدَّم دائمًا بحرية الاختيار، والقرآن يترك للإنسان حرية الاستجابة أو الإعراض، والهداية حقٌّ إلهي، والرسول ﷺ والدعاة مجرد وسيلة للتذكير،

والقرآن باقٍ ليكون نبعًا للوعي والإرشاد لمن يرغب في السير على الحق، لا أداة لإجبار القلوب على الإيمان.

خلاصة سورة المدثر: توضح كيف ينتقل القرآن من التهيئة الداخلية إلى الانطلاق الجهري بالرسالة، وتكشف عن الرسائل الاستراتيجية لكل مجال:

النبوة: تبدأ مهمة النبي ﷺ بالبلاغ الجهري، فالرسالة ليست مجرد تحضير، بل عمل واضح ومواجهة للناس بالحق.

التزكية: الطهارة من كل دنس، وتعظيم الله، والصبر على الطريق الطويل هي أساس متانة الرسالة وقوة حاملها، كما أُمر النبي ﷺ بالقيام والتجرد الكامل.

العقيدة: نار "سَقَر" تهديد واضح للمكذبين، لتبيّن جدية الحساب ونتائج الإعراض عن الحق.

المجتمع: من أسباب الهلاك ترك الصلاة، وإهمال الفقراء، والإعراض عن التذكرة، فهي إشارات واضحة إلى المسؤولية الفردية والاجتماعية في حياة الإنسان.

الهداية: القرآن ذكرى لمن شاء، والهداية اختيار إلهي، ولا يُكره أحد على قبول الرسالة، فالإنذار والتوجيه يقدّمان بحرية الاختيار، ليكون القرآن مصدر وعي وعظة دائمًا.

بهذا التدرج تتضح سورة المدثر مدرسة الانطلاق الخارجي: من البلاغ الجهري، إلى التزكية الداخلية، إلى تحذير المكذبين، وإظهار مسؤوليات الفرد والمجتمع، وصولًا إلى الحق في الاختيار والهداية.

الربط مع ما قبلها:

إذا نظرنا إلى سورة المدثر في سياق البناء القرآني المتكامل، يتجلى ارتباطها بسورة المزمل كمرحلة تكميلية ومتصلة:

في سورة المزمل كان التركيز على **بناء الذات في الخفاء**، حيث التزكية الداخلية، والقيام بالليل، وصبر النفس، والتحلي بالخشوع والاتصال بالله. الرسالة هناك: "قُم لنفسك"، أي اصنع في قلبك وعقلك وعزيمتك أساسًا متينًا قبل مواجهة الخارج.

أما سورة المدثر فتنقلنا إلى **الإنذار في العلن**، إلى المواجهة الميدانية بالرسالة بعد اكتمال التهيئة الداخلية. الأمر فيها: "قُم للناس"، أي حمل البلاغ الجهري، الإنذار، وتحمل مسؤوليات الدعوة العامة. فالمزمل صاغ الإنسان، والمدثر صاغ العمل في المجتمع.

بذلك يظهر البناء القرآني المتكامل: أولًا إعداد القلب، ثم تجهيز الرسالة للظهور، فالتسلسل بين المزمل والمدثر يعكس استراتيجية تعليمية دقيقة: التهيئة الداخلية شرط أساسي للانطلاق الخارجي، والتزكية الذاتية شرط لصمود البلاغ أمام خصوم الرسالة والمجتمع.

للتأمل الذاتي:

- هل أنا قائم لله، أم مستغرق في دثاري؟ هل أتهيأ داخليًا قبل مواجهة المسؤوليات والناس؟
- هل عظّمت ربي كما أمرني؟ هل طهّرت نفسي وتجردت لعبادته، أم انشغلت بالدنيا وشواغلها؟
- هل دعوت الناس بوضوح؟ هل أبلغ الرسالة جهريًا كما أمر الله، أم أتردد وأتوارى؟
- هل أنا من المصلين؟ من المتزكين؟ هل ألتزم بالفرائض وأُعنى بحقوق الآخرين، أم أغفل عن واجباتي؟
- هل أتلقى التذكرة كـ"إنسان"، أم أنفر منها كـ"حمار مستنفر"؟ هل أستجيب للحق وأتعظ، أم أرفض وأصرف وجهي عن التوجيه الإلهي؟

هذه الأسئلة تعكس جوهر المدثرية: التوازن بين التهيئة الداخلية والعمل الخارجي، بين تزكية النفس وحمل البلاغ، وبين الوعي بالمسؤولية الفردية والمجتمعية، لتكون كل خطوة في الحياة مستنيرة بالحق والهدى.

خاتمة:

سورة المدثر هي صرخة البداية في وجه الجاهلية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾، هي إعلان رسمي بانتهاء العزلة، وبداية الانطلاق الجهري في مواجهة المجتمع، وفتح صفحة الصراع بين النور والظلام، بين الرسالة والأهواء. سورة المدثر تضع الإنسان في قلب المواجهة، وتعلّمه أن البلاغ الحق مسؤولية، وأن التزكية الداخلية وحدها لا تكفي إلا لتجهيز النفس لحمل الرسالة في ميادين الحياة، بثبات وصبر ووعي.

سورة القيامة

الاسم والدلالة:

سورة تهز النفس من أعماقها وتوقظ الضمير من سباته، فبعد التهيئة الداخلية في المزمل، والانطلاق الجهري بالبلاغ في المدثر، تأتي القيامة لتضع الإنسان وجهاً لوجه مع مصيره، فتفضح ما في قلبه من تقلب، وتردّه إلى اليقين.

الاسم نفسه،[1] "القيامة"، يبعث الرهبة: يوم تتوقف فيه الحياة الدنيوية، ويبدأ الحساب الأبدي، فتظهر كل حقيقة، وتتكشف كل خافية. السورة قصيرة، لكنها ذات وقع رهيب على القلب، فهي تصوير لحظة الانكشاف الكبرى، ودعوة للنفس لمواجهة الحقيقة التي لا مفر منها.

المقصد العام للسورة: يتمثل في تثبيت الإيمان بالبعث، ورد شبهات المكذبين، وكشف تقلب النفس بين لومها وطغيانها، وتصوير مشاهد القيامة من بدايتها إلى نهايتها، مع فضح محاولات التهرب من الحساب. إنها دعوة للتأمل العميق، وللتثبيت على اليقين، وللوعي بأن كل إنسان حجة على نفسه، وأن مصيره مرتبط بخياراته ووعيه الداخلي.

البنيـة الموضـوعية لسـورة القيامـة تتدرج بأسلوب متين يكشف عن هيكلية التحفيز على اليقظة والوعي بالمصير:

---

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة القيامة، لمفتتحها، ولقوله: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامة}" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مرجع سابق،، ج1ص490.

- **الآيات 1–4:** القسم بالقيامة والنفس اللوامة، لتثبيت الحقيقة الكبرى وإيقاظ الضمير من سباته، وإظهار أن النفس مدركة ومحاسبة.
- **الآيات 5–10:** تصوير الإنسان وهو يتذرّع ويكابر، مبرّرًا تقاعسه، متجاهلًا المصير المحتوم، ليظهر هشاشة المواقف البشرية أمام الحق.
- **الآيات 11–15:** كشف الحقيقة يوم القيامة، مع تصوير مفصل للبعث والحساب، لإظهار نهاية التهرب والتسويف، ووجوب الانتباه للقرار الإلهي.
- **الآيات 16–19:** تثبيت الرسول ﷺ في التلقي، لتأكيد الرسالة وطمأنة النبي ﷺ بأن تبليغ الحق هو واجبه، والوعي بالحقيقة مسؤولية الآخرين.
- **الآيات 20–25:** تعلق الإنسان بالدنيا، وإظهار ما يلهيه عن حقائق الخلود، وتبيان أثر الانغماس في الشهوات على إدراكه للمصير.
- **الآيات 26–30:** سكرات الموت وبداية الحساب، لتذكير الإنسان بوقوع الموت، والانتقال من الحياة المؤقتة إلى المحاسبة الواقعية، وجعل القلب مستعدًا.
- **الآيات 31–40:** التذكير بخلق الإنسان والبعث، لإثبات قدرة الله على البعث، وربط البداية بالنهاية، وتثبيت الإيمان بالقيامة على أسس عقلية ووجدانية.

بهذا التدرج، تتضح السورة كسلسلة متكاملة من الإثارة للضمير، والتحذير، والتثبيت، لتجعل كل آية حلقة في تحريك النفس نحو اليقظة والإيمان بالبعث والحساب.

في الآيات 1–4 يقول تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾، وأنه لحقيقة لا مفرّ منها، وأن النفس التي تلوم نفسها هي مدخل الوعي والمسؤولية.

الرسالة الاستراتيجية: يوم القيامة حق محتوم، والنفس اللوامة هي منبّه داخلي يدفع الإنسان للتوبة والتصحيح قبل فوات الأوان. هذه النفس تهمس للإنسان بصوت ضميره، وتجعله يتأمل أفعاله ويعيد ترتيب أولوياته، قبل أن يُغلق الكتاب ويبدأ الحساب.

السورة في هذا المقطع تهز وجدان الإنسان، وتوقظه، لتكون البداية من الداخل قبل تصوير المشهد الخارجي ليوم البعث والعقاب. هل يسمع الإنسان هذا الصوت قبل أن يفوته الأوان؟

في الآيات 5–10 يقول تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝٦ ...﴾، وكأن الإنسان يستخف بالحق، ويحاول تأجيل المواجهة، فإذا برق البصر وظهرت علامات الساعة، يذهل ويفقد السيطرة، ويقف أمام الحقيقة عاجزًا ومذهولًا.

الرسالة الاستراتيجية: من عادة الإنسان المكابرة والتذرّع بالوقت، كأنما يسخر من المصير المحتوم، لكنه حين تقع الواقعة، تفضح الهشاشة والجهل، ويكتشف أنه لم يكن يعلم حجم الحقيقة إلا بعد فوات الأوان. السورة هنا تهز النفس لتوضح أن المماطلة والتسويف لا تنفع، وأن الاستعداد والوعي بالقيامة واجب قبل وقوعها.

في الآيات 11–15 يقول تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ ...﴾.

الرسالة الاستراتيجية: الإنسان لا يجهل نفسه، فهو مدرك لما يقصر فيه وما يؤخره، ومع ذلك يميل إلى التأجيل والمكابرة. السورة تذكّر بأن الوعي الذاتي موجود، وأن المكابرة لا تُغيّر الحقائق، فالقيامة تكشف ما كان ظاهرًا للضمير منذ البداية، فلا حاجة للتسويف أو الإعراض.

في الآيات 16–19 يقول تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ ، فهذه آيات طمأنة للنبي ﷺ عند نزول الوحي.

الرسالة الاستراتيجية: حتى النبي ﷺ احتاج إلى التثبيت والطمأنة عند استلام الرسالة، وهذا درس لنا جميعًا: العلم الإلهي لا يُؤخذ بالعجلة، بل باليقين والصبر، وبالتدبر والتأمل. السورة تبيّن أن الاستعجال قد يعيق الفهم، وأن التلقي المبني على الصبر واليقين أساس قوة الرسالة وثبات حاملها.

في الآيات 20–25 يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۢ بَاسِرَةٞ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ۝٢٥﴾

الرسالة الاستراتيجية: سر الغفلة يكمن في تعلق الإنسان بالعاجلة، باللذات المؤقتة، وبما تمنحه الدنيا من متاع زائل، فتُطمس الحقائق الكبرى في قلبه. السورة تحثّ على التجرد من عبودية اللحظة، وعلى النظر إلى المستقبل الأبدي، فإذا أراد الإنسان أن يرى الحق ويعي مصيره، فلا بد له من التحرر من الشغف بالدنيا والانشغال بما يفنى، والتركيز على ما يبقى من عمل وصلاح.

في الآيات 26–30 يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾، وتكشف لحظات الموت عن حقيقتها، ويقف الإنسان أمام النهاية المؤقتة قبل الأبدية.

الرسالة الاستراتيجية: مشهد القيامة لا يبدأ عند النفخ في الصور فقط، بل عند سكرات الموت، حين تتوقف الحياة الدنيوية ويبدأ الحساب الحقيقي لكل إنسان. هذه الآيات تذكّر بأن النهاية الفردية لكل نفس هي البداية الفعلية للحساب، وأن الاستعداد لها بالوعي والإيمان أساس لتثبيت النفس أمام المواقف الكبرى.

في الآيات 31–40 يقول تعالى: ﴿...أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ ...﴾؟ ألم يكن نطفةً، فجعل منه الزوجين، وأخرج النبات والحيوان، أفليس ذلك بقادر على أن يبعثه بعد الموت ويحاسبه؟.

الرسالة الاستراتيجية: من خلق الإنسان من نطفة بسيطة، وتهيّأ كل شيء في الكون، أيعجز عن بعثه وإعادته للحساب؟ هذه الآيات تردّ على المكذبين بالبعث، وتثبت قدرة الله المطلقة، وتضع أمام الإنسان دليلاً واضحًا على أن البعث والحساب واقع لا مفر منه. فهي تربط البداية بالنهاية، وتذكّر بأن كل إنكار للبعث هو إنكار لقدرة الخالق نفسها.

خلاصة تفسير سورة القيامة توضح كيف تهزّ السورة النفس وتوقظ الضمير، مع إبراز الرسائل الاستراتيجية لكل مجال:

العقيدة: إثبات القيامة والبعث بالبرهان العقلي والواقعي، من خلق الإنسان والنطفة إلى القدرة على الإحياء، لتكون دعوة للتصديق باليوم الآخر.

النفس: النفس اللوامة مفتاح الرجوع والنجاة، فهي التي تهمس بالحق وتكشف تقصير الإنسان قبل الحساب، وتدفعه للتوبة والصلاح.

الدعوة: تثبيت النبي ﷺ في تلقي الوحي وتعليماته للناس، مع التأكيد على أن العلم الرباني يُؤخذ باليقين والصبر والتأمل، لا بالعجلة أو الاستعجال.

المجتمع: الغفلة نتيجة تعلق الإنسان بالعاجلة، أي الدنيا وزينتها، وإهمال الآخرة، مما يبعده عن إدراك الحقائق الكبرى ومسؤولياته.

الآخرة: الموت أول مشهد للقيامة، وهو بداية الحساب، والمصير محتوم لمن أغفل الحق، فلا مهرب من قدر الله، فكل إنسان حجة على نفسه، وكل اختيار له تبعاته الواقعية والأخروية.

بهذا، تصبح سورة القيامة مدرسة للتأمل الذاتي، ووعياً بالمصير، وتحريكاً للضمير نحو اليقين والعمل الصالح قبل أن يُغلق الكتاب.

الربط بينها وما قبلها:

إذا نظرنا إلى الربط بين السورتين في البناء القرآني المتكامل، يظهر التسلسل المنهجي للرسالة:

في **المدثر**، كان التركيز على **الإنذار العام والتكليف بالدعوة:** "قُم فأنذِر الناس"، أي نقل البلاغ الجهري إلى المجتمع بعد التهيئة الداخلية في المزمل. الرسالة كانت عن حمل الحق، مواجهة المكذبين، وتحمل مسؤولية البلاغ.

أما في **القيامة**، فالسؤال الذي تطرحه السورة هو: بمَ تُنذرهم؟ الإجابة واضحة: بيوم يهزّ الكيان، يوم القيامة، يوم يواجه فيه الإنسان مصيره ويقف على حقيقة ذاته وأفعاله. فالمضمون ينتقل من **القيام بالبلاغ العام** إلى **تأكيد مضمون البلاغ: إيقاظ النفس، والتحذير بالبعث والحساب.**

بذلك يُظهر القرآن استراتيجية متكاملة: أولًا تجهيز النفس وحمل الرسالة، ثم البلاغ الجهري، ثم تثبيت مضمون الإنذار بواقع عظيم يذكر الإنسان بجدية الحق ومصيره المحتوم.

للتأمل الذاتي:

- هل أسمع صوت نفسي اللوامة؟ وهل أستجيب لما تهمس به من توبة وتصحيح؟
- هل أحب الدنيا على حساب الآخرة، أم أوازن بين ما يبقى وما يفنى؟
- هل أنا ممن يسأل "متى يوم القيامة؟" وهو غافل عن حقيقة مصيره ومسؤوليته؟
- هل أُعدّ نفسي ليوم "بلغت التراقي والتفت الساق بالساق"، اليوم الذي تبدأ فيه الحسابات الفردية والجماعية؟
- هل أوقن أن من خلقني من نطفة، قادر على بعثي للحساب، فلا مجال لإنكار البعث أو التهرب من المسؤولية؟

هذه الأسئلة تهدف إلى هزّ النفس وإيقاظ الضمير، لتصبح كل خطوة في الحياة مستنيرة باليقين بالبعث، ووعيًا بمسؤولية الفرد عن أفعاله أمام الله.

خاتمة:

سورة القيامة تحطم كبرياء النفس، وتكشف التعلق الزائف بالدنيا، وتضع الإنسان أمام حقيقة مصيره المحتوم.
تقول لك السورة بصوت جليّ: "قف وتأمل، هل حقًا نسيت أين المصير؟" هي دعوة للوعي الذاتي، وللسير نحو الصلاح واليقين، لتكون النفس مستعدة ليوم الحساب، راضية بالحق، متحررة من أوهام الدنيا، ثابتة على الطريق المستقيم.

سورة الإنسان

الاسم والدلالة: سورة ترسم ملامح **العبودية الكاملة**، وتصور جزاء المؤمنين الذين سلكوا طريق الصبر والإحسان، وارتقوا في مقام الكمال الإيماني والأخلاقي.

سورة الإنسان من أعذب السور وأعمقها أثرًا في النفس، فهي تخاطب الإنسان في لحظة تأمل وجودي، وتعرض عليه صورته الحقيقية، مصيره، وخياراته. الاسم نفسه، "الإنسان" الذي جاءت تمية السورة منه[1]، يضع مخاطبًا مركزًا في الخطاب: من أنت؟ من أين أتيت؟ لماذا خُلقت؟ وإلى أين المصير؟

السورة تقدم رؤية متكاملة للإنسان، من نقطة **العدم** إلى نهايات الاختيار بين **النعيم أو الجحيم**، موضحة أن كرامة الإنسان تكمن في عبوديته لله، وأن عاقبته مرتبطة بخياراته.

المقصد العام للسورة: بيان أصل الإنسان وتكوينه، ومنحه حرية الهداية والضلال، وعرض نموذج الإنسان الكامل الذي اختار طريق الإحسان والصبر، ووصف النعيم الذي ينتظره، وتحفيز النبي ﷺ والمؤمنين على السير في درب الخلود والارتقاء الروحي.

البنية الموضوعية لسورة الإنسان تتدرج في رسم صورة الإنسان ومساره الروحي والأخلاقي على النحو التالي:

- **الآيات 1–3:** نشأة الإنسان وحرية اختياره، بيان أصل الإنسان من نطفة مختلطة، وإظهار قدرة الله، مع التأكيد على أن الإنسان مخيّر في اختيار طريق الهداية أو الضلال.
- **الآيات 4–6:** وصف عاقبة الكافرين، تصوير جزائهم في الآخرة نتيجة رفضهم الحق، لتكون عبرة لكل من يتجاهل رسالات الله.

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الإنسان لافتتاحها بالتنويه بخلق الإنسان وإيجاده، بعد أن لم يكن شيئا موجودا، ثم صار خليفة في الأرض، وخلق له جميع ما في الأرض من خيرات ومعادن وكنوز" وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، مرجع سابق،ج29ص279.

- **الآيات 7–22:** صفات الأبرار وجزاؤهم الأخروي، تبيان ما ينالونه من النعيم الأبدي بسبب صبرهم وإحسانهم، مع وصف دقة سلوكهم وأفعالهم التي أهّلتهم لذلك، فتبرز عظمة الإحسان والتقوى في حياة الإنسان.
- **الآيات 23–31:** توجيه للنبي ﷺ وللمؤمنين بالثبات على النهج، وتشجيعهم على الاستمرار في الصبر والعمل الصالح، مع الطمأنة أن الجزاء الإلهي مقدّر للمؤمنين المخلصين، وأن الطريق المستقيم محفوف بالرحمة والكرامة.

بهذا التدرج، تقدم سورة الإنسان رؤية متكاملة لمسار الإنسان من الخلق إلى جزاءه، مع إبراز حرية الاختيار، وثمار الإحسان، وضرورة الثبات على الحق.

في الآيات 1–3 يقول تعالى: هَل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا... إنا هديناه السبيل إما شاكرًا وإما كفورًا.

الرسالة الاستراتيجية: الإنسان بدأ من العدم، فخلق الله وسواه، وهداه إلى الطريق، والآن هو مخيّر بين الشكر والكفر، بين الطاعة والمعصية، ولكل اختيار عقابه أو جزاؤه. هذه الآيات تضع الإنسان أمام **حرية الاختيار ومسؤولية الذات**، وتؤكد أن كل تصرف له تبعاته الأخروية، فهي دعوة للتأمل في الأصل والمصير قبل اتخاذ القرار في الحياة.

في الآيات 4–6 يقول تعالى: إنا أعددنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا، وتصف هذه الآيات جزاء من انحرف عن الحق وكفر بالنعمة.

الرسالة الاستراتيجية: من كفر بالنعمة، وانحرف عن السبيل المستقيم، فقد أعد الله له مصيرًا مظلمًا وعقابًا جزاءً عادلاً، لا ظلمًا، ليكون عبرة لمن يعتبر، وتأكيدًا على أن الجزاء الإلهي يتناسب مع أفعال الإنسان وخياراته في الحياة.

في الآيات 7–22 يُصوِّر نموذج **الإنسان الكامل، الأبرار:** يُوفون بالنذر، ويطعمون الطعام، ولا يريدون من الناس جزاءً ولا شكورًا، بل يسلكون طريق العبادة والإحسان بإخلاص.

الرسالة الاستراتيجية: الإنسان الكامل هو من عبد الله حق العبادة، وجمع بين **خشية السر**، **ورحمة الفقير**، **وصبر المخلصين**، فنال جزاءه المقيم من الله: "فوقاهم الله شر ذلك اليوم... وجـــــــــزاهم بمـــــــــا صـــــــــبروا جنّـــــــــة وحريـــــــــرًا".

السورة هنا تبيّن أن **الكمال الإنساني والكرامة الحقيقية** ليست في المنزلة أو المال، بل في الصبر والإحسان والعبودية الخالصة لله، وأن جزاء الأعمال الصالحة دائم وثابت في الآخرة.

صور النعيم في الآخرة تتجلى في:

- ظلال دائمة تحميهم وتريح قلوبهم،
- عيون جارية تعطيهم رويًا دائمًا،
- آنية من فضة فاخرة،
- عطر الكافور والزنجبيل يملأ المكان،
- خدمة الولدان الذين يلبون احتياجاتهم،
- ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين،
- جنة لا لغو فيها ولا تأثيم، كلها خصصت لأولئك الذين أطعموا مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، وسلكوا طريق الصبر والرضا.

السورة هنا تربط بين الأعمال الصالحة في الدنيا وثمارها الأخروية، لتوضح أن الكمال الإنساني والكرامة الحقيقية يتحققان بالعبودية لله والإحسان للآخرين.

في الآيات 23–31 يقول تعالى: إنا نحن أنزلنا عليك القرآن تنزيلاً، فاصبر لحكم ربك، واذكر اسمه كثيرًا، وابدأ بالبلاغ للناس، ولا تطع من أغفل عن الحق أو غوى.

الرسالة الاستراتيجية: يا محمد ﷺ، القرآن هو مشروع تربية الإنسان الكامل، فلا بد لك من **الصبر على البلاغ والتأمل في التوجيه الإلهي**، ونقل الرسالة بوضوح، مع عدم الانقياد لأهواء المكذبين أو الغافلين. مقامك محفوظ، وسبيلك مؤيد من الله، فالثبات على النهج الإلهي أساس النجاح في الدعوة وتحقيق كمال النفس.

خلاصة تفسير سورة الإنسان توضح الرسائل الاستراتيجية لكل مجال:

العقيدة: الإنسان مخلوق مكرم، مخيّر، ومسؤول عن أفعاله، وكل اختيار له تبعاته الأخروية.

الأخلاق: الأبرار يجمعون بين العبادة والخدمة والتواضع، فتتجلى كرامتهم في أعمالهم الصالحة وصبرهم وإحسانهم للآخرين.

الدعوة: الثبات على الوحي وعدم الركون لأهواء المكذبين أساس نجاح الدعوة، مع التأكيد على الصبر والمثابرة في تبليغ الرسالة.

الآخرة: نعيم الأبرار هو جزاء الصبر والإحسان، يتجلى في جنات وظلال وعيون جارية وثمار متجددة، جزاء دائم لمن سلك طريق الحق.

النفس: التأمل في الأصل والغاية يزكي النفس، ويعيدها إلى الحق، ويحفز الإنسان على اختيار الطريق المستقيم والابتعاد عن الغفلة والانحراف.

بهذا، تقدم السورة رؤية متكاملة لمسار الإنسان من الخلق إلى الجزاء، مع إبراز العلاقة بين عبوديته لله، وأخلاقه، وواجبه في الدعوة، ووعيه بالآخرة.

في سياق البناء القرآني المتكامل، يظهر التسلسل بين السورتين بوضوح:

في **القيامة**، تتركز الرسالة على **صدمة البعث ومصير الإنسان**، تصوير الهول، النفور من الغفلة، والندم على التقصير، لتوقظ الضمير وتثبت اليقين بالبعث والحساب.

أما في **الإنسان**، فالرسالة تتحول إلى **دعوة لاختيار طريق الكرامة الأبدية**، حيث يُعرض نموذج الإنسان الكامل، الأبرار، ونعيمهم في الآخرة نتيجة الصبر والإحسان، لتكون صورة الكمال والنعيم مقابل صورة الهول والندم في القيامة.

بذلك يبرز القرآن منهجًا تدريجيًا: أولًا تصوير المصير الحقيقي ليهز النفس، ثم تقديم الطريق العملي للكمال والكرامة لمن اختار الحق، موضحًا أن الاختيار البشري هو محور الجزاء والكرامة.

للتأمل الذاتي:

- هل أعيش **إنسانيتي كما يريدها الله**، أم أترك نفسي للهوى والشهوات؟
- هل أنا ممن **يُوفون بالنذر، ويُطعمون الطعام لوجه الله**، دون انتظار جزاء من الناس؟
- هل أقدّم **الآخرة على عاجلتي**، أم أُلهى بالدنيا ومتاعها الزائل؟
- هل أتحمّل الصبر والثبات لأكون من **الأبرار الذين نالوا نعيم الخلود؟**
- هل أنا **ثابت على نهج القرآن**، أم أركن لأهواء المكذبين والغافلين؟

هذه الأسئلة تهدف إلى **مراجعة النفس، وتزكيتها، وتوجيه الإنسان نحو الطريق المستقيم**، حيث تتجسد كرامته الحقيقية في العبادة والإحسان، ويُحصّل جزاءه الأبدي في الآخرة.

خاتمة:

سورة الإنسان ليست مجرد تعريف بالخلق أو المصير، بل هي **دعوة لأن تكون الإنسان الذي أراده الله:** عبدًا شاكرًا، محسنًا، صابرًا، متجردًا من أهواء النفس، يسير في طريق الحق، ليبلغ **نعيمًا أبديًا وجزاهم بما صبروا جنّة وحريرًا.**

هي مدرسة للكمال الإنساني، تجمع بين العبادة، الإحسان، والصبر، وتؤكد أن كرامة الإنسان وحقيقته تتجلى في طاعته لله، واخلاصه في العمل، وثباته على النهج المستقيم.

سورة المرسلات

سورة تحمل **نفَس الطوارئ الإلهية**، وتهزّ القلوب بتحذير متكرر: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾. السورة تكمّل **بناء مشهد القيامة** من خلال صفارة إنذار ربانية: الرياح المرسلة كجنود لله، وصرخة الملائكة، وانفجار الكون، لتوضح أن الساعة حق وأن التدخل الإلهي حتمي.

الاسم والدلالة: "المرسلات"[1] يشير إلى الرياح المرسلة، رمز السرعة، القوة، والتنفيذ الإلهي، فتُفتتح السورة بقسم يرسخ في النفس شعور الاستنفار والخشية من يوم الفصل.

المقصد العام للسورة: التحذير من يوم الحساب، تذكير المكذبين بسُنن الله في الأمم السابقة، تصوير أهوال القيامة، تقرير حتمية البعث والحساب، وفضح المكذبين عبر تكرار وعيد "﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾"، ليكون درسًا لكل قارئ أو مستمع ليوقن بالحق ويستعد لما بعد الحياة.

البنية الموضوعية لسورة المرسلات تتدرج في تصوير أهوال القيامة والتحذير من المكذبين على النحو التالي:

- **الآيات 1–7:** ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾قسم بالرياح على حتمية وقوع الوعد، ليؤكد الله أن الساعة قادمة لا محالة، وأن قوته نافذة في خلقه وتنفيذ إرادته.
- **الآيات 8–15:** مشاهد من انقلاب الكون يوم القيامة، تصوير الرياح، الانفجار الكوني، وصرخة الملائكة، لتقشعر لها النفوس ويوقن الإنسان بواقع الساعة.
- **الآيات 16–24:** عرض لسنن الله في الهالكين من الأمم السابقة، عبر قصص الماضي لتكون عبرة للمكذبين، وتأكيد على أن التكذيب دائمًا نهايته الهلاك.
- **الآيات 25–28:** الحجة بالخلق على البعث، تذكير الإنسان بأنه من خلقه الأولي قادر على إعادته بعد الموت، ليقوى الإيمان بالبعث والحساب.
- **الآيات 29–40:** مشاهد من العذاب في يوم الفصل، تصوير العقاب للظالمين والمكذبين، ليُزرع الخوف واليقظة في القلب.

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة المرسلات؛ لمفتتحها" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، مرجع سابق،ج1ص495.

- **الآيات 41–47:** مشاهد من النعيم وندم المكذبين، بيان ثواب الأبرار في الجنة، وعاقبة المكذبين الذين أضاعوا فرصة الهداية.
- **الآيات 48–50:** تنديد بإعراض المكذبين وتحدٍّ بياني، لتأكيد حقيقة الرسالة الإلهية وعدم إمكانية تحريفها أو إنكارها.

بهذا التدرج، تقدم السورة رؤية متكاملة **لليوم المحتوم**، **بين العذاب والنعيم**، **والحكمة من سنن الله في الأمم السابقة**، **والتحذير من المكذبين.**

في الآيات 1–7 تقول: وَالمرسلات عرفًا، فالعاصفات عصفًا، والناشرات نشرًا...

الرسالة الاستراتيجية: الكون كله يتحرك بإرادة ربانية دقيقة، فإذا أقسم الله بالرياح المرسلة، فهو يُعلن أن الوعد الإلهي واقع لا محالة، وأن يوم الفصل آتٍ لا مفر منه، تمامًا كما تهب الرياح بلا توقف، لتزرع في النفس شعور الاستنفار والخشية والاستعداد للساعة.

في الآيات 8–15 يقول تعالى:﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾...﴾

الرسالة الاستراتيجية: هذه الآيات تصوّر **انهيار النظام الكوني كله يوم القيامة**، حين تتزعزع السماوات وتُنسف الجبال، فلا بقاء لشيء في هذا الكون. هي **إعلان لنهاية الدنيا وبداية الآخرة**، لتوقظ النفوس من الغفلة وتثبت اليقين بوقوع يوم الفصل.

في الآيات 16–24 يقول تعالى: ألم نهلك الأولين... كذلك نفعل بالمجرمين.

الرسالة الاستراتيجية: الله لا يهلك أحدًا عبثًا، فكل أمة كذّبت بالرسل وتجاهلت الحق نزل بها العقاب. التكذيب سنة مكررة في التاريخ، وهدف التحذير واضح: **ويل يومئذٍ للمكذبين**، لتكون العبرة للمستقبل ولتذكير الناس بحتمية الجزاء لمن أعرض عن الحق.

في الآيات 25–28 يقول تعالى: ألم نخلقكم من ماء مهين... إلى قدر معلوم.

الرسالة الاستراتيجية: الذي خلق الإنسان من ماء مهين قادر على بعثه بعد الموت، فلا غاية للخلقة بلا حساب. كل شيء في الكون خُلق بقدر معلوم، ولا مفر من يوم القيامة، لتكون الحجة بالخلق دليلاً على قدرة الله المطلقة وحتمية الجزاء لكل إنسان.

في الآيات 29–40 يقول تعالى: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون... انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب...

الرسالة الاستراتيجية: المكذبون الذين كانوا يتنعمون في الدنيا يُساقون الآن إلى عذاب مقيم، لا ظلّ لهم، ولا ماء، ولا مهرب من العقاب. هذه المشاهد تبرز **الجزاء العادل والمصير المحتوم** لمن أعرض عن الحق، وتذكّر بأن ما أضحكهم في الدنيا لن ينفعهم أمام سلطة الله يوم الفصل.

في الآيات 41–47 يقول تعالى: إنَّ المتقين في ظلال وعيون، وفواكه مما يشتهون...

الرسالة الاستراتيجية: في مقابل "ويل يومئذ للمكذبين" هناك سلام للمتقين، فالجزاء يكون من جنس العمل، فالمتقون ينعمون بظل دائم، وعيون جارية، وفواكه ونعيم مطابق لرغباتهم، وهذه اللحظة **نهائية لا تقبل تبديلًا ولا رجوعًا**، لتؤكد قيمة الصبر والتقوى والطاعة لله.

في الآيات 48–50 يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ ؟

الرسالة الاستراتيجية: إذا لم يؤمن المكذبون بعد كل هذه البراهين والمصائر والعظات، فبأي شيء يؤمنون؟ هذه الآيات تكشف **قسوة القلب والعناد المستحكم**، الذي لا ينفع معه أي خطاب أو تذكير، لتكون النهاية تحذيرًا صارخًا لمن أعرض عن الحق.

خلاصة السورة:

العقيدة: البعث والحساب مؤكدان، مدعومان بقسم كوني وبيان تاريخي، ليزداد اليقين بوعد الله.

النفس: المكذب في خطر دائم، والمتقي يُنعم بالظل والعيون والفواكه، فالجزاء من جنس العمل والطاعة.

التاريخ: مصير المكذبين يتكرر في كل أمة تجاهلت الحق، فتكون السنن الربانية عبرة للأجيال.

الآخرة: يوم الفصل يوم حاسم، لا ينقذ فيه أحد إلا بالإيمان والعمل الصالح، والحساب واقع لا مفر منه.

الدعوة: رسالة السورة تهز النفوس، تحذر من الاستدراج والغفلة، وتدعو للتفكر والتقوى قبل فوات الأوان، لتكون دعوة واضحة للالتزام بالحق والتوبة.

الربط مع ما قبلها:

السورة السابقة: البناء القرآني المتكامل

الإنسان: نموذج الإنسان الكامل ومساره نحو الكرامة والنعيم بالإيمان والصبر والإحسان.

المرسلات: تصوير مصير المكذبين يوم القيامة مقابل نعيم المتقين، وتأكيد حتمية الجزاء.

الربط الموضوعي:

- **الإنسان** يعرض طريق الكمال والاختيار الحر، ويظهر أثر التقوى والإحسان على مصيره.
- **المرسلات** تعرض العاقبة للأمم والمكذبين، لتكون درسًا تحذيريًا ويقينيًا عن يوم الفصل.

للتأمل الذاتي:

- هل آمنت بيوم الفصل، أم أكذّب كما كذّب الأولون؟
- هل تدرك عظم ما ينتظر الإنسان حين "طمست النجوم ونُسفت الجبال"؟

- هل أنا في طريق **الظل والعيون** للمتقين، أم في طريق **السعير** للمكذبين؟
- هل أستفيق الآن، أم أظل غافلًا حتى يُقال: "انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون"؟

خاتمة:

- سورة المرسلات لا تترك القلوب ساكنة، بل توقظ النفوس بقوة: بين **عذاب المكذبين** و**نعيم المتقين**.
- الرسالة واضحة: فاختر طريقك باليقين والعمل قبل أن يختارك المصير المحتوم.

سورة النبأ

الاسم والدلالة: سمت ب"النبأ"[1] لافتتاحها به و هو الخبر العظيم الجليل، ولا يُطلق في العربية إلا على خبرٍ له وزن وتأثير ونتائج كبرى. وهنا المقصود: **خبر البعث، والنشور، والحساب، والمصير الأبدي** . فأي نبأ[2] أعظم من أن تُبعث بعد موتك لتُحاسب على عملك؟

المقصد العام للسورة

إثبات وقوع البعث والنشور، وعرض الأدلة الكونية على قدرة الله. تقسيم الناس إلى فريقين يوم القيامة، و بيان ما أُعدّ لكل فريق: عذاب للطاغين، ونعيم للمتقين، وإنذار المكذبين بعذاب قريب لا مهرب منه.

---

[1] قال الهرري: "سميت سورة النبأ، وسورة التساؤل؛ لذكر النبأ العظيم، أو التساؤل فيها". محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**،مرجع سابق، ج31ص7.

[2] قال الشنقيطي:" فَإِنَّ مَا تَسَاءَلُوا عَنْهُ أُبْهِمَ أَوَّلًا، ثُمَّ بُيِّنَ بَعْدَهُ بِأَنَّهُمْ: يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ، وَلَكِنْ بَقِيَ بَيَانُ هَذَا النَّبَإِ الْعَظِيمِ مَا هُوَ؟ . فَقِيلَ: هُوَ الرَّسُولُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي بَعْثَتِهِ لَهُمْ. وَقِيلَ: فِي الْقُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ يَدْعُوهُمْ بِهِ. وَقِيلَ فِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ." محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج8ص406

السورة تبني تصورًا متكاملًا عن الآخرة،

وتنقل الإنسان من الاستهزاء والسؤال السطحي

إلى اليقين والتهيؤ والاستعداد.

البنية الموضوعية للسورة:

تتدرج السورة في بناء الحجة من **التساؤل والإنكار** إلى **الإنذار الحاسم**، عبر المحاور التالية:

5–1الإنكار والتساؤل عن البعث

تبدأ السورة بسؤال استنكاري:

"عمّ يتساءلون؟ عن النبإ العظيم..."

تصوير لحالة الجدل والاختلاف حول حقيقة البعث، مع تأكيد أنه خبر عظيم سيعلمون حقيقته يقينًا.

16–6: دلائل البعث من النظام الكوني

عرض بديع لآيات الكون: الأرض، الجبال، الليل، النهار، السماء، الشمس، المطر، النبات...

كلها شواهد على القدرة الإلهية، ودليل منطقي على إمكان الإحياء بعد الموت.

17–20

لحظة البعث وجمع الناس

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧﴾"إن يوم الفصل كان ميقاتًا..."

تصوير لحظة النفخ في الصور، وانفتاح السماء، وتسيير الجبال، إيذانًا ببداية الحساب.

21–30 عذاب جهنم ومصير الطغاة

وصف دقيق لعاقبة من طغى وكذّب، جزاءً وفاقًا لما قدمت أيديهم ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾.

31–36 جزاء المتقين في الجن

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾) مقابلة بين الطغيان والتقوى، وبين العذاب والنعيم، والجزاء من جنس العمل.

37–40 ختام رباني بالتحذير والإنذار

تأكيد أن العذاب قريب، وأن الإنسان سيرى ما قدمت يداه، وأن الندم لا ينفع بعد انكشاف الحقيقة.

بهذا البناء، تتحول السورة من سؤالٍ يثير الجدل إلى مشهدٍ يقيني يُغلق باب المكابرة، وتترك الإنسان أمام خيارين واضحين: التصديق والاستعداد... أو الندم حين لا ينفع الندم.

في الآيات 1–5 تقول السورة:

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾).

الرسالة الاستراتيجية:

عند النبأ العظيم ينقسم الناس إلى فريقين: فريق يسأل بحثًا عن الحقيقة، وتأملًا يقوده إلى الإيمان. وفريق يسأل استهزاءً ومكابرةً وإنكارًا.

السؤال في ذاته ليس المشكلة، بل **نية السائل وموقفه من الجواب.** أما الرد الإلهي الحاسم: "كلا سيعلمون" فهو تهديد يقيني بأن الحقيقة ستتكشف، شاءوا أم أبوا، وأن الجدل سينتهي يوم تتحول القضية من خبر يُناقش إلى واقع يُعاين. إنها بداية تُسقط الغفلة، وتُعلن أن هذا النبأ ليس موضوعًا للترف الفكري، بل قضية مصير.

في الآيات 6–16 تنتقل السورة من الجدل النظري إلى **البرهان الكوني:**

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ ...﴾. عرض متتابع لنظام محكم: أرض ممهدة، جبال راسخة، ليل ساتر، نهار معاش، سماء مبنية، شمس وهاجة، مطر غزير، نبات يخرج بالحياة.

الرسالة الاستراتيجية:

إنه **نظام متقن من السماء إلى الأرض**، قائم على القدرة والحكمة والتقدير الدقيق. فمن أنشأ هذا الكون بهذا الإحكام... أيعجز عن إعادة إنسان بعد موته؟

الخلق الأول برهان عقلي وواقعي على البعث الثاني. ومن يوقن بالقدرة في البداية، لا يستبعد الإعادة في النهاية.

في الآيات 17–20 تقول السورة: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

هنـــاك **وقـــت محـــدد لا يتقـــدم ولا يتـــأخر** لحســـاب الخلائـــق. ليس الأمر فوضى، ولا حدثًا عشوائيًا، بل ميقات مضبوط بعلم الله وتقديره.

الكـــون الـــذي كـــان مســـتقرًا منظمًـــا يُعـــاد تشـــكيله: الســـماء تُفـــتح، الجبـــال تـــزول، البشـــر يُجمعـــون أفواجًـــا، إعلانًا أن مرحلة الدنيا انتهت، وبدأت مرحلة الفصل العادل.

إنـــه يـــوم لا ظلـــم فيـــه، ولا مهـــرب منـــه، يوم تظهر فيه الحقيقة كاملة، ويساق كل إنسان إلى مصيره الذي صنعه بعمله.

(21–30): مصـــــير الطغـــــاة

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابٗا ۝٢٢ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

جهـــنم ليســـت مفاجـــأة عـــابرة، بـــل **مرصـــاد**... ترقب كل من اختار طريق الطغيان، وتجاوز حدود الله، واستكبر عن الحق.

الطغيـــان لـــيس مجـــرد معصـــية، بـــل هـــو موقـــف قلبـــي: تكذيب، استعلاء، إعراض عن الحساب.

ولـــذلك كـــان الجـــزاء مـــن جـــنس العمـــل: مـــن عـــاش بـــلا اعتبـــار للآخـــرة، يجـــد أمامـــه مصـــيرًا لا مهـــرب منـــه، ولا تخفيف فيه، ولا انتهاء.

إنهـا عدالـة إلهيـة صـارمة: مـن طغـى فـي الـدنيا، عاد إلى ما قدّمته يداه.

جميـل هـذا الالتقـاط، وهـو لـبّ المقابلـة القرآنيـة الدقيقـة. أصوغ لك **فقرة تفسيرية استراتيجية عميقة**، تصلح لبناء محور في كتاب أو درس:

(31–36) مصير المتقين: من النجاة إلى **المفاز**

بعد مشاهد العذاب، لا يأتي الوعد للمتقين بصيغة الهروب أو السلامة فقط، بل بصيغة «**المفاز**»؛ وهي أبلغ من النجاة، لأنها تجمع بين **السلامة من الشر** و**الظفر بالخير**. فالمتقون لم ينجوا فحسب، بل **فازوا** فوزًا كاملًا، فوز من عرف الطريق، وصبر عليه، وخرج منه منتصرًا.

ثـم تتنـزّل صـور النعـيم فـي ترتيـب بـديع: **حـدائق وأعنـاب:** اسـتقرار وخصـب وامتـداد، لا متعـة عـابرة. **كواعـب أترابًـا:** جمـال بـلا ابتـذال، وشـباب بـلا انقطـاع، وأنـس بـلا كلفـة. **وكأسًا دهاقًا:** امتلاء ولذة بلا صداع ولا غياب عقل، في مقابل خمر الدنيا التي تسرق ولا تُعطي.

واللافت أن النعيم هنا **حسّي وروحي معًا**؛ جمال يُرى، وطمأنينة تُعاش، ونقاء لا يشوبه لغو ولا كذب. فالجنة ليست إشباع شهوة، بل **تصفية وجود**، وردٌّ للإنسان إلى فطرته الأولى، حيث المتعة بلا خطيئة، واللذة بلا ثمن، والسكينة بلا خوف.

إنه جزاء من **خاف مقام ربه**، لا من خاف العذاب فقط؛ فالمتقون لم تُحرّكهم النار وحدها، بل هيبة الوقوف بين يدي الله، فكان فوزهم على قدر مقامهم.

(37–40): الإنذار الختامي – لحظة الحسم

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ۝٤٠﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

بعد عرض السؤال، والدليل، والمشهد، والمصيرين...
تأتي الخاتمة لا كوعظ عابر، بل كـ **إعلان حاسم:**

ذلك اليوم الحق
أي الثابت الذي لا ريب فيه،
الحقيقة التي ستنسف كل جدل.

ثم يتحول الخطاب من الغائب إلى المخاطب:
"**إنا أنذرناكم**"
لم يعد الحديث عنهم، بل عنك أنت.
النبأ لم يعد قصة تُروى، بل إنذارًا شخصيًا.

ووصف العذاب بأنه **قريب**
ليس قربًا زمنيًا فحسب،
بل قربٌ وجودي؛
فالموت أقرب إلى الإنسان من ظنه،
والآخرة تبدأ من لحظة خروج الروح.

ثم تُفتح نافذة الاختيار:
"**فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبًا**"
الباب لم يُغلق بعد،
لكن الزمن يمضي.

لا مجـــــــال للمراوغـــــــة بعـــــــد هـــــــذا العـــــــرض الكامـــــــل.
الســـــــورة بـــــــدأت بســـــــؤال: *عـــــــمّ يتســـــــاءلون؟*
وانتهـــــــت بقـــــــرار:
إمـــــــا مـــــــآب إلـــــــى الله...
أو نـــــــدم يـــــــوم يقـــــــول الكـــــــافر:
﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾.

سورة النازعات

سورة تهز القلوب من لحظة الموت حتى موقف القيامة، تأخذنا في رحلة متسلسلة من نزع الروح، إلى رجفة الساعة، ثم إلى صعودها أو سقوطها، وتعرض أمامنا مصير المتجبرين من أمثال فرعون، وتفتح لنا باب النجاة لمن اتقى وخاف مقام ربه.

الاسم والدلالة: "النازعات"[1] هم الملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بقوة وشدة، مقابل "الناشطات[2]" اللاتي يخرجن أرواح المؤمنين برفق ولين، في مشهد يُبرز الفرق بين الجزاء والعقاب، بين الترويع والرحمة، بين الانكسار والعروج.

المشـــــــهد البنـــــــائي للســـــــورة:
هي مشهد متكامل، يبدأ بلحظة النزع، مرورًا بالرجفة، وصولاً إلى البعث، ثم يفضي إلى

---

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَأَكْثَرِ التَّفَاسِيرِ «سُورَةَ النَّازِعَاتِ» بِإِضَافَةِ سُورَةٍ إِلَى النَّازِعَاتِ بِدُونِ وَاوٍ، وَجعل لَفْظُ «النَّازِعَاتِ» عَلَمًا عَلَيْهَا لِأَنَّهُ لَمْ يُذْكَرْ فِي غَيْرِهَا. وَعُنْوِنَتْ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَفِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْمُفَسِّرِينَ بِسُورَةِ «وَالنَّازِعَاتِ» بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ عَلَى حِكَايَةِ أَوَّلِ أَلْفَاظِهَا. وَقَالَ سَعْدُ اللَّهِ الشَّهِيرُ بِسَعْدِي وَالْخَفَاجِيُّ: إِنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةَ السَّاهِرَةِ» لِوُقُوعِ لَفْظِ «السَّاهِرَةِ» فِي أَثْنَائِهَا وَلَمْ يَقَعْ فِي غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ. وَقَالَا: تُسَمَّى سُورَةَ الطَّامَّةِ (أَيْ لِوُقُوعِ لَفْظِ الطَّامَّةِ فِيهَا وَلَمْ يَقَعْ فِي غَيْرِهَا) . وَلَمْ يَذْكُرْهَا فِي «الْإِتْقَانِ» فِي عِدَادِ السُّوَرِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنَ اسْمٍ. وَرَأَيْتُ فِي مُصْحَفٍ مَكْتُوبٍ بِخَطٍّ تُونُسِيٍّ عُنْوِنَ اسْمُهَا «سُورَةَ فَالْمُدَبِّرَاتِ» وَهُوَ غَرِيبٌ، لِوُقُوعِ لَفْظِ الْمُدَبِّرَاتِ فِيهَا وَلَمْ يَقَعْ فِي غَيْرِهَا." محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج20ص59.

[2] قال السمعاني:" والنشط فِي اللُّغَة: هُوَ الجذب، وَيُقَال: تجذب روح الْكفَّار كَمَا يجذب السفود من الصُّوف الرطب، وَقيل: إِن معنى الناشطات أَخذ الْمَلَائِكَة أَرْوَاح الْمُؤمنِينَ بسهولة كَمَا ينشط الْبَعِير من العقال" أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، **تفسير القرآن**، مرجع سابق،ج6ص145.

مشاهد القيامة والحساب، حيث يُعرض مصير الطغاة وأمثال فرعون، مقابل مصير المتقين الذين اتخذوا من خوف الله درعًا، ومن طاعته طريق نجاة.

المقصد العام:

السورة بيان متكامل لحقيقة الموت والبعث والقيامة، من خلال عرض مراحل النزع والرجفة والبعث، وموقف كل من الطغاة والمتقين، وإنذار للناس بمآل كل فريق، ودعوة صادقة للتوبة قبل فوات الأوان، لتكون السورة زادًا للقلوب التي تتهيأ للقاء الله، وهداية للنفوس التي تبحث عن النجاة.

البنية الموضوعية لسورة النازعات: تعرض السورة في محاور متتابعة تبدأ من لحظة النزع إلى موقف القيامة، وهي كالتالي:

من الآيات **1–5**، السورة تفتتح بمشهد الملائكة النازعات والناشطات، حيث تُبرز الفرق بين نزع أرواح الكافرين بعنف، ونزع أرواح المؤمنين بلطف ورفق.

في الآيات **6–14**، تصف السورة رجفة الساعة وما يرافقها من بعث الناس، مشهد يهز القلوب ويظهر قوة الله وعظمته في إيقاظ النفوس للمصير المحتوم.

أما الآيات **15–26**، فتروي قصة فرعون وتكذيبه للهلاك، عرض لصراع الطغيان مع الحق، ومصير من يعاند أو يتكبر عن أمر الله.

في الآيات **27–33**، تتناول السورة خلق الإنسان والكون كدليل على البعث والقدرة الإلهية، فتربط بين الخلق والحساب، وتُظهر حكمة الله في سنن الحياة والموت.

الآيات **34–41** تركز على مصير الطغاة والمتقين، وبينهما خط فاصل يظهر جزاء كل فريق حسب أعماله وخشيته لله.

وأخيرًا، الآيات **42–46** تأتي برد واضح على المستعجلين بيوم القيامة، مذكّرة الناس بعدم القدرة على التسويف أو الاختصار أمام الحق، وحثهم على التأهب للحساب قبل فوات الأوان.

من الآيات **1–5**، تعرض السورة قسم الملائكة الذين ينفذون أمر الله، حيث تقول: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الملائكة هنا جنودٌ مطيعون لأمر الله، ينفذون النزع بلا تأخير أو خرق للأمر الإلهي، وذكرهم وحده بمثابة تهديد صارم للكافرين والمكذبين بالبعث، إذ يواجهون حقيقة الموت والجزاء الذي لا مفر منه.

من الآيات **6–14**، تصف السورة لحظة قيام الساعة، حيث تقول: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ ...﴾ .

الرسالة الاستراتيجية:

تهتز الأرض بعنف، ويعقب ذلك دمار شامل لكل ما على سطحها، ثم يُبعث الناس فجأة كما لو انتقلوا إلى "السطح" المستوي للحساب، ليقفوا أمام الله بلا تحضير مسبق، مواجهة حقيقة الجزاء التي لا مهرب منها.

من الآيات **15–26**، تعرض السورة قصة فرعون، حيث تقول: ﴿...فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ٢٥ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

فرعون هنا ليس مجرد حاكم ظالم، بل يمثل نموذج كل متكبر وجبار، أراه الله الآيات فتجاهلها فكُتب عليه النكال في الدنيا والآخرة، ليكون عبرة لكل من سلك طريقه في الغطرسة والتحدي لأمر الله.

من الآيات 27–33، تتساءل السورة: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الله الذي خلق السماء في طبقاتها، والأرض في دحوها، قادر بلا شك على بعث الإنسان بعد فنائه، فخلق الإنسان وإعادته للبعث ليس بمعجزة مستحيلة، بل هو برهان واضح على قدرة الخالق وعظمته في الخلق الأول.

من الآيات 34–41، تصف السورة موقفين ونهايتين متباينتين، حيث تقول: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ ...﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

الحدث الأعظم قادم لا محالة، وسيظهر الفارق بين فريقين: من طغى واتبع هوى نفسه فمصيره النار، ومن خاف مقام ربه وترك الهوى فمصيره الجنة، فتتضح حكمة الله في الجزاء وعاقبة كل طريق اختاره الإنسان.

من الآيات 42–46، تتناول السورة سؤال الناس عن موعد الساعة، حيث تقول: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ ...)

الرسالة الاستراتيجية:

الناس ينشغلون بمعرفة التوقيت والمواعيد، بينما العاقل ينشغل بالاستعداد، فالساعة آتية لا محالة، وحين تأتي، كأن الحياة لم تدم إلا ساعات قليلة، فتظهر حقيقة الاستعداد للقاء الله ووجوب اليقظة الدائمة.

خلاصة تفسير سورة النازعات:

العقيدة: البعث مؤكد، ونزع الأرواح أول الإشارات على واقعة الموت وما يليها، لتأكيد حقيقة الحياة الأخرى وضرورة الإيمان بها.

السلوك: الطغيان والتكبر طريق الهلاك، ومن اتقى وخاف مقام ربه فهو في طريق النجاة، فالسورة ترشد الإنسان إلى الاختيار الصائب بين الهوى والخوف من الله.

التاريخ: قصة فرعون وعاقبته عبرة لكل متجبر، لتوضح أن التحدي للحق والانغماس في الطغيان لا ينتهي إلا بالهلاك.

النفس: الخوف من مقام الله دليل على حياة القلب ووعي الإنسان بمصيره، فالمسار القلبي المستقيم يقوده إلى الطاعة والنجاة.

الكون: خلق السماء والأرض دليل كافٍ على قدرة الله وعلامة على البعث، ليكون الكون شهادة حية على قدرة الخالق وعظمة حكمته.

الربط مع ما قبلها:

في البناء القرآني المتكامل، تأتي **سورة النبأ** لتقدم **الخبر**، حيث تثبت البعث وتكشف مصير الناس بعد الموت، فتضع الأساس المعرفي لعالم الآخرة وما ينتظر الإنسان من جزاء أو عذاب.

ثم تأتي **سورة النازعات** لتكمل هذا البناء عبر **التنفيذ**، فتفصل لحظة نزع الأرواح، وترسم رجفة الساعة، وتوضح مصير الطغاة والمتقين، محولة الخبر إلى مشاهد حية ووقائع ملموسة، ليعيش القارئ الحدث روحيًا وعقليًا، ويعي أثر الاختيار بين الطاعة والمعصية.

للتأمل الذاتي:

- هل أنا ممن تُنزع روحه برفق ورفق، أم بعنف وشدة؟
- هل أعددت نفسي للقاء يوم "الراجفة"، يوم رجفة الساعة وما بعده؟
- هل خفت مقام ربي فأثرت الآخرة على حياتي الدنيا؟

- هل في قلبي أثر من فرعون، من طغيان أو تكبر أو إصرار على الهوى؟

هذه الأسئلة ليست مجرد استدعاء للتفكر، بل جسرٌ يربط بين ما سمعناه من الآيات وبين سلوكنا ووعي قلوبنا، لتكون السورة مرآةً صافية تعكس حقيقة النفس وحاجتها إلى الإصلاح والخشية.

خاتمة:

سورة النازعات تشبه النفخ في الصور، تهز غفلة القلب، وتضع الإنسان في ساحة العرض أمام الحق، لتُظهر له نهايته التي لا مفر منها، بين حالتين متباينتين: إما أن تُنزع روحه برفق وسلاسة، ناشطة، فتنعم بالنجاة والفوز، أو أن تُنزع روحه بعنف وشدة، غرقًا، فتلقى جزاء الطغيان والهوى، فتكون السورة درسًا عميقًا في الخشية والتقوى والاستعداد للقاء الله.

سورة عبس

تبدأ السورة بلحظة فاصلة في التربية النبوية، حيث يُستدعى فيها النظر إلى السلوك وتصحيح الخلق، ثم تعيد ترتيب سلم القيم، من الاهتمام بالواجهة والمكانة الاجتماعية إلى معيار القرب من الله والاهتداء بالوحي، فتبدأ بالساعي للحق من الأعمى الفقير، وتنتهي بتصوير النفوس الهاربة من أحب الناس يوم القيامة، لتترك أثرًا تربويًا وعقليًا عميقًا في القلب.

الاسم والدلالة:

"عبس" في اللغة يعني تغيّر الوجه انقباضًا، ويُعبّر عن النفور غير المعلن[1]. افتتاح السورة

[1] قال الانصاري:" عَبَسَ {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١]: "كَلَحَ وَأَعْرَضَ" زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ)، **منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»** ،اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م،ج8صس230.

بكلمة "*عبس ومنه جاءت التسمية*"[1] ليس توبيخًا بمعناه السلبي، بل هو دعوة لمراجعة السلوك وتصحيح الاتجاه، تعليمًا وتشريفًا من النبي ﷺ، الذي جاء ليهدي الناس بالرحمة واللطف.

المقصد العام للسورة:

السورة تصحح الميزان القيمي في الدعوة، فتضع من طلب الحق في المقام الأول على من أعرض عنه، وتبين عظمة القرآن ووظيفته التربوية، كما تصور تقلب الإنسان بين ضعف خِلقة وعسر الحساب، وصولًا إلى المشهد المهول للفرار يوم القيامة، فتؤكد ضرورة الالتزام بالقيم الإلهية والاهتمام بما يرفع الإنسان في ميزان الخلق ويؤهله للنجاة.

البنية الموضوعية لسورة عبس

من الآيات **1–10**، تفتتح السورة بمراجعة طريقة التعامل الدعوي، حيث تُبرز أهمية تقديم الحق والاهتمام بالمستحقين للعلم والهدى، وتصحيح السلوك في الدعوة بما يعكس روح الرحمة والعدل.

في الآيات **11–16**، تتناول السورة عظمة القرآن ومنزلته، مؤكدة على قيمته كهدى ورحمة للناس، ودوره في تثبيت القلوب وتبيين الطريق الصحيح للإنسانية.

أما الآيات **17–23**، فتصف ضعف الإنسان ونهاية جسده، فتذكّر بقدرته المحدودة، وبأن الحياة الدنيا زائلة، وأن الاعتماد على الله هو السبيل للثبات والنجاة.

في الآيات **24–32**، تبيّن السورة نعم الله الظاهرة في الغذاء والماء، مشيرة إلى آيات الخلق التي تكشف رحمة الله ورزقه للخلق، وتحث على الشكر والاعتراف بالنعمة.

[1] قال الهرري:" سورة عبس، وتسمى: سورة السفرة" محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق ج31ص114.

وأخيرًا، في الآيات **33–42**، تعرض السورة يوم القيامة ومشهد فرار الإنسان من أقرب الناس، لتصور الهلع والخوف أمام الحق، وتؤكد على ضرورة الاستعداد ليوم الحساب بالعمل الصالح والخوف من الله.

من الآيات **1–10**، تبدأ السورة بمشهد﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ...﴾ الذي يسلط الضوء على معيار التعامل في الدعوة.

الرسـالة الاسـتراتيجية:

الإسلام يرفع من شأن من يطلب الحق، ولو كان أعمى أو فقيرًا، ويُقلل من شأن من أعرض عن الحق، ولو كان عظيمًا ومترفًا في أعين الناس، مؤكدًا أن القيمة الحقيقية ليست في المكانة الاجتماعية أو المال، بل في اهتمام الإنسان بالهدى واستجابته للرسالة.

من الآيات **11–16**، تؤكد السورة على منزلة القرآن وعظمته، حيث تقول:﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ۝١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ۝١٤ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦﴾

الرسـالة الاسـتراتيجية:

الحق لا يرتبط بشخص أو بمقام اجتماعي، بل في القرآن وحده، فهو المعيار الأسمى للتوجيه والهداية، والتذكرة لكل راغب في الهداية، محفوظ في صحف كريمة لا يُهدر لمن أعرض، لتأكيد أن مصدر الهدى ثابت ومقدس ومستقل عن تقلبات البشر ومكانتهم.

من الآيات **17–23**، تصف السورة وضع الإنسان وضعفه، حيث تقول: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ ...﴾

الرسـالة الاسـتراتيجية:

الإنسان ضعيف وجحود بطبعه، خُلق من نطفة صغيرة ثم صار جسده ترابًا بعد الموت، فكيف يجرؤ على التكبر أو الإعراض عن الحق؟ السورة تذكّر بنسب الإنسان المحدود أمام قدرة الله، وتحثه على التواضع والخشية والاستعداد للآخرة.

من الآيات **24–32**، تدعو السورة الإنسان للتأمل في نعم الله الغذائية، حيث تقول: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ...﴾

الرســـــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــتراتيجية:

الكون مُهيأ لخدمة الإنسان وتوفير رزقه، لكنه كثيرًا ما ينسى المنعم ويُعبد النعمة بدلًا من عبادته. هذه النعم هي آيات تدعوه للذكر والشكر، فتذكّره بربه وقدرته، ولا يجب أن تُلهيه عن طاعته أو تُغريه بالغفلة عن الهدف الأسمى للحياة.

من الآيات **33–42**، تصوّر السورة يوم القيامة ومشهد فرار الإنسان من أقرب الناس، حيث تقـــول: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ ...﴾ .

الرســـــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــتراتيجية:

في يوم القيامة تتهاوى كل الروابط البشرية، ويفرّ المرء من أقرب أحبائه، فالكل مشغول بمصيره الفردي. يظهر في المشهد وجوه تضحك لنجاتها، وأخرى يغلبها الكدر والعذاب، حسب أعمال كل إنسان واختياره، لتتضح حقيقة الجزاء وضرورة الاستعداد لذلك اليوم العظيم.

خلاصة تفسير سورة عبس:

الدعوة: السورة تؤكد على أهمية الاهتمام بمن طلب الحق، ولو كان ضعيفًا أو عاجزًا في نظر الناس، فالقيمة الحقيقية في السعي للهدى والاستجابة للرسالة.

التربية: تقدم السورة مراجعة للسلوك النبوي، مع تعظيم مكانة الوحي والقرآن، لتكون التوجيهات التعليمية قائمة على الرحمة والعدل، لا على المكانة أو الظاهر الاجتماعي.

العقيدة: يوم القيامة يفصل بين الناس بحسب أعمالهم، وتُبرز السورة واقع الجزاء والثواب والعقاب، مؤكدة على الثبات على الحق والالتزام بالقيم الإلهية.

النفس: التكبر جحود أصله نسيان البداية الترابية للإنسان، ووعي ذلك يربط القلب بالتواضع والخشية من الله.

المجتمع: في يوم القيامة تُمحى كل الروابط الاجتماعية والعائلية، ولا يُنقذ الإنسان إلا عمله الصالح وخشيته لله، فتكون السورة درسًا للمجتمع في تقدير العمل الصالح على كل اعتبار دنيوي.

الربط مع ما قبلها:

في سياق البناء القرآني المتكامل، تقدم **سورة النازعات** هول المشهد النهائي لنزع الأرواح، وتكشف مصير الطغاة، وتبين النجاة لمن خاف مقام ربه، فتضع الإنسان أمام حقيقة الموت والبعث والجزاء.

ثم تأتي **سورة عبس** لتأخذ هذا البناء خطوة أعمق نحو التربية، فهي تهتم بتوجيه النفس لمن يحمل الرسالة، وتعيد ترتيب سلم القيم، من التركيز على المكانة الاجتماعية والواجهة إلى معيار القرب من الله والاهتداء بالوحي.

يمكن القول إن **النازعات** تُظهر هول النزع والمصير المحتوم، بينما **عبس** تُبرز هول الدعوة عندما لا تُبنى على معيار صحيح، فتضع قواعد التعامل مع الناس والرسالة، وتصحيح السلوك، وتهيئة النفس للنجاة في الدنيا والآخرة.

للتأمل الذاتي:

- هل أحتقر من يسعى للحق بسبب ضعفه أو ظاهره، أم أقدّر الساعي للهدى مهما كان؟
- هل جعلت القرآن مرجعي الأوحد في حياتي، أم أميّزه حسب أهوائي ومصالح الدنيا؟
- هل أخاف يوم الصاخة وأعد نفسي له بالعمل الصالح والخشية من الله؟
- هل سأفرّ من أحبتي يوم القيامة، أم سيكون عملي سببًا للنجاة لي ولهم، فتجمعنا الرحمة والمحاسبة الصحيحة؟

هذه الأسئلة تحفز النفس على مراجعة القيم والسلوك، وتجعل السورة مرآة للضمير، تبرز نقاط القوة والضعف، وتدفع نحو الإصلاح والتحضير للقاء الله.

خاتمة:

سورة عبس توجه رسالة واضحة وعميقة: لا تحتقر أحدًا يسعى إلى الله، مهما بدا ضعيفًا أو عاجزًا في نظرك، فقد يكون أعظم عند الله منك. ولا تغتر بصلتك بأهلك أو بمكانتك الاجتماعية، فحين يأتي يوم الحساب، لن يحمل أحد عن أحد شيئًا، وإنما يُجازى كل إنسان بحسب عمله وتقواه، فتكون السورة تذكيرًا دائمًا بالقيم الحقيقية والاهتمام بالحق والعمل الصالح.

سورة التكوير

السورة التي تصوّر مشهد انهيار النظام الكوني بالكامل، حيث تتساقط أركان العالم واحدة تلو الأخرى في أحد عشر مشهدًا متتابعًا، فتخلق في النفس رهبةً وتأملًا في قدرة الله وعظمته.

الاسم والدلالة:

"التكوير" مأخوذ من الفعل كَوَّر[1]، بمعنى لفّ وغطّى، كما يُغطي المرء رأسه بالعمامة. فالسورة بهذا الاسم[2] تشير إلى الانقلاب الشامل في النظام الكوني وانكشاف الحقائق عند الساعة.

[1] قالت الكواري:" {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} أي: لُفَّتْ وذهبَ بِنُورِهَا، وَأَصْلُ التَّكْوِيرِ: الجَمْعُ مَأخُوذٌ من: كَارَ العِمَامَةَ إذا جَمَعَهَا وَلَفَّهَا." كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، تفسير غريب القرآن، الناشر: دار بن حزم الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ ،ج81ص1.

[2] قال جعفر شرف الدين:" وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وتبلغ آياتها تسعا وعشرين آية" جعفر شرف الدين ، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، مرجع سابق ج11ص93.

المقصـــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:

السورة تهدف إلى تصوير انهيار الكون كإشارة على قيام الساعة، مع التأكيد على صدق الوحي والنبوة، وردّ افتراءات المشككين، وتذكير كل إنسان بمسؤوليته أمام ربه، مبرزًا أن النجاة متاحة لمن شاء أن يستقيم على طريق الحق، وأن لكل فعل حسابًا وعاقبة.

البنية الموضوعية لسورة التكوير

من الآيات **1–14**، تصوّر السورة مشاهد كونية مزلزلة ليوم القيامة، حيث تتساقط أركان الكون ويختفي النظام المألوف، فتضع الإنسان أمام عظمة الله وحقيقة المصير المحتوم.

في الآيات **15–23**، تقسم السورة على النجوم، وتصف بوضوح مكانة الوحي وصدق النبي ﷺ، مؤكدة أن الرسالة حق وأن المنكرين لا يستطيعون إنكارها.

أما الآيات **24–29**، فترد على افتراءات المشركين، وتذكّر الإنسان بحرية اختياره في الاستقامة أو الانحراف، مع التأكيد على أن المسؤولية شخصية وأن النجاة مرتبطة بالاستجابة لله.

من الآيات **1–14**، تصوّر السورة انهيارًا شاملًا لمظاهر الكون والنفس، حيث تقول: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ ...﴾

الرســــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــتراتيجية:

الشمس تُطفأ، النجوم تتساقط، الجبال تُحرك، الوحوش تُحشر، البحار تُسجّر، وتُجمع النفوس بما أحضرته من عمل. عندها لا ينفع الإنسان إلا ما أعدّ لنفسه، فكل شيء من ظواهر الطبيعة إلى ما في داخل الإنسان يهتز ويكشف عن حقيقة المصير، لتبرز أهمية الاستعداد للآخرة بالعمل الصالح والخشية من الله.

سورة الانفطار

الاسم والدلالة: "الانفطار" تعني الانشقاق الطولي القاسي، ومنه جاءت تسمية السورة[1] ويُستعمل الوصف للتمزق العظيم في السماء يوم القيامة، دلالة على حدوث الانقلاب الشامل في الكون وبداية الحساب.

المقصـــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــورة:
السورة تذكّر الإنسان بهول يوم القيامة الذي تبدأ علاماته بانفطار السماء، مؤكدة حضور الملائكة الراصدين لكل عمل، وتثبت الجزاء العادل لكل نفس، كما تنبه الإنسان المغتر ليعود إلى ربه الكريم قبل فوات الأوان، فتربط بين رؤية الكون المتقلب وحقيقة المسؤولية الفردية.

البنية الموضوعية لسورة الانفطار

من الآيات **1–5**، تعرض السورة مشاهد بداية انهيار الكون، حيث تظهر علامات القيامة من انشقاق السماء وتفجير البحار، لتضع الإنسان أمام حقيقة المصير وضرورة الاستعداد للآخرة.

في الآيات **6–8**، توجّه السورة سؤالًا استنكاريًا للإنسان المغتر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦...﴾ .

أما الآيات **9–12**، فتبرز دور الملائكة الكرام الكاتبين، الذين يراقبون أعمال الناس ويسجلونها، فتأكيد على حضور الرقابة الإلهية الدائم.

---

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ «سُورَةَ الِانْفِطَارِ» فِي الْمَصَاحِفِ وَمُعْظَمِ التَّفَاسِيرِ. وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْفطَرَتْ، وَإِذا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَقَدْ عَرَّفْتُ مَا فِيهِ مِنَ الِاحْتِمَالِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ التَّكْوِيرِ.وَسُمِّيَتْ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ: «سُورَةُ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» وَبِهَذَا الِاسْمِ عَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «صَحِيحِهِ» ". محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج30ص169.

وأخيرًا، في الآيات **13–19**، تصوّر السورة مصير الأبرار والفجّار، ومشهد يوم الجزاء العظيم، حيث يُجازى كل نفس بما عملت، ويظهر الجزاء العادل لكل إنسان وفق أعماله وخشيته من الله.

من الآيات **1–5**، تصوّر السورة بدايات الساعة التي تهز أركان الكون، حيث تقول: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥﴾

الرسـالة الاسـتراتيجية:

انهيار السماء، وسقوط الكواكب، وتفجّر البحار، وبعث القبور هي مشاهد كبرى تنذر ببداية النهاية. كل ما فوقك وفوق الأرض سينقلب، فالسورة تحث الإنسان على التأمل والاستعداد ليوم الحساب، وتذكره بأن كل شيء معرض للانقلاب أمام قدرة الله.

من الآيات **6–8**، تطرح السورة سؤالًا استنكاريًا يهز القلب:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ..).

الرسـالة الاسـتراتيجية:

السؤال محوري، يدعو الإنسان للتفكر: ما الذي جعلك تغفل عن الله؟ هو الذي خلقك وسواك وعدلك، فهل يُغَرّ منه، أم تُرجع إليه بالشكر والطاعة؟ السورة تحث على اليقظة والاعتبار قبل فوات الأوان، وتذكّر بعظمة المنعم واستحقاق الشكر.

من الآيات **9–12**، تبرز السورة دور الملائكة الراصدين لكل حركة، حيث تقول: ﴿...وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾.

الرسـالة الاسـتراتيجية:

كل نفس مراقبة بلا انقطاع، فالملائكة يسجلون كل كلمة، كل نظرة، كل حركة، وكل نية.

وسيُعرض كل ذلك على الإنسان في يوم لا تملك فيه نفس لنفس شيئًا، فتتضح حقيقة المسؤولية الفردية والرقابة الإلهية على كل تصرف وأفكار الإنسان.

من الآيات **13–19**، تصوّر السورة مصير الأبرار والفجّار ويوم الجزاء، حيث تقول: (﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ ...)

الرسالة الاستراتيجية:

الجزاء حق والفصل قاطع: من كان بارًّا ينال النعيم، ومن كان فجّارًا ومتعديًا يقع في الجحيم. لا شفاعة ولا نفوذ ولا استثناء لأحد، فتتضح عدالة الله المطلقة، ويبرز ارتباط كل جزاء بعمل الإنسان وخشيته من الله، لتكون السورة تذكيرًا صارخًا بالمسؤولية الفردية والاستعداد ليوم الحساب.

خلاصة تفسير سورة الانفطار:

العقيدة: الساعة مؤكدة بعلاماتها الكونية الكبرى، فتضع الإنسان أمام حقيقة المصير المحتوم ويوم الحساب.

النفس: الغرور بالله الكريم هو أصل الغفلة، فالإنسان إذا انشغل بنفسه أو بمكانته، يغفل عن حق ربه وواجباته.

السلوك: كل فعل مكتوب ومراقب من الملائكة، فلا تغفل عن الرقابة الإلهية، وكن واعيًا لكل كلمة وحركة ونية.

المصير: الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم، فالجزاء قائم على الأعمال والخشية من الله.

المجتمع: لا أحد يملك نفعًا لأحد يوم القيامة، فالنجاة شخصية وفردية، ويُحاسب كل إنسان بحسب عمله وخشيته من الله.

الربط مع ما قبلها:

في سياق البناء القرآني المتكامل، تعرضت **سورة التكوير** لانهيار النظام الكوني الكامل، موضحة علامات القيامة ومصير الإنسان، مع التأكيد على صدق الوحي والرسالة النبوية ﷺ.

ثم تأتي **سورة الانفطار** لتكمّل هذا المشهد، فبينما كانت التكوير تصور انهيار النظام الكوني بأبعاده الكبرى، تركز الانفطار على بداية الحساب الفردي، مع تسجيل الأعمال من قبل الملائكة، وتبيان الجزاء العادل لكل نفس، لتربط بين رؤية الكون المتقلب وحقيقة المسؤولية الفردية أمام الله.

للتأمل الذاتي:

- هل أنا ممن اغترّ بربه الكريم وغفل عن حقّه وواجباته؟
- هل أشعر بحقيقة أن الملائكة تسجل كل أعمالي وأقوالي ونواياي؟
- هل أعمالي ستُسجَّل في صحيفة الأبرار أم الفجّار، وهل أعمل بوعي تجاه هذا الحساب؟
- هل أستعد ليوم لا يملك فيه أحد شيئًا لأحد، فكل إنسان يواجه جزاءه وحده؟

هذه الأسئلة تدعو النفس إلى مراجعة الغفلة والغرور، وتعزيز الوعي بالمسؤولية الفردية أمام الله، والاستعداد العملي ليوم الجزاء.

خاتمة:

سورة الانفطار توقظ في النفس شعور رقابة الله ورقابة الملائكة، وتوجّه الإنسان لتأمل نفسه بعين الآخرة، فتذكره بأنّه وحده المسؤول، وأن ما يملكه من خير أو شر هو ما قدمه في الدنيا، فلا يعتمد على غيره، ولا يلتفت إلى الزيف أو الغفلة، بل يستعد بما أحضر من عمل صالح للقاء الله.

سورة المطففين

السورة التي تبدأ بالتهديد لمن يغش الميزان، فتفضح انحراف الأخلاق الاقتصادية والاجتماعية، ثم ترفع النفس إلى رؤية علّيين، وتحذّر من أن يكون الإنسان ممن يضحكون على المؤمنين ثم يبكون على أنفسهم يوم القيامة.

الاسم والدلالة:

"المطففين" مأخوذ من التطفيف، أي النقص في الكيل أو الوزن، ويشمل كل أشكال الغش في التعامل والمعاملة، سواء كانت ظاهرة أم باطنة. وجاءت تسمية السورة بهذا الاسم[1] إدانة صريحة للغش والفساد المادي، ودعوة صريحة للإصلاح الأخلاقي الشامل.

المقصد العام للسورة:

السورة تهدف إلى إدانة الغش والفساد في الكيل والميزان، وفضح استعلاء الفجار وسخريتهم من المؤمنين، مع تقرير مصير كل فريق: الفجار في سجّين، والأبرار في علّيين. كما تحذّر من قلب الموازين الأخلاقية والاجتماعية، وتبرز العلاقة بين السلوك الاقتصادي والأخلاقي والجزاء الأخروي.

البنية الموضوعية لسورة المطففين

من الآيات **1–6**، تبدأ السورة بإدانة المطففين والوعيد لهم، أي من يغشّون في الكيل والوزن أو في أي تعامل، محذّرةً من العقاب الإلهي لعدم الالتزام بالعدل.

في الآيات **7–17**، تصف السورة "سجّين" ومصير الفجار، موضحة العذاب الجزائي لأولئك الذين تعدّوا حدود الله وخالفوا القيم الأخلاقية والاجتماعية.

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة (المطففين)، لافتتاحها بقوله تعالى: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} وهم الذين يبخسون المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضوا من الناس، وإما بالنقصان إن قضوهم أو وزنوا أو كالوا لهم." وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ج30ص109.

أما الآيات **18–28**، فتتحدث عن "علّيين" ومقام الأبرار، مرتفعة بالنفس إلى علو درجات الصالحين وثوابهم، مؤكدة المكانة العظيمة للأبرار عند الله.

وأخيرًا، في الآيات **29–36**، تصوّر السورة مشهد السخرية المتبادلة بين الفريقين في الدنيا والآخرة، حيث يضحك الفجار على المؤمنين ثم يبكون على أنفسهم يوم الحساب، لتبرز عدالة الله المطلقة والفصل بين الحق والباطل.

من الآيات **1–6**، تبدأ السورة بالتحذير القاطع:﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ ...﴾.

الرســـــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــتراتيجية:

الغش في الميزان فساد أخلاقي، ويعد أول درجات الانهيار الاجتماعي. من يفسد في الكيل والوزن يفسد في المبادئ والقيم، ولا يتوقع أن يفوته يوم الحساب، فتكون البداية تحذيرًا صارخًا من التهاون في العدل والمصداقية.

من الآيات **7–17**، تصف السورة "سِجِّين" ومصير الفجّار، حيث تقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ ...﴾

الرســـــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــتراتيجية:

"سِجّين"[1] هو سجن ضيق مظلم يحتوي سجل أعمال الفجّار، ويمثل مصيرهم في الجحيم.

---

[1] قال الايجي:" هي أرض السابعة، السفلى فيها الشياطين، وأرواح الكفار، وهي صخرة تحت الأرض السابعة أو بئر في جهنم، (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ)، لعظمه وغاية قباحته، (كِتَابٌ مرْقُوم)، من المفسرين من جعله خبرًا ثانيًا لقوله: " إن كتاب الفجار " أو خبر محذوف، أي: هو يعني كتاب الفجار كتاب مرقوم مسطور بَيِّن [مختوم عليه]، ومنهم من قال: السجين: كتاب جامع هو ديوان الشر فيه أعمال الأشرار، وهو كتاب مرقوم، وسمي الكتاب سجينًا الذي هو الحبس، والتضييق، لأنه سبب الحبس في جهنم، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش، هو مسكن إبليس وجنوده استهانة، وليشهده الشيطان" محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) ، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م،ج4ص460.

السورة تؤكد أن الجزاء العادل قائم، وأن الفساد والغش في الدنيا يؤدي إلى عذاب مستحق في الآخرة، فتربط بين السلوك الأخلاقي والجزاء النهائي.

من الآيات **18–28**، تصف السورة "عِلِّيِّين" ومقام الأبرار، حيث تقول: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

"عِلِّيِّين" هو سجل مشرف محفوظ في مكان علوي للأبرار الذين صدّقوا واستقاموا على الحق. لهم جزاء رفيع، يُسقَوْن من رحيق مختوم، خاتمه المسك، ومزاجه من "تسنيم" العلو، فتُبرز السورة مكانة الصالحين وارتفاع درجاتهم كمكافأة على صدقهم وثباتهم على الطاعة.

من الآيات **29–36**، تصوّر السورة انقلاب الموازين يوم القيامة، حيث تقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ ...﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

في الدنيا يسخر الكفار من المؤمنين، أما في الآخرة فيضحك المؤمنون على الكفار من فوق الأرائك، لأن الميزان عند الله قائم وعدله مطلق. السورة تبرز أن النصر الحقيقي والفرح الأبدي لمن يصبر ويثبت على الإيمان، فالضحك الأول ليس هو الحكم، بل الضحك الأخير لمن رضي الله عنه واستقام على الحق.

خلاصة تفسير سورة المطففين:

الاقتصاد: الغش في الكيل والوزن منكر عظيم يهدم الثقة الاجتماعية ويؤدي إلى فساد المجتمع بأسره.

السلوك: من يظلم في البيع والتعامل المادي، يظلم في الدين والقيم الأخلاقية، فتترابط الصدق في المعيشة مع الصدق في العبادة.

العقيدة: يوم البعث حقيقة لا مراء فيها، وكتابة الأعمال من قبل الملائكة واقع ثابت، فلا يغفل الإنسان عن مراقبة أفعاله.

المصير: الفجار في "سِجّين" ويلاقون العذاب، والأبرار في "عِلِّيِّين" وينالون جزاء رفيعًا، فالجزاء قائم على العمل والصدق والاستقامة.

المجتمع: السخرية من المتدينين في الدنيا تنقلب ندامة في الآخرة، فالضحك الأول ليس هو الحكم، بل الضحك الأخير لمن ثبت على الحق.

الربط مع ما قبلها:

في سياق البناء القرآني المتكامل، جاءت **سورة الانفطار** لتكشف عن المصير الفردي لكل نفس، حيث تُظهر الجزاء العادل لكل إنسان حسب أعماله، مع تسجيل كل فعل ونية من قبل الملائكة. ثم تأتي **سورة المطففين** لتكمل المشهد، فتفضح الفساد الاجتماعي والاقتصادي، وتوضح مصير من يغشّون في الكيل والوزن أو يسخرون من المؤمنين، وتبرز أن الحساب ليس فرديًا فقط، بل له بعد اجتماعي وأخلاقي أيضًا؛ **الانفطار :حساب النفس الفردي، المطففين : حساب المجتمع وأثر السلوك الجماعي.**

للتأمل الذاتي:

- هل أتعامل بعدل في البيع والشراء، أم أغشّ أو أنقص في الكيل والوزن؟
- هل أضحك من المؤمنين أو أزدريهم، أم أحترم القيم والأخلاق التي يدافعون عنها؟
- هل أسعى أن أكون من أصحاب "عِلِّيِّين"، الذين جزاؤهم رفيع وثوابهم محفوظ؟
- هل أنظر للأشياء بمنظار الآخرة، أم أوزنها بموازين الدنيا الزائلة، فأنسى الحق وأغفل عن المصير؟

هذه الأسئلة تدعوك لمراجعة سلوكك الشخصي والاجتماعي، ولتقييم مدى التزامك بالقيم الأخلاقية والعدالة، واستعدادك ليوم الجزاء.

خاتمة:

سورة المطففين تضع مرآةً أمام وجه المجتمع، فتظهر أن الغش والاستهزاء والتكذيب تقود إلى "سِجّين"، بينما الصدق والعدل والإيمان ترفع صاحبه إلى "عِلّيِّين". السورة تحث على اختيار الميزان الصحيح في كل تصرف وفي كل علاقة، وتنبه إلى أن يكون الإنسان صادقًا في عمله ودينه، فلا يكون ممن "يطففون" في الميزان، ولا في الإيمان، بل يثبت على الحق والاستقامة في الدنيا ليحظى بالجزاء في الآخرة.

البنية الموضوعية لسورة الانشقاق

من الآيات **1–5**، تصوّر السورة طاعة السماء والأرض لأمر ربها، حيث تنفذ الكون مشيئة الله بلا تردّد، مما يرمز إلى حتمية النظام الإلهي وانقياد الخلق لأمره.

في الآية **6**، تركز السورة على حقيقة مسار الإنسان نحو لقاء الله، موضحة أن كل تعب ودعاء وعمل في الحياة الدنيا يتجه نحو المحاسبة واللقاء بالرب.

بين الآيات **7–15**، تصوّر السورة انقسام الناس في المصير: من أُوتي كتابه بيمينه فقد فاز وسعد، ومن وراء ظهره فقد هلك، فتبرز السورة الفصل بين الناجحين والهالكين.

وأخيرًا، من الآيات **16–25**، تُقسم السورة على وقوع البعث وتوبخ المكذبين بالآخرة، مؤكدة حتمية الحساب وضرورة الإيمان والعمل الصالح قبل فوات الأوان.

من الآيات **1–5**، تبدأ السورة بوصف انشقاق السماء وبسط الأرض طوعًا لأمر ربها، حيث تقول: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ...)

الرسالة الاستراتيجية:

الكون كله يطيع أمر الله العظيم بلا تردّد، من السماء إلى الأرض، فتطرح السورة سؤالًا محوريًا للإنسان: أين أنت من هذا الانقياد؟ وما حجتك يوم يُدعى للحساب، حين يواجه الإنسان جزاء أفعاله وأعماله؟

من الآية **6**، تركز السورة على مسار الإنسان نحو لقاء ربه، حيث تقول:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾

الرســــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

حياة الإنسان كلها عمل وتعب وجهد، لكن النتائج الحقيقية ليست في الدنيا، بل عند لقاء الله. السورة تطرح سؤالًا محوريًا: أي لقاء أعددت له، لقاء النجاح والفلاح، أم لقاء الهلاك والتقصير؟

من الآيات **7–15**، تصوّر السورة انقسام الناس في المصير، حيث تقول:﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ ...﴾.

الرســــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

علامة النجاة أن يُعطى كتاب الإنسان بيمينه، فيحاسب حسابًا يسيرًا ويفرح برجوعه إلى أهله وأحبابه في الجنة. أما من يُعطى كتابه وراء ظهره فهي علامة الخزي والخذلان، إذ يتمنى الموت ويلاقي العذاب في سعير جهنم، فتوضح السورة الفصل الحاسم بين المؤمنين والفجار ومصير كل فريق.

من الآيات **16–25**، تُقسم السورة على وقوع البعث والحساب، حيث تقول:﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾

الرســــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

السورة تقسم ببديع المخلوقات على أن الإنسان سينتقل من طور إلى طور حتى يصل إلى يوم الحساب، فتسائل المكذبين: فما لكم لا تصدقون؟ على الرغم من الدلائل والبراهين، وتبين أنهم يكذبون ويعرضون عن الحق، والله أعلم بما يخفونه في صدورهم، لتأكيد حتمية الجزاء وضرورة الإيمان والاستعداد قبل فوات الأوان.

خلاصة تفسير سورة الانشقاق:

العقيدة: البعث والحساب حتميان، والكتاب هو دليل الأعمال الذي يُبيّن مصير كل إنسان.

النفس: كدح الإنسان في الحياة مستمر، لكن السعادة الحقيقية ليست في الدنيا، بل في لقاء الله يوم القيامة.

السلوك: النجاح الحقيقي يكون في أن يُعطى كتاب الإنسان بيمينه، وليس في المظاهر أو الغرور بالدنيا.

التربية: الكون بأسره يطيع أمر الله، والمؤمن مطالب بالانقياد والطاعة كذلك، فحياة الإنسان يجب أن تعكس النظام الإلهي.

الدعوة: السورة تدعو الإنسان إلى المراجعة والتأمل في مصيره قبل المكابرة، وتذكّره بحتمية الحساب والإعداد للقاء الله.

الربط مع ما قبلها:

في سياق البناء القرآني المتكامل، جاءت **سورة المطففين** لتفضح فساد الميزان الأخلاقي والاجتماعي، وتبين سوء المصير وسخرية الكفار من المؤمنين في الدنيا، وما ينقلب عليهم يوم القيامة.

ثم تأتي **سورة الانشقاق** لتكمل المشهد، فتوضح ميزان المصير بعد كدح الإنسان وجهده في الحياة، والفصل بين من أُوتي كتابه بيمينه فنجا، ومن وراء ظهره فهلك.

للتأمل الذاتي:

- هل أعيش الكدح الحقيقي نحو الله، أم أغفل في تيه الدنيا وغرورها؟
- هل سأُعطى كتابي بيميني يوم الحساب، أم سيكون وراء ظهري علامة الخزي والهلاك؟
- هل أشعر برقابة الله على ظاهري وسري، وأخذ العبرة في كل عمل ونية؟

- هل أتأمل في الكون فأستشعر انقياد السماوات والأرض لمشيئة الله، وأجعل نفسي منقادًا له بالحق والعمل الصالح؟

هذه التأملات تدعو الإنسان لمراجعة جهده في الحياة، وضبط سلوكه وفق ميزان الله، واستعداد القلب والروح ليوم الحساب.

خاتمة:

سورة الانشقاق تضعك أمام سؤال مفصلي: بعد كل هذا التعب والكدح في الحياة، ماذا أعددت للقاء ربك؟
تذكّرك السورة أن النجاة الحقيقية ليست في متاع الدنيا أو غرورها، بل في أن تُبصر نفسك يوم الحساب وقد أُعطي كتابك بيمينك، كتاب مشرف يُشهد لك به على أعمالك، فتكون فائزًا وناجيًا.

سورة البروج

السورة التي تبدأ بقسم عظيم بالسماء ذات البروج، لتُظهر عظمة النظام الكوني ودقة خلق الله، وتثبّت المؤمنين في وجه بطش الجبابرة.

الاسم والدلالة:
"البروج" تعني منازل الكواكب العظيمة في السماء[1] ومنه جاءت تسميتها، وافتتاح السورة بالقسم بها يرمز إلى النظام الإلهي المحكم وعظمة قدرة الله.

المقصد العام للسورة:
السورة تهدف إلى تثبيت القلوب أمام طغيان الكفار، عبر ذكر قصة أصحاب الأخدود

[1]قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة البروج؛ لذكرها فى أوّلها." مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،، **صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مرجع سابق،ج1ص510.

كنموذج للإيمان والثبات، وتأكيد أن الله شهيد على كل شيء، وأن جزاء المؤمنين الجنة وجزاء الكافرين النار، مع إبراز قدرة الله المطلقة في نصرة عباده وحماية دينه.

البنية الموضوعية لسورة البروج

من الآيات **1–3**، تبدأ السورة بقسم بالسماء والبروج والموعد المشهود، مشيرة إلى عظمة النظام الكوني ودقة خلق الله، وإلى أن كل شيء موثق ومشهد للحساب.

بين الآيات **4–9**، تعرض السورة قصة أصحاب الأخدود، مظهرة بطش الطغاة واستشهاد المؤمنين، لتكون نموذجًا خالدًا للإيمان والثبات أمام القهر والاضطهاد.

في الآيات **10–11**، تُبين السورة جزاء المؤمنين بالجنة وجزاء الكافرين بالنار، مؤكدة أن الحساب حتمي، وأن كل عمل يُجازى عليه الإنسان.

من الآيات **12–14**، تؤكد السورة قدرة الله المطلقة وسعة مغفرته، ودعوته للإنسان إلى الثبات والرجوع إليه.

وأخيرًا، بين الآيات **15–22**، تذكر السورة تأريخ هلاك الطغاة السابقين وتقرير فعل الله في نصرة عباده، لتكون عبرة لكل متجبر ومستكبر.

من الآيات **1–3**، تبدأ السورة بقسم بالسماء ذات البروج واليوم الموعود، مشيرًا إلى كل شاهد ومشهود، حيث تقول: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾.

الرسالة الاستراتيجية:

القسم هنا يؤكد على ثبات الحق الذي سيأتي، وأن ما وعد الله به واقع لا ريب فيه، ليهيئ الإنسان للتدبر في الأحداث القادمة، ويعطي دلالة على قدرة الله وعظمته في تدبير الكون والحساب.

من الآيات **9-4**، تعرض السورة **قصة أصحاب الأخدود**، حيث تقول:﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤...)

الرسالة الاستراتيجية:
قوم مؤمنون حُفر لهم أخدود عظيم وأُشعلت فيه النار، وأُحرقوا لمجرد إيمانهم بالله عز وجل. المعادلة واضحة: **الثبات = التضحية.**
ومع ذلك، الله شاهد على كل شيء، ولم يذهب أي جهد أو تضحية من عباده هباءً، فهناك جزاءٌ آتي لكل مؤمن صابر ومستقيم.

من الآيات **11-10**، تبيّن السورة **جزاء الانحراف والثبات**، حيث تقول:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠...﴾

الرسالة الاستراتيجية:
الفتنة بالباطل والنار تؤدي بصاحبها إلى الجحيم، أما الثبات على الإيمان والطاعة فتنتهي بصاحبها إلى الجنان. المعادلة واضحة: **الخيار متاح أمام الإنسان، والجزاء يتناسب مع موقفه من الحق.**

من الآيات **14-12**، تبرز السورة **قدرة الله وعظمته وصفاته الجامعة**، حيث تقول:﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢...)

الرسالة الاستراتيجية:
الله يجمع بين البطش والغفران، بين العلو والمحبّة، فلا يظن الطغاة أنهم يفلتون من العقاب، ولا يظن المؤمنون أنهم يُنسون أو يُغفلون. كل شيء مرصود، وكل جزاء معلوم، والله على كل شيء شهيد وقادر.

من الآيات **22–15**، تعرض السورة **التاريخ عبر أمثلة فرعون وثمود وغيرهم**، حيث تقول:

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٦ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾

الرسـالة الاسـتراتيجية:

ما جرى لأصحاب الأخدود لم يكن حادثًا عشوائيًا، بل عبرة متجددة لكل طاغٍ، ونجاة لكل مؤمن ثبّت الله أقدامه. القرآن سجل هذه الوقائع لتكون تذكرة للناس، والله محيط بكل شيء، شهيد على أعمال الطغاة والمستضعفين على حد سواء.

سورة البروج تضع المؤمن أمام منظومة متكاملة من الدروس والعبر. أولها في العقيدة، حيث تُثبت أن الله قوي، شهيد، محيط، لا يفوته شيء، فلا يخاف الطغاة من قدرته ولا يغفل عن أعمال عباده.

ثم تستند السورة إلى التاريخ لتبيّن أن الطغاة مهما علا شأنهم سينالهم الهلاك، وأن المؤمنين الذين ثبتوا على الحق ينالون التكريم والجزاء من عند الله. هذا الربط بين العقيدة والتاريخ يرسخ في النفس يقينًا بأن الجزاء حق، وأن الله يدير الأمور بحكمة وعدل.

من جهة السلوك، تعلم السورة أن الإيمان قد يُكلّف الإنسان غاليًا من تعب وصبر وتضحية، لكنه الطريق إلى العلو والكرامة في الدنيا والآخرة. أما التربية، فتكمن في غرس معاني العزة والثبات والتضحية، وتثبيت القلوب على الحق وسط ضغط الطغاة وفتن الحياة.

وأخيرًا، تضع السورة قاعدة في الدعوة: لا يخشى المؤمن لومَةَ لائم إذا كان مع الله، فالثبات على الحق والمضي في طاعة الله يضمن له النصرة والنجاة، والله مع الصابرين والمخلصين دومًا.

الربط مع ما قبلها:

سورة البروج ترتبط بما قبلها في استمرارية عرض المآلات والجزاء. فبعد أن رأينا في سورة الانشقاق الكدح الفردي للإنسان نحو ربه ونتائج الحساب، تأتي سورة البروج لتبيّن الثبات الجماعي في مواجهة البطش والطغيان، وتثبت أن ثمن الإيمان عالٍ لكنه محفوظ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، وأن الطغاة مهما علا شأنهم فمصيرهم إلى الهلاك.

للتأمل الذاتي:

· هل أنا متمسّك بإيماني بالله العزيز الحميد، وأثبت على الحق مهما كلّفني من تعب أو تضحية؟

· هل أعي أن بطش الله شديد، وأن الظالم مهما طال أمره لن يفلت من قضائه؟

· هل أستحي من نفسي حين أتأمل ثبات أصحاب الأخدود، فأجد نفسي مقصّرًا أو متهاونًا في ثباتي؟

· هل أستشعر دائمًا أن ربي شهيد على كل فعل أقوم به، في السر والعلن، وأنه لا يغيب عنه شيء من أحوالي؟

سورة البروج تضعك أمام معادلة واضحة في الحياة: الثبات على الحق رغم البطش، والإيمان المطلق رغم التحديات. فهي تبني في قلبك حصانة ضد الترهيب والخذلان، وتذكّرك بأن الله شهيد على كل شيء، بطشه شديد، ورحمته واسعة، وأن جزاء المؤمنين في النهاية الجنة، فكن من أصحاب العقيدة الراسخة، ولا تكن ممن أُغرِقوا في الحفرة بالمعصية والغفلة.

سورة الطارق

الاسم والدلالة: "الطارق" النجم الثاقب[1] اللامع الذي يطرق الليل، ويترك أثرًا، ويوقظ الغافلين كما يوقظ الطارق الأبواب المغلقة.

---

[1] قال القرطبي:" قَوْلُهُ تَعَالَى (وَالسَّماءِ وَالطَّارِقِ) قسمان: السَّماءِ قسم، والطَّارِقِ قَسَمٌ. وَالطَّارِقُ: النَّجْمُ. وَقَدْ بَيَّنَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. وَاخْتُلِفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ زُحَلُ: الْكَوْكَبُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ

التسمية تشير إلى القوة والاختراق، وتستدعي الإنسان للتأمل في خَلْق نفسه، وفي قدرة الله على البعث والحساب.

المقصـــــــــــــــد العـــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:

تأكيد قدرة الله المطلقة على خلق الإنسان وإعادته بعد الموت، وعلمه بكل ما يُسرّ ويُعلن، وبيان أن كيد الكافرين محدود أمام كيد الله العليّ، وأن القرآن فصلٌ حاسم للحق والجزاء.

البنية الموضوعية:

(1–3): القســـــــــــــم بالســـــــــــــماء والطـــــــــــــارق

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ...﴾

الرســـــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــتراتيجية:

الله يقسم بالنجم الثاقب الذي يطرق الليل، ليوقظ الإنسان ويشير إلى عظمة الخلق ودقة النظام الكوني، ويهيئ القلب لتلقي الحق.

(4–7): حقيقـــــــــــة الإنســـــــــــان وبدايـــــــــــة خلقـــــــــــه

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ٤ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧﴾

الرســـــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــتراتيجية:

التأمل في أصل الإنسان من نطفة صغيرة، يذكره بضعفه وحاجته إلى ربه، ويعزز الوعي بمحدودية ذاته مقارنة بقدرة الله.

الْحَسَنِ «١» فِي تَفْسِيرِهِ، وَذَكَرَ لَهُ أَخْبَارًا، اللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّتِهَا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّهُ الثُّرَيَّا. وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ زُحَلُ، وَقَالَهُ الْفَرَّاءُ. ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْجَدْيُ. وَعَنْهُ أَيْضًا وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وَالْفَرَّاءِ: النَّجْمُ الثَّاقِبُ: نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُهُ مِنَ النُّجُومِ، فَإِذَا أَخَذَتِ النُّجُومُ أَمْكِنَتَهَا مِنَ السَّمَاءِ، هَبَطَ فَكَانَ مَعَهَا. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَهُوَ زُحَلُ، فَهُوَ طَارِقٌ حِينَ يَنْزِلُ، وَطَارِقٌ حِينَ يَصْعَدُ". أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق،ج20ص1.

(8–10): قدرة الله على الإحياء والحساب

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الله قادر على بعث الإنسان بعد الموت، ومراقب لأعماله، فلا يغتر أحد بقدرته أو مكره على الآخرين.

(11–14): شهادة السماء والأرض والقرآن الفصل

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الكون والشهود كلّهما دليل على صدق القرآن وفصل الأحكام، وما يقدمه من هدى وبشارة وتنبيه.

(15–17): الكيد والمكر بين البشر والله

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾

الرسالة الاستراتيجية:

مكر الكافرين محدود أمام تدبير الله، وهو العدل النافذ، فلا يغتر الظالمون بقدرتهم، ولا ييأس المؤمنون من نصر الله.

خلاصة تفسير سورة الطارق:

العقيدة: الله رقيب على كل نفس، يعلم السر وأخفى، وقادر على بعث الإنسان بعد موته كما بدأ خلقه أول مرة.

النفس: الإنسان ضعيف في أصله، فلا يغتر بقوته، وليتذكر أن بدايته نقطة ماء، ونهايته لقاء وحساب.

القدرة الإلهية: كما خلق الله من العدم، فهو قادر على الإعادة، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

القرآن: هو قول فصل، ليس بالهزل، يطرق القلوب كما يطرق الطارق الليل، فيفصل بين الحق والباطل.

الصراع: كيد البشر محدود، أما تدبير الله فغالب، فلا يغتر كافر بمكره، ولا ييأس مؤمن من نصر ربه.

الربط مع ما قبلها:

في سياق البناء القرآني المتكامل، جاءت **سورة البروج** لتثبّت المؤمنين أمام بطش الطغاة، وتؤكد أن الله شهيد، وأن الجزاء آتٍ لا محالة.

ثم تأتي **سورة الطارق** لتعمّق هذا المعنى من زاوية أخرى: فالله ليس شهيدًا على الأحداث الكبرى فقط، بل رقيب على كل نفس، عالم بأصلها، وقادر على إعادتها للحساب، ومحيط بكل كيد يُدبَّر.

فإذا كانت **البروج** تعلّمك الثبات أمام بطش الخارج، فإن **الطارق** تذكّرك برقابة الله في الداخل.

للتأمل الذاتي:

- هل أستشعر أن الله رقيب عليّ في كل لحظة، كما أقسم بالطارق الذي لا يخفى نوره؟
- هل أتفكر في أصلي وضعفي، فأتواضع وأعود إلى ربي، أم أغتر بقوة زائلة؟
- هل أوقن أنني ملاقٍ ربي لا محالة، وأن كل سرٍّ سيُكشف؟
- هل أتعامل مع القرآن على أنه قولٌ فصلٌ يهزّ قلبي، أم أسمعه كأنه كلام عابر؟
- حين أرى مكر الظالمين... هل أثق أن كيد الله أعلى وأقوى؟

خاتمة:

سورة الطارق توقظك من غفلتك كما يوقظ الطارقُ بابًا مغلقًا في ليلٍ ساكن. تقول لك: أنت مخلوق ضعيف... مراقَب... عائد إلى ربك لا محالة.

فلا يغرك ستر الليل، ولا يغلبك مكر البشر، فإن فوق كل كيدٍ كيد الله، وفوق كل سرٍّ علمه وفوق كل بدايةٍ بعثًا وحسابًا. فاستيقظ... قبل أن يُطرق بابك الأخير.

سورة الأعلى

الاسم والدلالة: سميت بسورة الاعلى[1] لتصدر "الاعلى" في بدايتها﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ وهي سورة تربية عقدية ومنهجية، تبدأ من تنزيه الله الأعلى لتبني في النفس ميزان العبودية، وتغرس فيها الارتباط بالمآل الأخروي، وتعيد توجيه الإرادة الإنسانية من التعلّق العاجل الزائل إلى الاستعداد للخير الدائم الباقي. وهي بذلك ترسم للإنسان خريطة النجاة: تسبيح يورث معرفة، وذكر يثمر تزكية، وتزكية تقود إلى فلاح، وإعراض يفضي إلى شقاء.

المقصد العام للسورة فيتمثل في ترسيخ تنزيه الله الأعلى، وتعليم الإنسان سبيل تزكية النفس بالذكر والوحي، وبيان أن السعادة الحقة لا تكون إلا بالاستعداد للآخرة، وأن من أعرض عن ذكر الله وآثر الحياة الدنيا فقد اختار طريق الخسارة، لأن الآخرة في ميزان الحق خير وأبقى.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الأعلى، لافتتاحها بقول الله تعالى: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} أي نزّه الله عز وجل عن كل نقص، وصفه بكل صفات التمجيد والتعظيم؛ لأنه العلي الأعلى من كل شيء في الوجود. وتسمى أيضا سورة {سَبِّحِ}." وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** ، مرجع سابق،ج30ص185.

البنية الموضوعية للسورة جاءت في وحدات متتابعة محكمة، تتدرج في المعنى والمقصد على النحو الآتي:

في الآيات 1–5 يفتتح الخطاب بالأمر بتسبيح الرب الأعلى، مقرونًا ببيان أفعاله العظمى في الخلق والتقدير والهداية، بما يرسخ أصل التنزيه ويؤسس لمعرفة الله من خلال أفعاله في الكون والإنسان.

وفي الآيات 6–8 يوجَّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بتعليمه الوحي وتكفّل الله بحفظه في صدره، مع تقرير يسر الشريعة ورفع الحرج، بما يثبت مصدر الرسالة ويطمئن حاملها ويؤكد استمراريتها.

ثم تأتي الآيات 9–13 لتقرير وظيفة الذكرى، وبيان أثرها التفريقي، حيث ينتفع بها من يخشى الله، ويعرض عنها الأشقى، فتظهر سنة الهداية والضلال القائمة على الاستجابة أو الإعراض.

وتعالج الآيات 14–17 قضية تزكية النفس، وتضع المفاصلة الحاسمة بين من يزكّي نفسه بذكر ربه ويصلي، ومن يؤثر الحياة الدنيا مع كون الآخرة خيرًا وأبقى، فتُعاد صياغة ميزان القيم في نفس الإنسان.

وتُختتم السورة في الآيات 18–19 بربط هذا المضمون الكلي بالرسالات السابقة، تقريرًا لوحدة المنهج الإلهي، وأن ما جاءت به السورة هو الامتداد الطبيعي لما ورد في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى.

(1–5): التسبيح لله الأعلى، خالق الخلق ومدبّره

تفتتح سورة الأعلى آياتها الأولى بالأمر بتسبيح الله الأعلى، وهو تسبيح يتضمن تنزيهًا مقرونًا بالمعرفة، لا مجرد لفظ يُقال، بل وعيًا بحقيقة الربوبية المطلقة. فالله هو الأعلى في ذاته وصفاته وأفعاله، وهو الخالق الذي أوجد الخلق على أحسن تقويم، وسوّى كل

شيء في صورته ووظيفته، ثم قدّر لكل مخلوق قدره، وهداه إلى ما به قوام حياته واستمراره.

وتعرض الآيات مشهدًا كونيًا بليغًا، يبدأ بالخلق والتسوية، ويمر بالتقدير والهداية، وينتهي بدورة الحياة والزوال، حيث يُخرج الله المرعى أخضر ناضرًا، ثم يصيره حطامًا يابسًا أسود، في إشارة واضحة إلى سنن التحول، وفناء المظاهر، وبقاء المدبّر وحده. وهذا التسلسل يرسي في النفس ميزانًا عقديًا ووجوديًا، يربط بين عظمة الخالق، وحكمة التقدير، وحقيقة المآل.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن الكون كله محكوم بالتقدير الإلهي والهداية الربانية، لا عبث فيه ولا فوضى، وكل شيء يسير وفق سنن مضبوطة. والإنسان جزء من هذا النظام، فإما أن يعي هذه السنن فينسجم معها، فيحقق معنى العبودية والغاية، وإما أن يعيش غافلًا عنها، فيتحرك بلا بوصلة ولا مقصد، فيقع في التيه والضياع.

(6–8): لا تخف على حفظ الوحي، الله سيجمعه في صدرك

ينتقل الخطاب في هذا المقطع انتقالًا مباشرًا إلى تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، وطمأنته على أعظم أمانة يحملها، وهي أمانة الوحي. فيقرر الله تعالى تكفّله بإقرائه القرآن إقراءً راسخًا جامعًا، لا يعتريه ضياع ولا نسيان، لأن الحفظ ليس معتمدًا على الطاقة البشرية وحدها، بل على العناية الإلهية المباشرة. ويأتي الاستثناء تأكيدًا لكمال القدرة والمشيئة، لا لوقوع النسيان، بل لإبقاء الأمر منسوبًا إلى إرادة الله المطلقة.

ثم يربط هذا التثبيت بعلم الله المحيط بكل شيء، ظاهرًا كان أو خفيًا، ليُفهِم أن الوحي محفوظ بعلم الله قبل أن يُحفظ في الصدور، وأن الدعوة قائمة على سند إلهي لا يتزلزل. ويُختم المقطع بوعد آخر لا يقل أهمية، وهو تيسير النبي صلى الله عليه وسلم لليسرى، أي للطريق المستقيم السهل في المنهج والتكليف والدعوة، بما ينسجم مع فطرة الإنسان ويقوده إلى غايته العليا.

الرسالة الاستراتيجية في هذه الآيات أن الداعية إلى الله لا ينبغي أن يعيش تحت هاجس العجز أو الخوف من التقصير، فالله هو الذي يقرئ ويثبت، وهو الذي يعين وييسر. ومن استند إلى هذا الوعد الإلهي تحرر من القلق، ومضى في البلاغ واثقًا، لأن الطريق إلى الله مبني على التيسير لا التعسير، وعلى العناية الربانية لا على الجهد المجرد، ومآله النجاة والفلاح.

(9–13): الذكرى تنفع من يخشى

يضع هذا المقطع قاعدة حاكمة في منهج الدعوة والتبليغ، تقوم على أداء الواجب لا على ضمان النتائج. فالأمر بالتذكير مرتبط بسنّة الانتفاع، لا لأن الذكرى قد تفشل، بل لأن القلوب تختلف في قابليتها واستعدادها. فالذكرى في ذاتها حق ونور، لكن الذي يتفاعل معها هو من كان في قلبه خشية، أي وعي بالله، واستعداد للمساءلة، وخوف من المآل.

وتُبيّن الآيات أن الناس أمام الذكرى صنفان متقابلان: صنف يتذكر فينتفع ويهتدي، وصنف يتجنب الذكرى إعراضًا وكبرًا، وهو الأشقى، لأن إعراضه ليس جهلًا مجردًا، بل موقفًا نفسيًا وسلوكيًا واعيًا يقوده إلى المصير الأشد، وهو النار الكبرى. وبهذا تنتقل السورة من خطاب التثبيت إلى خطاب التمييز، مفرزةً القلوب بحسب مواقفها من الحق.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن الداعية ليس مطالبًا بتحويل الجميع، ولا بقياس صدق دعوته بسرعة الاستجابة، وإنما هو مطالب بالبلاغ الواضح والأمين. فالذكرى ستؤتي ثمرتها فيمن يخشى الله، أما من أعرض فقد اختار طريقه بنفسه. ومن وعى هذه القاعدة تحرر من اليأس، واستقام على الدعوة بثبات، وترك حساب النتائج لله، لأنه وحده يعلم من يستحق الهداية ومن آثر الشقاء.

(14–17): الفوز لمن تزكّى وآثر الآخرة

يبلغ الخطاب في هذا المقطع ذروة التقرير والحسم، حيث تُعلن قاعدة الفلاح إعلانًا صريحًا لا لبس فيه: الفلاح مرهون بالتزكية. فالتزكية هي تطهير النفس من الشرك والهوى، وترقيتها بالإيمان والعمل، ويأتي ذكر الله والصلاة بوصفهما المظهر العملي لهذه

التزكية، والدليل الحي على صدقها. فليست التزكية دعوى باطنة، بل مسارًا سلوكيًا يتجلى في الارتباط بالله ذكرًا وعبادة.

ثم تنتقل الآيات إلى كشف سبب الخلل عند أكثر الناس، وهو تقديم العاجل على الآجل، وإيثار متاع الدنيا الزائل على نعيم الآخرة الدائم. وهذا الإيثار ليس مجرد اختيار مادي، بل هو خلل في الميزان القيمي، وانقلاب في ترتيب الأولويات، يؤدي حتمًا إلى الخسارة، لأن المقارنة محسومة ابتداءً: الآخرة خير في حقيقتها، وأبقى في مآلها.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن طريق الفلاح واضح لا غموض فيه، يبدأ بتزكية النفس، ويترسخ بذكر الله، ويتجسد في الصلاة، وينتهي بالاستعداد للآخرة. أما من جعل الدنيا غايته فقد باع الباقي بالفاني، وخسر الميزان الذي تقوم عليه النجاة، لأن ما عند الله خير وأبقى.

(18–19): هذا ليس بجديد، بل هو في الصحف الأولى

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ تُختَم سورة الأعلى بإعادة ربط مضمونها الكلي بجذوره التاريخية والوحيية، فتقرر أن ما تقرره من حقائق الإيمان والتزكية والمآل الأخروي ليس أمرًا مستحدثًا، ولا خطابًا معزولًا عن سياق الرسالات، بل هو جزء من المنهج الإلهي الواحد الذي تتابعت به النبوات. فهذه القيم الكبرى التي عرضتها السورة ممتدة في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، حيث تأسس خطاب التوحيد والتزكية والعبودية على القاعدة نفسها.

ويؤدي هذا الختام وظيفة منهجية عميقة، إذ يرسّخ وحدة الرسالة، ويؤكد أن الاختلاف بين الشرائع إنما هو في الفروع والوسائل، لا في الأصول والمقاصد. فالتزكية، وذكر الله، والصلاة، وتقديم الآخرة على الدنيا ليست شعارات مرحلية، بل سنن ثابتة في طريق الهداية، لا تنفصل عن رسالة نبي من الأنبياء.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن الإسلام ليس قطيعة مع الماضي، بل هو الامتداد الأكمل لمنهج الأنبياء جميعًا. ومن وعى هذه الحقيقة أدرك أن طريق النجاة واحد عبر التاريخ، وأن الفلاح لم يكن يومًا إلا لمن زكّى نفسه، وذكر ربه، وأقام صلته به، وقدّم الآخرة على متاع الدنيا الزائل.

خلاصة تفسير سورة الأعلى

في مجال **العقيدة** ترسّخ السورة حقيقة العلو الإلهي المطلق، فالله هو الأعلى ذاتًا وقدرًا، الخالق لكل شيء، والمدبّر له بتقدير محكم، العالِم بالظاهر والخفي، الذي لا يخرج شيء عن علمه ولا عن حكمته.

وفي مجال **النفس** ترسم السورة طريق الفلاح بوضوح، وتبين أنه لا يتحقق إلا بالتزكية الصادقة، القائمة على ذكر الله، والمترجمة عمليًا في الصلاة، بوصفها صلة دائمة بالله ومظهرًا لاستقامة الباطن والظاهر.

أما في مجال **السلوك** فتقيم السورة ميزان الاختيار، وتكشف أن الإيثار الحقيقي ليس في تقديم متاع الدنيا الزائل، بل في تفضيل الآخرة لأنها خير في حقيقتها وأبقى في مآلها، وأن الخلل السلوكي يبدأ حين تنقلب الأولويات.

وفي مجال **التربية** تؤسس السورة لبناء النفس على الخشية من الله، لأن الخشية هي التي تجعل الذكرى نافعة، وتحوّل العلم إلى عمل، والهداية إلى استقامة، وتضبط علاقة الإنسان بربه وبمصيره.

وأما في مجال **الدعوة** فتقرر السورة قاعدة مطمئنة للداعية، وهي أن الذكرى إنما تنفع من يخشى، وأن وظيفة الداعية البلاغ والتذكير، لا التحكم في النتائج، فليبلّغ بثبات، ولا ييأس من قلة المستجيبين، لأن الهداية بيد الله وحده.

الربط مع السورة السابقة

إذا نظرنا إلى السياق البنائي بين السورتين، نجد أن سورة **الطارق** وسورة **الأعلى** تتكاملان في تشكيل رؤية متكاملة لمسار الإنسان:

الطارق تناول الإنسان ومصيره، وكشف كيد الكافرين، ودعا إلى التأمل في حقيقة الخلق والمصير، مركزًا على التحذير من الغفلة وعلى وعي النفس بمآلها أمام الله.

الأعلى تأتي كردّ طبيعي على هذا التأمل، لتقدم طريقة الاستجابة العملية: التسبيح لله الأعلى، واتباع طريق التزكية، وتثبيت النفس بالذكر والصلاة، مع توجيه البصر نحو ما هو خير وأبقى، أي الآخرة.

بهذا الربط، نرى البناء القرآني المتكامل: السورة الأولى تهيئ الوعي والاعتبار، والسورة الثانية توجه هذا الوعي نحو عمل صالح وممارسة روحية صحيحة. التأمل في الخلق والمصير في **الطارق** يجد تطبيقه العملي في **الأعلى** بالاستجابة للتوجيهات الإلهية وتحقيق الفلاح الأبدي.

للتأمل الذاتي

هل أسبّح الله الأعلى وأجعل التسبيح منهج حياتي، ليس مجرد كلمات، بل موقف وسلوك يُترجم في تصرفاتي اليومية؟

هل أزكّي نفسي بصدق، وأنقّيها من الهوى والشهوات، وأرتب أولوياتي وفق ما يرضي الله، مقدمًا الآخرة على متاع الدنيا الزائل؟

هل أبلغ الرسالة بكل أمانة كما أمر الله نبيه ﷺ، متجاوزًا المثبطين والمعارضين، وأثبت على الدعوة بثقة وعزم؟

هل أُوقن أن الدنيا زائلة، وأن السعادة الحقيقية والفلاح الدائم يكون بالاستعداد للآخرة، التي هي خير وأبقى من كل ما في الحياة الدنيا؟

خاتمة

سورة الأعلى تبني قلبًا مُسبّحًا، ونفسًا متزكّية، ولسانًا ذاكرًا، وأولويات متجهة إلى ما لا يزول. فهي لا تكتفي بالتذكير النظري، بل تجعل التسبيح والتزكية والذكر والصلاة منهج حياة متكامل، يوجه الإنسان نحو الحق والخلود الأبدي.

وإنك إن سبّحت ربك الأعلى وأحكمت قلبك وعملك على ذلك التسبيح، فقد سرت في طريق الأعلَيين، الطريق الذي يربط بين العلو الإلهي وعلو النفس البشرية، ويجعل من حياتك جسرًا بين الوعي بالخالق والاستعداد للآخرة.

سورة الغاشية

سورة الغاشية تصور بعين البيان والبلاغة أهوال يوم القيامة، وتضع الناس أمام تمييز دقيق بين السعادة الأبدية والشقاء الأبدي. كما تؤكد دور النبي صلى الله عليه وسلم، الذي يبلّغ الرسالة دون تدخل في نتائجها، تاركًا الحساب لله وحده، مصورًا لنا قانونية العدل الإلهي ودقة الجزاء.

الاســـــــــــــــــــــم والدلالـــــــــــــــــــــــة:

سميت "بالغاشية" [1] وتعني ما يغشى الناس بشدّته ويعمّهم، وهو إشارة إلى أهوال يوم القيامة، حيث تتسارع الأحداث على الكائنات جميعها، ويغمرهم المشهد المهيب الذي يطال العقل والقلب معًا، فلا ينجو أحد من تأثيره.

المقصـــــــــــــــــــد العـــــــــــــــــــام للســـــــــــــــــــورة:

تحفيز الإنسان على التفكر في مصيره، ومصير الناس بين النعيم والعذاب، وتأمل خلق الله وما فيه من آيات تدل على قدرته وحكمته. كما تؤكد أن وظيفة النبي ﷺ هي

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَالتَّفَاسِيرِ «سُورَةُ الْغَاشِيَةِ» . وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «جَامِعِهِ» لِوُقُوعِ لَفْظِ «الْغَاشِيَةِ» فِي أَولهَا. وَثبتت فِي السُّنَّةِ تَسْمِيَتُهَا «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» ،فِي «الْمُوَطَّأِ» أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ سَأَلَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ «بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ مَعَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ" محمد الطاهر ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق،ج30ص293.

التذكير والبلاغ، وأن المرجع النهائي لكل أمر هو الله وحده، فلا تحرك الرياح إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن حكمه وعدله.

تنتظم البنية الموضوعية لسورة الغاشية في وحدات متتابعة واضحة، تتدرج في العرض والهدف على النحو التالي:

في **الآيات 1–7** يُصوَّر مشهد الكافرين يوم الغاشية، حيث تتجلّى أهوال القيامة، ويظهر شقاء من أعرض عن الحق، وتبرز وجوههم الخاشعة النّاصبة، في توضيح صارخ لمصير الغافلين.

وفي **الآيات 8–16** تنتقل الصورة إلى المؤمنين، في مشهد النعيم والرضا، حيث وجوه خاشعة ناعمة، وحياة مملوءة بالراحة والسعادة، ليبرز التباين الحاسم بين مصير الفريقين.

ثم في **الآيات 17–20** تأتي دعوة للتفكر في خلق الله، والتمعن في مظاهر الكون، والآيات العظيمة التي تدل على قدرته وحكمته، لتصبح الطبيعة والكون ميدانًا للتدبر والاعتبار.

وأخيرًا، في **الآيات 21–26** يُختتم الخطاب بتقرير مهمة النبي ﷺ في البلاغ، وترك النتائج لله وحده، مع التأكيد على أن المرجع الأخير لكل أمر هو الله، وأنه وحده القادر على الحكم والفصل بين البشر، ليغلق المقطع بنظرة شاملة إلى العدالة الإلهية والمصير النهائي لكل إنسان.

(1–7): وجوه يومئذ خاشعة... ناصبة... تصلى نارًا حامية

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ ...﴾تفتتح السورة بوصف مهيب لمصير الكافرين يوم القيامة، حيث تُعرض وجوههم الخاشعة، ويمثلها التعب والإرهاق الناتج عن كيدهم في الحياة الدنيا، وأعمالهم الباطلة التي لم تبنَ على هدى الله. وتبرز الآيات حالة من الانكسار والضياع، فالوجوه العاملة الناصبة تدل على الشقاء، والحرارة المحيطة بهم رمز للعقاب الواضح الذي ينتظر من أعرض عن الحق.

الرسالة الاستراتيجية في هذا المقطع أن الجهد في الدنيا بلا هداية ولا التزام بشرع الله يؤدي إلى خسران واضح، وأن الإعراض عن الحق لا يقتصر أثره على الحياة الدنيا، بل يمتد إلى مصير أبدي في نار حامية، ليكون عبرة لكل من يستهين بالحق والالتزام بالهدى الإلهي.

(8–16): وجوه ناعمة... في جنة عالية

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾...﴾تنتقل السورة في هذا المقطع إلى وصف مشهد المؤمنين يوم القيامة، حيث تُعرض وجوههم الناعمة الراضية عن سعيها في الدنيا، تقديرًا لأعمالهم القائمة على الطاعة والهدى. ويصوّر المشهد حال النعيم الذي حظوا به: جنة عالية مملوءة بالراحة والرضا، خالية من اللغو والكدّ المرهق، حيث الطمأنينة والسكينة هي السائدة، ويشعر الإنسان فيها بخلود النعيم والرضا الإلهي الكامل.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن السعي الصالح في الدنيا لا يضيع، بل يُكافأ بالكرامة والرضا والسكينة، ويُثبت أن الطاعة لله واتباع الطريق المستقيم تحقق للإنسان أعلى درجات السعادة والخلود، بعكس ما كان عليه الكافر في المقطع السابق.

(17–20): تفكّر في خلق الله... تَبصُرًا لا عبثًا

يحوّل هذا المقطع التركيز إلى التأمل في مخلوقات الله، ودعوة الإنسان للتدبر بعين بصيرة لا عبثًا ولا نظرة سطحية. فتُستشهد الإبل بحكمتها في الخلق، والسماء في رفعها المنظّم، والجِبال في رسوخها، والأرض في توازنها، لتتجلى قدرة الله وعلمه وحكمته في كل شيء حولنا.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن فهم المصير لا يكون إلا بالنظر في صُنع العليم القدير، فمن تأمل خلق الله وتمعّن في آياته اقترب من إدراك حكمة التدبير الإلهي، وفهم السنن التي تحكم الكون والإنسان، مما يرسّخ الإدراك بأن لكل شيء غاية، وأن أعمال الإنسان ومساره مرتبطان بهذا النظام الإلهي الدقيق.

(21–26): التذكير وظيفة النبي... والمصير إلى الله

يختتم الخطاب في هذا المقطع بتوضيح وظيفة النبي ﷺ في البلاغ، مؤكّدًا أنه مجرد مذكّر، لا متصرّف في القلوب أو النتائج، فالواجب عليه هو التبليغ والأمانة، وترك تأثير الرسالة لله وحده، لأن الإقبال أو الإعراض من الناس بيد الله وإرادته.

ويذكّرنا المقطع بأن المصير النهائي لكل إنسان هو إلى الله، وأن الحساب العادل بيده، فلا يجوز للإنسان أن يتحمل ما لا يطيق من نتائج أعمال الآخرين.

الرسالة الاستراتيجية هنا أن الداعية أو الناصح لا يُسأل عن نتائج الإقبال أو الإعراض، بل عن البلاغ، وأن الرجوع والحساب لكل إنسان عند الله وحده، فتتحرر النفس من القلق، ويستقيم عملها على الصدق والأمانة دون توتر أو جزع.

خلاصة تفسير سورة الغاشية

في مجال **العقيدة** ترسّخ السورة حقيقة يوم القيامة، الذي سيغشى الناس جميعًا، فلا ينجو أحد من مشهده وأثره، ليكون تذكيرًا مستمرًا بعظمة الله وقدرته، وبحتمية الحساب.

أما في مجال **النفس** فتوضح السورة تباين البشر يوم القيامة: هناك فريق وجوههم خاشعة ناعمة، وآخر وجوههم خاشعة ناصبة، ليقف الإنسان على حقيقة ما يربو إليه أو يخسره بحسب أعماله في الدنيا.

وفي مجال **السلوك** تأتي الدعوة للتفكر في خلق الله ومخلوقاته، من الإبل والسماء والجبال والأرض، حيث يؤدي التدبر إلى الإدراك، والإدراك يقود إلى الإيمان والعمل الصالح، فتتضح الغايات وتحكم العقل والقلب في ضبط السلوك.

أما في مجال **الدعوة** فتوضح السورة أن وظيفة الداعية أو النبي ﷺ هي التذكير والبلاغ، لا السيطرة أو الإجبار، فالأمر مرهون بعناية الله وحده، ونجاح البلاغ بيده، فلا يحمل المبلغ أكثر من طاقته.

وأخيرًا في مجال **المصير**، تؤكد السورة أن المرجع النهائي هو الله وحده، وهو من يحاسب كل إنسان، فلا يغر الإنسان بقدرته أو سلطانه في الدنيا، فكل شيء سيرجع إلى عدله المطلق وحسابه الدقيق.

الربط مع السورة السابقة

إذا نظرنا إلى العلاقة بين السورتين، نرى تكاملًا واضحًا في العرض القرآني:

الأعلى ركّزت على **التسبيح لله الأعلى، والتزكية، وبلوغ الفلاح، وفضل الآخرة،** أي رسمت للإنسان طريق الصلاح، وأرست قواعد الاستقامة والربط بالآخرة.

الغاشية جاءت لتُظهر **مصير من سلك هذا الطريق ومن أعرض عنه يوم القيامة،** فصورّت ثمار التزكية ونتائج الإعراض، وأظهرت الفصل بين السعادة الأبدية والشقاء الأبدي.

بهذا، يصبح البناء القرآني متكاملًا: **الأعلى** تحدد الطريق، و**الغاشية** تعرض ثمرة هذا الطريق، فتكتمل رؤية الإنسان لمسار حياته من السعي والتزكية إلى الجزاء والمصير النهائي أمام الله.

للتأمل الذاتي

هل أنا مستعد ليوم الغاشية، اليوم الذي يغشى الناس جميعًا، وأقف فيه أمام حقيقتي ومصيري؟

هل سعيي في الدنيا سيُقبل ويثمر رضًا ونعيمًا، أم سيكون سعيًا ناصبًا متعبًا يؤدي إلى الخسارة والشقاء؟

هل أتفكر في خلق الله وأتدبر آياته لأتزكّى نفسي وأرتقي بعملي، أم أعيش غافلًا عن قدرته وحكمته؟

هل أؤدي واجب التذكير بالحق كما أمر الله نبيه ﷺ، بأمانة وصدق، دون خوف من المعارضة أو طمع في النتائج الدنيوية؟

خاتمة

سورة الغاشية تُرينا النتيجة النهائية لكل إنسان: فريق في النعيم، وفريق في الجحيم، والفرق بينهما واضح وحاسم، فهو قائم على التزكية أو الإعراض، على التفكر أو الغفلة، على الذكر أو اللهو.

فلنختَرْ لأنفسنا موقعها وسبل النجاة قبل أن يغشانا أمر الله، قبل أن نواجه الحقيقة الكبرى في يوم الغاشية، يوم لا رجعة فيه، ويُحكم فيه على الجميع بعدل الله وحكمته.

سورة الفجر

السورة التي تقسم بالله العظيم وبالفجر والليالي العشر، لتلفت نظر الإنسان إلى أهوال الطغيان وعاقبة الطغاة، وإلى نعيم النفس المطمئنة يوم الجزاء. فهي تصور الحقائق الكبرى في الكون والحياة والآخرة، وتوجّه الإنسان للتدبر في أحداث التاريخ والسنن الربانية، ثم تختتم بدعوة ربانية مباشرة.

الاسم والدلالة:

سُمّيت السورة بـ"الفجر"[1] لما يحمله الفجر من معنى الانفجار بالنور بعد الظلمة، فهو رمز للحق بعد الباطل، وللعدل بعد الطغيان، وللانفراج بعد شدّة الاختبار. فالسورة نفسها تدور حول مصير الجبابرة والمستكبرين، وتُظهر كيف ينكشف الحق في النهاية، ويشرق النور لمن اهتدى وازكى نفسه.

المقصد العام للسورة:

إثبات أن الطغيان والكبر سينتهي زوالًا محتمًا، وأن من يسلك سبيل التزكية والحق ينجو،

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة الفجر، لمفتتحها" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مرجع سابق،ج1ص518.

وأن النفس المطمئنة هي التي تستحق دخول جنة الله ورضاه، فهي خاتمة العمل الصالح والهدى الإلهي، ودليل على أن الانتصار الحقيقي للحق يكتمل في الآخرة.

تتضح البنية الموضوعية لسورة الفجر في تسلسل منطقي متدرج، يعكس مسار السورة من القسم والإنذار إلى الختام بالنجاة والموعظة:

الآيات 1–5: تبدأ السورة بالقسم بالفجر والليالي العشر، وهو افتتاح يلفت الانتباه ويهيئ القلب للتذكير والتحذير، مؤكدًا على أهمية الوقت والعهود الإلهية.

الآيات 6–14: تعرض مصارع الطغاة من الأمم السابقة، مثل عاد وثمود وفرعون، لتوضيح مصير من تعلّق بالاستكبار والظلم، وكشف أن العلو والجبروت البشري زائل أمام قدرة الله.

الآيات 15–20: تصف حال الإنسان عند النعمة والمنع، موضحة أن الغفلة عن الحق أو التعلّق بالدنيا يحرف الفكر والمنطق، ويكشف الميل نحو الاستكبار والظلم أو الخوف والضعف.

الآيات 21–26: تظهر غفلة كثير من الناس يوم القيامة، حين يكتشفون الحقيقة ويقفزون أمام الجزاء، لتكون تنبيهًا إلى وجوب الاستعداد والعمل قبل فوات الأوان.

الآيات 27–30: تختتم السورة بنداء رباني للنفس المطمئنة، داعيًا إياها للرجوع إلى الله، والدخول في عباده، والجنة، ليصبح هذا الختام تتويجًا للفلاح والنجاة لمن اهتدى وتزكى.

(1–5): قسم بالتحول والفجر والليالي المباركة

تفتتح السورة بأيمان عظيمة بالفجر والليالي العشر، متبوعة بالقسم بالشفع والوتر والليل إذا يسر، لتلفت نظر الإنسان إلى أهمية هذه الأوقات المباركة، وإلى السنن الإلهية التي تحكم الكون والحياة. فالقسم هنا ليس مجرد تنويه بالوقت، بل هو توقظ للقلوب، وتحفيز للتأمل في النظام الإلهي، وفي القدرة الربانية على التقدير والتحكم في المصائر.

الرســـــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

الأقسام بالزمن المبارك تهدف إلى تنبيه الإنسان، لتدرك القلوب أن وراء كل شيء سننًا لا تُخرق، وأن كل لحظة في هذا الكون تحمل درسًا وعبرة، ودعوة للوعي والاستعداد للحق والعدل الإلهي.

(6–14): أين هم الطغاة؟ هل بَقُوا؟

تستعرض السورة في هذا المقطع مصارع الأمم الطاغية: عاد وثمود وفرعون، لتوضح أن الطغيان والكفر والاستكبار في الدنيا لا ينجو منه أحد. فقد عصوا الله وكذبوا رسله، فكان جزاؤهم الهلاك المبين، وأصبحوا عبرة للأجيال.

الرســـــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

الطغاة مهما علا شأنهم في الدنيا، فإن الله لا يغفل عنهم أبدًا، وهو لهم بالمرصاد، يراقب أعمالهم ويهيئ الجزاء العادل. فالاستكبار والظلم طريق للهلاك، والرسول إلى الناس بالتحذير والتذكير، والله وحده الحسيب والمحاسب.

(15–20): منطق الإنسان الأعوج حين يُختبر

يُظهر هذا المقطع كيف يميل الإنسان إلى الانحراف في فهم الكرامة والقيمة حين يُختبر بالنعمة أو المنع. فالكثير يقيسون شرفهم ومقامهم بما يملكون من مال أو سلطة، ويظنون أن الكرامة في الرفاهية والدنيا، بينما الحق عند الله يختلف: الكرامة الحقيقية قائمة على **التقوى، والزكاة، والإحسان إلى اليتيم والمسكين.**

الرســـــــــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

المعيار الذي يضعه الإنسان لنفسه غالبًا خاطئ، ويقوده إلى المهالك والغفلة عن الحق. فالتزكية والسلوك القويم هما ميزان الله للكرامة، والاعتماد على المال والجاه فقط طريق للانحراف والهلاك.

(21–26): كشف الغفلة الكبرى يوم يُكشف الغطاء

تصف هذه الآيات المشهد العظيم ليوم القيامة، حين تُدك الأرض دكًّا شديدًا، وتظهر الحقائق للناس جميعًا، ويأتي ربك والملائكة صفًّا صفًّا. في هذه اللحظة يتبدد كل وهم، وتتكشف الغفلة الكبرى التي عاشها الإنسان، ويُدرك حجم ضلاله وخطئه، فلا ينفع الندم بعد ذلك.

الرسالة الاستراتيجية:

يوم القيامة تهتز كل القيم البشرية الزائفة، وتتكشف الحقيقة المطلقة، فيتعلم الإنسان أن الغفلة في الدنيا تؤدي إلى ضياع مستحق، وأن التراجع والتوبة لا يكونان إلا قبل فوات الأوان، فلا يغفل عن الحق والواجب قبل أن يحل وقت الحساب.

(27–30): نداء عظيم للنفس المطمئنة

تختتم السورة بنداء رباني مباشر للنفس المطمئنة، داعيًا إياها للرجوع إلى ربها وهي راضية ومرضيّة، ليدخلها في عباده ويضمن لها الجنة. هذا النداء يجسد أعلى درجات الفلاح والنجاة، ويبيّن أن النهاية السعيدة ليست لمن جمع مالًا أو امتلك قوة، بل لمن سكنت نفسه بالله، وأحسنت الظن بقدره، وعاشت في طمأنينة القلب ورضا الروح.

الرسالة الاستراتيجية:

النفس المطمئنة هي التي تزكي نفسها، وتستقيم على الحق، وتثق بحكمة الله وعدله، فتنال الكرامة الحقيقية والنعيم الأبدي، بينما من عكس هذا الطريق يظل في القلق والخسران.

خلاصة تفسير سورة الفجر

العقيدة: تُثبت السورة أن الله يرصد الطغيان، ويجازي الجزاء الأوفى، فلا يغفل عن المستكبرين ولا عن المظلومين، وأن الحكم النهائي بيده وحده.

النفس: توضح أن معيار الكرامة الحقيقي ليس المال أو المنصب، بل **الرضا بالله والتزكية**، فالقلب المستقيم هو من ينجو ويعلو مقامه عند الله.

السلوك: الإحسان إلى اليتيم والمسكين والعمل الصالح هما أسباب النجاة، وتطبيق الحق في الحياة اليومية يعكس التقوى والالتزام بمنهج الله.

التربية: السورة تبرز أن النفس المطمئنة، التي سكنت بالله وثقت به، هي الثمرة العليا للتقوى والارتقاء الروحي.

المصير: الفوز الحقيقي هو **العودة إلى الله راضية مرضية**، والدخول في عباده والجنة، وهو غاية كل مجتهد في تزكية النفس والعمل الصالح.

الربط مع ما قبلها

عند النظر إلى العلاقة بين السورتين نجد تتابعًا منطقيًا في العرض القرآني:

الغاشية ركّزت على **مشهد يوم القيامة**، وبيّنت المصير النهائي للناس، مع دعوة للتفكر في خلق الله، لتُظهر الفرق بين الفلاح والشقاء، وضرورة الالتزام بالطريق القويم.

الفجر جاءت لتوضح **سُنن التاريخ وعاقبة الطغاة**، وكيف يختبر الله الإنسان بالنعمة والمنع، موضحة أن نتيجة الاختبار تظهر في النهاية، وأن الفوز الحقيقي هو للنفس المطمئنة.

بهذا يُكمل البناء القرآني رؤيته: الغاشية تُبرز **المصير والجزاء النهائي**، والفجر تشرح **السنن التاريخية والاختبار الإلهي**، ليكون الإنسان على بينة من الطريق والطريق المستقيم الذي يقوده إلى النجاة والرضا الإلهي.

للتأمل الذاتي

هل أقيس الكرامة والرفعة بالمال والمكانة، أم بالإيمان والتقوى والتزكية؟

هل أنشغل بمتاع الدنيا وأغفل عن عبر مصارع الأمم السابقة، أم أتعلم منها لأستقيم؟

هل أسعى لأكون من أهل النفس المطمئنة، التي ترتاح بالله وتثق بحكمته، وتستحق الفوز والرضا الإلهي؟

هل أرى الفجر ينير حياتي بالحق والهداية، أم ما زلت غارقًا في ليل الغفلة والتمادي؟

خاتمة

سورة الفجر توقظ الإنسان من سباته وغفلته، وتعرض أمامه مشاهد التاريخ وعاقبة الطغاة، ومشاهد الجزاء يوم القيامة، لتكون عبرة وتنبيهًا دائمًا.

وتدل السورة على طريق الفوز الأبدي: أن يسلك الإنسان سبيل التزكية، ويطبع قلبه بالرضا بالله، فتستقر نفسه مطمئنة، ويعيش حياته على هدى الحق. وعندها يُنادى في النهاية بأعظم نداء:﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾. ليكون هذا الفوز حتميًا لمن استقام على الحق، واهتدى إلى الطريق المستقيم.

سورة البلد

الاسم والدلالة:

سُمّيت السورة بـ"البلد"[1] نسبةً إلى **مكة المكرمة، البلد الحرام، موطن الوحي والرسالة.** القسم بالبلد يعطي السورة ثقلًا رمزيًا وتاريخيًا، فالبلد ليس مجرد جغرافيا، بل **رمز للقيمة والرسالة،** فمنه بُعث النبي ﷺ، وإليه تتجه القلوب، وفيه نزل الفرقان ليكون مرشدًا للإنسانية.

المقصد العام للسورة:

توضيح أن **حياة الإنسان كلها كدّ واجتهاد**، وأن الفلاح الحقيقي مرتبط باقتحام العقبة،

[1] قال ابن عاشور:" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي تَرْجَمَتِهَا عَنْ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» : «سُورَةَ لَا أُقْسِمُ» وَسُمِّيَتْ فِي الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ «سُورَةَ الْبَلَدِ» . وَهُوَ إِمَّا عَلَى حِكَايَةِ اللَّفْظِ الْوَاقِعِ فِي أَولها، وَإِمَّا لِإِرَادَةِ الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ وَهُوَ مَكَّةُ." محمد الطاهر ابن عاشور، لتحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30ص345.

أي تجاوز النفس الأمارة بالسوء والعمل على تزكيتها، والانضمام إلى زمرة أصحاب اليمين، أولئك الذين اختاروا الطريق المستقيم وحققوا التوازن بين العبادة والعمل الصالح في حياتهم.

تتضح **البنية الموضوعية لسورة البلد** في تسلسل منطقي متدرج، يوضح مراحل البلاغ والتذكير والتربية:

الآيات 1–4: تبدأ السورة بالقسم بالبلد الحرام ومقام النبي ﷺ، مع ذكر خلق الإنسان في كبد، لتبيّن أن الحياة مجاهدة منذ البداية وأن الإنسان مخلوق لتحمل التحديات.

الآيات 5–7: تصف حالة بعض البشر الذين يظنون الغنى عن المحاسبة، متوهمين أن امتلاك المال أو النسب يكفي دون عمل صالح، لتكون هذه تنبيهًا مبكرًا للمسار الصحيح.

الآيات 8–10: تذكّر الإنسان بنعم الله عليه من الحواس والعقل، كأدوات للتمييز بين الخير والشر، وتحقيق الفلاح، فتكون أساسًا للاختيار الواعي.

الآيات 11–17: تحدد **العقبة التي ينبغي اقتحامها**، وهي العمل الصالح: الزكاة، الرحمة، والإخلاص في التواصي بالحق والصبر، لتوضّح الطريق العملي للفلاح.

الآيات 18–20: تختتم السورة بعرض **الجزاء النهائي**، موضحة مصير الناس: **أصحاب اليمين** فالفلاح والنعم، و**أصحاب الشمال** في الخسران والعذاب، ليكون تحفيزًا للعمل الصالح والنجاة من الخسران.

(1–4): قسم بالبلد والنبي والإنسان المبتلى

تفتتح السورة بالقسم بالبلد الحرام ومقام النبي ﷺ، مع ذكر خلق الإنسان في كبد، لتوضح أن **حياة الإنسان مجاهدة منذ لحظة الولادة**. فهي تذكير بأن الراحة الزائفة لا تدوم، وأن الحياة امتحان مستمر، حتى في أقدس بقعة على الأرض، فلا غرور ولا استكانة عن الطريق المستقيم.

الرسالة الاستراتيجية:

الحياة مليئة بالمجاهدة والابتلاء، ومن يعرف هذا يعي أن كل لحظة فرصة للعمل الصالح، وأن التحديات جزء من سنن الله التي لا تتغير.

(5–7): الإنسان يغتر بالمال ويظن أنه فوق المساءلة

توضح هذه الآيات كيف يميل بعض البشر إلى **الغرور بالمال والمكانة**، متوهمين أنهم فوق المساءلة وأن ثرواتهم تحميهم من الحساب والجزاء. فالبعض يظن أن كثرة المال تكفي لدرء العقاب أو لتجنب رقابة الله.

الرسالة الاستراتيجية:

من يظن أن إنفاقه أو ماله يغنيه عن الحق وفعل الخير فقد ضل الطريق، فالله يراه ويعلم نيته، ويحاسبه على ما أنفق، ولماذا أنفق، مؤكدةً أن **المال وحده لا يحقق الكرامة ولا النجاة.**

(8–10): هل فعّلت النعمة؟!

تذكّر هذه الآيات الإنسان بنعم الله عليه من **العينين، واللسان، والشفتين، والعقل**، وبيّن أن الله هداه إلى الطريقين، ليختار بين الخير والشر. فهي دعوة للتفكر في النعم التي منحها الله، وتحفيز لاستعمالها في الطاعة والعمل الصالح، بدل الغفلة والإهمال.

الرسالة الاستراتيجية:

النجاة لا تكون مجرد حجة أو عذر، فالإنسان زوّد بالحواس والعقل والقدرة على التمييز، فالسؤال: هل استعملتها لتقتحم العقبة وتحقق الفلاح، أم ضيّعتها في اللهو والغرور؟

(11–17): اقتحام العقبة = تزكية وعطاء وتواصٍ بالحق

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ ...﴾توضح هذه الآيات أن **العقبة التي ينبغي للإنسان اقتحامها ليست جبلية أو مادية**، بل هي **عقبة النفس الأمّارة بالسوء والغرور**. الطريق الحقيقي

للفلاح هو العمل الصالح: **عتق رقبة، إطعام جائع، التواصي بالصبر والرحمة**، أي تصحيح النفس وتزكيتها بالخير والعدل.

الرسالة الاستراتيجية:
الارتقاء الحقيقي للإنسان لا يكون بالجاه أو المال، بل باقتحام العقبة الأخلاقية، أي العمل على تنقية النفس، وخدمة الآخرين، والتمسك بالحق والرحمة في كل فعل وسلوك.

(18–20): النهاية... إما يمين وإما شِمال

تختتم السورة بتوضيح **الجزاء النهائي للإنسان:** فمن اقتحم العقبة واجتهد في تزكية نفسه وفعل الخير، صار من **أصحاب الميمنة** ينال الفلاح والرضا الإلهي، أما من أنكر آيات الله وانشغل بالمال والجاه والتفاخر، فمصيره **أصحاب الشمال** في نار موصدة لا انفكاك منها.

الرسالة الاستراتيجية:
الاختيار بين الحق والباطل واضح، والفلاح مرتبط بالاجتهاد والعمل الصالح، أما الغفلة والكفر بالآيات فلا مهرب منه، فكل إنسان يزرع ما يحصد.

خلاصة تفسير سورة البلد

العقيدة: تُظهر السورة أن الله يراك ويرصد سعيك، وأنه لا يغفل عن أعمالك، مهما ظنّ الإنسان أنه فوق المحاسبة.

النفس: كل نفس مخلوقة في كبد، أي أن **الحياة مجاهدة وامتحان مستمر**، فلا غرور ولا استكانة.

السلوك: اقتحام العقبة يعني **التضحية من أجل الخير والعمل الصالح:** عتق رقبة، إطعام جائع، التواصي بالصبر والرحمة، والعمل بما أمر الله.

التربية: ترسيخ قيم **الرحمة**، **والصدق**، **والصبر** في النفس، لتكون أساسًا للفلاح والارتقاء الروحي.

المصير: الإنسان إما أن يكون من **أصحاب الميمنة** الفائزين، أو من **أصحاب المشأمة** الخاسرين، وهو الاختيار الذي يظهر نتيجة الاجتهاد في الحياة.

الربط مع ما قبلها

عند النظر إلى تسلسل السور نجد تدرجًا منطقيًا في عرض الرسائل القرآنية:

الفجر ركّزت على **نتائج الاختبار الإلهي والمصير النهائي للطغاة وأهل النفوس المطمئنة**، موضحة جزاء كل فئة يوم القيامة.

البلد جاءت لتوضح **المقدمات العملية في الدنيا**: كيف يواجه الإنسان تحديات الحياة، ويقتحم العقبة الأخلاقية والروحية للوصول إلى الطمأنينة والنجاة.

بهذا، يُكمل البناء القرآني رؤيته: الفجر تُبرز **النتيجة والجزاء النهائي**، والبلد تُظهر **السبل اليومية والاجتهاد العملي اللازم** للوصول إلى ذلك المصير، ليكون الإنسان واعيًا لطريق الفلاح منذ البداية.

للتأمل الذاتي

هل أُدرك أن **الحياة مجاهدة ومسؤولية**، وأنها ليست مجرد رفاه وراحة زائفة؟

هل أستعمل **نعمة العين واللسان والعقل** لاستثمارها في الخير و**اقتحام العقبة**، أم أضيعها في اللهو والغرور؟

هل أتصرف وأفكر بما يضعني ضمن **أصحاب اليمين** في السلوك والعمل، أم أتباطأ وأغفل عن الحق؟

هل أستشعر أن **الله يراقب كل ما أنفقته أو أهلكته من مال**، وأن النية والعمل هما معيار الجزاء الحقيقي؟

خاتمة

سورة البلد تضع الإنسان أمام **مسؤوليته الوجودية:** أن يختار الطريق الصالح ويقتحم العقبة، وهي ليست عقبة جبلية، بل **عقبة النفس الأمّارة بالأنانية، والكبر، والكسل.**

تختصر السورة طريق الفلاح في ثلاث كلمات: **صبر، رحمة، عمل**، فكل اختيار يعكس مصير الإنسان: **يمينٌ للفائزين، وشِمالٌ للخاسرين.**

فالقرار أمامك واضح: هل تسلك طريق الحق لتنال رضى الله، أم تغفل عن المسؤولية فتضل عن السبيل؟

سورة الشمس

السورة التي تبدأ **بقسم مشرق ومهيب**، لتضع الإنسان أمام صراع مركزي: **تزكية النفس أو دسّها.** فهي تُظهر أن النجاح والفلاح مرتبطان بنقاء النفس، والخسران مرتبط بالانحراف عنها، مع ضرب مثال **قوم ثمود** كتحذير لمن خاب في هذا الصراع.

الاســــــــــــــــم والدلالــــــــــــــــة:

سُمّيت السورة بـ"الشمس"[1] لأنها **أعظم مظهر للضياء في الكون المادي**، ويُقسَم بها أولًا لتدل على الوضوح والنور والهداية﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ ...﴾. لكن القسم لا يقتصر على الشمس وحدها، بل يشمل **النفس البشرية** أيضًا، ليُبرز أن ضياء النفس وأثرها في حياة الإنسان **لا يقل أهمية عن ضياء الكون.**

[1] قال جعفر شرف الدين:" وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١)"جعفر شرف الدين ،**الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، مرجع سابق،ج11ص281.

المقصـــــــــــــــــــد العـــــــــــــــــــام للســـــــــــــــــــورة:
توضيح أن **سعادة الإنسان وخسرانه مرهونان بتعامله مع نفسه:** فمن زكّاها واهتدى نجح وفاز، ومن دسّها وخالف الحق خاب وخسر، مع بيان مصير من كذّب وعصى، كما حدث مع **قوم ثمود،** ليكون عبرة تحث على الالتزام بالهدى وتزكية النفس.

البنية الموضوعية لسورة الشمس

الآيات 1–10: تبدأ السورة ب**قسم عظيم بالمخلوقات والنفس،** لتوضيح قضية محورية: **تزكية النفس ونجاحها أو دسّها وخسرانها،** مع بيان أثر كل اختيار على مصير الإنسان.

الآيات 11–15: تعرض **قصة قوم ثمود،** الذين كذّبوا ورسولهم وعصوا أمر الله، فحل بهم الهلاك، لتكون **عبرة واضحة لمن يخالف الحق ويخرب نفسه،** مؤكدًا أن الخسران نتيجة حتمية للمعصية والإعراض عن تزكية النفس.

(1–10): القسم الأعظم على فلاح النفس أو خُسرانها

تفتتح السورة **بقسم متنوع بالمخلوقات والفجر والليل والسماء والأرض،** ثم تنتقل إلى **النفس البشرية** لتوضّح المعركة الحقيقية لكل إنسان: مع نفسه بين **تزكيتها أو دسّها.** فالقسم يربط **نور الكون وضوئه بنور النفس،** ليجعل قضية تزكية النفس مركزية في حياة الإنسان.

الرســـــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــتراتيجية:
كل الكون يشهد أن **المعركة الحقيقية للإنسان هي مع نفسه:** من زكّاها فاز ونجا، ومن دسّها خاب وخسر، والفارق كله في **الاختيار والإرادة.**

(11–15): قصة ثمود كنموذج لمن خاب ودسّى نفسه

تروي هذه الآيات **قصة قوم ثمود** الذين طغوا وكذبوا رسولهم، واستباحوا الحق بعد أن أُرسل إليهم **ناقة الله** كآية ووسيلة اختبار. فعقروا الناقة وأصرّوا على العصيان، فجاءهم **عقاب الله المبين**، وسوِّي بهم، ليكون عبرة لكل من دسّ نفسه وأعرض عن الحق.

الرسـالة الاستراتيجية:

القصة تؤكد أن **الطغيان والكفر والاعتداء على الحق لا ينجو من العقاب**، وأن **الفلاح والنجاة محصوران بمن زكّى نفسه واهتدى بالهدى الإلهي.**

خلاصة تفسير سورة الشمس

السورة تبدأ بقسم عظيم بالمخلوقات والكون، لتوضح أن قضية الإنسان الأساسية هي مع نفسه، وأن الفلاح أو الخيبة متوقفة على اختياره بين تزكية النفس أو دسّها. كل إنسان أُلهم فجورًا وتقوى، والقرار النهائي بيده، فهو المسؤول عن نفسه وأفعاله.

في مسار السورة، تُعرض قصة قوم ثمود كنموذج صارخ لمن خاب في هذه المعركة الداخلية، فقد طغوا وكذبوا رسولهم، وعرضوا الحق للاستهانة، فحل بهم العقاب من ربهم، وذهب بهم الهلاك، لتكون عبرة لكل من يغفل عن تزكية نفسه ويستسلم للباطل والطغيان.

السورة تؤكد أن الأنبياء يُرسلون للإنذار والتوجيه، والطغاة يكذبون، والمصير محتوم وواضح. الفلاح الحقيقي والنصر النهائي حليف من زكّى نفسه واهتدى بالحق، أما الخيبة والهلاك فتنتظر من دسّ نفسه وأعرض عن الهداية.

الربط مع ما قبلها

في تسلسل السور يظهر تدرجٌ حكيم: **البلد** ركّزت على **العمل العملي اليومي** لاختبار النفس، وكيفية **اقتحام العقبة** بالجهد والصبر والعطاء، لتصبح النفس مؤهلة للفلاح.

الشمس جاءت لتوضّح أن **غاية هذا الجهد والعمل هي تزكية النفس**، فهي المفتاح الحقيقي للفلاح والنجاة، وأن من دسّ نفسه خاب وخسر.

بهذا الربط، يُكمل البناء القرآني رؤية شاملة: العمل الصالح في الدنيا ضروري، ولكنه يكتمل ويثمر فقط عندما يكون موجّهًا نحو **تزكية النفس ونقاء القلب.**

للتأمل الذاتي

هل أعي أن **نفسي أُلهمت فجورًا وتقوى**، وأن الاختيار بينهما مسؤولية شخصية وحاسمة؟

ما موقعي اليوم بين **من زكّى نفسه ونجا**، ومن **دسّها وخاب؟**

هل أعمل على **تزكية نفسي بالصبر والصدق والعمل الصالح**، أم أتركها تتبع الهوى والباطل؟

هل أتفكر في أثر كل قرار وفعل، لأكون من الفائزين الذين حققوا الانتصار الداخلي والنجاة الحقيقية؟

خاتمة

سورة الشمس تدعوك لتقسم على نفسك وتعي أن **نجاحك الحقيقي ليس فيما حولك، بل فيما بداخلك**. النفس أمانة عظيمة، فلا تتركها للفساد والدسّ، بل ازرع فيها نور التقوى والصدق والعمل الصالح، لتشرق **شمسها يوم القيامة**، حاملة لك الفلاح والرضا الإلهي.

سورة الليل

الاسم والدلالة:سميت "باللَّيل"[1] رمز للسكون والستر والامتحان، ودخوله في القسم القرآني يشير إلى أن الظاهر لا يعكس بالضرورة الحقيقة الكامنة، وأن كل طريق من طرق البشر يبدأ في ظلمة ويُنار بالإيمان أو يُغرق في الغواية.

[1] قال الهرري:" سميت بسورة فاطر أو بسورة الملائكة لذكرهما فيها." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج23ص335.

المقصد العام للسورة:

بيان أن الناس يسلكون طريقين متضادين متقابلين، وأن الله سبحانه وتعالى ييسر لكل عبد ما خُلق له بحسب نيته وعمله، فإما طريق يسرى وراحة، أو طريق عسرى وعقاب، مؤكدًا بذلك أن الاختيار الإيماني والصدق في العمل هما المحددان الرئيسيان لمصير الإنسان.

البنية الموضوعية لسورة الليل تتجلّى في أربعة محاور رئيسية:

الآيات من 1 إلى 3 تقسم بالليل والنهار وتُشير إلى الخلق الذكري والأنثوي، مستحضرة بذلك قدرة الله وعظمته في التوازن الإنساني والكوني.

الآيات من 4 إلى 10 تُبيّن انقسام الناس إلى طريقين متقابلين، طريق يرضي الله بالصدق والتقوى وطريق يضل عن الحق بالبخل والكفر، مما يوضح الثنائيات الأخلاقية والروحية في حياة الإنسان.

الآيات من 11 إلى 13 تحمل الوعيد الشديد لمن كذّب واستغنى عن الحق، مؤكدة أن الغنى والبخل مع الكفر لا يغنيان عن حساب الله، وأن المكابرة عن الحق لها جزاؤها.

الآيات من 14 إلى 21 توضّح اليسر للمؤمنين المتقين، مع تقديم أعلى الأمثلة على ذلك، كالذي يتصدق لوجه الله، لتُظهر أن العمل الصالح والنية الخالصة هما طريق السعادة والراحة في الدنيا والآخرة.

الآيات من 1 إلى 3: القسم بالمتضادات الكونية والبيولوجية:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الثنائيات الكونية – الليل والنهار، والبيولوجية – الذكر والأنثى – تعمل كتمهيد نفسي وفكري للإنسان قبل مواجهة أعظم اختبار في حياته: اختيار الطريق بين الخير والشر، بين الصدق والتقوى أو البخل والكفر.

الآيــــات مــــن 4 إلــــى 10: انقســـام مصـــيري – اليُســـرى والعُســـرى:
﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

ثلاث صفات تفتح للإنسان طريق "اليسر": العطاء، والتقوى، والتصديق بالحسنى – أي الإيمان بالجنة والوعود الإلهية.

ومن فقد هذه الصفات، يُهيَّأ له طريق "العسر" تلقائيًا، دون أن يشعر، مما يبرز أن الاختيار الحقيقي يرتبط بالقلب والسلوك وليس بالظواهر الخارجية وحدها.

الآيــــات مــــن 11 إلــــى 13: التحــــذير مــــن التكــــذيب والطغيــــان المــــالي:
﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

المال بمفرده لا يغني عن الهلاك إذا لم يُزكَّ به القلب ويُصرف في طاعة الله. الهداية بيد الله، لكنه بيَّن الطريق والسبيل، فتبقى مسؤولية الإنسان واضحة: القرار قرارك، والاختيار اختيارك، والنتيجة متوقفة على نية القلب وسلوك الجوارح.

الآيــــات مــــن 14 إلــــى 21: الختــــام بمَثَــــل العبــــد المتصــــدق مخلصًــــا لله:
﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

القمّة في التزكية تكمن في أن يُعطي الإنسان ماله خالصًا لوجه الله، لا لرد الجميل أو المنفعة الدنيوية. عندها يصل القلب إلى الرضا الكامل، وتتحقق له الحسنى، وييسر الله له طريقها، فيصبح عمله سببًا للنجاة والسكينة، مؤكدًا أن الصدق في النية والعمل هو مفتاح اليُسر والنجاح الروحي.

خلاصة تفسير سورة الليل – الرسائل الاستراتيجية:

العقيدة: الله سبحانه يقسم أن الناس متباينون في طرقهم ونياتهم، وأن الهداية بيده وحده.

النفس: كل نفس تُيسر وفق ما اختارته من سلوك وصدق نية، فالقلب يحدد المصير كما يوجه العمل.

السلوك: طريق اليسر يُبنى على ثلاثة أركان: العطاء، والتقوى، والتصديق بالحسنى، بينما من فقد هذه الصفات يُهيأ له طريق العسر دون أن يشعر.

التربية: التربية الإيمانية تهذب النفس والمال، فتوجههما نحو الصدق والتزكية، وتبعدهما عن البخل والغرور.

المصير: الإنسان أمام طريقين متقابلين: العسرى والنار لمن كذّب واستغنى، واليسر والرضا لمن صدّق واتقى وأخلص لله في عمله.

الربط مع ما قبلها:

في السورة السابقة، سورة الشمس، يُوضَّح الأساس: تزكية النفس سبيل الفلاح، وتركها وانحرافها سبيل الخسران.

سورة الليل تأتي كامتداد عملي لذلك الأساس، فهي تُبيّن سلوك النفس في طريقين متقابلين، وتُظهر أن النهاية تعتمد على اختيار الإنسان وإرادته في العمل.

بهذا الشكل، الشمس تمثل **الأساس الداخلي للنفس،** والليل يمثل **الامتداد العملي للسعي والسلوك،** في تكامل قرآني يُظهر العلاقة بين النية والقصد والعمل والنتيجة.

للتأمل الذاتي:

هل أسعى في طريقي بصدق ووعي؟ وأي طريق اخترت: طريق اليسر بالصدق والتقوى، أم طريق العسر بالبخل والتكذيب؟

هل أعطي مالي ونفسي ابتغاء وجه الله وتقرّبًا إليه، أم لمكسب شخصي أو مدح من الناس؟

هل أصدّق بالحسنى، مؤمنًا بالوعود الإلهية ومتوَقّعًا رضا الله في كل عملي؟

ما الذي ييسّره الله لي اليوم من فرص وخيرات؟ وهل أنا راضٍ عن ذلك، أم أغفل عن نعمته وهدايته؟

خاتمة:

سورة الليل تُجسّد واقع الإنسان بوضوح: لا حياد في السير، فكلنا يُيَسَّر لطريق محدد بحسب نيّة القلب وسلوك الجوارح. والاختيار لك، والله يسيرك على هذا الأساس. فهل تختار طريق "العُسرى" أم طريق "اليُسرى"؟. ابدأ بالعطاء، طهّر قلبك ومالك، وصدّق بالحسنى، ولَسوف تبلغ الرضا والسكينة التي وعدك الله بها.

سورة الضحى

الاسم والدلالة:

الضحى هو وقت النور الممتد بعد انقضاء ظلمة الليل، لحظة الانبعاث بعد السكون، ورمز الرجاء بعد الغياب. ويقابله الليل إذا سجى، حين يسكن كل شيء وتبدو الوحشة ثقيلة. اجتماع هذين الزمنين في مطلع السورة يشير إلى سنّة التحول: انقباض يعقبه انشراح، وغياب يتبعه حضور، وهمّ يفضي إلى طمأنينة.

التسمية بذلك[1] تعكس مسار السورة كله: انتقال من شعور الفقد إلى اليقين، ومن القلق إلى الأمان، ومن السؤال المؤلم إلى الجواب المطمئن.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الضحى تسمية لها باسم فاتحتها، حيث أقسم الله بالضحى: وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، تنويها بهذا الوقت المهم الذي هو نور، ولأنها نزلت في شأن النبي صلّى الله عليه وسلّم، فافتتحت بالضحى. ولما

المقصـــــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:

تثبيت النبي ﷺ في لحظة إنسانية دقيقة، وإظهار عناية الله به في كل مراحله، وطمأنته بأن المستقبل الموعود خير وأكرم، ثم توجيهه إلى أن تكون ترجمة هذه النعمة سلوكًا رحيمًا مع اليتيم، ورحمة بالسائل، وحديثًا بالنعم لا فخرًا بل شكرًا، ليغدو الإحسان منهج حياة، لا مجرد شعور عابر.

البنية الموضوعية لسورة الضحى تتوزع في مسار متكامل واضح المعالم:

في الآيات من 1 إلى 3 يَرِدُ القسم الإلهي بالضحى وبالليل إذا سجى، ليفنّد مباشرة دعوى ترك الوحي، ويقطع وهم الهجر، مؤكدًا أن ما يبدو سكونًا أو انقطاعًا ليس تخليًا ولا إهمالًا.

وفي الآيات من 4 إلى 5 يتجه الخطاب إلى المستقبل، ليعلن أن القادم للنبي ﷺ خير من الماضي، وأن العطاء الإلهي ماضٍ حتى يبلغ الرضا، في بعث صريح للأمل وترسيخ لليقين.

ثم تستعرض الآيات من 6 إلى 8 النعم الماضية، فتذكّر بالرعاية الإلهية منذ لحظات الضعف الأولى: الإيواء بعد اليتم، والهداية بعد الحيرة، والإغناء بعد الحاجة، في بناء وعيٍ ممتد بالمنّة الإلهية عبر الزمن.

وتُختَتم السورة في الآيات من 9 إلى 11 بالأوامر السلوكية العملية شكرًا لتلك النعم، حيث يتحول الامتنان من شعور قلبي إلى سلوك رحيم: فلا قهر ليتيم، ولا نهر لسائل، وحديث بالنعم على سبيل الشكر لا التفاخر، ليكتمل البناء بين العقيدة والواقع، وبين النعمة والمسؤولية.

كانت سورة الليل نازلة في بخيل، افتتحت بالليل." وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص279.

الآيات من 1 إلى 3: القسم وتأكيد العناية الإلهية:
﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾

الرسالة الاستراتيجية:
مهما طال ليل الابتلاء وسكن الوحي ظاهريًا، فإن الضحى آتٍ لا محالة. فالعناية الإلهية ثابتة لا تنقطع، والرب سبحانه لا يترك من اصطفاه، ولا يخذل من أرسله بالحق، وإنما يُربّي عبده بالانتظار كما يُكرمه بالعطاء.

الآيات من 4 إلى 5: وعد بالمستقبل الأفضل:
﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾

الرسالة الاستراتيجية:
الأفق الإلهي أوسع مما يتصوره العقل البشري، والعطاء الرباني أعظم مما ينتظره القلب. فالثقة بالله تقود حتمًا إلى الرضا الكامل، إذ إن المستقبل الذي يختاره الله لعبده خير من أي ماضٍ يتشبث به، وعطاؤه لا يقف عند حدّ الحاجة بل يبلغ حدّ الإرضاء والسكينة.

الآيات من 6 إلى 8: تذكير بالنِّعم الماضية:
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾

الرسالة الاستراتيجية:
الذي تولّى رعايتك في لحظة الضعف الأولى لن يتركك في لحظة القوة والمسؤولية، والذي هداك حين لم تكن تعرف الطريق لن يضيعك عند اشتداد البلاء، والذي أغناك بعد فقر لن يُقحِمك في وهن أو خذلان. فاستحضار النعم الماضية هو مفتاح الثبات والثقة عند تقلب الأحوال.

الآيات من 9 إلى 11: أوامر بالإحسان مقابل العطاء:
﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

الرسالة الاستراتيجية:

من ذاق مرارة الضعف ثم رُفع باللطف الإلهي، يكون أولى الناس بالرحمة واللين. فالنعمة لا تُقابَل بالكِبر ولا بالجفاء، وإنما تُقابَل بالحمد العملي، بالحنو على الضعفاء، وبالحديث عن فضل الله حديث شكر واعتراف، لا تفاخر واستعلاء.

خلاصة تفسير سورة الضحى – الرسائل الاستراتيجية:

العقيدة: الله سبحانه لا يترك أولياءه، ولا يبغض من اصطفاهم، وعنايته بعباده الصالحين ثابتة لا تنقطع بتغير الأحوال.

النفس: السورة تنقل النفس من القلق إلى الطمأنينة، ومن الظن المؤلم إلى اليقين، وتزرع الرجاء بعد فترات الفتور والانقطاع.

السلوك: شكر النعم لا يكتمل بالاعتراف القلبي وحده، بل يتحقق بالعطاء، والتواضع، والرحمة بالضعفاء، وحسن معاملة المحتاجين.

التربية: التربية النبوية تبني وعيًا متزنًا بالماضي، يستحضر النعم السابقة ليقوّي الثقة بالحاضر، ويُحسن الاستعداد للمستقبل.

المصير: رضا الله غاية قريبة لمن أحسن السلوك، وسلك طريق الشكر والوفاء، فكان إحسانه ترجمة صادقة لعطايا ربه.

الربط مع ما قبلها:

في سورة الليل يُوضَع الإنسان أمام حقيقة السير في الحياة: طريقان متقابلان، وسعي متباين، وتيسير إلهي لمن أحسن العطاء واتقى وصدّق بالحسنى. هناك يُطالَب الإنسان بالاختيار والعمل، ويُبيَّن أن السعي هو مفتاح المصير.

ثم تأتي سورة الضحى لتخاطب القلب وهو في منتصف الطريق، فتطمئن العامل في سبيل الله أن ربّه لا يتركه، وأن فترات السكون أو الابتلاء ليست هجرًا ولا خذلانًا، بل جزء من التربية والعناية الإلهية.

للتأمل الذاتي:

هل مررت بلحظة شعرت فيها أن الله قد ودّعك؟ قف عند قوله تعالى: *ما ودّعك ربك وما قلى*، ودعها تعيد الطمأنينة إلى قلبك.

هل تنتظر الأفضل في مستقبلك؟ فتذكّر الوعد الصادق: *وللآخرة خير لك من الأولى*، فالقادم مع الله أوسع وأكرم.

هل غفلت عن نعم الله القديمة في حياتك؟ استحضرها واحدةً واحدة، وتأمل في قوله: *ألم يجدك... فآوى*، لتستيقظ فيك ذاكرة الإحسان الإلهي.

هل تقابل نعمة العلم والمال بشكر عملي، وبذل ورحمة، أم بكِبر وصمت يغلق أبواب الزيادة والبركة؟

سورة الشرح

الاسم والدلالة:

سميت سورة "الشرح"[1] يعني انفساح الصدر وانجلاء الهم، وهو مفتاح للفهم والقبول والتحمل، ومصدر القوة النفسية والروحية اللازمة لكل تكليف. فشرح الصدر يمنح القدرة على تحمل المسؤولية، وتجاوز الضيق، والارتقاء بالهمم نحو العمل الصالح.

المقصد العام للسورة:

تثبيت قلب النبي ﷺ بعد الطمأنينة التي مُنِحها في سورة الضحى، وبيان أن ما أوتيه

---

[1] قال لزحيلي:" سميت سورة الشرح أو الانشراح أو {أَلَمْ نَشْرَحْ} لافتتاحها بالخبر عن شرح صدر النبي صلّى الله عليه وسلّم أي تنويره بالهدى والإيمان والحكمة، وجعله فسيحا رحيبا واسعا، كقوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ} [الأنعام ١٢٥/ ٦]" وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص291.

من شرح صدر، ورفع ذكر، وتيسير للأمور، هو تمكين إلهي يستلزم منه مواصلة الجهاد، وعدم الركون إلى الظواهر، والربط الدائم بالله في كل لحظة من حياته، ليكون النموذج الكامل للعامل في سبيل الله.

البنية الموضوعية لسورة الشرح تتوزع في ثلاثة محاور رئيسية:

في الآيات من 1 إلى 3 تُذكر النعم الثلاث الكبرى: **شرح الصدر، ورفع الذكر، وتيسير العسر**، لتوضيح أن الله يهيئ قلب من يحمل الرسالة للثبات والصبر على الأعباء والمسؤوليات.

وفي الآيات من 4 إلى 6 يُؤكَّد على سنة **اليسر بعد العسر**، مشيرًا إلى أن كل محنة يواجهها الإنسان يقابلها تسهيل إلهي، وأن الصعوبات ليست نهاية الطريق بل مرحلة لإظهار العناية الإلهية والتمكين.

ثم في الآيات من 7 إلى 8 يأتي التوجيه العملي للنفس: **اشغل نفسك بالعمل، وارتبط بالله، وواصل السعي**، لتتحقق القدرة على حمل الرسالة، معربًا عن العلاقة العضوية بين التزكية الداخلية والاستعداد العملي لمواجهة الصعاب.

الآيات من 1 إلى 3: الامتنان بالنعم الكبرى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الرسالة الحقيقية تبدأ من الداخل، فشرح الصدر وإزاحة الأثقال النفسية والروحية شرط أساسي لتحمل أعباء التبليغ والرحمة والقيادة. بدون هذه المنح الإلهية، لا يمكن الاستمرار في حمل مسؤولية الدعوة أو مواجهة التحديات بثبات ويقين.

الآية 4: نعمة رفع الذكر: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الذكر الإلهي يرافق من رفعه الله، فرفع الذكر يعني ارتفاع القيمة والمكانة والقدوة والتأثير بين الناس. ومع هذه الرفعة تأتي المسؤولية الكبرى: أن يزداد الإنسان تواضعًا وبذلاً، فلا يكون للسمعة والمكانة إلا أثر في الخير، وأن يتحول التأثير إلى هداية وعطاء، لا كبرياء أو استعلاء.

الآيـــــــات 5–6: قـــــــانون "العســـــــــر مـــــــــع اليســـــــــر":

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ۝٦﴾

الرســــــــــــــــــالة الاســــــــــــــــــتراتيجية:

لا يأتِ العسر إلا ومعه يسُر، فاليسر مضمّن في قلب المحنة، وهو وعد إلهي لا يخلف[1]. تكرار الآية يؤكد أن اليسر مضاعف، وأن العسر ليس دائمًا، بل مرحلة مؤقتة تمهّد لفرجٍ أوسع وفرصةٍ أكبر للراحة والنجاح الروحي والعملي.

الآيـــــــات 7–8: التوجيـــــــــه للجـــــــــدّ والتفـــــــــرغ لله:

﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨﴾

---

[1] قال القرطبي:" إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِلًّا مُخِفًّا، فَعَيَّرَهُ الْمُشْرِكُونَ بِفَقْرِهِ، حَتَّى قَالُوا لَهُ: نَجْمَعُ لَكَ مَالًا، فَاغْتَمَّ وَظَنَّ أَنَّهُمْ كَذَّبُوهُ لِفَقْرِهِ، فَعَزَّاهُ اللَّهُ، وَعَدَّدَ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، وَوَعَدَهُ الْغِنَى بِقَوْلِهِ: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً أَيْ لَا يَحْزُنْكَ مَا عَيَّرُوكَ بِهِ مِنَ الْفَقْرِ، فَإِنَّ مَعَ ذَلِكَ الْعُسْرِ يُسْرًا عَاجِلًا، أَيْ فِي الدُّنْيَا. فَأَنْجَزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ، فَلَمْ يَمُتْ حَتَّى فَتَحَ عَلَيْهِ الْحِجَازَ وَالْيَمَنَ، وَوَسَّعَ ذَاتَ يَدِهِ، حَتَّى كَانَ يُعْطِي الرَّجُلَ الْمِائَتَيْنِ مِنَ الْإِبِلِ، وَيَهَبُ الْهِبَاتَ السَّنِيَّةَ، وَيُعِدُّ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ. فَهَذَا الْفَضْلُ كُلُّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَإِنْ كَانَ خَاصًّا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ يَدْخُلُ فِيهِ بَعْضُ أُمَّتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ ابْتَدَأَ فَضْلًا آخرًا مِنَ الْآخِرَةِ وَفِيهِ تَأْسِيَةٌ وَتَعْزِيَةٌ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ مُبْتَدِئًا: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً فهو شي آخَرُ. وَالدَّلِيلُ عَلَى ابْتِدَائِهِ، تَعَرِّيهِ مِنْ فَاءٍ أَوْ وَاوٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ حُرُوفِ النَّسَقِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْعَطْفِ. فَهَذَا وَعْدٌ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُ، أَيْ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ فِي الدُّنْيَا لِلْمُؤْمِنِينَ يُسْرًا فِي الْآخِرَةِ لَا مَحَالَةَ. وَرُبَّمَا اجْتَمَعَ يُسْرُ الدُّنْيَا وَيُسْرُ الْآخِرَةِ. وَالَّذِي فِي الْخَبَرِ: [لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ [يَعْنِي الْعُسْرَ الْوَاحِدَ لَنْ يَغْلِبَهُمَا، وَإِنَّمَا يَغْلِبُ أَحَدَهُمَا إِنْ غَلَبَ، وَهُوَ يُسْرُ الدُّنْيَا، فَأَمَّا يُسْرُ الْآخِرَةِ فَكَائِنٌ لَا محالة، ولن يغلبه شي." أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع ابق، ج20ص108.

الرسالة الاستراتيجية:

الفراغ من عمل لا يعني الركون أو الاسترخاء، بل هو فرصة للاستعداد لجولة جديدة من السعي والعطاء. والانصراف إلى الله بعد الانتهاء من العمل يحقّق توازن النفس بين الجهد البدني والروحي، ويؤكد أن الداعية أو من يحمل رسالة الحق لا يتوقف، ولا يركن، ولا ينشغل عن الله بالنجاح، بل يواصل السعي مستمدًا القوة والرضا من الرب سبحانه.

خلاصة تفسير سورة الشرح – الرسائل الاستراتيجية:

النفس: الشرح الداخلي وانفساح الصدر هو المقدمة الضرورية لأي نهوض خارجي وتحمل مسؤولية، فهو يمكّن الإنسان من الصبر والثبات والتحمل.

الرسالة: رفع الذكر ليس تشريفًا فحسب، بل تكليف ومسؤولية، فهو يرتقي بالقيمة والتأثير، ويوجب التواضع والبذل.

السلوك: مهما اشتد العسر أو كثرت الصعوبات، فإن اليسر يأتي معه، والفرج الإلهي حاضر في قلب المحنة، وهو وعد لا يخلف.

التزكية: لا فراغ في حياة المصلح؛ كل وقت يُستغل بالانصراف إلى الله والعمل الصالح، ليكون الجهد متوازنًا مع الروح، والنجاح مرتبطًا بالربط الدائم بالله.

التربية: بناء النفس يبدأ من الداخل بالشرح، ثم يمتد إلى الأمة بالعمل، لتكتمل دورة التزكية الشخصية والعامة، ويصبح الفرد قادرًا على حمل الرسالة وتحقيق التأثير الإيجابي في محيطه.

الربط مع ما قبلها:

في سورة الضحى يُثبت الإنسان نفسيًا بذكر النعم الماضية، وبالوعد بالمستقبل، ليطمئن قلبه بعد فترات الفتور والابتلاء.

ثم تأتي سورة الشرح لتثبيت القلب داخليًا بذكر النعم العظمى: شرح الصدر، ورفع الذكر، وتيسير العسر، مع تكليف بالاستمرار والعمل، فتُحوّل الطمأنينة الخارجية إلى قوة داخلية صلبة.

للتأمل الذاتي:

هل أُدرك نعم الله التي أعطاها في صدري، في قلبِي وقوتي الداخلية، وليس فقط في مالي أو مظاهر النجاح؟

هل أبحث عن اليسر بعيدًا عن العسر، أم أعي أنه ملازم له، وأن الفرج الإلهي حاضر مع كل محنة؟

حين أفرغ من عمل أو مهمة، هل أنشغل بالله بالجدّ والانصراف إليه، أم أنشغل بنفسي وبراحة خاطئة؟

هل جعلت من "الشرح" ورفع الذكر مسؤولية عملية لأعمالي وخلقي، أم مجرد امتياز يُستعرض دون أثر في السلوك؟

سورة التين

الاسم والدلالة: سميت بسورة التين[1]، و "التين والزيتون" هما رمزان غذائيان طبيعيان يرتبطان بجغرافيا الوحي: الشام، سيناء، مكة. وتشير هذه الرموز إلى خيرات الأرض

[1] قال الواحدي:" وحكى الفراء قال: سمعت رجلاً كان صَاحب تفسير قال: "التين" جبال ما بين حلوان إلى همذان ، و"الزيتون" جبال الشام وعلى هذا سميت هذه الأمكنة بالزيتون والتين، لأنها تنبتهما، وهي منابت لها فيجوز أن يكونْ على حذف المضاف، بتقدير: ومنابت التين والزيتون. ويجوز أن يكون قد أطلق عليها اسم ما تنبته. قوله تعالى: {وَطُورِ سِينِينَ} قال المفسرون: أراد الجبل الذي كُلم عليه موسى فاختلفوا في "سنين" فقال عكرمة هو: الحسن بلغه الحبشة" أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، **التفسير البسيط**، أصل تحقيقه: رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، ج24ص147-148.

ونعَم السماء، كما تركز على مواقع النبوات التي نزلت فيها الرسالات، حيث قامت بتقويم الإنسان وهداية النفوس، لتكون الأرض والسماء شاهدين على رحمة الله وعبقرية خلقه.

المقصد العام لسورة التين:

السورة تبين أن الله خلق الإنسان في أتمّ هيئة وكمال، جسديًا وروحيًا، لكن هذا البناء لا يستمر إلا بالإيمان والعمل الصالح. المصير الأخروي للإنسان مرهون بصدق الالتزام والطاعة، لا بمجرد الكمال الخلقي أو الشكل الخارجي، فتُرسي السورة قاعدة واضحة: القيمة الحقيقية للإنسان تُقاس بسلوكه وأمانته تجاه رسالته وعبادته، لا بمجرد الخلق.

البنية الموضوعية لسورة التين:

في الآيات من 1 إلى 3 يأتي **القسم بأماكن مباركة:** التين والزيتون، والمقدس، للدلالة على تاريخ النبوة ومواقع الرسالات التي هادت الإنسان وقيّمته.

وفي الآيات من 4 إلى 5 يُبيّن **خلق الإنسان في أحسن تقويم**، ثم التحذير من **الردّ في حال الكفر**، مؤكدًا أن الكمال المادي وحده لا يكفي.

أما الآية 6 فتوضح أن **النجاة مرهونة بالإيمان والعمل الصالح**، فالإيمان صلة بالقلب، والعمل ترجمة له على أرض الواقع.

وفي الآيات من 7 إلى 8 يُؤكّد **يوم الدين**، ويرد الإنكار أو الشك بالتعجب: كيف يُقدّر الإنسان ويُجازى على أعماله بعد أن جُعل في أحسن تقويم؟

الآيات من 1 إلى 3: القسم بالأمكنة المقدسة: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾

الرسالة الاستراتيجية:

كل موضع من هذه الأماكن شهد بداية مرحلة تقويم الإنسان وهدايته: بيت المقدس مع عيسى عليه السلام، طور سيناء مع موسى عليه السلام، ومكة مع محمد ﷺ.

فالمكان والتاريخ يشهدان على كرامة الإنسان وقدرته على الاستقامة حين يُستقيم قلبه وعمله، وعلى ارتباط الرسالات الإلهية بمواقعها المباركة لتحقيق الإصلاح والخير.

الآيـــــــات 4–5: الكرامـــــــــــة ثـــــــــــم الانحـــــــــــدار:

﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الخلقة الحسنة وحدها لا تكفل الكمال أو النجاة، فالمعيار الحقيقي هو الثبات على التقويم الإلهي بالصدق والعمل الصالح. فمن انحرف عن مراد الله أو أهمل التزكية والمعايير الأخلاقية، يُردّ إلى الحضيض، وهذا الردّ ليس جسديًا بل معنويًا وقيميًا، ليكون الإنسان مسؤولًا عن بناء ذاته الداخلية قبل أي مظاهر خارجية.

الآيـــــــــــة 6: الاســـــــــــــــتثناء النبيـــــــــــــــــــل:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦﴾

الرســـــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــتراتيجية:

الذين حافظوا على تقويمهم الرباني بالربط المتكامل بين القلب والعمل الصالح يظلون في علوّهم وقيمتهم، وأجرهم محفوظ لا يُقطع، ولا يُنقص، ولا يُنكر. فالإيمان مع العمل الصالح يحمي الإنسان من الانحدار ويضمن له مقامًا كريمًا عند الله، مستقلًا عن الظروف أو التقلبات الدنيوية.

الآيـــــــات 7–8: تأكيـــــــــد المصـــــــــير والتســـــــــاؤل المحقّـــــــــز:

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨﴾

الرســـــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــتراتيجية:

السؤال هنا ليس مجرد استفهام بل توبيخ وتذكير: كيف يمكن بعد هذا البيان الواضح أن يُكذَّب يوم الحساب؟ فكل شيء في الخلق، وتقويم الإنسان، والجزاء الإلهي، يشهد على

حكمة الله وعدالته. هذا التذكير يُحفّز النفس على التفكر في المسؤولية، ويُقوّي الوعي بالمصير، ليكون الإنسان صادقًا في إيمانه وعمله.

خلاصة تفسير سورة التين – الرسائل الاستراتيجية:

العقيدة: الإيمان بالدين والجزاء يصبح أمرًا بدهيًا بعد التأمل في خلق الإنسان والعالم، فكل شيء يشي بحكمة الله وعدالته.

الإنسان: المخلوق في أتم صورة وكمال، لكن مصيره بيده؛ فهو مسؤول عن نفسه، وقرار الثبات أو الانحدار مرهون بسلوكه واختياره.

الأخلاق: الارتقاء أو الانحدار لا يحدده الشكل الخارجي، بل العمل الصالح والتقوى؛ فمن حافظ على القيم ارتقى، ومن أهملها انحدر.

السلوك: لا شرف حقيقي بلا إيمان، ولا خلود ولا جزاء مستمر بلا صلاح وعمل صالح، فالمسؤولية العملية هي مقياس القيمة.

التربية: لا تغترّ بحسن الخلقة أو الكمال الجسدي، بل راقب موقعك في التقويم الإلهي، واهتم بما يرفعك في ميزان القيم، ليكون الإنسان كاملًا في جوهره وليس في ظاهره فقط.

الربط مع ما قبلها:

في سورة الشرح تم تثبيت النبي ﷺ وبيان التيسير الإلهي في طريق الدعوة، فالقوة والطمأنينة الداخلية مُمكنة بالشرح، ورفع الذكر، وتيسير العسر، لتكون النفس مؤهلة لحمل الرسالة.

ثم تأتي سورة التين لتبيّن موقع الإنسان في الخلق، وتحذّره من التفريط في نعم الله وإهمال رسالته، فتوضح أن الكرامة الحقيقية مرتبطة بالثبات على الإيمان والعمل، وأن الانحدار المعنوي هو نتيجة التفريط والبعد عن التقويم الإلهي.

للتأمل الذاتي:

هل أعيش حقًا في *"أحسن تقويم"* الذي خلقني الله عليه، أم بدأت أميل نحو الانحدار والتهاون؟

هل يكفيني أن أكون جميل الخلقة جسديًا، أم أحتاج إلى جمال الإيمان والعمل الصالح ليُكمل خلقي ويثبتني؟

هل أدرك أن أجري محفوظ طالما أحافظ على استقامتي وعملي الصالح، وأن النجاح الحقيقي مرتبط بالثبات؟

هل أكذّب بيوم الدين بسلوكي وتصرفاتي، رغم أنني لا أنكره بلساني؟ هل يطابق عملي اعتقادي؟

خاتمة:

سورة التين مرآة الإنسان: خُلقك جميل، فهل حافظت عليه؟ ودينك الحق، فهل صدّقته قلبًا وقالبًا، وعملت به بإخلاص؟ أليس الله *بأحكم الحاكمين*؟ إذًا لا تفسد على نفسك تقويمك، وكن من الذين **آمنوا وعملوا الصالحات**... فلهم أجر غير ممنون، محفوظ لا يُنقص، ورفعة لا تزول.

سورة العلق

الاسم والدلالة: سميت[1] بسورة "العلق" شيء صغير متعلّق، لا يُرى بالعين عادة، لكنه يحمل بذرة الحياة، رمز للبدايات المتواضعة التي قد تُنتج أعظم الرسالات، كما جاء في بداية دعوة النبي ﷺ، لتذكير الإنسان بأن كل عظيم يبدأ صغيرًا، وأن التعلّق بالله هو أصل القوة والنجاح.

---

[1] قال الهرري:" تسميتها: وسميت سورة العلق وسورة القلم؛ لذكرهما فيها... قال أبو عبد الله محمد بن حزم – رحمه الله تعالى – سورة العلق كلها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. "محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج32ص145.

المقصد العام للسورة: تأسيس هوية الإنسان من خلال: **العلم:** بداية التعلّم والارتقاء بالمعرفة. **العبودية:** الالتزام بالخضوع لله واتباع أوامره. **الحذر من الطغيان:** تذكير بأن الاستغناء عن الله يقود إلى الانحراف والهلاك. **القرب من الله:** هو ذروة السمو الإنساني، والنهاية التي تحقق السلام الداخلي والنجاح الحقيقي.

البنية الموضوعية لسورة العلق:

الآيات 1–5: الدعوة إلى القراءة والتعلم من الخالق، إذ تبدأ الرسالة بـ"اقرأ"، لتؤكد أن العلم أساس الهوية الإنسانية والنهوض الروحي.

الآيات 6–8: تحذير من الطغيان والاستغناء عن الله، فكل من ينسى ربه ويميل إلى الغرور معرض للسقوط.

الآيات 9–14: إنكار سلوك من ينهى عن العبادة ويصدّ الناس عن سبيل الله، مبرزًا خطورة الكفر والعدوان على الرسالة.

الآيات 15–19: التهديد والوعيد لأولئك المتغطرسين، وختام بدعوة السجود والاقتراب، وهو السلوك الذي يمثّل ذروة السمو والنجاة الحقيقية.

الآيات 1–5: البداية – اقرأ وارتقِ:

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾

الرسالة الاستراتيجية:

القراءة ليست مجرد اطلاع على معلومات، بل عبادة تبدأ باسم الله. الإنسان ليس مخلوقًا فحسب، بل متعلّم ومكرّم بالعلم، وهو مسؤول عن نهوضه وتطوير نفسه. ومن أراد إصلاح نفسه أو مجتمعه، فعليه أن يبدأ بالقراءة والتعلم، لأن العلم هو البداية الحقيقية لكل تقدم روحي وفكري.

الآيـــــــات 6–8: خطـــــــــر الطغيـــــــــان عنـــــــــد الغفلـــــــــة:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الطغيان لا ينشأ من القوة أو القدرة فقط، بل من وهم الاستغناء عن الله ونسيان الرجوع إليه. من يظن أنه مستقل عن خالقه، ويستغني عن توجيه ربه، يكون قد بدأ السير في طريق الهلاك، فتذكير الله بالرجوع يربط القوة بالمسؤولية ويقوّي الوعي بالمصير.

الآيات 9–14: إنكار على من يصدّ عن الصلاة:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ...﴾

الرســـــــــــــــــــــــالة الاســـــــــــــــــــــــــــــــتراتيجية:

العداوة الكبرى ليست ضد المصالح الدنيوية فحسب، بل ضد السجود والعبودية لله. الخصومة الحقيقية كانت منذ البداية مع من يلتزم بالصلاة والطاعة، فلا عجب أن يكون أهل الطغيان هم أول من يحارب المصلين ويصدّهم عن سبيل الله، لأن السجود يمثل الانحناء لله، وهو أصل القوة الروحية والمكانة الإنسانية الحقيقية.

الآيات 15–19: التهديد والردّ بالسجود:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

أعظم رد عملي على الطغيان والغفلة هو السجود لله. ففي مواجهة قوى الطغيان والتمرد، لا يوجد موقف أرفع من التواضع والخضوع لله، إذ أن السجود يربط الإنسان بخالقه، ويمنحه القوة الحقيقية والسمو الروحي. "اسجد واقترب" هو طريق النجاة والسمو، حيث يكون الاقتراب إلى الله ذروة التوازن بين القوة الداخلية والاستسلام للحق.

خلاصة تفسير سورة العلق – الرسائل الاستراتيجية:

الإنسان: مخلوق من علق متواضع، لكنه مكرّم بالعلم والسجود، فكرامة الإنسان ليست في أصله أو قوته، بل في ربط قلبه وعقله بالله.

العلم: وسيلة الارتقاء الحقيقي، شرط أن يكون باسم الرب، متضمّنًا التواضع والنية الصالحة، فهو بداية الرسالة ونواة الإصلاح.

الطغيان: ينشأ من الشعور بالاستغناء عن الله، ويقود إلى الانحراف والهلاك، لذا يجب الحذر من الغفلة والغرور.

العبادة: السجود هو ذروة الاقتراب من الله، ومفتاح القوة والسمو الروحي، وأعظم رد عملي على الطغيان.

المواجهة: الطغيان يُقابَل بالثبات على العبادة والاعتصام بالله، لا بالانكسار أو الاستسلام، فالتقوى والعمل هما سلاح الإنسان الحقيقي.

الربط مع ما قبلها:

في سورة التين تم التأكيد على أن الإنسان خُلق في أحسن تقويم، وأن استمراره ورفعه الحقيقي مرهون بالإيمان والعمل الصالح. السورة بيّنت أن الكرامة الحقيقية لا تتحقق بمجرد الخلقة، بل بالثبات على الطاعة والالتزام بالقيم الإيمانية.

ثم تأتي سورة العلق لتبيّن بداية الطريق العملي للإيمان، حيث يبدأ الإنسان بالعلم والسجود، ويتعلّم مواجهة الطغيان بثبات، مستندًا إلى ربط قلبه وعقله بالله. فالتين يوضح أصل الخلقة وأثر الإيمان في تثبيت الإنسان، والعلق يبيّن بداية المهمة وكيفية النهوض بها، لتكتمل رؤية القرآن في بناء الإنسان وتهيئته لحمل الرسالة وتحقيق السمو الروحي.

للتأمل الذاتي:

هل أقرأ وأتعلم فعلًا باسم ربي، أم باسم هواي أو مصالح الدنيا؟

هل أشعر أحيانًا بالاستغناء عن الله، وأتصرف كما لو أن قوتي وذاتي تكفيني؟

هل أصادف السجود بالتهاون أو التأخير، أم أحرص على اقتراب قلبي وجسدي لله في كل سجدة؟

هل أواجه الطغيان والظلم بالثبات والاعتصام بالله، أم أستسلم للخيبة أو أتراجع أمام القوى الظالمة؟

خاتمة:

سورة العلق هي السورة الأولى في انبثاق الوحي، تُعلّم أن العلم لا يفصل عن الإيمان، وأن السجود ليس خضوعًا ضعيفًا، بل أعظم مظاهر العزّة والسمو الروحي. من بدأ طريق "اقرأ" لا بد أن يكمله بـ"اسجد واقترب"، فالسجود هو تكريس العلم بالعبودية والارتقاء الحقيقي نحو الله.

سورة القدر

الاسم والدلالة: سُمّيت هذه السورة بـ"القدر"[1]، وهو التعبير عن الشرف والعظمة الإلهية، وعن التقدير الرباني لكل أمر في الكون، وعن تحديد المصير الذي ينسجه الله في عالمه. وفي هذا الاسم إشعار بأن هذه الليلة ليست كأي ليلة عادية، بل هي ليلة تحمل في طياتها قرار السماء لمستقبل الأرض، وحكمة الله في ترتيب أمور الخلق، وفتح أبواب الرحمة والهداية لكل من أدركها. فـ"القدر" هنا ليس مجرد حدث زمني، بل علامة على التدبير الإلهي الذي ينسج الحياة البشرية بموازين دقيقة وبتقدير حكيم، وتذكير بأن كل لحظة من لحظات الإنسان محكومة بعناية الله وحكمته.

المقصد العام للسورة:

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة القدر أي العظمة والشرف تسمية لها بصفة ليلة القدر الذي أنزل الله فيها القرآن، فقال سبحانه: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} أي في ليلة عظيمة القدر والشرف." وهبة الزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص330.

تأتي السورة لتوضح مكانة ليلة القدر، وكيف أن هذه الليلة تُعلي من شأن الزمن الذي يبدأ فيه تنزيل القرآن على قلب النبي ﷺ، فتصبح هذه اللحظة علامة فارقة في تاريخ البشرية. السورة تربط بين نزول الوحي وملائكة السماء، فالملائكة تهبط بالسلام الإلهي ليلاً، فيضفي على الأرض هدوءًا وطمأنينة، ويُهيئ النفوس لاستقبال النور الإلهي.

كما تُبيّن السورة فضل هذه الليلة، حين تُقدّم لمن يحييها بإيمان وعمل صالح زادًا يكفيه لعمرٍ كامل، فالمستفيد من هذه الليلة لا يكتفي بجزاء محدود، بل يحصل على خير عظيم يتجاوز قياسات الزمن البشري، إذ هي خير من ألف شهر. ومن خلال هذا الفضل الرباني، تُرسّخ السورة مفهوماً استراتيجياً في حياة الأمة: أن الزمن الذي تُستثمر فيه الطاعات والعمل الصالح يمكن أن يُحدث فرقًا تاريخيًا وفرديًا، وأن العطاء الإلهي لا يقاس بالكم، بل بالجودة والنية والإخلاص.

البنية الموضوعية والرسالة الاستراتيجية:

تركّز السورة على ثلاث محاور رئيسية: **بيان عظمة الليلة:** تؤكد أن ليلة القدر فريدة، خير من ألف شهر، في شأنها وفضلها، وبيان أنها ليست مجرد ليلة عابرة، بل هي زمن اختياري يخصه الله بالعناية والمغفرة والرحمة. **نزول الملائكة:** توضح السورة أن الملائكة والروح تهبطون فيها بالسلام، لتفعيل البركة الإلهية، ولتحقيق النظام السماوي في الأرض، وإشعار المؤمنين بالطمأنينة الإلهية. **أثر الليلة في حياة الإنسان والأمة:** تربط السورة بين إدراك هذه الليلة بالعمل الصالح وبين الحصول على الخير العظيم، وتذكّر الأمة بأن استثمار الوقت والعبادة بإخلاص في هذه الليلة يحقق أثرًا دائمًا في مسار الفرد والمجتمع، مؤكدّة على قيمة الوقت والنية والعمل الصالح.

(1) بدء النزول

يبدأ الله تعالى سورة القدر بالإخبار عن نزول القرآن قائلاً: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾، لتؤكد أن القرآن ليس حدثًا عابرًا، بل هو تنزيل مقصود في زمان مختار، يحمل اختيار الله للزمان والمكان الذي يبدأ فيه مشروع الهداية.

الرسالة الاستراتيجية:

يشير هذا التذكير إلى أن الزمن نفسه قد يكتسب قداسة من الأحداث التي تقع فيه، وأن لحظة البداية ليست عادية، بل تحوي ملامح المشروع كله، فالقرآن الذي نزل في هذه الليلة يحدد مسار الأمة ومرتكزاتها، ويعلم المؤمنين أن إدراك هذا الوقت المبارك واستثماره بالطاعة والعمل الصالح يفتح أبواب الخير والبركة في حياتهم ومجتمعهم.

(2) تعظيم الليلة

يبدأ الله تعالى بتسليط الضوء على عظمة ليلة القدر قائلاً: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾، لتذكير الإنسان بأن إدراك قيمة بعض الأحداث يتجاوز طاقة العقل وحده، وأن هناك لحظات من التدبير الإلهي لا يُفهم عمقها إلا بوحي من الله.

الرسالة الاستراتيجية:

تشير هذه الآية إلى أن ليلة القدر ليست مجرد ساعات للعبادة الفردية، بل هي محطة قدرية للأمة كلها، تحمل آثارًا روحانية وعملية تمتد على مسيرة المسلمين. إدراك هذه الليلة يعني فهم المكانة الخاصة للزمان الذي اختاره الله لتثبيت مشروع الهداية، وأن الاستثمار فيها بالطاعة والذكر والعمل الصالح يترتب عليه أثر مستمر يعمّ الفرد والمجتمع.

(3) فضلها الزمني

يؤكد الله تعالى عظمة ليلة القدر في قوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ ليبيّن أن هذه الليلة المباركة تضاهي – بل تتجاوز – إنتاجية الإنسان الروحية لما يقارب ثلاثة وثمانين سنة كاملة من الطاعة والعمل الصالح.

الرسالة الاستراتيجية:

تُظهر هذه الآية أن الاستثمار الروحي في ليلة القدر يحقق مضاعفة غير مسبوقة للأعمال الصالحة، وأن المؤمن الذي يغفل عنها يخسر فرصة عظيمة لا تعوض. إنها ليلة تحمل إنتاجية زمنية استثنائية، بحيث يمكن أن يختصر فيها الإنسان ما يحتاج لعقود من العمل الصالح، مما يحث على التهيؤ لها بالعبادة والإخلاص والانتباه لقيمة الوقت الذي اختاره الله لهذه الليلة المباركة.

(4) نزول الملائكة والروح

توضح الآية الكريمة: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤﴾أن ليلة القدر ليست مجرد هدوء وسكون، بل هي حركة عظيمة ومباركة في السماء والأرض، حيث تنزل الملائكة ومعهم الروح الأمين جبريل عليه السلام، حاملين أوامر الله وتقديراته لكل ما ستشهده السنة المقبلة من أحداث.

الرسالة الاستراتيجية:

تشير هذه الآية إلى أن ليلة القدر لحظة تنظيم إلهي شامل، تتحرك فيها السماء والأرض بأمر الله، ويُرسَل السلام والبركة لتعمّ الأرض. فالملائكة والروح ليسوا مجرد رموز، بل وسطاء لتفعيل تقديرات الله على الواقع، وتعليم المؤمنين أن هذه الليلة المباركة هي فرصة للاتصال المباشر بالخطة الإلهية، وللحصول على الرحمة والبركة والسكينة التي تشمل كل من يستثمرها بالإيمان والعمل الصالح.

(5) السلام حتى الفجر

تختتم السورة بالآية: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾، لتوضح أن ليلة القدر تنعم فيها الأرض والسماء بسلام مستمر حتى طلوع الفجر. هذا السلام ليس مجرد هدوء سياسي أو اجتماعي، بل هو سلام كوني شامل، يطرد الشياطين ويعمّ الأمن الروحي على القلوب والنفوس.

الرسالة الاستراتيجية:

تشير الآية إلى أن ليلة القدر لحظة رحمة شاملة وطمأنينة إلهية، حيث يختلط فيها حضور الملائكة بالسكينة، ويغمر الكون أمن الله وبركاته. من أدرك هذه الليلة بالإيمان والعمل الصالح ينال حماية ربانية ورحمة مستمرة، ويشعر بسلام داخلي يمتد إلى حياته كلها، مما يجعلها فرصة ثمينة لتعزيز الصلة بالله وتنمية الروح والإيمان.

خلاصة تفسير سورة القدر

الزمن: تُظهر السورة أن ليلة القدر قد تصبح ليلة واحدة أعظم من ألف شهر، فهي تمنح المؤمن فرصة مضاعفة للثواب والبركة، وتُبيّن قيمة الوقت الذي اختاره الله لهذه اللحظة المباركة.

الوحي: نزل القرآن في زمن مقصود، لحكمة إلهية عظيمة، حيث تحدد بداية المشروع الإلهي لهداية الأمة، وتوضح أن الزمن نفسه يكتسب قداسة من الأحداث الكبرى التي تقع فيه.

العمل: اغتنام ليلة القدر بالعبادة والطاعة يوازي جهاد العمر كله، إذ توفر هذه الليلة إنتاجية روحية استثنائية لا تعادلها أي فترة زمنية أخرى، مما يحث المؤمن على السهر والذكر والإخلاص في الطاعة.

الملائكة: الملائكة والروح الأمين شركاء في تنفيذ تقديرات الله، حيث ينزلون بالسلام والأوامر الإلهية لتفعيل البركة وتنظيم أحداث السنة المقبلة، ليعمّوا الأرض بالطمأنينة ويحققوا حكمة الله في الكون.

السلام: السلام في ليلة القدر حالة كونية تغمر الأرض حتى مطلع الفجر، ليس مجرد هدوء اجتماعي أو سياسي، بل هو أمن روحاني شامل، يطرد الشياطين ويملأ القلوب بالسكينة والطمأنينة، فتصبح الليلة فرصة للنقاء الروحي والاتصال المباشر بخطة الله.

الربط مع ما قبلها:

السورة السابقة **العلق** تركزت على بداية الوحي، وأمر الله بالعلم والتعلم، والالتزام بالسجود والطاعة، لتؤسس مرحلة الانطلاق الروحي للأمة، حيث تبدأ رحلة الإنسان مع الرسالة بفهم واستجابة.

السورة الحالية **القدر** تأتي لتكمل هذا البناء القرآني المتكامل، فهي تبرز عظمة الليلة التي بدأ فيها هذا الوحي، وتوضح فضائلها وأثرها الكبير على الزمن والعمل الروحي والوجود الإنساني.

فالعلق تقول: «اقرأ وابدأ المهمة»، أي حرك الفكر والعمل في مسار التعلم والطاعة، بينما القدر تؤكد: «هذه الليلة التي بدأ منها كل شيء... لا تُفوِّت»، أي اجعل الاستفادة من هذه اللحظة محور اهتمامك، فهي لحظة مفتاح لكل الخير والبركة التي تتبع نزول الوحي.

للتأمل الذاتي:

كيف أستعد لليلة القدر وكأنها آخر ليلة في حياتي؟
هذه لحظة عظيمة، فرصة نادرة لمضاعفة الطاعات والثواب. التأمل فيها يدفعك للتخلص من الكسل والغفلة، والحرص على الإخلاص الكامل في الدعاء والعبادة، وكأن كل ثانية فيها تحوي حياة روحية كاملة.

هل أتعامل مع مواسم الطاعة كفرص استراتيجية لمستقبلي الأبدي؟
ليست الطاعات مجرد أعمال عابرة، بل هي استثمارات روحية تحقق أثرًا طويل الأمد. كل عبادة في هذا الموسم يمكن أن تكون سببًا في بناء زاد يكفي لسائر العمر، فإذا فهمت هذا، صار كل عمل صالح بمثابة خطوة استراتيجية نحو النجاة والرضا الإلهي.

هل أدرك أن السلام الذي تتنزل فيه الملائكة يمكن أن يمتد لروحي إذا صدقت النية؟
ليلة القدر ليست فقط هدوءً سماويًا، بل سلام كوني شامل، يغمر الأرض والقلوب. بالنية الصادقة، يمكن للإنسان أن يتصل بهذا السلام، فيعمّ قلبه بالأمن الروحي، وتصبح حياته اليومية انعكاسًا لطمأنينة تلك الليلة المباركة.

خاتمة:

سورة القدر تجعل المؤمن يدرك أن لحظة نزول الوحي كانت أعظم لحظة في تاريخ البشرية، وأن الله أهدانا فرصة سنوية لاستعادة الاتصال بنفس النور الذي أشرق في قلب محمد ﷺ. إنها تذكير بأن ليلة واحدة، إذا أحسن الإنسان استغلالها بالإيمان والعمل الصالح، تكفي لتغيير مسار حياته ومصيره الأبدي، فتصبح سببًا للبركة والسكينة والنجاة في الدنيا والآخرة.

سورة البينة

الاسم والدلالة: جاءت تسميتها بالبينة من نصها[1]، و البينة تعني الحجة الواضحة التي لا يبقى معها عذر لأحد، وهي هنا: الرسول ﷺ وما أنزل معه من كتاب الحق[2].

المقصـــــــــــد العـــــــــــام للســـــــــــورة:

تهدف السورة إلى بيان أن انقسام أهل الأرض بين مؤمن وكافر سببه قيام الحجة بالوحي، وأن الرسالة المحمدية جاءت لتوحيد الخلق على عبادة الله، وتأسيس أمة طاهرة العقيدة، صحيحة العبادة، ونقيّة الأخلاق.

البنية الموضوعية لسورة البينة:

تبدأ السورة بوصف حال أهل الكتاب والمشركين قبل مجيء البينة، في الآيات 1-3، موضحة الضلال والانحراف الذي كانوا فيه قبل أن تقوم الحجة عليهم. ثم تركز الآيات 4-5 على حقيقة الانقسام الذي حدث بعد مجيء البينة، موضحة أن الناس

---

[1] قال جعفر شرف الدين:" وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ" جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، مرجع سابق، ج12ص85.

[2] لَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عن الكفرِ والضلالِ حتى جَاءَتْهُم البينةُ ، وأوقَعَ المستقبلَ موقِعَ الماضي في تأتيهم، والبينات: محمّد صلّى الله عليه وسلّم وشرْعُهُ، قال الثعلبيُّ: وَالْمُشْرِكِينَ يعني: من العربِ وهم عَبَدةُ الأوثانِ" أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي،، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سابق، ج5ص613.

قد انقسموا بين مؤمنين ومكذبين نتيجة استقامة الحجة ووضوح الوحي. أما الآية 6، فهي تصف مآل الكافرين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة نتيجة كفرهم وانحرافهم. وأخيرًا، تتناول الآيات 7–8 مآل المؤمنين، مبينة جزاءهم وعاقبتهم الطيبة في الدنيا والآخرة نتيجة إيمانهم وعملهم الصالح، لتبرز السورة بذلك ثمار الهداية والاتباع الصادق للحق.

(1) حال الناس قبل البينة

توضح الآية ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ أن الناس قد يظلّون أسرى الباطل والضلال حتى تأتيهم الحجة القاطعة من الله. فالذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كانوا مستمرين على طرقهم الباطلة بلا انقطاع، لأنهم لم يتلقوا الرسالة الخاتمة، وما زالوا بعيدين عن هداية الحق حتى تبيّن لهم البينة.

الرسالة الاستراتيجية:

الإنسان لا ينجو من الانحراف إلا بالحجة الصافية والوحي الواضح، وما يقدمه الله من دليل قاطع هو ما يحرر النفس من أسر الباطل ويهديها إلى الحق.

(2) ماهية البينة

توضح الآية ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ طبيعة البينة، فتشير إلى أن الحجة ليست مجرد كلمات أو حجج نظرية، بل هي رسول حيّ يبلّغ الوحي الإلهي بصحائف مطهّرة وكتب قيّمة. فالبينة تمثل منهجًا مستقيماً، قادراً على معالجة فساد القلوب وتصحيح المجتمعات، وجعل الناس على طريق الحق بعيدًا عن الضلال والانحراف.

الرسالة الاستراتيجية:

البينة الحقيقية لا تتحقق بالكلام وحده، بل بالرسول والوحي المبلّغ، فهو وسيلة الله في تهذيب النفوس وتهذيب المجتمعات نحو الصلاح والهداية.

(3) انقسام ما بعد البينة

تبيّن الآية ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾أن الانقسام الحقيقي لم يحدث قبل مجيء الحجة، بل بعد أن اتضح الحق وتجلّت البينة للناس. وهذا يوضح أن المشكلة الكبرى ليست الجهل فحسب، بل العناد والمكابرة بعد العلم، حيث أن بعض أهل الكتاب قد انقسموا بعد أن ظهرت لهم دلائل الوحي الواضحة، مفضّلين اتباع هواهم على الاستجابة للحقيقة.

الرسالة الاستراتيجية:

العناد بعد العلم أخطر من الجهل، فالحجة الواضحة لا تُهدم إلا بإرادة الإنسان الحرة في الاختيار، وهي اختبار صريح للوفاء بالحق أو التمسك بالضلال.

(4) جوهر الدين

توضح الآية ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤﴾جوهر الدين الإسلامي الذي اختزله الله في ثلاثة أركان استراتيجية: الإخلاص في التوحيد، إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة. هذه الأركان تمثل الدين المستقيم الكامل، بلا أي تحريف أو زيادة، وتُظهر أن الإسلام منهج واضح ومنظم للعبادة والأخلاق والعدل الاجتماعي.

الرسالة الاستراتيجية:

الدين الحق يُختصر في إخلاص العبادة لله وحده، والالتزام بالفرائض الأساسية التي تصقل النفس وتضبط المجتمع، فتظهر قيمته الحقيقية في حياة الإنسان وفي تنظيم المجتمع.

(5) مصير الكافرين

توضح الآية ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ مصير الذين جحدوا البينة بعد وضوحها، فتؤكد أن الكفر بعد استبانة الحق يجعل صاحبه من شرّ الخلق، لأن الجريمة هنا ليست مجرد رفض بل هي عناد بعد العلم.

فالعقوبة المقررة للكافرين في النار الخالدة تمثل إنصاف الله للحق وللحجة التي أُتيحت لهم، وتبرز خطورة الانحراف بعد الوضوح والبيان.

الرسالة الاستراتيجية:

العناد بعد العلم أعظم ذنب، فالكفر بالحق الواضح يضع صاحبه في أقصى مراتب الشر، ويبين أن البينة لا تُهدم إلا بالتصدي للحقيقة بعد إدراكها.

(6-8) مصير المؤمنين

توضح الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦..﴾جزاء المؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، فتبرز عظيم مكانتهم وفضلهم عند الله. فالتسجيل في سجل "خير البرية" هو أعظم شرف يمكن أن يناله الإنسان، إذ يمثل التقييم الإلهي الذي يجمع بين القيم الروحية والأخلاقية، ويجعل صاحبه قدوة حسنة للناس في الحق والخير.

الرسالة الاستراتيجية:

التميز الحقيقي للإنسان هو الإيمان الصادق المصحوب بالأعمال الصالحة، فهؤلاء هم الذين يرفعهم الله في الدنيا والآخرة ويجعلهم نموذجًا للخير والهدى بين البشر.

خلاصة تفسير سورة البينة

الدعوة: الرسالة الخاتمة جاءت كحجة قاطعة على الجميع، فلا يظل أحد معذورًا بعد ظهور البينة. فالقرآن والرسول ﷺ يمثلان الحجة الواضحة التي تبين للناس طريق الحق وتفصل بين الهداية والضلال.

العقيدة: جوهر العقيدة هو إخلاص العبادة لله وحده، بحيث تصبح العلاقة مع الخالق نقية خالية من الشرك والتحريف، وتكون أساس كل عمل صالح.

العبادة: الصلاة والزكاة هما الركيزتان الأساسيتان للدين العملي، فهما يعبران عن الانضباط الروحي والاجتماعي للمؤمن، ويظهران أثر الإيمان في حياة الفرد والمجتمع.

المجتمع: الانقسام الحقيقي بين الناس بعد البينة سببه العناد بعد العلم، لا الجهل. فالمسؤولية تقع على كل من وصلته الحجة ولم يلتزم بالحق، ويبرز بذلك دور البينة في اختبار النفوس وتنقية المجتمع.

المصير: ينقسم الناس بين "خير البرية" الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، و"شر البرية" الذين عنوا بعد العلم بالكفر والتمرد. وهكذا تؤكد السورة أن الالتزام بالحق والعمل به هو معيار التمييز بين الناس في الدنيا والآخرة.

الربط مع ما قبلها:

تكتمل الصورة القرآنية عند الانتقال من **سورة القدر** إلى **سورة البينة**، حيث يشكل كل منهما حلقة في بناء متكامل للرسالة الإلهية. فـ **القدر** تذكّرنا بعظمة ليلة بدء نزول الوحي، تلك الليلة التي أنزل فيها القرآن هدى ورحمة، مؤكدة أن هذا الوحي هو حدث كوني عظيم يحفظ البشرية من الظلام الروحي.

أما **البينة**، فتتولى إتمام هذا البناء من خلال توضيح وظيفة الوحي: إقامة الحجة على الناس وتأسيس أمة صالحة، قائمة على العقيدة الصحيحة والعمل الصالح. فكما أن القدر تحدد مكانة القرآن وزمان نزوله، فإن البينة توضح دوره العملي كحجة فاصلة ومشروع حياة للناس، مبينة الخط الفاصل بين الهدى والضلال، والتمييز بين المؤمنين والكافرين. بهذا التتابع، يصبح القرآن متسلسلاً: البداية بالقدر التي تحتفي بالوحي ونزوله، ثم البينة التي تحوّل هذا الوحي إلى منهج حياة، يؤسس أمة طاهرة العقيدة، صحيحة العبادة، نقيّة الأخلاق، مستعدة لتطبيق رسالة الله في الأرض.

للتأمل الذاتي

بعد استعراض سورة البينة، يوجه القرآن كل إنسان إلى مراجعة نفسه بصدق ووضوح. هل أنا ممن إذا جاءته الحجة انقاد لله وهداه، أم ممن زادته الحجة عنادًا وتمردًا؟ هل صلاتي وزكاتي تؤديان دورهما الفعلي في تهذيب نفسي وإصلاح مجتمعي، أم مجرد شعائر بلا أثر حقيقي؟ وهل أسعى بجدّ واجتهاد أن أكون من "خير البرية" في سجل الله، جامعًا بين الإيمان والعمل الصالح، ليكون لي أثر في الدنيا وفضل في الآخرة؟

خاتمة سورة البينة

تختتم السورة بتأكيد أن البينة وضعت لكل إنسان معيارًا صريحًا للحق والضلال، وأن الرسالة المحمدية جاءت لتكون حجة قاطعة على الناس كافة. فهي تبيّن أن التمييز بين البشر لا يكون بالهوى أو بالجاه، بل بالإيمان والعمل الصالح، وأن الالتزام بالحق والإخلاص في العبادة هما الطريق إلى شرف الإنسان ومكانته كـ"خير البرية"، بينما العناد والكفر بعد العلم يضع صاحبه في مرتبة "شر البرية". بذلك تؤكد السورة على أهمية الحجة الواضحة في تهذيب النفوس وبناء مجتمع مستقيم قائم على الحق والعدل.

سورة الزلزلة

الاسم والدلالة: سميت بسورة الزلزلة[1] وتعني الاهتزاز العنيف، وهنا يشير المعنى إلى اهتزاز الأرض في يوم القيامة حتى تخرج كل ما فيها من آثار وأعمال البشر، لتشهد على أفعالهم.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى تصوير مشهد الانقلاب الكوني عند قيام الساعة، وبيان أن الأرض ستشهد على الإنسان، وأن الميزان الإلهي يحصي حتى مثاقيل الذرّ من الخير والشر، مؤكدًا أن العدالة الإلهية شاملة ودقيقة في حساب الأعمال.

البنية الموضوعية لسورة الزلزلة

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة الزلزلة؛ لمفتتحها." مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**،مرجع سابق، ج1ص535.

تبدأ السورة في الآيات 1–3 بوصف بداية الزلزلة الكونية، حيث تهتز الأرض اهتزازًا شديدًا وتخرج كل أثقالها، مظهرة أن كل ما في الأرض لا يخفى عن مراقبة الله، وأن هذا الاهتزاز يعكس بداية الحساب العظيم يوم القيامة.

ثم تركز الآيات 4–5 على شهادة الأرض بأمر الله، إذ تصبح الأرض شاهدًا ناطقًا على أعمال الإنسان، وتعلن بما حوته من خير وشر، لتبرز دور الكون كأداة للعدل الإلهي في إثبات الحقوق ومحاسبة الخلق.

وأخيرًا، في الآيات 6–8، يتم عرض الجزاء العادل لكل الأعمال، مهما كانت صغيرة، مؤكدة أن الميزان الإلهي يحصي حتى مثاقيل الذرّ، فلا خير أو شر يذهب هباء، بل كل عمل محسوب بدقة ويُجازى عليه صاحبه.

(1) بداية الحدث الكوني

توضح الآية ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾بداية الزلزلة الكونية في يوم القيامة، حيث تهتز الأرض اهتزازًا شديدًا وتخرج كل أثقالها، سواء كانت موتى أو كنوزًا مخبوءة، فيندهش الإنسان من شدتها ويقف أمام عظمة هذا الحدث.

الرسالة الاستراتيجية:
الزلزلة الموصوفة هنا ليست مجرد اهتزاز عادي، بل هي الزلزال الموعود في نهاية العالم، يبرز قدرة الله وعظمة الحساب، ويذكر الإنسان بأن كل ما في الأرض تحت مراقبة الله، وأن لحظة الحساب قريبة لا مفر منها.

(2) شهادة الأرض

توضح الآية ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾أن الأرض التي مشينا عليها ودفنا فيها أعمالنا ستتكلم يوم القيامة، تنطق بما وقع عليها، شهادةً بإذن الله، فلا مجال للإنكار أو التهرب من الحساب.

الرسالة الاستراتيجية:
كل فعل، وكل أثر تركه الإنسان على الأرض، ستشهد به الأرض أمام الله، مما يؤكد شمولية العدل الإلهي ودقة الحساب.

(3) الحشر والحساب

توضح الآية ﴿وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣﴾ كيف سيتفرق الناس يوم القيامة إلى مصائر متعددة بحسب أعمالهم، لتُعرض أمامهم جميع أعمالهم بلا نقص ولا زيادة، فيشهد كل إنسان على ما قدمه.

الرسالة الاستراتيجية:
الغرض من الحشر هو إظهار العدالة الإلهية المطلقة، بحيث يرى كل فرد نتائج أعماله أمامه مباشرة، فلا ظلم ولا غش في حساب الله.

(4–8) دقة الميزان

تؤكد الآية ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ ...﴾أن الجزاء الإلهي لا يغفل أصغر الأعمال، فذرة الخير تُجزى، وذرة الشر تُحاسب، ليكون الإنسان دائمًا تحت رقابة ضميره الحي ومستمرًا في مراقبة نفسه.

الرسالة الاستراتيجية:
الله لا يضيع أي عمل مهما صغر، وهذا التقدير الدقيق يربّي النفوس على المسؤولية والوعي الدائم بأهمية كل فعل في الحياة.

خلاصة تفسير سورة الزلزلة

العقيدة: تؤكد السورة على الإيمان باليوم الآخر وأحداثه الكبرى، من الزلزلة الكونية إلى الحشر والحساب، لتزرع في النفس اليقين بأن كل شيء تحت مراقبة الله وأن الحساب قادم لا محالة.

الأخلاق: تربّي السورة الإنسان على استحضار مراقبة الله في كل تفصيل من حياته، حتى في الذرات الصغيرة، فتقوي ضميره وتجعله دائمًا يقظًا في سلوكه وتصرفاته.

السلوك: تدعو السورة إلى الحرص على إصلاح النية والعمل، لأن كل فعل مهما صغر سيعرض يوم القيامة، سواء خير أو شر، فلا مجال للتهاون أو الإهمال في الواجبات الدينية والدنيوية.

العدالة: توضح السورة دقة ميزان الله، فلا خير يذهب بلا جزاء، ولا شر يضيع بدون حساب، مما يعزز شعور الإنسان بالمسؤولية الكاملة عن أفعاله أمام الله، ويؤكد عدالة الله المطلقة في الجزاء.

الربط مع ما قبلها:

تكتمل الرؤية القرآنية عند الانتقال من **سورة البينة** إلى **سورة الزلزلة** في إطار البناء القرآني المتكامل. ففي البينة، جاء الحق واضحًا في الدنيا، وأقيمت الحجة على الناس، لتكون دعوة صريحة للاتباع والعمل الصالح. أما الزلزلة، فهي تصوير لمشهد الجزاء بعد قيام الحجة، حيث تُقاس أعمال الناس ويظهر جزاء كل ذرة خير أو شر. وبذلك، تكمل السورتان بعضهما بعضًا: الأولى تُظهر الحق الواضح في الحياة الدنيا، والثانية تبرز الحق العادل في الآخرة.

للتأمل الذاتي

بعد فهم سورة الزلزلة، يُوجه القرآن كل إنسان إلى مراجعة دقيقة لأفعاله اليومية: هل أراقب "ذرات" أعمالي قبل أن تُعرض عليّ؟ إذا كانت الأرض ستتكلم عني يوم القيامة، فماذا ستقول عن حياتي وأفعالي؟ وكيف أستثمر حتى أصغر الفرص لفعل الخير، لأضمن أن كل ذرة عمل تثمر في ميزان الله بالخير؟

خاتمة سورة الزلزلة

تختتم السورة بتأكيد دقة العدل الإلهي وشمولية الحساب، موضحة أن كل عمل مهما صغر سيُجزى عليه، سواء خير أو شر. فهي تذكّر الإنسان بأن الله مطلع على كل شيء، وأن

الأرض نفسها ستشهد على أعمال البشر، فتبرز ضرورة اليقظة في النية والعمل اليومي. وبذلك تؤكد السورة أن الانتباه للذرات الصغيرة من الأعمال هو ما يربّي الضمير ويحقق التوازن بين الحق في الدنيا والعدل في الآخرة، لتكون الزلزلة تذكيرًا دائمًا بمسؤولية الإنسان أمام الله.

سورة العاديات

الاسم والدلالة: العاديات تعني الخيل التي تعدو بسرعة شديدة، وبها سميت السورة[1] وفي السياق القرآني تشير إلى خيل الجهاد التي تثير الغبار اندفاعًا لنصرة الحق، لتكون رمزًا للنشاط والحركة المبذولة في سبيل الله، وأيضًا للتدليل على جدية الإنسان أو قسوته في حياته.

المقصد العام للسورة:

تهدف السورة إلى إبراز التناقض بين وفاء الجياد لراكبها في ساحات المعارك وجحود الإنسان لربه رغم فيض النعم، مع التأكيد على أن خبايا الصدور ستتكشف يوم القيامة، فلا خير في ظاهر الإنسان إذا كان باطنه غافلًا عن الله.

البنية الموضوعية لسورة العاديات

تبدأ السورة في الآيات 1-5 بمشهد الخيل في المعركة، موضحة سرعتها وانضباطها ووفاءها لراكبها، لتكون رمزًا للنشاط والاندفاع في سبيل الحق، ولتلفت نظر الإنسان إلى ما يمكن أن يتحقق بالجهد والإخلاص.

---

[1] قال الهري:" وسميت بالعاديات: لذِكر لفظها فيها، وقال محمد بن حزم رحمه الله تعالى: سورة العاديات كلها محكم لا ناسخ ولا منسوخ." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج 32ص248.

ثم تركز الآيات 6-8 على جحود الإنسان وقوة تعلقه بالدنيا، حيث يُظهر السلوك المادي والخمول الروحي الذي يعيق الإنسان عن إدراك نعم الله والشكر لها، مؤكدة التناقض بين الوفاء للطبيعة أو الأمور الدنيوية والجحود لله تعالى.

وأخيرًا، في الآيات 9-11، يتم تصوير انكشاف الأسرار يوم القيامة، إذ تُكشف خبايا الصدور ويظهر جزاء كل قلب على حقيقته، ليقف الإنسان أمام الحقيقة المطلقة عن نفسه وأعماله، فلا ينجو أحد من محاسبة الله الدقيقة.

مشهد الخيل المندفعة

تبدأ السورة بوصف الخيل في المعركة ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ ...﴾، حيث تبرز سرعتها وقوتها وانضباطها، وفاءها لراكبها في اقتحام صفوف العدو. يُظهر القسم بالشكل القوي اندفاع الخيل في طاعة قائدها، ليكون رمزًا للنشاط والانضباط والوفاء في سبيل الحق.

الرسالة الاستراتيجية:

القسم بالخيل التي تعدو وتثير الغبار ويقتحم صفوف العدو يوضح شدة اندفاعها ووفائها، وهو مثال على ما يمكن أن يحققه الجهد المخلص والطاعة الصحيحة في الحياة.

المفارقة الصادمة

توضح الآيات ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ ...﴾ المفارقة بين وفاء الخيل لقائدها وبين جحود الإنسان لربه. فالإنسان، رغم إدراكه لفضل الله عليه، يغلب عليه حب المال والدنيا، ويظهر عناده وجحوده في التعامل مع نعم الله.

الرسالة الاستراتيجية:

رغم أن المخلوقات وفية في أداء ما كُلِّفت به، فإن الإنسان كثير الجحود لربه، وهو يعلم ذلك من نفسه، ويغلب عليه حب المال والدنيا، ما يجعل وفاءه لله غالبًا ناقصًا ويستدعي اليقظة والتدبر.

انكشاف السرائر

توضح الآية﴿۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ ..﴾ أن يوم القيامة سيخرج كل ما في القبور، وستنكشف أسرار القلوب، ليعلم الإنسان أن الله كان مطلعًا على كل شيء دائمًا، وأن أي غفلة أو جحود لن يخفى عنه.

الرسالة الاستراتيجية:

الآية تذكّر الإنسان بأن الله مطلع على كل ما في الصدور، وأن يوم الحساب سيكون شاملًا ودقيقًا، فلا مجال للغش أو التستر، وهو دعوة دائمة لمراجعة النفس والصدق في العمل والنية.

خلاصة تفسير سورة العاديات

العقيدة: تؤكد السورة على الإيمان بانكشاف السرائر يوم القيامة، وأن الله مطلع على كل ما في القلوب، فلا شيء يخفى عنه، ليكون اليقين بالآخرة عامل ضبط للنفوس.

الأخلاق: تربّي السورة الإنسان على الحذر من الجحود ونكران فضل الله، وتشجعه على غرس الوفاء لله في كل أفعاله، مستعينًا بقدوة الخيل المندفعة في طاعتها لقائدها.

السلوك: تدعو السورة إلى مقاومة التعلق المفرط بالدنيا وحب المال، وتنبيه الإنسان إلى أن النشاط الدنيوي يجب أن يكون في طاعة الله ووفاء له، لا مجرد اندفاع خلف الشهوات.

التربية الإيمانية: تؤكد السورة على استحضار أن الله خبير بكل ما في القلب، وأن كل فعل مهما صغر سيُحاسب عليه، مما يربي الضمير الحي ويقوي وعي الإنسان بمسؤوليته أمام خالقه.

الربط مع ما قبلها:

يكتمل البناء القرآني عند الانتقال من **سورة الزلزلة** إلى **سورة العاديات** في تسلسل حكيم للرسالة. ففي الزلزلة، نرى الجزاء النهائي على كل ذرة من الأعمال، تصويرًا ليوم القيامة

الذي لا يغفل عن شيء. أما العاديات، فتسلط الضوء على الواقع البشري الغافل في الدنيا، على حب المال والدنيا، وجحود الإنسان لربه، مظهرة الأسباب التي تؤدي إلى ذلك الجزاء النهائي.

للتأمل الذاتي

بعد تدبر سورة العاديات، يوجه القرآن الإنسان إلى مراجعة نفسه بعمق: هل وفائي لله يسبق وفائي لأي مخلوق أو اهتمام دنيوي؟ ما الذي يشغل قلبي أكثر: الدنيا أم الآخرة؟ وإذا فُتح ما في صدري أمام الخلق يوم القيامة، هل سأكون راضيًا عن نفسي وأعمالي؟

خاتمة سورة العاديات

تختتم السورة بتأكيد حقيقة الإنسان وجحوده في الدنيا، رغم وفاء المخلوقات المخلصة لأوامرها. فهي تبرز التناقض بين النشاط الدنيوي ووفاء الإنسان لربه، وتذكّر بأن خبايا القلوب ستنكشف يوم القيامة، وأن الجزاء سيقاس على أساس الصدق والإخلاص في النية والعمل. كما تشدّد السورة على أن مراقبة الله شاملة ودقيقة، مما يربّي الضمير ويحفّز الإنسان على الوفاء لله، وتوجيه النشاط المادي والجهد اليومي في طاعته، لضمان رضا الله والنجاة من العقاب في الآخرة.

سورة القارعة

الاسم والدلالة: القارعة تعني الحادثة العظيمة التي تقرع القلوب والأسماع، وهو أحد أسماء يوم القيامة وبه سميت السورة[1]، إذ يُذكِّر الإنسان بعظمة اليوم الذي تتكشف فيه جميع الأعمال وتُقاس بدقة.

---

[1] قال الهرري: " {الْقَارِعَةُ (١)} اتفقوا (١) على أن القارعة اسم من أسماء القيامة، كـ {الْحَاقَّةُ (١)}، {الطَّامَّةُ}، {الْغَاشِيَةِ}، {الصَّاخَّةُ}. وسبب تسميتها بالقارعة: أن القارعة هي الصيحة التي يموت منها الخلائق، وهي الصيحة الأولى التي تموت منها الخلائق سوى إسرافيل، ثم يميته الله تعالى ثم يحييه فينفخ في الصور النفخة الثانية فيقومون. وقيل: القارعة هي التي تفزع الخلائق بالأهوال والأفزاع؛ أي: تؤثر فيهم على وجوه شتى، وذلك في السموات بالانشقاق والانفطار، وفي الشمس والقمر بالتكوير، في الكواكب بالانتثار، وفي الجبال بالدك والنسف، وفي الأرض. بالطي والتبديل، وهو قول الكلبي" محمد

المقصـــــــــــــــد العـــــــــــــــــام للســـــــــــــــــورة:
تهدف السورة إلى إيقاظ القلوب بذكر شدة أهوال القيامة، وبيان أن النجاة الحقيقية مبنية على ثِقَل ميزان العمل الصالح، وأن كل فعل مهما صغر أو كبر محسوب عند الله.

البنية الموضوعية لسورة القارعة

تبدأ السورة في الآيات 1–3 بتهويل أمر القارعة، مظهرة عظمة الحادثة المزلزلة يوم القيامة، وكيف أنها تقرع القلوب والأسماع، لتشعر الإنسان بشدة الموقف القادم وتوقظه من غفلته.

ثم تركز الآيات 4–5 على مشاهد الاضطراب والذهول، حيث ينشأ الذهول بين الناس عند رؤية ما أعدّ لهم من حساب وأهوال، فيقف الإنسان أمام حقيقة الأحداث الكبرى التي ستكشف كل شيء.

وأخيرًا، في الآيات 6–11، يتم تقديم المعيار الحاسم: وزن الأعمال، حيث يُقاس كل إنسان بميزان الله، ويظهر ثِقَل حسناته أو خفته، لتتضح له حقيقة موقفه من النجاة أو الخسران، مبينًا أن الجزاء يرتبط مباشرة بصدق العمل ووزنه عند الله.

تهويل الحدث

تبدأ السورة بالقسم بـ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ ، حيث يتكرر الاسم بصيغة استفهامية تهويلية، ليزرع في النفس شعورًا بعظمة الموقف وخطورته، ويبين أن يوم القيامة حادثة خارجة عن كل مألوف التصورات.

الرسالة الاستراتيجية:
التكرار والاستفهام التهويلية يوجدان إحساسًا بالخوف والرهبة، ويهيّئ القلب لتدبر عواقب ذلك اليوم العظيم.

الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج32ص267.

مشهد الاضطراب الكوني والبشري

تصف الآيات ﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ ...﴾ ذعر الناس وتفرّقهم، وزوال أعظم الثوابت في الكون (الجبال) حتى تصير كالصوف المنفوش، لتجعل الإنسان يعي حجم الاضطراب والرهبة في ذلك اليوم العظيم.

الرسالة الاستراتيجية:
التصوير الكوني والبشري يبرز مدى الهول والاضطراب الذي يعيشه الإنسان، ويؤكد أن كل ما يعتمد عليه في الدنيا زائل أمام حكم الله وعظمته.

الميزان الفاصل

توضح الآيات ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧﴾ معيار الجزاء النهائي: من ثقلت موازينه بالحسنات يعيش في رضا وسعادة، ومن خفت موازينه يلقى الهلاك الكامل في نار حامية.

الرسالة الاستراتيجية:
النجاة والفلاح رهينان بثقل ميزان الحسنات، والخسارة مطلقة لمن خف ميزانه، لتكون العبرة بأن الأعمال الصالحة هي الحاسمة في مصير الإنسان يوم القيامة.

خلاصة تفسير سورة القارعة

العقيدة: تؤكد السورة على الإيمان بيوم القيامة وأهواله العظيمة، مذكّرة الإنسان بعظمة اليوم الذي تُقاس فيه الأعمال بدقة، حيث تظهر عدالة الله المطلقة في الجزاء.

الأخلاق: تربّي السورة الإنسان على استشعار مسؤولية العمل قبل أن يُوزن في الميزان، وتشجعه على المراجعة الدائمة للنية والأعمال، ليتجنب الخسارة والخذلان يوم الحساب.

السلوك: تحفّز السورة الإنسان على المبادرة لزيادة رصيد الحسنات والعمل الصالح، وعدم التهاون في أي عمل يرفع ميزانه عند الله، مهما صغر شأنه.

التربية الإيمانية: تؤكد السورة على اليقين بأن النجاة مرتبطة بثقل الميزان، وأن كل فعل محسوب، مما يعزز الضمير الحي ويزرع الانضباط الروحي في حياة المؤمن.

الربط مع ما قبلها:

يكتمل البناء القرآني عند الانتقال من **سورة العاديات** إلى **سورة القارعة** في تسلسل حكيم للرسالة. ففي العاديات، نرى **حال الإنسان الغافل الجاحد** في الدنيا، متعلّقًا بالمال والشهوات، وجحوده لربه رغم إدراكه للحق. أما القارعة، فتأخذنا إلى **هول اليوم الذي سيحاسَب فيه هذا الإنسان**، حين يبرز الميزان ويُقاس كل عمل بالحسنة أو الذرة، لتتضح نتيجة الغفلة أو الصدق في الطاعة.

للتأمل الذاتي

تدعو السورة الإنسان إلى مراجعة نفسه باستمرار: كيف أزيد ثقل ميزاني اليوم قبل الغد؟ هل أعيش وكأن الميزان أمامي الآن؟ وما العمل الذي إذا وُضع في الميزان رجّحه بلا تردد؟ هذه الأسئلة تحفّز الضمير على المبادرة والعمل الصالح قبل فوات الأوان، وتزرع اليقظة الدائمة تجاه الحساب الإلهي.

خاتمة سورة القارعة

تختتم السورة بتأكيد حقيقة الجزاء العادل يوم القيامة، حيث يُقاس كل إنسان بما اكتسب من حسنات وذنوب، مهما صغرت أو كبرت. فهي تذكّر بأن النجاة مرتبطة بثقل الميزان، وأن الغفلة أو التهاون في الأعمال الصالحة يؤدي إلى الخسارة والهلاك. كما تعزز السورة فكرة اليقين بالله، وأن كل فعل يُرصد، لتكون دعوة دائمة للصحوة، والمبادرة بالعمل الصالح، والوعي الكامل بمسؤولية الإنسان أمام خالقه.

سورة التكاثر

الاسم والدلالة: التكاثر يعني الانشغال بالمباهاة في زيادة العدد أو المال أو الجاه[1]، وهو أصل من أصول الغفلة التي تصرف الإنسان عن التفكير في المصير الحقيقي بعد الموت.

المقصد العام للسورة:

تقوم السورة بالتحذير من الانشغال بالدنيا والمفاخرة بها، حتى يفجأ الإنسان بالموت، مع التأكيد على حتمية السؤال عن كل نعمة، لتكون وسيلة لإيقاظ الضمير وتوجيهه نحو الاستعداد للآخرة.

البنية الموضوعية لسورة التكاثر

تبدأ السورة في الآيات 1-2 بتوضيح **سبب الغفلة:** انشغال الإنسان بالمباهاة في المال والجاه والعدد، مما يبعده عن التفكير في مصيره الحقيقي، ويجعله ينسى الآخرة ويتعلق بالدنيا الزائلة.

ثم تأتي الآيات 3-5 لتصوير **الصدمة بعد الموت**، حيث يصطدم الإنسان بواقعه حين يلفظ الموت الجميع، ويقف أمام الحقيقة التي أهملها، ليفاجأ بأن الوقت قد فات للاستعداد للحساب.

وأخيرًا، في الآيات 6-8، يُوضّح **المآل النهائي:** السؤال عن النعيم، فكل نعمة أُعطيت للإنسان ستُسأل عنها، لتكون تذكرة صارمة بأن كل ما أنعم الله به محسوب، وأن الغفلة عن ذلك تؤدي إلى الخسارة في الآخرة.

(1) سبب الغفلة

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة التكاثر لمفتتحها" مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مرجع سابق، ج1ص450.

تبدأ السورة بالآية ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ ...﴾لتبيّن كيف يسرق الانشغال بمقاييس الدنيا قلب الإنسان، فينسى الاستعداد للآخرة، حتى يحين أجله ويقابله الموت. وكلمة "زرتم" توحي بأن القبور ليست دار إقامة دائمة، بل محطة مؤقتة للبعث والحساب.

الرسالة الاستراتيجية:
الانشغال بالمباهاة والتفاخر بالدنيا يبعد الإنسان عن إدراك حقيقة مصيره، ويضعه في غفلة تنتهي بالموت، لتكون التذكرة قبل فوات الأوان.

(2) الصدمة الحتمية

تكرر السورة التحذير ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ ...﴾ لتصوير الصدمة الحتمية بعد الموت، حيث سيعرف الإنسان حقيقة الجحيم بعلم اليقين، وهو علم لا رجعة فيه.

الرسالة الاستراتيجية:
التكرار يؤكد أن العلم الحقيقي بالآخرة سيأتي لا محالة، لكن حينها لن يكون هناك فرصة للتدارك أو التراجع عن الغفلة.

(3) السؤال عن النعيم

وتختتم السورة بتوضيح ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾، لتبيّن أن كل نعمة، مهما صغرت، ستدخل في الحساب: هل شُكرت؟ وهل استُخدمت في طاعة الله؟

الرسالة الاستراتيجية:
كل نعمة من الله محكومة بالمساءلة، فالغفلة عنها أو استخدامها في محظور يؤدي إلى الخسارة، بينما شكرها واستثمارها في الخير يرفع الميزان ويقرّب من النجاة.

خلاصة تفسير سورة التكاثر

العقيدة: تؤكد السورة على الإيمان بالبعث والجزاء، وأن كل إنسان سيحاسب على أعماله ونعم الله عليه، مهما صغرت أو كبرت، ليعيش المؤمن واقعيًّا أمام محاسبة الله العادلة.

الأخلاق: تربّي السورة الإنسان على التحرر من التفاخر والمباهاة بالدنيا، وتذكّره بأن الغفلة عن المصير النهائي سبب ضياع الحياة واهتزاز القيم.

السلوك: تحفّز السورة على استثمار النعم في العمل الصالح، سواء بالإنفاق في طاعة الله أو خدمة الآخرين، لتكون سببًا في ثِقَل الميزان وتحقيق الفلاح في الآخرة.

التربية الإيمانية: تزرع السورة اليقظة الدائمة في قلب المؤمن، واستحضار لحظة الوقوف أمام الله والسؤال عن كل نعمة، مما يعزز المسؤولية الفردية ويقوّي الضمير الروحي.

الربط مع ما قبلها:

يستمر البناء القرآني المتكامل عند الانتقال من **سورة القارعة** إلى **سورة التكاثر**، حيث ننتقل من عرض نتيجة الميزان إلى كشف سبب فراغه من الحسنات. ففي القارعة، يُبرز القرآن **الميزان الفاصل بين ثقل الحسنات وخفتها**، ليعرف الإنسان مصيره بين الفلاح والخسران. أما التكاثر، فتوضح السبب الذي يفرغ الميزان من الحسنات: **الانشغال بالدنيا، والتفاخر بالمباهاة في المال والجاه**، مما يبعد القلب عن الاستعداد للآخرة.

للتأمل الذاتي

تدعو السورة المؤمن إلى مراجعة نفسه ومحاسبة قلبه: ما أكثر ما يلهيني عن طاعة الله؟ كيف أستعمل النعم بحيث أكون مستعدًا للسؤال عنها؟ وما الذي يمكنني الاستغناء عنه اليوم لثِقَل الميزان غدًا؟ هذه الأسئلة تحفّز الإنسان على ترتيب أولوياته، وتذكّره بأن الدنيا زائلة، وأن الثقل الحقيقي للميزان يأتي من حسنات استُثمرت بحكمة وطاعة لله.

خاتمة سورة التكاثر

تختتم السورة بتحذير صريح من الغفلة والانشغال بالدنيا، مؤكدة أن كل نعمة سيُسأل عنها الإنسان يوم القيامة، مهما صغرت أو عظمت. فهي تضع أمامنا العلاقة بين السبب والنتيجة: الانشغال بالمباهات الدنيوية يفرّغ الميزان، بينما استثمار النعم في الطاعة والعمل الصالح يملؤه ثِقلاً ويقرّبنا من النجاة. وبذلك، تصبح السورة دعوة مستمرة لليقظة، والاعتدال في الطموح، والمسؤولية الفردية في كل لحظة من الحياة.

سورة العصر

الاسم والدلالة: العصر يعني الزمن[1]، وهو وعاء العمل وأغلى ما يملك الإنسان. أقسم الله به ليبيّن خطورته وسرعة انقضائه، ولتحفيز الإنسان على اغتنام كل لحظة قبل فواتها.

المقصد العام للسورة:

توضح السورة أن الخسارة هي مصير كل إنسان إلا من حقق أربعة شروط متكاملة: الإيمان، العمل الصالح، التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، لتشكل بذلك وصفة قرآنية واضحة للنجاة في الدنيا والآخرة.

البنية الموضوعية لسورة العصر

تبدأ السورة بالآية الأولى بالقسم بـ**العصر**، لتسليط الضوء على الزمن كأغلى ما يملكه الإنسان، وكمحور أساسي للعمل الصالح قبل انقضائه السريع.

ثم تأتي الآية الثانية لتبيّن **حقيقة الخسارة العامة**، حيث يحذر القرآن أن معظم الناس هم في خسارة دائمة ما لم يتخذوا أسباب النجاة.

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة العصر لقسم الله به في مطلعها بقوله: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ} {وَالْعَصْرِ}: الدهر، لاشتماله على الأعاجيب، من سرّاء وضرّاء، وصحة وسقم، وغنى وفقر، وعز وذل، وانقسامه إلى أجزاء: سنة وشهر ويوم وساعة ودقيقة وثانية." وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص390.

وأخيرًا، تختتم السورة في الآية الثالثة بتوضيح **شروط النجاة الأربعة:** الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، لتشكل خطة عملية كاملة لحياة مؤمنة وناجحة في الدنيا والآخرة.

(1) القسم بالعصر

تبدأ السورة بالقسم بالزمن في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١﴾، لتبيّن أهمية الوقت كأغلى ما يملكه الإنسان. الزمن هنا ليس مجرد لحظات عابرة، بل هو رأس المال الحقيقي الذي يقيس مدى استفادة الإنسان من حياته، وشاهد دائم على أعمال العباد. كل لحظة تمضي لا تعود، وكل دقيقة من العمر محسوبة، ما يجعل استثمار الوقت في الطاعة والعمل الصالح أمرًا بالغ الأهمية.

الرسالة الاستراتيجية:
الزمن رأس مال الإنسان الحقيقي، وهو معيار لمدى وعيه واستثماره في أعمال ترقى به إلى رضوان الله. كل لحظة هي فرصة لمحاسبة النفس قبل فوات الأوان.

(2) إعلان الخسارة

ثم تُبرز السورة حقيقة الإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾، لتوضّح أن الأصل في الإنسان الخسارة ما لم يسعَ لتعويض عمره بما يرفع رصيده عند الله. فالخسارة هنا ليست مجرد نقص في المال أو الجاه، بل هي فقدان القيمة الحقيقية للحياة: الوقت الذي لم يُستثمر في الإيمان والعمل الصالح، والنعم التي أهملها الإنسان أو أضاعها في معصية الله.

الرسالة الاستراتيجية:
الأصل في الإنسان الخسارة إلا إذا تعمّد ملء حياته بما يقوّي رصيده عند الله من أعمال صالحة. العمر يتناقص يومًا بعد يوم، فلا يجوز تركه بلا فائدة أو بلا هدف يعلي قيمة الإنسان أمام خالقه.

(3) شروط النجاة الأربعة

وتختتم السورة بالإشارة إلى استثناء النجاة من الخسارة، في قوله تعالى:﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾. هذه الآية تحدد **وصفة النجاة الكاملة** في أربعة أركان متكاملة:

1. **الإيمان:** الأساس العقدي والداخلي الذي يحدد اتجاه القلب وصدق الاعتقاد بالله ورسله.
2. **العمل الصالح:** الترجمة العملية للإيمان، حيث يُترجم الاعتقاد إلى أفعال نافعة وعبادات مقبولة وحقوق للآخرين.
3. **التواصي بالحق:** نشر الخير والمبادئ الصحيحة، وتقديم النصائح الصادقة للآخرين، بما يرسخ العدالة والفضيلة في المجتمع.
4. **التواصي بالصبر:** الثبات على الحق مهما واجه الإنسان من صعاب وابتلاءات، وعدم الاستسلام للظروف أو للوساوس التي تُبعده عن الطريق المستقيم.

الرسائل الاستراتيجية:

النجاة لا تتحقق إلا بتكامل هذه الأركان الأربعة معًا. أي تقصير في أحدها يهدد رصيد الإنسان ويعرضه للخسارة. فهي ليست مجرد شروط منفصلة، بل هي منظومة متكاملة تربط الإيمان بالعمل، وتربط الفرد بالمجتمع، وتربط الحاضر بالآخرة.

خلاصة تفسير سورة العصر

العقيدة: تركز السورة على أن **الإيمان الحق هو الأساس المطلق للنجاة**، فهو الركيزة التي تُبنى عليها كل أفعال الإنسان. بدون الإيمان، يصبح العمل بلا قيمة والجهد بلا أثر، فالنجاة الحقيقية تبدأ من اعتقاد صادق بالله واليوم الآخر، ومن ثبات القلب على المبادئ الإيمانية.

الأخلاق: تؤكد السورة على أهمية **التعاون على الخير والتواصي بالصبر**، حيث لا يكتفي الإنسان بعمله الفردي، بل يُدعى للارتباط بالمجتمع عبر نصح الآخرين وتبادل الحق والصبر على المحن، مما يغرس قيم المسؤولية والفضيلة في الحياة اليومية.

السلوك: تدعو السورة إلى **تنظيم الحياة حول أهداف إيمانية واضحة**، بحيث تكون كل خطوة في العمل والدراسة والوقت المخصص للذات مرتبطة بسعي الإنسان نحو الرضا الإلهي، مع استثمار كل لحظة في فعل الخير وتجنب الغفلة.

التربية الإيمانية: تزرع السورة في النفس وعيًا دائمًا بأهمية **استثمار الوقت فيما ينفع**، إذ أن الزمن رأس المال الحقيقي للإنسان، وكل يوم يمضي هو فرصة لمضاعفة رصيد الأعمال الصالحة، وتعزيز الاستعداد ليوم القيامة، مما يجعل الفرد يقظًا ومستعدًا دائمًا لمحاسبة نفسه أمام الله.

الربط مع ما قبلها:

يستمر البناء القرآني المتكامل عند الانتقال من **سورة التكاثر** إلى **سورة العصر**، حيث ننتقل من التحذير العام إلى تقديم خطة عملية. ففي التكاثر، يحذر القرآن الإنسان من **إضاعة العمر في الانشغال بالدنيا والمباهات الزائلة**، موضحًا أن الغفلة عن استثمار الوقت تؤدي إلى خسارة دائمة. أما العصر، فتأتي لتضع أمام الإنسان **خطة عملية لاستثمار العمر في النجاة**، من خلال الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والصبر، لتكون منهجًا واضحًا للتفكير في كل لحظة من حياته.

للتأمل الذاتي

تدعو سورة العصر الإنسان إلى مراجعة كيفية استثماره للوقت الذي هو رأس ماله الحقيقي: هل وقتي اليوم موزع بين الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر؟ أي من شروط النجاة الأربعة أضعف عندي ويحتاج إلى تقوية؟ وكيف أذكّر نفسي وأهلي يوميًا بأن الزمن هو رأس المال الذي لا يمكن تعويضه بعد فواته؟ هذه الأسئلة تحفّز على ترتيب

الأولويات، ومراجعة الأداء اليومي، وضبط سلوك الحياة وفق خطة إيمانية واضحة، بحيث تصبح كل لحظة فرصة للتقرب من الله وزيادة رصيد الأعمال الصالحة.

خاتمة سورة العصر

تختتم السورة بتقديم وصفة عملية للنجاة من الخسارة، مجمعة في أربع ركائز متكاملة: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فهي تذكر الإنسان أن كل لحظة من عمره ثمينة، وأن الخسارة الحقيقية هي ضياع الوقت دون استثمار في طاعة الله وخدمة الآخرين. من خلالها، يصبح للزمن قيمة، وللحياة هدف، ولكل عمل أثر في الميزان، فتقودنا السورة إلى وعي دائم بأهمية التخطيط للحياة ومراجعة النفس، والحرص على أن يكون كل يوم فرصة للنجاة والفلاح الأبدي.

سورة الهمزة

الاسم والدلالة: الهمزة[1] تشير إلى الذي يعيب الناس ويطعن فيهم بالكلام أو الإشارة. وتبيّن السورة أثر هذا الخلق المدمر على صاحبه، وكيف يمكن أن يقوده إلى الخسارة الكبرى في الدنيا والآخرة.

المقصد العام للسورة:

تحذر السورة من السخرية والطعن في الناس، ومن الانشغال بجمع المال وحب الدنيا مع الغفلة عن المصير النهائي، وتوضح أن عاقبة ذلك **نار تحطم صاحبه تحطيمًا**، لتكون تذكيرًا صارخًا بأهمية تهذيب النفس ومراجعة القيم.

البنية الموضوعية لسورة الهمزة

[1] قال الهرري:" التسمية: سميت سورة الهمزة؛ لذكر لفظ الهمزة فيها." محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق، ج32ص311.

تبدأ السورة بالآية الأولى بوصف **صفات المذمومين**، وهم الذين يعيبون الناس ويطعنون فيهم بالكلام أو الإشارة، أي أصحاب الهمز واللمز، لتبيّن أثر هذه الصفات على الفرد والمجتمع، وكيف تفسد الأخلاق وتؤدي إلى الخسران.

ثم تأتي الآيتان الثانية والثالثة لتوضّح **سبب غرورهم وانشغالهم**، وهو حب المال وجمعه واعتباره غاية الحياة، ما يجعلهم يغفلون عن المصير النهائي ويتمادون في الطمع والشح.

وأخيرًا، تختتم السورة من الآية الرابعة إلى التاسعة بالإشارة إلى **مصيرهم المروع (الحطمة)**، حيث النار التي تحطم صاحب هذه الصفات تحطيمًا كاملًا، لتكون تذكيرًا صارخًا بأن الانحراف الأخلاقي والقلب المريض بالهمز واللمز وحب المال بلا حق يؤدي إلى الهلاك الأبدي.

(1) وصف المفسدين باللسان والإشارة

تبدأ السورة بتحذير شديد للذين يعيبون الناس ويطعنون فيهم بالكلام أو الإشارة:

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾

الرسالة الاستراتيجية:

العدوان اللفظي والاستهزاء يفسد القلوب ويمزق نسيج المجتمع، ويزرع الكراهية والبغضاء بين الناس. لفظ "ويل" يعكس وعيدًا شديدًا بالخزي والعذاب، ليكون تنبيهًا واضحًا لقوة تأثير الكلام السيء على الفرد والمجتمع، وأن أي سخرية أو طعن في الآخرين لا تمر بلا حساب.

(2) الانشغال بجمع المال

تتطرق الآية الثانية إلى سبب غرور هؤلاء المذمومين: ﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣﴾

الرسالة الاستراتيجية:

عندما تصبح الثروة غاية في حد ذاتها، تُعمى القلوب عن الحقيقة الكبرى: الموت والحساب. العد المستمر للمال وعدّه رمز للانشغال المرضي بالدنيا، الذي يبعد الإنسان عن استثمار

عمره في الطاعة والعمل الصالح. السورة تنبه أن جمع المال بلا رصيد أخلاقي أو ديني يجعل الإنسان أسرى لشهواته وغافلًا عن مصيره النهائي.

(3) المصير المحتوم

تختتم السورة بالتحذير من عاقبة هذا السلوك: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ ...﴾

الرسالة الاستراتيجية:

الرد الإلهي حاسم، فهذا المصير لا مهرب منه. الحطمة تعني النار التي تحطم كل شيء، ولا تترك أي أثر للباطل إلا الخسارة والدمار. وتوضح الآيات أن:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ...﴾ فالعذاب يمتد إلى القلوب التي فسدت، لأنها مصدر كل دوافع خاطئة وأفعال سيئة. وأخيرًا، ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ۝٩﴾ تشير إلى إحاطة تامة بالعذاب، بلا مهرب ولا فكاك، ليكون تحذيرًا صارخًا من نتائج الغفلة عن الدين والانشغال بالدنيا على حساب الآخرة.

خلاصة تفسير سورة الهمزة

الأخلاق: توضح السورة **تحريم السخرية والطعن في الناس**، وبيان أثر هذه الصفات على الفرد والمجتمع. فالسخرية والهمز واللمز تفسد القلوب، وتزرع البغضاء بين الناس، وهي صفة مذمومة تؤدي إلى الخسارة في الدنيا والآخرة.

السلوك المالي: تحذر السورة من **خطر جعل المال غاية في الحياة**، إذ أن الانشغال بجمع المال وعدّه يلهي الإنسان عن طاعة الله والعمل الصالح. فالثروة إذا صارت هدفًا بحد ذاتها، أعمت القلب عن الحقيقة الكبرى: الموت والحساب، وجعلت صاحبها أسرى للشهوات والغفلة.

العقيدة: تذكّر السورة الإنسان دوماً بالموت و**الحساب النهائي أمام الله**، وأن كل عمل وكل دافع سيكشف عنه يوم القيامة. هذا التذكير يعيد ترتيب أولويات الحياة ويربط السلوك الشخصي بالعقيدة الصحيحة.

التربية الإيمانية: تدعو السورة إلى **تطهير القلب من الغرور وحب الذات والمال**، والعمل على إصلاح النفس، ومراجعة القيم، والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى فساد الأخلاق والانعزال عن الحق، لتكون الحياة فرصة للنجاة والفلاح الأبدي.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة، **العصر**، قدّمت خطة قرآنية متكاملة للنجاة من الخسارة، محددةً شروطها الأربعة: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، لتكون طريقًا عمليًا لحياة متوازنة وناجية.

أما **الهمزة**، فتأتي كمثال حي على من أهمل هذه الخطة، **فغرق في الخسارة الكاملة. فهي** تظهر أثر الانحراف الأخلاقي والانشغال بالدنيا على الإنسان الذي لم يستثمر وقته في الطاعة والعمل الصالح، فتصوره السورة يغرق في همز ولمز، وحب المال، ويصير معرضًا للعذاب والدمار.

السورتان معًا تكملان البناء القرآني في توجيه الإنسان بين اتباع خطة النجاة أو الانغماس في الخسارة.

خاتمة سورة الهمزة

تختم السورة بتحذير صارخ ودرس عميق لكل قلب غافل: السخرية والطعن في الناس، وحب المال بلا حق، طريق إلى الهلاك الأبدي. فهي تذكّر الإنسان بأن الأخلاق والقيم الداخلية أهم من أي ثروة، وأن كل كلمة وكل تصرف يُسجّل ويحاسب عليه.

سورة الفيل

الاسم والدلالة: سُمِّيت السورة بـ الفيل[1] نسبةً إلى رمز القوة العسكرية التي اعتمد عليها أبرهة وجيشه، في محاولة لهدم الكعبة المشرفة. ولم يكن الفيل هنا مجرد حيوان، بل علامة على التفوق المادي الكاسح في ميزان البشر.

وتأتي التسمية لتُخلِّد المفارقة الكبرى: قوةٌ ظُنّ أنها لا تُقهر، سُحقت بلا مواجهة بشرية، وبلا سلاح تقليدي، لتبقى الحادثة شاهدًا خالدًا على أن موازين السماء غير موازين الأرض. إن السورة تذكير تاريخي بمعجزة النصر الإلهي الخالص، نصرٍ لم تصنعه الجيوش المؤمنة، ولم تُدِره خطط البشر، بل تولّاه الله مباشرة، حين تعلّق الأمر ببيته ودينه.

المقصد العام للسورة:

تقرير قاعدة كبرى من قواعد السنن الإلهية: أن الله سبحانه هو الحافظ لدينه، والناصر لبيته، والرادّ لعدوان المتجبرين، مهما بلغ سلطانهم، ومهما استندوا إلى أسباب القوة الظاهرة.

فالسورة تُبطل وهم الطغيان، وتُسقط أسطورة القوة المطلقة، وتغرس في وعي المؤمن أن مكر المتكبرين لا يصمد أمام إرادة الله، وأن العدوان إذا وُجِّه إلى المقدسات، فإن السماء تتكفّل بالرد، بوسائل قد لا تخطر على بال البشر.

البنية الموضوعية للسورة

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الفيل لافتتاحها بالتذكير بقصة أصحاب الفيل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ}؟ أي ألم تعلم علم اليقين ماذا صنع ربّك العظيم القدير بأبرهة الحبشي قائد اليمن وأتباعه الذين أرادوا هدم البيت الحرام؟!" وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص403.

المحور الأول (الآيات 1–2): **تذكير بالنصر الإلهي على أصحاب الفيل**

تفتتح السورة باستفهام تقريري يوقظ الذاكرة الجماعية ويستحضر حدثًا معلومًا لا مجال لإنكاره: فعل الله بأصحاب الفيل. فالخطاب لا يطلب علمًا جديدًا، بل يرسّخ يقينًا ثابتًا، ويُعيد قراءة التاريخ من زاوية سننية عقدية، حيث يظهر أن التخطيط البشري مهما بلغ، إذا صادم إرادة الله، انقلب وبالًا على أصحابه، وصار كيدهم في تضليل وخسران.

المحور الثاني (الآيات 3–4): **أداة الهلاك: طير أبابيل**

ينتقل السياق من تقرير النتيجة إلى بيان الأداة، لا لتعظيم الوسيلة في ذاتها، بل لتكريس المفارقة: أدوات هلاك غير مألوفة، بسيطة في ظاهرها، لكنها مسخرة بأمر الله. فالطير الأبابيل لا تمثل قوة عسكرية تقليدية، وإنما تجسيد لمعنى التسخير الإلهي، حيث تتحول أضعف الكائنات في نظر البشر إلى جنود فاعلين حين تتنزل بها إرادة الله.

المحور الثالث (الآية 5): **النتيجة النهائية: الإبادة التامة للعدو**

تُختَم السورة بمشهد الحصاد الأخير: عدوٌّ كان يتوهم السيطرة والهيمنة، ينتهي إلى حالة من التفتت والانهيار الكامل، كالعصف المأكول. وهي صورة بالغة الدقة، لا تكتفي بذكر الهزيمة، بل تصف التفكك النفسي والمادي والمعنوي، لتؤكد أن من يعادي الله وبيته لا يُهزم فقط، بل يُمحى أثره وتُسلب هيبته، ويغدو عبرة للتاريخ.

إن هذه البنية المحكمة تجعل سورة الفيل نموذجًا قرآنيًا مكثفًا لسنّة الحماية الإلهية، وسقوط الطغيان، وانتصار الحق بلا اعتماد على الأسباب البشرية الظاهرة.

(1): التذكير بالحدث العظيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ ...﴾ تفتتح السورة باستفهام تقريري يحمل في طياته معنى اليقين لا الاستفهام؛ فـ «*ألم تر*» لا تعني الرؤية البصرية فقط، بل الرؤية القلبية والعقلية، أي: ألم تدرك وتعي وتستحضر حقيقة ما جرى؟

إنه استدعاء لحدث محفور في الذاكرة الجماعية، لا يحتاج إلى برهان جديد، وإنما إلى إعادة قراءة بمنظار الإيمان والسنن.

وتأتي إضافة الفعل إلى ﴿رَبُّكَ﴾ لتثبيت العلاقة بين العناية الإلهية وبين الرسول ﷺ وأمته، وكأن الخطاب يقول: الذي حفظ بيته بالأمس هو ربك اليوم، ولن يتخلى عن دينه أبدًا.

ثم يأتي تفصيل الحدث لا بوصف المعركة، بل بكشف مصير **الكيد**: خطط محكمة، إعداد عسكري، قوة سياسية، رهانات دقيقة... لكنها انتهت إلى *تضليل*، أي إلى ضياع تام، وانقلاب المقاصد، وسقوط المشروع من داخله قبل أن يُنفَّذ.

الرسالة الاستراتيجية:

القوة المادية مهما بلغت، تبقى خاضعة لسلطان الله.

فالعدو لا يُهزم فقط حين يُكسر سلاحه، بل حين يُضلَّل كيده، وتفشل خطته، ويتحول ذكاؤه العسكري إلى عبث بلا ثمرة.

(2): أداة النصر غير المتوقعة

﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤﴾ بعد تقرير النتيجة في المقطع الأول، ينتقل السياق إلى بيان *الوسيلة*، لا لتعظيمها في ذاتها، بل لتعميق الصدمة في الوعي البشري.

فالأداة لم تكن جيوشًا ولا فرسانًا ولا سلاحًا متطورًا، بل **طيرًا أبابيل**: جماعات متتابعة، صغيرة الحجم، لا تُحسب في ميزان القوة الأرضية.

وهنا تتجلى سنة إلهية دقيقة:

الله لا يلتزم في نصره بالأسباب التي يعظمها البشر، بل قد يختار أضعفها في نظرهم، ليكسر من خلالها غرور القوة، ويُسقط وهم السيطرة.

أمــا **حجـــارة مـــــن ســـــجيل** فليســـت مجـــرد أدوات قتـــل، بـــل رســـالة مركبـــة: عذاب مقدر، محسوب، موجه بدقة، لا عشوائية فيه، ولا فوضى. كل حجر يعرف هدفه، لأن الأمر ليس طبيعيًا، بل إلهيًّا مباشرًا.

الرسالة الاستراتيجية:

النصر لا يرتبط بحجم الأداة، بل بمرسلها.

قد يأتي النصر من حيث لا يُحتسب، وعلى يد ما يُستصغر، لكن حين يكون بأمر الله، يتحول الضعيف إلى قوة ساحقة، ويصير المستضعف جنديًا في معركة الحق.

(3): النهاية المدمرة

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ تُختَم السورة بصورة بصرية بالغة القسوة في معناها، لا تكتفي بوصـــــف الهزيمـــــــة، بـــــل تُمعـــــن فـــــي إهانـــــة الجبـــــروت.

فـ **العصف المأكول** ليس مجرد نبات محطم، بل بقايا فتات داسه الحيوان ومضغه ثم تُرك بلا قيمة، و لا وزن له ولا أثر.

وهنا لا تتحدث الآيات عن الموت فقط، بل عن التحلل، والانكسار، وسقوط الهيبة، وتبخر الصـــــورة التـــــي كـــــان الطغـــــاة يرهبـــــون بهـــــا النـــــاس.

إنها نهاية لا تحفظ للعدو حتى شرف الهزيمة، بل تحوله إلى عبرة ممتهنة في سجل التاريخ.

الرسالة الاستراتيجية:

جبروت الظالم، مهما تضخم، لا يصمد أمام أمر الله.

ومن يظن أن القوة تحميه من السقوط، قد ينتهي إلى صورة من الذل لا تخطر له على بال، ليكون درسًا دائمًا لكل متكبر.

خلاصة تفسير سورة الفيل

مجال العقيدة: ترسّخ سورة الفيل أصلًا عقديًا عظيمًا، يتمثل في **الثقة المطلقة بحفظ الله لدينه وبيته.** فالسورة لا تُعلِّم المؤمن أن الله قادر فحسب، بل تُثبّت في قلبه أن الحفظ الإلهي سنة جارية لا تنقطع، وأن هذا الدين لا يقوم على حماية البشر له، وإنما يقوم على تكفّل الله سبحانه بصيانته، مهما تكاثرت عليه قوى العدوان.

مجال السياسة: تقدّم السورة درسًا سياسيًا بالغ العمق، يتمثل في **تحطيم وهم القوة المادية.** فالتفوق العسكري، والهيمنة السياسية، والتخطيط المحكم، كلها عناصر قد تبدو حاسمة في منطق البشر، لكنها لا تضمن النصر إن صادمت إرادة الله. ومن هنا تحذر السورة من الاغترار بالقوة، وتؤكد أن مشاريع الظلم والتوسع مهما بدت راسخة، تحمل في داخلها بذور سقوطها.

مجال التربية:

تغرس سورة الفيل في النفس المؤمنة **اليقين بأن النصر من عند الله وحده،** لا من الأسباب المجردة. فهي تربي القلب على عدم التعلق بالوسائل، وعدم اليأس عند ضعف الإمكانات، وعدم الافتتان عند توفرها. فالمؤمن يُطالَب بالأخذ بالأسباب، لكنه يتعلم من هذه السورة أن قلبه يجب أن يبقى معلقًا بمسبب الأسباب، لا بها.

مجال التاريخ: تُحوِّل السورة الحدث التاريخي إلى **شاهد دائم على الحماية الإلهية**، لا مجرد قصة تُروى. فواقعة الفيل ليست ذكرى زمنية، بل علامة سننية، تتجدد دلالتها كلما ظن طاغية أن بإمكانه العبث بالمقدسات، أو الاعتداء على دين الله دون حساب، والتاريخ هنا يصبح وعاءً للعبرة، لا سجلًا جامدًا للأحداث.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: الهمزة تأتي سورة الهمزة لتُقرِّر مصير الفرد المفسد المتكبر، الذي يجمع المال ويعدّه، ويظن أن ما يملكه يمنحه الخلود والمنعة. فهي سورة وعيد شخصي مباشر، يفضح الطغيان الأخلاقي والسلوكي، ويكشف أن الاستهزاء بالناس، وإفساد القيم، والتعالي بالمال، كلها مسالك تؤدي إلى الهلاك، ولو بدا صاحبها آمنًا في الظاهر.

فالهمزة تُعالج نموذج الطغيان الفردي، حيث ينحرف الإنسان في ذاته، ويتحول الفساد إلى سلوك يومي، ويُصاغ الوعيد بأسلوب يواجه الضمير مباشرة، دون وساطة التاريخ أو الجماعة.

البناء القرآني مع سورة الفيل

بعد تقرير الوعيد الفردي في سورة الهمزة، ينتقل القرآن انتقالًا محكمًا إلى **سورة الفيل** ليعرض مثالًا تاريخيًا عمليًا لهلاك الطغاة، لكن هذه المرة على مستوى **الجماعة والكيان السياسي**. وكأن السياق القرآني يقول: إن كان الفرد المتكبر موعودًا بالهلاك، فإن الكيانات المعتدية، حين تتجرأ على حرمات الله، ليست بمنأى عن هذا المصير، بل قد يكون عقابها أعظم وأظهر.

ففي الهمزة تهديد غيبي مستقبلي، وفي الفيل توثيق تاريخي ماضٍ، ليكتمل المشهد بين الوعد والواقع، وبين الإنذار والتنفيذ.

خلاصة الربط البنائي

الهمـــزة تمثـل الوعيـد الفـردي للمسـتهزئين والمفسـدين فـي السـلوك والأخـلاق، أما **الفيل** فتمثل الوعيد الجماعي للمعتدين على حرمات الله ومقدساته.

وبهذا الترتيب البديع، ينتقل القرآن من تهذيب الفرد، إلى تحذير الجماعة، ومن إصلاح الداخل الأخلاقي، إلى ضبط السلوك السياسي والعسكري، ليؤكد أن سنن الله في العقاب لا تفرق بين فردٍ طغى بنفسه، أو أمةٍ بغت بقوتها، إذا تجاوز الجميع حدود الله.

للتأمل الذاتي

هل أستحضر حقًّا أن النصر لا يُقاس بعددٍ ولا عتاد، وأن موازين السماء تختلف جذريًا عن موازين الأرض، وأن إرادة الله إذا حضرت سقطت كل الحسابات البشرية؟ وهل ينعكس هذا الاستحضار في ثباتي عند الشدة، وهدوئي عند اختلال الموازين، وعدم اضطرابي حين أرى الباطل متفوقًا في الظاهر؟

وكيف أتعامل مع دروس التاريخ: هل أقرؤها كحكايات مضت، أم كرسائل حيّة موجهة إليّ اليوم؟ وهل أبني من تلك الوقائع يقينًا متجددًا بأن الله لا يترك الحق، ولا يخذل أهله، وأن سننه لا تتبدل وإن تبدلت الوجوه والظروف؟

ثم في تفاصيل حياتي اليومية، ومواقفي الصغيرة قبل الكبيرة: أين أقف؟ هل أكون – بوعي أو بغير وعي – في صف حماة الحق، المدافعين عن القيم، الصابرين على طريق الاستقامة؟ أم أن بعض اختياراتي تضعني في موقع المعتدي، أو المتفرج الصامت، أو المبرر للباطل حين تكون كلفته أقل؟

إن سورة الفيل لا تطلب منا الإعجاب بالحدث، بل محاسبة الذات في ضوئه، حتى يتحول التاريخ إلى مرآة، ويصير الإيمان موقفًا عمليًا لا مجرد قناعة ذهنية.

خاتمة السورة

تُغلق سورة الفيل آياتها القصيرة على حقيقة كبرى لا تقبل الجدل: أن الله سبحانه هو الحارس الحقيقي لدينه، والمتكفّل بحماية مقدساته، وأن الطغيان مهما تجبّر، إذا واجه حدود الله، سقط سقوطًا مدويًا لا يحتاج إلى جهد بشري مباشر. فالقضية ليست في حجم القوة، ولا في كثافة العتاد، بل في الجهة التي تقف خلف المشهد وتديره.

وتؤكد السورة، في ختامها، أن التاريخ ليس سجلًا محايدًا للأحداث، بل ميدانًا تتجلى فيه سنن الله، وأن ما جرى لأصحاب الفيل ليس استثناءً عابرًا، وإنما نموذج متكرر لكل من يعتدي على حرمات الله أو يظن أن الهيمنة المادية تمنحه حصانة من العقاب.

وبهذا الختام، تزرع سورة الفيل في قلب المؤمن طمأنينة عميقة، وفي وعي الأمة يقظة دائمة: طمأنينة بأن الحق محفوظ بعناية الله، ويقظة من الاغترار بالقوة أو الاستهانة بالسنن. إنها سورة قصيرة في ألفاظها، عظيمة في رسائلها، تُعلِّم أن من تولّى الله أمره فلا خوف عليه، وأن من خاصم الله، ولو امتلك أسباب الدنيا كلها، فمصيره إلى زوال واندثار.

سورة قريش

الاسم والدلالة: قريش[1] هي القبيلة التي اصطفاها الله لسدانة الكعبة، وجعلها في قلب الجزيرة العربية، ومركزًا للقيادة الدينية والاقتصادية. وتحمل التسمية في ذاتها تذكيرًا بالمسؤولية قبل التشريف، وبأن الامتياز الذي حظيت به قريش لم يكن نابعًا من ذاتها، وإنما من اختيار إلهي رتّب عليه واجبات عظيمة.

المقصد العام للسورة:

ترسيخ مبدأ الشكر العملي، من خلال **تذكير قريش بنعمة الأمن بعد الخوف، والرزق بعد الحاجة**، ودعوتهم الصريحة إلى عبادة الله وحده، بوصفه المنعم الحقيقي، لا الأصنام ولا الأعراف ولا المصالح.

فالسورة تؤسس لقاعدة قرآنية واضحة: أن النعمة إذا لم تُقَد إلى العبادة، انقلبت حجة على أصحابها، وأن الأمن والرزق ليسا غاية في ذاتيهما، بل وسيلة لمعرفة المنعم وتعظيمه والخضوع له.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآيات 1–2): الاعتياد على رحلتي الشتاء والصيف

تفتتح السورة بتذكير قريش بنعمة أصبحت في وعيهم أمرًا اعتياديًا مألوفًا، حتى كادت تفقد قيمتها الشعورية، وهي نعمة انتظام رحلتي الشتاء والصيف. فهذا الإيلاف لم يكن مجرد حركة تجارية، بل منظومة أمن واستقرار واقتصاد، أُتيح لهم فيها ما لم يُتح لغيرهم في بيئة يسودها الخوف والاضطراب.

---

[1] قال الفيروز آبادي:" سمّيت سورة قريش؛ لذكر أُلفتهم فيها." مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1ص545.

ويكشف هذا المحور عن خطر الاعتياد على النعمة؛ إذ تتحول المنحة الربانية إلى واقع يومي لا يُسأل عن مصدره، ولا يُربط بالمنعم الحقيقي، فتغيب الشكرية، ويحل محلها الاطمئنان الغافل.

المحور الثاني (الآيات 3–4): الأمر بعبادة رب البيت الذي أطعمهم وآمنهم

بعد استحضار النعمة، ينتقل السياق انتقالًا منطقيًا حاسمًا إلى التكليف، فيُوجَّه الأمر الصريح بعبادة **رب هذا البيت**، لا على أساس المجرد العقدي، بل على قاعدة الامتنان الواقعي. فالذي يُطالب بالعبادة هو ذاته الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.

وتأتي العبادتان – الإطعام والأمن – بوصفهما أعظم حاجتين للإنسان، فإذا تحققتا، قامت الحياة، وإذا اختلّتا، انهارت كل مظاهر الحضارة. ومن هنا تُبنى الحجة: من منح أساس الوجود المادي والاجتماعي، فهو الأحق وحده بالخضوع والعبادة.

(1): الامتنان على نعمة الاستقرار الاقتصادي

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١...﴾ تفتتح سورة قريش بتذكير دقيق بنعمة محورية في حياتهم، وهي نعمة **الإيلاف**؛ أي الألفة والاستقرار والاعتياد المنتظم، لا الفوضى ولا الاضطراب. فهذا الإيلاف لم يكن حالة نفسية فقط، بل نظامًا اقتصاديًا متكاملًا، قائمًا على رحلتين تجاريتين منظمتين: رحلة إلى اليمن شتاءً، حيث الدفء والأسواق، ورحلة إلى الشام صيفًا، حيث الرواج والتبادل الواسع.

ويُلفت السياق إلى أن هذا النظام لم يكن أمرًا طبيعيًا في بيئة قبلية مضطربة، تعيش على الغزو وقطع الطريق، بل كان امتيازًا خاصًا لقريش، مكّنها من تحقيق رخاء اقتصادي، ومكانة سياسية، وهيبة اجتماعية جعلت قوافلها تمر آمنة حيث يخاف غيرها.

والأخطر في الدلالة أن هذه النعمة تحولت مع الزمن إلى واقع مألوف، لا يُساءل عن مصدره، ولا يُربط بحفظ الله للبيت، ولا بحمايته لقريش نفسها. فجاء الخطاب القرآني ليكسر رتابة الاعتياد، ويعيد ربط الاقتصاد بالعقيدة، والرزق بالمنعم، والاستقرار بالإرادة الإلهية.

الرسالة الاستراتيجية:

قريش تمتلك نظامًا اقتصاديًا وتجاريًا منظمًا،

يتنقل بين اليمن شتاءً والشام صيفًا،

فجلب لها الرخاء، والنفوذ، والهيبة في الجزيرة،

لكن هذا كله ليس ثمرة عبقريتها وحدها، بل نتيجة عناية إلهية خفية تحفظ المسار وتؤمّن الطريق.

(2): دعوة لعبادة المنعم وحده

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

بعد استحضار النعمة، ينتقل الخطاب انتقالًا حاسمًا من الامتنان إلى التكليف. فلا يكتفي القرآن بتذكير قريش بما تملكه، بل يحدد لها بوضوح ما يجب أن يترتب على ذلك: **العبادة الخالصة**.

وتأتي العبادة هنا مرتبطة بـ **رب هذا البيت**، في إحالة مباشرة إلى الكعبة التي حماها الله، والتي كانت سببًا في أمنهم وهيبتهم بين العرب.

ويُفكك النص وهم الأسباب الظاهرة؛ فليس الأمن ثمرة التحالفات، ولا الرزق نتيجة الذكاء التجاري وحده، بل كلاهما منحة إلهية: إطعام بعد جوع، وأمن بعد خوف، وهما أعظم حاجتين يقوم عليهما وجود الإنسان واستقرار المجتمع.

وتبرز هنا الرابطة العميقة مع سورة الفيل: فالذي حفظ البيت من العدوان الخارجي، هو ذاته الذي وفّر لقريش الأمن الداخلي والرزق المستمر. ومن لم يدرك هذه العلاقة، فقد فصل النعمة عن المنعم، ووقع في جوهر الانحراف العقدي.

الرسالة الاستراتيجية:

الأمن والرزق لا يصنعهما السلاح، ولا التحالفات، ولا الذكاء الاقتصادي المجرد،

بل يصدران عن رب البيت الذي حماه،
ومن هنا فإن الشكر الحقيقي لا يكون بالكلام، بل بتوحيد العبادة، والخضوع للمنعم وحده.

خلاصة تفسير سورة قريش

مجال العقيدة: تؤكد السورة على **وجوب عبادة الله شكرًا على نعمه**، فالعبادة هنا ليست مجرد طقوس، بل استجابة طبيعية للمنعم الذي منح الأمن والرزق. فهي تربط مباشرة بين النعمة والاعتراف بالمنعم، فتجعل الشكر عملاً تعبديًا يترجم الامتنان إلى موقف روحي ثابت.

مجال السياسة: تُبرز السورة أن **الأمن الاقتصادي والسياسي منحة إلهية**، وليس حصيلة قوة بشرية أو تحالفات سياسية فقط، فالنظام التجاري المنتظم، ونجاح قوافل قريش، واستقرار الجزيرة، كلها ظواهر مادية، لكنها قائمة على حماية الله للبيت والمنعم على عباده، وهذا يضع القادة والمسؤولين أمام حقيقة أن الرخاء والاستقرار لا يُستثمران إلا بالامتثال لمنهج الله.

مجال التربية: تعلم السورة المؤمن أن **ربط النعم بالمنعم لا بالمسببات** هو الأساس في التربية القرآنية. فالاعتماد على القوة أو الذكاء وحدهما خداع، بينما الربط الصحيح بين الأمن والرزق وبين الله يرسخ يقينًا مستمرًا ويزرع الاتكال الحقيقي، الذي يُبقي النفس رصينة ومستقرة وسط تقلبات الحياة.

مجال التاريخ: تذكّر السورة بأن **النعم قد تزول إن لم تُشكر**. فالنعمة ليست مجرد حالة مستمرة تلقائية، بل اختبار مستمر للمؤمن، ومراقبة لوعي الأمة. فالتاريخ ليس فقط سردًا للأحداث، بل وعاء للعبرة، يبين أن الامتنان والعبادة هما ضمان استمرار النعم، وأن الغفلة قد تؤدي إلى زوالها مهما كانت مادية الحياة متينة.

وبهذا، تختصر سورة قريش درسًا مركزيًا: الأمن والرزق هبّة إلهية، والعبادة والاستقامة طريق الحفاظ عليهما، والنعم دون شكر تتحوّل إلى اختبار يعرض الإنسان وفكره للمساءلة والتقويم.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: الفيل تخاطبنا سورة الفيل في المقام الأول بحقيقة الحماية الإلهية للبيت الحرام من العدوان الخارجي، موضحة أن القوة البشرية مهما عظمت، لا تستطيع الوقوف أمام إرادة الله. فهي تقدم نموذجًا حيًّا لكيفية تدخل الله لحماية المقدسات، وتحطيم جبروت المعتدين، مع تصوير واضح للنتيجة المدمرة لكل من يتجاوز حدوده في التعدي على حرمات الله.

البناء القرآني: قريش تأتي سورة قريش مباشرة بعد الفيل لتكمل البناء القرآني، من حماية البيت إلى **شكر صاحب البيت** بالعبادة وحده. فبعد أن رأى الإنسان كيف تولّى الله حماية بيته من المعتدين، يحثّه القرآن على أن يعكس هذا الامتنان في موقف عملي: عبادة الله الذي أنعم عليه بالأمن والرزق. وهنا يكتمل المنطق القرآني: من التدخل الإلهي في حفظ المقدسات، إلى الالتزام الفردي والجماعي بالشكر والعبادة، رابطًا بين النعمة، والمنعم، والتكليف.

بهذا الترتيب، نرى أن القرآن لا يكتفي بسرد الأحداث، بل يربط **السنن الإلهية بالواجبات العملية للمؤمنين**، ليجعل التاريخ والواقع مدرسة للعبرة، من حماية البيت إلى شكر المنعم.

للتأمل الذاتي

هل أعي تمامًا أن النعم من حولي ليست مجرد صدفة أو حصيلة جهد بشري، بل **منح إلهية تستحق التقدير والشكر**؟ وهل أمارس وعيًا يوميًا يجعلني أربط بين ما أملكه وبين المنعم الحقيقي، فلا أغتر بالوسائل ولا أنسى أن المصدر هو الله وحده؟

وكيف أترجم هذا الامتنان إلى واقع عملي؟ هل أجد في الشكر طريقًا للحفاظ على النعم، بجعل العبادة والخضوع لله أساس حياتي، كما أرشد القرآن قريش بعد نعمة الأمن والرزق؟ وهل أعيش شعور **الأمن الداخلي والاستقرار** بالثقة في الله، أم أترك نفسي أسيرًا للقلق والخوف أو للاعتماد على وسائل بشرية لا تضمن استمرارية النعم؟

خاتمة السورة

تُختتم سورة قريش برسالة مركزية واضحة: أن نعمة الأمن والرزق **هدية إلهية تستوجب العبادة الخالصة لله وحده**، فهي ليست امتيازًا طبيعيًا أو نتيجة للقدرة البشرية، بل اختبار مستمر للوعي والشكر.

وبخاتمتها، يترك القرآن للمؤمن يقينًا مطلقًا بأن النعم الحقيقية **محمية بربها**، وأن دوامها مرتبط بالاعتراف بالمنعم وعبادته، وبذلك يتحول الامتنان إلى عبادة، والاستقرار إلى ثقة راسخة، ليصبح الإنسان في حالة دائمة من الوعي الروحي، المتصل بالله في أمنه ورزقه.

سورة الماعون

الاسم والدلالة: **الماعون**[1] هو الشيء القليل من الخير والنفع المتبادل، مثل أدوات البيت الصغيرة التي تُعان بها الناس، أو ما يُعطى بسهولة ويقين للغير. واختيار هذا الاسم يسلط الضوء على نقطة دقيقة: **الحرمان من أبسط الحقوق والخيرات مؤشر على فساد القلب**، وأن من يمتنع عن المساعدة لا يمكن أن تكون عبادته حقيقية، مهما ظهر من شعائر.

فالاسم نفسه يحمل **رسالة تربوية قوية:** ليس المطلوب الكمال، بل مجرد أفعال بسيطة تظهر الرحمة والمودة، وإذا غابت هذه الأمور، كان ذلك علامة على النفاق الاجتماعي والديني.

المقصد العام للسورة:

تؤكد سورة الماعون على **ضرورة ربط العبادة بالسلوك العملي**، وتحذر من أولئك الذين ينحصر دينهم في المظاهر والشعائر فقط، دون أثر ملموس في حياتهم مع الناس. فالعبادة الحقيقية ليست في الأداء الرمزي وحده، بل في **التأثير الإيجابي على الآخرين**، وفي الحرص على تقديم المعروف والمساعدة، حتى بأبسط صورها.

وهكذا، تُبرز السورة **الجانب الاجتماعي للدين**، وتضع معيارًا عمليًا للصدق الإيماني: إذا لم يظهر الإيمان في التعامل مع الناس، فإن الشعائر وحدها لا تكفي، بل تصبح علامة على النفاق والبعد عن روح الدين.

---

[1] قال الزحيلي:" سميت سورة الماعون، لأن الله تعالى ذم في نهايتها المدنية الذين يمنعون الماعون: {وَيَمْنَعُونَ الْماعُونَ} [٧] كالساهين عن الصلاة، والمنافقين. والماعون: ما يستعيره الجار من جاره من أدوات الطبخ، كالقدر والملح والماء، وآلات الحراثة والزرع، كالفأس والدلو، ووسائل الخياطة كالإبرة والخيط ونحو ذلك من كل ما يستعان وينتفع به من المنافع السريعة. وتسمى أيضا سورة الدّين للنعي في مطلعها المكي على الذي يكذب بالدّين، أي الجزاء الأخروي." وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص419.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآيات 1–3): **فضح من يكذب بالدين عبر قسوة قلبه تجاه اليتيم والمسكين**

تفتتح السورة بكشف مباشر لمن يدّعي الدين ولكنه يظهر قسوة القلب في التعامل مع الضعفاء والمحتاجين. فالخطاب القرآني يربط بين **الإيمان الحقيقي والتعاطف الاجتماعي**، ويبرز أن مجرد الادعاء بالعبادة لا يغني عن الحقائق الأخلاقية في الحياة اليومية.

الآيات هنا تكشف عن **الجانب النفسي والقلبي للنفاق**: من يعجز عن الرحمة باليتيم والمسكين، ويغلق قلبه عن أبسط صور العون، لا يمكن أن يكون مؤمنًا صادقًا، مهما كانت شعائره ظاهرية.

المحور الثاني (الآيات 4–6):

التحذير من المصلين بلا خشوع ولا التزام حقيقي

تنتقل السورة بعد ذلك إلى الكشف عن **النفاق في الطقوس الدينية**، حيث يظهر الشخص متدينًا ظاهرًا في صلاته، لكنه يفتقد الخشوع والانقياد الداخلي لأوامر الله. وهنا يظهر الرابط البنائي: النفاق لا يقتصر على التعامل الاجتماعي مع المحتاجين، بل يمتد إلى **العبادة الرمزية بلا أثر عملي**. فالآيات تذكّر بأن الصلاة بلا التزام حقيقي وقلب خاشع تصبح مجرد مظاهر فارغة، تكشف عن قلب بعيد عن روح الدين.

المحور الثالث (الآية 7):

علامة النفاق الاجتماعي: منع الماعون

تختم السورة ببيان **رمز صغير ولكنه دال:** الامتناع عن تقديم الماعون، أي أبسط صور المعروف والعون المتبادل، كإشارة على النفاق الاجتماعي والديني.

فالرسالة هنا دقيقة: من يمتنع عن الخير البسيط، حتى لو كان قليلًا، يكشف بذلك عن **فساد داخلي** وعلاقة مع الله غير صحيحة، وهو امتداد طبيعي لما جاء في الآيات السابقة: قسوة القلب تجاه اليتيم، المظاهر الدينية الفارغة.

بهذه البنية، تربط سورة الماعون **بين النفاق الاجتماعي والديني، وبين فساد القلب والسلوك العملي**، لتؤكد أن العبادة الحقيقية تظهر في **الرحمة، والخشوع، والخدمة العملية للآخرين**، وليس في المظاهر وحدها.

(1): تعريف المكذب بالدين سلوكًا

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ...﴾ التكذيب بالدين هنا ليس مجرد إنكار لفظي، بل هو **سلوك يظهر فساد القلب وازدواجية الموقف**. فالآيات تبيّن أن من يدّعي الدين ويخادع الناس، يظهر ذلك في أفعاله تجاه الضعفاء: **يدفع اليتيم عن حقه، ولا يحضّ على إطعام المسكين.**
وهكذا يتحول التكذيب إلى مؤشر عملي على النفاق الداخلي، لا مجرد كلمات أو شعائر.

الرسالة الاستراتيجية:
الدين الحق يظهر في **الرحمة العملية والمساعدة الواقعية للآخرين**، لا في الادعاءات أو المظاهر الشكلية.

(2): التحذير من العبادة الشكلية

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ...﴾الآيات التالية تكشف عن جانب آخر من النفاق: العبادة التي لا تؤثر في القلب أو السلوك. فالمصلون الذين يُصلّون بلا وعي أو خشوع، أو لأجل المظاهر والرياء، هم **أمثلة حية على العبادة الشكلية** التي تفتقد إلى الصدق الداخلي.

الرسالة الاستراتيجية:

العبادة الحقيقية **تغيّر السلوك**، وتثمر أثرًا على العلاقة مع الآخرين، والرياء يهدمها ويحوّلها إلى مجرد مظاهر فارغة.

(3): النفاق الاجتماعي

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝٧﴾ تختم السورة بالرمز العملي للفساد الاجتماعي: **الامتناع عن أبسط صور المعروف والمساعدة**، حتى لو كانت قليلة، مثل الأدوات الصغيرة التي تُعان بها الناس. فبخل الإنسان في الأمور الصغيرة يعكس **عدم صدقه الداخلي وانحرافه الاجتماعي**، ويكشف أن قلبه بعيد عن الرحمة والعدل.

الرسالة الاستراتيجية:

من لا ينفع الناس في القليل، **لن ينفعهم في الكثير**، ومن امتنع عن الماعون فقد أظهر نفاقه بكل وضوح.

خلاصة تفسير سورة الماعون

مجال العقيدة: توضح السورة أن **الإيمان الصادق يقترن بالعمل والرحمة**، فلا يكفي الاعتقاد أو الادعاء، بل يجب أن يُترجم الإيمان إلى سلوك ملموس يظهر في التعامل مع الآخرين، خصوصًا الضعفاء والمحتاجين.

مجال التربية: تؤكد السورة أن **رعاية اليتيم والمسكين أساس الدين**، فهي معيار عملي لصدق القلب، ووسيلة لترسيخ القيم الأخلاقية في الفرد والمجتمع، وتفصل بين الإيمان الظاهر والنية الصادقة.

مجال العبادة: توضح السورة أن **الصلاة بلا خشوع**، أو بلا أثر في السلوك اليومي، **عمل فارغ**، لا يقبله الله، وتُحذر من المظاهر الشكلية للعبادة التي لا ترتبط بالرحمة والتقوى.

مجال المجتمع: تسلط السورة الضوء على أن **التعاون مع الناس، حتى في أبسط الأمور، جزء من الدين الحقيقي.** فالامتناع عن المعروف أو الماعون دليل على فساد داخلي ونفاق اجتماعي، والحق يُظهر في **العمل الصغير الذي يعكس الرحمة والصدق**.

وبذلك، تختصر سورة الماعون درسًا مركزيًا: **الإيمان الحقيقي مسؤولية عملية، تظهر في الرحمة، والصدق، والتعاون، والعبادة الخالصة، وليس في الادعاء أو المظاهر وحدها.**

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: قريش تخاطبنا سورة قريش بالأساس حول **شكر النعم بعبادة الله وحده**، بعد أن رأينا في سورتي الفيل وقريش كيف تولّى الله حماية بيته ووفّر الأمن والرزق لأهله. فالسورة تذكّر أن الامتنان للمنعم لا يكتمل إلا بالعبادة الخالصة، وهو انتقال منطقي من التقدير العقلي للنعم، إلى الاعتراف العملي بالمنعم.

البناء القرآني: الماعون

تأتي سورة الماعون لتأخذ هذا البناء خطوة أخرى، من **العبادة الخالصة في القلب** إلى **تجسيدها في العمل الاجتماعي.** فبعد أن أمر القرآن قريش بعبادة الله شكرًا على النعم، تحذر الماعون من من يعبد الله بالكلام أو الشعائر فقط، دون أن يظهر أثر هذا الإيمان في **الرحمة بالناس وخدمة الضعفاء.**

للتأمل الذاتي

هل أتفقد صلاتي وعبادتي لأرى هل هي **تترجم إلى رحمة وعطاء حقيقي للآخرين**، أم أنها مجرد طقوس شكلية؟ وهل ينعكس إيماني في سلوكي اليومي بحيث يشعر من حولي بالخير والأمان؟

وكيف أستثمر نعمة الوعي الديني لأكون **سببًا في تيسير أمور الناس، ولو بأبسط الأشياء**، سواء بالكلمة الطيبة، أو المساعدة المادية البسيطة، أو الدعم المعنوي؟

كما أن التأمل يطلب مني أن أسأل نفسي: ما هي **صور "الماعون" في حياتي اليومية** التي يمكنني بذلها بسهولة؟ هل هي مشاركة العلم، أو الوقت، أو الطعام، أو تقديم العون للضعفاء والمحتاجين؟ وهل أعيش حياة تعكس صدق العبادة في كل فعل صغير أو كبير أقوم به؟

خاتمة السورة

تختم سورة الماعون برسالة واضحة ومباشرة: أن **العبادة الحقّة لا تكتمل إلا بالعمل الصالح والرحمة بالناس**، وأن الإيمان بلا أثر عملي في الحياة اليومية، ولو كان ظاهرًا في الشعائر، **لا يقبل ولا يرفع الإنسان عند الله.**

والسورة تجعل كل مؤمن أمام حقيقة أساسية: **الحق يظهر في السلوك، والنفاق يُكشف بالامتناع عن المعروف حتى لو كان قليلاً**. فهي دعوة مستمرة لربط الدين بالعمل، والعبادة بالقلب والسلوك، لتصبح الحياة اليومية **مرآة للصدق الإيماني**، ويظهر أثر الله في كل تعامل.

سورة الكوثر

الاسم والدلالة: الكوثر[1] تعني الخير الكثير، وهو أعظم نهر في الجنة أُعطي للنبي ﷺ. ويتسع المعنى ليشمل:

- **النبوة والرسالة:** استمرار الدعوة والهداية عبر النبي ﷺ،
- **الأتباع والمؤمنين:** الذين يثابرون على طاعة الله،
- **البركات الدنيوية والأخروية:** الرزق والنعم المستمرة في الحياة الدنيا، والأجر العظيم في الآخرة.

واختيار هذا الاسم يوضح أن الله سبحانه لا يقتصر في عطائه على ما يُرى أو يُحسب، بل يشمل كل مظاهر الخير التي تفيض على النبي ﷺ وأمته، **روحًا ومادة، دنيا وآخرة.**

المقصد العام للسورة

تركز السورة على عدة رسائل مترابطة:

1. **إظهار العطاء الإلهي العظيم للنبي ﷺ**، بحيث يفوق كل تصور بشري، ويثبت فضل الله وكرمه في الدنيا والآخرة.
2. **وجوب شكر هذه النعمة بالعبادة الخالصة**، أي التعبير عن الامتنان في القلب والسلوك، لا مجرد الادعاء أو الشعائر الشكلية.
3. **الرد القاطع على الأعداء**، من خلال وعد الله بأن عاقبتهم ستكون الهزيمة والفشل، بينما يبقى أثر النبي ﷺ وأمته محفوظًا ومباركًا.

[1]قال ابن عاشور" سُمِّيَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا وَفِي جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ أَيْضًا «سُورَةَ الْكَوْثَرِ» وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «جَامِعِهِ» . وَعَنْوَنَهَا الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» سُورَةَ: إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ وَلَمْ يَعُدَّهَا فِي «الْإِتْقَانِ» مَعَ السُّوَرِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنِ اسْمٍ. وَنَقَلَ سَعْدُ اللَّهِ الشَّهِيرُ بِسَعْدِيٍّ فِي «حَاشِيَتِهِ عَلَى تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ» عَنِ الْبِقَاعِيِّ أَنَّهَا تُسَمَّى «سُورَةَ النَّحْرِ» ." محمد الطاهر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مرجع سابق، ج30ص571.

وهكذا، تُجمع السورة بين **التوجيه العقائدي**، **والتربية العملية**، **والطمأنة التاريخية**، في صورة قصيرة ومركزة، لكنها غنية بالمعاني والدروس العملية لكل مؤمن.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآية 1):

الامتنان بالعطاء الإلهي الهائل

تفتتح السورة بالإشارة إلى **العطاء الكبير من الله للنبي ﷺ**، الذي يشمل جميع صور الخير والبركة، سواء في الدنيا أو الآخرة، أو في الرسالة والاتباع. فالآية تُذكّر أن فضل الله واسع جدًا، وأن المنعم لا يُحصى عطاؤه، ما يحث على شعور دائم بالامتنان والاعتراف بالفضل الإلهي.

المحور الثاني (الآية 2):

شكر النعمة بالعبادة والنحر

بعد بيان العطاء، يأتي التوجيه العملي للمؤمن: **شكر النعمة يكون بالعبادة الخالصة**، بما في ذلك الصلاة والطاعة، وكذلك **النحر** كرمز للوفاء بالامتنان والتعبير عن الطاعة العملية. فالآية تربط بين الشعور بالفضل الإلهي وفعله في الحياة الواقعية، فتجعل الامتنان تجربة عملية لا مجرد شعور داخلي.

المحور الثالث (الآية 3):

الرد على الأعداء وبيان مآلهم

تختم السورة بتوجيه تحذيري ورسمي للأعداء: مهما حاولوا، فإن مآلهم الفشل والهزيمة، بينما **أثر النبي ﷺ وأمته محفوظ ومبارك**. فالآية تعكس وعد الله بالحماية للحق،

وتوضح أن القوة الحقيقية ليست في البشر أو الوسائل، بل في إرادة الله وعطاءه الذي يفوق كل تصور.

(1): الامتنان بالعطاء

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ الآية تبدأ بصيغة **تعظيم وإثبات العطاء من الله ذاته،** فتؤكد أن مصدر القوة والبركة هو الله وحده.

الكوثر لا يقتصر على النهر العظيم في الجنة، بل يشمل **كل صور الخير والبركات:** النبوة، الرسالة، الأتباع، الرزق، والثبات في المهمة الإلهية.

الرسالة الاستراتيجية:

تذكير القائد (النبي ﷺ) أن **عطاء الله هو مصدر قوته وثباته،** وأن كل ما يمتلكه من تأثير ونجاح هو فضل إلهي لا يُحصى.

(2): شكر النعمة بالعبادة والنحر

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ تنتقل السورة بعد التذكير بالعطاء إلى **التوجيه العملي للشكر،** الذي يظهر في مستويين:

- **عبادة قلبية وجسدية:** الصلاة الخالصة التي تقوي العلاقة بالله، وتعبّر عن الطاعة والتقدير.
- **عبادة مالية واجتماعية:** النحر وإطعام الناس، أي شكر ملموس يظهر أثر النعمة على الآخرين.

فالآية تربط بين الامتنان والشكر العملي، وتجعل الامتنان **تجربة مستمرة في الحياة اليومية،** لا مجرد شعور داخلي أو ذكر لفظي.

الرسالة الاستراتيجية:

النعمة **تُحفظ وتزكو بالشكر العملي المتجدد**، بحيث يصبح الشكر وسيلة للحفاظ على الخير والبركة المستمرة.

(3): الرد على الأعداء

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾تختم السورة بتحذير للأعداء، وتأكيد لقوة الرسالة الإلهية: من **يكره النبي ﷺ ويعاديه** سيكون **مقطوعًا عن كل خير وذكر**، ولن يترك له أثر دائم في التاريخ.

فالآية توضح أن العداوة لا تنتج إلا الفشل والانقطاع، بينما **الحق والرسالة الإلهية ثابتان ومباركان.**

الرسالة الاستراتيجية:

الرسالة الإلهية **تمضي، والعداوة لها مآلها الانقطاع والفناء**، مهما حاول الأعداء التأثير أو التشويش، وتبقى قوة الحق وفضل الله هي الضمان الحقيقي للنجاح والبقاء.

خلاصة تفسير سورة الكوثر

مجال العقيدة: تؤكد السورة أن **الله وحده هو المعطي للعطاء الأكبر**، وأن كل ما يمتلكه الإنسان من قوة أو فضل أو مكانة، هو فضل إلهي لا يُحصى. فالإيمان الحق يرتكز على الاعتراف بهذا المصدر المطلق للخير والبركة.

مجال التربية: تُبرز السورة أن **الشكر الحقيقي يظهر بالعمل لا بالكلام فقط**، فالصلاة والنحر وإطعام الناس هي وسائل عملية لترجمة الامتنان إلى فعل ملموس، يجعل النعمة مستمرة ويعم الخير على الجميع.

مجال القيادة: توضح السورة أن **ثقة القائد بربه تحصنه أمام الأعداء**، وأن الاعتماد على الله والعطاء الإلهي يمنح القائد القدرة على الثبات في مواجهة التحديات، ويضمن له الاستمرار والنجاح في رسالته.

مجال المجتمع: تشدد السورة على أن **العبادة الحقة مرتبطة بخدمة الناس وإطعامهم**، بحيث يصبح الدين تجربة عملية تشمل القلب والسلوك، ولا يقتصر على الشعائر الفردية فقط. فالخير الذي يظهر للآخرين هو انعكاس مباشر للإيمان الحقيقي.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: الماعون تخاطبنا سورة الماعون بالأساس حول **فضح العبادة الشكلية وغياب الرحمة** في حياة الإنسان. فهي توضح أن من يعبد الله بالكلام أو الشعائر فقط، دون أثر عملي يظهر في رعاية اليتيم والمسكين، فهو بعيد عن الإيمان الحق. وهنا يضع القرآن معيارًا عمليًا للصدق الإيماني: العبادة الحقة لا تظهر إلا في **السلوك اليومي والخدمة للآخرين.**

البناء القرآني: الكوثر: تأتي سورة الكوثر لتكمل هذا المنهج، فبعد التحذير من العبادة الشكلية في الماعون، تعرض القرآن **نموذج العبادة الحقة** المقرونة بالامتنان والشكر والعطاء المستمر. فهي تعلم أن الإيمان الحقيقي يجب أن **يُترجم إلى شكر عملي وإفادة الآخرين، وفي الوقت نفسه تثبيت القائد والمؤمن أمام أعدائه.**

للتأمل الذاتي

هل أعي تمامًا **ما هي** "**أنهار الكوثر**" **التي أنعم الله بها عليّ** في حياتي، من قدرات ومواهب ونعم دنيوية وأخروية؟ وهل أترجم هذا العطاء الإلهي إلى **شكر عملي يظهر في العبادة الطاهرة والخدمة للآخرين**، أم يظل مجرد كلمات أو شعور داخلي لا أثر له؟

وكيف أوازن بين **العبادة الفردية** كالصلوات والذكر، وبين **خدمة الناس** من خلال العطاء والنحر والإطعام، بحيث يصبح شكر الله متكاملاً بين القلب والفعل والمجتمع؟ وهل أستثمر نعمة القائدية أو المسؤولية لخدمة الآخرين، مع الحفاظ على التوجه نحو الله في كل فعل؟

خاتمة السورة

تختتم سورة الكوثر برسالة مركّزة وواضحة: أن العطاء الإلهي العظيم يتطلب شكرًا عمليًا يظهر في العبادة الخالصة والخدمة الصادقة للناس، وأن عاقبة الأعداء ستكون الفشل والانقطاع، بينما يبقى أثر النبي ﷺ وأمته محفوظًا ومباركًا.

والسورة تجعل المؤمن أمام حقيقة أساسية: الإيمان الحقيقي يتجسد في الامتنان العملي والعطاء المستمر، والعبادة بلا أثر عملي لا قيمة لها، والحق يظل ثابتًا مهما حاول الأعداء التشويش أو الإضرار.

سورة الكافرون

الاسم والدلالة: **الكافرون**[1] تعني الأشخاص المصرّون على الكفر والجحود، بعد أن جاءهم البيان والهدى، وليس مجرد وصف لغير المسلمين بصفة عامة. اختيار هذا الاسم يوضح أن السورة **مخصصة لتثبيت الموقف تجاه أصحاب العقائد المخالفة**، وبيان أن الكفر ليس مجرد اختلاف، بل رفض واعٍ ومصرّ على الجحود.

المقصد العام للسورة

تركز السورة على عدة نقاط رئيسية:

1. **إعلان البراءة الكاملة من عبادة غير الله**، بحيث لا يختلط عبادة الله بالباطل، ولا يقبل المسلم أي شكل من أشكال المساومة في التوحيد.
2. **تثبيت مبدأ عدم المساومة على العقيدة**، حيث يُظهر المؤمن موقفه الصريح والواضح تجاه كل معتقدات مخالفة.

[1] قال الهرري:" سميت سورة الكافرون، لذكر لفظ (الكافرون) فيها" محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، مرجع سابق،ج32ص388.

3. **وضـوح الخطـاب مـع الحفـاظ علـى كرامـة الآخـرين**، فالرسـالة ليسـت هجوميـة للأشخاص، بل إعلان للحق والتمسك بالعقيدة دون محاباة أو خضوع.

وهكذا، تقدم سورة الكافرون **درسًا مركّزًا في العقيدة والتوحيد**، وتضع الأساس للموقف الثابت للمؤمن في مواجهة أي محاولة للخلط بين الحق والباطل.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآية 1): **الخطاب المباشر للمشركين**

تفتتح السورة بمخاطبة المشركين **بأسلوب مباشر وواضح**، لإبلاغهم بالموقف الصريح للمؤمن: لا مساومة ولا خلط بين الحق والباطل، وأن الحوار هنا **محدود لتوضيح الموقف العقدي**.

المحور الثاني (الآيات 2–5): **نفي عبادة الأصنام ونفي عبادتهم لله بحق**

تستمر السورة في بيان أن المسلمين **لن يعبدوا ما يعبد المشركون**، ولن يقبلوا أي شكل من أشكال المساواة بين عبادة الله وعبادة الأصنام.
الآيات تؤكد على أن التوحيد **مطلق، لا يتجزأ، ولا يقبل المساومة**، وأن العبادة يجب أن تكون لله وحده، بلا اختلاط أو تحريف.

المحور الثالث (الآية 6): **تقرير قاعدة الفصل العقدي: "لكم دينكم ولي دين"**

تختتم السورة بتقرير قاعدة صريحة وعامة: لكل مجموعة **دينها ومعتقدها**، ولكن للمؤمن **دين ثابت لا يتغير ولا يخضع للباطل**.
الآية تعكس **وضوح الموقف العقدي للمؤمن**، مع الحفاظ على احترام الحرية الفردية في اختيار المعتقد، دون المساس بثبات الإيمان الحق.

(1): الخطاب المباشر ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾

أمر إلهي للنبي ﷺ **بالمواجهة الواضحة**، دون مجاملة أو تردد في العقيدة. مصطلح "الكافرون" هنا **وصف عقائدي لا سبّ شخصي**، يحدد موقف المخالفين في إطار التوحيد، ويوضح أن النقاش العقدي يحتاج إلى صراحة ووضوح.

الرسالة الاستراتيجية:

القيادة الدعوية تتطلب **وضوحًا تامًا في الموقف العقدي**، حتى لا يلتبس الحق بالباطل أو يظن المخالف أن المساومة مقبولة.

(2–5): النفي المتكرر لعبادة الباطل ﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥﴾، تكرر النفي أربع مرات على مدار الآيات للتأكيد على **القطيعة العقدية المطلقة** بين منهج التوحيد ومنهج الشرك، ويشمل النفي **الماضي والحاضر والمستقبل.**

هذه الآيات تزيل أي غموض حول موقف المؤمن: **العبادة لله وحده، ولا مكان لأي نوع من المزج أو المساومة مع الباطل.**

الرسالة الاستراتيجية:

الدعوة الحق **لا تقبل أن تختلط بالباطل تحت أي ذريعة**، والنفي المتكرر يعزز وضوح الموقف ويثبت الأساس العقدي للمجتمع المؤمن.

(6): قاعدة الفصل العقدي ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

تختتم السورة بتقرير **مبدأ واضح للفصل بين منهج التوحيد ومنهج الشرك**، مع الإشارة إلى حرية الاعتقاد من جهة، ورفض أي مساومة على العقيدة من جهة أخرى.

فالآية تجمع بين **ثبات الإيمان الحقّ** واحترام حرية الآخرين، مع وضع حد واضح لكل محاولة لخلط المعتقدات.

الرسالة الاستراتيجية:

السلم الاجتماعي **لا يعني المساومة على العقيدة**، بل التأكيد على أن الموقف الحق **ثابت وواضح.**

خلاصة تفسير سورة الكافرون

مجال العقيدة: تؤكد السورة أن **التوحيد لا يقبل المساومة أو الخلط**، وأن عبادة الله وحده أساس الثبات الإيماني، ولا يمكن التنازل عن الحق مهما كانت الضغوط أو الظروف.

مجال الدعوة: تُبرز السورة أن **وضوح الخطاب العقدي** هو الأساس لتأثير الدعوة، فالبيان الصريح والصادق يحمي الرسالة ويمنع التباس المفاهيم بين الحق والباطل.

مجال القيادة: تشير السورة إلى أن **الحزم العقدي يحفظ المشروع من الذوبان**، ويضمن أن يظل القائد والمؤمنون على موقف ثابت لا يتأثر بالمغريات أو المحاولات للتقليل من شأن العقيدة.

مجال المجتمع: توضح السورة أن **التعايش مع الاختلاف ممكن مع ثبات الهوية**، بحيث يحترم كل شخص حرية اعتقاده، بينما يظل المؤمن متمسكًا بموقفه الثابت في التوحيد والحق.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: الكوثر توجهنا سورة الكوثر نحو **عبادة الله وشكره على عطائه العظيم**، حيث يظهر الامتنان الإلهي في الصلاة والنحر والعطاء المستمر. فهي تعلم أن العبادة الحقّة **ترتبط بالشكر العملي والخدمة للآخرين، وفي الوقت نفسه تثبت ثقة المؤمن بالنصر الإلهي.**

البناء القرآني: تأتي سورة الكافرون لتكمل هذا المنهج البنائي بالانتقال من **العبادة والشكر إلى تحديد الموقف العقدي.** فبعد أن عرف المؤمن كيف يعبد الله بإخلاص ويشكر نعمه، يجب أن يكون موقفه تجاه كل معتقد مخالف **واضحًا وثابتًا**، دون أي مساومة أو خلط.

للتأمل الذاتي

هل موقفي **العقدي واضح أمام نفسي وأمام الآخرين،** بحيث يعرف كل من حولي أن علاقتي بالله لا تتأثر بالضغوط أو المغريات؟ وهل أحيانًا **أخلط بين الحق والباطل بدافع المجاملة أو الخوف،** أم أتمسك بالوضوح والصراحة كما أمر الله؟

وكيف أعيش **السلم والتعايش مع الآخرين** مع الحفاظ على ثباتي في التوحيد، بحيث أحترم حرية الآخرين في اختيار معتقداتهم، دون أن أتنازل عن حقي أو عن ثباتي العقيدي؟

خاتمة السورة

تختتم سورة الكافرون برسالة **القطع التام مع الباطل،** وإعلان براءة المؤمن من عبادة غير الله، مع تثبيت مبدأ **صفاء التوحيد ووضوح الموقف العقدي.** فالرسالة واضحة: **الإيمان الحق لا يقبل المساومة، والحق يظل ثابتًا، بينما كل من يعاديه أو يخلطه بالباطل سيبقى مقطوعًا عن الخير والذكر.**

وبهذا، تصبح السورة نموذجًا للثبات على العقيدة: **وضوح الموقف أمام المخالفين، احترام الحرية مع الحفاظ على الثبات، وربط العقيدة بالثقة بالله والسلوك الصحيح.**

سورة النصر

الاسم والدلالة : النصر[1] يشير إلى **الفتح والتمكين الذي يمنحه الله**، وليس نتيجة القوة البشرية أو الحلفاء، فالاسم يذكر المؤمنين أن **النجاح الحقيقي في الدعوة والرسالة** يعتمد على **إرادة الله وتوفيقه، لا على الإمكانيات المادية أو الخطط البشرية وحدها.**

المقصد العام للسورة

تركز السورة على عدة نقاط رئيسية:

1. **إعلان اكتمال الدعوة وانتصارها**، بحيث ينعكس ذلك على المجتمع والمؤمنين في مكة وخارجها، مع وضوح أن النصر **مقدّر من الله وحده.**
2. **توجيه القائد إلى التحول من الجهاد والنشر إلى العبادة والتسليم**، أي مرحلة الاحتفال بانتهاء المهمة الرسالية والتحضير للمرحلة الآخرة.
3. **تأكيد الشكر لله على النصر والتمكين**، بما يعكس أن كل نجاح في الدعوة ليس للفخر الشخصي، بل للتواضع والامتنان لله.

وهكذا، تصبح سورة النصر **خاتمة طبيعية للمرحلة الرسالية العملية**، وتعد المؤمنين لمرحلة **التسليم والخضوع الكامل لله بعد تحقيق الهدف.**

[1] قال الزحيلي: سميت سورة النصر؛ لافتتاحها بقول الله تبارك وتعالى: {إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} أي الفتح الأكبر والنصر المؤزر الذي سمي فتح الفتوح وهو فتح مكة المكرمة. وتسمى أيضا سورة التوديع." وهبة الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، مرجع سابق، ج 30ص445.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآية 1): **إعلان النصر والفتح**

تبدأ السورة بالإعلان المباشر عن **التمكين والنصر الذي يأتي من عند الله**، ليعرف المؤمنون أن النجاح في نشر الرسالة ليس نتيجة الجهد البشري وحده، بل هو **مقدّر من الله وحده ويجب أن يُشكر عليه.**

المحور الثاني (الآية 2): **دخول الناس في الإسلام جماعات**

تشير الآية إلى **انتشار الدعوة وتحقيق نتائجها العملية**، حيث يبدأ الناس في الانضمام إلى الدين الحق جماعات، ما يعكس **اكتمال المرحلة الدعوية وظهور أثر الرسالة على المجتمع.**

المحور الثالث (الآية 3): **التوجيه بالعبادة والاستغفار**

تختتم السورة بتوجيه القائد والمؤمنين إلى **التحول من النشاط الدعوي إلى العبادة والتسليم لله والاستغفار**، أي **مرحلة التقدير والامتنان للنصر الإلهي، والاستعداد للقاء الله بروح خاشعة.**

(1): إعلان النصر ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾

توضح الآية أن **النصر منسوب إلى الله وحده**، والفتح يشير إلى فتح مكة. أداة "إذا" تحمل معنى اليقين، فتخبر المؤمنين بحتمية وقوع هذا الحدث العظيم. النصر الحقيقي لا يُعزى إلى الذات أو الوسائل البشرية، بل هو **تقدير الله وإرادته في تمكين رسالته.**

الرسالة الاستراتيجية:

الثقة بالنصر الإلهي تعني أن **كل إنجاز دعوي أو مشروع رسالي يجب أن يُنسَب إلى الله وحده، وليس إلى القدرات البشرية فقط.**

(2): ثمار النصر ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢﴾

تشير الآية إلى **تحول نوعي في الدعوة**، من جهود فردية إلى دخول جماعي للناس في الإسلام، وهو **اكتمال مرحلة البلاغ وتحقيق النتائج العملية.** هذا يعكس أن المشاريع الكبرى تمر غالبًا بمرحلة نمو تدريجي، ثم **قفزة نوعية عند اكتمال شروط النجاح.**

الرسالة الاستراتيجية:

النجاح في الدعوة أو المشروع الرسالي يحتاج **صبرًا على المراحل الأولى وبناء الشروط، قبل أن يظهر أثره الكامل.**

(3): التوجيه بعد النصر ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾

بعد إعلان النصر وظهور ثمار الدعوة، توجّه الآية المؤمنين إلى **التحول نحو العبادة والشكر والاستغفار**، أي بداية مرحلة التسليم لله وقرب انتهاء المهمة الأرضية للنبي ﷺ. الآية تذكّر بأن **النجاح يحمل خطر الغرور أو التفاخر بالذات**، والوقاية منه تكون **بالخضوع لله وشكر نعمته واستمرارية الاستغفار.**

الرسالة الاستراتيجية:

بعد النجاح والتحقق العملي للهدف، يجب أن يكون **التركيز على الشكر والعبادة، لضمان استمرارية التوفيق وحفظ المشروع من الانحراف أو الغرور.**

خلاصة تفسير سورة النصر

مجال العقيدة: تؤكد السورة أن **النصر الحقيقي من الله وحده**، وأن كل نجاح في الدعوة أو المشروع الرسالي **ليس للقدرات البشرية فقط، بل بتقدير الله وتوفيقه.**

مجال القيادة: توضح السورة أن **النجاح لا يعني التوقف عن العمل أو الرضا بالإنجاز**، بل يتطلب **تحولًا من النشاط الدعوي المكثف إلى العبادة والخضوع لله، مع الحفاظ على التوازن الروحي.**

مجال الدعوة: تشير السورة إلى أن **مرحلة الانتصار تتطلب إعدادًا روحيًا للمستقبل**، أي توجيه القائد والمؤمنين نحو العبادة والشكر، وضمان استمرار المشروع الرسالي دون انحراف أو غرور.

مجال النفس: تؤكد السورة أن **الشكر والاستغفار بعد الإنجاز** هما صمام الأمان الروحي، يحمّي القائد والمؤمنين من الغرور والاعتماد على الذات، ويثبتهم على الصراط المستقيم.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: سورة الكافرون وتركز على **وضوح الموقف العقدي والتمسك بالتوحيد**، حيث يعلن المؤمن **براءته من عبادة غير الله**، ويثبت موقفه على الحق دون مساومة. هذه السورة تمثل **مرحلة الثبات على المبدأ**، وهي أساس لكل خطوات الدعوة اللاحقة.

البناء القرآني: تأتي سورة النصر لتكمل هذا البناء، فتظهر **ثمرة الصبر والثبات على المبدأ**، وهي **التمكين والنصر الإلهي**. بعد أن ثبت المؤمن على عقيدته ووضح موقفه، يأتي **الفتح وظهور أثر الرسالة في المجتمع**، ويبدأ القائد والمؤمنون مرحلة **التحول نحو العبادة والشكر بعد اكتمال المهمة.**

للتأمل الذاتي

بعد أي إنجاز أو نجاح، هل أذكر **أن الفضل كله لله أولًا**، وأن النصر لم يأتِ بالجهد البشري وحده؟ وهل أستعد **لمرحلة ما بعد النصر بالعبادة والخضوع لله**، لا بالراحة أو التراخي؟ وهل أعي أن **النصر ليس نهاية المطاف، بل بداية لاختبار جديد ومسؤولية أكبر** للحفاظ على ما تحقق من نجاحات ودعوة؟

خاتمة السورة

تختتم سورة النصر برسالة **اكتمال الدعوة وتحقيق النصر الإلهي**، مع توجيه المؤمنين والقائد نحو **الشكر والاستغفار والعبادة بعد الإنجاز**. فالرسالة واضحة: **الثبات على المبدأ والصبر على الدعوة يؤديان إلى النصر، والنصر يتبعه التزام روحي مستمر.**

سورة المسد

الاسم والدلالة: **المسد**[1]: الحبل المصنوع من ليف النخل، يرمز إلى **القيود والعذاب المصير لأعداء الله ورسوله.**

الاسم يوحي بأن العناد والمكابرة يؤديان في النهاية إلى **التقييد والعذاب المحتوم**، وأن كل محاولة للتمرد على الحق ستفشل مهما بدت قوية في الظاهر.

المقصد العام للسورة

تركز السورة على عدة محاور:

1. **بيان الخسارة الكاملة للقيادة المعاندة**، حيث يُظهر المصير النهائي لكل من يعادي الرسالة ويستكبر على الحق.

[1] قال شرف الدين:" وتسمى سورة تبّت، وسورة أبي لهب، وسورة المسد لذكر كل ذلك فيها." جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، مرجع سابق، ج12ص283.

2. **ضرب مثال خالد لأعداء الدعوة**، أي أن سيرة أعداء النبي ﷺ تصبح **درسًا ثابتًا لكل من يحاول معارضة الحق.**
3. **ترك تحذير مستمر عبر التاريخ**، بحيث يرى كل جيل كيف تنقلب المكابرة والعداوة إلى هلاك وتضاؤل للنفوذ والقوة، مهما بدت مؤثرة في البداية.

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآية 1): **إعلان الهلاك والخسران**

تبدأ السورة بالإشارة إلى **المصير الحتمي لعادٍ متكبر ومعاند للحق**، فيعلن الهلاك والخسران لكل من وقف ضد رسالة الله. هذه البداية تمثل **تنبيهًا مباشرًا بأن العناد لا يحقق إلا الخسارة.**

المحور الثاني (الآية 2): **فشل المال والكسب في الإنقاذ**

تشير الآية إلى أن **ثروات الإنسان أو نفوذه لا تنفعه عند مواجهة الحق**، فكل المال والكسب لا يمكن أن يغير مصيره المحتوم. هذه رسالة لكل قائد أو شخص متكبر بأن **القوة المادية والمال عاجزان عن حماية المكابر من حكم الله.**

المحور الثالث (الآية 3): **بيان المصير في النار**

توضح الآية أن **العقاب الإلهي لا محالة، والمصير النهائي للمكابر هو النار**، لتكون عظة لجميع الأجيال بأن **العداء للحق لا يمر بدون حساب وعقاب.**

المحور الرابع (الآيات 4-5): **ذكر شريكة العناد ومآلها**

تستعرض السورة أيضًا **شريكة العناد من النساء**، وتوضح مصيرها المماثل، لتؤكد أن **الاستكبار والعناد ليس حكرًا على الرجل فقط، بل كل من يشارك في معارضة الحق سيتلقى جزاءه.**

(1): الخسران المعلن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾

"تبّت" هنا دعاء وبيان بالخسران، وتكرارها للتوكيد على حتمية الهلاك. الإشارة إلى اليدين ترمز إلى الجهد والعمل الذي ذهب هباءً.

الرسالة الاستراتيجية:

أي مشروع أو جهد يُبذل ضد الحق سيكون **مصيره الانهيار والفشل مهما بدت قوته أو قوته الظاهرية.**

(2): سقوط الاعتماد على المال ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾

تشير الآية إلى أن **الثروة والكسب الشخصي عاجزان عن إنقاذ المكابر**. فالمال أداة، لكن قيمته الحقيقية مرتبطة بالحق والخضوع لله.

الرسالة الاستراتيجية:

الموارد المادية **بدون التزام بالحق والقيم، تصبح وبالًا على صاحبها** ولا تنفعه عند مواجهة القضاء الإلهي.

(3): المصير المحتوم ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

العقوبة هنا مناسبة للاسم "أبو لهب"، فتكون جزاءً وفاقًا لطبيعته المعاندة وعدائه للحق.

الرسالة الاستراتيجية:

الجزاء الإلهي **يتناسب مع طبيعة الجريمة والموقف**، ليكون درسًا واضحًا لكل من يحاول مقاومة الحق والتكبر عليه.

(4-5): شـــريكة العنـــاد ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾

تشير الآية إلى **شريكة العناد والمشاركة في الأذى**، حيث كانت تحمل الحطب للوشاية أو الأذى الفعلي، ويُرمز إلى **القيد والعذاب المستمر** بالحبل من المسد.

الرسالة الاستراتيجية:

الشراكة في العداء للحق **تورث شراكة في العقوبة**، **فالموقف المشارك في الظلم لا ينجو من المصير المحتوم**.

خلاصة تفسير سورة المسد

مجال العقيدة: تؤكد السورة أن **الحق منتصر مهما علا صوت الباطل**، وأن كل من يعاند الرسالة الإلهية سيواجه المصير المحتوم، فلا غلبة للباطل على حكم الله.

مجال القيادة: تعلمنا السورة أن **حرب الحق ضد المكابر والمعاندين مصيرها الخسارة الحتمية**، وأن أي مشروع قيادي قائم على العدوان أو العناد ضد الحق لا يمكن أن ينجح.

مجال الدعوة: تشير السورة إلى أن **خصوم الحق مهما بلغوا قوة ومالًا سيلاقون الخزي والهلاك**، ما يجعلهم عبرة للأجيال، ويؤكد ضرورة الثبات والصبر في مواجهة معارضي الدعوة.

مجال النفس: تضع السورة الإنسان أمام اختبار مهم: **لا يغتر بالمال أو الجاه في معارضة الحق**، فكل موارد الدنيا عاجزة عن إنقاذ من اختار طريق المكابرة والعناد.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة: سورة النصر تركز على **اكتمال المشروع الرسالي وتحقيق النصر الإلهي**، حيث تظهر ثمرة الثبات على المبدأ والصبر على الدعوة، ويأتي التمكين والفتح كنتيجة طبيعية للجهود المبذولة بإرادة الله.

البناء القرآني: المسد تأتي لتكمل هذا البناء بعكسية واضحة: فهي **تُظهر مصير من عاند المشروع الرسالي وتكبّر على الحق**، ليكون مثالًا خالدًا على أن **المعاند والخاسر مهما بدا قويًا أو متسلطًا، فإن نهايته الهلاك والفشل.**

للتأمل الذاتي

هل أستخدم **طاقتي ومواردي في نصرة الحق** والخير، أم أستثمرها في مقاومته والمعاندة؟ وهل أختار **شركاء يدعمون الخير ويعينون على الثبات على الحق**، أم من يورّطونني في

الظلم والعداء للحق؟ وهل أعي أن **المال والجاه عاجزان عن حماية من يعاند الحق أمام القضاء الإلهي؟**

خاتمة السورة

تختم سورة المسد برسالة **حسم العداء والمكابرة عبر العبرة التاريخية**، موضحة أن **الحق منتصر دائمًا، والمعاند والخاسر مهما بدا قويًا، فإن نهايته الهلاك والخسران.** تربط السورة بين **ثبات المؤمن على الحق، جزاء المكابر، وتحذير الأجيال** من الغرور بالمال أو النفوذ، لتبقى عبرة خالدة لكل من يقف في وجه مشروع الله ورسوله ﷺ.

سورة الإخلاص

الاسم والدلالة: **الإخلاص**[1]: أي تصفية العقيدة من أي شوائب أو شرك، وتركيز التوجه والإيمان على الله وحده.

- سُمّيت أيضًا **التوحيد والصمد**، لما تحمله من معاني **الصفاء، الاستقلالية، والاكتفاء بالله.**
- الاسم يعكس **الغاية القصوى للعقيدة: أن يكون الله وحده محل العبادة والخضوع، بلا شريك أو بديل.**

---

[1] قال القسطلاني:" ولمَّا اشتملتْ هذه السُّورة –مع قصرهَا– على جميعِ المعارفِ الإلهيَّة، والردِّ على من ألحدَ فيها؛ جاء أنَّها تعدلُ ثلثَ القرآنِ، كما سيأتي ذلك قريبًا إن شاء الله تعالى في «كتاب فضائلِ القُرآن» [خ¦٥٠١٣] وهل يحملُ ذلك على الإجزاءِ أم (٦) على غيرِها؟ فذهب الفقهاءُ والمفسِّرون إلى أنَّ لقارئها من الثَّواب ثلث ما لقارئ جملته، وليس في الجوابِ أكثر من أنَّ الله يهبُ ما يشاءُ لمن يشاء، وأجابَ المتكلِّفون بجوابٍ يمكنُ إرادتهُ، قالوا: القرآنُ ثلاثة أقسامٍ: قسمٌ فيما يجوزُ أن يوصفَ به وما لا يجوزُ، وقسمٌ من أمر الدُّنيا، وقسمٌ من أمرِ الآخرةِ، ولم تتضمَّن سورة الإخلاصِ غير القسمِ الواحد، فصارت تعدلُ ثلثهُ؛ ولهذا سمِّيت سورة الإخلاصِ؛ لأنَّها خلصت في صفاته خاصَّة" أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (٨٥١ – ٩٢٣ هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، تحقيق: المكتب العلمي بدار الكمال المتحدة الناشر: دار عطاءات العلم – دار ابن حزم الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢١ م، ج15ص535.

المقصد العام للسورة

تركز السورة على:

1. **ترسيخ مبدأ التوحيد الخالص**، بحيث يكون أساس كل عمل فردي وجماعي.
2. **توضيح أن انهيار هذا المبدأ يؤدي إلى هدم كل مشروع إيماني**، مهما كان ظاهر قوته أو هيبته.
3. **تعليم المؤمن أن العبادة الحقة والاتصال بالله يقوم على إخلاص العقيدة، لا على الشكل أو المظاهر.**

البنية الموضوعية للسورة

المحور الأول (الآية 1): **إعلان الوحدانية**

تبدأ السورة بتأكيد **أن الله واحد لا شريك له**، وهو أساس العقيدة الإسلامية. هذه البداية تحدد **الخط الفاصل بين التوحيد والشرك، وتؤسس لكل عمل إيماني على قاعدة صحيحة.**

المحور الثاني (الآية 2): **بيان الصمدية**

تشير الآية إلى أن الله **الصمد**، **الذي يُستغنى عنه جميع المخلوقات، ويكتفي به المؤمنون.** الصمدية تعكس **الاكتفاء بالله والاستقلالية المطلقة لله في كل شؤون الكون**، وتعلم أن الاعتماد الحقيقي يكون على الله وحده.

المحور الثالث (الآية 3): **نفي التوالد**

توضح الآية أن الله **لا يولد ولا يُولد، أي لا يوجد له أصل أو بداية أو نهاية في علاقة النسب أو التوليد.** هذا ينفي أي تشبيه بين الخالق والمخلوق، ويعزز **خصوصية وفرادية الله في العقيدة.**

المحور الرابع (الآية 4): **نفي المثيل**

تؤكد الآية أن **ليس له شبيه في ذاته وصفاته وأفعاله.** هذا ينهي أي محاولة لمضاهاة الله بالمخلوقات، ويثبت أن **العبادة والاعتماد يجب أن تكون لله وحده بلا شريك أو مماثل.**

(1): إعلان الوحدانية المطلقة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾

أمر إلهي بالتصريح الجازم بالوحدانية، توجيه الدعوة بالتحديد. كلمة "أحد" أبلغ من "واحد" في نفي أي تعدد مطلق، فهي تؤكد **الفرادة والخصوصية المطلقة لله.**

الرسالة الاستراتيجية:

أول ركن في البناء الإيماني: **تعريف القائد والمعبود الحق بلا غموض أو شائبة،** لتكون كل عبادة وكل مشروع إيماني قائماً على أساس سليم.

(2): الصمدية ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾

الله الصمد: المقصود في حاجات كل الخلق، الكامل في صفاته، الذي لا يحتاج إلى أحد[1].
هو محور الاعتماد المطلق والملجأ النهائي لكل المؤمنين.

الرسالة الاستراتيجية:

إذا أردت مشروعًا ثابتًا ومستدامًا، **اجعل اعتمادك على من لا يحتاج إلى أحد، فهو الملاذ والقوة الحقيقية.**

---

[1] قال الفيروز آبادي:" {الله الصَّمد} السَّيِّد الَّذِي قد انْتهى سؤدده وَاحْتَاجَ إِلَيْهِ الْخَلَائق وَيُقَال الصَّمد الَّذِي لَا يَأْكُل وَلَا يشرب وَيُقَال الصَّمد الَّذِي لَيْسَ بأجوف وَيُقَال الصَّمد الصافي بِلَا عيب وَيُقَال الصَّمد الدَّائِم وَيُقَال الصَّمد الْبَاقِي وَيُقَال الصَّمد الْكَافِي وَيُقَال الصَّمد الَّذِي لَيْسَ لَهُ مدْخل وَلَا مخرج" جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، **نوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت ٦٨هـ)** الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان،ص522.

(3): نفي التوالد ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾

نفي كل أشكال التشبيه البشري أو النسب الإلهي، وحماية التوحيد من الانحرافات العقدية.

الرسالة الاستراتيجية:

النقاء العقدي يحفظ المشروع الإيماني من التلوث بالأفكار الدخيلة أو المفاهيم المغلوطة، ويجعل القاعدة صلبة لكل عمل لاحق.

(4): نفي المثيل ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾

لا شبيه، ولا ند، ولا مثيل، ولا منافس، فكل ما في الوجود خاضع لله، لا يوجد شيء يضاهيه في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

الرسالة الاستراتيجية:

الإيمان الحق لا يساوي بين الخالق والمخلوق في أي مجال، ويؤكد أن كل عبادة أو اعتماد، أو إخلاص يجب أن يكون لله وحده بلا شريك أو منافس.

خلاصة تفسير سورة الإخلاص

العقيدة: التوحيد الخالص هو أساس الدين، وكل عمل إيماني يبنى على فهم صحيح وواضح لوحدانية الله وصفاته.

القيادة: المشروع يحتاج قائدًا مطلق الكمال، متمسكًا بالعقيدة الصافية، ليكون القرار والتوجيه خاليين من أي غموض أو تشويه.

النفس: الاعتماد على الله يحررك من التعلق بغيره، ويمنح القلب الثبات والاستقرار، بعيدًا عن الغرور أو التعلق بالمخلوقين.

الدعوة: وضوح الهوية العقدية شرط النجاح، فكل رسالة أو مشروع دعوي يحتاج إلى قاعدة صافية، مبنية على التوحيد الخالص، لضمان الثبات والفاعلية في المجتمع.

الربط مع ما قبلها

ركزت سورة المسد على **مصير المعاندين للحق والمكابرين على الرسالة**، مظهرة أن كل من يعاند المشروع الإلهي وينحرف عن الحق، مهما بلغت قوته أو مكانته، **سيهوي في الهلاك والخسران.**

البناء القرآني: تأتي سورة الإخلاص لتكمل هذا البناء بعكسية واضحة: فهي **تضع أساس الحق الصاعد، وهو التوحيد الخالص.** فهي توضح أن **كل مشروع إيماني ثابت وقوي يقوم على قاعدة الإخلاص في العقيدة والتوجه لله وحده.**

للتأمل الذاتي

هل توحيدي **خالص من كل شريك أو وساطة**، أم أن قلبي يميل أحيانًا للاعتماد على غير الله؟ هل أعتمد في مشروعي على من **هو صمد حقًا، الذي لا يحتاج لأحد**، أم أرتبط بالمخلوقين في قوتهم وضعفهم؟

هل أنفي عن الله **كل صور التشبيه والتحديد البشري**، مدركًا أن العبادة والاعتماد يجب أن تكون لله وحده بلا مثيل؟

خاتمة السورة

تختم سورة الإخلاص برسالة **صفاء العقيدة والركيزة الثابتة للحق**، موضحة أن: **التوحيد الخالص هو أساس كل مشروع إيماني ناجح**، وأن **الاعتماد الحقيقي يكون على الله وحده، لا على المال أو الجاه أو البشر**، وأن وضوح الهوية العقدية يحفظ الدعوة والمشروع من الانحراف والتلوث، لتبقى هذه السورة **مرجعًا خالدًا لكل مؤمن يسعى للثبات على الحق وتحقيق الإخلاص في العبادة والعمل.**

سورة الفلق

الاسم والدلالة: يحمل رمزية عميقة[1]، فالفلق يعني الصبح أو كل مخلوق مفلوق[2]، أي انبثاق النور بعد الظلام، وظهور الحياة بعد السكون، وهذه الصورة تعكس **حقيقة الاحتماء بالخالق الذي ينشر النور ويزيل الظلمات**، سواء كانت ظلمات طبيعية، أو شرورًا خفية تحيط بالمؤمن من الخارج.

أما المقصد العام للسورة: فهو تعليم المؤمن **استراتيجية الحماية من الشرور الخارجية**، عبر التوكل والاحتماء بالله خالق الفلق والنور، فهي توضح أن لكل خطر أداة، ولكل

---

[1] قال الزحيلي:" سميت هذه السورة سورة الفلق، لافتتاحها بقوله تعالى: {قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} و {الْفَلَقِ} الشق وفصل الشيء عن بعضه، وهو يشمل كل ما انفلق من حب ونوى ونبات عن الأرض، وعيون ماء عن الجبال، ومطر عن السحاب، وولد عن الأرحام، ومنه: {فالِقُ الْإِصْباحِ} [الأنعام ٩٦/ ٦]، و {فالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوى} [الأنعام ٩٥/ ٦]" وهبة الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، مرجع سابق، ج30ص469.

[2] قال الإيجي:" (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) هو الصبح، أو الخلق كله، لأنه ما من شيء إلا ويفلق ويفرق ظلمة العدم عنه، أو هو بيت، أو جُبٌّ في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره" محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، مرجع سابق، ج4ص545-546.

مكروه سبب، لكن من يستند إلى الله ويستجير به يجد الدرع الواقية التي تمنع الانكسار أو الضرر، وتحافظ على استمرار المشروع الإيماني في بيئة مليئة بالتحديات.

البنية الموضوعية لسورة الفلق

تتضح في هذه السورة البنية الموضوعية من خلال **تدرج مفهوم التحصين والاحتماء بالله،** حيث ينتقل التركيز من الدعاء بالاستعاذة إلى بيان أنواع الشرور الخارجية التي تهدد المؤمن:

المحور الأول (الآية 1): إعلان الالتجاء بالله

تبدأ السورة بتوجيه المؤمن إلى **اللجوء الكامل إلى الله كملاذ وحصن.** هذا الإعلان يرسخ في النفس قاعدة الاعتماد على الخالق وحده في مواجهة أي شر، ويؤكد أن **النجاة الحقيقية تكون بالاحتماء بالله لا بالاعتماد على النفس أو البشر.**

المحور الثاني (الآية 2): شر ما خلق

تركز الآية على **التحذير من شر كل مخلوق قد يحمل أذىً خفيًا،** سواء كان تأثيره مباشرًا أو غير مباشر، ليبقى المؤمن متيقظًا ومتحصنًا بالدعاء والاعتماد على الله.

المحور الثالث (الآية 3): شر الليل المظلم

الليل يمثل **الظلام والخطر المجهول،** ويشمل كل ما يختبئ في الظلام من أذى وشر، سواء كان طبيعيًا أو من أفعال البشر. الاحتماء بالله في هذا الوقت يعكس **الوعي بأن الله هو نور الدنيا والآخرة.**

المحور الرابع (الآية 4): شر السحرة والعُقَد

تتحدث الآية عن **الأذى المبالغ فيه والمخطط بعناية، مثل السحر أو الأعمال الخفية،** لتعلم أن المؤمن يجب أن يتحصن ويستجير بالله من كل وسيلة شر قد يستخدمها الآخرون ضده.

المحور الخامس (الآية 5): شر الحاسد

تنتهي السورة بالتحذير من **الحسد والعداء الخفي بين الناس**، وهو شكل من أشكال الشر النفسي والاجتماعي الذي قد يؤثر على حياة المؤمن، ويؤكد أن الحماية الإلهية تشمل **الدرع ضد النفوس المريضة وأذى الحاسدين.**

(1): إعلان الالتجاء بالله

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾

الأمر هنا واضح وجازم: **الاستعاذة بالله وحده**، ربّ الفلق والنور الذي يخرج الحياة من الظلام ويكشف الخفاء. الدعاء بالاستعاذة ليس مجرد كلمات، بل هو **اعتماد كامل على الله كحماية أساسية للمشروع الإيماني.**

الرسالة الاستراتيجية: لا حماية حقيقية لأي مشروع أو نفس إلا بالاعتصام بالقائد الأعلى، الله وحده.

(2): الحماية من الشر العام

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾

هذه الآية توسّع نطاق الحماية لتشمل **جميع المخلوقات المؤذية**، سواء أكانت مرئية أم خفية، طبيعية أم بشرية. الدعاء هنا يرسخ **قاعدة:** التحصين يجب أن يكون شاملًا من كل ما يحيط بالمؤمن.

الرسالة الاستراتيجية: الدرع الأول هو حماية شاملة من كل المخاطر التي قد تهدد المشروع أو الفرد في محيطه.

(3): شر الظلام

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣﴾

الغاسق يرمز إلى الليل المظلم، حيث **الغموض والمكائد تعمل في الخفاء**، فقد يكون هذا

الشر طبيعيًا أو نفسيًا أو اجتماعيًا، لكنه دائمًا يأتي من حيث لا يُرى.
الرسالة الاستراتيجية: الحذر مطلوب من هجمات الليل، أي الأخطار الخفية التي قد تنفذ دون إدراك، والتحصين يكون بالاستعاذة بالله.

(4): شر السحرة وأهل العقد

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ الإشارة هنا إلى **أهل السحر والتأثير النفسي أو الروحي**، الذين يستخدمون الوسائل الخفية لتعطيل الطاقة أو إحداث الضرر. هذه الآية تعلم المؤمن **ضرورة حماية وعيه الجماعي والفردي من أي تلاعب أو إفساد معنوي.**
الرسالة الاستراتيجية: حماية المشروع والمجتمع تتطلب درعًا ضد كل محاولات تعطيل العقول أو التأثير السلبي على الطاقة الإيمانية.

(5): شر الحسد

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾)

الحسد قوة مدمرة، تحرك صاحبها لإفساد ما عند الآخرين، سواء بالقول أو الفعل أو الخفاء، فهذه الآية توضح أن **الحماية من نفوس الحاسدين ليست بالانشغال بهم، بل بالاعتصام بالله.**
الرسالة الاستراتيجية: مواجهة الحسد وحرب النفوس المريضة تكون بالاحتماء الإلهي، والحفاظ على المشروع دون تشتيت الانتباه بالمؤذيين.

خلاصة استراتيجية سورة الفلق

السورة ترسخ قاعدة أساسية في البناء القرآني للمؤمن والمشروع الإيماني: **الاحتماء بالله هو خط الدفاع الأول ضد كل الشرور**، سواء كانت طبيعية، اجتماعية، أو خفية.

في المجال العقائدي، تعلم السورة أن **الاعتماد على الله وحده يحمي المشروع من الانكسار أمام الأخطار الخارجية**، وأن أي حماية أخرى لا تكتمل إلا باللجوء إلى المصدر الأعلى للنور والقدرة.

في مجال الأمن، تشير السورة إلى **أهمية التعرف على أنواع الشرور المحيطة بالمؤمن**، من الظلام المفاجئ، إلى السحر، وصولًا إلى حسد الآخرين، لتبقى اليقظة والوعي جزءًا من استراتيجية النجاة.

أما في الإدارة، فهي تدعو إلى **الحذر من التخريب الخفي والتأثيرات المبطنة التي قد تهدم المشروع من الداخل**، مؤكدًة أن الوقاية أهم من العلاج بعد الضرر.

وعلى مستوى النفس، تعلّم السورة أن **صفاء القلب مرتبط بالتحصين الروحي**، فلا يكتمل ثبات المشروع إلا بمزيج من اليقين بالله والوعي بالتهديدات الخارجية، ليصبح المؤمن حصينًا في قلبه وسلوكه أمام كل خطر.

الربط مع ما قبلها

تأتي سورة الفلق مباشرة بعد سورة الإخلاص لتكمل البناء القرآني من **الأساس العقدي إلى الحماية العملية**، ففي سورة الإخلاص، تم تثبيت العقيدة بالتركيز على **التوحيد الخالص والإخلاص لله**، وهو الأساس الذي يقوم عليه كل مشروع إيماني. أما في سورة الفلق، فينتقل التركيز إلى **التحصين من الشرور الخارجية** التي قد تهدد هذا البناء بعد تأسيسه، مثل الأخطار الطبيعية، المكائد البشرية، السحر، والحسد.

للتأمل الذاتي

تدعونا سورة الفلق إلى مراجعة **مدى صدق اعتمادنا على الله** في حياتنا ومشاريعنا، بعيدًا عن الشعارات أو الكلمات الخالية من العمل. يجب أن نسأل أنفسنا: هل استراتيجيتي الروحية والعملية قائمة على الاحتماء الحقيقي بالله أم على وسائل بشرية محدودة؟

كما تحثنا السورة على **التعرف على "الظلمات" التي تهدد حياتنا ومشاريعنا اليوم**، سواء كانت مخاطر مادية، ضغوط نفسية، أو مكائد اجتماعية، لنتمكن من مواجهتها بوعي واستعداد.

وتُذكرنا أيضًا بضرورة **التعامل مع الحسد والمنافسة السلبية بحكمة**، فالرد الأمثل ليس بالمواجهة المباشرة أو الانشغال بالمؤذيين، بل بالاعتصام بالله وحماية المشروع بالقيم الصحيحة والعمل المستمر.

خاتمة السورة

سورة الفلق تُلخص استراتيجية المؤمن العملية والروحية: **الاعتصام بالله أساس الحماية، واليقظة ضد كل ما يهدد المشروع عنصر ضروري، وصفاء القلب هو الدرع الحقيقي في مواجهة الشرور الخارجية.**

سورة الناس

الاسم والدلالة: سورة الناس[1] تمثل الخطوة النهائية في منظومة الحماية القرآنية، بعد أن تعلمنا في سورة الفلق كيفية الدفاع عن المشروع ضد الأخطار الخارجية، تأتي سورة الناس لتوجه اهتمامنا إلى **التهديدات الداخلية التي قد تفسد البناء من جذوره**، وهي وساوس الشيطان التي تهاجم القلب والعقل.

[1] قال الشنقيطي:" ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ هَذَا الْوَجْهَ: وَلَكِنَّهُ رَدَّهُ وَضَعَّفَهُ ؛ لِأَنَّ لَفْظَ النَّاسِ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ فِي الْإِنْسِ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي اسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِ، وَلِأَنَّهُ عَلَى هَذَا يَكُونُ قَسَمَ الشَّيْءَ قِسْمًا مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ يَجْعَلُ النَّاسَ قَسِيمَ الْجِنِّ، وَيَجْعَلُ الْجِنَّ نَوْعًا مِنَ النَّاسِ اهـ. مُلَخَّصًا. وَعَلَى كُلٍّ فَإِنَّ مَنْهَجَ الْأَضْوَاءِ أَنَّ مَا كَانَ مُحْتَمَلًا، وَكَانَ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِ لِأَحَدِ الِاحْتِمَالَيْنِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ اسْتِعْمَالِهِ إِيَّاهُ تَكُونُ مُرَجَّحًا، وَجَمِيعُ اسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِ لِلَفْظِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ فِي خُصُوصِ الْإِنْسِ فَقَطْ، وَلَمْ تُسْتَعْمَلْ وَلَا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي حَقِّ الْجِنِّ مَعَ مُرَاعَاةِ اسْتِعْمَالِهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَحْدَهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ، حَتَّى **سُمِّيَتْ سُورَةُ النَّاسِ**." محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، مرجع سابق، ج9ص180.

الاسم نفسه، "الناس"، يعكس **الشمولية والعمومية**؛ فكل إنسان معرض لهذه الوساوس، والسورة تدعوه إلى **الاعتصام بخالقه** لحماية نفسه من هذا العدو الخفي، فالتركيز هنا ليس على الأخطار المادية أو المجتمعية، بل على **الصراع الداخلي للوعي، والفكر، والنية**، حيث يبدأ الانحراف من الفكرة قبل أن يتحول إلى سلوك.

المقصد العام للسورة: يتجلى في وضع **استراتيجية حماية داخلية وهي:** أن يحصن الإنسان نفسه باللجوء إلى الله، ويقوي وعيه بعظمة مصدر الحماية، فلا ينخدع بالوسوسة أو يسقط في الفخاخ النفسية التي تهدف لتفكيك البناء الداخلي للإيمان.

البنية الموضوعية لسورة الناس

تركز السورة على **تنظيم عناصر الحماية الداخلية للمؤمن**، بحيث تنتقل من تثبيت العقيدة إلى تحديد طبيعة العدو ووسائل عمله.

في البداية، تتناول الآيات من 1 إلى 3 **توحيد المربي والملك والإله**، وهو أساس الحصانة الداخلية، فالاعتراف بالله ربًّا ومالكًا وإلهًا يوفر الدرع الروحي الضروري لمواجهة أي وسوسة.

ثم تحدد الآية 4 **الخطر الرئيسي** وهو الوسواس الخنّاس، العدو الخفي الذي يهاجم الإنسان من الداخل، مستهدفًا قلبه وعقله وأفكاره.

أما الآيات 5 و6، فتبين **نطاق عمل العدو**، موضحًا أنه يمتد إلى الصدور، وأنه يأتي من جانبين: من الجن ومن الإنس، ليؤكد شمولية التهديد الداخلي وضرورة الاعتصام بالله لمواجهته.

وبهذا تصبح السورة **خارطة حماية كاملة للمؤمن من الداخل**، مكملة لسورة الفلق التي حمت البناء من الخارج، في منظومة متكاملة للحصانة الروحية.

شرح مفصل لسورة الناس

الآيات من 1 إلى 3 تؤكد **تثبيت القيادة العليا لله في حياة الإنسان:** ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ ربًّا، ومَلِكًا، وإلهًا؛ ربّ الناس هو المربي والمدبّر لشؤونهم، ملك الناس هو صاحب السيادة المطلقة، وإله الناس هو المعبود بحق. هذه الاعترافات الثلاثة تشكل الدرع الداخلي الأساسي، فلا حماية حقيقية من الوسوسة إلا بإقرار السيادة التامة لله على القلب والعقل.

في الآية 4، يتم **تحديد العدو الحقيقي:** ﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ الوسواس الخناس. الوسواس يزرع الأفكار المضللة ويغرس الشكوك، بينما الخناس يوضح أنه يختفي ويتراجع عند ذكر الله. إن معرفة تكتيك العدو، وكيفية عمله الخفي، هي الخطوة الأولى في مواجهته وهزيمته.

الآيات 5 و6 توضّح **نطاق عمل العدو** ﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾: إنه يوسوس في الصدور، أي أن ساحة المعركة الحقيقية هي القلب والفكر. ويشير النص إلى أن العدو قد يكون من الجن أو من البشر بصفات شيطانية، ما يؤكد شمولية التهديد الداخلي. إن هذه الحقائق تجعل المؤمن واعيًا بأن بعض الحروب ليست بالسلاح، بل بالهمس والأفكار والكلمات، وأن الاعتصام بالله هو الخط الدفاعي الأول والأقوى.

الربط مع ما قبلها

السورة السابقة في البناء القرآني **الفلق**، وقد ركزت على الحماية من **الشرور الخارجية** كالظلمات والحسد والسحر، أما سورة **الناس** فتكمل هذه الاستراتيجية بحماية الداخل، أي الصدور والأفكار، من وساوس الشيطان وأفكاره المدمرة.

وبهذا يصبح البناء القرآني متكاملاً: الإخلاص أسس العقيدة، والفلق تحمي المشروع من البيئة المحيطة، والناس تحميه من الداخل مؤمنة القلب والعقل، ومحصنة المشروع من أي اختراق أو تدمير داخلي أو خارجي.

للتأمل الذاتي:

هل اعتمادي على الله في قلبي وعقلي فعليًا أم مجرد شعارات؟
ما هي الوساوس الداخلية التي تهدد استقرار مشروعي العقائدي؟
كيف أستخدم الذكر المستمر ووعي النفس لقطع أي إمداد للعدو الداخلي؟

خاتمة السورة:

سورة الناس تختم سلسلة الحماية في البناء القرآني، مؤكدة أن الاعتصام بالله هو الدرع الأمثل ضد كل خطر داخلي، إنها دعوة لليقظة المستمرة، ومراقبة النفس، والتمسك بالاعتماد الكامل على الله في مواجهة الوساوس والخداع مهما كان مصدره، لتظل العقيدة والمشروع الروحي محفوظين من الداخل والخارج.

كمل الجزء الثاني والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله.

الجزء الثالث

التقويم المنهجي والخريطة الكلية للتفسير

(مخصَّص لإعادة النظر في هذا البناء في صورته الكلية، من خلال المقارنات التفسيرية، ورسم الخريطة العامة للمصحف الشريف، واستخلاص النتائج، وبيان التوصيات وآفاق البحث المستقبلية.)

يمثّل هذا الجزء الثالث المرحلة الختامية في المشروع التفسيري للبناء القرآني، حيث يُعيد النظر في المسار العام للتفسير ويضعه في صورته الكلية، ويهدف هذا الجزء إلى تقديم قراءة شاملة للمصحف الشريف في ضوء المنهج البنائي الاستراتيجي، من خلال ثلاثة محاور متكاملة: **المقارنات التفسيرية، ورسم الخريطة الكلية للسور، وبه الخاتمة فيها أهم النتائج العامة والتوصيات العلمية والعملية.**

فالمقارنات التفسيرية تهدف إلى وضع تفسيرنا في سياق المكتبة التفسيرية الإسلامية، من خلال إبراز أوجه التشابه والاختلاف مع أبرز المدارس الكلاسيكية والمعاصرة، وتوضيح الخصائص البنيوية والاستراتيجية التي تميّز هذا التفسير، لا سيما في معالجة وحدة السورة وربطها بالمشروع القرآني الكلي.

أما الخريطة الكلية فتُمثل محاولة لإظهار البناء القرآني في صورته المتكاملة، مع إبراز التدرج في مراحل بناء الإنسان والأمة، بدءًا من التأسيس العقدي، مرورًا بمراحل التشريع والحركة، وصولًا إلى التمكين والتحصين، بحيث تُصبح الصورة القرآنية الكلية واضحة ومتكاملة.

كما يُخصص هذا الجزء لاستخلاص النتائج العامة، وبيان التوصيات، واستشراف الآفاق المستقبلية للبحث، بما يتيح للقارئ فهم المنهج وأهدافه، وإدراك الإضافة المعرفية والعملية التي يقدمها هذا التفسير، في ضوء حاجات العصر وتحدياته، مع الالتزام بأصول التفسير وضوابطه المعتبرة.

المقارنات التفسيرية

بين هذا المنهج ونماذج من مناهج التفسير الكبرى القديمة والحديثة

تأتي هذه المقارنات في إطارٍ علمي يهدف إلى تحديد موقع "**التفسير البنائي الاستراتيجي**" ضمن الخريطة التفسيرية القديمة والمعاصرة، وإبراز خصوصيته المنهجية وملامح تميزه عن غيره من المناهج التفسيرية.

ذلك أن علم التفسير على امتداد تاريخه لم يكن نمطًا واحدًا، بل تفرّع إلى مدارس متنوّعة بحسب غايات المفسّرين ومناهجهم فمنهم من غلب عليه الأثر، ومنهم من استغرق في المعقول، ومنهم من اهتم بالبيان واللغة، أو بالفقه والأحكام، أو بالإشارات الروحية، أو بالتحليل الموضوعي.

وقد مثّلت كل مرحلة من مراحل الفكر الإسلامي اتجاهًا تفسيرياً يعكس حاجات عصره، فكان لا بدّ في العصر الحديث من ظهور تفسيرٍ يقرأ النص القرآني قراءة بنائية استراتيجية، تراعي نسقه الداخلي وتكشف عن قوانين العمران والسُّنن الحضارية الكامنة في خطابه، وتربط الوحي بالواقع ربطًا منهجيًا واعيًا.

من هنا جاءت هذه المقارنات ، لتقارن بين "التفسير البنائي الاستراتيجي" وعددٍ من أهمّ التفاسير الممثّلة لمناهج التفسير الكبرى، بدءًا من الطبري والقرطبي وابن كثير والرازي والزمخشري، مرورًا بالتفاسير الحديثة مثل المنار، وصفوة التفاسير، وأضواء البيان، والتفسير الحديث، والتفسير المنير.

وتهدف هذه المقارنات إلى:

1. تحديد طبيعة العلاقة بين التفسير البنائي الاستراتيجي وهذه المدارس؛
2. تبيين ما أضافه هذا المنهج من أدوات وغايات جديدة في فهم النص؛
3. الكشف عن مدى تطوّر علم التفسير من مرحلة البيان اللغوي والفقهي إلى مرحلة الوعي البنائي والحضاري.

وهكذا يتّضح أن هذه المقارنات ليست مجرد عرضٍ وصفي، بل هي دراسة تحليلية نقدية تسعى إلى بيان أن التفسير البنائي الاستراتيجي ليس استمرارًا لما سبق فحسب، بل نقلة نوعية في منهج قراءة الوحي، تُمكِّن الأمة من إعادة بناء رؤيتها الحضارية على أساس قرآني أصيل.

وبعد هذه التوطئة المنهجية، ننتقل إلى العرض المقارن التفصيلي:

مقارنة منهجية بين التفسير البنائي الاستراتيجي وتفسير مقاتل بن سليمان (ت 150هـ)

يُعدّ تفسير مقاتل بن سليمان من أقدم التفاسير التي وصلت إلينا بصورة شبه متكاملة، ويمثل مرحلة مبكرة جدًا من تاريخ التفسير، حيث كان الهمّ الرئيس للمفسّر هو شرح المعنى المباشر للنص القرآني وربطه بالقصص والأخبار المتداولة في بيئته العلمية. ومن ثمّ، فإن تفسيره يُعد شاهدًا مهمًا على البدايات الأولى لتشكّل العلم التفسيري قبل نضجه المنهجي وتبلور أدواته النقدية.

وقد كُتب تفسير مقاتل في زمن كانت فيه الحاجة ماسّة إلى تقريب معاني القرآن للمتلقّي، أكثر من الحاجة إلى بناء نظريات تفسيرية أو مقاربات نسقية شاملة. لذلك جاء تفسيره بسيط البنية، مباشر العبارة، يعتمد على البيان الإجمالي للمعنى، مع حضور واضح للروايات، ولا سيما القصصية منها.

من حيث المنطلق المنهجي، ينطلق مقاتل بن سليمان من منهج تفسيري نقلي مبكّر، يركّز على بيان المراد من الآية كما فُهم في التداول الشفهي والروايات الأولى، مع اعتماد واسع على القصص التفسيري، وأسباب النزول، والتصوير السردي للأحداث. ولا يظهر في تفسيره اهتمام بتحليل البنية الداخلية للسورة أو بوظيفة الآيات داخل نسق كلي، بل يظل التفسير منصبًّا على *شرح الآية في ذاتها*.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فينطلق من أرضية مختلفة تمامًا؛ إذ يتعامل مع القرآن بوصفه نصًا مكتمل البنية، مقصود الترتيب، محكم البناء، لا تُفهم آياته فهمًا تامًا إلا ضمن سياقها البنائي داخل السورة، ثم داخل المصحف كله. ولذلك فإن السؤال المركزي فيه ليس:

ما القصة التي تشير إليها الآية؟ بل: *ما الدور الذي تؤديه هذه الآية في مسار الهداية، وبناء الوعي، وإدارة الصراع القيمي في الإنسان والمجتمع؟*

ويتجلى الفارق بوضوح في التعامل مع السورة كوحدة مستقلة. فتفسير مقاتل لا يتعامل مع السورة باعتبارها بناءً ذا مقصد مركزي أو مراحل خطاب متتابعة، بل يُفَسِّر الآيات متتابعة دون محاولة للكشف عن الهيكل الموضوعي للسورة أو منطق الانتقال بين مقاطعها. في حين يجعل التفسير البنائي الاستراتيجي من وحدة السورة أصلًا تأسيسيًا، ويحلل مقصدها العام، وتسلسل خطابها، وتكامل عناصرها، وربطها بما قبلها وما بعدها.

أما من حيث البعد المقاصدي والسنني، فإن تفسير مقاتل – بحكم مرحلته التاريخية – لا يشتغل على استخراج السنن القرآنية أو القوانين الحاكمة لمسار الهداية والضلال، ولا على تحليل آليات بناء الإنسان أو تحصينه، بل يكتفي غالبًا بعرض المعنى كما هو متداول، مع تركيز ملحوظ على الجانب القصصي والتاريخي. بينما يقوم التفسير البنائي الاستراتيجي على استقراء المقاصد الكبرى، وكشف السنن الإلهية، وتحليل منطق التدافع والصراع، وربط النص القرآني بالواقع الإنساني في بعديه الفردي والجماعي.

ومن حيث الغاية العلمية، فإن غاية تفسير مقاتل هي البيان الأولي للمعنى، وتثبيت الفهم المباشر للنص في الوعي الإسلامي الناشئ. وهي غاية تأسيسية في تاريخ التفسير، لا غنى عنها لفهم تطور هذا العلم. أما غاية التفسير البنائي الاستراتيجي فهي الانتقال بالتفسير من مرحلة البيان إلى مرحلة التوظيف الحضاري الواعي، بحيث يُقرأ القرآن بوصفه مشروعًا متكاملًا لبناء الإنسان، وإدارة الصراع القيمي، وتحقيق الاستخلاف.

أما من حيث الإضافة العلمية، فإن قيمة تفسير مقاتل بن سليمان تكمن في كونه لبنة تاريخية مبكرة في صرح التفسير، تكشف عن طريقة الفهم الأولى، وتثري الدرس التفسيري من زاوية تاريخ الأفكار. غير أن إضافته تبقى محدودة من حيث المنهج والتحليل البنائي. في المقابل، يسعى التفسير البنائي الاستراتيجي إلى تقديم إضافة منهجية معاصرة، تتمثل في إعادة تنظيم العلاقة مع النص القرآني، وتطوير قراءة شمولية تستوعب البناء، والمقصد، والوظيفة، والواقع.

وعليه يمكن القول إن تفسير مقاتل بن سليمان يمثّل مرحلة التفسير الأولي المباشر في تاريخ التعامل مع القرآن، حيث كان التركيز على نقل المعنى وتقريره، بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي مرحلة القراءة الواعية المتكاملة، التي تتعامل مع القرآن كنظام هداية متكامل لا كنص مجزأ.

فمقاتل يجيب عن سؤال: *ما الذي وقع؟ وما الذي تعنيه الآية في ظاهرها؟* أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيجيب عن سؤال أعمق: كيف يعمل النص القرآني؟ ولماذا صيغ بهذا الترتيب؟ وما أثره المقصود في بناء الإنسان والأمة؟

وبهذا، فالعلاقة بين التفسيرين ليست علاقة إلغاء، بل علاقة تدرّج تاريخي وتكامل معرفي، حيث يُفهم القديم في سياقه، ويُطوَّر الفهم في ضوء اكتمال أدوات النظر والمنهج.

مقارنة بين "التفسير البنائي الاستراتيجي" وتفسير يحيى بن سلام (ت 200هـ)

يُعدّ تفسير يحيى بن سلام التيمي (أبو ثعلبة، البصري ثم الإفريقي القيرواني) من أوائل التفاسير التي وصلتنا كاملة نسبيًا، وهو يمثل مرحلة مبكرة من تاريخ التفسير، تتسم بغلبة الأثر، والرواية، والتفسير الإجمالي، مع عناية بنقل أقوال السلف، خاصة في بيان المعنى العام والقصص القرآني وأسباب النزول.

وقد كُتب تفسير يحيى بن سلام في سياق تأسيسي، كان الهمّ العلمي فيه موجّهًا إلى حفظ المعنى المأثور وضبط الفهم الأول للنص، قبل تشكّل المناهج التحليلية المركبة أو الرؤى الكلية للمصحف.

أولًا: من حيث المنطلق المنهجي

ينطلق يحيى بن سلام من منهج أثري–نقلي، يقوم أساسًا على:

- تفسير القرآن بالقرآن أحيانًا،

- وبالسنة وأقوال الصحابة والتابعين غالبًا،
- مع ميل إلى الشرح الإجمالي دون توسّع لغوي أو جدلي.

فهو تفسير يُعنى بـ نقل المعنى الموروث أكثر من بنائه أو تحليله.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي فينطلق من منطلق مختلف جذريًا؛ إذ لا يقف عند *ما الذي قيل في الآية؟* بل يتجه إلى سؤال أعمق: كيف ينتظم هذا القول داخل بنية السورة؟ وما موقعه في هندسة المصحف؟

ومن هنا، فبينما يشتغل تفسير يحيى بن سلام في إطار التفسير التأسيسي النقلي، يشتغل التفسير البنائي في إطار التحليل النسقي المقاصدي.

ثانيًا: من حيث التعامل مع السورة كوحدة

لا يتعامل تفسير يحيى بن سلام مع السورة بوصفها وحدة بنائية مستقلة ذات مقصد مركزي، بل يفسّر الآيات على التتابع، مع ربط محدود بالسياق القريب، دون محاولة لاستخراج:

- مقصد السورة العام،
- أو خيطها الناظم،
- أو علاقتها البنيوية بما قبلها وما بعدها.

في المقابل، يجعل التفسير البنائي الاستراتيجي من وحدة السورة أصلًا منهجيًا، حيث تُقرأ السورة بوصفها خطابًا متكاملًا، له:

- هدف هادٍ،
- وبنية داخلية،
- ومسار تربوي أو حضاري واضح.

ثالثًا: من حيث البعد المقاصدي والسنني

يحضر البعد المقاصدي في تفسير يحيى بن سلام حضورًا ضمنيًا غير مُنظَّر له؛ إذ تُذكر المعاني دون تحويلها إلى سنن أو قوانين حاكمة للواقع، وتظل الدلالات:

- جزئية،
- تفسيرية،
- مرتبطة بالسياق التاريخي الأول.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فيجعل المقاصد والسنن محور القراءة، فيستخرج من النص:

- قوانين الهداية والضلال،
- سنن النصر والانكسار،
- منطق الابتلاء والتدافع،
- آليات بناء الوعي والإيمان والمجتمع،

ويربط ذلك بالواقع الإنساني والاجتماعي عبر الزمان.

رابعًا: من حيث الغاية العلمية

غاية تفسير يحيى بن سلام هي:

- حفظ الفهم المأثور،
- وتثبيت المعنى الإجمالي للآيات،
- وخدمة مرحلة التلقّي الأولى للنص القرآني.

أما غاية التفسير البنائي الاستراتيجي فهي:

- الانتقال من التفسير النقلي إلى التفسير البنائي،
- ومن بيان المعنى إلى فهم الوظيفة والرسالة،

- ومن القراءة التجزيئية إلى الرؤية القرآنية الشاملة.

خامسًا: من حيث الإضافة العلمية

تكمن القيمة العلمية لتفسير يحيى بن سلام في:

- كونه شاهدًا مبكرًا على التفسير الأول،
- وحافظًا لأقوال السلف،
- ومصدرًا مهمًا لفهم تشكّل المعنى في القرن الثاني الهجري.

غير أن إضافته تبقى تأسيسية تاريخية لا منهجية تحليلية؛ إذ لم يسعَ إلى بناء نظرية في التفسير أو تصور كلي للمصحف.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فيسعى إلى إضافة منهجية جديدة، تتمثل في:

- قراءة المصحف كوحدة متكاملة ذات مشروع هداية،
- وتحويل التفسير إلى أداة لفهم حركة القرآن في بناء الإنسان والأمة والتاريخ.

يمكن القول إذا أن:

- تفسير يحيى بن سلام يمثل مرحلة التفسير النقلي التأسيسي في تاريخ العلوم القرآنية،
- بينما يمثل التفسير البنائي الاستراتيجي مرحلة القراءة النسقية المقاصدية للنص القرآني.

فيحيى بن سلام يجيب عن سؤال: *كيف فهم السلف هذه الآية؟*

أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيجيب عن سؤال: ما موقع هذه الآية في بناء السورة، وما دور السورة في تشكيل الوعي القرآني والحضاري؟

وبـــذلك، فالعلاقـــة بـــين المنهجـــين ليســـت تعارضًـــا بـــل تطـــوّرًا وظيفيًـــا؛ حيـــث يُمثّـــل تفســـير يحيـــى بـــن ســـلام الأســـاس النقلـــي، ويمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي مرحلة الوعي الكلي برسالة القرآن في الزمن والواقع.

مقارنة بين التفسير البنائي الاستراتيجي وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري

يُعدّ تفسير الإمام الطبري (ت 310هـ) أقدم وأعظم التفاسير الجامعة التي أرست القواعد الأولى لعلم التفسير بالمأثور، وقد ظلّ مرجعًا أساسًا لمن جاء بعده من المفسّرين، لما تميّز به من استقصاء لأقوال السلف، ودقة في النقل، وغزارة في المادة اللغوية والرواية الحديثية.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فهو مشروع معاصر يحاول أن يتجاوز منهج التجزئة إلى بناء نظري وعملي متكامل، يقرأ القرآن الكريم باعتباره مشروعًا إلهيًا لبناء الإنسان والأمة والدولة، من خلال رؤية شمولية متسلسلة تربط بين معاني السور وسنن الله في التاريخ والاجتماع والعمران.

1. من حيث المنهج العام:

- الطبري يعتمد على التفسير بالمأثور؛ فيعرض الآية، ثم يذكر أقوال الصحابة والتابعين فيها، مع مناقشة لغوية دقيقة لألفاظها، ويرجّح بينها وفق ضوابط اللغة والسياق.
- بينما التفسير البنائي الاستراتيجي يعتمد منهجًا تحليليًا تركيبيًا، ينظر إلى السورة القرآنية كوحدة متكاملة، ذات محور بنائي محكم، تتوزع حوله المعاني الجزئية كلبنات فـــــــي بنــــــــاء واحــــــــد.
فهو لا يتوقف عند المعنى اللغوي أو الجزئي، بل يربطه بمقاصد السورة العليا وبالخطة القرآنية الكلية للنهوض الإنساني.

2. من حيث الهدف والمقصد:

- كان هدف الطبري بيان معنى الآية كما فهمها السلف، والالتزام بما ورد في الأثر دون تجاوز كثير للتأمل أو التحليل المقاصدي. فهو حارس للموروث التفسيري، يسعى إلى حفظ النص وتفسيره بأقوال من شهد التنزيل أو عاصر من شهده.
- بينما هدف التفسير البنائي الاستراتيجي إعادة قراءة النص القرآني في ضوء التحديات الحضارية المعاصرة، واستثمار دلالاته لبناء رؤية استراتيجية للنهضة، دون أن يخرج عن أصول التفسير ومقاصد الشريعة. إنه تفسير يحاول أن يجعل من كل سورة مشروعًا تطبيقيًا يوجّه حركة الأمة في الفكر والسياسة والاجتماع والإصلاح.

3. من حيث أدوات التحليل:

- اعتمد الطبري على الرواية واللغة والإسناد، فكانت أدواته الأساسية: جمع الأقوال، تصحيح الروايات، تفسير الألفاظ باللسان العربي، ثم الترجيح بينها.
- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فاستعمل أدوات التحليل البنائي والمقاصدي والاستراتيجي، فجمع بين علوم القرآن واللغة، وعلم الاجتماع القرآني، وسنن الله في التاريخ، وعلم الاستراتيجية الحديث، ليستخرج من النص الهيكل البنائي للسورة، وخريطة الرسالة الإصلاحية التي تحملها.

4. من حيث نظرة كل منهما إلى النص القرآني:

- في تفسير الطبري، النص القرآني يُقرأ آيةً آية، وغالبًا يُفهم كل مقطع بمعزل عن غيره، مع اعتماد شديد على تفسير المفردات وشرح الجمل.
- بينما في التفسير البنائي الاستراتيجي، لا تُفهم الآية إلا في ضوء بنائها في السورة وموقعها في السياق العام للقرآن كله، إذ يُنظر إلى السورة كـ"منظومة فكرية" أو "خطة

استراتيجية" تبدأ بمقدمة تأسيسية، ثم تعالج مراحل بناء الإنسان والمجتمع، وتنتهي بخاتمة تُبرز الثمرة والمقصد.

5. من حيث علاقة التفسير بالواقع:

- الطبري يقدّم تفسيرًا علميًا تقليديًا، يركّز على بيان المعنى دون تطبيقات واقعية أو استنباطات حضارية، لأنه كتب في عصر لم تكن فيه تحديات الدولة والمجتمع بنفس الصورة التي نعرفها اليوم.
- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيتوجّه مباشرة إلى الواقع، ويجعل من التفسير وسيلةً لفهم الواقع في ضوء الوحي، واستشراف المستقبل وفق السنن الربانية. إنه تفسير عمليّ رساليّ يربط بين النص والواقع، وبين الوحي والحياة.

6. من حيث البناء الكلي:

- تفسير الطبري تجزئيّ تقليدي، يُفسّر الآيات وفق ترتيب المصحف دون بيان الترابط البنائي بين أجزائها.
- أما تفسيرنا فبَنائيّ تفاعليّ، يركّز على محاور السورة الكبرى، ثم يربط بين سور القرآن في نسق استراتيجي عام، لتكوين رؤية تكاملية للرسالة القرآنية.

خلاصة المقارنة:

يمكن القول إنّ الإمام الطبري قد وضع الأساس الصلب للتفسير بالمأثور، فكان حافظ المعنى، في حين أن التفسير البنائي الاستراتيجي يسعى لأن يكون حافظ المقصد والاتجاه. الطبري أضاء الماضي بنور الأثر، أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيحاول أن

المقارنة بين "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للزمخشري و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يُعَدّ تفسير "الكشاف" للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) أحد أعمدة التفسير البلاغي في التراث الإسلامي، بل هو المرجع الأبرز في إبراز الإعجاز البياني والبلاغي للقرآن الكريم. وقد جاء هذا التفسير في سياق علمي كانت فيه علوم العربية والبلاغة في أوج نضجها، فوظّف الزمخشري أدواتها توظيفًا دقيقًا في الكشف عن أسرار النظم القرآني، وأساليب البيان، ودقائق الاستعمال اللغوي.

ومن حيث المنهج العام، فإن "الكشاف" تفسير لغوي بلاغي تحليلي، يركّز على:

- النحو والإعراب،
- البيان والبديع والمعاني،
- توجيه القراءات،
- إبراز وجوه الإعجاز البياني،

مع توظيف ذلك كله في خدمة فهم النص القرآني من زاوية لغوية دقيقة.

غير أنّ هذا التميّز البياني، على عظيم أثره، جعل التفسير ينشغل غالبًا بـ تفكيك الآية من داخلها لغويًا، دون التوسّع في النظر إلى السورة بوصفها وحدةً بنائيةً ذات مشروع متكامل، أو إلى القرآن باعتباره منظومة استراتيجية شاملة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من زاوية مغايرة؛ إذ لا يقف عند حدود التحليل البلاغي للآية، بل يتجاوزها إلى تحليل البناء الكلي للسورة، وربط النظم البلاغي بالغاية الاستراتيجية للنص، أي: *لماذا صيغ الخطاب بهذا الشكل؟ وفي أي مرحلة من مراحل البناء الإيماني أو الحضاري يقع؟.*

فالفرق الجوهري أن الزمخشري يجيب عن سؤال:

كيف عبّر القرآن؟

بينما يضيف التفسير البنائي سؤالًا أعمق:

لماذا بُني الخطاب القرآني بهذه الطريقة؟ وإلى أي غاية كلية يخدم؟

ومن حيث المقاصد، فإن الزمخشري ـ بحكم انتمائه الاعتزالي ـ يُحمِّل بعض الآيات توجيهات عقدية تخدم مذهبه الكلامي، وهو ما نبّه عليه علماء أهل السنة، حتى قالوا: *"في الكشاف بلاغة لا تُجارى، وفيه اعتزال لا يُوارى"* .

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فيلتزم التزامًا صارمًا بمنهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، ويجعل المقاصد الشرعية والسنن الإلهية محور التحليل، بعيدًا عن التوجيه الكلامي المذهبي للنص.

كذلك، فإن "الكشاف" لا يتعامل مع الواقع التاريخي والاجتماعي بوصفه مجالًا لتفعيل الهداية القرآنية، بل يركّز على الجانب اللغوي الذهني للنص، بينما يربط التفسير البنائي النص بالواقع ربطًا منهجيًا واعيًا، فيستخرج من البنية القرآنية قوانين التغيير الاجتماعي وسنن النهوض والانحطاط.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- تفسير الزمخشري يهدف إلى كشف جمال النص ودقته التعبيرية،
- بينما يهدف التفسير البنائي الاستراتيجي إلى كشف وظيفة النص في بناء الإنسان والأمة والحضارة.

كما أن الزمخشري ـ رغم عبقريته اللغوية ـ يتعامل مع الآيات غالبًا بوصفها وحدات مستقلة في التحليل البلاغي، في حين يتعامل التفسير البنائي مع السورة بوصفها بنية متماسكة ذات تسلسل منطقي ومرحلي، ويضع كل آية في موضعها من هذا البناء.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "الكشاف" يمثّل ذروة التفسير البلاغي التحليلي في التراث الإسلامي،
- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" يمثّل محاولة معاصرة لتجاوز التحليل الجزئي إلى التحليل النسقي الكلي.

الأول يخدم دارس العربية والبلاغة،
والثاني يخدم دارس القرآن بوصفه مشروع هداية وبناء حضاري.

وبذلك فإن التفسير البنائي لا يُلغي "الكشاف"، بل يستفيد من إنجازه البلاغي ويعيد توظيفه داخل رؤية أشمل، تجعل البلاغة جزءًا من البنية، لا غايةً في ذاتها.

المقارنة بين "مفاتيح الغيب" للرازي(606) و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدُّ فخر الدين الرازي في تفسيره *مفاتيح الغيب* من أكثر المفسرين إغراقاً في التحليل العقلي والفلسفي، فقد سعى إلى بناء تفسيرٍ يقوم على الجدل المنطقي والكلامي، ومناقشة شبهات المعتزلة والفلاسفة، وتحرير المسائل العقدية على طريقة المتكلمين. ولذلك اتجه تفسيره إلى العقل النظري، وأغرق في القضايا الفلسفية التي قد تُبعد القارئ أحياناً عن صلب المعنى القرآني المباشر.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي فينطلق من زاوية مغايرة تماماً، فهو لا ينشغل بالمجادلات الكلامية أو التفريعات الفلسفية، وإنما يسعى إلى فهم النسق البنائي للسورة واكتشاف الخطة الإلهية التي تحكم حركتها الموضوعية، وكيف تُسهم كل آية في رسم معالم تلك الخطة.

فالتفسير هنا وظيفيٌّ وبنائيٌّ، يتعامل مع النص باعتباره *منظومة قيادة إلهية للأمة*، لا ساحةً للمناظرة الفكرية.

ومع ذلك، فإن بين المنهجين قواسم مشتركة، أبرزها:

- عمق النظر في المعاني، فكلٌّ منهما لا يقتصر على ظاهر اللفظ.
- محاولة استكشاف العلاقات المنطقية بين الآيات والمعاني.
- احترام النص القرآني بوصفه مصدر الهداية والمعرفة العليا.

غير أن الاختلاف الجوهري بينهما يكمن في الغاية والاتجاه: الرازي يجعل العقل محور الفهم، فيُخضع النص للمناقشة العقلية، بينما التفسير البنائي يجعل القرآن هو الأصل، والعقل أداة لفهم البناء الكلي.

الرازي يسأل: *كيف نفهم النص فلسفياً؟*، أما المنهج البنائي فيسأل: *كيف يهدي النص الأمة نحو نهضتها؟*.

الرازي يُعالج الآية في ضوء ما تثيره من قضايا منطقية أو فلسفية، فيتحول التفسير إلى *ساحة علم الكلام*، بينما المنهج البنائي يُعالجها في ضوء موقعها ضمن *الهيكل البنائي للسورة*، فيتحول التفسير إلى *خريطة استراتيجية للهداية والعمل*.

ثم إن الرازي كثيراً ما يُغفل الترابط البنائي بين مقاطع السورة، إذ يركّز على المعنى الجزئي أو الجدلي، أما التفسير البنائي فيجعل ذلك الترابط أصلًا لا فرعاً، ويرى أن السورة كائن حيّ تتفاعل آياته في بنية واحدة متصاعدة نحو غاية محددة.

وخلاصة القول: أن *مفاتيح الغيب* تفسيرٌ عقلي جدلي، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي تفسيرٌ تحليلي تركيبي؛ الأول يسعى إلى إثبات العقيدة بالعقل، والثاني يسعى إلى بناء الأمة بالعقل والوحي معاً، من خلال قراءة متكاملة تُعيد للقرآن دوره القيادي في صياغة الفكر والمجتمع والحضارة.

يضيء الحاضر والمستقبل بنور الفهم البنائي والتخطيط الحضاري.

مقارنة بين التفسير البنائي الاستراتيجي والجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي

يُعد تفسير الإمام القرطبي (ت 671هـ) من أعظم التفاسير الفقهية واللغوية التي خدم بها العلماء كتاب الله تعالى، فقد جمع بين اللغة والفقه والعقيدة، وأودع فيه علمه الواسع، واهتمامه باستنباط الأحكام الشرعية من الآيات، حتى صار مرجعًا لكل من أراد تفسيرًا فقهيًا موسعًا للقرآن الكريم.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي الذي أعددناه، فهو تفسير معاصر ذو رؤية بنائية شاملة، لا يقتصر على استنباط الأحكام، بل ينظر إلى القرآن باعتباره وثيقة بناء حضاريّ شامل، تتكامل فيها المقاصد الإيمانية والتربوية والسياسية والاجتماعية، في نسق متدرج يربط بين مقاطع السورة ووحداتها ودلالاتها في الخطة الكلية للوحي.

1. من حيث المنهج العام

- القرطبي اعتمد منهجًا فقهيًا تحليليًا، جعل من الآيات مصدرًا لاستنباط الأحكام العملية التفصيلية، فكان يعرض المسائل الفقهية بتوسع، مع عزو الأقوال لأصحابها ومناقشتها أصوليًا.
- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيعتمد منهجًا مقاصديًا بنائيًا، ينظر إلى الحكم الشرعي في سياقه البنائي ووظيفته في إقامة الإنسان والاستخلاف والإصلاح الاجتماعي، دون الوقوف عند الخلافات المذهبية أو التفاصيل الجزئية.

فالقرطبي يُنزّل الآية على المسألة الفقهية، بينما التفسير البنائي يرفع المسألة إلى المقصد الكلي والوظيفة الحضارية.

2. من حيث الهدف والمقصد

- هدف القرطبي الأساس هو بيان أحكام القرآن واستنباط الفقه منه، لذلك كان تركيزه على ما ينبني عليه عمل أو فتوى، مع بيان اللغة والإعراب والقراءات في سبيل خدمة الفقه.
- أما هدف التفسير البنائي الاستراتيجي فهو توجيه العقل المسلم إلى البنية الكلية للخطاب القرآني، وإبراز سنن الله في العمران، وهداية الأمة إلى طريق النهوض من خلال الفهم البنائي للنص.

فالقرطبي يخاطب الفقيه والمجتهد، والتفسير البنائي يخاطب العالم والمفكر والمجتمع، ليجعل من القرآن منهاجًا شاملاً لبناء الوعي والعمل.

3. من حيث معالجة النص

- القرطبي يبدأ عادة بذكر القراءات واللغة والإعراب، ثم ينتقل إلى الأحكام الفقهية، ويورد أقوال العلماء، وقد يذكر أسباب النزول والمعاني العامة في سياق ذلك.
- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيبدأ من هيكل السورة، فيستخرج محاورها الكبرى، ويبيّن علاقة كل مقطع بالآخر، ويعرض آياتها على خريطة استراتيجية تُظهر الهدف المرحلي والمقصد النهائي للسورة، دون الانشغال بالتفصيلات الجزئية إلا بقدر ما يخدم البناء العام.

4. من حيث الرؤية المقاصدية

- القرطبي مع أنه تناول المقاصد أحيانًا ضمنيًا، إلا أن اهتمامه كان بالأحكام التفصيلية لا بالبنية المقاصدية الكلية.
- أما التفسير البنائي فينطلق من المقاصد القرآنية العليا، مثل بناء الإيمان، وتحرير الإنسان، وتحقيق العدل، وبناء الأمة الوسط، ويجعل من كل سورة لبنة في تحقيق هذه المقاصد، في قراءة استراتيجية مترابطة.

5. من حيث اللغة والأسلوب

- أسلوب القرطبي تحقيقي علمي، حافل بالنقول والنقاشات الفقهية، يعكس روح المدرسة الأندلسية في الجمع بين الدقة اللغوية والتوسع الفقهي.
- بينما أسلوب التفسير البنائي الاستراتيجي تحليلي تأملي تطبيقي، يُعنى ببناء المعنى في ذهن القارئ بلغة معاصرة رصينة، تمزج بين فصاحة التراث ووضوح الخطاب الحديث.

6. من حيث العلاقة بالواقع

- القرطبي يركّز على النص من حيث هو مصدر تشريع، دون محاولة مباشرة لربطه بالواقع الاجتماعي والسياسي لعصره.

- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيجعل من النص القرآني منطلقًا لبناء الواقع وإصلاحه، إذ ينظر إلى كل سورة كخطة إصلاحية موجهة للإنسان والمجتمع والدولة، ويقرأ النص في ضوء الواقع دون أن يخضعه له.

7. من حيث بنية التفسير

- تفسير القرطبي موسوعي تجزيئي، يتعامل مع كل آية كوحدة مستقلة ضمن باب فقهي أو لغوي.
- أما التفسير البنائي الاستراتيجي فهو تركيبي هرمي، يرى في كل سورة بنية ذات طبقات مترابطة: مقدمة تأسيسية، ثم محور وسطي لمعالجة الانحراف أو البناء، ثم خاتمة استراتيجية تُوجّه نحو التطبيق العملي.

خلاصة المقارنة

يُعدّ القرطبي إمام الفقه في التفسير، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي هو إمام البناء في التفسير.
القرطبي فصّل أحكام الشريعة، والتفسير البنائي يبيّن حِكمها ومقاصدها واتجاهها الحضاري.
الأول ركّز على الفرع والأثر، والثاني ركّز على الأصل والغاية.

وبينما قدّم القرطبي خدمة جليلة لحياة الفقيه والمفتي، فإن التفسير البنائي الاستراتيجي يسعى لتقديم خدمة حضارية لحياة الأمة كلها، بإعادة اكتشاف البناء المتكامل للوحي، وربط الخطاب القرآني بمسيرة الإنسان نحو الاستخلاف والإصلاح.

مقارنة منهجية بين التفسير البنائي الاستراتيجي وتفسير الكواشي

يُعدّ تفسير الكواشي – وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد الكواشي (ت نحو 680هـ) – واحدًا من التفاسير المتوسطة الحجم التي تمثل اتجاهًا واضحًا في تاريخ التفسير، يمكن وصفه بالاتجاه اللغوي–البياني المختصر. فقد انصرف صاحبه إلى شرح الألفاظ القرآنية، وبيان

المعاني الإجمالية، مع إشارات موجزة إلى الإعراب والبلاغة، دون توسّع في الخلافات الفقهية أو العقدية، ودون استطراد في القضايا المنهجية الكبرى.

وقد جاء تفسير الكواشي في سياق علمي كان همّه الأساس خدمة النص القرآني من زاوية الفهم اللغوي المباشر، فجاء تفسيره أقرب إلى كونه أداة تعليمية مساعدة على الفهم، لا مشروعًا تفسيريًا ذا رؤية كلية أو مقصد جامع يحاول إعادة قراءة المصحف بوصفه بناءً متكاملًا.

من حيث المنطلق المنهجي، ينطلق الكواشي من تصور تقليدي للتفسير، يجعل الغاية الأساسية هي بيان ما تدل عليه الألفاظ والتراكيب في سياقها القريب. فالمعنى يُستخرج من اللغة، ويُضبط بالإعراب، ويُقرَّب بالشرح المختصر، دون أن يُطرح سؤال الوظيفة الكلية للنص أو علاقته بالبناء العام للمصحف. أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من سؤال مغاير في جوهره؛ إذ لا يكتفي بالسؤال: *ماذا تعني الآية؟* بل يتجاوزه إلى سؤال أعمق: *ما موقع هذه الآية داخل السورة؟ وما دور السورة داخل الخطة الكلية للقرآن؟* وبذلك ينتقل التفسير من مستوى البيان الجزئي إلى مستوى الفهم النسقي الشامل.

ويظهر هذا الفرق بوضوح في طريقة التعامل مع السورة. فتفسير الكواشي لا يتعامل مع السورة بوصفها وحدة بنائية مستقلة ذات مقصد مركزي، وإنما يفسّر آياتها آيةً آية، في إطارها القريب، دون محاولة للكشف عن هيكل السورة الداخلي، أو منطق الانتقال بين مقاطعها، أو علاقتها بالسور السابقة واللاحقة. في المقابل، يجعل التفسير البنائي الاستراتيجي من وحدة السورة أصلًا منهجيًا لا غنى عنه، فيبحث في مقصدها العام، ومراحل خطابها، وتدرّجها الموضوعي، ووظيفتها داخل مشروع المصحف بأكمله.

أما من حيث البعد المقاصدي والاستراتيجي، فإن تفسير الكواشي يظل – في الجملة – حبيس المعنى الظاهر للنص، ولا يشتغل على استنباط السنن القرآنية أو المنطق الحاكم لمسار الهداية والضلال، ولا على تحليل آليات الصراع والتدافع أو بناء الوعي الإيماني. بينما يقوم التفسير البنائي الاستراتيجي على جعل المقاصد والسنن محورًا أساسيًا في القراءة،

فيسعى إلى الكشف عن قوانين الهداية، ومنهج بناء الإنسان، وأدوات التحصين الفكري والروحي، وربط ذلك بالسياق الإنساني والاجتماعي، دون إخلال بضوابط التفسير المعتبرة.

ويبرز التمايز كذلك في الغاية العلمية لكل منهما. فغاية تفسير الكواشي هي تسهيل فهم النص وتقريب معانيه اللغوية، وخدمة الطالب والمتلقي في مرحلة التعلّم والضبط. وهي غاية مشروعة ومعتبرة في سياقها التاريخي والعلمي. أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فغايته أوسع أفقًا؛ إذ يسعى إلى إعادة بناء طريقة النظر إلى القرآن، وتحويل التفسير من مجرد شرح للنص إلى رؤية قرآنية شاملة، تُبرز القرآن بوصفه مشروع هداية وبناء حضاري متكامل.

ومن حيث الإضافة العلمية، لا يُنكر على تفسير الكواشي فضله في الاختصار المفيد، وضبط الدلالة اللغوية، وخدمة التراث التفسيري التعليمي. غير أن إضافته تبقى – في الجملة – إضافة خدمية لا تأسيسية، إذ لم يتجه إلى إنشاء منهج جديد في قراءة النص القرآني. في حين يسعى التفسير البنائي الاستراتيجي إلى تقديم إضافة منهجية واضحة، تتمثل في قراءة المصحف كوحدة استراتيجية مترابطة، وتطوير أداة تحليلية جديدة تُعنى بوظائف النص وأبعاده الكلية.

وخلاصة القول، إن تفسير الكواشي يمثّل مرحلة مهمة من مراحل البيان اللغوي المختصر في تاريخ التفسير، بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي مرحلة متقدمة من القراءة النسقية الكلية للنص القرآني. فالكواشي يجيب – في الغالب – عن سؤال: *ماذا تقول الآية؟* أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيسعى للإجابة عن سؤال أعمق: *لماذا قيلت هذه الآية هنا؟ وما دورها في بناء الإنسان والأمة؟*

وبهذا، فالعلاقة بين المنهجين ليست علاقة تعارض أو إلغاء، بل علاقة تكامل وتدرّج؛ إذ ينتمي كل واحد منهما إلى مستوى مختلف من مستويات الاشتغال العلمي على القرآن الكريم، ويؤدي وظيفة معرفية مخصوصة في خدمة كتاب الله.

المقارنة بين "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للإمام النسفي و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يُعَدّ تفسير "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" للإمام عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710هـ) من التفاسير المختصرة المحكمة التي لاقت قبولًا واسعًا في الأوساط العلمية، خصوصًا في المدارس العلمية التقليدية، لما امتاز به من دقة العبارة، وحُسن الاختصار، وسلامة المنهج العقدي.

وقد جاء هذا التفسير في سياق علمي كان يهدف إلى تقريب معاني القرآن للطلبة دون إغراق في الروايات أو الخلافات، مع عناية واضحة باللغة والإعراب والقراءات، وابتعادٍ مقصود عن الإسرائيليات.

ومن حيث المنهج العام، ينتمي تفسير النسفي إلى المدرسة اللغوية العقدية المختصرة، فهو يفسّر الآية آية، مع التركيز على:

- بيان المعنى الإجمالي،
- الإشارة إلى الإعراب عند الحاجة،
- توضيح الدلالة العقدية وفق منهج أهل السنة،
- تجنّب الإطالة والتشعيب.

وهذا جعل "مدارك التنزيل" تفسيرًا تعليميًا تقريريًا، يصلح للحفظ والدرس، لكنه لا يقصد إلى بناء رؤية شاملة للنص القرآني أو إلى تحليل بنيته الكلية.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من مقصد مختلف تمامًا؛ إذ لا يهدف إلى الاختصار التعليمي، ولا إلى مجرد بيان المعنى الصحيح، وإنما يسعى إلى كشف النظام البنائي الداخلي للقرآن، والنظر إلى السورة بوصفها وحدةً متكاملة ذات رسالة استراتيجية، لا مجرد مجموعة آيات متجاورة.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- تفسير النسفي يشرح النص،
- بينما التفسير البنائي الاستراتيجي يكشف منطق النص وبنيته ووظيفته الحضارية.

وفي حين يتعامل النسفي مع السورة على أنها إطارٌ جامع لآيات مستقلة المعنى نسبيًا، يتعامل التفسير البنائي معها على أنها مشروع فكري متكامل له:

- محور مركزي،
- ومراحل بنائية،
- وتسلسل دلالي مقصود،
- ودور محدد في الخطة القرآنية الكلية.

ومن حيث التعامل مع المقاصد، فإن النسفي يلتزم بالمقاصد العقدية العامة، دون توسع في استنباط السنن الاجتماعية أو القوانين الحضارية، بينما يجعل التفسير البنائي المقاصد والسنن محورًا أصيلًا في القراءة التفسيرية، فيستخرج من بنية السورة قوانين النهوض والانحدار، وآليات الإصلاح والفساد، وسنن التمكين والتغيير.

كما أن تفسير النسفي لا يعالج الواقع المعاصر بوصفه مجالًا تطبيقيًا للقرآن، بل يكتفي بتقرير المعنى الصحيح كما فُهم في السياق التراثي، في حين أن التفسير البنائي الاستراتيجي يربط النص بالواقع ربطًا منهجيًا واعيًا، دون إسقاط متعسف، من خلال قراءة سننية تراعي الثوابت والمتغيرات.

ومن جهة المنهج العلمي، فإن النسفي يُمثّل قمة النضج في الاختصار المنضبط، لكنه لا يقدم اجتهادًا بنائيًا جديدًا في فهم النسق القرآني، بينما يُمثّل التفسير البنائي اجتهادًا تأسيسيًا يسعى إلى تطوير أدوات التفسير نفسها، لا مجرد استعمال الأدوات الموروثة.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "مدارك التنزيل" تفسيرٌ يُجيد حفظ المعنى الصحيح للنص القرآني.

- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" تفسيرٌ يُجيد إعادة بناء الوعي القرآني.

الأول يخدم طالب العلم في مرحلة التلقّي والتقرير،
والثاني يخدم الباحث والمفكر في مرحلة الفهم العميق والتوظيف الحضاري.

وبذلك لا يقع بين التفسيرين تعارض، بل تكامل تاريخي:
فالنسفي يمثّل اكتمال المنهج التقريري في عصره،
بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي استجابةً منهجية لتحديات العصر الحديث، حيث لم يعد السؤال: *ما معنى الآية فقط؟*
بل أصبح: *كيف يبني القرآن الإنسان، والمجتمع، والحضارة؟*

المقارنة بين "تفسير ابن كثير" عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعدّ تفسير ابن كثير من أعظم التفاسير الأثرية، وأقربها إلى منهج السلف الصالح في الاعتماد على المأثور من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

فهو تفسير روائي تفسيري يعنى بجمع الروايات وتوثيقها وتحقيقها، ويتميز بدقته في النقل، وحرصه على تصفية النص التفسيري من الضعيف والموضوع، ولذلك احتل مكانة مركزية بين كتب التفسير المعتمدة.

ومع ذلك، فإن منهج ابن كثير تجزيئي بطبيعته؛ إذ يفسر كل آية على حدة وفق سياقها المباشر، مع ربطها بما ورد من حديث أو أثر.

فهو يركّز على البيان الجزئي للنصوص، ولا يسعى عادة إلى بناء تصور كلي عن السورة أو عن المسار العام للخطاب القرآني.

فالغاية عنده هي توضيح المعنى المأثور، لا استخراج البنية المقاصدية أو الخطة الكلية للسورة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي فينطلق من مقاربةٍ جديدةٍ تُكمل هذا الجهد الأثري ولا تُنكره، بل تبني عليه، حيث يجعل من المأثور منطلقاً للتأمل البنائي والتحليل الاستراتيجي.

فهو يربط بين جزئيات المعاني في السورة ليُخرج منها هيكلها البنائي العام، ويستكشف ما وراءها من مقاصد توجيهية واستراتيجية، ويعيد ترتيب المعاني في نسق يربط أول السورة بآخرها ربطاً عضوياً.

فإذا كان ابن كثير يُبرز الأثر، فإن التفسير البنائي يُبرز النسق. وإذا كان ابن كثير يُفسر النص من حيث ما قيل فيه، فإن المنهج البنائي يُفسره من حيث ما يريد قوله في بنائه الكلي.

كما أن تفسير ابن كثير – برغم دقته – لا يركّز على البعد الواقعي الحضاري أو الخطة الإصلاحية للأمة، بينما التفسير البنائي يجعل هذا البعد محور عمله، إذ يتعامل مع القرآن باعتباره *وثيقة بناء أمة ورسالة حضارة*، لا مجرد نص تعبدي أو تاريخي.

ومع ذلك، فالتفسير البنائي الاستراتيجي لا يستغني عن ابن كثير، بل يستأنس به في كل موضعٍ يُحتاج فيه إلى النقل الصحيح أو الترجيح بالمأثور.

فالعلاقة بين المنهجين ليست علاقة تضادٍّ بل تكامل: فابن كثير يُرسّخ الثبات النصي والضبط الروائي، والمنهج البنائي يُقدّم الحركة الفكرية والبنية المنهجية.

وخلاصة المقارنة: أن تفسير ابن كثير هو تفسير الرواية والإسناد، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي هو تفسير البناء والمقاصد.

فالأول يُعنى بـ*نقل ما ورد*، ويخدم النص في سياقه التاريخي والثاني يعنى بت*حليل ما يُراد*، و يخدم الأمة في سياقها الاستراتيجي.

المقارنة بين "التحرير والتنوير" لمحمد الطاهر ابن عاشور [ت ١٣٩٣ هـ] و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعدّ التحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور من أعظم ما أبدع العقل الإسلامي في التفسير المعاصر؛ إذ مثّل ثورة علمية في منهجية التفسير من حيث تحرير المعنى اللغوي وتنوير المقصد البلاغي.

فقد جمع بين التحقيق اللغوي الدقيق والتأمل البياني العميق والنظر المقاصدي الذي يجعل من كل سورة رسالة تربوية وأخلاقية موجهة للأمة.

فابن عاشور تجاوز المنهج التجزيئي الكلاسيكي الذي اكتفى ببيان معاني الألفاظ، فبدأ يلحظ الوحدة الموضوعية للسورة، ويدرك الترابط بين مطالعها وخواتيمها، ويُبرز مقاصدها العامة.

وقد كان بذلك أحد رواد المنهج المقاصدي في التفسير، بل يمكن القول إنه مهد الطريق للتفاسير التي تهتم بالبناء الداخلي والاتساق العام للقرآن.

لكن مع عظمة هذا العمل، فإن التحرير والتنوير بقي في جوهره تفسيراً بيانياً لغوياً مقاصدياً، ولم يتطور إلى منهج بنائي استراتيجي متكامل كما في تفسيرنا.

فابن عاشور يركّز على الكشف عن المقاصد البلاغية والمعاني التربوية للسورة، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي ينطلق خطوة أبعد ليكشف عن الخطة الكلية للسورة وموقعها ضمن المنظومة القرآنية العامة، ويربط بين المقاصد البلاغية والمقاصد الحضارية في نسق واحد.

كما أن التفسير البنائي لا يكتفي بتحديد مقاصد السورة، بل يعيد بنائها تحليلياً في مستويات ثلاثية متدرجة:

1. المستوى البنائي الداخلي للسورة (كيف تُبنى فكرياً وموضوعياً).
2. المستوى الوظيفي في منظومة القرآن كله (موقعها في الخطة الكلية).
3. المستوى الاستراتيجي الحضاري (كيف تسهم في بناء الوعي والنهضة).

أما ابن عاشور، فعلى عمقه، لم يضع تصوراً استراتيجياً متكاملاً للترابط بين السور في مسار الأمة أو مشروعها الحضاري، وإنما ركّز على التوجيهات الأخلاقية والاجتماعية واللغوية في إطار السورة الواحدة.

كذلك، فإن التفسير البنائي الاستراتيجي يستخدم التحليل الهيكلي والمفاهيمي للوصول إلى رؤية شمولية عن السورة، بينما ابن عاشور يعتمد أساساً على التحليل البلاغي واللغوي.

ومن جهة أخرى، يلتقي التفسيران في أمور جوهرية، منها:

- الاهتمام بمقاصد السور لا بمجرد مفرداتها.
- تقدير البلاغة القرآنية واعتبارها مدخلاً للفهم.
- الجمع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة الفكرية.

غير أن التفسير البنائي الاستراتيجي يضيف بعداً جديداً وهو البعد التخطيطي والوظيفي الذي يجعل لكل سورة *رسالة استراتيجية محددة* في بناء الأمة، ويعيد ترتيبها في سلسلة منسقة من السور، بحيث تبدو وكأنها خطة قرآنية كبرى لبناء الإنسان والحضارة.

وخلاصة المقارنة:
أن ابن عاشور أبرز المقاصد البلاغية والتربوية للسور، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي أبرز المقاصد البنيوية والحضارية.
الأول فسّر القرآن بفكر العالم اللغوي المقاصدي، والثاني فسره بفكر الباحث الاستراتيجي البنائي.

المقارنة بين "في ظلال القرآن" لسيد قطب و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعدّ تفسير "في ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب من أكثر التفاسير المعاصرة تأثيراً في الوعي الإسلامي الحديث، ليس لأنه تفسير لغوي أو فقهي بالمعنى الأكاديمي، بل لأنه تجربة وجدانية فكرية حركية جعلت من القرآن *منهج حياة*، ومن التفاعل معه *ثورة في الوجدان والواقع*.

سيد قطب نظر إلى القرآن الكريم من زاوية الواقع الإنساني والاجتماعي والسياسي، ورأى في آياته نداءً إلهياً لإحياء الأمة، لا مجرد تلاوة للتعبد أو تدبر شخصي. فتميز تفسيره بأنه أدبي حركي وجداني، يربط النص القرآني بالواقع المتغير ويستخرج منه *السنن الاجتماعية والقيم الإيمانية والطاقات التغييرية*.

ومع هذا العمق الحركي، فإن "في ظلال القرآن" لا يقوم على منهج تحليلي بنائي منظم، بل على تأمل وجداني مسترسل في النص، يستخرج العبر والمشاعر والمواقف، دون التزام بخطة تفسيرية دقيقة أو رؤية تركيبية شاملة لكل سورة؛

لذلك فهو تفسير تعبيري تربوي أكثر منه تفسيراً بنيوياً منهجياً.

أما في التفسير البنائي الاستراتيجي، فإننا نحتفظ بحرارة الإيمان التي بثها سيد قطب، ولكن نُخضعها لـ بناء معرفي محكم، يُظهر:

1. البنية الهيكلية الدقيقة لكل سورة،
2. والخطة الفكرية التي تنتظم موضوعاتها،
3. والبعد الاستراتيجي الذي تؤديه في البناء الكلي للقرآن ومشروع الأمة.

فبينما كان سيد قطب يرى أن السورة "كائن حي متفاعل"، كان التفسير البنائي الاستراتيجي يذهب خطوة أبعد ليحلّل كيفية تشكّل هذا الكائن: كيف تترابط وحداته، وكيف تتحول من المعنى الفردي إلى الرؤية الكلية، وكيف تُسهم كل سورة في بناء الوعي الجمعي للأمة ضمن خطة قرآنية واحدة.

سيد قطب ركّز على البعد الوجداني والرسالي، والتفسير البنائي ركّز على البعد البنائي والتخطيطي؛ الأول خاطب القلب والحركة، والثاني خاطب العقل والبناء الحضاري. ومع ذلك، فهما يلتقيان في غاية سامية، هي: إحياء القرآن في واقع الأمة، غير أن الطريق مختلف:

- سيد قطب أشعل الوجدان القرآني،

- والتفسير البنائي بنى الوعي القرآني.

كما أن "الظلال" ينظر إلى القرآن كـ *دعوة متجددة لإعادة صياغة الحياة وفق منهج الله*، أما التفسير البنائي الاستراتيجي فينظر إليه كـ *خطة متكاملة لبناء مشروع الأمة عبر التاريخ، من داخل النص القرآني ذاته.*

وخلاصـــــــــــــــــــة المقارنـــــــــــــــــــــــــــــــة: أن "فـي ظـلال القـرآن" أيقـظ المشـاعر الحيـة فـي الأمـة لتـنهض، بينمـا "التفسـير البنـائي الاســـــــتراتيجي" قـــــــدّم الخريطـــــــة المنهجيـــــــة لتلـــــــك النهضـــــــة. الأول حرّك العاطفة الإيمانية، والثاني أسّس الرؤية الاستراتيجية.

المقارنة بين "صفوة التفاسير" للشيخ محمد علي الصابوني و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "صفوة التفاسير" من أكثر التفاسير رواجًا في العصر الحديث، لما اتّسم به من سهولة العبارة، وشمول المادة، وحُسن الجمع والترتيب.

فقد عمد الشيخ الصـابوني إلـى انتقـاء خلاصـة مـا ورد فـي التفاسير الموثوقـة – كـالطبري، وابن كثير، والقرطبي، والزمخشري، والبيضـاوي، وغيرهم – فاختصـرها ونسّقها بأسلوب مفهوم لعامـــــــــــــة النـــــــــــــاس وطلبـــــــــــــة العلـــــــــــــم. منهجـه إذًا تلخيصـي تجميعـي، يهـدف إلـى تقريـب معـاني القـرآن بلغـة وسـط بـين التبسـيط والرصانة، دون الدخول في مناقشات مطوّلة أو تحليلات عميقة.

وبهذا المنهج، شكّل "صفوة التفاسير" جسرًا معرفيًا بين التراث القديم والجيل الحديث، فقرّب المـادة التفسيرية إلـى من لا يطيـق الإطالـة أو التفرع، ولكنـه فـي الوقت نفسـه لم يُقدّم قراءة جديدة أو بنـاءً منهجيًا خاصًّا للنص القرآنـي، بل اكتفـى بجمـع "الصـفوة" من أقوال السـابقين وعرضـها بأسلوب مرتب.

أما في التفسير البنائي الاستراتيجي، فإن الهدف مختلف تمامًا؛ فهو ليس جمعًا لما قاله السابقون، بل قراءة جديدة للنص من داخله، تحاول أن تكتشف نظامه البنائي الذاتي الذي يربط الآيات ببعضها في نسقٍ موضوعي واستراتيجي، ثم تربط هذا النسق بالمشروع الحضاري للأمة.
فالفرق الجوهري أن الصابوني ينقل المعرفة التفسيرية، بينما التفسير البنائي ينتج معرفة تفسيرية جديدة.

في "صفوة التفاسير" نجد التفسير بالمأثور واللغة هو الأصل، مع إشارات موجزة إلى المعاني الإيمانية والتربوية، أما في "التفسير البنائي الاستراتيجي" فنجد تحليلًا متدرجًا للسورة كوحدة بنائية، وتفصيلًا لدورها في البناء العام للقرآن، إضافةً إلى استخراج السنن الحضارية والاستراتيجية الكامنة في بنائها.

كذلك، فإن "صفوة التفاسير" لا يتبنّى رؤية تحليلية لهيكل السورة أو مراحلها الفكرية، بينما التفسير البنائي يُقدّم خطةً تفسيرية ممنهجة تبدأ من المفردة القرآنية، ثم السياق، ثم المقطع البنائي، ثم السورة كوحدة كلية، ثم موقعها في النظام القرآني العام.

وبعبارة أخرى:

- "صفوة التفاسير" هو أقرب إلى الموسوعة التفسيرية المختصرة.
- و"التفسير البنائي الاستراتيجي" هو أقرب إلى الدراسة البنيوية الفكرية الشاملة.

الأول يخدم القارئ الباحث عن الفهم الميسّر، والثاني يخدم الباحث عن الرؤية الكلية والوعي الحضاري.
الأول يُلخّص ما قيل، والثاني يبتكر كيف يُفهم النص.

وخلاصة المقارنة أن الشيخ الصابوني أدى دور الميسّر للمعرفة القرآنية، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي أدى دور البنّاء للرؤية القرآنية؛ فذاك حفظ ميراث التفسير، وهذا جدد منهج النظر إليه.

المقارنة بين "أضواء البيان" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "أضواء البيان" من التفاسير المعاصرة التي اعتمدت على الربط بين الآيات بالقرآن نفسه، والشرح اللغوي الدقيق، وبيان المعاني الشرعية والأحكام الفقهية.

وقد حرص الشنقيطي على تقديم تفسير واضح وسلس، مع مراعاة سياق الآيات، وربطها بالمقاصد الشرعية الكبرى، مع الالتزام بالمأثور وتفسيره بالمأثور عند الحاجة.

أوجه التشابه:

1. التمسك بالقرآن والسنة: كلا التفسيرين يضع النص القرآني والسنة النبوية كمصدر أساسي للفهم.
2. الاهتمام بالمقاصد العامة: يعرض الشنقيطي المعاني العامة والدروس المستفادة، وهذا مشابه للهدف من قراءة التفسير البنائي.
3. توضيح المعاني للقارئ: يسعى التفسيران إلى تقديم فهم واضح ومتدرج للقارئ.

أوجه الاختلاف الجوهرية:

1. البنية الشاملة للسورة:
   - في "أضواء البيان"، التركيز يكون على شرح الآية وربطها بالآيات الأخرى دون إبراز الهيكل العام للسورة كوحدة متكاملة.
   - أما في التفسير البنائي الاستراتيجي، فكل سورة تُحلل كوحدة متكاملة، مع إبراز المقاطع والهيكل البنائي والأدوار الموضوعية لكل جزء، وربط ذلك بالخطة الاستراتيجية العامة للقرآن.
2. البعد الاستراتيجي والتحليلي:
   - تفسير الشنقيطي يُقدّم الدروس الشرعية بشكل تفسيري ولغوي وفقهي.

- التفسير البنائي الاستراتيجي يضيف البعد الاستراتيجي للأمة، أي استخراج السنن الحضارية والتوجيهات العملية والتخطيطية من بنية السورة.

3. الابتكار في المنهج:

- "أضواء البيان" يعتمد على جمع وشرح المأثور، مع بعض الإضاءة على المقاصد.
- التفسير البنائي يبتكر قراءة جديدة للنص القرآني، تراعي تسلسل الأفكار وبنائها الموضوعي، وربطها بمشروع حضاري شامل.

4. تحليل المقطع والسورة كوحدة كلية:

- التفسير البنائي يقدّم مستويات متدرجة للتحليل: المفردة، السياق، المقطع البنائي، السورة كوحدة، موقعها في النظام العام للقرآن.
- "أضواء البيان" يكتفي غالبًا بالتحليل على مستوى الآية أو الموضوع، دون هذا البناء المتدرج.

خلاصة المقارنة:

- "أضواء البيان" هو تفسير تحليلي بالمأثور واللغة والمقاصد الشرعية، يوفر فهمًا معمّقًا للآيات.
- التفسير البنائي الاستراتيجي هو تفسير تحليلي + بنائي + استراتيجي، يقدم رؤية جديدة للنص تربط المعنى بالهيكل العام والسياق الاستراتيجي للأمة.

النتيجة:

يمكن القول إن تفسير الشنقيطي يوفر فهمًا دقيقًا للمعاني الشرعية واللغة القرآنية، بينما تفسيرنا يتجاوز ذلك ليقدم رؤية شاملة، وبنية متكاملة، ودروسًا استراتيجية قابلة للتطبيق في الفكر الحضاري للأمة.

المقارنة بين "التفسير الحديث" لمحمد عزة دروزة و"التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ "التفسير الحديث" للأديب والمفكر الفلسطيني محمد عزة دروزة من أوائل المحاولات المعاصرة لتقديم تفسير موضوعي متكامل للسور، بعيدًا عن النَّزعة التجزيئية القديمة. فقد أراد دروزة أن يُعيد القارئ إلى الوحدة الموضوعية للسورة، وأن يُبرز تسلسل الخطاب القرآني وتماسكه الداخلي، مما جعله من روّاد الاتجاه الموضوعي البنائي في التفسير الحديث، وإن لم يصغ المصطلح بهذا الاسم.

أوجه التشابه:

1. النظرة الكلية للسورة:
   كلا التفسيرين يتعاملان مع السورة كوحدة متكاملة لا كمجموعة آيات متفرقة.
2. الاهتمام بالترابط بين المقاطع:
   كل من دروزة والتفسير البنائي يبحثان في العلاقة بين الآيات والمقاطع الداخلية، ويريان أن البناء القرآني محكم متماسك.
3. الطابع الإصلاحي والواقعي:
   كلا المنهجين يربطان بين الرسالة القرآنية وواقع الأمة، ويريان أن القرآن ليس كتاب عقيدة وعبادة فحسب، بل دستور للحياة.

أوجه الاختلاف الجوهرية:

1. المستوى المنهجي:
   - دروزة يقدّم قراءة موضوعية تأملية، يركّز فيها على ترتيب السور وترابط موضوعاتها العامة، دون بناء تحليلي دقيق للمقاطع أو الهيكل البنائي الداخلي.
   - أما التفسير البنائي الاستراتيجي فيقوم على منهج تحليلي صارم، يُفكك السورة إلى وحدات بنائية متدرجة (مفردة – مقطع – محور – بناء كلي)، ويكشف الخطة الفكرية والاستراتيجية المضمَّنة فيها.

2. الغرض النهائي من التفسير:

- في "التفسير الحديث"، الغرض فهم الرسالة القرآنية بلغة العصر وربطها بحياة الناس.
- أما في التفسير البنائي، فالغرض بناء وعي استراتيجي وحضاري متكامل يُرشد إلى قوانين النهوض وسنن التغيير في ضوء القرآن.

3. المنهج التحليلي مقابل التأمل الأدبي:

- دروزة يكتب بأسلوب أدبي فكري عام، فيه نفَس إصلاحي وروح دعوية، لكنه لا يُقدّم خريطة مفهومية دقيقة لبنية السورة.
- التفسير البنائي يُقدّم تحليلًا علميًا مفصلًا للبناء الداخلي للسورة، مع استنباطٍ للسنن والمراحل الحضارية وفق منهج مدروس ومتكامل.

4. الرؤية الحضارية:

- دروزة يرى القرآن كتاب إصلاح اجتماعي وأخلاقي،
- بينما التفسير البنائي يراه أيضًا كتاب بناء حضاري واستراتيجي، يُرسي قواعد التفكير والتنظيم والتخطيط للأمة.

5. التكامل مع النص القرآني:

- دروزة لم يربط بين السور في مشروع كلي واضح المعالم، بل اكتفى بعرض تسلسلها التاريخي أو الموضوعي.
- أما التفسير البنائي فيربط كل سورة بموقعها في الخطة القرآنية الكبرى، بحيث يشكّل القرآن كله نظامًا استراتيجيًا متكاملاً.

خلاصة المقارنة:

يمكن القول إن محمد عزة دروزة قد مهّد الطريق للفكر البنائي في التفسير الحديث، بحديثه عن وحدة السورة وترابط موضوعاتها، لكنه بقي في حدود التحليل الأدبي الإصلاحي. أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فهو تطوير منهجي وعمق تحليلي جديد، يجمع بين البنية القرآنية الداخلية والمقاصد الحضارية الخارجية، ليقدّم قراءة جديدة للنص تنبع من هيكله ووظيفته ومهمته في النهضة الإسلامية.

فـــــ"التفسير الحـــــــديث" هــــــو رؤيـــــــة موضـــــــوعية إصــــــــلاحية، أمـــا "التفســـير البنـــائي الاســـتراتيجي" فهـــو رؤيـــة بنائيـــة اســـتراتيجية حضـــارية. الأول يوقظ الشعور القرآني، والثاني يبني به الوعي والاتجاه الحضاري للأمة.

مقارنة بين: "التفسير المنير" للدكتور وهبة الزحيلي، التفسير البنائي الاستراتيجي

يُعد التفسير المنير من أوسع التفاسير المعاصرة انتشارًا، وأقربها إلى المنهج الأكاديمي الوسطي، إذ جمع بين الأصالة والمعاصرة، وحرص على بيان الأحكام الفقهية واللغوية بأسلوب سهل قريب من القارئ، مما جعله مرجعًا معتمدًا في الجامعات والمعاهد الشرعية. وفيما يلي أوجه المقارنة بينه وبين تفسيرنا المقترح:

1. المنهج العام

- الزحيلي: سلك منهجًا تحليليًا تقليديًا مع نزعة إصلاحية معتدلة، فجمع بين المأثور والمعقول، واهتم بالتفسير الفقهي واللغوي مع عرض المذاهب الفقهية ومناقشتها برفق.
- التفسير البنائي الاستراتيجي: يتبع منهجًا مقاصديًا سننيًا تحليليًا، يتجاوز عرض الخلافات الفقهية إلى استنباط المعاني الحضارية والتشريعية الكبرى، مع قراءة النص في ضوء حركة التاريخ والواقع الاجتماعي والسياسي.

2. الغاية من التفسير

- الزحيلي: هدفه الأساس تيسير فهم القرآن للدارسين وتقديم مرجع علمي متكامل، فغلب عليه الطابع التعليمي الأكاديمي.
- التفسير البنائي الاستراتيجي: يهدف إلى تأسيس وعي حضاري وفقهي معاصر بالوحي، واستثمار القرآن في بناء الفكر الاستراتيجي للأمة، فغايته إعادة التفعيل الحضاري للقرآن في الواقع.

3. الأسلوب والعرض

- الزحيلي: اعتمد أسلوبًا منسقًا منضبطًا في فقرات محددة: عرض الآيات، ثم الشرح، ثم الأحكام، فالبلاغة.

وهو أسلوب مدرسي منظم يناسب التعليم الأكاديمي.

- التفسير البنائي الاستراتيجي: يتبع الأسلوب التحليلي التأليفي الذي يدمج بين النص والسياق والمقصد، ويعتمد على التحليل الموضوعي والجدلي عند الحاجة، مع لغة علمية رصينة تميل إلى العمق أكثر من التبسيط.

4. الأحكام الفقهية

- الزحيلي: أبرز ما يميز تفسيره هو العناية بالتفصيل الفقهي المقارن، فكان يعرض آراء المذاهب الأربعة ويُرجّح برؤية وسطية، فهو تفسير فقهي بامتياز.
- التفسير البنائي الاستراتيجي: لا يقف عند بيان الحكم الفقهي، بل يتجاوزه إلى تأصيله في ضوء مقاصده وغايته في العمران البشري، أي أنه فقه مقاصدي تجديدي أكثر منه مذهبيًا أو مقارنًا.

5. القضايا الفكرية والاجتماعية

- الزحيلي: تناولها بروح دعوية إصلاحية متوازنة، بعيدًا عن الجدل السياسي أو الفلسفي.

- التفسير البنائي الاستراتيجي يعالج تلك القضايا من منظور سنني وتحليلي يربط بين النص والواقع والفكر، ويجعل القرآن منطلقًا لتشخيص أزمات الأمة وبناء حلولها الحضارية.

6. المنابع والمصادر

- الزحيلي: اعتمد بشكل أساسي على التفاسير التراثية الكبرى (الطبري، القرطبي، الرازي، ابن كثير...) مع توظيف معتدل للمناهج الحديثة.
- التفسير البنائي الاستراتيجي: ينطلق من منهج نقدي تركيبي يوظف التراث بوعي، ويعيد قراءته في ضوء علوم المقاصد والاجتماع والسياسة الشرعية، دون الانغلاق في التقليد أو الانبهار بالغرب.

الخلاصة المقارنة

يلتقي "التفسير المنير" و"التفسير البنائي الاستراتيجي" في الاعتدال والمنهجية العلمية، لكنهما يختلفان في المقصد والعمق التحليلي:
فالزحيلي يقدم تفسيرًا موسوعيًا أكاديميًا يهتم ببيان المعاني والأحكام على طريقة الفقهاء، أما تفسيرنا فيمثل مشروعًا تجديديًا مقاصديًا سننيًا يروم بناء الرؤية القرآنية للحياة والإنسان والمجتمع، ويجعل القرآن منهجًا للتحرر والنهوض الحضاري.

المقارنة بين تفاسير الإمام السيوطي و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يحتلّ الإمام جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) مكانةً فريدة في تاريخ التفسير، لا من حيث ابتكار منهج تفسيري جديد، وإنما من حيث حفظ التراث التفسيري وجمعه وتصنيفه. وقد جاءت أعماله التفسيرية في سياق علمي هدفه الأساسي توثيق المأثور، وجمع ما تفرّق في كتب السلف من آثار الصحابة والتابعين، وترتيبها وتيسير الرجوع إليها.

وأبرز ما يمثّل منهجه التفسيري كتاب "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، وهو موسوعة ضخمة اعتمد فيها السيوطي على الرواية لا الدراية، فكان همه الأساس إيراد أكبر قدر ممكن من الأحاديث والآثار المتعلقة بالآية، مع عزوها إلى مصادرها، دون التزام بترجيح أو تحليل بنائي للنص.

ومن حيث المنهج العام، فإن تفسير السيوطي تفسير نقلي توثيقي، يركّز على:

- جمع الروايات الواردة في تفسير الآيات،
- حفظ أقوال السلف من الضياع،
- إبراز الامتداد التاريخي لفهم القرآن في القرون الأولى.

غير أن هذا المنهج . على جلالته وأهميته . لا يسعى إلى إعادة بناء المعنى، ولا إلى كشف النظام الداخلي للسورة أو علاقتها بالنسق القرآني العام، بل يترك للقارئ مهمة الجمع والتركيب والاستنتاج.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من تصور مختلف تمامًا لوظيفة التفسير؛ إذ لا يهدف إلى جمع الأقوال، بل إلى بناء الرؤية، ولا إلى إكثار الروايات، بل إلى اكتشاف منطق النص وبنيته ووظيفته الحضارية.

فالفرق الجوهري بين المنهجين أن:

- السيوطي يحفظ الذاكرة التفسيرية للأمة،
- بينما التفسير البنائي يصوغ وعيًا قرآنيًا معاصرًا من داخل النص.

وفي حين يشتغل السيوطي على الآية بوصفها محلًا للرواية، يشتغل التفسير البنائي على السورة بوصفها وحدة بنائية متكاملة ذات محور وغاية وتدرج، ثم يربط هذه الوحدة بالسنن الإلهية في التغيير والهداية والبناء.

ومن جهة التعامل مع المقاصد، فإن السيوطي لا يُعنى باستنباط المقاصد الكلية أو السنن الاجتماعية، إلا بقدر ما ترد في الروايات، بينما يجعل التفسير البنائي المقاصد والسنن مركز القراءة التفسيرية، ويُبرز علاقة الخطاب القرآني ببناء الفرد والمجتمع والدولة والحضارة.

كما أن تفسير السيوطي لا يقدّم معالجة منهجية للواقع المعاصر، لأنه لا يستهدف أصلاً هذا البعد، في حين يُعدّ الربط بين النص والواقع ركنًا أصيلًا في التفسير البنائي الاستراتيجي، من غير إخلال بثوابت النص ولا إسقاط تعسفي عليه.

وإذا انتقلنا إلى "تفسير الجلالين"، وهو عمل مختصر اشترك فيه السيوطي مع الإمام المحلي، وجدناه تفسيرًا تعليميًا بيانيًا موجزًا، يهدف إلى شرح المعنى الإجمالي للآية بأقصر عبارة ممكنة. وهو . وإن كان نافعًا في باب التلقّي . إلا أنه لا يتجاوز حدود البيان اللغوي والمعنى المباشر، ولا يطمح إلى بناء رؤية تفسيرية شاملة.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- تفاسير السيوطي تمثّل ذاكرة التفسير الإسلامي وحافظة مادته،
- بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي عقل التفسير المعاصر الساعي إلى إعادة ترتيب الفهم وتوجيهه.

الأول يخدم مرحلة الجمع والتوثيق،
والثاني يخدم مرحلة الفهم والتركيب والتفعيل الحضاري.

وبذلك لا يقوم التفسير البنائي مقام السيوطي، ولا العكس، بل هما مرحلتان مختلفتان في تاريخ التعامل مع القرآن:
السيوطي حفظ ما قيل،
والتفسير البنائي يسأل: *كيف ينبغي أن يُفهم القرآن اليوم؟ وبأي منهج نبني به الإنسان والأمة؟*

المقارنة بين "روح المعاني" للإمام محمود الآلوسي و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يُعَدّ تفسير "روح المعاني" للإمام محمود شكري الآلوسي (ت 1270هـ) من أوسع التفاسير الموسوعية في التراث الإسلامي المتأخر، إذ جمع فيه صاحبه خلاصة ما استقر من مناهج التفسير قبله، فضمّ بين دفتيه التفسير بالمأثور، واللغة، والبلاغة، والفقه، والكلام، والإشارات الصوفية، مع استحضار واسع لأقوال المتقدمين والمتأخرين.

ومن حيث المنهج العام، فإن "روح المعاني" تفسير موسوعي استيعابي، غايته الإحاطة بأكبر قدر ممكن من الأقوال والاتجاهات التفسيرية، مع تعقيب المؤلف عليها أحيانًا، وترجيحه في بعض المواضع. وهو بهذا المعنى يُمثّل مرحلة الجمع والتركيب التراثي في تاريخ التفسير، حيث بلغ التراكم العلمي مداه، وصار التفسير أشبه بموسوعة شاملة.

غير أن هذا الاتساع المنهجي ـ على قيمته العلمية ـ جعل التفسير ينشغل في كثير من المواضع بـ عرض الأقوال وتفريعها أكثر من انشغاله ببناء رؤية تفسيرية كلية للنص القرآني أو بالكشف عن بنيته الداخلية المنتظمة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه لا يسعى إلى الاستيعاب الموسوعي، ولا إلى حشد الأقوال، بل ينطلق من سؤال مركزي:
ما البناء الداخلي للسورة؟ وما وظيفتها في المشروع القرآني العام؟

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- الآلوسي يجمع التراث التفسيري ويعرضه،
- بينما التفسير البنائي ينتقي من التراث ما يخدم بناء الرؤية، ثم يعيد توظيفه ضمن نسق كلي متماسك.

ومن حيث التعامل مع السورة، فإن "روح المعاني" يفسّر الآيات في ترتيبها، مع تعليقات لغوية وبلاغية وعقدية وإشارية، لكنه لا يلتزم بتقديم تصور بنائي شامل للسورة من حيث

محورها ومراحلها ووظيفتها، في حين يجعل التفسير البنائي السورة وحدة تفسيرية مستقلة، تُدرس من حيث بنيتها وتسلسلها ومقاصدها الاستراتيجية.

كما أن الآلوسي مع عمق اطلاعه . يُدرج في تفسيره كثيرًا من الإشارات الصوفية واللطائف الذوقية، بعضها نفيس، وبعضها لا يخلو من تكلّف، بينما يلتزم التفسير البنائي التزامًا منهجيًا صارمًا بعدم تحميل النص ما لا يدل عليه، ويجعل السنن الإلهية والمقاصد الشرعية أساس التحليل، لا الذوق ولا الإشارة.

ومن جهة الواقع والتاريخ، فإن "روح المعاني" يعبّر عن مرحلة علمية هدفها حفظ التراث وإعادة عرضه، لا عن محاولة ربط النص القرآني بتحديات الواقع الحضاري المعاصر، بينما يُعدّ الربط بين النص والواقع أحد مقاصد التفسير البنائي الاستراتيجي، من خلال قراءة سننية واعية للتاريخ والمجتمع.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- تفسير الآلوسي يهدف إلى الإحاطة والفهم والاستيعاب،
- بينما يهدف التفسير البنائي إلى التوجيه والبناء والتفعيل الحضاري.

كما أن "روح المعاني" يعكس نضجًا علميًا تراثيًا، لكنه لا يقترح تطويرًا جذريًا لأدوات التفسير، في حين يسعى التفسير البنائي إلى تجديد المنهج لا في النتائج فقط، بل في طريقة النظر إلى النص القرآني ذاته.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "روح المعاني" يمثّل قمة التفاسير الموسوعية الجامعة في التراث المتأخر،
- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" يمثّل محاولة معاصرة للانتقال من *الموسوعة* إلى *المنظومة*.

الأول يخدم الباحث الذي يريد الاطلاع الواسع على أقوال المفسرين،
والثاني يخدم الباحث الذي يريد فهم القرآن بوصفه مشروعًا بنائيًا استراتيجيًا لهداية الإنسان والأمة.

وبذلك فإن التفسير البنائي لا يُخاصم "روح المعاني"، بل يتجاوزه منهجيًا، مستفيدًا من مادته الغنية، ومُعيدًا ترتيبها داخل رؤية مقاصدية سننية أشمل.

المقارنة بين "زاد المسير في علم التفسير" لابن الجوزي و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يُعَدّ تفسير "زاد المسير" للإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597هـ) من التفاسير التي جاءت في مرحلة وسطى بين التفاسير المطوّلة الموسوعية والتفاسير المختصرة التعليمية، فتميّز بمنهج انتقائي ترجيحي جمع فيه صاحبه أقوال السلف والخلف، ثم لخّصها، وحرص على تنقيتها من الإسرائيليات الضعيفة، مع توجيه لغوي وفقهي معتدل.

ومن حيث المنهج العام، فإن "زاد المسير" تفسير علمي تعليمي، يهدف إلى:

- عرض أشهر الأقوال في تفسير الآية،
- تحرير مواضع الخلاف،
- ترجيح القول الأقرب بدليل أو قرينة،
- تجنّب الإطالة والتشعب.

وبهذا المنهج، قدّم ابن الجوزي تفسيرًا يخدم طالب العلم المتوسط، الذي يريد الوقوف على خلاصة الخلاف التفسيري دون الخوض في المطولات.

غير أنّ هذا التوجّه ـ على أهميته ـ جعل التفسير يتحرّك في إطار الآية المفردة أكثر من تحرّكه في إطار السورة كوحدة بنائية، فلم يُعْنَ ابن الجوزي عنايةً منهجية بتحديد محاور السور أو بيان تدرّجها الداخلي أو موقعها من النسق القرآني العام.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من رؤية مغايرة لوظيفة التفسير؛ إذ لا يكتفي بعرض الأقوال ولا بترجيحها، بل يسعى إلى تفكيك البنية الداخلية للنص ثم إعادة تركيبها في صورة رؤية كلية متماسكة، تُبرز الغاية من ترتيب الآيات وتسلسلها ووظيفتها في بناء الإنسان والمجتمع.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- ابن الجوزي ينقّي المادة التفسيرية ويهذّبها،
- بينما التفسير البنائي يعيد توجيه المادة التفسيرية داخل مشروع مقاصدي واستراتيجي.

ومن جهة التعامل مع اللغة والبلاغة، فإن ابن الجوزي يستخدمها بوصفها أدوات مساعدة لفهم المعنى المباشر، دون توسّع تحليلي بنائي، في حين يجعل التفسير البنائي اللغة والبلاغة مكوّنًا من مكوّنات البناء العام، يُستفاد منها في فهم وظيفة الخطاب لا مجرد دلالته.

كما أن "زاد المسير" لا يتجاوز غالبًا بيان المعنى العقدي أو الفقهي أو القصصي للآية، بينما يتجاوز التفسير البنائي ذلك إلى استخراج السنن الإلهية والقوانين الاجتماعية التي تنتظم الخطاب القرآني، وربطها بالواقع المعاصر ربطًا منهجيًا واعيًا.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- تفسير ابن الجوزي يهدف إلى تقويم الفهم وتصحيح الأقوال،
- بينما يهدف التفسير البنائي إلى بناء الوعي القرآني الشامل وتفعيله حضاريًا.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "زاد المسير" يمثّل نموذجًا ناضجًا للتفسير الانتقائي المنقّي في التراث الإسلامي،

- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" يمثّل انتقالًا من مرحلة *تنقية الأقوال* إلى مرحلة *بناء الرؤية*.

الأول يخدم ضبط الفهم التفسيري وتقريبه،
والثاني يخدم توجيه الفهم القرآني نحو مشروع حضاري متكامل.

وبذلك فإن التفسير البنائي لا يعارض منهج ابن الجوزي، بل يتجاوزه وظيفيًا، مستفيدًا من جهده في تحرير الأقوال، ومضيفًا إليه بعدًا بنائيًا واستراتيجيًا لم يكن مقصدًا في عصره.

المقارنة بين "المحرر الوجيز" لابن عطية و "التفسير البنائي الاستراتيجي".

يُعَدّ تفسير "المحرر الوجيز" للإمام أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 541هـ) من أدقّ التفاسير التراثية وأحكمها منهجًا، وقد حظي بتقدير واسع عند العلماء، حتى عُدَّ من أصول التفسير النقدي في التراث الإسلامي، لما امتاز به من تحرير الأقوال، ودقّة الترجيح، والتزام المنهج السني، مع عناية رفيعة باللغة والقراءات والسياق.

ومن حيث المنهج العام، فإن ابن عطية سلك منهجًا تحليليًا نقديًا، يقوم على:

- جمع أقوال المفسرين المتقدمين،
- نقدها وتمحيصها،
- ترجيح الأقرب إلى لسان العرب والسياق،
- تجنّب الإسرائيليات والغرائب.

وبهذا المنهج، لم يكن "المحرر الوجيز" مجرّد ناقل، بل محرِّرًا للمعنى، ولذلك عُدَّ مرجعًا لمن جاء بعده، كابن عاشور وغيره.

غير أن هذا التحرير . على دقّته . ظلّ محكومًا بإطار الآية والسياق القريب، ولم يتجاوز في الغالب إلى بناء تصور بنائي شامل للسورة كوحدة متكاملة ذات غاية ومحور واستراتيجية داخل النسق القرآني العام.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من أفق أوسع لوظيفة التفسير؛ إذ لا يكتفي بتحرير المعنى الصحيح، بل يسعى إلى كشف منطق البناء القرآني، من خلال تتبع تسلسل الآيات، وتقسيم السورة إلى مقاطع بنائية، وبيان العلاقة بين هذه المقاطع، ثم ربط ذلك بالمقاصد الكبرى والسنن الإلهية في الهداية والتغيير.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- ابن عطية يركّز على سلامة الفهم ودقّة التفسير،
- بينما يركّز التفسير البنائي على بناء الرؤية الكلية ووظيفة النص.

ومن جهة اللغة والبلاغة، فإن ابن عطية يجعل اللغة معيارًا حاكمًا في الترجيح، ويستثمر القراءات والنحو والدلالة لتحديد المعنى الأرجح، في حين يوظّف التفسير البنائي اللغة والبلاغة بوصفهما أداتين لفهم البنية والغاية، لا لمجرّد بيان المعنى المفرد.

كما أن "المحرر الوجيز" . مع عمقه العلمي . لا يتوسّع في استنباط السنن الاجتماعية والحضارية من النص، ولا في ربط الخطاب القرآني بإشكالات الواقع المعاصر، لأن مقصده الأساس كان تقويم الفهم التفسيري في عصره، لا معالجة تحديات أزمنة لاحقة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فيجعل استنباط السنن وربط النص بالواقع جزءًا من صلب المنهج، لا ملحقًا به، دون إخلال بضوابط التفسير المعتبرة.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- تفسير ابن عطية يؤدي وظيفة التحرير العلمي للنص،
- بينما يؤدي التفسير البنائي وظيفة التوجيه المقاصدي والبناء الحضاري.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "المحرر الوجيز" يمثّل ذروة النضج النقدي اللغوي في التفسير التراثي،
- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" يمثّل انتقالًا منهجيًا من *تحرير المعنى* إلى *بناء الرؤية*.

الأول يخدم ضبط الفهم التفسيري وتأصيله لغويًا وسياقيًا،
والثاني يخدم تفعيل القرآن بوصفه مشروعًا بنائيًا هاديًا للأفراد والأمم.

وبذلك فإن التفسير البنائي لا ينافس ابن عطية في ميدانه، بل ينطلق من أرضه الصلبة، ويضيف إليها بعدًا بنائيًا استراتيجيًا لم يكن مقصدًا في سياق التأليف الأندلسي آنذاك.

المقارنة بين "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للثعالبي و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "الجواهر الحسان" للإمام عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت 875هـ) من التفاسير التي تمثّل حلقة وصل ناضجة بين التفسير التراثي المدرسي والتفسير المقاصدي العام، وقد امتاز بحُسن الترتيب، وجمال العبارة، وحرصه على الجمع بين التفسير بالمأثور، والتحليل اللغوي، والإشارات البيانية والتربوية.

ومن حيث المنهج العام، فإن الثعالبي سلك مسلكًا تلخيصيًا انتقائيًا واعيًا، اعتمد فيه على:

- جمع أقوال المفسرين المعتمدين، وعلى رأسهم ابن عطية والزمخشري والقرطبي،
- تهذيب العبارات وتقريب المعاني،
- مراعاة السياق والسباق واللحاق في الجملة،
- إدراج إشارات إيمانية وتربوية عند الاقتضاء.

وبهذا المنهج، جاء "الجواهر الحسان" تفسيرًا متوازنًا، لا يُثقل على القارئ بالتفصيل المفرط، ولا يُفرّط في الأصول العلمية، فخدم شريحة واسعة من طلاب العلم والوعّاظ.

غير أن هذا التوازن . على قيمته . جعل التفسير يتحرك في إطار الشرح البياني والتربوي للآيات، دون أن يتجه إلى بناء نموذج تحليلي متكامل للسورة كوحدة بنائية ذات مراحل وأهداف استراتيجية واضحة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه يتجاوز هذا الإطار إلى أفق أوسع، إذ ينظر إلى السورة لا باعتبارها مجموعة معانٍ متجاورة، بل باعتبارها بناءً متدرجًا محكمًا، له منطق داخلي، وتسلسل هادف، ووظيفة محددة في المشروع القرآني العام.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- الثعالبي يهدف إلى تقريب المعنى وتهذيب الفهم،
- بينما يهدف التفسير البنائي إلى اكتشاف البنية وتفعيل الوظيفة.

ومن جهة التعامل مع السياق، فإن الثعالبي يعتني بالسياق في حدّه القريب، فيربط الآية بما قبلها وما بعدها، ويستفيد من ذلك في توجيه المعنى، لكنه لا ينتقل عادةً إلى تحليل السورة بوصفها وحدة تخطيطية ذات مراحل بنائية متتابعة، كما هو الشأن في التفسير البنائي الاستراتيجي.

كما أن "الجواهر الحسان" . مع إشراقاته التربوية . لا يُفرد مساحة منهجية لاستخراج السنن الإلهية والاجتماعية، ولا لبناء رؤية استراتيجية للإنسان والمجتمع من خلال النص، لأن مقصده الأساس هو الهداية والوعظ والتعليم، لا التنظير البنائي أو التخطيط الحضاري.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فيجعل:

- السنن القرآنية،
- والمقاصد الكلية،
- ومسارات النهوض والانحدار،

جزءًا أصيلًا من عملية التفسير، لا ملحقًا بها، مع الالتزام بضوابط التفسير المعتبرة وعدم تحميل النص ما لا يحتمل.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- تفسير الثعالبي يؤدي وظيفة التقريب والتهذيب والتربية،
- بينما يؤدي التفسير البنائي وظيفة البناء والتوجيه والاستشراف.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "الجواهر الحسان" يمثّل نموذجًا راقيًا للتفسير الجامع بين العلم والوعظ، وبين التحرير والتربية،
- و "التفسير البنائي الاستراتيجي" يمثّل نقلة منهجية من *بيان المعنى* إلى *بناء الرؤية*، ومن *الهداية الفردية* إلى *الهداية الحضارية*.

الأول يخدم ترسيخ الفهم الإيماني السليم وتقريبه للناس،
والثاني يخدم إعادة اكتشاف القرآن بوصفه مشروعًا بنائيًا استراتيجيًا للأمة.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا يُلغي جهد الثعالبي ولا ينافسه في مجاله، بل ينطلق من أرضه العلمية والتربوية، ويضيف إليها بعدًا تحليليًا وبنائيًا لم يكن مقصدًا في سياق التأليف التفسيري في القرن التاسع الهجري.

المقارنة بين "فتح القدير" للإمام الشوكاني و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "فتح القدير" للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ) من التفاسير التي حاولت الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المنضبط، فجاء تفسيرًا يجمع بين الرواية والدراية، ويحرص على تحرير المعنى، ومناقشة الأقوال، والترجيح بينها بالدليل.

ومن حيث المنهج العام، فإن الشوكاني اعتمد منهجًا تحقيقيًا نقديًا، لا يكتفي بنقل الأقوال، بل يُخضعها للمناقشة والترجيح، ويُبرز الراجح منها بحسب قواعد اللغة، والسنة، وأصول

الاستدلال. وقد تميّز تفسيره بالتحرر النسبي من التقليد المذهبي، وبالنزعة الاستدلالية الواضحة.

غير أن هذا التحرير ـ على أهميته ـ ظل في الغالب محصورًا في نطاق الآية المفردة، ولم يتطور إلى بناء تصور كلي للسورة أو إلى الكشف عن منطقها البنائي العام.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من سؤال مختلف:
ليس *ما القول الأرجح في هذه الآية فقط؟* بل: *ما وظيفة هذه الآية في بناء السورة؟ وما دور السورة في مشروع القرآن الكلي؟*

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- الشوكاني يسعى إلى تحرير المعنى وترجيح الأقوال،
- بينما التفسير البنائي يسعى إلى كشف النظام البنائي والاستراتيجي للنص.

ومن جهة التعامل مع الروايات، فإن الشوكاني أكثر تحفّظًا من كثير من المتقدمين، إذ ينقد الأحاديث، ويضعّف الروايات الواهية، ويقلّل من الإسرائيليات، لكنه مع ذلك يستحضر الرواية بوصفها مصدرًا شارحًا للآية.

أما التفسير البنائي، فإنه يجعل الرواية وسيلة خادمة للبنية، لا محورًا للتفسير، فلا يستدعي منها إلا ما يخدم المقصد البنائي ويُسهم في فهم السياق الكلي.

كما أن الشوكاني يولي عناية واضحة باللغة والنحو والبلاغة في توجيه المعنى، لكنه يوظّفها توظيفًا تفسيريًا تقليديًا، بينما يوظّفها التفسير البنائي توظيفًا تحليليًا استراتيجيًا للكشف عن منطق التدرج والانتقال والترابط داخل السورة.

ومن حيث البعد المقاصدي والحضاري، فإن الشوكاني يركّز أساسًا على الأحكام، والعقائد، والمعاني الشرعية المباشرة، ولا يتوسّع في استنباط السنن الاجتماعية أو في ربط النص القرآني بمشاريع النهوض الحضاري.

في المقابل، يجعل التفسير البنائي الاستراتيجي هذا البعد محورًا مركزيًا، فيقرأ الأحكام والعقائد والقصص باعتبارها عناصر في بناء الإنسان والأمة، لا مجرد موضوعات منفصلة.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "فتح القدير" يمثّل ذروة النضج في التفسير التحقيقي الجامع بين الرواية والدراية،
- بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي انتقالًا نوعيًا من مرحلة *تحرير المعنى* إلى مرحلة *بناء الرؤية القرآنية الكلية*.

الأول يخدم ضبط الفهم العلمي للآيات،
والثاني يخدم توجيه هذا الفهم نحو مشروع حضاري واستراتيجي شامل.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا ينافس تفسير الشوكاني في ميدانه، بل يتكامل معه ويتجاوزه وظيفيًا، مستفيدًا من دقته العلمية، ومضيفًا إليها بُعدًا بنائيًا مقاصديًا لم يكن مقصودًا في عصره.

المقارنة بين "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للثعلبي و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "الكشف والبيان" لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427هـ) من أوسع التفاسير التراثية وأغزرها مادةً، وقد مثّل في القرن الخامس الهجري خزانة تفسيرية روائية جمعت أقوال السلف، وأخبار المفسرين، والروايات الإسرائيلية، والقصص، مع عناية ظاهرة باللغة والقراءات وأسباب النزول.

ومن حيث المنهج العام، فإن الثعلبي سلك منهجًا تجميعيًا روائيًا، هدفه الأساس حفظ المادة التفسيرية المتداولة في عصره وتدوينها، أكثر من تحريرها أو نقدها. ولذلك جاء تفسيره

موسوعيًا في مادته، متفاوتًا في مستوياتها العلمية، بين الصحيح والحسن والضعيف، بل والمقبول والمردود.

وقد أدّى هذا المنهج دورًا تاريخيًا مهمًا، إذ حفظ لنا كثيرًا من الأقوال والأخبار التي لولا تدوين الثعلبي لها لضاعت، غير أن هذا الجمع الواسع لم يُصاحبه غالبًا تمييز منهجي صارم بين ما يُحتج به وما يُذكر للاستئناس.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من تصور مغاير لوظيفة التفسير؛ فهو لا يهدف إلى استيعاب كل ما قيل، بل إلى استخلاص ما يُبنى عليه الفهم والرؤية، وفق ضوابط منهجية دقيقة في التعامل مع النص، والمأثور، والسياق، والمقاصد.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- الثعلبي يشتغل بمنطق التجميع والحفظ،
- بينما التفسير البنائي يشتغل بمنطق الانتقاء والبناء.

ومن جهة التعامل مع الروايات، فإن "الكشف والبيان" يُكثر من إيراد الأخبار والقصص، بما فيها الإسرائيليات، ويترك للقارئ أو للعالم مهمة التمييز والترجيح، بينما يلتزم التفسير البنائي الاقتصاد في الرواية، ولا يستحضر منها إلا ما يخدم المعنى والبنية، ويخضعها دائمًا لمعيار القرآن والسنة الصحيحة ومقاصد الشريعة.

كما أن تفسير الثعلبي . بحكم عصره ومنهجه . يفسّر القرآن في الغالب آيةً آيةً، مع توسع في أسباب النزول والقصص، دون بناء تصور كلي للسورة أو بيان وظيفتها في النسق القرآني العام.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فينطلق من اعتبار السورة وحدة بنائية مقصودة، لها محور، وتسلسل موضوعي، ومراحل خطابية، تُقرأ في ضوء مشروع الهداية القرآني الشامل.

ومن حيث اللغة والبيان، فإن الثعلبي يُورد الشواهد اللغوية والقراءات لتوضيح المعنى، لكنه لا يجعل منها مدخلًا لتحليل البنية الخطابية أو الاستراتيجية للنص، بخلاف التفسير البنائي الذي يوظّف اللغة والبلاغة في الكشف عن منطق الترتيب والتدرج والانتقال داخل السورة.

ومن حيث وظيفة التفسير، يمكن القول إن:

- "الكشف والبيان" يؤدي وظيفة الحفظ والتدوين والتوسعة المعرفية،
- بينما يؤدي التفسير البنائي الاستراتيجي وظيفة التحليل والبناء والتوجيه.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- تفسير الثعلبي يمثّل مرحلة مبكرة من مراحل التراكم التفسيري الموسوعي، وكان له فضل الجمع والحفظ، رغم ما يؤخذ عليه من ضعف النقد وكثرة الروايات.
- والتفسير البنائي الاستراتيجي يمثّل مرحلة متقدمة في الوعي المنهجي بوظيفة التفسير، إذ ينتقل من جمع المادة إلى بناء الرؤية، ومن كثرة الروايات إلى مركزية البنية والمقصد.

الأول يخدم التاريخ العلمي للتفسير،
والثاني يخدم حاضر الأمة ومستقبلها في فهم القرآن.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا يقف موقف الإلغاء من تفسير الثعلبي، بل يستفيد من مادته بعد تنقيتها، ثم يعيد توجيه الفهم القرآني من منطق السرد إلى منطق البناء والسنن والهداية الاستراتيجية.

المقارنة بين "النكت والعيون" للإمام الماوردي و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "النكت والعيون" للإمام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت 450هـ) من التفاسير التي تمثّل مرحلة متقدمة في تنويع أدوات التفسير، إذ جمع فيه الماوردي بين

التفسير بالمأثور، والتحليل اللغوي، والاستنباط الفقهي، والتنبيه إلى النكت البلاغية والدلالية، وهو ما جعل تفسيره أشبه بـ مختبر علمي يعرض فيه تعدد الأوجه التفسيرية دون التزام بوجه واحد في كثير من المواضع.

ومن حيث المنهج العام، يقوم تفسير الماوردي على عرض الأقوال مع الإشارة إلى أوجهها المختلفة، مع عناية خاصة بالمسائل الفقهية والخلافات المذهبية، بوصفه فقيهًا أصوليًا وقاضيًا، كما يظهر في تفسيره اهتمام واضح بإبراز الدلالات الدقيقة للألفاظ القرآنية.

غير أن هذا التعدد في عرض الأقوال ظل محكومًا بإطار الآية المفردة أو الجملة القصيرة، ولم يتحول إلى محاولة للكشف عن البناء الكلي للسورة أو النظام العام الذي تنتظم فيه الآيات.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من منطلق مغاير؛ إذ لا يهدف إلى جمع الأقوال ولا إلى استقصاء الوجوه المحتملة للمعنى، بل إلى تفكيك البنية الداخلية للنص القرآني وإعادة تركيبها في صورة نظام متكامل يُبرز المقاصد الكبرى، ومسار الهداية، ومنطق الانتقال داخل السورة الواحدة، ثم موقعها في البناء القرآني العام.

ومن جهة التعامل مع الخلاف التفسيري، فإن الماوردي يعرض الخلاف بوصفه مادة علمية في حد ذاته، ويكتفي غالبًا ببيان الأوجه دون ترجيح حاسم، مما يمنح القارئ سعة في الفهم، لكنه لا يقوده بالضرورة إلى رؤية توجيهية كلية.

أما التفسير البنائي، فإنه يتعامل مع الخلاف التفسيري انتقائيًا وظيفيًا، فلا يستدعي من الأقوال إلا ما يخدم البنية المقصودة ويُسهم في إبراز المقصد الاستراتيجي للنص.

كما أن عناية الماوردي بـ النكت البلاغية تأتي في سياق التنبيه الجزئي على دقة التعبير القرآني، بينما يوظّفها التفسير البنائي توظيفًا نسقيًا لكشف منطق التقديم والتأخير، والانتقال بين الموضوعات، وتدرج الخطاب من التأسيس إلى التوجيه ثم إلى التقويم.

ومن حيث الأفق الحضاري، فإن تفسير الماوردي يركّز على البعد الفقهي والقضائي والأخلاقي، وهو انعكاس طبيعي لبيئته العلمية ووظيفته القضائية، لكنه لا يُعنى ببناء رؤية استراتيجية شاملة لنهضة الأمة من خلال القرآن.

في المقابل، يجعل التفسير البنائي الاستراتيجي هذا البعد غاية مركزية، فيقرأ النص القرآني بوصفه مشروعًا لبناء الإنسان والمجتمع والدولة، لا مجرد مصدر للأحكام أو الخلافات الفقهية.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- تفسير الماوردي يمثّل مدرسة تفصيل الأوجه التفسيرية وإبراز التنوع الدلالي للنص القرآني،
- بينما يمثّل التفسير البنائي الاستراتيجي مدرسة الكشف عن النظام الداخلي للنص وتوجيهه نحو المقاصد الحضارية الكبرى.

الأول يخدم توسيع أفق الفهم العلمي،
والثاني يخدم بناء الرؤية القرآنية الموحِّدة والمحرِّكة للواقع.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا يعارض تفسير الماوردي ولا يلغيه، بل يتجاوزه منهجيًا من مرحلة عرض الاحتمالات إلى مرحلة بناء التصور الكلي، محافظًا في الوقت نفسه على احترام التراث والاستفادة من ثرائه.

المقارنة بين "مجمع البيان في تفسير القرآن" للطبرسي و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير "مجمع البيان" للشيخ الفقيه الطبرسي (ت 548هـ) من أضخم وأشهر التفاسير الشيعية، وقد مثّل مرحلة متقدمة من حيث الجمع بين الرواية والدراية، إذ جمع بين النقل عن

المفسرين السابقين والروايات المعتبرة، وبين الاستدلال العقلي، والتأمل في المعاني اللغوية والبلاغية، مع الاهتمام بالقضايا العقدية والفقهية، لا سيما من منظور الشيعة الإمامية.

ومن حيث المنهج العام، فإن الطبرسي اعتمد على التفسير بالمأثور والتحليل الاستدلالي، مع ذكر الآراء المختلفة، والاعتماد على الروايات المعتبرة لدى الشيعة، لكنه غالبًا ما يُقدّم المادة آية آية، دون ربطها بوحدة بنائية للسورة أو بإطار استراتيجي كلي.

كما أن الطبرسي يميل إلى التوسع في عرض الروايات والأقوال، حتى يشمل بعضها ما قد لا يكون ذا علاقة مباشرة بالمعنى الظاهر أو البناء العام للسورة، مما يجعل القارئ أو الباحث مضطرًا لتمييز الجوهر من الفروع والقصص العرضية.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه يسعى إلى كشف البنية الداخلية للسورة ككل، وتحليل الخطاب القرآني في إطار نسق موضوعي واستراتيجي، يربط كل آية بدورها في تحقيق المقصد العام للسورة، وموقعها في البناء الكلي للقرآن، مع التركيز على السنن القرآنية، والمقاصد، والوظائف الحضارية للنص.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين أن:

- الطبرسي يعمل على جمع الأقوال والروايات وتحليلها في نطاق الآية أو المقطع،
- بينما التفسير البنائي يعمل على تحليل البناء الشامل للنص وربطه بمشروع حضاري واستراتيجي.

ومن جهة التعامل مع الخلافات التفسيرية والروايات، فإن الطبرسي يعرض الاختلافات بين المذاهب والأقوال، ويترك ترجيحها أحيانًا للقارئ أو للاستدلال الخاص، بينما التفسير البنائي يختار ما يخدم نسق البناء والمعنى الكلي، ويضعه في سياقه الوظيفي داخل السورة والقرآن.

كما أن الطبرسي يولي اهتمامًا واضحًا بالفقه والعقائد وفق المذهب الإمامي، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي يحرص على البعد العام للقرآن، وبناء رؤية شاملة تصلح للأمة جمعاء، مع التزام بالضوابط الشرعية والقرآنية دون انحياز مذهبي.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- "مجمع البيان" للطبرسي يمثّل مرجعًا موسوعيًا للفقه والعقائد والروايات ضمن إطار تفسير آية آية، ويخدم الباحثين الراغبين في الاطلاع على التراث الشيعي التفسيري.
- بينما التفسير البنائي الاستراتيجي يمثّل مدرسة تحليلية جديدة للبناء القرآني والوظائف الاستراتيجية للنص، ويقدّم رؤية شاملة تربط السور والمقاصد والسنن القرآنية في مشروع واحد متكامل.

الأول يخدم تجميع المعرفة التفسيرية التفصيلية،
والثاني يخدم استخلاص الرؤية البنائية والحضارية من القرآن.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا يلغى جهود الطبرسي، بل يستفيد من عمق المادة التفسيرية ويحوّلها إلى رؤية منهجية شاملة، متجاوزًا العرض الجزئي إلى بناء كامل لهدف استراتيجي.

المقارنة بين "تيسير الكريم الرحمن" للشيخ السعدي و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي من التفاسير المعاصرة المبسّطة، والذي ركّز على الوضوح وسهولة العبارة، ليكون في متناول عامة المسلمين وطلبة العلم، مع مراعاة الجانب اللغوي والفقهي والأخلاقي للنصوص، وترك النزعات التأويلية المعقدة التي قد تثقل على القارئ.

ومن حيث المنهج العام، فقد اعتمد السعدي على التفسير بالمأثور مع شرح مبسط للآيات، وتوضيح المعاني اللغوية، مع التركيز على الجانب التربوي والعملي للآية، أي ما يُفيد الفرد والمجتمع في فهم رسالة القرآن وتطبيقها.

غير أن تفسير السعدي، رغم وضوحه وسهولته، يبقى تفسيرًا جزئيًا آية آية أو مقطعًا مقطعًا، ولا يقدم عادة تصورًا منهجيًا للبنية الداخلية للسورة، ولا يربط بين السور في خطة استراتيجية شاملة، أو في منظومة المقاصد الكبرى التي يسعى القرآن لتحقيقها على مستوى الأمة.

أما التفسير البنائي الاستراتيجي، فإنه ينطلق من رؤية أوسع، إذ لا يكتفي بشرح معنى الآية فقط، بل يحلل النسق البنائي للسورة، ويفكك المراحل الموضوعية والخطابية فيها، ويُخرج السنن القرآنية والمقاصد الاستراتيجية، ليُقدّم رؤية شاملة تربط الآيات بالسورة، والسورة بالقرآن، والقرآن بمشروع الأمة الحضاري.

فالفرق الجوهري بين التفسيرين هو أن:

- تفسير السعدي يسعى إلى التيسير والفهم المباشر للآيات،
- بينما التفسير البنائي يسعى إلى إظهار النظام البنائي والوظائف الاستراتيجية للنص.

ومن جهة وظيفة التفسير، فإن السعدي يهتم بـ:

- توضيح المعاني،
- إخراج العبر،
- بيان الأحكام والأخلاق.

بينما التفسير البنائي يضيف بعدًا آخر:

- دراسة البناء الداخلي للسورة،
- الكشف عن أبعاد العلاقات الموضوعية بين الآيات،
- ربط المعاني بمسارات الهداية والنهضة للأمة.

كما أن السعدي يركز على الجانب التعليمي والتربوي للقرآن، وهو ما يجعل تفسيره مناسبًا للقارئ العادي والمبتدئ في علوم القرآن، في حين أن التفسير البنائي الاستراتيجي مناسب أكثر للباحثين والدارسين الذين يسعون لفهم النص كمنظومة متكاملة.

خلاصة المقارنة

يمكن القول إن:

- تفسير السعدي يخدم التيسير والفهم المباشر للآيات، مع اعتبار التربية والتطبيق العملي هدفًا رئيسيًا.
- التفسير البنائي الاستراتيجي يخدم البناء الشامل للرؤية القرآنية والمقاصد الكبرى، مع تحليل النظام الداخلي للسورة والقرآن كله.

الأول يُسهل الوصول إلى المعنى المباشر،
والثاني يُمكّن من فهم النص كخطة متكاملة للنهضة والبناء الحضاري.

وبذلك فإن التفسير البنائي الاستراتيجي لا يتعارض مع تفسير السعدي، بل يستفيد من وضوحه وسهولة عرضه، ويضيف إليه بعدًا منهجيًا تحليليًا يربط المعنى الجزئي بالكل الاستراتيجي للنص.

المقارنة بين "المنار" للشيخ رشيد رضا و "التفسير البنائي الاستراتيجي"

يُعَدّ تفسير المنار أحد أبرز التفاسير الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث، ويمثل مدرسة التفسير الموضوعي والاجتماعي–التربوي، حيث ركز رشيد رضا على الجانب الدعوي والتربوي والتوجيه للأمة الإسلامية، وربط بين آيات القرآن وظروف الأمة المعاصرة في زمنه، مع محاولة تفسير بعض الآيات بما يخدم النهضة والإصلاح الاجتماعي والسياسي.

منهج المنار:

- يعتمد على التفسير بالمأثور، لكنه يكثر من التحليل الموضوعي والسياقي للآيات، مع التركيز على تطبيق القرآن على الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة.
- يركز على الموضوعات الكبرى والسياقات الحضارية، لكنه غالبًا ما يعرض المادة جزئية حسب الموضوعات، دون الانطلاق من البنية الداخلية للسورة كوحدة متكاملة.

- يتعامل مع النصوص في إطار الغايات الدعوية والإصلاحية، وليس بالضرورة في إطار منهج استراتيجي شامل يربط بين السور ويكشف السنن القرآنية.

مقارنة بالمنهج البنائي الاستراتيجي:

1. البنية الداخلية للسورة:
تفسيرنا يُحلل السورة كوحدة متكاملة، من حيث نسق الآيات، تسلسل الموضوعات، الانتقال بين المقاطع، ووحدة المقصد، بينما المنار يركز على موضوعات مختارة داخل السورة أو بين السور، دون محاولة رسم البنية الكلية.
2. الرؤية الاستراتيجية للقرآن:
تفسيرنا يسعى إلى كشف المشروع القرآني الشامل للأمة من خلال قراءة كل سورة في إطار النظام القرآني الكلي، أما المنار فيركز على تطبيقات محددة على الواقع الاجتماعي والسياسي دون إظهار النظام البنائي للنص بشكل منهجي.
3. التعامل مع النصوص والروايات:
المنار يعتمد على المأثور لكن غالبًا لتأكيد وجهة نظر تربوية أو اجتماعية، بينما التفسير البنائي الاستراتيجي يختار من الموروث ما يخدم بناء النص داخليًا، ويحلل السياقات الاستراتيجية للآيات.
4. الأفق الحضاري:
المنار يهتم بإصلاح الواقع وتحريك الأمة في زمنه، بينما التفسير البنائي يضع خطة منهجية لفهم النصوص لبناء الأمة والأفراد في أي زمان، مع ربط واضح بين المقاصد الكبرى والسنن القرآنية.

خلاصة المقارنة:

يمكن القول إن:

- تفسير المنار يخدم التوجيه الاجتماعي والسياسي والتربوي للأمة في زمن محدد، وهو تفسير موضوعي ذو بعد إصلاحي ودعوي واضح.

- التفسير البنائي الاستراتيجي يخدم تحليل البناء الداخلي للسورة، واستنتاج السنن القرآنية، وربطها بالرؤية الاستراتيجية للأمة في كل زمان.

الأول يُعطي إطارًا موضوعيًا وتربويًا،
والثاني يُعطي منهجية شاملة وتحليلًا بنائيًا واستراتيجيًا للنص.

يتبين من خلال هذه المقارنات أن هذا التفسير الذي بين أيدينا لا يقف في موقع القطيعة مع التراث التفسيري، بقدر ما يتموضع في سياق الامتداد الواعي له، مع إضافة بُعدٍ منهجيٍّ جديد يتمثل في القراءة البنائية الاستراتيجية الشاملة. فقد كشفت المقارنة مع التفاسير الأولى، كتفسير مقاتل بن سليمان ويحيى بن سلام، عن اشتراكٍ في العناية بالأصول المعنوية للنص، غير أن هذا التفسير يتجاوز الطابع التقريري إلى بناء رؤية كلية تستحضر انتظام السور ووحدتها المقصدية.

كما أظهرت المقارنة مع بعض المختصرات التفسيرية المعاصرة أن هذا العمل لا يهدف إلى التيسير المجرد أو تقريب المعنى فحسب، بل يسعى إلى إعادة تركيب العلاقة بين السورة وسياقها العام داخل المصحف، بما يمنح القارئ قدرة على إدراك موقع كل سورة ضمن مسار الهداية الكلي. وفي هذا السياق، يلتقي مع بعض المشاريع الحديثة، مثل كتاب "خرائط القرآن"، في العناية بالبناء الكلي، غير أنه يفارقه في كونه لا يكتفي بالتمثيل البصري أو التقسيم الموضوعي، بل يؤسس لرؤية استراتيجية تربط بين البناء القرآني ووظائفه في تشكيل الوعي وإدارة الواقع.

وعليه، يمكن القول إن خصوصية هذا التفسير تتجلى في ثلاثة مستويات متكاملة: أولها استعادة وحدة المصحف بوصفه بنية متماسكة، وثانيها توظيف المقاصد في قراءة العلاقات بين السور، وثالثها استحضار البعد الاستراتيجي الذي ينقل التفسير من مجال البيان إلى مجال البناء والتوجيه. وبهذا يقدّم هذا العمل إضافة نوعية إلى حقل التفسير، تجمع بين الوفاء للتراث والانفتاح على متطلبات القراءة المعاصرة، بما يفتح أفقًا جديدًا للتدبر، ويؤسس لإمكانية توظيف القرآن في إعادة بناء الإنسان والمجتمع وفق هداياته الكلية.

الخريطة البنائية الاستراتيجية للمصحف الشريف

يأتي هذا الفصل في سياق استكمال الرؤية الكلية التي انبنى عليها هذا التفسير، حيث لا يُتعامل مع سور المصحف الشريف بوصفها وحداتٍ مستقلة متجاورة، بل باعتبارها حلقاتٍ متكاملة في بناءٍ محكم، ينتظم وفق منطقٍ استراتيجي يروم صناعة الإنسان وتوجيه مسار العمران.

ومن هذا المنطلق، تُقَدَّم الخريطة البنائية الاستراتيجية للمصحف الشريف بوصفها أداةً منهجية تساعد على استكشاف هذا البناء الكلي، عبر تتبع مسارات السور، واستجلاء العلاقات الجامعة بينها، والكشف عن تدرجها في تحقيق مقاصد الهداية، فهي لا تقف عند حدود الترتيب، بل تتجاوزه إلى فهم الوظيفة، ولا تكتفي بوصف الموضوع، بل تسعى إلى إدراك موقعه ضمن النسق العام.

وعليه فإن هذا الفصل لا يهدف إلى إعادة تفسير السور تفصيليًا، بقدر ما يروم إبراز بنيتها الكلية، ورسم معالم مسارها العام، بما يمكّن من قراءة المصحف قراءةً متماسكة، تستحضر وحدة المقصد، وتكشف عن انتظام البناء، وتفتح أفقًا أوسع للتدبر والفهم.

المرحلة الأولى: التأسيس العقدي وبناء المرجعية العليا

(من سورة الفاتحة إلى سورة آل عمران)

تُفتتح الخريطة البنائيّة الاستراتيجية للمصحف الشريف بمرحلة تأسيسية محورية، تُعدّ الأساس الذي يُبنى عليه المشروع القرآني كله، وهي مرحلة **التأسيس العقدي وبناء المرجعية العليا.** ولا يمكن فهم بقية السور، ولا إدراك منطق تدرجها ووظائفها، بمعزل عن هذه المرحلة؛ إذ تمثل الإطار الناظم الذي يحدد جهة التلقي، ومعيار الهداية، ومصدر التشريع، قبل الدخول في تفاصيل التكليف والحركة في الواقع.

تأتي **سورة الفاتحة** في صدر المصحف بوصفها إعلانًا مكثفًا عن طبيعة العلاقة بين العبد وربه، وعن جوهر المنهج القرآني. فهي لا تقدم معلومات عقدية مجردة، بقدر ما ترسم *ميثاق العبودية* القائم على توحيد الربوبية والألوهية والحاكمية، وتحدد بوضوح أن الهداية لا تُطلب إلا من الله، ولا تُستمد إلا من صراطه المستقيم. ومن ثم فإن الفاتحة تؤسس للمنهج من زاوية الطلب والالتزام، قبل التفصيل في الأوامر والنواهي، وكأنها تضع الإنسان في موضع المتلقي المنضبط، لا المتحكم في الوحي.

ثم تأتي **سورة البقرة** لتُحوّل هذا الميثاق المجمل إلى مشروع حياة متكامل، فتُرسي معالم الاستخلاف الإنساني في الأرض، وتحدد طبيعة الابتلاء، وتعرض نماذج النجاح والإخفاق في التعامل مع الوحي، من خلال قصة بني إسرائيل، لا بوصفها سردًا تاريخيًا، بل باعتبارها نموذجًا تحذيريًا لسقوط الأمة حين تنفصل عن المرجعية الإلهية. وفي الوقت نفسه، تبني السورة ملامح المجتمع المؤمن تشريعيًا وسلوكيًا، وتربط بين الإيمان بالغيب والانضباط العملي، لتؤكد أن العقيدة في التصور القرآني ليست فكرة ذهنية، بل قاعدة تشغيلية لإدارة الفرد والجماعة.

وتأتي **سورة آل عمران** لتكمّل هذا التأسيس من زاوية الصراع العقدي والفكري، حيث تنتقل بالمؤمن من مجردِ التلقي إلى حالة الوعي بالمواجهة. فالسورة تعالج الانحراف العقدي، وتناقش الشبهات الكبرى المتعلقة بالتوحيد والنبوة والوحي، وتضع الأمة في سياقها العالمي بين أهل الكتاب، مبيّنة أن الثبات على المرجعية الإلهية هو شرط البقاء والتمكين. كما تؤكد السورة أن الهزائم والانتصارات لا تُفهم خارج إطار السنن الإلهية، وأن الانحراف عن المنهج—جزئيًا—يؤدي إلى الخلل، كما في درس أُحد.

بهذا التدرج المحكم، تؤسس المرحلة الأولى للقرآن باعتباره **مرجعية عليا شاملة**، لا تنافسها مرجعية أخرى، ولا تُفهم نصوصه بمعزل عن هذا الإطار. فهي تبني الإنسان عقديًا، وتضبط علاقته بالله، وتحدد له موقعه في الكون، وتضع الأسس الذهنية والنفسية التي تُمكّنه لاحقًا من حمل الأمانة، والدخول في مراحل التشريع، والصراع، والتمكين، دون اضطراب في البوصلة أو اختلال في الفهم.

وتأسيسًا على ذلك، فإن هذه المرحلة لا تُعدّ مجرد مقدمة زمنية للمصحف، بل تمثّل **القاعدة البنيوية الدائمة** التي يظل المؤمن محتاجًا إلى استحضارها في كل مراحل السير القرآني؛ إذ كل انحراف لاحق إنما يرجع في جوهره إلى خلل في هذا التأسيس الأول.

المرحلة الثانية: التكوين الأخلاقي والتشريعي وبناء الإنسان المنضبط

(من سورة النساء إلى سورة التوبة)

بعد أن أرست المرحلة الأولى المرجعية العقدية العليا، وربطت الإنسان بالوحي بوصفه مصدر الهداية والضبط، ينتقل المصحف في مرحلته الثانية إلى تحويل هذا الإيمان المؤسِّس إلى **بنية أخلاقية وتشريعية فاعلة،** قادرة على تنظيم حياة الفرد والمجتمع، وضبط العلاقات الداخلية، ومنع التفكك القيمي الذي يهدد أي مشروع حضاري في طور التشكّل.

تفتتح هذه المرحلة بـ **سورة النساء** التي تعالج بنية المجتمع من الداخل، مركّزة على العدالة بوصفها حجر الأساس في البناء الاجتماعي. فالعدل هنا لا يُطرح شعارًا أخلاقيًا مجردًا، بل نظامًا عمليًا يشمل الأسرة، والمال، والحقوق، والسلطة، والعلاقات بين الفئات المختلفة، خصوصًا الفئات الضعيفة. وتكشف السورة أن الانحراف الأخلاقي غالبًا ما يبدأ من اختلال موازين العدل، وأن إقامة القسط هي الضمانة الأولى لاستمرار الجماعة المؤمنة.

ثم تأتي **سورة المائدة** لتؤكد أن هذا البناء الأخلاقي لا يستقيم دون **الوفاء بالعهد،** سواء كان عهدًا مع الله، أو مع المجتمع، أو مع الإنسانية جمعاء. وتضع السورة الشريعة في موضعها الطبيعي بوصفها إطارًا منضبطًا يحفظ القيم ويمنع العبث بالمقدسات، محذّرة في الوقت نفسه من مسالك التحريف الديني التي تؤدي إلى تفريغ النص من مضمونه المقصدي، كما وقع في تجارب الأمم السابقة.

وتنتقل **سورة الأنعام** بالمجتمع المؤمن إلى مستوى أعمق من التكوين الفكري، حيث تعيد بناء التصور العقدي في مواجهة الشرك والانحرافات الذهنية، ولكن بأسلوب حجاجي

عقلاني، يربط بين الفطرة والكون والوحي. وهنا يظهر بوضوح أن التشريع لا ينفصل عن الرؤية الكونية، وأن أي خلل في التصور العقدي سينعكس حتمًا على السلوك والقيم.

وتأتي **سورة الأعراف** لتوسّع هذا الأفق عبر عرض السنن التاريخية في صراع الحق والباطل، مبيّنة أن سقوط المجتمعات لا يكون فجائيًا، بل نتيجة تراكمات من التكذيب، والاستكبار، ورفض الإصلاح. وتُظهر السورة أن الابتلاء الجماعي مرتبط بموقف الأمة من الرسالة، وأن التاريخ ليس سردًا محايدًا، بل مجالًا للعظة وبناء الوعي الحضاري.

ومع **سورة الأنفال** تبدأ ملامح الانتقال من البناء الداخلي إلى مواجهة الخارج، حيث تعالج السورة فقه القوة والانضباط، وتربط النصر لا بعدد ولا عتاد، بل بدرجة الالتزام بالمنهج ووحدة الصف. فهي تؤسس لفهم متوازن للصراع، يمنع الغرور بالقوة، ويضبط الانفعال في لحظات المواجهة.

وتأتي **سورة التوبة** خاتمةً لهذه المرحلة بنبرة حاسمة، كاشفةً عن أخطر ما يهدد البناء الأخلاقي والتشريعي، وهو **النفاق**، لا بوصفه ظاهرة فردية فحسب، بل خللًا بنيويًا يُضعف الصف من الداخل. وتضع السورة خطوطًا فاصلة بين الالتزام الحقيقي والادعاء، مؤكدة أن وضوح الموقف شرط لبقاء الجماعة، وأن التمييع القيمي أخطر من العداء الصريح.

وبذلك، تنجز هذه المرحلة عملية التحويل الكبرى من الإيمان المجرّد إلى **إنسان منضبط أخلاقيًا، ومجتمع محكوم بالقيم، وأمة واعية بسنن السقوط والنهوض**. وهي مرحلة تؤسس للتماسك الداخلي، وتُهيئ الأرضية النفسية والتشريعية للانتقال إلى مراحل أعمق من الابتلاء، والصبر، وبناء الصلابة الروحية في المسار القرآني اللاحق.

المرحلة الثالثة: تعميق الإيمان وبناء الصلابة الروحية

(من سورة يونس إلى سورة الإسراء)

بعد أن أُنجز في المرحلة السابقة بناء الإنسان المنضبط أخلاقيًا وتشريعيًا، ينتقل المصحف في هذه المرحلة إلى مستوى أدقّ وأعمق، هو **تحصين الداخل الإيماني وبناء الصلابة الروحية** التي تُمكّن الفرد والأمة من الاستمرار في الطريق، مهما طال أمد الابتلاء أو تعقّدت التحديات. فالمشروع القرآني لا يكتفي بإنشاء الالتزام الظاهري، بل يسعى إلى ترسيخ الإيمان العميق القادر على الصمود أمام الشكوك، والانكسارات، وتأخر النتائج.

تفتتح هذه المرحلة بسور **يونس وهود**، حيث يُعاد طرح قضية الإيمان من زاوية الثبات التاريخي، لا من زاوية الانبهار اللحظي. فهاتان السورتان تعرضان مسيرة الدعوات السابقة بوصفها مسارات طويلة شاقة، لا تخلو من التكذيب والسخرية والعناد، لتؤكد أن الإيمان الحق ليس رد فعل عاطفيًا، بل اختيارًا واعيًا يستمر رغم قلة الأنصار وتأخر النصر. وفي هذا السياق، تتجلى قيمة الصبر بوصفه عنصرًا استراتيجيًا في بناء الرسالات، لا مجرد فضيلة أخلاقية.

- ثم تأتي **سورة يوسف** لتقدّم نموذجًا تطبيقيًا بالغ العمق لإدارة الابتلاء الفردي الطويل، حيث يُبنى الإنسان الرسالي في الخفاء، عبر المحن المتتالية، قبل أن يُمكَّن له في العلن. فالسورة تُعيد تعريف النجاح، وتُظهر أن التمكين ليس لحظة مفاجئة، بل نتيجة تربية إيمانية متدرجة، تُهذّب النفس، وتكسر الغرور، وتؤسس للعدل عند السلطة. وهنا تتضح إحدى أهم رسائل هذه المرحلة: أن البناء الداخلي يسبق دائمًا التمكين الخارجي.
- وتأتي **سورة الرعد** لتربط هذا المسار الإيماني بالسنن الكونية، مؤكدة أن التغيير الحقيقي يبدأ من الداخل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. فالإيمان هنا ليس حالة وجدانية، بل قوة تغييرية، تتفاعل مع الواقع وفق قوانين ثابتة، لا تحابي أحدًا.

ثم تنتقل السور التالية—**إبراهيم والحجر والنحل**—إلى ترسيخ الوعي بوظيفة النعمة والابتلاء في آن واحد، وتُظهر أن الشكر ليس مجرد اعتراف لساني، بل موقف حضاري يحدد مصير المجتمعات. كما تعيد هذه السور التأكيد على مركزية الوحي في ضبط حركة الإنسان وسط تعدد المؤثرات والضغوط، محذّرة من الغفلة التي تُفرغ الإيمان من فاعليته.

وتبلغ هذه المرحلة ذروتها مع **سورة الإسراء،** التي تُعدّ محطة تقويم شاملة للمسار الإيماني والسلوكي معًا. فهي تربط بين العقيدة والأخلاق، وبين العبادة والعمران، وتضع مجموعة من القواعد الكلية التي تضبط حركة الإنسان في الحياة: في المال، والأسرة، والسلطة، والعلم، والعلاقة مع الآخر. كما تُبرز السورة أن الانحراف الحضاري يبدأ حين تنفصل الروح عن المنهج، وحين تتحول القيم إلى شعارات بلا التزام.

وهكذا، تُنجز هذه المرحلة بناء **الإنسان الصلب من الداخل:** إنسان يعرف سنن الطريق، ويتعامل مع الابتلاء بوعي، ومع النعمة بمسؤولية، ومع التأخر بثبات. وبهذا التكوين الروحي العميق، يصبح المجتمع المؤمن مؤهلًا للانتقال إلى مرحلة أكثر تعقيدًا، تتعلق بإدارة الصراع، وفهم الفتن، وبناء الوعي الحضاري في مواجهة التحديات الكبرى.

المرحلة الرابعة: إدارة الصراع وبناء الوعي الحضاري

(من سورة الكهف إلى سورة الفرقان)

بعد أن اكتمل في المرحلة السابقة بناء الصلابة الإيمانية الداخلية، ينتقل القرآن في هذه المرحلة إلى معالجة واقع أكثر تعقيدًا، يتمثل في **الاحتكاك المباشر بالعالم، وتعدد الفتن، وتشابك ميادين الصراع.** فالمؤمن الذي اشتد عوده إيمانيًا يُصبح مطالبًا بإدارة وجوده في فضاء تتداخل فيه العقيدة مع السلطة، والقيم مع الشهوات، والرسالة مع المغريات الحضارية. ومن هنا تأتي هذه المرحلة لتبني **وعيًا حضاريًا ناقدًا،** لا يكتفي بالثبات، بل يحسن الفهم والتقدير واتخاذ الموقف.

تفتتح هذه المرحلة بـ **سورة الكهف** التي تُعدّ بمثابة مدرسة قرآنية متكاملة في فقه الفتن. فهي تعرض نماذج متعدّدة للابتلاء: فتنة الدين، وفتنة المال، وفتنة العلم، وفتنة السلطة، لتؤكد أن الخطر الحقيقي لا يكمن في الصراع الظاهر فحسب، بل في الاختلالات الداخلية التي تُفقد الإنسان بوصلة القيم. وتُبرز السورة أن إدارة الفتنة لا تكون بردود الأفعال، بل بالرجوع إلى الوحي، واستحضار الغاية، وفهم حدود المعرفة البشرية.

ثم تأتي **سورة مريم** لتعيد التوازن النفسي والروحي في خضم هذا الصراع، مؤكدة أن الصفاء الإيماني والصدق مع الله قادران على إنتاج مواقف رسالية عالية، حتى في أشد لحظات العزلة والضغط. وتُظهر السورة أن الانتصار القيمي قد يتحقق في أجواء الضعف الظاهري، حين يكون الارتباط بالله أوثق من الارتباط بالواقع المضطرب.

وتتابع **سورة طه** هذا المسار من خلال عرض تجربة موسى عليه السلام، مركّزة على فقه القيادة في مواجهة الطغيان، وعلى العلاقة الدقيقة بين الوحي والعمل، وبين الرسالة والتنظيم. كما تُظهر أن القائد الرسالي لا يُعفى من الابتلاء، وأن النجاح في المواجهة مرهون بالثبات على المنهج لا بسرعة النتائج.

ثم تنتقل **سورة الأنبياء** إلى تأكيد وحدة المشروع الرسالي عبر التاريخ، مبينة أن الصراع بين الحق والباطل ليس حدثًا عابرًا، بل سنة ماضية، وأن النصر لا يُقاس بلحظته، بل بمدى الوفاء للأمانة. وفي السياق نفسه، تأتي **سورة الحج** لتربط بين العبادة والحركة في الواقع، وتُظهر أن الشعائر ليست انفصالًا عن الحياة، بل مصدرًا للقوة الأخلاقية والروحية في مواجهة التحديات.

وتُكمل **سورة المؤمنون** هذا البناء بإبراز صفات الشخصية المؤهلة للفلاح الحضاري، حيث يُربط النجاح في الدنيا والآخرة بجملة من القيم العملية، مثل الانضباط، والأمانة، وضبط الشهوات، وحسن إدارة المسؤولية. ثم تأتي **سورة النور** لتُعالج واحدة من أخطر جبهات الصراع، وهي جبهة القيم والأخلاق داخل المجتمع، مؤكدة أن التفكك الأخلاقي يُعدّ مدخلًا خطيرًا لهزيمة الأمة من الداخل.

وتختم هذه المرحلة بـ **سورة الفرقان** التي ترسم بوضوح معالم المفاصلة القيمية بين منهج الحق ومناهج الانحراف، وتُبرز صفات عباد الرحمن بوصفهم النموذج الإنساني القادر على التعايش الواعي دون الذوبان، والمواجهة الأخلاقية دون عنف أو انحراف. وهنا يبلغ الوعي الحضاري ذروته، حيث يتكامل الفهم العقدي، والنضج النفسي، والالتزام الأخلاقي في شخصية متوازنة قادرة على إدارة الصراع بوعي وحكمة.

وبذلك، تُنهي هذه المرحلة عملية الانتقال من الإيمان الفردي الصلب إلى **الوعي الجماعي الحضاري**، الذي يدرك طبيعة الصراع، ويُميز بين الثابت والمتغير، ويمنع الانجرار خلف الفتن مهما تعددت صورها. وبهذا الوعي، يصبح المجتمع المؤمن مستعدًا للدخول في مرحلة أكثر حساسية، تتعلق بالتمكين، وإدارة القوة، وحماية القيم بعد النصر.

المرحلة الخامسة: التمكين الحضاري وإدارة المجتمع

(من سورة الشعراء إلى سورة الفتح)

بعد أن اكتمل بناء الوعي الحضاري، وتكوَّن الإنسان القادر على فهم طبيعة الصراع وإدارة الفتن دون أن يفقد بوصلته القيمية، ينتقل القرآن في هذه المرحلة إلى معالجة أخطر منعطف في مسيرة الأمم، وهو **مرحلة التمكين**؛ إذ إن الخطر في هذه المرحلة لا يكون في الضعف، بل في القوة، ولا في القهر، بل في القدرة على الاختيار. لذلك يركّز الخطاب القرآني هنا على ضبط السلطة، وتوجيه القوة، وحماية المشروع الرسالي من الانحراف بعد النجاح.

تبدأ هذه المرحلة بسور **الشعراء والنمل والقصص**، حيث يُعاد عرض تاريخ الصراع بين الرسالات والطغيان، ولكن من زاوية مختلفة؛ زاوية مآلات القوة حين تُفصل عن القيم. فالقصص القرآني هنا لا يُراد به مجرد العظة، بل بناء وعي استراتيجي بأن التمكين الذي لا تحكمه المرجعية الإلهية يتحول إلى أداة فساد، وأن سقوط الطغاة ليس استثناءً تاريخيًا، بل نتيجة حتمية لاختلال ميزان القيم. وفي المقابل، تُبرز هذه السور أن القيادة

الرسالية—كما في نموذج موسى وسليمان—قائمة على الجمع بين القوة والعدل، وبين الحزم والتواضع.

ثم تأتي **سورة العنكبوت** لتؤكد أن التمكين الحقيقي لا يُقاس بظاهر القوة، بل بعمق الجذور الإيمانية، وأن الابتلاء يظل قائمًا حتى في مراحل الصعود، ليميز بين من يحمل المشروع لذاته، ومن يحمله لغايات نفعية. وتُكمل **سورة الروم** هذا المعنى بإدخال البعد الدولي في الوعي القرآني، مبيّنة أن حركة التاريخ تخضع لسنن، وأن تقلب موازين القوى ليس عبثًا، بل مجالًا للاعتبار وبناء الرؤية الاستراتيجية بعيدة المدى.

وتتجه **سور لقمان والسجدة والأحزاب** إلى معالجة الداخل المجتمعي في ظل التحديات الكبرى، حيث يُعاد التأكيد على مركزية التربية، والأسرة، والانضباط الأخلاقي، بوصفها الضمانة لاستمرار التمكين. وتُظهر سورة الأحزاب على وجه الخصوص أن أشد لحظات البناء خطورة هي تلك التي تتكاثر فيها الضغوط الخارجية والداخلية معًا، وأن تجاوزها يتطلب وعيًا جماعيًا، وثقة بالقيادة، ورباطًا قيميًا متينًا.

وتنتقل السور التالية—**سبأ، فاطر، يس، الصافات، ص، الزمر**—إلى تعميق البعد الإيماني في قلب المجتمع المُمكَّن، محذّرة من الغفلة التي تصيب الأمم في لحظات الاستقرار. فهي تُعيد ربط الإنسان بالآخرة، وتُظهر أن القوة الاقتصادية والعمرانية إن لم تُضبط بالشكر والمسؤولية تتحول إلى سبب للهلاك، كما في نموذج سبأ. كما تؤكد هذه السور أن القيادة الأخلاقية هي جوهر البقاء الحضاري.

ومع **سور غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف** يتبلور الخطاب القرآني في صورة منهج متكامل لإدارة المجتمع والدولة، حيث تُربط العقيدة بالحكم، والشورى بالقرار، والعلم بالمسؤولية، ويُكشف في الوقت ذاته عن مظاهر الاستكبار الحضاري الذي يقود إلى السقوط مهما بلغ من التقدم المادي.

وتبلغ هذه المرحلة ذروتها مع **سور محمد والفتح**، حيث ينتقل المشروع القرآني من مرحلة الصراع المفتوح إلى مرحلة تثبيت النصر وإدارته. فسورة محمد تُعيد ضبط مفهوم

القوة في ضوء الأخلاق والغاية، بينما تُقدّم سورة الفتح نموذجًا راقيًا للتمكين المتوازن، القائم على الحكمة، وضبط الانفعال، وتحويل الانتصار العسكري إلى مكسب حضاري طويل الأمد. وهنا يُرسّخ القرآن مبدأً بالغ الأهمية: أن أعظم الانتصارات هي تلك التي تمنع الانحراف بعد النصر.

وبذلك، تُنجز هذه المرحلة بناء **المجتمع المُمكَّن أخلاقيًا**، القادر على حمل الرسالة دون أن تفسده السلطة، أو تُغريه القوة، أو تُنسيه الغاية. وهو ما يُمهّد للانتقال إلى مرحلة أدقّ وأخطر، تتعلق بتحصين الصف الداخلي، وتنقية الأمة من عوامل التآكل الخفي.

المرحلة السادسة: بناء الأمة الرسالية والضبط الداخلي

(من سورة الحجرات إلى سورة التحريم)

بعد أن عالج القرآن في المرحلة السابقة قضايا التمكين وإدارة القوة وحماية المشروع من الانحراف الظاهر، ينتقل في هذه المرحلة إلى أخطر مستويات البناء، وهو **الضبط الداخلي للأمة**. فالتجربة القرآنية تكشف أن كثيرًا من المشاريع الرسالية لا تنهار بفعل العدو الخارجي، وإنما تتآكل من الداخل نتيجة خلل في الأخلاق الجماعية، أو اضطراب في العلاقات، أو تساهل مع النفاق الخفي. ومن هنا، تتجه هذه المرحلة إلى بناء أمة متماسكة من الداخل، واعية بدورها الرسالي، محكومة بقيم الانضباط والمسؤولية.

تفتتح هذه المرحلة بـ **سورة الحجرات** التي يمكن عدّها دستور الأخلاق الجماعية في المجتمع المؤمن. فهي تعالج أدق تفاصيل السلوك الاجتماعي: من آداب التعامل مع القيادة، إلى ضبط اللسان، إلى إدارة الخلاف، إلى منع السخرية والظن والغيبة. وتكشف السورة أن التماسك الاجتماعي ليس أمرًا ثانويًا، بل شرط وجودي لبقاء الأمة، وأن انهيار الأخلاق اليومية مقدمة لانهيار المشروع الحضاري كله.

ثم تأتي **سورة ق** لتعيد ربط هذا البناء الأخلاقي بالبعد الإيماني العميق، من خلال إحياء معنى المراقبة، واستحضار الآخرة، وإعادة توجيه الوعي الإنساني نحو المسؤولية الفردية

أمام الله. فالأمة لا تُضبط بالقوانين وحدها، بل بيقظة الضمير، والشعور الدائم بأن كل حركة محسوبة، وكل اختيار له تبعاته.

وتتوالى **سور الذاريات، والطور، والنجم، والقمر، والرحمن، والواقعة** لتُرسّخ هذا المعنى عبر استحضار مشاهد الكون، وسنن الهلاك والنجاة، وموازين الجزاء، فيتحول الإيمان بالآخرة إلى قوة ضابطة للسلوك الفردي والجماعي. ويُلاحظ هنا أن الخطاب القرآني لا ينفصل عن الواقع، بل يعيد شحن الوجدان الجمعي بطاقة روحية تمنع التراخي والانفلات.

ومع **سورة الحديد**، ينتقل الخطاب إلى معالجة العلاقة بين الإيمان والقوة المادية، مؤكدًا أن العدل هو الغاية النهائية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وأن القوة إن لم تُسخّر لخدمة القيم تتحول إلى أداة قهر. وتُكمّل **سورة المجادلة** هذا المعنى بكشفها لآليات الصراع الخفي داخل المجتمع، حيث يظهر النفاق في صورة تآمر، أو ازدواجية ولاء، أو توظيف للدين في غير مقاصده.

ثم تأتي **سور الحشر والممتحنة** لتُعالج قضايا الولاء والانتماء، وتضع ضوابط دقيقة للعلاقة مع الآخر، تمنع الذوبان دون أن تفرض القطيعة المطلقة، وتوازن بين الثبات على الهوية والانفتاح الواعي. وهنا يتضح أن الأمة الرسالية ليست جماعة منغلقة، ولا كيانًا ذائبًا، بل كيانًا واثقًا من مرجعيته.

وتتجه **سور الصف، والجمعة، والمنافقون** إلى إعادة بناء الصف الداخلي على أساس الصدق والالتزام العملي، محذّرة من الفجوة بين القول والعمل، ومبيّنة أن الهزيمة تبدأ حين يتحول الخطاب إلى شعارات لا تُترجم إلى سلوك. وتكشف سورة المنافقون على وجه الخصوص أن الخطر الحقيقي يكمن في الانتماء الشكلي الذي يُفرغ الجماعة من قوتها المعنوية.

وتُعالج **سور التغابن، والطلاق، والتحريم** البعد الأسري بوصفه الخلية الأولى في بناء الأمة، مؤكدة أن الاستقرار الداخلي، وحسن إدارة الخلافات الخاصة، جزء لا يتجزأ من

سلامة المشروع العام. فالأمة التي تفشل في ضبط بيتها الداخلي، لا يمكنها أن تنجح في قيادة العالم.

وبذلك، تُنجز هذه المرحلة بناء **أمة واعية بذاتها، متماسكة في صفها، منضبطة في أخلاقها، محصّنة من عوامل التآكل الخفي**. وهي أمة بلغت من النضج ما يجعلها قادرة على الاستمرار، لا بقوة السلاح وحده، بل بقوة القيم والضمير.

المرحلة السابعة: الختام التربوي والتحصين النهائي

(من سورة الملك إلى سورة الناس)

بعد أن أتمّ القرآن في المراحل السابقة تأسيس العقيدة، وبناء الأخلاق والفكر، وتعميق الصلابة الروحية، وإدارة الصراع، وتحقيق التمكين، وبناء الأمة الواعية، يصل المشروع القرآني إلى **مرحلة الختام والتحصين النهائي**. وهي المرحلة التي تُكرّس لكل ما سبق، وتغلق الثغرات الداخلية والخارجية، لتترك المؤمن في حالة استقرار متكامل، قادر على مواجهة التحديات الفردية والجماعية، ومرابطًا على صراطه المستقيم بثقة لا تهتز.

تبدأ هذه المرحلة بسورة **الملك**، التي تذكّر الإنسان بعظمة الخالق وسيادة حكمه على الكون، وبأن كل حياةٍ وكل ابتلاءٍ وكل نعمةٍ هي في إطار سنن دقيقة يحكمها الله. فتغرس هذه السورة في النفس شعور اليقظة، والرهبة الموجبة للطاعة، والشكر الواعي على النعم، وتؤسس للوعي بأن العالم كله مرآة لحكمة الله، وأن كل حادثة رسالة يجب استيعابها.

تتوالى بعدها **سور القلم والحاقة والمعارج** لتكرّس قيمة الصبر والمراقبة والمحاسبة الذاتية، فتعلّم المؤمن أن النهج القرآني لا يكتمل بمجرد الالتزام الظاهر، بل يحتاج إلى متابعة مستمرة للضمير، ومراجعة دائمة للأفعال، واستحضار دائم للمصير الأخروي. وهذا التدريب المتدرج على المراقبة الذاتية يُعدّ العمود الفقري لتحصين الإنسان من الغفلة أو الانحراف.

ثم تأتي **السور من نوح إلى الفجر** لتُكمل التربية الأخلاقية، وتعيد ربط الإنسان بالقصص التاريخية والسنن الكونية، مبيّنة أن التهلكة ليست عبثًا، وأن النجاة مرتبطة بالوعي المستمر، والالتزام العملي، والمصداقية مع الله ومع النفس. فهذه السور تعمل على تقوية جدار الوعي الداخلي، وإغلاق ثغرات الطمع والكسل، وتحصين القلب من كل انحراف محتمل.

وتختتم هذه المرحلة بسور **البلد، الشمس، الليل، الضحى، الشرح، التين، العلق، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، التكاثر، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق، الناس**، التي تشكّل **التحصين النهائي** للمؤمن. فهي تغلق الدائرة على الإنسان من الداخل والخارج: تُطهِّر العقيدة من الشوائب، وتقيه من الوساوس، وتجعله واعيًا بمصيره، مطمئنًا بيقين الحق، مُجهّزًا لمواجهة أي تأثير خارجي أو داخلي، مهما صغُر أو كَبُر.

في هذه المرحلة، يتحوّل القرآن إلى **خطة حياة متكاملة:** من بناء العقيدة، إلى تشييد الأخلاق والفكر، إلى تحصين النفس، إلى إدارة الصراع، إلى تمكين المجتمع، وصولًا إلى ضبط الصف الداخلي والتحصين النهائي. وهو ما يجعل القارئ المؤمن، ليس فقط متلقيًا للنص، بل **فاعلًا واعيًا، ملتزمًا، ومحصّنًا**، قادرًا على أن يكون نموذجًا حيًّا للرسالة في ذاته ومحيطه.

وبهذه المرحلة، تُستكمل **الخريطة البنائيّة الاستراتيجية للمصحف الشريف**، ويظهر القرآن بصورة متكاملة كـ **منهج حياة شامل**، يربط بين العقيدة والسلوك والفكر والمجتمع، ويقدّم خارطة طريق متدرجة لبناء الإنسان والأمة على حد سواء، من أول خطوة في الإيمان إلى أرفع درجات التمكين والتحصين.

خاتمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، وجعله كتابًا خالدًا لا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة الردّ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، وترك الأمة على محجة بيضاء.

وبعد؛

فقد سعى هذا العمل الموسوم بـ «التفسير البنائي الاستراتيجي للقرآن الكريم» إلى تقديم قراءة تفسيرية متكاملة للكتاب العزيز، قراءةٍ تنطلق من النص وتعود إليه، وتلتزم بأصول التفسير المعتبرة، مع محاولة الكشف عن البنية الكلية للخطاب القرآني، ومنطقه الداخلي في بناء الإنسان، وتشكيل الوعي، وتوجيه المجتمع، وصناعة الأمة.

ولم يكن المقصود من هذا التفسير ادّعاء الإحاطة بمعاني كلام الله تعالى، فذلك مما لا يبلغه جهد بشري، ولا تطيقه طاقة مخلوق، وإنما هو اجتهاد علمي غايته الإسهام في خدمة القرآن الكريم، وفتح أفق منهجي يساعد على قراءة المصحف قراءة واعية، مترابطة، غير مجزأة، تستعيد للقرآن فاعليته الحضارية والإنسانية.

أولًا: أهم النتائج العلمية

من خلال تفسير سور القرآن الكريم جميعها من الفاتحة إلى الناس، أمكن استخلاص جملة من النتائج، من أبرزها:

1. أن القرآن الكريم بناء متكامل لا نصوص متفرقة
فقد تبيّن أن السور والآيات تنتظم في نسق محكم، يخضع لمنطق هداية مقصود، يقوم على التدرج في بناء العقيدة، ثم الأخلاق، ثم المجتمع، ثم إدارة الصراع، ثم التمكين، وأخيرًا التحصين الداخلي والخارجي.

2. أن لكـــل ســـورة وظيفـــة بنائيـــة داخـــل المشـــروع القرآنـــي العـــام فالسورة ليست مجرد موضوع مستقل، بل لبنة في بناء كلي، لها دور محدد في تشكيل الوعي الإيماني أو الأخلاقي أو الحضاري.
3. أن كثيرًا من الإشكالات المعاصرة في فهم الدين ناتجة عن القراءة التجزيئية حيث يُنتزع النص من سياقه البنائي، ويُفهم بمعزل عن موقعه من السورة والمصحف، مما يؤدي إلى اضطراب الفهم وسوء التنزيل.
4. أن الجمـع بـين التحليـل البنـائي والمقاصـدي والاسـتراتيجي ممكـن ومنضـبط دون إخلال بأصول التفسير، أو تحميل للنص ما لا يحتمل، متى التزم الباحث بالمنهج العلمي وأدواته.
5. أن القـرآن يقـدم رؤيـة شـاملة لإدارة الصـراع وبنـاء القـوة وضـبطها أخلاقيًـا وهو ما يظهر جليًا في السور المدنية والمكية معًا، حين تُقرأ ضمن خريطة واحدة لا بمعزل بعضها عن بعض.
6. أن خـــواتيم المصـــحف تمثـــل مرحلـــة التحصـــين النهـــائي حيث تُغلق الثغرات العقدية والنفسية والفكرية، ويُعاد توجيه الإنسان إلى الاعتصام بالله بعد اكتمال مسار البناء.

ثانيًا: التوصيات العلمية والمنهجية

في ضوء ما انتهى إليه هذا التفسير، يوصي الباحث بما يلي:

1. الـــدعوة إلـــى تجـــاوز القـــراءة التجزيئيـــة للقـــرآن والانتقال إلى القراءة الكلية البنائية، خاصة في الدراسات الأكاديمية والتعليمية.
2. إدمـاج البعـد البنـائي والمقاصـدي فـي منـاهج التفسـير وعلـوم القـرآن بما يعزز وعي الطلبة بوحدة المصحف ومنطقه الداخلي.
3. تشـجيع الدراسـات القرآنيـة التـي تـربط الـنص بـالواقع دون إسـقاط أيـديولوجي وتوازن بين الأصالة العلمية وحاجات العصر.

4. إعادة النظر في طريقة عرض التفسير في المنابر التعليمية والدعوية بحيث يُقدَّم القرآن بوصفه مشروع هداية شاملًا، لا مجموعة مواعظ أو أحكام منفصلة.
5. فتح المجال لنقاش علمي ناقد حول المنهج البنائي الاستراتيجي تقويمًا وتطويرًا، فالعلم لا ينمو إلا بالحوار والنقد الرشيد.

ثالثًا: الآفاق المستقبلية للمشروع

لا يُنظر إلى هذا التفسير بوصفه نهاية طريق، بل باعتباره بداية لمسار علمي أوسع، من أبرز آفاقه المستقبلية:

1. تطوير مدرسة تفسيرية بنائية تُسهم في تجديد علم التفسير من الداخل.
2. توظيف المنهج البنائي الاستراتيجي في:
   - فقه المقاصد التطبيقية،
   - فقه التحولات الاجتماعية والسياسية،
   - دراسات الأمن القيمي والفكري.
3. إعداد دراسات متخصصة تُفصّل:
   - البناء القرآني للدولة،
   - البناء القرآني للمجتمع،
   - البناء القرآني للإنسان.
4. إدخال هذا المنهج في البرامج الجامعية ومراكز البحث والتفكير الحضاري.

وأخيرا، يقرّ الباحث – بكل تواضع وصدق – أن هذا التفسير خواطر علمية واجتهاد بشري في رحاب كلام الله تعالى، لا يدّعي الكمال ولا العصمة، وأن الفضل كل الفضل لله سبحانه وتعالى، فإن كان فيه صواب فمن الله، وإن كان فيه خطأ فمن النفس والقصور.

ويسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، لبنةً في صرح خدمة كتابه، وأن يفتح به أبواب فهمٍ أعمق، ووعيٍ أرسخ، وبناءٍ أصلح، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين. وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

كتبه عبد ربه :

لمين ولد باب ولد محمد محمود

الفهارس

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)-مصحف لمدينة الاصدار3

1. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ)، **الموسوعة القرآنية**، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: ١٤٠٥ هـ، .
2. ابن حنبل، **مسائل الإمام أحمد بن حنبل - رواية ابن أبي الفضل صالح (٢٠٣ هـ - ٢٦٦ هـ)**، حقيق ودراسة وتعليق: د. فضل الرحمن دين محمد، الناشر: الدار العلمية - دلهي، الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
3. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠ هـ)، **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو [ت ١٤٤٢ هـ]، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
4. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ،**تفسير الماوردي = النكت والعيون**، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
5. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ،**الجامع الصحيح «صحيح مسلم»** (طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة) ، المحقق: محمد ذهني أفندي - إسماعيل بن عبد الحميد الحافظ الطرابلسي- أحمد رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان، الزعفرانبوليوي- أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا، عام النشر: ١٣٣٤ هـ
6. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، ، **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

7. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، فسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،.

8. أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي (٨٥١ – ٩٢٣ هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، تحقيق: المكتب العلمي بدار الكمال المتحدة الناشر: دار عطاءات العلم – دار ابن حزم الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ – ٢٠٢١ م.

9. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي [ت ١٤٤١ هـ]، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار – بيروت ، عمان – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥.

10. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

11. أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ)، ، **لباب التفاسير**، التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، – ناصر بن سليمان العمر – من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء – ١٤٠هـ. – عبد الله بن حمد المنصور – من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن محمد بن حسن دومري – من أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي – من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس – ١٤٢٩ هـ.

12. أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني، المتوفى بعد سنة (٥٣١ هـ)، **لباب التفاسير**، التحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض – ناصر بن سليمان العمر – من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة النساء – ١٤٠٤ هـ٢ – عبد الله بن حمد المنصور

– من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن محمد بن حسن دومري – أول سورة الكهف إلى آخر سورة الصافات – ١٤٢٩ هـ. – إبراهيم بن علي بن ولي الحكمي – من أول سورة ص إلى آخر سورة الناس – ١٤٢٩ هـ.

13. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

14. أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت ٤٨٩هـ)، ، **تفسير القرآن**، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

15. أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ)، **تفسير عبد الرزاق**، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.

16. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص.ب: ٧٧٨٠الطبعة: بدون تاريخ نشر.

17. أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠ هـ)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض شارك في التحقيق: محمد سعد رمضان (أطروحة دكتوراة من سورة مريم آية (٥٩)، إلى آخر سورة القصص) محمد المتولي الدسوقي (أطروحة دكتوراة من سورة العنكبوت إلى آخر سورة القمر) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م.

18. أبو حيان الأندلسي (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ)، **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، المحقق: د. حسن هنداوي، عدد الأجزاء: ٢٢ [تِباعًا، والأخيران فهارس، واقتصرَتْ هذه النسخة الإلكترونية على ١١ فقط؛ يسَّر الله إتمامها كأصلها]، الناشر:

دار القلم بدمشق (الأجزاء ١ – ٥) – دار كنوز إشبيليا بالرياض (الأجزاء ٦ – ٢٢)، الطبعة: الأولى، (١٤١٨ – ١٤٤٥ هـ) = (١٩٩٧ – ٢٠٢٤ م)،.

19. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

20. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، **البرهان في علوم القرآن**

21. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، **تفسير القرآن العزيز**، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

22. أبو عبد الله محمد بن علي البلنسي (ت ٧٨٢ هـ) **تفسير مبهمات القرآن «الموسوم بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل»** دراسة وتحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

23. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

24. أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

25. أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق ودراسة: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراة من

الجامعة الاسلامية، ١٤٢٣ هـ، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، .

26. أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، **صحيح البخاري**، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت، مع إثراء الهوامش بترقيم الأحاديث لمحمد فؤاد عبد الباقي، والإحالة لبعض المراجع المهمة.

27. أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، ، **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ.

28. أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.

29. جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

30. جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

31. جعفر شرف الدين، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ.

32. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

33. الحسن بلغه الحبشة" أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) ، **التفسير البسيط**، أصل تحقيقه: رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

34. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (٧٤٥ – ٧٩٤ هـ)،**المنثور في القواعد الفقهية**، حققه: د تيسير فائق أحمد محمود، راجعه: د عبد الستار أبو غدة، الناشر: وزارة الأوقاف الكويتية (طباعة شركة الكويت للصحافة) الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.

35. زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ)، **منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»** ،اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي ، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

36. زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد، بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصراتي، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

37. شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)**،حققه: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم

الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

38. شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)،**شرح طيبة النشر في القراءات**، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

39. شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْ أُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)**مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه] محمد بركات، وآخرون، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

40. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ)، **شرح سنن أبي داود**، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

41. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ]، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

42. عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (ت ١٤٠٣هـ)،**الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

43. عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ)، **التفسير القرآني للقرآن** ،الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

44. عبد الله بن محمد بن رميان الرميان، **آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم (دراسة وترجيح)** ، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، قسم العقيدة، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

45. عرفة بن طنطاوي ، **المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي،** الناشر: الشاملة،https://shamela.ws/book/756 .

46. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

47. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن،** راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

48. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، **أحكام القرآن،** راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

49. كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، تفسير غريب القرآن، الناشر: دار بن حزم الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨.

50. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧ هـ)، ،**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز المحقق: محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ]**،الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،.

51. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** المحقق: محمد علي النجار [ت ١٣٨٥ هـ] الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،.

52. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، **نوير المقباس من تفسير ابن عباس ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (ت ٦٨هـ)** الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان.

53. مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ)،**فتح الرحمن في تفسير القرآن**، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلَامِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

54. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ] الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

55. محمد أحمد إسماعيل المقدم، **تفسير القرآن الكريم**، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية[الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٢٠٤ درسا] (الشاملة).

56. محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي [ت ١٤٤١ هـ]، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

57. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

58. محمد الطاهر ابن عاشور [ت ١٣٩٣ هـ]، **التحرير والتنوير[تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد]**، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ م [١٤٠٤ هـ]،.

59. محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ) ، **التيسير في أحاديث التفسير**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

60. محمد المكي الناصري (ت ١٤١٤هـ)، **التيسير في أحاديث التفسير**، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

61. محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الإدريسي الحسني (ت ١٤١٩هـ)، **تفسير القرآن الكريم**، الطبعة الشاملة، .

62. محمد الهلال، **تفسير القرآن الثري الجامع (في الإعجاز البياني واللغوي والعلمي)** الناشر: (دار المعراج، ودار جوامع الكلم)، دمشق – سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٤٣ هـ – ٢٠٢٢ م .

63. محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (ت ١١٥٠ هـ)،**الزيادة والإحسان في علوم القرآن** المحقق: أصل هذا الكتاب مجموعة رسائل جامعية ماجستير للأساتذة الباحثين: (محمد صفاء حقي، وفهد علي العندس، وإبراهيم محمد المحمود، ومصلح عبد الكريم السامدي، خالد عبد الكريم اللاحم).،الناشر: مركز البحوث والدراسات جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.

64. محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت ٩٠٥هـ) ، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

65. محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)** المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

66. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

67. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

68. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ)،، محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

69. محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ – ١٩٩٨ م.

70. محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي،، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويتن عدد الأجزاء: ٤٠ أعوام النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م).

71. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحر، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

72. موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار – د. نوح بن يحيى الشهري، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي– دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ – ٢٠١٧م.

73. وهبة الزحيلي [ت ١٤٣٦ هـ]،،**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر (دمشق – سورية)، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

74. يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، **تفسير يحيى بن سلام** ، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

الفهارس

Contenu